مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »





المحرم من سنة ١٣٩٨ هـ

كانون الثاني « يناير » من سنة ١٩٧٨ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بقايا الفصاح

الأستاذ شفيق جبري

من الألفاظ المستفيضة في لغة العامّة ما يدلّ على حالةٍ من حالات العصر الذي استفاضت فيه ، من هذا القبيل : لفظة التشليح ، فقد جاء في معجم الفيروزابادي : التشليح التعرية ، وهي سوادية ، أي من لغة أهل السواد . وجاء في مقام آخر : يوم غواس كسحاب فيه هزيمة وتشليح . إن هذه اللفظة تدلّ على حالةٍ من حالات العصر الذي شاعت فيه فكثيراً ما استعملت في بلاد الشام ، فقد يحدث أن تاجراً من التجّار كان في طريقه في بادية من بوادي الشام فيخرج عليه جماعة من أهل البدو فيشلّحونه أي ينهبون كل ما معه من مالٍ وغيره ، أو أن رجلاً كان يسير في طريق من الطرق الخالية في الحضر فيتعرّض له من يشلّحه . وليس من الضروري أن يكون المشلّحون رجالاً فقد توسّعوا في معنى هذه المادّة ؛ فإذا استولت امرأة على قلب رجلٍ غني واستصفت كل ما يملك فيقولون شلّحته ، إلاّ أن هذه المادّة قد قلّ استعمالها في أيّامنا أي قد خفّ التشليح في البوادي أو في بعض الطرق الخالية ، وإن قام مقامه شيء آخر مثل القتل والإرهاب ونحوهما ، فالمهم من كل هذا أن لفظة التشليح ما زالت مستعملة وإن قلّ استعمالها وهي فصيحة أي جاء ذكرها في بعض المعجمات ، وإن كانت سوادية ، وما أظن أن لفظة ثانية تعدلها في القوّة ، وإن كان في اللغة ألفاظ كثيرة تدل على معناها

مثل السلب والنهب وما شابه ذلك ولكن لمادة التشليح قوّة خاصّة لرسوخها في لغة العامّة ولجريانها على الألسن أكثر من غيرها . وقد تستعملها العامّة في معناها الحقيقي فهي تستعملها في معنى التعرية أيضاً ، فأيّ حرج في استعمال المواد التي تستعملها العامّة إن كانت فصيحة أو مدوّنة في معجمات اللغة فإن في مثل هذا الاستعمال مايقرّب بين لغة الخاصّة ولغة العامّة أي مايعين على استعمال اللغة الفصيحة في أحاديث الناس .

ولننتقل الآن إلى لفظة ثانيـــة ، إلى المآكل والموائد والولائم ، فقد يحدث في وليمةٍ من الولائم أو على مائدةٍ من الموائد أن رجلًا أكل كثيراً وأفرط في الأكل حتى تعبت معدته من كثرة الأكل أو مرضت فتقول العامة في مثل هذه الحالة إن فلاناً أكل وتبوّع في الأكل ، وهم يريدون بذلك أنه أكل كثيراً حتى أتخمه الطعام . ماذا نجد في اللغة ، نجد أن البَوْع مدّ البـاع بالشيء كالتبوّع وأن النعجة تسمّى : أبواعَ معروفة لتبوّعها في المشي ، وما يُدركَ تبوّعُه أي شأوه . لانجد توافقاً كثيراً بين لغة العامّة واللغة الفصيحة في هذه المادّة : التبوّع ، ولكن العامّة لهـا مذهبها في المجاز فإذا كان من معاني التبوّع مدّ الباع بالمشي فما الذي يمنع العامّة عن أن تنقل هذه المادّة من الحقيقة إلى المجاز فتعني بالتبوّع مدّ الباع إلى الأكل والإكثار منه ، وكيف كان الأمر فإن مادّة التبوع الدارجة في لغة العامّة إنما هي فصيحة .

وإذا فرغنا من الولائم والموائد فلنستمع إلى مخاطبة الناس ، فكثيراً مايصاب المرء في كلامه بشيء من الحَصَر أو العيّ في الكلام فيقال في مثل هذه الحالة : تعتع في الكلام أي تردّد من حَصَرٍ أو عيّ والتعتع الفأفاء . إن العامة تستعمل هذه المادة الفصيحة في كلامها وتريد بهـا مادلّت عليه

اللغة الفصيحة ، غير أنها تتبسّط في بعض الحالات في معانيها فليس من الضروري أن يتمتع الرجل في كلامه أي أن يتردّد من حَصَر أو عيّ فقد يتمتع الخطيب في خطبته إذا كان لا يستوعب موضوعه أو قد يتعتع الرجل في حديثه إذا كان غير ملمّ بجوانبه .

فلنشهد الآن مجالاً من مجالات العامّة يتسع فيه مذهبها في المجاز . إنّا نجد في اللغة : أبزَ الظبي وثب أو تطلّق في عدوه ، لاشك في أن العامّة إذا استعملت هذه المادّة في لغتها فقالت : أبز فلان فإنها لاتكتفي بالدلالة على وثبه وتطلّقه في العدو ولكنها تريد بها وضعاً من الأوضاع ، فقد يحدث في مجلس من المجالس أن أحد رجال هذا المجلس يشرح أمراً من الأمور أو يفصّل قضية من القضايا وهو متمكن من موضوعه يتكلم بشيء من الرصانة وفي كلامه مايدلّ على الفهم فيتعرّض له في مثل هذه الحال رجل آخر ليس من وزنه إمّا حبّاً للظهور أو ميلاً إلى التعكير ، فيتكلّم وكلامه بعيد عن الصواب فيخلط في كلامه فيقولون في مثل هذا الوضع : وبينما فلان يتكلّم أبز فلان ، فهم لايريدون مجرّد الوثب وإنما يريدون مع هذا الوثب شيئاً آخر ، إنهم يريدون الدلالة على سخفه ، فكأنه قال مالايجوز أن يقال أو كأنه قال مالا معنى له أو مالا حاجة إليه ، فمادّة : أبز التي تستعملها العامة في هذا الموضع لها دلالة قوية ، إنها تصوّر وضعاً من الأوضاع الغريبة أو السخيفة .

ومن الألفاظ التي مالت العامّة في استعمالها إلى المجاز لفظة : عاطل يقال في اللغة : عطلت المرأة كفرح وتعطّلت إذا لم يكن عليها حَلْي فهي عاطل ، ولا نريد التوسع في معاني هذه المادّة وإنما نكتفي بأن نقول : تعطّل الرجل ، بقي بلا عمل ، ولكن الذي يهمّنا إنما هو المعنى الأول :

المرأة العاطل . أظن أن العامة لاتعرف أن المرأة العاطل هي التي ليس عليها حلْي ولكنها استعملت هذه المادة في أقبح المعاني فقد نقلتها إلى المجاز وأعطتها قوّة قبيحة ، فقد نسمعها في أحاديثها تقول : فلان عاطل ، فهي لاتريد بذلك أنه لاعمل له أو أن المرأة لاحلْي عليها ، وإنما تجرّد الرجل بقولها هذا من كل فضيلة وخلقٍ . على أن هذه المادّة قد وردت في شعر الشريف الرضي « أنا عاطل منها وأنت مطوّق » أي عاطل من الحلافة ، ولكن شتّان ماتريده العامّة ومايريده الشريف الرضي باستعمال لفظة : عاطل .

وأخيراً أريد أن أختم هذا المقال الوجيز بتعبير لايزال حياً في أيامنا وله دلالة قوية وقد استعمل في أدبنا القديم فكثيراً مايأتي ذكر رجل عظيم من رجال السياسة أو الشجاعة أو من أصحاب المقامات فيريدون أن يدّلوا على مبلغ قوّة هذا الرجل وعظمته فيقولون : فلان مامعه لعبة ، أو ماهو قريب من هذا القول أي لاتجري عليه حيلة أو كذبة أو غش أو ما شابه ذلك فهو سليم من جميع الوجوه لاسبيل لى خداعه أو نحو ذلك وقد ورد مثل هذا التعبير في أدبنا القديم وإن كان التركيب يختلف فقد جاء في موطن من مواطن الأغاني : ليس مع السيف لعب ، أي إذا جاء ذكر السيف أو عمل السيف بطل كل شيء وكذلك إذا جاء ذكر فلان بطل كل خداع وحيلة .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر

وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٣٦ -

الدكتور حسني سبح

وأرجح إرتكاس دهليزي حراري ،علامة باراني ،الرأرأه (١) الحرارية ، الاختبار الحراري .

١١٤٤٣ تنشط مصل — I1443 réactivation d'un serum

وأفضل تنشيط المصل

١١٤٤٦ تنشط — 11446 Réactivité

وأرجح نشاط ، وإستطاعة الارتكاس أو قدرة الارتكاس أو إمكانيته ،كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

١١٤٤٧ موجبات التفاعل ، مُفاعِلات — 11447 Réactogénes, réagines

وأرجح مُوَلِّدات الارتكاس ، راكِسات

١١٤٤٨ مُطابَقة ، تَوَفُّق — 11448 Réadaptetion

وأرجح عَوْدة التوافق أو الملاءمة أو إعادتها . وسبق للجنة أن ترجمت (accomodation) بطابقة (اللفظة ٩٢)

---

(١) سبق للجنة أن ترجمت (nystagmus) برأرأه (اللفظة ٩٢٧٦).

(٢) (capability of reaction)

11549 Réagir

١١٤٤٩ ناضَلَ ، قاوَمَ ، تفاعَل

11450 Réalisation

١١٤٥٠ إنجاز ، إتمام

(وأفضل تفاعل وقاوم في اللفظة الأولى)

إنجاز ، تحقيق في اللفظة الثانية

11451 Réamputation

١١٤٥١ بَتْرٌ ثانٍ

إعاده البتر

11452 Réanimation , reviviscence , revivication, rappel à la vie

١١٤٥٢ إنْعاش ، إحْياء إعادة الحَياة ، دَعْوة للحياة

وأرجح رَد الحَيَاة في اللفظة الأخيرة

11454 Rebord osseux

١١٤٥٤ حافَّة عَظْمية

وجِدار المَظْم ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11456 Recalcification

١١٤٥٦ تَكْلِيس ، تَكَلُّس

وأرجح تكليس مخصصاً تكلس ترجمة لـ (calcification)

شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ١٩٧٥)

11457 Récepteur , trice

١١٤٥٧ قابِل مُتَقَبِّل

1145S récepteur

١١٤٥٨ آخذ

وأرجح مُتَقَبِل في اللفظة الأولى والمُتَقَبِل في الثانية ،

وقد ترجمت اللجنة (receveur) بآخذ أيضاً (اللفظة ١١٤٦٥)

11459 Récepteurs sensibles (organes des sens)

١١٤٥٩ مُتَقَبِّلات حَسَّاسَة (أعضاء الحس)

وأرجح مُتَقَبِّلات الحَوَاس (أعضاء الحس)

11460 récepteurs tèléceptifs ou à distance

١١٤٦٠ مُتَقَبِّلاتٌ سِلْكِيَّة أو عن بُعْد

---

(١) (bony wall , osseous wall)

وأرجح المُتَقَبِّلات عن بُعْد

11461 Réceptif , ive , susceptible ١١٤٦١ آخذ ، قابِل

11462 réceptivité , susceptibilité ١١٤٦٢ قابِلِيَّة الأخذ

1146ع réceptivité tissulaire ١١٤٦٣ قابلِيَّة الأخذ النسيجية

وأفضل قابل الأخذ أو قَبول للأخذ وقابل التأثر في اللفظة الأولى ، وقبول الأخذ وقابلِيَّة الأخذ وقبول التأثر وقابلية التأثر أو المتأثرية في اللفظة الثانية ، وقابلية الأخذ أو التأثر النسيجية في اللفظة الثالثة .

11464 Récessif ,ive ١١٤٦٤ مُخْتَفٍ

ودرجت على ترجمته اللفظة بالمُتَقَهْقِرة (الصفة المتقهقرة في علم الوراثة) وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : المُتَنَحِّية ، وجاء في الشرح : عكس السائدة(dominant)

11465 Receveur (Chim.) ١١٤٦٥ آخذ (كيمياء)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة مُسْتَقْبِلة ـ مُتَقَبِّلة ، وجاء في الشرح : وعاء يُجْمَعُ فيه السائل المُقَطَّر

11466 receveur du sang ١١٤٦٦ آخذ الدم

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة مُتَلَقِّي الدم

١١٤٦٧ آخِذٌ عامٌ (من الدم)

وأرجح مُتَلَقٍ عام أو شامِل

11468 Réchaud à fumigation

١١٤٦٨ مِدْفأ أو مَوْقَدٌ للتبخير ، مِبْخَرَة

وأفضل مُدَخِّنَة ،وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

---

(١) (fumigator)

11471 Rechloruration ١١٤٧١ تَمْليح (زيادة المِلْح)
وأفضل إضافة المِلْح

11475 récipient d ' une cornue ١١٤٧٥ مَآخِذُ مُعْوجَّة
وأرجح وِعاء أو إناء مُستَقْبِل لِلمُقَطِّرة (آلة التقطير)

11476 Reclassement , regroupement ١١٤٧٦ تَصْنيفٌ ثانٍ ، لَمٌّ ثانٍ
وأرجح إعادة التَصْنيف ، إعادة التَجْميع

11479 Reconstituant , ante ١١٤٧٩ مُشَدِّد ، مُقَوٍّ

11480 Reconstituants ١١٠٤٧ مُقَوِّيَات ، مُرَمِّمات

11481 Reconstituè , ée ١١٤٨١ مُقوًّى
وأفضل مُنَشِّط ومُنْعِش ومُرمِّم في اللفظة الأولى، وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [1] والمُرَمِّمات في الثانية ، ومُرَمَّم في الثالثة ، ومعاد تكوينه ، مُقَوٍّ ترجمة لـ tonique (اللفظة ١٣٤٧٣)

11485 Recristalliser ١١٤٨٥ بَلْوَرَ ثانِيةً ، أعادَ التَبَلْير
وأرجح استَعادَ التَبَلْوُر أو أعاده

11489 rectification ١١٤٨٩ تَقْويم ، إصلاح ، تَخْليص و (كيمياء)
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : تَكْرير ـ تَصفِيَة ، وجاء في الشرح : إعادة تَقْطير سائل بقصد التَنْقية
وقد سبقت الملاحظة على هذه اللفظة (٢)

(١) (refreshing , strengthening , fortifying)
(٢) الصفحة ٤٧٨ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة

11490 Rectifier , raffiner , purifier

١١٤٩٠ قَوَّمَ ، رَفَنَ ، خَلَّصَ ، نَقَّى

وأرجح كرَّر ، صَفَّى ؛ نَقَّى وسبقت الملاحظة على هذه اللفظة أيضاً (١)

11492 Rectite , proctite

١١٤٩٢ الْتِهابُ المُسْتَقِيم ، إلتِهابُ الدُّبُر

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ، إلْتهاب المُسْتَقِيم فقط

11497 Rectosigmoïdite

١١٤٩٧ إلْتِهابُ المَسْتَقِيم والسِّين

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة إلْتهابُ المُسْتَقِيم والسجمي مُعرَّبا لفظة (sigmoid) ، وأرجح لَفْظَة السِّين

11502 Redistribution

١١٥٠٢ تَوْزيعٌ ثانٍ

وأرجح إعادة التَوْزيع

11505 Redressement , relévement

١١٥٠٣ تَقْوِيم ، إنهاض

وأرجح تَقْوِيم أو إقامة ، تَعْدِيل وإنهاضٌ

11506 Réductible

١١٥٠٦ رَجُوع

رَجُوع ورَدُود (قابل المرد)

11508 Réduction , déoxigénation (chim.)

١١٥٠٨ إرجاع ، خَسْفَدَة (كيمياء)

وأرجح إرجاع ، طَرْح الأكسيجين

11512 réduction sanglante d' une hernie, kélotomie , herniotomie

---

(١) الصفحة ٤٧٨ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

١١٥١٢ رَدْهُ فَتْقٍ جِراحي ، رَتْقُ فَتْقٍ

وأرجح الرَدُّ الجِراحي للفَتْق أو رَدُّ الفَتْق جِراحياً ،

رَتْقُ فَتْقٍ

11513 Réduit , uite (chim.) ١١٥١٣ مُرْجَع (كيمياء)

ومُنْتَقَص

11514 Réduplication ١١٥١٤ تَضاعُف

وأفضل إعادة التَضْعيف أو التَّضاعف

11515 Réduves ١١٥١٥ فَسافِس (نَوْعٌ من الحشرات كالبق)

والصحيح ضَمْج واحدتها ضَمْجَة [1]

11517 Rééducation motrice des tabétiques

١١٥١٧ تَدْريبُ الشَّهاميين الحَرَكي

وأرجح التدريب الحركي للتابسيين أو المصابين بالتابس[2]

أو تأهيلهم الحركي وتمارين فرنكل في معالجة التابس ،

---

(١) وردت ترجمتها في الانكليزية في المعجم الأصلي (assasin bugs) ، وجاء في معجم ستدمان الطبي في شرح اللفظة المذكورة : إنها حشرة من صنف نصفية الجناح تكثر في البلاد الحارة يحدث لسعها تخريشاً مؤلماً في الإنسان والحيوان . وجاء في شرح (réduve) في معجم لاروس الموسوعي : إن هذه الحشرة تطير ليلاً ، تسطو على الحشرات الأخرى لتمتص دمها ، ولسعها مؤلم وسام .

وفي تاج العروس الضَمْجة دويبة منتنة الرائحة تلسع والجمع ضَمْج

ووردت هذه اللفظة في معجم المنار الانكليزي العربي في لفظة (bug) .

(٢) الصفحة ٩٨ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

كما جاء في الترجمة الانكليزية على المعجم الأصلي [١]

١١٥١٨ تدريب مهني — 11518 rééducation professionelle

وأفضل التأهيل المهني

١١٥١٩ حقيقي ، حقيقة — 11519 Réel , réelle

وواقعي وواقعية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٢]

١١٥٢٠ منعكس — 11520 Réfléchi , ie

ومفكر وحذر ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٣]

١١٥٢٣ إنعكاسية — 11523 Réflectivité

وأرجح إمكانية الإثارة الإنعكاسية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٤]

١١٥٢٤ مولد الإنعكاس — 11524 Réflectogène

وأرجح مولد المنعكس وموجب المنعكس ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٥]

١١٥٢٨ منعكس دابري — 11528 réglexe achiléen

وأرجح المنعكس العرقوبي

(Frenkel 's exercise in the treatment of tabes) (١)

(actual, real) (٢)

(thoughtful, considerete) (٣)

(reflex excitability) (٤)

(reflex producing, involving (٥)

11529 réflexe d' automatisme médullaire

١١٥٢٩ مُنْعَكَس النامِية النُّخاعِيَة مُنْعَكَس الدِّفاع

وأرجح مُنْعَكَس الحَرَكَة الذّاتِيَّة النُّخاعية ، مُنْعَكَس الدِّفاع

11536 réflexe crémastérien

١١٥٣٦ مُنْعَكَس مُعَلِّق الخِصْيَة

والصحيح مُنْعَكَس مُعَلِّقة الخِصية ، لأن المقصود العضلة المعلقة الملساء

11539 réflexe cutané plantaire

١١٥٣٩ مُنْعَكَس جِلْدي أخمَصي

والمُنْعَكَس الأخمصي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11540 réflexe d' embrassement, d' étreinte

١١٥٤٠ مُنْعَكَس العِناق أو الضَّم

مُنْعَكَس ارتباطي

وأرجح مُنْعَكَس العِناق أو الضَّم ، ومُنْعَكَس مورو (Moro) ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

11451 réflexe oculo - palpébral ou conjonctivo - palpébral

١١٥٥١ مُنْعَكَس عَيْنِي جَفْني أو مُلْتَحِمي جفني

والمُنْعَكَس البَصَري الوَجْهي ، ومُنْعَكَس رف العَيْن ، والمُنْعَكَس الجَفْني ، ومنعكس إنغلاق جَفْن

---

(١) (plantar, sole reflex)

(٢) (embracer . Moro's reflex)

العَيْن ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

11558 réflexe de posture, d' attitude

١١٥٥٨ مُنْعَكَس الاتيزان أو الوَضْع

وأفضل مُنْعَكَس الوَضْعة والوَقْفة ، ثم مُنْعَكَس التَوتّر ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

11562 réflexe psychomoteur, idéomoteur

١١٥٦٢ مُنْعَكَس رُوحي أو نَفْسي ، حَرَكي فِكْري فِكري حَرَكي وأفضل مُنْعَكَس نَفْسي حَرَكي ، تفكري حَرَكي

11568 réflexe solaire

١١٥٦٨ مُنْعَكَس شَمْسي (متعلق بالضفيرة الشمسية)

وأفضل مُنْعَكَس الضَّفيرة الشَمْسية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣)

11569 réflexe tasso - phalangien de Bechterew - Mendel

١١٥٦٩ مُنعَكَس بَختَرو - مَنْدَل الرُسْغي السُلامي

المَشْهور لَفْظة بَكْتَرِف في الفرنسية وبختريف في الروسية لأنه عالم روسي ومَنْدِل لا مَنْدَل

11571 réflce total

١١٥٧١ مُنْعَكَس عامّ ، شامِل

ومُنْعَكَس كُلّي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من

(١) (opticofacial, winkling reflex, lid reflex, eyelid closure reflex)

(٢) (postural, attitudinal, tonic reflex)

(٣) (solar plexus reflex)

المعجم الأصلي (١)

11573 réflex vélopalatin

١١٥٧٣ منعكس حقافي

وأفضل مُنْعَكَس شِراع الحَنَك

11576 Reflux

١١٥٧٦ جَزْرٌ (الدَّم) رُجُوع ، إرْتِداد

وأرجح جَزْر ، تراجُع ، قَلْس ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

11580 Réfractaire, résistant, ante

١١٥٨٠ مُقاوِم ، مَتين ، صامِد

وأرجح عاصٍ ، غير مُتأثر ، مُقاوِم

11582 Réfracter

١١٥٨٢ كَسَرَ ، غيَّر الاتجاه

إنكسار ، إنعطاف ، إنحراف

11584 réfraction double, biréfringeance

١١٥٨٤ إنْكِسارٌ مُضاعَف ، إنْكِسار مُزْدَوج

11585 réfraction simple

١١٥٨٥ إنْكسار بَسيط

11586 Réfrangibilité

١١٥٨٦ كَسوريَّة (قابِلية الإنْكسار)

11587 Réfrangible

١١٥٨٧ كَسُور (قابل الإنْكسار)

وأرى أن يضاف إلى كل لفظ يتعلق بالكَسْر والانكِسار (في الشعاع) لأنه سبق للجنة أن ترجمت (fracture) بكَسْر وهو مايعرض للعظم (اللفظة ٥٩٩٣) وما يليها

---

(١) (mass reflex)

(٢) (reflux, backward flow, regurgitation)

فيقال في اللفظة الأولى كَسْر (الشعاع أو الأشعة)

11600 régime acidifiant (des urines)

١١٦٠٠ حِمْيَة مُحَمِّضَة (البول)

11601 régime alcalinisant des urines)

١١٦٠١ حِمْيَة مُقَلْوِنَة (البول)

وأرجح تَدْبير الغِذاء المُحَمِّض (البول) في اللفظة الأولى والمُقَلْوِن في اللفظة الثانية (١)

11603 régime carné, alimentation carnée

١١٦٠٣ حِمْيَة لَحْمِيَّة ، تَغْذِية لَحْمِية .وأفضل التَغْذِية باللَّحم(٢)

11604 régime cétogène

١١٦٠٤ حِمْيَة مُخَلْوِنَة (مُورِثَة الخَلُّون)

وأفضل تَغْذِية مُخَلْوِنَة أو مُكَوِّنة الكيتون

11604 régime de crudité, cure de crudités ,fruitarisme

١١٦٠٤ حِمْيَة بالأغذية الغَضَّة ، معالجة بالأحرار ، تَفَكُّه

وأرجح تَغْذِية (٣) بالنِيئات ، معالجة بالنيئات تَغْذِية باحرار البقول ، تغذية بالفَواكِه (٤)

11513 régime léger

١١٦١٣ حِمْيَة خَفيفَة

---

(١) الصفحة ٤٨٠ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٤٦٦ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٥٩٦ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الأمير مصطفى الشهابي : احرار البقولِ ، البقولِ التي تؤكَلِ ورقها كالخس والهندباء والاسفاناخ .

وأرجح تَدْبير بالأغذية الخفيفة واللينة ،كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11615 régime (de ménagement) spécial pour malades

١١٦١٥ حِمْيَة (رِعايَة أو إدارة) خاصَّة بالمرْضى

وأرجح تَدْبير الغذاء الإحتِرازي ، الخاص بالمرضى أو التدبير القصدي أو القاصد ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

11618 régime de protection — ١١٦١٨ حِمْيَةٌ صِيانَة أو حِمايَة

وأرجح تَدْبير الغذاء الصائن أو الواقي

11636 registre de la voix — ١١٦٣٦ سِجِلُّ الصَوْت

وسِجِلُّ طَبقات الصَوْت ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

11637 Régalge, mise au point ,ajustage

١١٦٣٧ تَنْظيم إسْتِهداف ، إحْكام، وأفضل تَنْظيم ، ضَبْط ، إحكام

11639 Réglementation — ١١٦٣٩ تَنْظيم ، إحْكام

وأفضل تَنْظيم ، تَقْييد (وَضْعُ قَواعِد)

11640 règles diététiques, prescriptions diététiques

١١٦٤٠ مَناهِجُ الحِمْيَة ، نُظُمُ الحِمْيات .

---

(١) (light, soft diet)

(٢) (spare diet, regime of management, bland, sparing diet)

(٣) (register of the voice, pitch of voice register)

وأفضل قَواعِدُ التغْذِية ، الوَصْفاتُ الغِذائيَّة أو قَوائِم الغِذاء أو الطعام .

١١٦٤١ نُظُمُ تَتَبُّع ، مَناهِج — 11641 règles à suivre, directives

وأفضل تَعلّيمات ، تِوْصِيات ، أو تواصي

١١٦٤٣ إمْتِلاء ، فَيْض — 11643 Regorgement

وأفضل زُخُور (١) فَيْض ، وسبق للجنة أن استعملت إمْتلاء ترجمة لِـ-(pléthore)(٢)

١١٦٤٤ مُتَدَنٍ ، مُتَقَهْقِر — 11644 Régressif, ive, rétrograde

وأفضل مُتَقَهْقِر ، مُتَراجِع

11645 régulateur à air (rad.)

١١٦٤٥ نَاظِمُ ذو هَواء (أشعة)

11646 régulateur à étincelle (rad.)

١١٦٤٦ ناظِمُ ذو شَرارَة (أشعة)

وأفضل مُنَظِّمُ بالهواء في اللفظة الأولى ومُنَظِّم بالشرارة الكهربائية في الثانية .

11648 régulateur de pression (d' une ampoule à gas)

١١٦٤٨ نَاظِمُ الضَغْطِ (في حُبابَة غاز)

وأرجح مُنَظِّم الضَغْط (في أمبولة الغاز) (٣) أو أنبوبِ

---

(١) في لسان العرب : زَخَرَ البَحْرُ يَزْخَرُ زَخْراً وزُخُورا وتَزَخَّر طَمَا وتَمَلأ ، وزَخَر الوادي مدَّ جداً وارتفع فهو زاخِر .

(٢) الصفحة ٢٢٣ من المجلد الحادي والخمسين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٦٥٣ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

الغاز .وهو الجهاز المستعمل من أجل تجديد الفراغ في أنبوب
الأشعَّة السينية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم
الأصلي (١)

11650 régulation thermique

١١٦٥٠ تَنْظيم حَراري ، تَنظُّمٌ حَراري

وأفضل تَنْظيم حَراري أو تَنْظيم الحَرارة فقط ، إذ
سبق للجنة أن استعملت نَظْم ترجمة لـ (rythme) في
اللفظة ١١٩٦٦ وما يليها)

11651 Régulier, ère, v. normal, uniforme

١١٦٥١ مُنَظَّمٌ ، انْظُر نِظامي ، وحيدُ الشَّكْل

وأرجح مُنْتَظَم ، انْظر سَوِيٌّ ، مُطَّرِد أو مُنسَّق

11653 Réhabilitasion (améric.) = retour à une efficience fonctionelle eorrecte (rééducation et réadaptation des blessés)

١١٦٥٣ إعادةُ حُقُوق = عَوْدة إلى حالَة وظيفيَّة صالِحة
(تدريب الجرحى وتوفيق حركاتهم) .

والصحيح التأهيل = استعادة العمل الوظيفي الصحيح
(تدريب الجرحى على العَمَل المُلائم)

11654 Réimplantation

١١٦٥٤ إعادَة الغَرْز

وإعادة الغَرْس ، لأن المقصود منها غَرْس الأعضاء

---

(١) (apparatus for regeneration of the vacuum of an X - ray tube)

11655 substance médullaire ١١٦٥٥ (١) مادّة مُخيّة أو لُبّية

وأرجح مادّة نُخاعية أو نقبية

(6) area cribrosa (٦) منطقة مُشدّمة أو غِربالية

وأرجح باحة غِرْبالية

(8) pyramides de Ferrein (٨) أهرام فِرّن

أهرام فِرّاين كما تلفظ في الألمانية

(11) glomèrule (١١) كُبّة

كُبَيْبَة

11656 rein (avoir mal au) ١١٦٥٦ إكْتلى ، أصيب بكُلْيَتيه

والصحيح إشتكى من ألم ظَهْره أو صُلْبه ، كما جاء في

الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11657 rein amyloïde ١١٦٥٧ كُلْية نشويدية

وأرجح كُلْية نشوانية (٢) وكُلْوة شحمية ، كما جاء

في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

11659 rein céphalique, rein primitif (embr.)

١١٦٥٩ كُلْية دماغية ، كُلْية إبتدائية (مُضغة)

وأرجح الكُلْية السابقة ، أو الكُلْية الأساسية والكُلْية

(to have backache) (١)

(٢) الصفحة ٦٥٤ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(lardaceous kidney) (٣)

الابتدائية (أجنّة) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11660 rein définitif (embr.)

١١٦٦٠ كُلْيَة دائمة ، مقرَّرة (مضغة)

كُلْيَة دائمة أو الكُلْيَة الجَنينيَّة المُستَمرة (أجنة)، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

11661 rein atteint de dégenérescence graisseuse

١١٦٦١ كُلْيَة مصابَة بحُؤول شحْمي .

كلية متشحمة كُلْيَة ، شَحْميَّة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

11663 rein ficelé (syphilis tertiaire)

١١٦٦٣ كُلية مُتَصَلِّبة (أفرنجي ثالثي)

وأرجح كلية متحزومة والكُلية الصَمغيَّة في الأفرنجي الثالثي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٤)

11666 rein kystique

١١٦٦٦ كُلية كُيَيسيَّة

وأرجح كُلية كِيسيَّة

11668 rein moyen , corps de Wolff

١١٦٦٨ كُلْيَة مُتَوسِّطة ، جِسْم وُلف

وأرجح كلية وسطانية أو كلية ابتدائية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٥)

(للبحث صلة)

(١) (fore kidney, head kidney, primordial kidney)

(٢) (permanent embryonic kidney)

(٣) (fatty kidney)

(٤) (sclerogemmatous kidney in tertiary syphilis)

(٥) (prinitive kidny , Woeffian body)

نظرية النظم النحوي قبل عبد القاهر

د . أحمد نصيف الجنابي

المدخل إلى النظرية

عرفت « نظرية النظم النحوي » بعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ، وبها اشتهر كتابه « دلائل الإعجاز » الذي بسط فيه هذه النظرية ، ولم تشتهر كتبه الأخرى لاسيما النحوية ، ككتاب « المقتصد في النحو » وكتاب « العوامل المائة » مثلما اشتهر « الدلائل » .

أما النحاة الذين جاؤوا بعده فلم يزيدوا على هذه النظرية شيئاً ذا بال بل إنهم لم يدركوا أبعاد تلك النظرية العملاقة التي تشمل اللغة كلها ولا سيما الجانب الاسلوبي الذي تفتقر إليه المؤلفات اللغوية قبل عبد القاهر الجرجاني ، إلا في حالات نادرة .

أما في العصر الحديث فقد التفت إليها مجموعة من اللغويين والنقاد ، منهم : الاستاذ أحمد أحمد بدوي في كتابه : « عبد القاهر الجرجاني » وإن كان الرجل ناقلاً وشارحاً أكثر منه باحثاً مكتشفاً . وتناولها الدكتور محمد مندور « في الميزان الجديد » فأبرز الجانب اللغوي في هذه النظرية ، وجعل عبد القاهر في صف أعظم اللغويين المحدثين ، وتحدث عنها الدكتور أحمد مطلوب في كتابه « عبد القاهر الجرجاني » حديثاً مستفيضاً .

ولكن أعمق من تناول نظرية النظم «وكشف عن كثير من جوانبها المتصلة بالنظرية العامة والمصطلحات والأساليب»، هو الاستاذ الدكتور تمام حسان في كتابه القيم «اللغة العربية، معناها ومبناها».

وقد تناولها بالدرس والتحليل غير هؤلاء. ولكل جهده المشكور.

وأهم شيء نخلص إليه من هذه الكتب كلها أنها أجمعت على أن صاحب النظرية هو «عبد القاهر» وأنه غير مسبوق بها ولا بجزء منها.

ولي وجهة نظر تخالف هؤلاء جميعاً، «ولكل وجهة هو موليها». والناس يختلفون ماداموا يفكرون.

فقد وجدت أن عبد القاهر مسبوق بهذه النظرية في الجانب النحوي المتصل بالأساليب، الخاص بموضوع «الفصل والوصل»، أو مايسمى ـ عند القراء ـ بالوقف والابتداء (أو القطع والائتناف). وقد عدل عبد القاهر عن مصطلح البلاغيين ـ وهو منهم ـ في أثناء بحثه موضوع «الفصل والوصل» ـ في الدلائل إلى مصطلح القراء. وهذه القرينة إحدى حججي في إثبات مايدل على أن صاحب «الدلائل» مسبوق بالجزء الذي أوضحته، من نظرية النظم. (١) فمن هو ذلك السابق؟ (٢) وماهي حدود التأثير؟ (٣) وماهي الأدلة عليه؟

هذا ما سأبينه في أقسام البحث الثلاثة الآتية:

القسم الأول: من هو صاحب نظرية النظم قبيل عبد القاهر؟

صاحب هذه النظرية هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المعروف بالنحاس (ت ٣٣٨ هـ). ولد بمصر في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري من عائلة كانت تعمل بالنحاس. ولم تحدد مصادر حياته سنة ميلاده، ويمكن أن نقترب من ذلك التأريخ بالطريقة الآتية:

لقد كان أول أساتذته موتاً هو بكر بن سهل الدمياطي (ت ٢٨٩ هـ) . فإذا كان طلب العلم يبدأ في السادسة عشرة في ذلك العصر فيمكن طرح هذا الرقم الأخير من (٢٨٩) فيكون الباقي (٢٧٣) ، وهو السنة التي ولد فيها النحاس تقريباً لا تحديداً . وبناء على هذه يمكن تقدير سنوات العمر التي عاشها ٣٣٨ - ٢٧٣ = ٦٥ .

ومعنى هذا أنه عاش عمراً وسطاً يشبه أعمار الأنبياء ، ولم يمت شابا ولا هرما بالرغم من أنه ألقي في النيل بمؤامرة دبرها له الحكم الذي كان قائماً وقتئذ . وإني أرفض الرواية المعروفة في مصادر حياته الزاعمة أنه كان يقطّع أبياتاً من الشعر فرماه رجل في النيل لأنه اعتقد أنه يسحر النيل (١) ليقل ماؤه !

وبما يعضد ماذهبت إليه أن الحادثة تكررت مع عالم آخر رمي في النيل في آخر القرن الرابع الهجري . وهذا يدل على أن هذه الوسيلة كانت متبعة في ذلك العصر لاغتيال العلماء الذين يرفضون الخنوع والاستخذاء

ويمكن تقسيم حياة النحاس إلى المراحل الآتية :

المرحلة الأولى وتمتد من سنة ٢٧٣-٢٨٧ هـ وهي مرحلة الطفولة والصبوة.

المرحلة الثانية : وتمتد من سنة ٢٨٧ - ٣٠٠ هـ وتمثل مرحلة طلب العلم في مصر وفلسطين والعراق . وهي مرحلة الشباب في الحياة والفكر .

وفي مصر كانت بداية رحلته العلمية . وأول أساتذته فيها : « بكر بن سهل الدمياطي » ، وقد نقل عنه النحاس في كتابه : « الناسخ والمنسوخ في القرآن » ، كثيراً (٢) . وأستاذه هذا محدّث ، ومفسر ، ومقرىء (٣) .

---

(١) إنباه الرواة ١/١٠٢

(٢) الناسخ والمنسوخ / ٥ ، ١٠٦ ، ١٥٢ ، ١٥٦ الخ

(٣) طبقات القراء ١/١٧٨ وحسن المحاضرة ١/٣٦٧ وطبقات المفسرين ١/١١٧

وفي مصر أخذ قراءة « ورش »[(١)]، عن أبي بكر[(٢)] عبد الله بن مالك التجيبي (ت ٣٠٧ ﻫ) . وأخذ العلوم اللغوية والنحوية عن « محمد بن ولاد » (ت ٢٩٨ ﻫ) وقد ذكره في « إعراب القرآن » و « شرح القصائد التسع »[(٣)] .

والتقى بالأخفش الصغير : علي بن سليمان (ت ٣١٥ ﻫ) بعدما جاء إلى مصر سنة ٢٨٧ ﻫ ، وقد أخذ عنه وذكره في جل كتبه الموجودة . كما أخذ عن غير هؤلاء .

أما في فلسطين فقد التقى في مدينـــة « الرملة » بالإمام أبي بكر محمد بن أحمد بن عمر المعروف بالداجوني الكبير (ت ٣٢٤ ﻫ) ، وهو صاحب كتاب في القراءات ضمنه قراءة أحد عشر مقرئاً[(٤)] .

وأما في العراق فالتقى بأشهر أساتذته وأبعدهم تأثيراً في حياته العلمية وفي مناحي تفكيره : أبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١ ﻫ) ، وابن كيسان النحوي (ت ٣٢٠ ﻫ) . وقد روى عنهما في كتبه اللغوية والنحوية ، ومدحهما مدحاً دل على قدرهما الكبير عنده ، فقال : « إنهما أجلّ من رأى من النحويين »[(٥)] .

وقد أخذ عن غير هؤلاء ولكننا أعرضنا عن ذكرهم اختصاراً واكتفاء بالأهم .

---

(١) هو عثمان بن سعيد المصري المتوفى ١٩٧ ﻫ . رأس المدرسة المصرية في القراءات ، وأشهر تلاميذ « نافع » أحد القراء السبعة .

(٢) طبقات القراء ١/٤٤٥

(٣) إعراب القرآن لوحة ٨ / أ وشرح القصائد التسع ٤٠٣

(٤) لطائف الإشارات ١/٨٦

(٥) في رسالته : « إعراب قول سيبويه في أول الكتاب : هذا باب علم ما الكلم من العربية » (مخطوط) .

المرحلة الثالثة : وتمتد من سنة ٣٠١ - ٣٣٨ هـ وهي مرحلة العطاء . وقد قضاها في التدريس والتأليف ، إذ صنف مايزيد على عشرين كتاباً في اللغة والنحو والتفسير والفقه والحديث .

وأهم مؤلفاته وأشهرها وأكثرها تأثيراً في الدراسات اللغوية والنحوية :

(١) إعراب القرآن (مخطوط) .

(٢) شرح القصائد التسع المشهورات . طبع ببغداد سنة ١٩٧٣ بتحقيق الدكتور أحمد خطاب العمر .

(٣) القطع والائتناف (مخطوط) . (٤) معاني القرآن (مخطوط) .

(٥) الناسخ والمنسوخ في القرآن . طبع بمصر سنة ١٣٢٣ هـ .

أما أهم تلامذته فهم :

(١) فضل الله بن سعيد بن عبد الله بن قاسم المعروف بالكزني (ت ٣٣٥ هـ) من أهل الأندلس ، رحل إلى المشرق فسمع النحاس [١] .

(٢) ومن أظهرهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥ هـ) ، وقد سمع منه وله معه حادثة مشهورة [٢] .

(٣) محمد بن يحيى بن عبد السلام الرباحي (ت ٣٥٨ هـ) من أهل الأندلس رحل إلى مصر فلقي النحاس ، وحمل عنه كتاب سيبويه رواية ، وحدث بكتبه : « الكافي في النحو » و « المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين » ، و « صناعة الكتاب » ، و « الاشتقاق » [٣] .

---

(١) بغية الملتمس : ٤٢٩

(٢) بغية الملتمس : ٤٥٠ وتاريخ علماء الأندلس ٢/١٤٢

(٣) تاريخ علماء الأندلس ٢/٦٩ وفهرسة ابن خير : ٣٨٦

(٤) محمد بن مفرج بن عبد الله المعافري القرطبي (ت ٣٧١ هـ) لقي أبا جعفر النحاس فروى عنه كتبه : إعراب القرآن ، ومعاني القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، وهو أول من أدخل هذه الكتب إلى الأندلس [١] .

ويبدو أن جلّ تلامذة النحاس من أهل الأندلس .

(٥) وأشهر تلامذته المصريين أبو بكر محمد بن علي بن محمد الأدفوي الذي لازم النحاس وروى عنه كتبه . وعن الأدفوي نقل بعضها إلى الأندلس . وكان الأدفوي نحوياً ومقرئاً [٢] ، توفي بمصر سنة ٣٨٨ هـ .

القسم الثاني : نظرية النظم عند النحاس

وقد بسط النحاس نظريته في كتاب « القطع والائتناف في القرآن » أي : الوقت والابتداء .

وقسمه أربعة أقسام :

(١) وقف التمام . (٢) الوقف الكافي . (٣) الوقف الصالح . ويسمى « الوقف الحسن » أيضاً . (٤) الوقف الممتنع . ويسميه بعض العلماء : « الوقف القبيح [٣] » .

فالوقف التام :

هو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده لأنه لايتعلق بشيء مما بعده به ، وذلك عند تمام القصص وانقضائهن ، وأكثر مايكون موجوداً في الفواصل ورؤوس الآي ، كقوله تعالى : « واولئك هم المفلحون » (البقرة :٥)

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/٨١

(٢) انباه الرواة ٣/١٨٦ والبغية ١/١٨٩ وطبقات القراء

(٣) الداني : المكتفى في الوقف والابتدا ، ورقة ٩ : ب

والابتداء بقوله : « إن الذين كفرو سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون » (البقرة : ٦) وكذلك : « ولو ألقى معاذيره » (القيامة : ١٥) ، والابتداء بقوله : « لاتحرك به لسانك » (القيامة : ١٦) . وكذلك : « وجعلوا أعزة أهلها أذلة » هذا هو التام ، لأنه انقضاء كلام « بلقيس » ثم قال عز وجل : « وكذلك يفعلون » (النمل : ٣٤) .

أما الوقف الكافي :

فهو الذي يحسن الوقف عليه أيضاً والابتداء بما بعده غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ . وذلك نحو الوقف على قوله : « حرّمت عليكم أمهاتكم » (النساء : ٢٣) ، والابتداء بما بعد ذلك في الآية كلها . وكذلك الوقف على قوله : « اليوم أحلّ لكم الطيبات » (المائدة : ٥) ، والابتداء بما بعد ذلك لأن ذلك كله معطوف بعضه على بعض وكذلك الوقف على الفواصل في سورة الجن والمدثر والتكوير والانفطار والانشقاق.

أما الوقف الحسن :

فهو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً . وذلك نحو قوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم » (الفاتحة : ١ - ٢) ، الوقف على ذلك كله وشبهه حسن ، لأن المراد مفهوم ، والابتداء بقوله « رب العالمين » ، و « الرحمن الرحيم » ، و « مالك يوم الدين » لايحسن ، لأن ذلك مجرور ، والابتداء بالمجرور قبيح لأنه تابع لما قبله ، ويسمى هذا الضرب صالحاً إذ لايلزم القارىء أن يقف في كل موضع على تام ولا كافٍ لأن نفسه ينقطع دون ذلك .

أما الوقف القبيح :

فهو الذي لايعرف المراد منه ، وذلك نحو الوقف على « بسم » و

« مالك » والابتداء بقوله . « الله » و « يوم الدين » ، من سورة الفاتحة ، لأنه إذا وقف على ذلك لم يعلم إلى أي شيء أضيف .

وأقبح من هذا النوع الوقف على قوله : « لقد سمع الله قول الذين قالوا » (آل عمران : ١٨١) ، والابتداء بما بعد ذلك من قوله : « إن الله فقير ونحن أغنياء » .

ومن انقطع نفسه على ذلك وجب عليه أن يرجع إلى ماقبله ويصل الكلام بعضه ببعض فإن لم يفعل أثم وكان ذلك من الخطأ العظيم [١] .

والذي لفت نظري أن منهج النحاس في كتاب « القطع والائتناف » ، وموقفه من المسائل النحوية والوجوه الاعرابية وطريقة تعامله معها كلها تختلف عما في كتبه الأخرى الباقية ، لأنه أعطى السياق القرآني ومعانيه صورة واحدة هي أفضل من سواها ، وهذا السياق هو العلاقة النحوية والرابطة اللغوية بين أجزاء الجملة القرآنية مرتبطة بالمعنى العام ارتباطاً وثيقاً حيث يلتزم القارىء بهذه العلاقة فيقف وقفاً تاماً في حالة واحدة ، في الموضع الذي يتم فيه المعنى وتتصل أجزاء الجملة ، فإذا تعدى القارىء هذا الموضع دون أن يقف أو وقف على ماقبله ، فقد ارتكب الخطأ وجاوز منطق الصواب .

لكنه لهج في كتابيه : « إعراب القرآن » و « شرح القصائد التسع » بالاحتمالات النحوية والوجوه الإعرابية وجعل لكل وجه علة في الصواب .

فكلمة « هدى » في قوله تعالى : « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين» (البقرة : ٢) ، فيها ثمانية أوجه من الإعراب : (تكون في موضع رفع خبراً عن ذلك ، وعلى إضمار مبتدأ ، وعلى أن تكون خبراً بعد خبر ، وعلى أن

---

(١) ملخص من كتاب « المكتفي في الوقف والابتدا » لأبي عمرو الداني ورقة ٧ ؛ ب - ٩ ؛ ب .

تكون رفعاً بالابتداء .. فهذه أربعة أوجه في الرفع .. وتكون على وجه خامس هو أن تكون رداً على موضع « لاريب فيه » أي : حق هدى . وتكون نصباً على الحال من ذلك . وتكون حالاً من الكتاب ، وتكون حالاً من الهاء)[١] .

أما الآراء والوجوه الإعرابية في كتاب « القطع والائتناف » فهي تخضع للمفاضلة وليست موضع احتمالات تتساوى فيها الوجوه الإعرابية بالصحة بل هناك حالة واحدة يصح معها المعنى التام ويقف عندها القارىء أو المتكلم وقفاً تاماً ، وهي الحالة التي تتصل فيها أجزاء الجملة اتصالاً كلياً بالمعنى وتنقطع عما بعدهـا انقطاعاً كلياً . أما الجواز فلا يكون في حالة تتساوى مع حالة الوقف التام بل تأتي بعدها وهي حـالة الوقف الكافي أو الصالح ، وقد لاتكون هذه ولا تلك بل حالة أخرى يمتنع معها الوقف امتناعاً كلياً .

الغاية من النظرية

وإذا كان لكل نظرية أو قضية غاية يتوخاها العالم فإن غاية هذا الفن وهذا العلم : « علم الوقف والابتداء » هي « التفريق بين المعاني » والعصمة من الخطأ ، والبعد عن الخلط بين المعاني المختلفة . فالقارىء إذا وقف على الآية: « فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض [٢] » ، كان المعنى أنها حرمت عليهم هذه المدة . وإذا وقف على « فإنها محرمة عليهم » كان المعنى أنها محرمة عليهم أبداً ، وأنهم يتيهون أربعين سنة)[٣] . وعند نهاية الآية الكريمة : « وإن من

---

(١) إعراب القرآن لوحة ٣ : ب وينظر المرجع نفسه ، لوحة ٢ : ب ، ومواضع أخرى من الكتاب .

(٢) سورة المائدة آية ٢٦

(٣) القطع والائتناف لوحة ٨ : ا

شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم » (سورة الحجر آية ٢١) ، وكذا الآيات التي بعدها إلى « فسجد الملائكة كلهم أجمعون » . ويروى عن « نافع » [١] أن الوقف التام عند الآية ٤٧ من السورة نفسها : « ونزعنا مافي صدورهم من غل » ووافقه على ذلك العباس بن الفضل [٢] (وخولفا في ذلك لأن " إخواناً منصوب على الحال بما قبله) ، أي : « ونزعنا مافي صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين » والتام « وماهم بمخرجين » :أما قوله تعالى : « الغفور الرحيم » فليس بتام لأن بعده « وأن » معطوفة على ماقبلها [٣] .

ولذلك يصح في أول كتابه « القطع والائتناف » - بعد بسط مجموعة من المقدمات — قوله : « فقد صار في معرفة الوقف والائتناف التفريق بين المعاني » .

الوسائل

ولكن ماهي الوسائل التي تجعل القارىء أو المتكلم يصل إلى التفريق بين المعاني ليعصم نفسه من الوقوع في الخطأ ، أولاً ، وليصل إلى المفاضلة بين تلك المعاني ، ثانياً ؟ من أجل هذا كله حدد النحاس الوسائل التي يستعين بها قارىء القرآن أو المتكلم بغير القرآن حتى يحققا الغايتين معاً ويصلا إلى ذينك الهدفين .

فعند حديثه عن الأدوات التي يتسلح بها من يتصدى لموضوع « وقف التام » يؤكد أن مايجب أن يراعيه طالب هذا الفن هو أن يعرف قوانين النحو لأنه إذا لم يعرف ذلك وقع في الخطأ والوهم ولم يستطع أن يفرق بين المعاني

---

(١) هو نافع بن أبي نعيم أحد القراء السبعة توفي سنة ١٦٩ هـ (طبقات القراء ٢/ ٣٣٠)

(٢) مقرىء معروف توفي سنة ١٩٥ هـ وروى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء (طبقات القراء ١/ ٣٥٣) .

(٣) القطع والائتناف لوحة ١٢٤ : ا

وخلط بين العذاب والرحمة . فقارىء الآية الكريمة : « يُدخِل من يشاء في رحمته والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليماً »(١) ، لاينبغي أن يصل « والظالمين » بما قبله ، بل يقف على « في رحمته » لأن الظالمين منقطع مما قبله منصوب بإضمار فعل أي : ويعذب الظالمين أو وأوعد الظالمين عذاباً أليماً(٢) .

فمعرفة النحو حاجة ملحة لمن أراد معرفة القطع والائتناف(٣) « ليصل طالب هذا الفن إلى مجانبة الخطأ ويفرق بين المعاني فلا يخلط بينها » .

ومن أدوات طالب هذا الفن معرفة القراءات وتوجيهها وتعليلها .

غير أنه لايورد القراءات إلا إذا أوضحت « القطع والائتناف » فإذا لم تكن حاجة إلى ذلك فإنه لايوردها . وهذا واضح من تصريح النحاس حين بين سبب إيراد القراءات في سورة الجن فقال : (وإنما ذكرنا كل مابلغنا من القراءات في هذه السورة لأن من أراد أن يعرف القطع والائتناف فيها احتاج إلى معرفة القراءات)(٤) .

ومن هذه الأدوات « اللغة » ومادام القرآن نزل بلغة العرب ، فلا بد لمن أراد أن يفهمه مجرد فهم أن يعرف هذه اللغة معرفة جيدة ويعرف أساليبها فكيف بمن أراد أن يعرف أسرار هذه المعاني ومراميها البعيدة والمفاضلة بينها ؟

ولهذا فإن النحاس أكد هذه الناحية في أول كتابه(٥) ، فقال — وهو يتحدث عن « القطع والائتناف » — : (وهو علم يحتاج إليه جميع المسلمين لأنهم لابد لهم من قراءة القرآن ليقرأوه على اللغة التي أنزله الله جل وعز بها

(١) سورة الإنسان آية : ٣١ (٢) القطع والائتناف لوحة ٨ : ب
(٣) القطع والائتناف لوحة ١٢٣ : ب (٤) القطع والائتناف لوحة ٢٤٣ : ب
(٥) القطع والائتناف لوحة ٢ : ب

وفضلها ومدحها فقال جل ثناؤه : « بلسان عربي مبين »[١] .

ولكن مامفهوم البيان عند النحاس ؟

مفهوم البيان – عنده – « تفصيل الحروف[٢] والوقف على ماقد تم والابتداء بما يحسن الابتداء به ، وتبيين مايتجنب من ذلك » .

وما هي الوسيلة التي نبين بها وقف التمام ، ومالم يتم ؟ وماهو المعيار الذي نرجع إليه في مثل هذه الحالات ؟

أما الوسيلة التي نبين بها ماتم ولم يتم فهي اللغة وقوانين النحو بمعناها الواسع الشامل الذي يقصد به معرفة الأساليب الصحيحة والمناهج القوية التي يجب أن يراعيها قارىء القرآن والناطق بلغته ، وقد بينها في أول كتابه « القطع والائتناف » وضرب لها الأمثلة . وأورد ماروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه جاءه رجلان فتشهد أحدهما فقال : « من يطع الله جل وعز ورسوله فقد رشد ومن يَعْصِهما » . فقال رسول الله ﷺ : « بئس الخطيب أنت . كان ينبغي أن تصل كلامك : « ومن يعصها فقد غوى » أو تقف على « رسوله فقد رشد »[٣].

ثم عقب النحاس على ذلك بقوله : (فإذا كان هذا مكروهاً في الخطب وفي كلام الناس الذي يكلم به بعض الناس بعضاً ، كان في كتاب الله جل وعز أشد كراهة) .

وذكر عن رسول الله الحديث المعروف : « أنزل القرآن على سبعة أحرف . اقرؤوا ولا حرج ولكن لاتختموا ذكر رحمة بذكر عذاب ولا تختموا عذاباً برحمة » .

---

(١) سورة الشعراء آية ١٩٥

(٢) الحرف في مفهوم القراء : ماوقع فيه الاختلاف من كلم القرآن سواء كان حرفا في اصطلاح النحويين أم أسما أم فعلا . (ابن الفاصح : سراج القاريء المبتدي : ١٤) .

(٣) القطع والائتناف لوحة ٦ : ١

واستنتج منه قوله : (إنه ينبغي أن يقطع على الآية التي فيها ذكر الجنة والثواب وتفصل مما بعدها إن كان بعدها ذكر النار والعقاب)[١] .

هذا إذا كانت الآية تتعلق بذكر الجنةوالنار أو بذكر الثواب والعقاب .

ولكن الآيات ليست كلها على هذه الصورة .. فما هي المعايير والأسس التي نركن إليها ، ويمكن الرجوع إليها والاحتكام عندها دائماً ، أي :

(١) ماهي المعايير التي تضبط مواطن وقف التمام ؟

(٢) وماهي المعايير التي نحكم بها مايمتنع من الوقف ؟

الجواب : إنها قوانين النحو . وهذا ماتجده في كتاب « القطع والائتناف » بحيث تكون تلك القوانين المرجع النهائي لبيان تلك الحالات وما يتفرع منها وتصبح هذه القوانين أداة المفاضلة بين المعاني ، وأساس تمييز الخطأ إن كان هناك خطأ في رأي ، وأساس الصواب إن كان الرأي صواباً .

ولكن بأي مفهوم استعمل النحاس النحو في هذا الكتاب ؟

إن المفهوم النحوي الذي ساد في هذا الكتاب هو « قانون السياق الجملي » المرتبط بالمعني العام حيث يكون « أداة معيارية اللغة » وأساس المفاضلة بين أسلوب يصح الوقف عنده أو يجب وأسلوب لايصحالوقف عنده لأن الوقف عنده يعارض قانوناً من تلك القوانين المتصلة بعيارية اللغة . وهذه القوانين هي التي استندتاليها« نظرية النظم النحوي عند النحاس » .

المعيارية النحوية :

قدم النحاس المعايير النحوية في أول كتابه « القطع والائتناف » حتى وصل إلى صورة الأنعام . فقال : (قد ذكر ماتقدم من السور على تقصٍّ وشرح

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٦ : ا

فكان في ذلك دليل على كثير مما يرد من القطع التام والحسن والكافي والصالح ، فقس على ذلك ، فإني لو أتيت بذلك إلى آخر الكتاب ، على تقصٍ ، طال . فرأيت ألا أذكر الواضح المفهوم المعنى وأذكر المشكل وما لايفهم إلا بفكر ونظر ..) [١] .

وفيما يأتي أمثلة تتضمن المعيارية النحوية :

(ا) قوله تعالى : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتُموا الحق وأنتم تعلمون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » [٢] .

وعند هاتين الآيتين الكريمتين أورد النحاس ما يأتي : (قال يعقوب [٣] : ومن التام الكافي : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » . قال ابو جعفر [٤] : وهذا غلط بيّن ، ليس بتام ولا بكاف لأن « تكتموا » لايخلوا من إحدى جهتين ، إما أن يكون معطوفاً ولا يتم الوقف على ماقبله ، وإما أن يكون جواباً فيكون القطع على ماقبله أبعد . والجواب كما قال الشاعر :

لاتنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

فلو وقف على « لاتنه عن خلق » افسد المعنى ، وكذا قول العرب « لاتأكل السمك وتشربَ اللبن » ، لو وقف على « لاتأكل السمك » لفسد المعنى . على أن « يعقوب » لما ذكر ، « لاتلبسوا الحق بالباطل تام كاف ، قال : ثم يجعل الكتمان جواباً ، فجاء بأبعد الوجهين فالوقف الكافي : « وأنتم تعلمون » وليس بتام ، لأن مابعده معطوف عليه . وكذا « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » والتام : « واركعوا مع الراكعين ») [٥] .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٧٩ : ب (٢) سورة البقرة ، الآيتان : ٤٢ ، ٤٣
(٣) هو يعقوب الحضرمي أحد القراء العشرة توفي سنة ٢٠٥ هـ
(٤) أبو جعفر هو النحاس .
(٥) القطع والائتناف لوحة ٢١ : ب - ٢٢ أ

(ب) قوله تعالى : « قال إنه يقول : إنها بَقَرةٌ لافارضٌ ولا بِكْرٌ عَوانٌ بين ذلك . فافعلوا ماتؤمرون »[١] .

(قال نافع : لافارض ولا بكر ، تام . وكذا قال الفراء .

قال أبو جعفر: وفي الحديث : أن سعيد بن جبير[٢] كان يقف (عند)[٣] « ولا بكر » وكذا عن مجاهد[٤] وعيسى بن عمر[٥] ويعقوب وخالفهم الأخفش فقال : التمام عوانٌ بين ذلك . قال : أراد لاصغيرة ولا كبيرة ، ولكنها عوان بين ذلك ، وأنشد :

جلوسٌ لدى الأبواب طلاب نائل عوانٍ من الحاجات أو حاجة بكرا

قال أبو جعفر : مع مخالفة الأخفش هذه الجماعة ، قد جاء بوجه بعيد ، ومن النحويين من يقول : أخطأ وجاء بما لايجوز ألبتة ، وذلك أنه جعل « عواناً » من نعت « بقرة » وذلك بمنزلة المضمر ، فإذا كان التقدير أنها بقرة عوان بين ذلك ، أي : بين الفارض والبكر فقد قدم المضمر على المظهر)[٦].

(ج) قوله تعالى : « إن الله لايستحي أن يضرب مثلًا مابعوضةً فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا

---

(١) سورة البقرة آية ٦٨

(٢) سعيد بن جبير هو الإمام المقرىء المفسر قرأ على عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ (طبقات القراء ٣٠٦/١)

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) مجاهد بن جبر : مقرىء ومفسر قرأ على ابن عباس وقرأ عليه عبد الله بن كثير وعبد الرحمن بن محيص وأبو عمرو بن العلاء ، وتوفي سنة ١٠٤ هـ (طبقات القراء ٤٢/٢)

(٥) عيسى بن عمر الثقفي : النحوي المشهور وهو مقرىء أيضاً قرأ على الحسن البصري ، وتوفي سنة ١٤٩ هـ (طبقات القراء ٦١٣/١ وتراجم النحاة)

(٦) القطع والائتناف لوحة ٢٢ : ب

فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلًا يُضِلُّ به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين »[١] .

(قال أحمد بن موسى : مثلاً : تمام . وقال أحمد بن جعفر[٢] لو وقف واقف على « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلًا ما » ، جاز وكان حسناً . وقال الأخفش[٣] : إن شئت وقفت على : « مثلًا ما بعوضة » قال أبو حاتم[٤] : والتمام « فما فوقها » . قال أبو جعفر : هذا أصح الأقوال . وأمّا أن تقف على « مثلًا » فخطأ ، لأن « ما » إن كانت زائدة للتوكيد فالابتداء بها ، وإن كانت بمعنى الذي ورفعت « بعوضة » فهي بدل من « مثل » وكذا إن كانت نكرة. ومَثَل ومِثْل واحد . والمعنى - والله أعلم - إن الله لا يخشى أن يبين شبها . ومَثَل ومِثْل ، مِثْلُ ، شَبَه وشِبْه ، كما قال[٥] :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلًا   وما مواعيده إلا الأباطيل

والقطع على « ما » حسن . ولكن الائتناف بما بعده قبيح لأنه منصوب مردود على ما قبله وبمعنى : ما بين البعوضة . والوقف على « مابعوضة » ليس بتمام لأنه متعلق بما بعده)[٦] .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٦

(٢) أحمد بن جعفر هو أبو علي الدينوري ختن ثعلب ، نحوي معدود في المصريين توفي سنة ٢٨٩ هـ (الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ٢٣٤) ومعجم الأدباء ٢/٢٣٩ وإنباه الرواة ١/٣٣ والبغية ١/٣٩٧)

(٣) أي : الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المتوفي ٢١٥ هـ .

(٤) هو أبو حاتم السجستاني اللغوي المعروف وهو مقرىء أيضاً له اختيار في القراءة وتصنيف (طبقات القراء ١/٣٢٠ وتراجم النحاة)

(٥) البيت لكعب بن زهير من قصيدته : « البردة » .

(٦) القطع والائتناف لوحة ١٨ : أ - ب

(قال أبو حاتم « فأما الذين آمنوا » ، ليس بقطع كاف لأنه لم يأت الخبر . « فيعلمون أنه الحق من ربهم » قطع حسن لأن « أما » لاتحتاج إلى تكرير ، وإنما يأتي بعدها ماهو معطوف عليها . « وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا .. قال أبو حاتم : هذا الوقف [1] . وأما الفراء فليس هذا عنده تاماً ، والتمام ـ عنده ـ ويهدي به كثيراً ») .

قال أبو جعفر : (الأوْلى في هذه الآية ماقاله أبو حاتم ، والدليل على ذلك قوله جل وعز : « وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا » . ثم قال الله جل وعز : « كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ») [2] .

فقد قاس آية البقرة على آية المدثر لأن السياقين متشابهان كل التشابه وما دام القطع التام في آية المدثر عند قوله تعالى « مثلاً » من قوله : « وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون : ماذا أراد الله بهذا مثلاً » ، وعلة الوقف أنها نهاية حكاية قولهم وبعده : « كذلك يضل الله .. الآية » ، وهو منقطع مما قبله انقطاعاً تاماً لأنه ليس من حكايتهم بل هو كلام مستأنف ، فهذا يبين أن الوقف عند قوله تعالى : « مثلاً » تام .

حالات يمتنع الوقف عندها ولا يحسن

أما في هذه الحالات فتظهر قوانين علم النحو بأجلى مظاهرها كما تظهر المعيارية النحوية لتطبيقات « نظرية النظم النحوي » عند النحاس . وأهم الحالات التي دارت في كتاب « القطع والائتناف » ومثلت هذه النظرية هي :

---

(١) أي : الوقف التام بدليل مابعده

(٢) سورة المدثر آية : ٣١

(١) حالة المبتدأ والخبر :

سورة الفاتحة آية : ٢ : « الحمد لله رب العالمين »

قال النحاس : (لايقف على الحمد لأنه مبتدأ لم يأت خبره) [(١)] .

(٢) حالة النعت والمنعوت :

سورة الحجر الآيتان : ٩٥ ـ ٩٦ : « إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون » .

قال النحاس : (زعم العباس بن الفضل أن الوقف الكافي : « إنا كفيناك المستهزئين » . وعقب النحاس عليه بقوله : (وهذا غلط لأن « الذين » نعت للمستهزئين) [(٢)] .

(٣) حالة الموصول والصلة :

سورة البقرة آية : ٢٧ : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » .

قال النحاس : (هذا ليس بقطع كاف لأن مابعده معطوف على مافي الصلة فهو داخل في الصلة ، وما بعده هو قوله تعالى : « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ») [(٣)] .

(٤) الحال ومتعلقاته :

ا ــ سورة إبراهيم الآيتان : ٤٩ ـ ٥٠ « وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار » .

قال النحاس : (« مقرنين في الأصفاد » ، ليس بتام لأن « سرابيلهم من قطران » في موضع الحال . و « تغشى » معطوف عليه . والتمام : « إن الله سريع الحساب ») [(٤)] .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ١١ : ب

(٢) نفسه ، لوحة ١٢٤ : ا

(٣) نفسه ،لوحة ١١ : ب

(٤) نفسه ،لوحة ١٢٣ : ا

ب سورة الحجر الآية : ٤٧ : « ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » .

قال النحاس : (« من غل » تمام عند « نافع » وتابعه على ذلك العباس ابن الفضل ، وخولفا في ذلك لأن « إخواناً » منصوب على الحال مما قبله) [١]

(٥) المستثنى والمستثنى منه :

ا ـ سورة المؤمنين .

قال النحاس : (يجوز الوقف على كل آية ـ أي في سورة المؤمنين ـ إلا على « والذين هم لفروجهم حافظون » (الآية : ٥) لأن بعده استثناء هو قوله تعالى : « إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين » (الآية ٦) [٢] .

ب ـ سورة النساء آية : ٦٦ : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم مافعلوه إلا قليل منهم .. » .

وهنا أورد النحاس رأى الإمام يعقوب الحضرمي في الوقف الكافي في هذه الآية . فهو يرى أن الوقف الكافي هو قوله جل وعز « مافعلوه » .

وعقب عليه النحاس بقوله : (هذا تخليط ،لايجوز الوقف على « مافعلوه » كما لايجوز الوقف على قوله جل وعز : « فلبث فيهم ألف سنة ») [٣] .

والسبب في هذا الامتناع أن بعد قوله تعالى : « فلبث فيهم ألف سنة » استثناء هو قوله تعالى : « إلا خمسين عاماً » (سورة العنكبوت الآية : ١٤) . وكذا لايجوز الوقف على « مافعلوه » لأن بعده استثناء هو قوله جل وعز « إلا قليل منهم » . وهذا ـ لعمري ـ قياس بديع .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ١٢٤ : ا

(٢) نفسه لوحة ١٥٢ : ا ـ ب

(٣) نفسه لوحة ٦٢ : ا

(٦) المعطوف والمعطوف عليه :

أ – سورة البقرة آية : ٤٢ : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » .

قال النحاس : (« وأنتم تعلمون » وقف كاف ، وليس بتمام لأن مابعده معطوف عليه ، وكذا : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » والقطع والتمام « واركعوا مع الراكعين »)[١] .

ب – سورة الذاريات الآيات : ١ – ٦

« والذاريات ذروا . فالحاملات وقرا . فالجاريات يسرا . فالمقسمات أمرا . إنما توعدون لصادق . وإن الدين لواقع »

قال النحاس : (والذاريات » : خفض بواو القسم . وما بعده معطوف عليه ، فجواب القسم : « إنما توعدون لصادق » . ثم عطف على الجواب : « وإن الدين لواقع » فهاهنا التمام)[٢] .

حالات الاتصال السياقي

ووضح النحاس أيضاً مجموعة من حالات الاتصال السياقي والجملي التي يقف عندها القارىء لكمال اتصالها ، ويتجنب الوقف على ماقبلها سواء أكان كمال الاتصال بالتوكيد أو بالبدل أو بالعطف ، أو بسياق آخر يتم به المعنى كلياً ..

فعندما أورد قوله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله »[٣] .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٢٢ : أ (٢) نفسه لوحة ٤٤ : ب

(٣) البقرة : ٢٨٥

أورد بعدها قول يعقوب : (ومن الوقف التام) « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه » قال : « والمؤمنون » (رفع بالابتداء لابفعلهم) ثم قول الأخفش سعيد : (وأما « آمن الرسول » فالتمام فيه « والمؤمنون ») . ثم عقب على الرأيين بقوله : (هذا القول الأخير ـ أولى من الأول لأن واو العطف توجب أن يكون الثاني داخلاً فيما دخل فيه الأول ، إلا أن تقع حجة بغير ذلك . وأيضاً فإن بعده : « كُلٌّ آمن بالله » ولم يقل كلهم فيكون توكيداً)(١).

فالوقف التام عنده « والمؤمنون » و « كل آمن بالله » وهو مبتدأ وخبر .

وفي الحديث عن الأئمة(٢) في سورة الفاتحة ، جمع كثيراً من هذه الحالات . فقال : (القطع على اسم الله جائز إلا أن الائتناف بما بعده لاينبغي لأنه نعت . وكذا الوقف على « الرحمن » ، والتمام « بسم الله الرحمن الرحيم » . ولا يقف على « الحمد » لأنه مبتدأ لم يأت خبره . والوقف على اسم الله جائز إلا أنه لاينبغي أن يفعل ذلك لأن قوله : « رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين » نعت ، وهذا التمام . ولا يقف على « إياك » لأنه موضع نصب بنعبد ، ولا على « نعبد » لأن مابعده معطوف عليه ، والتمام « نستعين » . ولا يقف على « اهدنا » لأن « الصراط » منصوب به . ولا على « الصراط » لأن « المستقيم » نعت له . ولا على « المستقيم » لأن بعده بدل . ولا على « الذين » لأن مابعده من صلته ، ولا على « عليهم » لأن « غير » بدل من « الذين » أو نعت .. والتمام « ولا الضالين »(٣) .

وكل هذه الحالات ـ وأمثالها ـ توضح كل الإيضاح أن اهتمام النحاس في كتاب « القطع والائتناف » منصب على السياق الجملي المرتبط بالنظم النحوي ارتباطاً كلياً ، بعيداً عن القضايا الشكلية والاحتمالات الكثيرة التي

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٤٤ : ب (٢) الأئمة : جمع تمام أي وقف التمام
(٣) نفسه لوحة ١١ : ب ـ ١٢ : ا

تجدها في « نظرية الاحتمالات النحوية » عنده حيث تتساوى هذه الاحتمالات في الصحة . أما في هذا الكتاب فهناك حالة واحدة يصح معها « وقف التمام » وليس هناك غيرها ولا مايعادلها . ولهذا ظهرت عنده قضايا جديدة مرتبطة بهذا المنهج الجديد ، فهو يرفض القراءة التي لاتتفق مع قراءة الجمهور حيث تناسب الأخيرة وقف التمام ، حتى لو كانت تلك القراءة المرفوضة لأحد الأئمة المشهورين كالكسائي [١] وهو يرفض الوجه الضعيف في العربية أو الذي لايتفق عليه أكثر العلماء مصرحاً أن كتاب الله « إنما يحمل على الأشهر » [٢] لا على الأضعف من لغة العرب . وهذه اللهجة لم نألفها حتى في كتابه « إعراب القرآن » ولا في « شرح القصائد التسع » ففيهما تكثر الاحتمالات وتتعدد الأوجه ويكثر الاهتمام بالاختلافات النحوية الجزئية .

فهو في كتابه « القطع والائتناف » قد أعطى صورة واضحة « لنظرية مبكرة في النظم » أساسها « علم النحو » ، وغايتها المفاضلة بين الأساليب والمعاني النحوية لتصل في النهاية إلى حالة واحدة هي أفضل الحالات التي يصح معها النظم الكلي الذي تأتلف أجزاؤه وترتبط معانيه ارتباطاً تاماً فترفض معه الاحتمالات لأنها لاتحقق هذا الارتباط الكلّي الذي سماه « القطع التام » .. وكل الحالات الأخرى لاتحقق مثل هذا « القطع » وإنما تحقق لوناً آخر أو حالة أخرى هي حالة القطع الكافي أو الصالح أو الحسن . وهـذا معناه أنه كلما اختلف بناء الجملة اختلفت حالة الوقف ، ومنها حالة « امتناع الوقف » . كل ذلك وفق القوانين النحوية التي تتضمنها لغة القرآن .

وقبل أن انتقل إلى القسم الثالث والأخير لابد أن أشير إلى أن النحاس مسبوق ببيان بعض جزئيات النظرية ومسبوق بقسم من التعليلات ، وفضله

(١) القطع والائتناف لوحة ٢٤٧ : ب (٢) نفسه ،لوحة ٢٢٨ : ا

ينحصر في إضافاته الرائدة وفي هذا التكوين الكلي لنظرية النظم بكل أبعادها من حيث المنهج العام ، والاسلوب ، والجزئيات المرتبطة بمنهجه ، وهذا هو أهم شيء ولهذا ناقش كثيراً من الجزئيات والتعليلات التي نقلها وردّ كثيراً منها لأنها لاتخضع لمنهجه ولا تتصل بهيكله العام اتصالاً كلياً .

القسم الثالث : هل أثرت نظرية النحاس في نظرية الجرجاني ؟

والسؤال الذي يرد هنا : هل أثرت « نظرية النظم النحوي » عند النحاس (المتوفى ٣٣٨ هـ) في (نظرية النظم) عند عبد القاهر الجرجاني (المتوفى ٤٧١ هـ) وهو مسبوق بالنحاس من حيث الزمن .

إن الموازنة بين النظريتين من حيث الوسائل والغايات والتفاصيل هي التي تقرر الجواب .

(١) من حيث الوسائل :

فقد جعل عبد القاهر قوانين النحو وأصوله هي أساس المفاضلة بين المعاني وأساس الخطأ والصواب ، ومحصول ذلك « أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولا ، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر ، أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول أو توكيداً له أو بدلاً منه أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفة أو حالاً أو تمييزاً »[1] .

وهذه الوسيلة .. هي وسيلة النحاس للوصول إلى أساس المفاضلة بين المعاني . بل من أول الوسائل ، والحالات التي بسطناها والنصوص التي نقلناها من كتاب النحاس كافية للتدليل على هذا .

---

(١) دلائل الاعجاز : ٤٤

(٢) من حيث الغاية :

أما من حيث الغاية فان «عبد القاهر الجرجاني جعل الغاية من نظريته «المفاضلة بين المعاني التي ينتظمها علم النحو»[١] .

وتلك غاية النحاس من نظرية النظم النحوي ، غير أن الأول استعملها في الدلالة على إعجاز القرآن واستعملها الثاني في ضبط قراءة القرآن حتى يُقرأ قراءة متفقة مع أفضل أساليب اللغة التي أنزل بها .

(٣) من حيث التفاصيل :

أما نقاط الالتقاء من حيث التفاصيل فهي :

أولاً : إن عبد القاهر جعل أساس نظريته أن تراعى قوانين النحو حيث تعمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولا .. أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة الأول أو تأكيداً له أو بدلاً منه .

وهذه القوانين النحوية والحالات الاسلوبية هي أساس المعيارية عند النحاس .. وعليها مدار كتابه : «القطع والائتناف» ..

ثانياً : من الحالات التي جعلها عبد القاهر أساساً للمعيارية النحوية هي أن تجيء باسم بعد تمام كلامك فتجعله صفة أو حالاً أو بدلاً .. والاهتمام بالأئمة وحالة الوقف التام وصلة الاسم - في حالات كونه صفة أو حالا أو بدلاً - بهذا الوقف التام هو من أهم القضايا التي اهتم بها النحاس في كتابه .

ثالثاً : وليس هذا فحسب ، بل إن عبدالقاهر استعمل عبارة «الاستئناف»

---

(١) دلائل الإعجاز : ٣٥

في كتابه « دلائل الاعجاز » أكثر من مرة ، في موضوع واحد هو : « الفصل والوصل » وهي عبارة النحاس ، وجلّ السابقين له استعملوا عبارة « الوقف والابتداء » في هذا الموضوع أما هو فقد استعمل « القطع والائتناف » فلو لم يتأثر عبد القاهر بالنحاس لاستعمل عبارة البلاغيين « الفصل والوصل » وهي العبارة التي عقد من أجلها الباب .

رابعاً : وليس هذا فحسب ، بل إن عبد القاهر وقف عند بعض الآيات في باب « الفصل والوصل » ، وهي من موضوعات « القطع والائتناف » وكان يستطيع أن يقف على مئات الآيات أمثالها ، وهي قوله تعالى : « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون » (سورة البقرة آية : ٦) . بل كان وقوفه عند الجزء الذي وقف عنده النحاس تماماً . فقد وقف عند قوله تعالى : « لايؤمنون » مبيناً أنه توكيد لقوله تعالى : أأنذرتهم أم لم تنذرهم » ، وأن معناها يتصل بالأول كما ترتبط الصفة بالموصوف والتأكيد بالمؤكد (١) .

وبناء على فهمنا لنظرية النظم عند الجرجاني نرى أنه يريد أن يقول : إن تمام الكلام هو « لايؤمنون » وإنه يتصل بما قبله « أأنذرتهم أم لم تنذرهم » تمام الاتصال ولذلك فصل بينه وبين مابعده تمام الانفصال فلا يعطف عليه . وتلك حالة من حالات ترك العطف التي بسط فيها عبد القاهر القول في دلائل الإعجاز (٢) .

ومعنى هذا أن عبد القاهر جعل تمام الكلام « لايؤمنون » وهذا ماعبر عنه النحاس بكل وضوح حين قال : (والأولى أن يكون القطع « لايؤمنون » ويكون كافياً) (٣) .

---

(١) نفسه : ١٧٤ ، ١٧٥ . (٢) نفسه : ١٨٧

(٣) القطع والائتناف ، لوحة ١٤ ; ا

فالوسيلة واحدة والغاية واحدة والملامح والقسمات التفصيلية متشابهة في موضوع واحد ..

أليست هذه الدلائل على تأثير نظرية النظم عند النحاس في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني دلائل كافية ؟

ولله الحمد في الأولى والآخرة . وهو حسبي ونعم الوكيل .

كلية الآداب
الجامعة المستنصرية ـ بغداد **أحمد نصيف الجنابي**

المراجع المساعدة

— إعراب القرآن . لأبي جعفر النحاس (مخطوط مكتبة فاتح باسطنبول (رقم ٨٨) .

— بغية الوعاة : للسيوطي، تحقيق أبي الفضل إبراهيم ط . القاهرة ١٩٦٤ م

— تاريخ علماء الأندلس : تأليف ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) ط . القاهرة ١٩٦٦ .

— حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، للسيوطي ، تحقيق أبي الفضل إبراهيم ، ط . القاهرة ١٩٦٧ م .

— دلائل الإعجاز : تأليف عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) مطبعة المنار ١٣٣١ هـ .

– رسالة « إعراب قول سيبويه في أول الكتاب : هذا باب علم ما الكلم من العربية » (مخطوطة ضمن مجموع رقمه ٢٧٤٠ ، بمكتبة شهيد علي باشا بتركيا) .

– شرح القصائد التسع المشهورات ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق أحمد خطاب ، ط . بغداد ١٩٧٣ م .

– طبقات القراء (أو غاية النهاية في طبقات القراء) . لابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ، ط . مصر ١٣٥١ هـ .

– عبد القاهر الجرجاني . الدكتور أحمد أحمد بدوي (سلسلة أعلام العرب)

– عبد القاهر الجرجاني . للدكتور أحمد مطلوب .

– فهرسة ابن خير الاشبيلي (ت ٥٧٥ هـ) . مطبعة قومش بسرقسطة ١٨٩٣ م .

– في الميزان الجديد . الدكتور محمد مندور .

– القطع والائتناف . لأبي جعفر النحاس . مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٥٧ – ٥٨ قراءات .

– لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) تحقيق الشيخ عامر عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين ، ط . القاهرة ١٩٧٢ م (الجزء الأول فقط) .

– اللغة العربية ، معناها ومبناها . الدكتور تمام حسان ط . القاهرة ١٩٧٣ م

– المكتفى في الوقف والابتدا ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات رقم ٩١ قراءات .

– الناسخ والمنسوخ في القرآن . للنحاس ، ط . مصر ١٣٢٣ هـ .

التذكرة لأبي حيان الأندلسي

الدكتور عفيف عبد الرحمن

أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي ، ينتسب إلى قبيلة نفزة ، القبيلة البربرية[1] . ولد بمدينة مَطَخْشارَش ، وهي مدينة من حضرة غرناطة ، في أواخر شوال سنة ستمائة وأربع وخمسين. [2] وقد ذكر الصفدي في كتابه « الوافي بالوفيات » مانصه :« قاله وكتبه أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ،ومولدي بغرناطة في أخريات شوال سنة أربع وخمسين وست مائة » [3] إشارة إلى إنتهاء ما أجاب به أبو حيان الصفديَّ حينما كتب إليه يستدعي إجازته بما رواه [4] .

وأبو حيان عالم غني عن التعريف ، تفتح عقله فتطلع إلى التزود بالمعرفة والثقافة ، ففي بلده درس على شيوخها ، وأخذ عن أساتذتها ، ثم طوف في

(١) بغية الوعاة للسيوطي ١/٢٨٠ ، نفح الطيب للمقّري بتحقيق إحسان عباس ٢/٥٣٥ وما بعدها .

(٢) نكت الهميان ٢٨٠ وشذرات الذهب ٦/١٤٥

(٣) الوافي بالوفيات ٥/٢٨١

(٤) انظر نص كتاب الصفدي وإجابة أبي حيان في الوافي ٥/٢٧٦ – ٢٨١ ، نفح الطيب ٢/٥٤٨ – ٥٥٣

بلاد الأندلس كثيراً يبحث عن المعرفة ، ولم يكفه ذلك بل رحل إلى الشرق باحثاً عن الشيوخ ليتلقى عنهم . وقد خدم العلم ثمانين عاماً . ولعل من المفيد لنا أن ندع أبا حيان نفسه يحدثنا عن نفسه وعلمه وذلك في معرض رده على ما كتبه الصفدي إليه استدعاء « ليجيزه مارواه من المسانيد والمصنفات والسنن والمجاميع الحديثية والتصانيف الأدبية ، نظماً ونثراً ، إلى غير ذلك من أصناف العلوم على اختلاف أوضاعها ، وتباين أجناسها وأنواعها ، مما تلقاه ببلاد الأندلس وافريقية والاسكندرية والديار المصرية والبلاد الحجازية وغيرها من البلدان ، بقراءة أو سماع أو مناولة أو إجازة خاصة أو عامة، كيفما تأدى ذلك إليه ، وإجازة ماله من التصانيف في تفسير القرآن العظيم والعلوم الحديثية والأدبية وغيرها ، وماله من نظم ونثر إجازة خاصة ، وأن يثبت بخطه تصانيفه إلى حين ذلك التاريخ ، وأن يجيزه إجازة عامة لما يتجدد له من بعد ذلك على رأي من يراه ويجوزه »(١) .

يقول أبو حيان مجيباً طلب الصفدي « أعزك الله ، ظننت بإنسان جميلاً فغاليت ، وأبديت من الإحسان جزيلاً وما باليت ، ووصفت من هو القتام يظنه الناس سماء ، والسراب يحسبه الظمآن ماء ... وقد أجزت لك — أيدك الله تعالى — جميع ما رويته عن أشياخي بجزيرة الأندلس وبلاد إفريقية وديار مصر والحجاز وغير ذلك ... فمن مروياتي الكتاب العزيز قرأته بقراءة السبعة على جماعة من أعلام الشيخ المسند المعمر فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي بن هبة الله المصري ابن المليحي ، آخر من روى القرآن بالتلاوة على أبي الجود ، والكتب الستة والموطأ ومسند

(١) نفح الطيب ٢/٥٤٨ - ٥٤٩

عَبْد بن حُمَيد ومسند الدارمي ومسند الشافعي ومسند الطيالسي والمعجم الكبير للطبراني والمعجم الصغير له وسنن الدارقطني وغير ذلك .

وأما الأجزاء فكثيرة جداً ، ومن كتب النحو والآداب فأروي بالقراءة كتاب سيبويه والإيضاح والتكملة والمفصل وجمل الزجاجي وغير ذلك ، والأشعار الستة والحماسة وديوان حبيب والمتنبي والمعري » .

« وأما شيوخي الذين رويت عنهم بالسماع أو القراءة فهم كثير ، وأذكر الآن جملة من عواليهم : [١] فمنهم القاضي أبو علي الحسن بن عبد العزيز بن أبي الأحوص القرشي ... » ويذكر منهم ثلاثة وثلاثين شيخاً [٢] .
ومن كتبت عنه من مشاهير الأدباء أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن الفرج المالقي ابن المرحل ، وأبو الحسن حازم الأنصاري القرطاجني ...» ويعدد اثني عشر منهم [٣] . « ومن أخذت عنه من النحاة أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخشني الأُبَّدي ، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي، ابن الضائع ، وأبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي ، وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهري اللَّبْلي ، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن نصر الحلبي ، ابن النحاس [٤] » . ثم يذكر لنا من لقيهم من الظاهرية فيقول ، ومن لقيته من الظاهرية أبو العباس أحمد بن علي بن خالص الأنصاري الإشبيلي الزاهد ، وأبو الفضل محمد بن محمد بن سعدون الفهري الشنتمري » [٥] .

---

(١) وردت هذه العبارة في النفح « واذكر الآن منهم جماعة » ونص الصفدي أقرب إلى الصواب .

(٢) نفح الطيب ٢/٥٥٠ - ٥٥١ ، الوافي بالوفيات ٥/٥٤٩ - ٥٥٠

(٣) نفح الطيب ٢/٥٥١ (٤) المصدر السابق

(٥) نفح الطيب ٢/٥٥٢

ويقدر أبو حيان عدد الذين سمع منهم بنحو من أربعمائة شخص وخمسين وأما الذين أجازوه فعالم كثير جداً من أهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار إفريقية وديار مصر والحجاز والعراق والشام[1].

وهكذا فإن أبا حيان كان واسع الاطلاع غزير العلم لكثرة مصادر علمه وتنوعها ، وقد وصفه الكمال جعفر فيما نقل عنه صاحب الدرر الكامنة بأنه « شيخ الدهر وعالمه ، ومحيي الفن الأدبي بعدما درست معالمه ، ومجري اللسان العربي فلا يقارن أحد فيه ولا يقاومه »[2]. ووصفه تلميذه الصفدي مشيراً إلى ثقافته ومدى تحصيله للعلم والمعرفة بقوله :

« ... ولم أر في أشياخي أكثر اشتغالاً منه لأني لم أره إلا يسمع أو يشتغل أو يكتب ولم أره على غير ذلك ، وله إقبال على الطلبة الأذكياء وعنده تعظيم لهم ... وأما النحو والتصريف فهو إمام الدنيا فيهما لم يذكر معه من أقطار الأرض غيره في العربية ، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم ... »[3].

ولم يكن أبو حيان مبرزاً في العربية وآدابها فحسب بل كان ملماً بلغات أخرى مما ساعده على الاتساع في المعرفة ، فقد كان يجيد اللغتين الفارسية والتركية ، كما أتقن الحبشية ، وليس أدل على إتقانه هذه اللغات من أنه ألف كتاباً في نحو اللغة الفارسية « مُنطق الخرس في لسان الفرس »[4] وآخر في نحو اللغة التركية « كتاب الإدراك للسان الأتراك » وقد طبع هذا

---

(١) نفح الطيب ٢/٥٥٢

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ٤/٣٠٦ طبعة الهند

(٣) الوافي بالوفيات ٥/٢٦٧ ، بغية الوعاة ١/٢٨١

(٤) نكت الهميان للصفدي ٢٨٤

الكتاب بالقسطنطينية عام ١٣٠٩ هـ . أما رسالته في الحبشية فلم يتمها « نور الغبش في لسان الحبش »[١] .

أخلاقـــه :

لخّص المقّريّ في نفح الطيب ماوصف به الرعيني أبا حيان فقال : « وهو شيخ فاضل مارأيت مثله ، كثير الضحك والانبساط ، بعيد عن الانقباض ، جيد الكلام ، حسن اللقاء ، جميل المؤانسة ، فصيح الكلام ، طلق اللسان ، ذو لمّة وافرة ، وهمّة فاخرة ، له وجه مستدير ، وقامته معتدلة التقدير ، ليس بالطويل ولا بالقصير »[٢] . ويصفه لسان الدين بن الخطيب بأنه « .. كان شديد البسط مهيباً جهورياً ، مع الدعابة والغزل ، وطرح التسمت ، شاعراً مكثراً ، مليح الحديث ، لايملّ وإن أطال ، وأسن جداً فانتفع به »[٣] . أما الأدفوي فقد وصفه بأنه كان يفخر بالبخل كما يفخر الناس بالكرم ، ثبتاً صدوقاً حجة سالم العقيدة من البدع الفلسفية والاعتزال والتجسيم ... كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن ، وكان شيخاً طوالا حسن النغمة ، مليح الوجه ، ظاهر اللون مشرباً بحمرة ، منور الشيبة ، كبير اللحية ، مسترسل الشعر ... »[٤] .

وهكذا فإننا نجد أن الرجل كان مكتمل الخُلق والخلقة لايعيبه شيء إلا ماذكر عن بخله وحبّه للمال ، فإذا عرفنا تطواف الرجل وهربه إلى مصر والمشرق لأسباب سنذكرها ، نعلم خوفه من غدر الزمان به ، وقد روى كمال الدين الأدفوي فقال : قال لي أبو حيان : « إذا قرأتُ أشعار العشق أميل إليها ، وكذلك أشعار الشجاعة تستميلني ، وغيرهما ، إلا أشعار الكرم ماتؤثر فيّ »[٥] .

---

(١) الوافي بالوفيات ٥/٢٨١
(٢) نفح الطيب ٢/٥٦٥
(٣) المصدر السابق ٢/٥٨٠
(٤) بغية الوعاة ١/٢٨٢
(٥) نفح الطيب ٢/٥٤٣

ودافع الصفدي عنه فقال « والذي أراه فيه أنه طال عمره وتغرب ، وورد البلاد ، ولا شيء معه ، وتعب حتى حصل المناصب تعباً كثيراً ، وكان قد جرب الناس ، وحلب أشطُر الدهر ومرت به حوادث فاستعمل الحزم .. » [١] .

وقد كان أبو حيان يقول « يكفي الفقير في مصر أربعة أفلس يشتري له بائتة بفلسين وبفلس زبيبا ، وبفلس كوز ماء ، ويشتري ثاني يوم ليمونا بفلس ليأكل به الخبز » [١] .

ولعلنا نجد في هذه الأبيات لأبي حيان مايبرر فعلته وسلوكه ويبين ما كان يقاسيه من الناس إذ يقول :

حلبتُ الدهر أشطـره زمانا	وأغناني العيـان عن السؤال
فما أبصرت من خلٍّ وفيٍّ	ولا ألفيت مشكور الخـلال
ذئاب في ثياب قـد تبدّت	لرائيهـا بأشـكال الرجـال
ومن يك يدعي منهم صلاحـا	فزنديق تغلغـل في الضـلال
ترى الجهـال تتبعه وترضى	مشاركةً بأهـــل أو بمـال
فينهب ما لهم ويصيب منهم	نسـاءهم بمقبـوح الفعـال [٢]

ويوصي أبو حيان أهله حينما قدم إلى مصر فيقول « ينبغي للعاقل أن يعامل كل أحد في الظاهر معاملة الصديق وفي الباطن معاملة العدو في التحفظ منه والتحرز ، وليكن في التحرز من صديقه أشد في التحرز من عدوه ، وليعتقد أن إحسان شخص إلى آخر وتودده إليه إنما هو لغرض قام له فيه يتعلق به ، يبعثه على ذلك ، لا لذات ذلك الشخص ، وينبغي أن يترك

(١) النفح ٢/٥٤٣

(٢) المصدر نفسه ٢/٥٦٧

الإنسان الكلام في ستة أشياء : في ذات الله تعالى وما يتعلق بصفاته ، وما يتعلق بأحوال أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وفي التعرض لما جرى بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وفي التعرض لأئمة المذاهب رحمهم الله تعالى ورضي عنهم ، وفي الطعن على صالحي الأئمة نفع الله بهم ، وعلى أرباب المناصب والرتب من أهل زمانه ، وألا يقصد أذى أحد من خلق الله سبحانه وتعالى إلا على حساب الدفع عن نفسه ، وأن يعذر الناس في مباحثهم وإدراكاتهم فإن ذلك على حسب عقولهم ، وأن يضبط نفسه عن المراء والاستزراء والاستخفاف بأبناء زمانه ، وألا يبحث إلا مع من اجتمعت فيه شرائط الديانة والفهم والمزاولة لما يبحث ، وألا يغضب على من لا يفهم مراده ومن لم يدرك مايدركه ، وأن يلتمس مخرجا لمن ظاهر كلامه الفساد ... الخ »[1] وهي وصية طويلة جامعة نافعة نقلها المقري من خط الشيخ العلامة أبي الطيّب ابن علوان التونسي المالكي الشهير بالمصري ، وهو ممن أخذ عن تلامذة الشيخ أبي حيان .

وتبقى بعد ذلك قضية تتصل بخلق أبي حيان وهي صلته ببعض شيوخه الذين أخذ عنهم . فقد ذكرت المصادر التي ترجمت له أنه انحرف عن ابن تيمية بعد أن كان يحضر مجلسه ، وذلك أنه كان يحضر مجلسه ذات مرة والمجلس غاص فمدحه ارتجالا :

لما أتينا تقي الدين لاح لنا ... داع إلى الله فردٌ ماله وَزَرُ
على محياه من سيما الألى صحبوا ... خير البرية ، نورٌ دونه القمر

إلى أن يقول :

(١) نفح الطيب ٢/٥٦٥ - ٥٦٦

كنا نحدث عن حبرٍ يجيء فيها   أنت الإمام الذي قد كان ينتظر [١]

ثم يضيف صاحب نفح الطيب أنه انحرف عنه فيما بعد ، ومات وهو على انحرافه ، ولذلك أسباب : منها أنه قال له يوماً : كذا قال سيبويه ، فقال يكذب سيبويه ، فانحرف عنه [١] . ويضيف صاحب بغية الوعاة أن ابن تيمية قال : لقد اخطأ سيبويه في ثلاثين موضعاً من كتابه ، فأعرض أبو حيان عنه ورماه في تفسيره « النهر » بكل سوء [٢] . وكذلك فقد أورد صاحب نفح الطيب خبراً عن لسان الدين ابن الخطيب أن أبا حيان حملته حدة الشبيبة على التعرض لأستاذه أبي جعفر الطباع ، وقد رفع أمره الأمير محمد بن نصر المدعو بالفقيه ، وكان أبو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه فتأثر من ذلك ، وقد عزم السلطان أن ينكل بأبي حيان حيث أمر بإحضاره ، ولكن أبا حيان أحس بما اعتزم عليه فاختفى ثم ركب البحر ولحق بالمشرق لا يلتفت خلفه [٣] .

ولسنا هنا في هذه العجالة بقادرين على مناقشة هذه الآراء بشكل موسع ولكننا نميل إلى أن أبا حيان إنما دفعه إلى الخروج عن احترامه لشيوخه والهرب إلى المشرق أمر عظيم ، ولن تكون حدة الشبيبة وحدها هي التي جعلته يفعل هذا ، فربما كان يخالف هؤلاء الرأي ، وربما أرادوا أن يكرهوه على أن يسلك مسلكاً لا يؤمن به ، ولِمَ لا يكون الطموح هو الذي دفعه إلى مغادرة الأندلس ممتزجاً بالخوف على حياته من وشاية أو فتنة ؟ .

---

(١) نفح الطيب ٢/٥٧٨

(٢) بغية الوعاة ١/٢٨٢ ، شذرات الذهب ٦/١٤٦

(٣) نفح الطيب ٢/٥٨١ و ٥٨٣

رحلته إلى المشرق :

أرى أن من المفيد حقاً أن أورد ماذكره الأقدمون عن سبب هذه الرحلة فهي تنطق بالأسباب ولا تحتاج إلى تعليق . يقول لسان الدين ابن الخطيب في معرض مديحه لأبي حيان « ونالته نبوة لحق بسببها بالمشرق ، واستقر بمصر ، فنال بها ماشاء من عز وشهرة ، وتأثلٍ وافر وحظوة »[١] .

كما ذكر ابن الخطيب بعد ذلك ماحدث بينه وبين أستاذه أبي جعفر الطباع ، وكذا بينه وبين أستاذه ابن الزبير بسبب حدة الشبيبة[٢] .

وذكر صاحب نفح الطيب مايلي « أفاد غير واحـد أن سبب رحلة الشيخ أبي حيان عن الأندلس أنه نشأ شر بينه وبين شيخه أحمد بن علي ابن الطباع فألف أبو حيان كتاباً سماه « الإلماع في إفساد إجازة ابن الطباع » فرفع ابن الطباع أمره للأمير محمد بن نصر المدعو بالفقيه ... الخ ، الرواية التي سبق ذكرها[٣] .

وذكر السيوطي في البغية أنه رأى في كتابه النضار[٤] الذي ألّفه في ذكر مبدئه واشتغاله وشيوخه ورحلته أنه مما قوى عزمه على الرحلة عن غرناطة أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة والرياضي والطبيعي قال للسلطان : إني قد كبرت وأخاف أن أموت فأرى أن ترتب لي طلبة أعلمهم هذه العلوم ، لينفعوا السلطان من بعدي . قال أبو حيان : فأشير إليّ أن أكون من أولئك

(١) نفح الطيب ٢/٥٨٠ (٢) المصدر نفسه ٢/٥٨١

(٣) المصدر نفسه ٢/٥٨٣

(٤) نضار هي بنت أبي حيان وقد حضرت مجالس العلماء وإجازها أبو جعفر بن الزبير وحفظت مقدمة في النحو وحدثت بشيء من مروياتها . ولما توفيت عمل والدها فيها كتاباً سماه « النضار في المسلاة عن نضار » وقد توفيت سنة ٧٣٠ ه .

ويرتب لي راتب جيد وكسا وإحسان ؛ فتمنعت مخافة أن أكره على ذلك .

وبمناقشة هذه الأخبار وتمحيصها نجدها لاتخرج عما قدرناه آنفاً ، وهو أن أبا حيان أحس بخطر محدق به ووجد آمالا تنتظره في المشرق، فلم لايرحل ؟

أما تاريخ خروجه من الأندلس فقد حدده المقري بعام ٦٧٩ هـ[١] ، وأوقع هذا الخبر صاحب الدرر الكامنة في لبس فزعم أنه دخل مصر عام ٦٧٩ هـ[٢] . وأما كتب التاريخ فلم تحدد تاريخ دخوله مصر ، غير أن دائرة المعارف الإسلامية ذكرت أنه حضر دروس ابن النحاس في النحو إلى عام ٦٩٨[٣] . ويميل أحد الباحثين إلى أنه خرج من الأندلس وطوف في بلاد المشرق وشمال افريقية وأدى فريضة الحج ودخل مصر بعد ذلك بعد سنة ٦٩٥ على وجه التقريب مستنداً إلى أن تلمذة أبي حيان على شيخه ابن النحاس لن تزيد عن ثلاث سنوات[٤] .

ويحدثنا تلميذه الصفدي عن هذه المرحلة من حياة أستاذه فيقول : ولما قدم البلاد لازم الشيخ بهاء الدين ابن النحاس رحمه الله كثيراً وأخذ عنه كتب الأدب ، وهو ـ يعني أبا حيان ـ شيخ حسن العمة مليح الوجه ... وكان له خصوصية بالأمير سيف الدين أرغون الدودار الناصري نائب السلطان بالممالك الإسلامية يتبسط معه ويبيت عنده ... وتولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية والإقراء بالجامع الأقمر ، وقرأت عليه الأشعار الستة والمقامات

---

(١) نفح الطيب ٢/٥٨٤ (٢) الدرر الكامنة ٤/٣٠٤

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (النص العربي المترجم) جـ ١/٣٣٣

(٤) أبو حيان الأندلسي ومنهجه في الدراسات النحوية ـ عبد العال سالم مكرم ـ مجلة كلية الآداب والتربية ـ جامعة الكويت ـ العدد الثاني ديسمبر ١٩٧٢ ـ ص ١١

الحريرية ... وقرأت عليه أيضاً سقط الزند لأبي العلاء وقرأت عليه بعض الحماسة لأبي تمام الطائي ومقصورة ابن دريد ... الخ »[١] .

ولما توفي ابن النحاس خلفه أبو حيان وجلس مكانه وملأ فراغه[٢] قال الصفدي « وكان له إقبال على الطلبة الأذكياء وعنده تعظيم لهم »[٣] .

مذهبه النحوي :

أبو حيان بصري المذهب يذكر هذا في كتبه التي ألّفها ، فإذا ذكرهم أو ذكر أحدهم قال : والذي عليه أصحابنا[٤] . ولعل هذا المذهب هو الذي دعاه إلى أن يعيب بعض الأدلة التي بنى عليها ابن مالك قواعده النحوية لأن هذه الأدلة يتسرب إليها الاحتمال ، والدليل ينبغي ألا يتسرب إليه الاحتمال وإلا سقط به الاستدلال . ولعل هذا هو الذي دعاه إلى الحملة على ابن مالك فقد ذكر المقّري أن ابن النحاس شيخ أبي حيان، ولم يأخذ أبو حيان عن ابن مالك وإن عاصره بنحو ثلاثين سنة . واتهم أبو حيان ابن مالك بأنه لم يصحب مَنْ له البراعة في علم اللسان ولذا تضعف استنباطاته قال : وهذا شأنُ من يقرأ بنفسه ويأخذ العلم من الصحف بفهمه[٥] .

معتقده :

وصفه الأدفوي في البغية بأنه كان سالم العقيدة من البدع الفلسفية والاعتزال والتجسيم ، وأنه مال إلى أهل الظاهر وإلى محبة علي بن أبي طالب ، كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن[٦] .

---

(١) الوافي بالوفيات ٥/٢٦٨ - ٢٦٩

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١/٣٣٣

(٣) شذرات الذهب ٦/١٤٦ ، الوافي بالوفيات ٥/٢٦٧

(٤) ذكر هذا كثيراً في التذكرة التي سنعرض لها بالتفصيل

(٥) نفح الطيب ٢/٢٢٨ - ٢٣٠ (٦) بغية الوعاة ١/٢٨٢

وذكر الصفدي أنه كان أولاً يرى رأي الظاهرية ، ثم إنه تمذهب بمذهب الشافعي [١] . أما أبو البقاء فكان يقول : إنه لم يزل ظاهرياً [١] . ونسب ابن حجر في الدرر الكامنة إليه أنه كان يقول : محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه [٢] .

نتاجه العلمي :

أسهم أبو حيان كعالم في الحركة العلمية ، وبخاصة فيما يتصل باللغة والنحو والصرف والتفسير والأدب ، بنصيب وافر . ولم يقف به الحد عند الكتابة والتأليف بلغته بل كتب في نحو لغات أخرى كما مرّ بنا سابقاً . ولم يترك فنّاً من الفنون التي عرفها عصره إلا وأسهم فيه بنصيب .

لقد ذكر الرعيني أن تصانيفه تزيد على خمسين مابين طويل وقصير [٣] أما تلميذه الصفدي فقد ذكر تصانيفه على لسان أبي حيان نفسه حينما كتب إليه مجيباً [٤] . وتسهيلاً لعرضها سأحاول أن أضمها في الفئات التالية :

كتب منشورة ومحققة ، وكتب مازالت مخطوطة تنتظر التحقيق والنشر ، وكتب ضلت طريقها إلينا .

فمن كتبه التي حققت ونشرت :

١ — البحر المحيط : في ثمانية أجزاء بمطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨ هـ وهو تفسير القرآن الكريم تفسيراً نحوياً .

٢ — النهر الماد : في جزءين كبيرين مطبوع على حاشية البحر المحيط .

---

(١) الوافي بالوفيات ٥/٢٦٨ (٢) الدرر الكامنة ٤/٣٠٤

(٣) نفح الطيب ٢/٥٦٣

(٤) الوافي بالوفيات ٥/٢٨٠ - ٢٨١ ، نفح الطيب ٢/٥٥٢ ، بغية الوعاة ٢/٢٨٢ — ٢٨٣

٣ — تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ـ طبع بحماة بسورية ١٣٤٥ هـ ويقع في ١٤٢ صفحة .

٤ — التذييل والتكميل في شرح التسهيل : طبع جزء منه بمطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨ هـ .

٥ - الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء : طبع ببغداد ١٩٦١ م .

٦ — كتاب الإدراك للسان الأتراك : طبع بالقسطنطينية ١٣٠٩ هـ .

ومن كتبه التي مازالت مخطوطة ومحفوظة في دور الكتب والمخطوطات في العالم :

١ — إرتشاف الضرب من لسان العرب : وهو كتاب ضخم توجد منه نسخة كاملة بالمدينة المنورة تقع في أكثر من ألف ومائتي ورقة تحت رقم ١٨ نحو ، وكذا جزء منه بمكتبة جستر بتي بدبلن ، وبالخزانة العامة بالرباط وغيرها من المكتبات . وقد ألفه ليختصر كتاب التذييل .

٢ — غاية الإحسان في علم اللسان : وهي مقدمة في علم النحو .

٣ — النكت الحسان في شرح غاية الإحسان : وهو شرح المقدمة ويقع في مائة وإحدى وثلاثين ورقة . وأقوم بتحقيقه وسيرى النور قريباً إن شاء الله .

٤ — التدريب في تمثيل التقريب :بمعهد إحياء المخطوطات في ثلاثين ورقة.

٥ — تقريب المقرب : وهو شرح وإعادة بناء لكتاب المقرب لابن عصفور ، وقد قمت بتحقيقه وسيظهر إن شاء الله قريباً ، ويقع المخطوط في اثنتين وسبعين ورقة .

٦ — المبدع الملخص من الممتع : (بدار الكتب ضمن مجموعة) و (معهد إحياء المخطوطات العربية) .

٧ — الموفور من شرح ابن عصفور : بدار الكتب ضمن مجموعة بخط أبي حيان) .

٨ - التذييل والتكميل في شرح التسهيل .

٩ — التنخيل الملخص من شرح التسهيل .

١٠- التكميل في شرح التسهيل .

١١- اللمحة البدرية في علم العربية : كتيب في سبع ورقات .

١٢ الهداية في النحو : كتيب .

١٣- تذكرة النحاة . ويقع في أربع مجلدات كبار (١) وقد عثرت عليه وأقوم بتحقيقه منذ فترة .

١٤- دالية في تفضيل النحو مطلعها :

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده لقد فاز باغيه وأنجح قاصده

وقد مدح بها النحو والخليل وسيبويه ثم خرج منها إلى مديح صاحب غرناطة وغيره من أشياخه ، وتزيد على مائة بيت كما ذكرته المصادر ، ولكنني حصلت على نسخة منها في الخزانة العامة عدد أبياتها أكثر من الذي ذكر بكثير ، ورغبت في تحقيقها ولكن رداءة خطها والتلف الذي أصاب بعض صفحاتها حالا دون ذلك . وتقع في مائة وثمان وستين ورقة ، ورقمها ٣٢٩ وربما كانت الدالية هي التي عناها بلانثيا في كتابه (تاريخ الفكر الأندلسي) (٢) حينما ذكر أنها موجودة بمكتبة برلين . والدالية لم تذكر في إجازته للصفدي .

أما الكتب المفقودة :

١ — الشذا في أحكام كذا .

---

(١) بغية الوعاة ١/٢٨٢

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي - بلانثينا ص ١٨٨ - ١٨٩

٢ — القول الفصل في أحكام الفصل : وهي ورقات في النحو ، وقد ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٤٤/١ .

٣ — الشذرة أو الشذرة الذهبية .

٤ — شرح كتاب سيبويه .

٥ — التجريد لأحكام سيبويه .

٦ — الاسفار الملخص من شرح سيبويه للصفّار : وقد لخص فيه شرح كتاب سيبويه لأبي الفضل البطليوسي قاسم بن علي المشهور بالصفار .

٧ — الأفعال في لسان الترك .

٨ — زهو الملك في نحو الترك .

٩ — منطق الخرس في لسان الفرس .

١٠— نور الغبش في لسان الحبش : وهو مما لم يكمله .

١١— المخبور في لسان اليخمور : وهو مما لم يكمله .

١٢ — نهاية الإغراب في علمي التصريف والإعراب .

وفاتـــه :

اتفق جل المؤرخين على أنه توفي عام ٧٤٥ هـ في الثامن عشر من صفر بعد عصر السبت في منزله خارج باب البحر بالقاهرة ، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وصلى عليه صلاة الغائب بدمشق .

وقد رثاه تلميذه الصفدي بقصيدة منها :

مات أثير الدين شيخ الورى فاستعـر البـارق واستعـبرا

ورقّ من حزنٍ نسيمُ الصبـا واعتل في الأسحار لما سرى

مات إمام كانـ في علمـه يرى إماماً والورى من ورا [1]

وهي قصيدة طويلة .

---

(١) الوافي بالوفيات للصفدي ٢٨٢/٥

كتاب التذكرة

جاء في كتاب الدكتورة خديجة الحديثي عن أبي حيان في معرض حديثها عن الكتب المفقودة لأبي حيان أن كتاب التذكرة لأبي حيان ألفه في النحو ، وقد سماه بعضهم التذكرة في العربية . وأضافت « ولا نعرف شيئاً عن هذا الكتاب لأنه من كتب أبي حيان المفقودة .. »[1] . وقد أتيحت لي فرصة زيارة المملكة المغربية الشقيقة في صيف عام ثلاثة وسبعين ، وكنت قد أطلعت على ماكتبته الباحثة ، وأقمت شهراً كاملاً أتردد على الخزانة العامة بالرباط أنقب في مخطوطاتها وأختار ما أراه يستحق البحث والتحقيق . وعثرت ، فيما عثرت عليه ، على مخطوط التذكرة ، الجزء الثاني منها تحت رقم ٢١٤ ق . ويقع المخطوط في مائتين وأربع وثمانين ورقة (٢٥ سطراً ، ١٩٫٥ سم × ٢٨ سم)والمخطوط معنون بـ « تذكرة النحاة لأبي حيان » فقمت بتصويره وصحبتني النسخة إلى المشرق ، وترددت قبل أن أقوم بنشرها وتحقيقها لعدة أسباب :

أولها : أنها فريدة لاثانية لها ، وثانيها : أنها جزء من كتاب . إلى أن نصحني أحد أساتذتي بأن أقوم بالتعريف بالمخطوط والإشارة إلى الرغبة في التحقيق كإعلان ضمني لمن لديه علم بنسخ أخرى لها أو أجزاء في هذا العالم المترامي الأطراف ، وها أنا أنفذ النصيحة وأقوم بما أشار به .

المصادر التي ذكرت المخطوط :

فوات الوفيات ٥٦١/٢ طبعة القاهرة ١٩٥١ م .

طبقات الشافعية ٣٢/٦ « « ١٣٢٤ هـ .

(١) أبو حيان النحوي – خديجة الحديثي ١٦٦

البدر الطالع بمحاسن مابعد القرن السابع للشوكاني ٢٨٩/٢
الدرر الكامنة في أعلام المائة الثامنة ٣٠٤/٤
نكت الهميان في نكت العميان للصفدي ٢٨٤ طبعة القاهرة ١٩١١
نفح الطيب للمقري ٥٥٢/٢ بتحقيق إحسان عباس .
بغية الوعاة للسيوطي ٢٨٢/١
كشف الظنون ٣٩٣/١

أسماء أخرى له :

بعض المصادر ذكرت له أسماء خلاف التذكرة ، فقد ذكر في البغية وكشف الظنون باسم « التذكرة في العربية » كما ذكر في الدرر الكامنة والبدر الطالع باسم « التذكير » واكتفت باقي المصادر بذكر اسم « التذكرة » .

وصف المخطوط :

يقع كتاب التذكرة في أربع مجلدات كبار ، صرح بهذا أبو حيان نفسه حينما أجاز كتبه للصفدي . ويقول في البحر المحيط « كتابنا الكبير الذي سميناه بالتذكرة »[1] . ومكتوب على غلاف الكتاب : الجزء الثاني من كتاب تذكرة النحاة لأبي حيان محمد بن يوسف ، رحم الله مؤلفه وعفا عنه آمين . ملك لله تعالى بيد سيد محمدبن ناصر بخمسة أقرش كلاب عام ست وسبعين وألف .

والنسخة مكتوبة بخط مشرقي جيد ، وهي بحالة جيدة تقل فيها الألفاظ غير المقروءة . وقد كتب عليها الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني بخطه ما معناه : ميزة هذا الكتاب أنه حوى نقولاً من كتب نحوية ولغوية كثيرة لم تصلنا .

---

(١) البحر المحيط ٨٨/١ ، ٢٩٤/٢ ، ٤٢٨

ولعل هذه العبارة من عالم متصل بالتراث هي التي حفزتني على تحقيق الكتاب.

وأول المخطوط :

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر بخير يا كريم .

رب : حرف جر قاله الكسائي وابن الطراوة ومن وافقهم في ادعاء اسميتها ، ومعناها في المشهور التقليل ، خلافاً لمن زعم أنها للتكثير مطلقاً أو للتكثير في المباهاة والافتخار ، وليست لشيء منهما بل حرف إثبات أو للتقليل والتكثير . وفيها لغات رُبَّ ، رَبَّ ، رُبْ ، رُبَّت ، رَبَّت ... الخ .

وآخره :

من مسألة في الاستثناء .

من نقل عن الكتاب :

نقل عنه كثيرون نشير إلى بعضهم :

١ - أبو حيان : في البحر المحيط ج ١/٨٨ ، ج ٢/٢٩٤ ، ٣٣١ ، ٤٢٨ ، ج ٨/٤٦٤ . في الارتشاف ٣٢٥ ، ٣٣١ .

٢ — السيوطي : في همع الهوامع ١/١٠ ، بغية الوعاة . في الاقتراح ١٠ ، ١٢ . في الأشباه والنظائر ٣/١٦ - ١٧

متى ألفه ؟

يبدو أنه ألفه قبل البحر المحيط والارتشاف لأنه نقل عنه في الكتابين .

قيمة المخطوط :

إذا أخذنا بعين الاعتبار مكانة أبي حيان في عالم اللغة والأدب والتفسير ، ونشاطه الجم ، ونتاجه العلمي الغزير ، ووضوح مذهب نحوي له ، وأن جهده لم يقف عند حدود النقل عمن سبقه من العلماء ، وإنما ناقش ماوصل إليه ،

واتخذ موقفاً معيناً منه ، ولم يأخذه ويسلم به ، أحسسنا بقيمة هذا المخطوط لأنه حوى نقولاً من كتب كثيرة ضلت طريقها إلينا ، كما نقل أيضاً عن كتب وصلت إلينا ، ولم يقتصر على النقل عن الكتب والمدونات بل إنه استمع إلى العلماء وأخذ عنهم وأجازوه ، وأبو حيان في كل مانقل لم يجعله إلا ضمن مادة يعرضها في كتابه فتبدو متناسقة وفي موضعها .

أما الكتب المنشورة التي نقل عنها فهي :

١ — التمام في تفسير أشعار هذيل لابن جني (ص ٨٥ - ٨٨ في المخطوط)

٢ — ملخص من الكلام في المسائل العشر التي تكلم عليها أبو نزار ملك النحاة ورد عليه فيها ابن الجبّاب الجليس (ص ١١٥ من المخطوط) وقد نشر الكتاب باسم : المسائل العشر المتعبات إلى الحشر .

٣ - الممتع في التصريف ، ويسميه الممتع الكبير لابن عصفور (ص ٤١٢ من المخطوط) .

٤ — الألفاظ والحروف لأبي نصر الفارابي (ص ٤٣٩ من المخطوط) نشره محسن مهدي ببيروت .

٥ — مختصر في الأيام والشهور مما رواه ابن خالويه (ص ٤٤٨ من المخطوط)

٦ — الصاهل والشاحج لأبي العلاء (ص ٤٧٥ من المخطوط) .

٧ — فقه العربية لابن فارس (ص ٤٣١ من المخطوط) .

٨ — شرح أبي جعفر النحاس المعلقات (ص ٤٤٠ من المخطوط) نشرته وزارة الإعلام العراقية باسم « شرح القصائد التسع المشهورات » .

٩ - الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لابن الأنباري (ص ٤٨٦ ، ٥٤١ من المخطوط) .

١٠ — الامتاع والمؤانسة للتوحيدي (ص ٥٢٠ من المخطوط) .

أما الكتب التي نقل عنها ولم تصل إلينا فهي :

١ — من كتاب البغال للجاحظ (ص ١١ من المخطوط) .

٢ — من كتاب الطارقيات لابي عبد الله الحسين بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) وهو كتاب لم يذكر في الكتب التي ترجمت لابن خالويه (ص ١٤ من المخطوط).

٣ — من كتاب الزهكال في حصر الحروف والمصادر والأفعال لأبي أسامة جنادة بن محمد اللغوي (ت ٣٩٩ هـ) ، ولم تذكر المصادر التي ترجمت له هذا الكتاب (ص ١٤ ، ٤٧ من المخطوط) .

٤ — من كتاب للفرّاء في التصريف (ص ٢٠ من المخطوط) .

٥ — من كتاب المنتخل في شرح كتاب الجمل لإبراهيم بن أحمد بن يحيى البهاري السبتي (ص ٢٦ من المخطوط).

٦ - من قصيدة لعبد الكريم بن عبد الرزاق بن عبد الخالق بن موسى بن علي بن حسن الجهني من أهل بلفيا مؤلفة من سبعمائة وثلاثة عشر بيتاً في مدح الرسول ﷺ ، والقصيدة بخط ناظمها ، مطلعها :

قف بالمطي وهل يفيد الموقف   والدار من طول البلى لا تعرف

وآخرها :

أرجو بها عفو الإله لأنني   مازلت أمعن في الذنوب وأسرف

والنص في (ص ٣١ من المخطوط) .

٧ — من كتاب لمحمد بن محمد بن عمرون الحلبي النحوي (ت ٦٤٩ هـ) شرح فيه المفصل وانتهى فيه الى قوله الوزن الرابع عشر تجده في المصادر ، وعاق عن إكماله موته رحمه الله (ص ٣٢ من المخطوط) .

٨ - من كتاب مختصر في علم العربية لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي (ت ٣٢٢ هـ) (ص ٣٤ من المخطوط) .

٩ - من كتاب الفاحشات عن العرب لعاصم بن الحدثان (ص ٣٥ من المخطوط) .

١٠ — من كتاب نكت على إيضاح الفارسي لأبي علي الحسن بن علي بن حمدون الأسدي المعروف بالجلولي (ص ٧٥ من المخطوط) .

١١ - من كتاب توطئة المدخل إلى كتاب الجمل للأستاذ العلامة أبي العباس أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله التدميري (ت ٥٥٥) ، وقد ذكر السيوطي كتاباً له باسم: التوطئة في النحو ، والنص في (ص ٨٢ من المخطوط).

١٢ — ونقل أبو حيان من خط أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن خلصة اللخمي الأندلسي ، وكان قد كتبه على ظهر كتاب سيبويه بخطه (توفي بعد الثلاثين وخمسمائة) . والنص في (ص ٨٣ من المخطوط) .

١٣ - ونقل أبوحيان ملخصاً من مسائل جرت بين أبن النحاس وبين أبي العباس بن ولاد ، وبُعث قولهما إلى ابن بدر ببغداد ، ومال مع أبي العباس ميلا مفرطاً (ص ١٢٤ من المخطوط) .

١٤ — وذكر من تقييد شيخه الأستاذ الجليل الإمام النحوي المحدث الشهير أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير (وأبو جعفر هذا أستاذه ت ٦٢٧ ﻫ) والنص في (ص ١٢٩ من المخطوط) .

١٥ - من كتاب الترشيح لأبي بكر خطاب بن يوسف بن هلال الماردي (ت ٤٥٠ ﻫ) ، وقد عارض به كتاب دريود في شرحه لكتاب الكسائي (ص ٢١٥ من المخطوط) .

١٦ — من كتاب التمشية لابن ريدان السهاني أبي محمد عبد العزيز ابن علي (ت ٦٢٤ ﻫ) . والنص في (ص ٢٣٧ ، ٢٥١ من المخطوط) .

١٧ — من كتاب مفتاح الإعراب لمحمد بن علي بن موسى بن عبد الرحمن

الأنصاري ثم الخزرجي وينعت بأمين الدين ويعرف بالمحلى (ت ٦٧٣ ه) . والنص في (ص ٢٣٨ من المخطوط) ولم يذكر صاحب البغية ، الذي ترجم له، هذا الكتاب من تصانيفه .

١٨ - من شرح مقصورة ابن دريد لمهلب بن الحسن بن بركات بن علي ابن المهلب بن غياث بن سلمان القاسم المهلبي ، الذي سماه : شرح الجواهر المنثورة في شرح المقصورة ، ولم يذكر صاحب البغية هذا الكتاب ضمن تصانيفه (ص ٢٤٧ من المخطوط) .

١٩ - من مقدمة في النحو لأبي محمد طاهر بن أحمد القزويني (ت ٤٦٩ ه) وذكر القفطي في ترجمته له كتاباً اسمه : المقدمة في النحو (ص ٢٤٨ من المخطوط).

٢٠ - من كتاب لبهاء الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر الحلبي المعروف بابن النحاس في شرح مقرب ابن عصفور ، وانتهى فيه إلى باب الوقف (ت ٦٩٨ ه) . والنص في (ص ٢٦٠ من المخطوط) .

٢١ - من قصيدة للإمام أبي اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن الكندي . (ص ٢٨٩ من المخطوط) .

٢٢ من كتاب أيمان العرب لأبي إسحاق إبراهيم النجيرمي الكاتب (رحل عن بغداد إلى مصر في أيام كافور الإخشيدي) ، ولم يذكر أحد ممن ترجم له هذا الكتاب . (ص ٣١٥ من المخطوط) .

٢٣ - مما قاله الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أبو العباس أحمد بن الحسين ابن أحمد النحوي المعروف بابن الخبّاز (ت ٦٣٧ ه) حينما نظر في كتاب اللغات لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، وكتاب اللغات هذا لم يرد ذكره ضمن مؤلفات الرازي . (٣٢٣ من المخطوط) .

٢٤ - من كتاب الشجرة لأبي العباس محمد بن أحمد الحلواني المعروف

بابن السراج (ت ٧٤٣ هـ) وهو وريقات في النحو ، ولم يذكر صاحب البغية هذا الكتاب . (ص ٣٢٩ من المخطوط) .

٢٥ – من كتاب جماهير الكلام لقطرب (ت ٢٠٦ هـ) وهو كتيب في النحو . (ص ٣٢٩ من المخطوط) .

٢٦ – لأبي منصور ابن الجواليقي (ت ٥٤٠ هـ) والنص في (ص ٣٢٩ من المخطوط) .

٢٧ – من كتاب زلات العلماء لأبي محمد الأعرابي (ت ٣٤٠ هـ) . والنص في (ص ٣٣٢ من المخطوط) .

٢٨ – من كتاب الهوامل والعوامل لابن فضال المجاشعي ويعرف بالفرزدقي وقد ذكر الكتاب ضمن مؤلفاته . (ص ٣٣٧ من المخطوط) .

٢٩ – من كتاب البهي للفراء .

٣٠ – من كتاب على جمل الزجاجي لمحمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم ابن خلف اللخمي (كان حياً ٥٥٧ هـ) ، وقد ذكر صاحب البغية الكتاب ضمن مؤلفاته . (ص ٣٥٥ من المخطوط) .

٣١ – من كتاب أبي الفضل القاسم بن علي البطليوسي (مات بعد ٦٣٠ هـ) على كتاب سيبويه . (ص ٤٠٠ من المخطوط) .

٣٢ – من كتاب أبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد غلام ثعلب (ت ٣٤٥ هـ) وهو شرح علي فصيح ثعلب (ص ٤٠١ من المخطوط) .

٣٣ – من خط أبي جعفر بن أبي رقيقة والنص في (ص ٤٢٢ من المخطوط) .

٣٤ – من تعليق لعلي بن موسى بن حماد على كتاب الجمل ، علقه عن الأستاذ أبي الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الباذش (ت ٥٢٨ هـ) والنص في ص (٤٢٣ من المخطوط) .

٣٥ - من كتاب سفر السعادة وسفير الإفادة لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣ ﻫ) والنص في (٤٥١ من المخطوط) .

٣٦ - من كتاب للبارقي في شرح اللامع (ص ٤٥٢ من المخطوط) .

٣٧ - من كتاب الشامل في شرح الإيضاح لابن الدهان سعيد بن المبارك ابن علي (ت ٥٦٩ ﻫ) . والنص (ص ٤٩٦ من المخطوط) .

٣٨ - من كتاب الإبل لأبي حاتم السجستاني سهل بن محمد (ت ٢٤٨ ﻫ) والنص في (ص ٥٢٣ من المخطوط) .

٣٩ - من كتاب الردة للقعقاع والنص في (ص ٥٢٤ من المخطوط) .

٤٠ - ذكر الأبنية المقصورة والممدودة من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي على ماجمعه أبو القاسم السعدي . والنص في (ص ٥٣٥ من المخطوط) .

٤١ - ونقل أبو حيان من خط بهاء الدين أبي عبد الله بن النحاس بخط الشاطبي رضي الدين رحمه الله ، والنص في (ص ٥٣٥ من المخطوط) .

٤٢ - من كتاب التبيين في مذاهب النحويين لأبي البقاء . والنص في (ص ٥٥٠ من المخطوط) .

٤٣ - من كتاب المحلّى في النحو لأبي غانم المظفر بن أحمد بن حمدان النحوي (ت ٣٣٣ ﻫ) والنص في (٥٦٠ من المخطوط) .

٤٤ - وأملى أبو الحسن علي بن عيسى بن الفرج بن صالح الربعي (ت ٤٢٠ ﻫ) من كتاب البديع ، وقد ذكر ياقوت الكتاب (ص ٤٥٧ من المخطوط)

٤٥ - ونقل أبو حيان من خط أستاذه وشيخه أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ص ٤٦٦ من المخطوط) .

٤٦ - من كتاب الأسد لابن خالويه (ت ٣٧٠ ﻫ) ، وقد ورد الكتاب ضمن قائمة مصنفاته . (ص ٤٧٦ من المخطوط) .

٤٧ ـ من كتاب النكاح لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع الصقلي (ت ٥١٥ هـ)، ولم تذكر المصادر التي ترجمت له هذا الكتاب . (ص ٤٧٧ من المخطوط) .

٤٨ ـ من كتاب الحياة والموت لابن درستويه عبد الله بن جعفر (ت ٣٤٧ هـ) والنص في (ص ٤٧٧ من المخطوط) .

٤٩ ـ من كتاب أبي الحسن الهيثم والنص في (ص ٤٨١ من المخطوط).

٥٠ ـ من باب الزجر في الناس والبهائم من كتاب الفرق لقطرب، محمد بن المستنير (ت ٢٠٦ هـ) وقد ذكر القفطي الكتاب حينما ترجم لقطرب (ص ٥٠١ ، ٥١٨ من المخطوط) .

٥١ ـ لأحمد بن منصور اليشكري كتاب في النحو مرتجز أرجوزة عدة أبياتها ألفان وتسعمائة وأحد عشر بيتاً ، أورد منها أبو حيان ما يقارب المائتي بيت . وقد ترجم له السيوطي باختصار شديد ، وذكر من الأرجوزة بيتين (ص ٥٠٩ من المخطوط) .

٥٢ ـ من كتاب المحرر في النحو للإمام فخر الدين أبي عبد الله محمد ابن عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، وقد ذكرت بعض المصادر الكتاب ضمن قائمة كتبه (ص ٥٢٣ من المخطوط) .

٥٣ ـ من كتاب لأبي العلاء المعري في علم التصريف (ص ٥٣١ من المخطوط) .

وقد ضمن أبو حيان كتابه ، أو الجزء الذي بين أيدينا ، مجالس اكتتبها أبو حيان من كتاب المنتخب من كتاب الشهاب المقتبس للحافظ أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني في أخبار النحاة والقراء والرواة وقد انتخبها بشر بن أبي بكر حامد بن سليمان الجعفري التبريزي . وعدد هذه

المجالس خمسة عشر مجلساً (من ص ١٠٩ - ص ١١٤ من المخطوط) . وعرض هذا الجزء من الكتاب مجالس متنوعة لعلماء نعرفهم وردت في الصفحات (٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧) .

ووردت مسائل كثيرة في المخطوطة منها :

١ - من مسائل الكوفيين (ص ٤٦)

٢ - مسائل قيدت عن أبي الحسن بن الشريك (ص ٨١)

٣ - مسائل ذكرها محمد بن السري (ص ٤٢)

٤ - من مسائل أبي نزار ملك النحاة (ص ٤٥٤)

٥ - من المسائل التي جرت بين ابن النحاس وابن ولاد وابن بدر (ص ٤٥٣)

٦ - مسائل متفرقة .

أما حجم المادة التي ينقلها من هذه الكتب التي ذكرناها آنفاً فيتراوح بين بضعة أسطر وعدة صفحات ، ولا نجافي الحقيقة إن زعمنا أن معظم الكتب قد نقل منها صفحات ، وأن الكتب التي نقل عنها نقلاً قليلاً نادرة ككتاب درستويه في الموت . وإذا نقل أبو حيان فإنما ينقل الفكرة كاملة ولا يقف حتى يستوفيها ، ولولا خشيتي من الإطالة لأتبعت هذه المقالة نقولا من الكتب إلا أن ذلك سيجعل البحث طويلاً قد لايتسع صدر المجلة له .

وإن أكثر مايسبب بعض الجهد للباحث في هذا الكتاب هو كثرة مناقشاته وتداخل مباحثه أحياناً وتداخلها بما ينقل من تلك الكتب ، ولكنه يبقى ماينقل محدداً منذ بداية النص إلى آخره ويذكر في نهايته مايؤكد الانتهاء ، وتكثر الشواهد الشعرية في هذا الكتاب ولكنه لايشير إلى صاحبها أحياناً كما يذكر بعضها غير مكتمل كأن يذكر نصف الشاهد الشعري .

ويتدخل أبو حيان كثيراً ليعلق على رأى عالم أو على ماينقل من كتاب ولا يقف موقف المتفرج ، ونظفر في النهاية بما يؤيده المؤلف وما يرفضه .

وقد بلغ من إعجاب تلميذه الصفدي بهذا الكتاب أنه نسج على منواله كتاباً أسماه : التذكرة الصفدية ويقع في أكثر من خمسين مجلداً .

موضوعات هذا الجزء من الكتاب :

نؤثر أن نشير في عجالة إلى موضوعات الجزء بإيجـاز وصفحاتها في المخطوط :

ربّ (ص ٢) ، مذ ومنذ (٤) ، الكلام على لو حقيقتها (٢٣) أفعال المقاربة (ص ٢٣) ، حروف التخصيص (ص ٥١) ، المعارف وأنواعها (ص٨١) ، البدل (ص ١٢٩) ،المفعول به (ص ١٥٠) ، الحال (ص ١٩٠ ، ١٩٩) ، باب التفضيل (ص ٢٢٩) ، الاستثناء (ص ٢٣٠ ، ٣٢٢ ، ٤٥٩) الاسم المنقوص (٢٣٩) ، الظرف (ص ٢٥٢) ، التنازع (ص ٢٦٢) ، المنصوب على الاختصاص (ص ٢٨٣) ، باب الجمع (ص ٢٩١) ، اسم الفعل (٣١٧) ، العامل في إذا ومتى (ص ٣٢٠) ، التغييرات التسع العارضة (ص ٣٢٣) ، النداء (ص ٣٤٩) ، الممنوع من الصرف (٤١٦) ، الحروف التي تنصب المضارع (ص ٤٢٩) ، الاستثناء (ص ٤٥٩) ، المبتدأ والخبر (ص ٤٨٧) ، فصل في مادة الحرف واشتقاقه (٥١٧) ، فصل في تطاير الحروف من اللغة (ص ٥١٨) .

الأردن – اربد
جامعة اليرموك

عفيف عبد الرحمن

قضية عنوان كتاب البيان

للجاحظ

الأستاذ : الشاهد البوشيخي

لم يكن يخطو بالبال أن يصبح اسم (البيان) موضع نزاع ، بل قد بلغ من اطمئنان النفس إلى اسمه المعروف أن مرت القراءة الأولى للكتاب دون أن يلحظ البصر أو يثقف النظر شيئاً مما يثير السؤال على كثرته . ولكن ما إن بدىء في القراءة الثانية حتى طرح السؤال ، ولم تنته إلا والسؤال قد أصبح إشكالاً يتطلب الحل : هل العنوان الحقيقي للكتاب هو « البيان والتبْيين » بيائين ؟ أم « البيان والتبيُّن » بياء واحدة مشددة ؟ .

وتواصل البحث ، فإذا السؤال قضية لها تاريخ ، وإذا المتصدون لها في موقفهم من كلمة « التبيُّن » أصناف ثلاثة :

١ — مشيرون إليها إشارة ، كالمستشرق دي سلان ، والمستشرق كارل بروكلمان ، والأستاذ عبد السلام محمد هارون ، والدكتور إبراهيم سلامة .

٢ — وجازمون أو ظانون بأنها الصواب ، كالمستشرق كليمان هيوار — ولعله أول جازم - والدكتور بدوي طبانة ، والدكتور ميشال عاصي .

٣ — ومعارضون ، وهم الجمهور المتمسك بالتبْيين عن علم بالتبيُّن . ولعل الدكتور الطاهر مكي أول من كتب منهم في ذلك .

وبنسق تواريخ تصدي هؤلاء للقضية يتكون لها تاريخ ، وبعرض مواقفهم داخله يتميز ما للسابق مما للاحق . وأولئك على التوالي :

١ — البارون ماك گوكين دي سلان : (Le Baron Mac Guckin pe Slane)

ولعله أول من عثر على « التبيّن » وأشار إليها في العصر الحديث ، وذلك في ترجمته الانجليزية لوفيات الأعيان التي صدرت بباريس عام ١٨٣٨ م . قال معلقاً على عبارة « كتاب البيان والتبيين »[١] الو ردة في ترجمة أبي عثمان بالوفيات : « في المخطوط بخط المؤلف التبيّن »[٢] ، وكتب كلمة « التبيّن » بالحروف العربية ، جاعلاً شدة فوق الياء . وهي إشارة لاشّك مثيرة .

٢ - **كليان هيوار** (Clement Huart)

وقد جزم جزماً بأن الصواب هو « التبين » ، دون سوق أي دليل نقلي أو عقلي على ذلك . قال في كتابه « الأدب العربي » الذي صدرت طبعته الفرنسية الأولى عام ١٩٠٢م[٣] ، متحدثاً عن كتب أبي عثمان : « كتاب

(١) معجم ابن خلكان ٢/٤٠٥

(٢) معجم ابن خلكان ٢/٤٠٩ . والنص كما في الأصل الأنجليزي هو « التبيّن The Autograph, Has ».

(٣) لم يتيسر الاعتماد على هذه الطبعة ، وإنما اعتمد على الطبعة الثانية (١٩١٢ م) والرابعة (١٩٢٣م) . لكن بعد مقارنة النص فيهما بالنص في الترجمة الانكليزية (١٩٠٣م) للطبعة الأولى ، تبين أنه لايوجد فرق ألبتة .

البيان والتبيّن (وليس التبيين ، كما طبع)[١] ... »[٢].

٣ — كارل بروكلمان : (Carl Brockelmann)

وقد اكتفى بالإشارة إلى « التبين » ومايعرفه عنها بين قوسين . قال في الملحق الأول لكتابه « تاريخ الأدب العربي » الذي صدر بالألمانية عام ١٩٣٧ م متحدثاً عن كتب أبي عثمان : « ١ – كتاب البيان والتبيين . (أو التبيّن ، وقد ورد كذلك بخط ابن خلكان ، انظره بنشر دي سلان ...)[١] ... »[٣].

٤ — عبد السلام محمد هارون ، ولم يجاوز اختيار « التبيّن » في المتن أو الإشارة إليها في الهامش ، عند تبيين الفروق بين النسخ ، وذلك في تحقيقه لكتاب (البيان) الذي أصدر طبعته الأولى عام ١٩٤٨ م ، مع أن النسخة

---

(١) القوسان بالأصل .

(٢) الأدب العربي ٢١٣ . والنص كما في الأصل الفرنسي هو :

« Kitâb El Bayân w'et - Tabayyon (non Tabyîn , comme on L'a imprimé) ... » .

ونظيره في الأصل الانجليزي هو :

« Kitâd al - Bayân w'I - Tabayyun (not Tabyîn, as it has been Printed) ... » 213 - 214

(٣) الملحق الأول ٢٤١ . وترجمة النص ن الطبعة العربية لتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣/١١٠ . والسبب في الاعتماد على الملحق دون هذه الطبعة أنها مزجت – كما قال المترجم في مقدمة الجزء الأول منها – « بين الكتاب الأصلي وملاحقه مع ملاحظة الطبعتين الأولى والثانية للكتاب الأصلي » . فتعذر لذلك التأريخ الصحيح للإشارة إلى « التبين » لدى بروكلمان اعتماداً عليها ، وتعين الرجوع إلى الأصل ، فوجد أن لاذكر « للتبيّن » في المجلد الأول من الأصل ، وإن في الطبعة الثانية المهذبة الصادرة سنة ١٩٤٣ م (انظر : ص ١٥٩ منه) ، مع أنه طبع بعد الملحق الأول بست سنين . وتلك أمانة كان ينبغي أن يكون الناقل العربي عليها أحرص .

المعتمدة لديه (ل) ،ليس في متنها وعنوانها - وإن لم يهتم به - إلا « التبيُّن »[١] « مع ضبطه بتشديد الياء المضمومة [٢] » إحياناً [٣] .

٥ — إبراهيم سلامة ، ولم يجاوز الإشارة إلى رأي هيوار . قال في هامش كتابه « بلاغة أرسطو بين العرب واليونان » [٤] معلقاً على كلمة التبيين الموجودة بعنوان (البيان) : « يقرؤها هيوارت HUART (التبين بدل التبيين ، ويرى أن الكلمة الأولى تشير إلى النقد والتحقيق أكثر من الكلمة الثانية » [٥].

٦ — بدوي طبانة ،وقدجزم ، مثل هيوار بأن« التبيُّن » هي الصواب ، لكنه لم يسق أي دليل نقلي أو عقلي على ذلك في كتبه [٦] . وكل مافعله أنه أصر في مؤلفاته على كتابة اسم (البيان) هكذا : « البيان والتبيّن » ، إلا في الطبعة الخامسة لكتابه « البيان العربي » ، ففيها التبْيين دائماً . ويغلب على الظن

---

(١) سيأتي تفصيل ما أجمل هنا عند الحديث عن الدليل ١ ، ٢ ، ٥

(٢) البيان ١٨٦/١

(٣) ونفس القول يقال عن نسخة (هـ) التي اعتمد عليها في الطبعة الثانية عام ١٩٦٠ م ، فهي في كل ذلك مثل (ل) .

(٤) صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٠ م ، ثم طبع طبعة ثانية أجود – وعليها اعتمدُ – عام ١٩٥٢

(٥) بلاغة أرسطو ٦٩ . وليس يدرى من أي مصدر استقى أن هيوار « يرى » ذلك ، اذ ليس في كتاب « الأدب العربي » شيء من ذلك كما تقدم ، ولم يعتمد الأستاذ إبراهيم إلا عليه ، كما يشهد بذلك فهرس « المراجع الافرنجية » في كتاب بلاغة أرسطو ٤٠٦

(٦) المقصود : كتبه الأساسية في البلاغة والنقد العربي القديم ، والتي تبتدىء برسالته عن أبي هلال العسكري التي صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٥٢ م ، وتنتهي بالطبعة الخامسة لكتابه « البيان العربي » عام ١٩٧٢ م .

أن ذلك ليس بتراجع ، وإنما هو من أخطاء الطبع ، بدليل فهمه لعنوان (البيان) في قوله : « ويستطيع القارىء أن يتصور موضوع « البيان والتبيين » من اسمه ، فهو البحث في « البيان » أي في « الأدب » وفنونه ، والتعريف بأسباب قوته بتوافر عناصر الجمال الفني فيه ، ودراسة العوارض التي تعتريه ، فتعوقه عن تأدية رسالته ، وهي توليد الإحساس باللذة الفنية بالتأثير في المشاعر والعواطف ، أو قيادة الجماهير وتوجيهها نحو مايراد توجيهها إليه — وهذا مايمكن أن يفهم من كلمة « التبْيين » التي عطفها الجاحظ على كلمة « البيان » .

على أن الجاحظ لم يقصر دراسته على الأدب وتفهّمه ، أو البيان وتبيُّنه ، بل عني إلى جانب الدراسة المستفيضة في ذلك بشيء من دراسة مصدر الأدب ...)[1] .

٧ – الطاهر مكي ، وقد عارض بشدة الأخذ « بالتبيُّن » دون حجج نقلية . وأحسنُ عرض لآرائه نقلُ نصه المركز في ذلك . قال في الجزء الأول من كتابه « دراسة في مصادر الأدب » الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦٨ م ، متحدثاً عن (البيان) : « وارتأى المستشرق الفرنسي كليمان هيوار Clément Huart (١٨٥٤ - ١٩٢٧)[2] في كتابه الأدب العربي La littérature Arabe أن أصل عنوان الكتاب « البيان والتبيُّن » لأن كلمة « التبيُّن » تشير إلى النقد والتحقيق أكثر من كلمة « التبْيين[3] » ، وتابعه في رأيه بعض الباحثين العرب المحدثين . ولم يسق المستشرق الفرنسي

---

(١) البيان العربي ٦٧ — ٦٨

(٢) القوسان بالأصل .

(٣) يقارن هذا التعليل بما تقدم عن الدكتور إبراهيم سلامة .

بين يديه حججاً تعتمد على النقل ، مكتفياً بأدلته العقلية وفيها من التمحك أكثر مما فيها من العلم [١] ، لأن عناوين الكتب لايبحث فيها عما هو أولى وأنسب ، وإنما نلتزم بازائها النص والرواية ، وبخاصة إذا كانت تدعمها شهرة مستفيضة . وما بين أيدينا من مخطوطات الكتاب [٢] يجعل العنوان الذي عرف به إن لم يكن يقيناً قاطعاً ، فهو أقربها إلى اليقين » [٣] .

٨ – ميشال عاصي . وقد رجح [٤] بعد أن بدا له [٥] أن تسمية (البيان)» محرفة عن حقيقتها .. إن العنوان في الأصل قد كان « البيان والتبيّن » لا « البيان والتبْيين » ، وذلك استناداً إلى » [٦] ما يلي :

---

(١) تقدم أن هيوار لم يقدم أي دليل عقلي أو نقلي . ولعل تعليق الدكتور إبراهيم سلامة المتقدم هو السبب في هذا التعقيب .

(٢) ذكر إثر النص انها ست : « لدينا من مخطوطات الكتاب ست فيما أعلم » ولم يتحدث إلا عن خمس (انظر : دراسة في مصادر الأدب ١٦٥ – ١٦٧) مبتدئاً باللتين رمز لهما المحقق عبد السلام هارون بـ (ل) و (هـ) . ومع أنه ليس في هاتين الا « التبين » بياء واحدة مشددة فقد سها الأستاذ الطاهر وتحدث عنهما وكأن ليس فيهما إلا التبيين بياءين . بل إنه نقل نص أبي ذر الخشني الموجود في الصفحة الأولى من (هـ) هكذا : « أكمل الفقيه الحسيب ... جميع كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان ... » . وليس في الأصل « إلا التبين » ، بياء واحدة مشددة (انظر صورة الصفحة الأولى في مقدمة البيان ٢٤) .

(٣) دراسة في مصادر الأدب ١٦٤ – ١٦٥

(٤) في كتابه « مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ » الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٧٤ م

(٥) ونص عبارته هو : « غير أن التسمية كما يبدو لي محرفة » .

(٦) المفاهيم ٤٠ .

١ — « إن لفظة البيان التي تعني التعبير الواضح البليغ في حد ذاته .. هي مرادفة من هذه الوجهة للفظة التبْيين التي تعني الشيء نفسه بالنسبة للشخص المتكلم »[1] .

٢ — « إن لفظة التبيُّن ، وليس التبْيين هي التي تعبر عن وضع . السامع »[1] الذي مُهمّته الفهم ، في مقابل « لفظة البيان ... المختصة »[1] بالقائل الذي مهمته الإفهام .

ومما يرجح صحة هذا « التعليل المنطقي »[1] عنده ، أنه « عثر ... على لفظة « التبيُّن » واردة في أكثر من موضع بدلاً من لفظة التبيين ، حتى في ذكر عنوان الكتاب »[1] وأحال في الهامش على : البيان ٢/٥ ، طالباً مراجعة : البيان ٢٧١/١ أيضاً . وفي الموضعين معاً اختار المحقق « التبيُّن » ، لكنها لم ترد نصاً في العنوان إلا في الأول .

هذه أهم معالم تاريخ القضية ، وذلك أهم ما يتضمنه ملفها حتى الآن[2]

أما ما يمكن إضافته ، فهو أن الأدلة متضافرة ، النقلية منها والعقلية ، على أن العنوان الحقيقي للكتاب هو « البيان والتبّين » بياء واحدة مشددة ، وليس « البيان والتبيين » بياءين . وأهم تلك الأدلة هو :

أولاً — إن « البيان والتبيّن » بياء واحدة مشددة ، هو العنوان الذي عنونت به نسخ ثلاث من أصول الكتاب ، هن أصح النسخ وأوثقها وأقدمها . وتلك هي :

---

(١) المفاهيم ٤٠

(٢) ويمكن تلخيصه في أن كلمة « التبين » فيعنوان (البيان) ، واردة كذلك بخط ابن خلكان ، وفي بعض مخطوطات (البيان) ، وإن المعارض لها أقوى حجة من الآخذ بها .

ا ــ نسخة مكتبة فيض الله (١) بالآستانة . وهي التي رمز لها المحقق في الطبعة الثانية (للبيان) بـ : (هـ) . ويكفي للتعريف بها وتبيان أهميتها وحجيتها أن يعلم :

١ ــ أن العنوان بها مشكول شكلا تاماً . ونص عبارته هو : « يَشْتَمِلُ هَذَا السِّفْرُ عَلَى جَمِيعِ كِتَابِ الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ (هكذا بتشديد الياء المضمومة) (٢) تَأْلِيفُ أبي عُثْمانَ عَمْرِو بْن بَحْرٍ الْجَاحِظِ رِوايَةُ أَبي جَعْفَرٍ البَغْدَادِيّ . كَتَبَهُ لِنَفْسِهِ بِخَطِّهِ مُحَمَّد بن يوسف ... بن حجّاج بن زهير اللخمي » (٣) .

٢ ــ أن تاريخ إكمالها « بالقراءة والمقابلة » (٤) هو : « غرة ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة (٤) . وهو أقدم تاريخ لنسخة اعتمد عليها ناشر (للبيان) حتى الآن .

٣ - أنها منسوخة من أصل « مشتمل على جميع كِتَابِ الْبَيَانِ

---

(١) انظر عنها : مقدمة البيان ٢٤ ، وفهرس المخطوطات المصورة ١/٤٣٣ رقم ١٠٦ أدب ، ودراسة في مصادر الأدب ١٦٥ . وتوجد نسخة منها في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٤٨١٢ ، كتبت « في أول المحرم سنة خمس وثمانين ومائتين بعد الف » (مخطوطة باريس ٤٠٦) ، لكن ناسخها ليس بضابط ، ومما قاله بلوشي عنها في فهرس المخطوطات العربية رقم ٤٨١٢ ، ص ٢٣ :

« Kitâb al - Bayan Wal - Tabayyoun ... Bon neskhi Turc copié en **1285 H.** »

(٢) ومع ذلك فقد كتب اسم هاته النسخة في فهرس المخطوطات المصورة ١/٤٣٣ رقم ١٠٦ أدب : « البيان والتبيين » بياءين .

(٣) صورة الصفحة الأولى في مقدمة البيان ٢٤

(٤) صورة الصفحة الأخيرة في مقدمة البيان ٢٤ ، والبيان ٤/١٠١

والتَّبَيُّنِ (هكذا بتشديد الياء المضمومة) [١]) ... » [٢] ، قد « كُتِبَ .. من [٣] نسخة أبي جعفر البغدادي . وهي النسخة الكاملة . وتم بعون الله وتأييده في غرة ربيع الآخر من سنة سبع وأربعين وثلاثمائة » [٤] ، أي بعد وفاة أبي عثمان بأقل من قرن .

---

(٢) صورة الصفحة الأخيرة في مقدمة البيان ٢٤ ، والبيان ٤/١٠١ .

(١) صورة الصفحة الأخيرة في مقدمة البيان ٢٤ . وسها المحقق أو أخطأ الطابع فكتبها « البيان والتبيين » بياءين (انظر البيان ٤/١٠١) .

(٣) هكذا في الأصل : « من » ، وليس : « عن » ، كما كتبها المحقق او الطابع في البيان ٤/١٠١

(٤) صورة الصفحة الأخيرة في مقدمة البيان ٢٤ . والظاهر من هذا النص أن التاريخ المذكور فيه (٣٤٧ هـ) هو تاريخ كتابة نسخة أبي ذر ، وليس تاريخ كتابة نسخة أبي جعفر البغدادي ، كما فهم المحقق حين قال : « ونسخة أبي جعفر هذه كتبت في غرة ربيع الآخر من سنة ٣٤٧ » (مقدمة البيان ٢٤) ، وذلك لأن اللخمي قال في آخر نسخته : « في آخر السفر الذي نسخت منه الثلث الثالث من هذا الكتاب : كتب هذا السفر — وهو مشتمل على جميع كتاب البيان والتبيُّن — من نسخة أبي جعفر البغدادي — وهي النسخة الكاملة — وتم بعون الله وتأييده في غرة ربيع الآخر من سنة سبع وأربعين وثلاثمائة » (صورة الصفحة الأخيرة في مقدمة البيان ٢٤)

والسفر الذي نسخ منه اللخمي ، و « كُتِبَ ... مِنْ ... وتمَّ ... في ... » هو نسخة أبي ذر ، لقول اللخمي بعد ذلك في نفس الصفحة :

« أكملتُ جميع هذا الديوان بالقراءة والمقابلة على الفقيه الأجل الأستاذ.. أبي ذر بن محمد ابن مسعود الخشني أعزه الله وأكرمه ، وهو يمسك علي كتابه ، وهو الأصل الذي كتب من نسخة ابي جعفر البغدادي ، فصح بحمد الله وتوفيقه ... » .

وعليه ، فأصلُ أصلِ نسخة مكتبة فيض الله — وهو نسخة أبي جعفر البغدادي — قد يكون مكتوباً قبل سنة ٣٤٧ هـ بسنين .

٤ — أن أبا ذر صاحب الأصل (١) الذي نُسخت منه ، كَتَب بخط يده على الصفحة الأولى منها شهادته بتمام المعارضة بالأصل ، وإكمال اللخمي قراءة جميع النسخة عليه . ويزيد الشهادة قيمة أن صاحبها – وهو مَن هو في الضبط والإتقان – كان – كما قال – معتنياً بـ (البيان) مزاولاً له . قال أبو ذر : « أكمل الفقيه الحسيب ... الأديب أبو عمرو محمد بن يوسف ... ابن حجاج اللخمي ... وفقه الله ، جميع كِتَابِ البَيَانِ والتبيِّنِ (هكذا بياء واحدة مشددة) لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله ، وعارض كتابه هذا بكتابي ، وفسرت له ما أُشكل من معاني نثره ونظمه ، وشرحت

(١) واسمه المكتوب بخطه في صورة الصفحة الأولى ، وبخط اللخمي في صورة الصفحة الأخيرة بمقدمة البيان ٢٤ هو : « أبو ذر بن محمد بن مسعود الخشني » ، وسها المحقق أو اخطأ الطابع فسماه في مقدمة البيان ٢٤ محمداً : « نقلها من نسخة أبي ذر محمد بن مسعود الخشني » ، وإنما اسم أبي ذر مصعب (٥٣٥ – ٦٠٤ هـ) . قال ابن الأبار في التكملة ٢/٧٠٠ — ٧٠٢ معرفاً به : « مصعب بن محمد بن مسعود ... الخشني . من أهل جيّان . يكنى أبا ذر ، ويعرف بابن أبي ركب . أخذ عن أبيه الأستاذ أبي بكر ... وكان رئيساً في صناعة العربية... درسها حياته كلها ورحل إليه الناس فيها — مع المعرفة بالآداب واللغات ... وتوفي بمدينة فاس ... » وفي البغية ٢/٢٨٨ توثيق له هام جداً : « ... واتفق الشيوخ على أنه لم يكن في وقته أضبط منه ، ولا أتقن في جميع علومه حفظاً وقلما . وكان نقاداً للشعر ، مطلق العنان في معرفة أخبار العرب وأيامها وأشعارها ولغاتها ، متقدماً في كل ذلك ... » .

أما محمد فأبوه . ومن السهل أن يختلطا ، لاتفاقهما في الكثير مما يعرفان به . ومما جاء عن محمد في التكملة ٢/٤٦٩ : « محمد بن مسعود ... الخشني النحوي : من أهل جيان ، يعرف بابن أبي ركب ، ويكنى أبا بكر ..، تقدم في صناعة العربية ، وتصدر لاقرائها ... وكان من جلة النحويين وأئمتهم ... متصرفاً في فنون الآداب ... أخذ عنه الناس ، وتوفي بغرناطة سنة ٥٤٤ » . وينظر أيضاً : البغية ١/٢٤٤

له غريب لغته ، وبينت له مواقع بلاغته ، حسب اعتنائي بهذا الكتاب ومزاولتي له ، فكمل له قراءةً عليّ في العشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة . والحمد لله حق حمده . قاله وكتبه بخطه أبو ذر بن محمد بن مسعود الخشني في التاريخ المذكور »[1] .

ب — نسخة مكتبة كوبريلي[2] بالآستانة أيضاً ، وهي التي رمز لها المحقق بـ : (ل) ، واتخذها أصلاً للطبعة الأولى[3] (للبيان) قبل أن يعثر على (ه) . ونص العنوان بها هو : « الجزء الأول من كتاب البيان والتّبيّن (هكذا بياء واحدة مشددة) تصنيف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ... »[4] وقد بين المحقق أهميتها في مقدمة تلك الطبعة بقوله « يذكر ياقوت أن كتاب البيان والتبيين نسختان : « أولى وثانية ، والثانية أصح وأجود »[5] ، فيشتد سؤال الأدباء : أين أولاهما وأين الأخرى ؟ وكان من صنع الله أني حينما

---

(١) صورة الصفحة الأولى بمقدمة البيان ٢٤ . ويقارن بما في : دراسة في مصادر الأدب ١٦٥

(٢) انظر عنها : مقدمة البيان ١٦ — ١٨ ، ٢١ ، ودراسة في مصادر الأدب ١٦٥ — ١٦٦

(٣) جاء في مقدمة البيان ٢١ : « وقد اتخذت نسخة كوبريلي أصلاً لهذه النشرة ، (اي الطبعة الأولى) ، منبها على ما بينها وبين سائر النسخ من خلاف » . إلا إذا تعلق الأمر بـ « التبيُّن » فإن المحقق يتخذ «سائر النسخ » أصلا « انظر : البيان ١٨٦/١ ، ٢٠٠ ، ٥/٣ ، ١٠١/٤ من الطبعة الأولى) ، وقد يترك التنبيه انظر البيان ١١/١ ، ٥/٢ من الطبعة الأولى) .

(٤) صورة الصفحة الأولى من نسخة كوبريلي بمقدمة البيان ١٧ من الطبعة الأولى ، و ٢٠ من الطبعة الثانية .

(٥) معجم الأدباء ١٠٦/١٦

اتجهت إلى معارضة أصول الكتاب بعضها ببعض ، تبين لي في أثناء ذلك أن نسخة مكتبة كوبريلي ، هي أصح نسخة من أصول الكتاب ، ولحظت أيضاً أنها كثيراً ماتنفرد ببعض النصوص والعبارات ... ومهما يكن من شيء فلا ريب عندي أن نسخة كوبريلي هي أصح النسخ وأوثقها وأوفرها نصاً »[١].

ومما يزيدها قيمة أن تاريخ الفراغ من نسخها هو : « الجمعة سابع المحرم من سنة أربع وثمانين وستمائة »[٢] ، وأنها « مكتوبة بخط جميل وضبط دقيق »[٣] . فهي إذن قديمة ، بل لولا (هـ) ، لكانت أقدم نسخة اعتمد عليها محققُ (للبيان) حتى الآن .

جـ - نسخة خزانة القرويين[٤] بفاس . ولا يعرف بين محققي (البيان) مَن اعتمد عليها . ونص العنوان بها هو : « السفر الثالث من البيان والتَّبْيِيْن

(١) مقدمة البيان ١٦ - ١٧ . ولكون نسخة (هـ) يقال عنها ماقيل عن نسخة (ل) ، أغفل المحقق في الطبعة الثانية (للبيان) « وضع علامتي الزيادة في كل ما اشتركا فيه ، لما وضح » له « انهما اصلان عظيمان من أصول الكتاب » (مقدمة البيان ٢٤)

(٢) صورة الصفحة الأخيرة من نسخة كوبريلي بمقدمة البيان ١٧ من الطبعة الأولى ، ومقدمة البيان ١٨ ، والبيان ٤/١٠١ ، ودراسة في مصادر الأدب ١٦٦

(٣) مقدمة البيان ١٧

(٤) قال عنها الأستاذ العابد الفاسي رحمه الله في فهرس الخزانة : « كتاب البيان والتبيِّن (وكتب بخط يده — والجذاذة كلها مكتوبة بخط يده — (صح) فوق الياء المضمومة المشددة) ... السفر الثالث منه ، سفر ضخم بخط أندلسي صحيح ، في رق الغزال ، مقابل على أصول صحيحة . وكثيراً مايشير الكاتب في هامش الجزء إلى المخالفات الواقعه في الأصول المقابل عليها . وبالجملة ، فهذا السفر من الأصول العتيقة . ولم يوجد في آخره تاريخ النسخ ولا اسم الناسخ ... من تحبيس الخليفة مولاي علي بن محمد بن عبد الله عام ١١٨٣ ... » (الجذاذة رقم ١٢٤٤) . وينظر عنها أيضاً : مجلة الثقافة ٨٣

(هكذا بياء واحدة مشددة)، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ»[١].
ولا يوجد منها إلا ذلك السفر. ولو وصلت تامّة لوصل أصلٌ ربما كان أعظم أصول الكتاب المعتمد عليها في تحقيق (البيان) حتى الآن، وذلك لسببين:

١ — أنها معارضة بثلاثة أصول صحيحة ذات حواش: أصل الوَقَّشي[٢] ورمزه فيها: (ش)[٣]، وأصل ابن سراج[٤]، ورمزه: (ج)[٥]،

---

(١) مخطوطة القرويين ١

(٢) بتشديد القاف نسبة إلى: وَقّش «وهي قرية بنواحي طلبيرة، مشدّدة القاف» (الحلة السيراء ٢/٢٥٨. وينظر أيضاً: صفة جزيرة الأندلس ١٩٠). ومن ينسب إليها من رجالات العلم والأدب في الأندلس كثير (انظر: الحلة السيراء ٢/٢٥٧ — ٢٥٨، والذيل والتكملة ١/١٩٧، والنفح ٣/٣٧٦ ...)، ولكن أشهرهم والذي «يعرف بالوقّشي» منهم هو: «هشام بن أحمد بن هشام الكناني، يعرف بالوقّشي من أهل طليطلة، يكنى أبا الوليد ... قال ... صاعد ...: أبو الوليد الوقّشي (في الأصل: الوحشي بالحاء) أحد رجال الكمال في وقته ... من أعلم الناس بالنحو واللغة ومعاني الأشعار وصناعة البلاغة، وهو بليغ مجيد، شاعر متقدم ..».

وَكَانَ مِنَ الْعُلُومِ بِحَيْثُ يُقْضَى لَهُ فِي كُلِّ عِلْمٍ بِالْجَمِيعِ

... توفي أبو الوليد الوقّشي رحمه الله بدانية ... سنة تسع وثمانين واربعمائة، ومولده سنة ثمان واربعمائة» (الصلة ٢/٦١٧ — ٦١٨. وينظر عنه أيضاً: طبقات الأمم ٨٤، وصفة جزيرة الأندلس ١٩٦، والنفح ٣/٣٧٦ — ٣٧٧، والبغية ٢/٣٢٧ — ٣٢٨)

ويغلب على الظن أنه هو صاحب الأصل، لما سيأتي في ترجمة ابن سراج بعد قليل.

والمتتبع لتعليقات المعارض لنسخة خزانة القرويين بأصولها يلمس أن اصل الوقّشي هذا هو الأصل الأساسي للنسخة، وبعده يأتي أصل ابن سراج، ثم الأصل الثالث.

(٣) مخطوطة القرويين ٨٩، ٩٤، ١٢٢

(٥) مخطوطة القرويين ٧٨، ١١٩، ١٢٢، ١٢٧.

(٤) ابناء سراج بين العلماء والأدباء بالأندلس كثير؛ ولكن أشهرهم «هذا الشيخ ابو مروان ... محيي رسم علم اللسان بجزيرة الأندلس ... وحاوي قصب السبق في إحراز =

وأصل عطا بن الباذش [١] ، والغالب [٢] أنه المرموز له بـ : (خ) . جاء في بعض حواشيها قبالة بعض الرموز المتقدمة :

– « ثَبَتَ هذا في أصل ابن سراج ، واتصل في أصل الوقّشي قولُه ... بقوله ... » [٣] .

= بعيد غاياته ، وتجاوز أقصى نهاياته ... » (الذخيرة . القسم الأول ٢/٣٠٨) . وهوعبد الملك بن سراج « إمام اللغة بالأندلس غير مدافَع ... كانت الرحلة في وقته إليه ، ومدار أصحاب الآداب واللغات عليه ... أحفظ الناس للغات العرب ، وأصدقهم فيما يحمله ... (ولد) ... سنة أربعمائة ... وتوفي ... ليلة عرفة سنة تسع وثمانين واربعمائة » (الصلة ١/٣٤٦) . قال في البغية ٢/١١٠ « قال في الريحانة : ... درس الجمهرة فاستظهرها واستدرك الأوهام على المؤلفين ، وطال عمره مع البحث والتنقير ، وكان يقول : طريحتي في كل يوم سبعون ورقة ... » . وقد اجتمع بالوقّشي . جاء في النفح ٤/١٦٢ : « واجتمع أبو الوليد الوَقّشي وأبو مروان عبد الملك بن سراج ، وكانا فريدَي عصرهما حفظاً وتقدماً فتعارفا ... » .

والراجح أن ابن سراج هذا هو صاحب الأصل (ج) ، لقول ابن خير الإشبيلي في فهرسة مارواه عن شيوخه ٣٢٦ : « كتاب البيان والتبـيـين للجاحظ . حدثني به شيخنا أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي رحمه الله ، عن أبي مروان عبد الملك بن سراج ، قراءة منه عليه ، عن الوزير أبي القاسم بن الإفليلي . ولم تكن له فيه رواية » .

(١) أبناء « الباذش كصاحب والذال معجمة » (التاج / بذش) بين العلماء والأدباء بالأندلس كثير ، ولكن عطا هذا لم يعثر له على خبر .

(٢) لأنه لم يُذكر في هامش (مخطوطة القرويين) اسم رابع من أصحاب الأصول المقابل عليها ، فالأسماء ثلاثة ، والرموز ثلاثة . ولكن لم يمكن القطع ؛ لأن المعارض رمز لأصل الوقّشي بـ : (ش) ، وهو آخر حرف أصلي من الاسم ، ورمز لأصل ابن سراج بـ : (ج) ، وهو آخر حرف أيضاً ، أما (خ) ، فليس لها علاقة بـ (الباذش) ، إلا أن يكون المعارض تجنب تكرير الشين ، فاختار حرفاً آخر له علاقة ما بـ (عطا) هذا ، فممكن ، ولكن لم يمكن إثباته .

(٣) مخطوطة القرويين ١٢٢

- « هذا المعلم عليه الذي سقط عند الوقّشي ثبت عند ابن سراج »[١].

- « المعلم عليه في خ. عند ش (...) في حاشية الكتاب. والمعلم الثاني لابن سراج وعطا بن الباذش في الحاشية أيضاً »[٢].

- « هكذا رأيت هذا الاسم في النسخ »[٣].

٢ - أنها قديمة، كما يستفاد من خطها ورقّ الغزال الذي كتبت فيه[٤] وإذا صح أن صاحب الأصل (ش) هو القاضي أبو الوليد هشام بن أحمد الكناني الذي « يعرف بالوقّشي »[٥]، وصاحب الأصل (ج) هو الوزير أبو مروان عبد الملك بن سراج الذي روى « كتاب البيان والتبْيين ... عن الوزير أبي القاسم بن الافليلي »[٦]، - فان نسخة خزانة القرويين ستكون في الغالب أقدم من (هـ) وإن بقليل[٧]، لقول المعارض المشعر بقرب العهد؛ « ثبتت هذه الخطبة في كتاب ش الذي بخطه رحمه الله بعد خطبة يوسف ابن عمر ... »[٨].

---

(١) مخطوطة القرويين ٨٩. وينظر أيضاً ٩٤ (٢) مخطوطة القرويين ٧٨

(٣) مخطوطة القرويين ١١٩، وينظر أيضاً ١٨٣، ١٩٤

(٤) قال عنها الأستاذ محمود الطناحي المفهرس بمعهد المخطوطات العربية، وهو يذكر نماذج من النوادر التي صورتها بعثة المعهد من المغرب: « البيان والتبين (هكذا بياء واحدة فقط) للجاحظ، الجزء الثالث من نسخة جليلة على رق الغزال بقلم أندلسي نفيس جداً ضارب في القدم » (مجلة الثقافة ٨٣).

(٥) الصلة ٦١٧/٢، وقد تقدم.

(٦) فهرسة ابن خير ٣٢٦. وقد تقدم.

(٧) لأن تاريخ كتابة (هـ) هو: ٥٨٧ هـ، ووفاة كل من الوقّشي وابن سراج في: ٤٨٩ هـ. (٨) مخطوطة القرويين ٦٨

ثانياً - إن ذلك العنوان - على تكرره أربع مرات في متن (البيان) - لم يذكر في كل من نسختي (ل) و (هـ) إلا هكذا : « البيان والتَّبيُّن » بياء واحدة فقط ، وأحياناً مضمومة مشددة :

١ - قال أبو عثمان ، معقباً على استطراد له : « وليس هذا الباب مما يدخل في باب البيان والتبيين ، ولكن قد يجري السبب فيُجرى معه بقدر مايكون تنشيطاً لقارىء الكتاب » [١] . قال المحقق في الهامش : « ل ، هـ : « التبيُّن » مع ضبطه بتشديد الياء المضمومة » [٢] .

٢ - وقال أبو عثمان : « أردنا - أبقاك الله - أن نبتدىء صدر هذا هذا الجزء الثاني من البيان والتبيُّن [٣] بالرد على الشعوبية » [٤] . قال المحقق في الهامش : « ماعدا ل هـ : « والتبيين » . » [٤] .

٣ - وقال أيضاً : « هذا - أبقاك الله - الجزء الثالث من القول في البيان والتبيين » [٥] . قال المحقق في الهامش : « ل ، هـ : « والتَّبيُّن » . » [٦]

٤ - وقال في آخر الكتاب : « وهذا - أبقاك الله - آخر ما ألفناه من كتاب « البيان والتبيُّن [٧] » [٨] . قال المحقق في الهامش : « ماعدا ل ، هـ :

---

(١) البيان ١٨٦/١

(٢) البيان ١٨٦/١ . وفي هامش البيان ١٨٦/١ من الطبعة الأولى قال : « ل فقط : « التبيـّن » مع ضبطه بتشديد الياء المضمومة » .

(٣) في البيان ٥/٢ من الطبعة الأولى : « والتبيين » بياءين ، دون التنبيه على مافي (ل)

(٤) البيان ٥/٢ (٥) البيان ٥/٣

(٦) البيان ٥/٣ . وفي هامش البيان ٥/٣ من الطبعة الأولى قال : « ل : « والتبين »

(٧) في البيان ١٠١/٤ من الطبعة الأولى : « والتبيين » بياءين . وقد علق عليها المحقق بقوله : « ل : « والتبين » . » .

(٨) البيان ١٠١/٤ . وياء التبيُّن في الأصلين معاً : (ل ، هـ) مضمومة مشددة (انظر : صورة الصفحة الأخيرة بمقدمة البيان ٢٤ ، وصورة الصفحة الأخيرة من نسخة كوبريلي بمقدمة البيان ١٧ من الطبعة الأولى ، وبكتاب تحقيق النصوص ونشرها ١٠٣) .

والتبيين » . »[١] .

وبمقارنة النصوص بعضها ببعض ، يتبين مدى اضطراب المحقق في أمر العنوان [٢] ، وتردده بين « التبيُّن » الواردة في الأصلين العظيمين (ل ، ه) الممثلين للنسخة الثانية الأصح والأجود لديه [٣] ، وبين « التبْيين » التي لم ترد إلا في « النُّسخ التوائم » [٤] ، لكن تدعمهـا شهرة مستفيضة .

---

(١) البيان ٤/١٠١

(٢) وبمقارنة النصوص في الطبعتين بعضها ببعض أيضاً ، يتبين مدى تطور موقف المحقق من « التبيُّن » ، لاسيما إذا أضيف مافي : البيان ١/١١ من الطبعتين .

(٣) انظر مقدمة البيان ١٦ ، ٢٤

(٤) هي ماعدا : ل ، ه من النسخ التي اعتمد عليها المحقق . ومن وصفه لها يتجلى ضعف قيمتها . قال عنها :

١ ـ « نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم (٤٧١ أدب) ... وليس بها ضبط ، وعنوانها عجيب : « كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن يحيى (كذا) الجاحظ ، وهو كتاب جيد النظم والنثر الموضوع على منوال كامل المبرد (كذا) بل يفوق عليه حسناً وبلاغة » . وكتب في صدرها أيضاً : « فيما صار نسخه بالمدينة المنورة ... فيماه مايو سنة ١٨٨٢ » ... ١٢٩٩ الهجرية » .

٢ ـ « نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم (١٨٧٢ أدب) ... وليس بها ضبط ولكن بها أثر قراءة وتصحيح ... وفي خاتمة هذه النسخة : « وكان الفراغ ... يوم الخميس ... ١١ محرم الحرام سنة ١٣٠٩ ... » .

٣ ـ « نسخة المكتبة التيمورية ... وهذه النسخة مجهولة التاريخ وبها عدة اسقاط ... نحو ٢٠ صفحة من مواضع متفرقة » .

(مقدمة البيان ١٨ ـ ١٩. وينظر أيضاً : دراسة في مصادر الأدب ١٦٦ ـ ١٦٧).

ثالثاً — أنه لم يذكر في متن نسخة جامع ابن يوسف [١] بمراكش — والموجود منها الجزء الثالث فقط — إلا هكذا : « البيان والتبيُّن » بياء واحدة مشددة :

١ — قال أبو عثمان أول المخطوطة : « هذا — أبقاك الله — الجزء الثالث من البيان والتبين (هكذا بياء واحدة فقط) .[٢] » .

٢ — وقال آخر المخطوطة : « وهذا — أبقاك الله — آخر ماألفناه من كتاب البيان والتبيُّن (بتشديد الياء المضمومة) . »[٣] .

رابعاً — أنه ورد مكتوباً كذلك في بعض مخطوطات المصادر القديمة مثل وفيات الأعيان [٤] والمنزع : جاء في نسخة السويد من المنزع ، عند الحديث عن صور البيان الجزئية : « وقد رام أبو عثمان ... استيفاء ذلك بكتابه في البيان والتبين (هكذا بياء واحدة فقط) [٥] .

---

(١) ليس للمخطوطة عنوان أصلي ، وما في التحبيس المكتوب على وجه الورقة الثانية رسم هكذا : « حبس ... مولانا زيدان أمير المؤمنين ... جميع هذا المجلد المشتمل على الجزء الثالث من البيان والتبيين (بياءين) على خزانة جامع المنصور ... وكتب ... عام خمسة وعشرين وألف » .

(٢) مخطوطة مراكش ٩ و

(٣) مخطوطة مراكش ٨٦ و

(٤) انظر ماتقدم في : ص ٩ . وينظر أيضاً : الوفيات بتحقيق إحسان عباس ٤٧١/٣ ، ففي متنها أن من أحسن تصانيف أبي عثمان « وأمتعها : كتاب « البيان والتبيُّن » . » هكذا بياء واحدة مشددة . ولم يعلق عليها الدكتور إحسان بشيء ، مما يفيد أن النسخ الثماني المعتمد عليها في تحقيق هذا الجزء متفقة في ذلك .

(٥) المنزع ٨٦ من نسخة السويد .

خامساً أنه الذي ترجحه نصوص (البيان) التي وردت بها عبارة العنوان [١] بل إن أولها ليكاد يكون صريحاً أو كالصريح في أنه تفسير وتعليل للعنوان . وذلك لإيراده في مطلع الكتاب ، وسوقه في سياق تبيين أهمية البيان الذي هو الشق الأهم في العنوان :

١ - قال أبو عثمان : « ... وقال الله تبارك وتعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ [٢]) ، لأن مدار الأمر على البيان والتبيُّن [٣] ، وعلى الإفهام والتفهُّم [٤] . وكلما كان اللسان أبين كان أحمد ، كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد . والمُفهِم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل ، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم ... هكذا ظاهر هذه القضية ... إلا في الخاصّ الذي لا يذكر ... » [٥] .

٢ - وقال بعد أن ذكر كثيراً مما تحب العرب وتكره في باب القول ، ككرههم للفضول في البلاغة وأمرهم بالتبيُّن [٦] . « وأنا أوصيك

---

(١) انظر : البيان ١/١١ ، ٢٠٠ ، ٢٧١ . وهي غير النصوص الأربعة المتقدمة التي ذكر فيها العنوان نفسه .

(٢) سورة إبراهيم ٥

(٣) قال المحقق معلقا على هاته الكلمة في الهامش : « ماعدا ل ، هـ : « التبيين » » والنص كله شاهد على خطأ ما في غير الأصلين العظيمين . وقد سها المحقق في الطبعة الأولى ، فاختار « التبيين » دون أن يعلق عليها بشيء ، ولو بتبيين الفرق بين النسخ !

(٤) قال المحقق في الهامش معلقاً على هاته الكلمة : « ماعدا ل ، هـ : « والتفهيم » .» والنص كله شاهد على خطأ ما في غير (ل ، هـ) . وقد سها المحقق في الطبعة الأولى فاختار « التفهيم » ، دون أن يعلق بشيء .

(٥) البيان ١/١١ - ١٢

(٦) وهذا آخر ماذكر .

ألا تدع التماس البيان والتبيين (قال المحقق في الهامش : ل ،هـ: « والتبيّن »[١] .) إن ظننت أن لك فيها طبيعة ، وأنها يناسبانك بعض المناسبة ، ويشاكلانك في بعض المشاكلة »[٢] .

فقوله : « فيها ... ويناسبانك ... ويشاكلانك » مما يرجح مافي الأصلين العظيمين (ل ، هـ) ، وبترجيحه يزداد العنوان المستدل عليه بذلك ترجحاً[٣] .

سادساً – أنه الذي يمثل خلاصة فكر أبي عثمان في (البيان) ، ويلخص المحور الذي تدور عليه والأساس الذي تنطلق منه نظريته في البيان ، ذلك أن الإنسان عند أبي عثمان ، ليس كباقي العالم حكمة فقط ، ودليلاً عليها فقط ، بل هو حكمة تعقل« الحكمة وعاقبةالحكمة »[٤] ، و « دليل يستدل »[٤] وله « سبب يدُل به على وجوه استدلاله ، ووجوه مانتج له الاستدلال »[٤] ، هو البيان[٤] . بخلاف غـــيره من « الأجرام الجامدة والصامتة »[٥] مثلاً ، فهي « لاتتبيَّن ولا تحس ، ولاتفهم ولا تتحرك إلا بداخل يدخل

---

(١) البيان ١/ ٢٠٠ . وفي البيان ١/ ٢٠٠ من الطبعة الأولى قال : « ل فقط : « والتبين » . » .

(٢) البيان ١/ ٢٠٠

(٣) وأما النص الثالث فهو : « قال صاحب البلاغة والخطابة ، وأهل البيان وحب التبين (قال المحقق في الهامش : ماعدا هـ : « التبيين » .) : إنما عاب النبي صلى الله عليه وسلم المتشادقين والثرثارين ... » (البيان ١/ ٢٧١) ، وقد اختار المحقق فيه « التبيُّن » نظراً للسياق .

(٤) الحيوان ١/ ٣٣ (٥) نفسه ١/ ٤٥

عليها [١] » [٢] .

وقد جعل الله عز وجل الحكمة كلها إزاء عينيه وتجاه سمعه ، « ثم حث على التفكير والاعتبار ... وعلى التعرف والتبيُّن ... فجعلها مذكرة منبهة ، وجعل الفِطَر [٢] تنشىء الخواطر ، وتجول بأهلها في المذاهب ، ذلك الله رب العالمين ، (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [٣]) . » [٤] .

فالإنسان إذن مُتبيِّن ومُبـِين ، وذلك مايميزه عن العالَم ، ويحدد موقعه ووظيفته في العالَم .

وقد كان لانطلاق أبي عثمان من هذا الأساس العام أثر كبير في دوران تفكيره الأدبي حول « البيان والتبيُّن » مرتبطين ، وانشغاله بهما أو بما يرجع إليهما بوجه أو بآخر ، واعتباره لهما رأس الفضل وعنوانه .

فهو في (الحيوان) قبل (البيان) يقول ، متحدثاً عن حرص الزنادقة على تجميل كتبهم وإخراجها في أحسن ورق وأجود خط : « ولو كانت كتبُ الزنادقة كتبَ حكم وكتب فلسفة ، وكتب مقاييس وسنن ، وتبيُّن وتبْيين ، أو لو كانت كتبهم تعرف الناس أبواب الصناعات ... أو بعض مايتعاطاه الناس من الفطن والآداب ـ وإن كان ذلك لايقرب من غنى ولا يبعد

---

(١) الحيوان ١/٤٥ .

(٢) علق المحقق على هاته الكلمة والتي بعدها بقوله : « وفي ط « وجعل الفِكْر ينشىء » . » . والأشبه بلغة أبي عثمان أن تكون الفِكَر ، جمع فِكْرة ، لا الفكْر مفرداً ، ولا الفِطَر جمعاً . جاء في ب ١/٧٥ : « المعاني القائمة في صدور الناس ... والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فِكَرهم » . وينظر أيضاً : الفِكَر في : مصطلحات نقدية وبلاغية ٢٥١

(٣) سورة المؤمنون ١٤ (٤) الحيوان ١/٣٧

من مأثم – لكانوا ممن قد يجوز أن يظن بهم تعظيم البيان والرغبة في التبيُّن . ولكنهم ذهبوا فيها مذهب الديانة ... فإنما إنفاقهم في ذلك كإنفاق المجوس على بيتِ النّار ... » (١) .

وفي (الحيوان) أيضاً يقول ، مبيّناً أن المصلحة في أمر الدنيا امتزاج النقيضين : « اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر ... ولو كان الشر صِرفا هلك الخلق ، أو كان الخير محضاً سقطت المحنة ، وتقطعت أسباب الفِكْرة ، ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة ، ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز ، ولم يكن للعالم تثبُّت وتوقُّف وتعلُّم ، ولم يكن عِلم ، ولا يعرف باب التبيُّن ... ولا تفاضل في بيان ... وعادت الحال ... إلى حال السبع والبهيمة ... وإلى حال النجوم في السخرة ...

وكل شيء في العالم فإنما هو للإنسان ، ولكل مختبر ومختار ، ولأهل العقول والاستطاعة ، ولأهل التبيُّن والرَّويّة » (٢) .

وفيه أيضاً يقول : موثّقاً راوياً له : « وحدثني بعض أهل العلم ... وكان صاحب أخبار وتجربة ، وكان كَلِفا بحب التبيُّن (٣) ... ممتزماً الأمور يحب أن يفضي إلى حقائقها ... وكان يعرف للعلم قدره ، وللبيان فضله » (٤) .

---

(١) الحيوان ٥٦/١

(٢) الحيوان ٢٠٤/١ — ٢٠٥

(٣) قال المحقق في الهامش معلقاً على هاته الكلمة : « في الأصل : « التبيين » . « وهو تحريف يتكرر كثيراً . وإنما هو « التبيُّن » بمعنى التفهُّم والاكتناه » . ومن ذلك التكرر مافي : الحيوان ٦/٣ ، لاسيما إذا قورن بما في مفاخرة الجواري (رسائل الجاحظ ٩١/٢) . وقد يكون منه أيضاً مافي : الحيوان ٢٢٤/٢ ، وإن لم يسترع انتباه المحقق .

(٤) الحيوان ٥١/٤

أما حين ينتقل إلى (البيان) فإنه يجعل « مدارَ الأمر على البيان والتبيُّن ، وعلى الإفهام والتفهّم [١] قولاً وعملاً . وقد صرح بذلك في مواضع متعددة ، وعبر عنه بألفاظ عدة [٢] :

١ – قال معللا تعريفه للبيان بالمعنى الاسمي العام : « ... لأن مدار الأمر ، والغاية التي إليها يجري القائل والسامع ، إنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع » [٣] .

٢ – وفي نفس الباب [٤] ساق قول « علي بن الحسين .. لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة ، وجملة الحال في صواب التبيين ، لأعربوا عن كل ماتخلَّج في صدورهم ... ولكنهم من بين مغمور بالجهل ... ومعدول بالهوى عن باب التثبُّت ، ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلّم » [٥] .

٣ – وقال أيضاً أثناء حديثه عما ينبغي وما لاينبغي في البيان والبلاغة : « ومما يدل على شغفهم وكلفهم ، وشدة حبهم للفهم والإفهام قول الأسَديّ في صفة كلام رجل نَعَت له موضعاً من تلك السباسب التي لاأمارة فيها بأقل اللفظ وأوجزه ، فوصف إيجاز الناعِت وسرعة فهم المنعوت له ، فقال :

---

(١) البيان ١/١١

(٢) بعضها على ترتيب الأصل كالإفهام والتفهّم ، وبعضها بعكس ذلك كالفهم والإفهام ، وذلك في الحالين هو مقتضى المقام ، لأن التبيّن قد يكون سابقاً للبيان وقد يكون لاحقاً له . (انظر : التبين في : مصطلحات نقدية وبلاغية ١٦٦ – ١٦٨) .

(٣) البيان ١/٧٦ (٤) باب البيان .

(٥) البيان ١/٨٤ . وانظر : الاستبانة في : مصطلحات نقدية وبلاغية ١٦٨

بِضَربة نَعْتٍ لم تُعَد غير أَنّني
عقولٌ لأوصافِ الرِّجال ذَكُورُها [١] »

٤ – وقال حاصراً الأمور كلها في ذلك : « وإنما مدار الأمور ، والغاية التي يجري إليها : الفهم ثم الافهام ، والطلب ثم التثبّت » [٢] .

فمن تأمَّل هذه النصوص وأمثالها ومـا يلحق بها ، وتبيَّن في سياقها وموقعها من الكتاب ، وربط مضمونها بمضمون (البيان) العام – علم أن المدار فعلاً على « البيان والتبيُّن » ، وأن أبا عثمان لم يكد يطرق غيرهما ، أو يتطرق إلى شيء بمعزل عنها .

فإذا أضيف إلى ذلك أنهما في تصور أبي عثمان مرتبطان غاية الارتباط ومتكاملان غاية التكامل : التبيُّن يعين على البيان وهو ضروري له في جميع المراحل ، قبل الولادة وأثناءها وبعدها ، والبيان يعين على التبيُّن وهو مادة له – إذا أضيف ذلك ظهر أن عبارة « البيان والتبيُّن » هي أحسن خلاصة لفكرة أبي عثمان في (البيان) ، وأنها – بالنظر إلى مضمون الكتاب ، والتصور الأساسي الذي قام عليه – أصدقُ عنوان .

سابعاً – أن أبا عثمان لم يكد يعنوِن مؤلّفاً باسمين معطوف أحدهما على الآخر – وما أكثر مافعل ذلك – إلا وبين الاسمين ضرب من التقابل أو التخالف .

ويكفي للاطمئنان إلى ذلك قراءة مقدمة (الحيوان) ، أو الاطلاع على عناوين ماذكر من كتب ورسائل لأبي عثمان [٣] . على أن العناية بالشيء

---

(١) البيان ١/١٥٥ – ١٥٦ (٢) البيان ٢/٣٩

(٣) انظر مثلاً : معجم الأدباء ١٦/١٠٦ – ١١٠ ، وهدية العارفين ١/٨٠٢ – ٨٠٣ ، وتاريخ الأدب العربي ٣/١١٠ – ١٢٦ ، وأدب الجاحظ ١١٧ - ١٤٤ ، وأبو عثمان الجاحظ ٢٨٥ – ٣٠٨

ومقابله خصيصة من خصائص تفكير وتعبير عمرو بن بحر . جاء في المقدمة المذكورة : « ... وعبتي بكتاب الشرحاء والهجناء ، ومفاخرة السودان والحمران ، وموازنة مابين الخؤولة والعمومة ، وعبتني بكتاب الزرع والنخل والزيتون والأعناب ، وأقسام فضول الصناعات ، ومراتب التجارات ، وبكتاب فضل [١] مابين الرجال والنساء ، وفرق مابين الذكور والإناث ... وعبتني بكتاب العرب والموالي ... وعبتني بكتاب العرب والعجم ... [٢] » إلى آخر ماذكر من الكتب التي تتجلى فيها أيضاً عنايته بالمتقابلات والفروق .

وفي تلك المقدمة أيضاً جاء : « وعبتني برسائلي ، وبكل ماكتبتُ به إلى إخواني وخلطائي من مزح وجد ، ومن إفصاح وتعريض ، ومن تغافل وتوقيف ، ومن هجاء لايزال ميسمه باقياً ، ومديح لايزال أثره نامياً ، ومن مُلَح تُضحك ومواعظ تبكي » [٣] .

والذي ينسجم مع هذه الخاصية وتلك العادة ، هو عنوان « البيان والتبيُّن » بياء واحدة مشددة ، وليس « البيان والتبيين » بياءين [٤] .

(١) هكذا في الأصل بالضاد المعجمة . وكذلك ذكرت في : أدب الجاحظ ١٣٧ ، وأبو عثمان الجاحظ ٣٠٦ . والصواب في الغالب « فصل » بالصاد المهملة ، لذكر أبي عثمان لها كذلك في البيان ١/١٨٦ ، ولمناسبة مابعدها لها : « مابين ... وفرق ... » ، ولكون فضل بالمعجمة – ومثلها تفضيل – ترد في عناوين أبي عثمان متبوعة بـ « على » كما في : « فضل الفرس على الهملاج » ... (تاريخ الأدب العربي ٣/١٢٥ ، وأدب الجاحظ ١٣٧) . وقد ذكرها بروكلمان بالمهملة أيضاً في تاريخه للأدب العربي ٣/١٢٣

(٢) الحيوان ١/٤ – ٥ (٣) الحيوان ١/٧

(٤) انظر : التبيين في : مصطلحات نقدية وبلاغية ١٦٣ – ١٩٥ ، فهناك وضح المعنى الذي يستعمله به أبو عثمان ، وذكرت المعاني المحتملة له في عبارة العنوان .

لاسيما ومضمون (البيان) ذلك المضمون ، وحيز « التبين » في فكر أبي عثمان ذلك الحيز .

هذه أهم الأدلة . ولعلها كافية لتحصيل اقتناع — إن لم يكن يقيناً قاطعاً فهو أقرب مايكون إلى اليقين — بأن العنوان الحقيقي للكتاب هو : « البيان والتَّبيُّن » بياء واحدة مشددة ، وليس « البيان والتبْيين » بياءين .

وعسى أن يكون في ذلك بيان لحقيقة ، وفصل في نزاع ، وتصحيح لتحريف ، وإنصاف لصواب مهجور من خطأ مشهور ، وخدمة للعلم وأهله . وبالله التوفيق .

فهرس المصادر والمراجع
المذكورة في البحث

— أبو عثمان الجاحظ : د . محمد عبدالمنعم خفاجي . ط ١ . بيروت ١٩٧٣

— أدب الجاحظ : حسن السندوبي . ط ١ القاهرة ١٩٣١ م .

— الأدب العربي لكليمان هيوار (بالفرنسية والانجليزية) :

Littérature Arabe . CL . Huart . Librairie Armand Colin , Paris . 2éme Ed . 1912 . 4 éme Ed . 1923 .

— A Hirtory of Arabic Literature, Cl. Huart. London. I903

— البغية = بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م .

— بلاغة أرسطو بين العرب واليونان للدكتور إبراهيم سلامة . ط ٢ . مكتبة الانجلو المصرية . ١٩٥٢ م .

- البيان = البيان والتبين لأبي عثمان الجاحظ (عمرو بن بحر) :
- ط ٢ . تحقيق عبدالسلام هارون . مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٦٠ م-١٩٦١م . (دون نص) .
- ط ١ . تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . ١٩٤٨ م - ١٩٥٠ م .
- مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٤٨١٢
- مخطوط بخزانة القرويين بفاس تحت رقم ١٢٤٤ . (السفر الثالث فقط).
- مخطوط بخزانة جامع ابن يوسف بمراكش تحت رقم ١١٣ . (الجزء الثالث فقط) .
- البيان العربي للدكتور بدوي طبانة . ط ٥ . دار العودة . بيروت ١٩٧٢
- التاج = تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي مصر ١٣٠٦ م .
- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (كارل) :
- بالعربية : ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار . دار المعارف بمصر . ط ٣ (ج ١) ١٩٧٤ م . ط ٢ (ج ٣) ١٩٦٩ م .
- بالألمانية :

— Geschichte des Arabischen Literatur. Erster Band C. Brockelmann Leiden 1943

— Geschichte Des Arabischen Literatnr. Erster Suppl-ementband. C. Brockelmann. Leiden. 1937

- تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون . القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٨٥ ﻫ = ١٩٦٥ م .
- التكملة = التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار . ط العطار . مصر .
- الحلة السيراء لابن الأبار (أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي) . تحقيق الدكتور حسين مؤنس . القاهرة . ط ١ . ١٩٦٣ م

— الحيوان لأبي عثمان الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . ط ١ ١٩٣٨ م - ١٩٥٨ م .

— دراسة في مصادر الأدب للدكتور الطاهر مكي . ط ١ . ١٩٦٨ م .

— الذخيرة = الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام . المجلد الثاني من القسم الأول . القاهرة ـ لجنة التأليف . تحقيق جماعة من الأساتذة . ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م .

— الذيل والتكملة ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة للمراكشي (أبي عبد الله محمد بن محمد الأنصاري) . القسم الأول من السفر الأول . تحقيق الدكتور محمد بن شريفة . بيروت .

— صفة جزيرة الأندلس = صفة جزيرة الأندلس . منتخب من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (أبي عبد الله محمد بن عبد الله) . تحقيق : أ . ليفي بروفنصال . القاهرة . ١٩٣٧ م .

— الصلة = كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم لابن بشكوال (أبي القاسم خلف بن عبد الملك) . تحقيق السيد عزت العطار الحسيني . ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

— طبقات الامم لصاعد (أبي القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي) . نشر علي محمد أبي طالب . طبعة محمد محمد مطر . مصر .

— فهرس خزانة القرويين (جذاذات) . مخطوط بخزانة القرويين بفاس .

— فهرس المخطوطات العربية لبلوشي (بالفرنسية) :

— Catalogue des Manuscrtis Arabes des nouvelles Acquisitions. B. Nationnale, E. Blochet. Editions Erneste Leroux Paris I925

— فهرس المخطوطات المصورة (بمعهد المخطوطات العربية) . تصنيف فؤاد سيد . القاهرة . ج ١ . ١٩٥٤ م

– فهرست ابن خير = فهرست مارواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف الشيوخ ... أبو بكر محمد بن خير الله الإشبيلي . ط ٢ . ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

- القرآن الكريم : مصحف بالرسم العثماني على رواية الإمام ورش . القاهرة . ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .

– مجلة الثقافة = الثقافة . العدد ٢٨ . السنة ٣ . تاريخ يناير ١٩٧٦ م مصر . (مقالة : التراث العربي في المغرب وقضية التواصل بين المشرق والمغرب للأستاذ محمود الطناحي) .

– مخطوطة باريس = البيان والتبين .

– مخطوطة القرويين = البيان والتبين .

– مخطوطة مراكش = البيان والتبين .

– مصطلحات نقدية وبلاغية = مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ . (رسالة قدمت لنيل دبلوم السلك الثالث من جامعة محمد بن عبد الله بفاس . كلية الآداب والعلوم الإنسانية . السنة الجامعية ٧٦ - ١٩٧٧ م) مرقون .

– معجم ابن خلكان (وفيات الأعيان) (بالانجليزية)

– معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) لياقوت الحموي . نشر الدكتور أحمد فريد رفاعي .

– مفاخرة الجواري = كتاب مفاخرة الجواري . لأبي عثمان الجاحظ . ضمن رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م .

– المفاهيم = مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ . للدكتور ميشال عاصي . ط ١ . دار العلم للملايين . بيروت ١٩٧٤ م .

– الملحق الأول = تاريخ الأدب العربي .

– المنزع = المنزع البديع في أساليب التجنيس والبديع للسجلماسي (أبي محمد القاسم بن محمد) . مخطوط يحققه الأستاذ علال الغازي تحت إشراف الدكتور أمجد الطرابلسي ، على نسختين : نسخة السويد ونسخة تطوان .

– النفح = نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب المقري (أحمد بن محمد التلمساني) تحقيق الدكتور إحسان عباس . بيروت . ١٩٦٨ م .

– هدية العارفين = هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لاسماعيل باشا البغدادي .

– وفيات الأعيان لابن خلكان (أبي العباس أحمد بن محمد) . تحقيق الدكتور إحسان عباس . بيروت . ١٩٦٨ م – ١٩٧٢ م .



تاريخ أبي بشر هارون بن حاتم التميمي

ت سنة ٢٤٩ هـ

الأستاذة سكينة الشهابي

تمهيد : قد يحمد الإنسان ساعات حرجة تمر به بعد أن يتطاول عليها الزمن لما تكسبه من خبرة ، وما تسوقه إليه من تجارب .

وهذا ماحصل لي وأنا أعمل في جزء من تاريخ دمشق لابن عساكر لاتتوافر منه إلا أصول سقيمة سيئة . فاضطرني ذلك إلى أن أبحث وأطيل البحث عن الموارد التي استقى منها ابن عساكر مادته لأقوّم النصوص المصحفة ، وأعيدها كما شاء لها المؤلف،قبل أن تعبث بها يد النساخ . ولقد عثرت في تنقيبي هذا على كتب كثيرة كانت أصولاً لابن عساكر منها المطبوع ومنها المخطوط . ومن بين المخطوطات النادرة كتيّب صغير لهارون بن حاتم بخط الحافظ أبي القاسم بن عساكر يقع في سبع ورقات وعليه سماعه . عثرت عليه في مجموع من مجموعات الحديث حافل بالأجزاء النفيسة التي تحتاج إلى من ينفض عنها غبار القدم ، ويبعثها من مرقدها لتكون جزءاً في موكب الفكر الحديث الذي يقوم على أساس من القديم .

لقد كان سروري بهذا التاريخ عظيماً لسببين : الأول ، لأنه من موارد ابن عساكر في تاريخه الكبير (١) ، ومن موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢) ، والثاني لأنه من أوائل الكتب التي ألفت في التاريخ ، فكاتبه معاصر لخليفة بن خياط صاحب الطبقات والتاريخ (توفي خليفة سنة ٢٤٠ ، وتوفي هارون بن حاتم سنة ٢٤٩) . وفوق ذلك كله لأن مؤلفه اتبع نهجاً خاصاً لعله يعطينا صورة الأسلوب الذي ابتدىء به التأليف في التاريخ ، فهو كتاب تاريخ على السنين بدأ بخلافة علي وتوقف بانتهاء ملك بني أمية . وكان أكثر مايعنيه اسم الخليفة وبدء خلافته وانتهاؤها ثم أمر الحج في زمنه ، وإن شئنا أن نسمي قسمه الأول تاريخاً لمن قام بأمر الحج منذ تولى علي الخلافة إلى نهاية ملك بني أمية استطعنا . وخلال العرض الموجز الذي التزمه هارون بن حاتم في هذا التاريخ كانت له وقفة عند تقوى ابن الزبير وورعه ، والحديث الذي روي عن النبي في فساد ملك بني أمية في آخر عهدهم . وينتقل بعد ذلك فيورد نسب الرسول ﷺ وسنة بعثته ووفاته ، ثم يعقب بوفيات الصحابة وأعمارهم ، ووفيات من تلاهم من التابعين لايلتزم في ذلك تسلسلاً زمنياً واضحاً ، لكنه يعنى بالنظائر : من تماثلت أعمارهم وقت وفاتهم ، ومن ولدوا في سنة واحدة ، ومن ماتوا في سنة واحدة ، ولا يتجاوز في تحديد سنوات الوفاة سنة ٢١٩ . وله اسلوب طريف في تعيين الولادات ، فهو يسأل شيوخه عن مولدهم ومولد غيرهم ، وقد يسألهم عن سنوات الوفيات . ويفرد القسم الأخير من الكتاب تحت

(١) انظر المطبوع من ابن عساكر « الجزء عاصم ـ عايذ » ١٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٥٩ ، ٣٨٠ ، ٣٩٢

(٢) انظر موارد الخطيب البغدادي ٤٠ ، فقد ذكر الاستاذ أكرم العمري أن الخطيب اقتبس من تاريخ ابي بشر في ٢٩ موضعاً .

عنوان : « ماجاء في الأسماء والكنى » فيأتي بأسماء من عرفوا بكناهم من الصحابة وبعض من تلاهم .

والسؤال الذي يفرض نفسه : هل نحن أمام تاريخ كامل أم قطعةٍ من تاريخ ؟

إن الناظر في وريقات هذا المخطوط يخيل إليه أنه أمام كتاب كامل فعلى ورقة الغلاف هذا العنوان : « تاريخ أبي بشر هارون بن حاتم (١) » والورقة الأولى منه تبدأ بالبسملة ثم الطريقين اللذين روى بهما ابن عساكر هـذا التاريخ (٢) . وفي نهاية الورقة الأخيرة « بلغت من أول تاريخ هارون ابن حاتم سماعاً .. » وبعد انتهاء السماع في هامش الورقة الأخيرة : « هذا آخره والحمد لله وحده (٣) » .

ولكن العبارة الأولى التي يبتدىء بها المخطوط بعد الإسناد تدعو إلى التروي وهي : « ثم بايع الناس علي بن أبي طالب .. » إن « ثُمَّ » هذه تقتضي أن تكون استمراراً لكلام سابق ، والحديث عن علي يقتضي أن يكون له ماقبله . ولو كنا أمام ناسخ عادي لقلنا إن هذه قطعة من كتاب لفقت على هذه الصورة ، ولكن ماذا نقول ونحن بين يدي الحافظ الكبير !!؟

هل نقول إن هذه الوريقات هي الجزء الأخير من التاريخ الذي سمعه الحافظ على شيخيه أبي القاسم وأبي البركات ، وأن هناك أجزاء أخرى لم نستطع العثور عليها حتى الآن ، أم نقول إنها كل ماسمعه وما وصل إليه من هذا التاريخ ؟

---

(١) انظر ص ١١٣
(٢) انظر ص ١١٤
(٣) انظر ص ١١٥

وكأني بما قرأته من تاريخ ابن عساكر حتى الآن يؤيد الافتراض الثاني لأن ماوجدناه فيه من نقول عن هارون بن حاتم لايتجاوز هذه الوريقات التي بين أيدينا والتي وصلتنا باسم: « تاريخ أبي بشر هارون بن حاتم ».

ولا يشك الأستاذ أكرم العمري (١) بأن ماوصلنا إنما هو تاريخ أبي بشر هارون بن حاتم كاملاً قال: « وقد وصل إلينا تاريخه من رواية محمد ابن محمد بن عقبة الشيباني عنه ويقع في ٥ أوراق ويبدأ بذكر نسب النبي (ﷺ) .. » ثم يقول: « وقد اقتبس منه الخطيب في ٢٩ موضعاً ».

ولكن الأستاذ العمري لم يقل لنا هل كانت هذه المواضع التسعة والعشرون كلها في هذه الورقات التي رآها في المكتبة الظاهرية . ثم إن التاريخ في سبع ورقات وليس في خمس كما قال ، ويبدأ بخلافة علي لابنسب الرسول (ﷺ) .

والأمل كبير فى أن يكشف لنا النظر المتصل في تاريخ ابن عساكر نفسه الصورة الكاملة لتاريخ هارون بن حاتم لنعرف هل كنا أمام التاريخ كاملاً أم أمام قطعة من التاريخ . ولن نعجز وقتها عن لملمة أجزاء هذا الرافد الصغير من ذلك الخضم الكبير .

عملي في الكتاب :

أول ماقمت به بعد نسخ الكتاب أنني عرضته على تاريخ خليفة ، فلم أجد وجهاً للتشابه يثبت نقل أحدهما عن الآخر ، أو أخذهما من مصدر واحد ، وأثبت في الحواشي ماخالف فيه هارون بن حاتم خليفة أو الطبري ولم أشر إلى التوافق بينه وبين هذين المصدرين . ثم عملت على إعجام ماورد

---

(١) انظر موارد الخطيب البغدادي ٤٠٤

من غير إعجام في الأصل ، لأن خط الحافظ نصف منقـوط ، وحددت المصادر التي اعتمدت عليها لإعجام مافيه لبس ، وكذلـك فسرت وضبطت الألفاظ الغريبة والأسماء والأنساب التي تلتبس على القارىء ، وحاولت أن أضبط بالشكل ماوجدته ضرورياً لفهم النص ، وقدمت بين يدي عملي ترجمة قصيرة لهارون بن حاتم صاحب التاريخ معتمدة في ذلك على المصادر القليلة التي ترجمت له . وعلى الرغم من صغر الكتاب فقد أعددت له نوعين مـن الفهارس ، أحدهما الأعلام والآخر للأسانيد لتسهيل المراجعة فيه والاستفادةمنه .

فعسى أن أكون بعملي هذا – على ضآلته — قد مهدت جزءاً ضئيلاً من الطريق الطويلة للعمل في تاريخ ابن عساكر .

أسأله سبحانه أن يوفقنا إلى مافيه رضاه آمين .

من هو هارون بن حاتم

لانجد في كتب الرجـال ترجمة وافية لهارون بن حاتم بل إننـــا لانجد له ذكراً إلا في بعضها ، وأولُ من عرفت أنه ذكره ابنُ أبي حاتم في الجرح والتعديل (ج ٤ ق ٢ / ٨٨) فحدثنا عن تضعيف أبي حاتم له ، وأعاد الذهبي في ميزان الاعتدال (٤ / ٢٨٢) قوله وأضاف إليه أنـه رأى تاريخه وبين سبب تضعيفه ، فقد كان يروي المناكير ، وذكره الذهبي أيضاً في المغني ، ثم جاء ابن حجر في لسان الميزان (٦ / ٧٧) فكرر ما قاله الذهبي في الميزان ولم يضف إليه شيئاً ذا بال ، قال : « هارون بن حاتم الكوفي عن أبي بكر بن عياش .. وعنه محمد بن محمد بن عقبة ، وقع لنا تاريخه وقد سمع منه أبو زرعة وأبو حاتم وامتنعا من الرواية عنه ، سئل عنه أبو حاتم فقال : أسأل الله السلامة .. توفي هارون بن حاتم سنة تسع وأربعين ومائتين » .

من الكتب التي ترجمت لهارون وساقت بعض أخباره عرفنا إذاً أنه عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، وإن كنا لم نعرف شيئاً

عن مولده ، لقد كان معاصراً لخليفة بن خياط . وقد مر ذكره عرضاً في كتاب الإشراف [١] لابن أبي الدنيا - وسير أعلام النبلاء للذهبي [٢] . أما كتب التاريخ المعروفة فلم أجد فيها أية إشارة إلى هارون بن حاتم وكتابه هذا ، ولعله من الغريب حقاً أن تنصرف عنه كتب التاريخ هذا الانصراف ويحفل به محدثان كبيران : الخطيب البغدادي في بغداد وابن عساكر في دمشق فيكون كتابه هذا على ضآلة مادته رافداً لهما في تاريخيهما الكبيرين .

وصف المخطوطة :

يتألف « تاريخ هارون بن حاتم » من سبع ورقات من الحجم المتوسط (٢١١ ظ - ٢١٨ و) في المجموع ذي الرقم ٤٠ من مجاميع دار الكتب الظاهرية ، مسطرة الورقة عشرون سطراً ، وخطها نسخ عادي نصف منقوط وخال من الشكل ، وفي آخره سماع تاريخه سنة ٥٢١ ، وفي آخر السماع نعلم أن الذي كتب التاريخ هو علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي - ابن عساكر - وسمعه معه أبو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي [٣] وعلي بن سعد بن إبراهيم الخباز [٤] . وقد بدىء بالبسملة ثم ذكر الطريقين اللذين تأدى اليه التاريخ عنهما .

---

(١) روى عنه ابن أبي الدنيا في الإشراف ل ١٦ .

(٢) نقل عنه الذهبي مولد شيخه أبي بكر بن عياش ، انظر سير أعلام النبلاء ٦/٢٧٩

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي جامع مسند أبي حنيفة . حدث عنه ابن الجوزي . قال السمعاني : سألت عنه ابن ناصر فقال : فيه لين يذهب إلى الاعتزال وسألت عنه ابن عساكر فقال : ما كان يعرف شيئاً . توفي سنة ٥٢٦ . انظر مصورتي مشيخة ابن الجوزي ل ٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٢/١٣٦ « من مصورات مجمع اللغة » .

(٤) لم أعثر على ترجمة له .

وجه الورقة الأولى من الجزء الذي فيه التاريخ

وهي الورقة ذات الرقم ٢٠٦ من المخطوطة رقم ٤٠ « مجاميع » ـ المكتبة الظاهرية

أول صفحات التاريخ

ظهر الورقة ٢١١ من المخطوطة ٤٠ « مجاميع » - المكتبة الظاهرية

آخر صفحات التاريخ

وجه الورقة ٢١٨ من المخطوطة ٤٠ «مجاميع» ـ المكتبة الظاهرية

بسم الله الرحمن الرحيم

قرأت على الشيخ الإمام أبي القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن السمرقندي أيده الله ببغداد قلت له : أخبركم القاضي أبو الفتح نصر بن أحمد بن نصر الخطيب السِّمِنْجاني [١] قراءةً عليه وأنت تسمع في محرم سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة ، أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الله الجواليقي التميمي قراءة عليه بالكوفة في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة .

[و] [٢] أخبرنا الشيخ أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد ، أنا أبو الحسين المبارك ابن عبد الجبار بن أحمد وأبو طاهر أحمد بن علي بن سِوار المقرئ، قالا : أنا أبو الفرج الحسين بن علي ابن [٣] الطناجيري [٢] قالا :

---

(١) السِّمِنْجاني - بكسر السين والميم وسكون النون وفتح الجيم - نسبة إلى سمنجان بليدة من طخارستان وراء بلخ . الأنساب واللباب ومعجم البلدان .

(٢ - ٢) ورد مابين الرقمين في رأس الصفحة « انظر ص ١١٤ » المقدمة ، وهو طريق آخر للحافظ ابن عساكر إلى تاريخ هارون بن حاتم لعله جاء متأخراً عن الطريق الأول بدليلين : الأول ماجاء في ورقة الغلاف ، فبعد أن ثبت طريق أبي القاسم اعترض خط صغير بين السطرين ثبت فيه طريق أبي البركات . الثاني استدراك طريق أبي البركات في هامش الأصل ، واقحام كلمة « قالا » بين السطرين في المتن ليلتقي ابن الطناجيري بالجواليقي في الأخذ عن الأبزاري . وفي هامش الأصل يتلو لفظة الطناجيري : « قال : أنا أبو عبد الله الأبزاري » ، ولم أر لها موضعاً بعد أن التقى الطريقان وورد اسم الابزاري كاملاً في المتن . وقد أضفت حرف العطف بين الإسنادين ليستقيم المعنى ولأنه موجود في اقتباسات ابن عساكر من هذا الكتاب .

(٣) يلاحظ وجود فراغ في الأصل بقدر كلمة في هذا الموضع .

أنا أبوعبد الله محمد بن زيد بن علي بن مروان الأنصاري الأبزاري قراءة عليه ، أنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عقبة الشيباني [١] قراءة عليه فأقر به ، نا أبو بشر هارون بن حاتم التميمي البزار ، نا أبو بكر بن عياش [٢] ، قال :

ثم بايع الناس علي بن أبي طالب رحمة الله عليه سنة خمس وثلاثين [٣] فأمّر علي عبد الله بن عباس على الحج سنة ست وثلاثين [٤] وأمّر علي عبد الله [٥] بن عباس سنة سبع وثلاثين ، وبعث علي قُثَمَ بن العباس على الحج سنة ثمانٍ وثلاثين ، ثم اصطلح الناس على شيبة بن عثمان سنة تسع وثلاثين فحج بالناس تلك السنة [٦] . ثم قتل علي رحمة الله عليه ورضوانه في شهر رمضان لسبع عشرة مضت من رمضان من سنة أربعين ، وكانت خلافة علي خمس سنين إلا ثلاثة أشهر . وحج بالناس المغيرة بن شعبة سنة أربعين .

---

(١) يراجع في ترجمته المعجم الصغير ٣٠٩/٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٩٤/٩

(٢) يراجع في ترجمته تاريخ بغداد ٣٧١/١٤ ، ٣٨٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٧٩/٦ والتهذيب ٣٤/١٢

(٣) في تاريخ خليفة ١٩٩/١ أن بيعة علي كانت سنة ٣٦ ومقتل عثمان لأيام بقين من ذي الحجة سنة ٣٥

(٤) في تاريخ خليفة ٢١٤/١ أقام الحج عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ويقال : عبد الله .

(٥) في تاريخ الطبري ٩٢/٥ « عبيد الله » .

(٦) في تاريخ خليفة ٢٢٦/١ : « وفيها بعث معاوية بن أبي سفيان يزيد بن شجرة الرهاوي ليقيم الحج بالناس فنازعه قثم بن عباس فسفر بينهما أبو سعيد الخدري وغيره فاصطلحوا على أن يقيم الحج شيبة بن عثمان ويصلي بالناس . وفي تاريخ الطبري ١٣٦/٥ أقام الحج في هذه السنة عبيد الله أو عبد الله بن العباس .

ودخل معاوية الكوفة فبايع الناس في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، فحج بالناس عتبة بن أبي سفيان . ثم حج بالناس سنة إحدى وأربعين عتبة بن أبي سفيان [١] ، ثم حج بالناس سنة اثنتين وأربعين عتبة [٢] . ثم حج بالناس مروان بن الحكم سنة ثلاث وأربعين ، ثم حج بالناس معاوية ابن أبي سفيان سنة أربع وأربعين . ثم حج بالناس مروان بن الحكم سنة خمس وأربعين . ثم حج بالناس عتبة بن أبي سفيان سنة ست وأربعين . ثم حج بالناس عتبة سنة سبع وأربعين [٣] ، ثم حج بالناس مروان بن الحكم سنة ثمانٍ وأربعين [٤] . ثم حج بالناس سعيد بن العاص سنة تسع وأربعين . ثم حج بالناس معاوية [٥] بن أبي سفيان سنة خمسين . ثم حج بالناس يزيد بن معاوية سنة إحدى وخمسين [٦] . ثم حج بالناس يزيد بن معاوية سنة اثنتين وخمسين [٧] . ثم حج بالناس يزيد بن معاوية سنة ثلاث وخمسين [٨] . ثم حج بالناس مروان بن الحكم سنة أربع وخمسين ، ثم حج بالناس مروان

(١) في الطبري ٥/١٧١ ، والكامل ٣/٢١٩ وقيل عنبسة بن أبي سفيان .

(٢) في الطبري ٥/١٨٠ « عنبسة بن ابي سفيان » .

(٣) في تاريخ خليفة ١/٢٤٤ « عنبسة بن أبي سفيان » ، وفي الطبري ٥/٢٣٠ ، والكامل ٣/٤٥٣ حج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان وقيل عنبسة .

(٤) في تاريخ خليفة ١/٢٤٥ أقام الحج في هذه السنة سعيد بن العاص .

(٥) في الطبري ٥/٢٤٠ معاوية أو يزيد .

(٦) في تاريخ خليفة ١/٢٥٨ أن الذي حج بالناس في هذه السنة معاوية .

(٧) في تاريخ خليفة أن الذي أقام الحج في هذه السنة سعيد بن العاص وكذلك في الطبري ٥/٢٨٧

(٨) في تاريخ خليفة ١/٢٦٠ ، ٢٦٤ والطبري ٥/٢٩٢ ، أن الذي أقام الحج في هذه السنة سعيد بن العاص .

سنة خمس وخمسين . ثم حج بالناس سنة ست وخمسين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان . ثم حج بالناس أيضاً الوليد سنة سبع وخمسين . ثم حج بالناس أيضاً الوليد بن عتبة سنة ثمان وخمسين . وحج بالناس عثمان بن محمد بن أبي سفيان سنة تسع وخمسين [١] . ثم مات معاوية في رجب سنة ستين . وكانت خلافة معاوية تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر .

وبايع الناس يزيد بن معاوية ، فحج بالناس عمرو بن سعيد بن العاص سنة ستين . وقتل الحسين بن علي صلوات الله عليه لعشر ليالٍ خلون من المحرم سنة إحدى وستين ، وحج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان سنة إحدى وستين . وحج بالناس الوليد بن عتبة سنة اثنتين وستين [٢] . ومات يزيد لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وستين ، فكانت خلافته سنتان [٣] وثلاثة أشهر [٤] .

ثم [٥] وقعت الفتنة ، وحج بالناس عبد الله بن الزبير سنة ثلاث وستين قبل أن يبايع له الناس ، ثم بايع الناس سنة أربع وستين . وخربت الكعبة يوم السبت لثلاث ليالٍ خلون من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين . ثم حج بالناس عبد الله بن الزبير ثماني سنين ولاءً : سنة أربع وستين وخمس وستين وست وستين وسبع وستين وثمان وستين وتسع وستين وسنة سبعين وسنة إحدى وسبعين [٥] .

---

(١) في تاريخ خليفة أن الذي حج بالناس في هذه السنة محمد بن أبي سفيان .

(٢) في تاريخ خليفة ١/٢٨٨ « وأقام الحج سنة ٦٢ ـ عثمان بن محمد بن أبي سفيان »

(٣) كذا في الأصل .

(٤) في تاريخ خليفة ١/٣١٨ : « توفي أمير المؤمنين يزيد في سنة أربع وستين ليلة البدر في شهر ربيع الأول » .

(٥ ـ ٥) مابين الرقمين في تاريخ دمشق م ٩ ق ١٣٥ ب أخبار عبد الله بن الزبير .

ثم بايع الناس مروان بن الحكم فعاش سبعة أشهر ثم مات .

ثم بايع الناس عبد الملك بن مروان فحج بالناس الحجاج بن يوسف سنة ثلاث وسبعين وابن الزبير محصور ، فقتل ابن الزبير يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين [١] . وكانت الجماعة على عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين حين قتل ابن الزبير . وحج بالناس الحجاج سنتين ولاءً : سنة ثلاث وأربع وسبعين . ثم حج بالناس عبد الملك بن مروان سنة خمس وسبعين . ثم حج بالناس أبان بن عثمان ابن عفان سنة ست وسبعين [٢] وسنة سبع وسبعين . ثم حج الوليد بن عبد الملك سنة ثمان وسبعين . ثم حج بالناس أبان بن عثمان سنة تسع وسبعين وسنة ثمانين . وحج بالناس سليمان بن عبد الملك سنة إحدى وثمانين . ثم حج بالناس أبان بن عثمان سنة اثنتين وثمانين . ثم حج هشام بن إسماعيل المخزومي أربع سنين ولاءً : سنة ثلاث وأربع وخمس وست وثمانين . ومات عبد الملك بن مروان في النصف من شوال سنة سبع وثمانين يوم الخميس [٣] فكانت خلافة عبد الملك أربع عشرة سنة وخمسة أشهر إلا أربعة أيام [٤] .

حدثنا هارون بن حاتم [٥] ، نا رباح عن عبد السلام بن حرب عن ليث عن مجاهد قال :

---

(١) في تاريخ خليفة ٣٤٢/١ « قتل عبد الله بن الزبير يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة » .

(٢) لم يذكر خليفة أمر الحج سنة ٧٦. انظر التاريخ ٣٥١/١

(٣) في تاريخ خليفة ٣٨١/١ « وفي سنة ست وثمانين مات عبد الملك بن مروان » .

(٤) في تاريخ خليفة ٣٩٦/١ وكانت ولاية عبد الملك منذ اجتمع عليه ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً .

(٥) انظر الخبر في تاريخ ابن عساكر م٩ق ١٢٦ أخبار عبد الله بن الزبير .

بلغ ابن الزبير من العبادة مالم يبلغ أحد ، وجاء سيل فحال بين الناس وبين الطواف فجاء ابن الزبير فطاف بالبيت سَبُوعاً سباحة .

ثم بايع الناس الوليد بن عبد الملك سنة ثمان[١] وثمانين . ثم حج بالناس عمر بن عبد العزيز سنتين ولاءً سنة تسع وثمانين وسنة تسعين . ثم حج بالناس يعني الوليد بن عبد الملك - سنة إحدى وتسعين . ثم حج بالناس عمر بن عبد العزيز سنة اثنتين وتسعين وسنة ثلاث[٢] وتسعين . وحج بالناس مسلمة بن عبد الملك سنة أربع وتسعين . ثم حج بالناس بشر بن الوليد ابن عبد الملك سنة خمس وتسعين . ثم مات الوليد بن عبد الملك يوم السبت في النصف من جمادى الآخرة سنة[٣] ست وتسعين . فكانت خلافة الوليد ابن عبد الملك تسع سنين وثمانية أشهر[٤] .

ثم بايع الناس سليمان بن عبد الملك فحج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري سنة ست وتسعين ، ثم حج بالناس سليمان سنة سبع وتسعين . ثم حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد سنة ثمان وتسعين . ثم توفي سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة

---

(١) فوقها في الأصل ضبة . وفي تاريخ خليفة ٣٩٦/١ « ثم بويع الوليد بن عبد الملك في النصف من شوال سنة ست وثمانين » وهذا يتفق مع ما ورد عن وفاة عبد الملك في تاريخ خليفة .

(٢) في تاريخ خليفة ٤٠٦/١ في سنة ثلاث وتسعين قال : « وأقام الحج عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك » وكذلك في الطبري ٤٨٢/٦

(٣) في تاريخ خليفة ٤١٢/١ « في النصف من شهر ربيع الأول » .

(٤) في تاريخ خليفة ٤١٣/١ « وخمسة أشهر وأياماً » .

تسع وتسعين . فكانت خلافة سليمان بن عبد الملك سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام [١] .

وبايع الناس عمر بن عبد العزيز فحج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري سنتين : سنة تسع وتسعين وسنة مائة . ثم توفي عمر بن عبد العزيز رحمه الله لخمس ليال خلون [٢] من رجب سنة إحدى ومائة . فكانت خلافة عمر بن عبد العزيز سنتين وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً .

ثم بايع الناس يزيد بن عبد الملك فحج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك الفهري ثلاث سنين ولاءً : سنة إحدى ومائة وسنة اثنتين وسنة ثلاث ومائة . ثم حج بالناس عبد الله بن عبد الواحد النَّضْري سنة أربع ومائة ثم توفي يزيد بن عبد الملك لخمس ليالٍ بقين من شعبان سنة خمسٍ ومائة ، فكانت خلافة يزيد بن عبد الملك أربع سنين وشهراً .

ثم بايع الناس هشام بن عبد الملك فحج بالناس إبراهيم بن [٣] إسماعيل المخزومي سنة خمس ومائة . ثم حج بالناس هشام بن عبد الملك سنة ست ومائة . ثم حج بالناس إبراهيم بن هشام بن عبد الملك [٤] ست

---

(١) في تاريخ خليفة ٤٢٦/١ : « وعشرة أشهر ونصفاً أو تسعة أشهر ونصفاً .

(٢) في تاريخ خليفة ٤٦١/٢ « بقين » .

(٣) فوقها في الأصل ضبة ، وفي الهامش : «هو إبراهيم بن هشام بن إسماعيل » ولم يذكر خليفة أمر الحج في هذه السنة .

(٤) كذا في الأصل وفوق هذه اللفظة ضبة ، ولعلها إشارة إلى أن الصواب « إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي » كما في تاريخ خليفة ٤٩٢/٢ والطبري ٤٢/٧ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٨٧ . وقد تقدم على الصواب سنة ١٠٥

سنين ولاءً سنة سبع وثمان وتسع وعشر وإحدى عشرة واثنتي عشرة ومائة. ثم حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك سنة ثلاث عشرة ومائة. ثم حج بالناس خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية سنة أربع عشرة ومائة. ثم حج بالناس [١] محمد بن هشام بن إسماعيل سنة خمس عشرة ومائة. ثم حج بالناس [١] الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة سبع [٢] عشرة ومائة. ثم حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل سنة ثمان عشرة ومائة. وحج بالناس مسلمة بن عبد الملك سنة تسع عشرة ومائة. ثم حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل سنة عشرين ومائة، وسنة إحدى وعشرين ومائة وسنة اثنتين وعشرين ومائة. وحج بالناس يزيد بن هشام ابن عبد الملك سنة ثلاث وعشرين ومائة. وحج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل سنة أربع وعشرين ومائة [٣]. ثم توفي هشام بن عبد الملك يوم الأربعاء لست [٤] خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، فكانت خلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد وعشرين [٥] يوماً.

(١ - ١) استدرك مابين الرقمين بالهامش.

(٢) فوقها في الأصل ضبة، ومن الملاحظ أن المؤلف لم يذكر أمر الحج سنة ست عشرة ومائة، والذي في تاريخ خليفة ٥١٢/٢، ٥١٤ والطبري ٩٨/٧، ١٠٧ أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك حج بالناس سنة ست عشرة ومائة، والذي حج سنة سبع عشرة ومائة هو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم.

(٣) في الطبري ١٩٩/٧ الذي أقام الحج هذه السنة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك.

(٤) في تاريخ خليفة ٥٣٣/٢. « لثلاث ».

(٥) في تاريخ الطبري ٥٣٣/٢ « وأحد عشر ».

ثم بايع الناس الوليد بن يزيد بن عبد الملك فحج بالناس يوسف بن محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي سنة خمس وعشرين ومائة . وقتل الوليد لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، فكانت خلافة الوليد سنة واحدة وشهرين واثنين وعشرين يوماً .

ثم بايع الناس يزيد بن الوليد بن عبد الملك فحج بالناس عمر بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان سنة ست وعشرين ومائة (١) ثم مات يزيد ابن الوليد وكانت خلافة يزيد سنة واحدة .

ثم بايع الناس مروان بن محمد فحج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز سنتين ولاءً : سنة سبع وعشرين ومائة وسنة ثمان وعشرين ومائة . ثم حج بالناس عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك سنة تسع وعشرين ومائة . وحج بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان (٢) سنة ثلاثين ومائة ثم حج بالناس الوليد بن عروة بن عطية السعدي سنة إحدى وثلاثين ومائة . فكانت خلافة مروان خمس سنين . ثم انقضى ملك بني أمية .

حدثنا أبو بشر هارون بن حاتم ، نا يحيى بن عيسى الرملي عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ :

إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دَغَلاً (٣) ،

---

(١) لم يذكر خليفة أمر الحج في هذه السنة .وفي الطبري ٢٩٩/٧ أن الذي أقام الحج في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان .

(٢) في تاريخ خليفة ٥٩٧/٢ : محمد بن عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي ، تصحيف قارن مع الطبري ٤٠٢/٧

(٣) في لسان العرب « دغل » : « في الحديث : اتخذوا دين الله دغلاً » أي يخدعون الناس ... وقيل هو من قولهم : أدغلت في هذا الأمر إذا أدخلت فيه ما يخالفه ويفسده ،

وعباد الله خَوَلاً (١) ، وما َله دُوَلاً (٢) .

حدثنا أبو بشر قال : أملى علينا محمد بن فضيل بن غزوان نسبة النبي ﷺ :

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ ابن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كِنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان بن أُدَد بن أمتى (٣) بن شجة (٣) بن منجر بن صالوح (٣) بن الهميسع بن نبيت بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروخ بن أرغوا بن بالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشاد (٣) بن سام بن نوح بن لمك بن متّوشلح بن أخنوخ بن يَرْد بن مهابيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ﷺ .

قال : ومتو شلح هو إدريس النبي ﷺ . قال : واسم أم النبي ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة . واسم أم آمنة برة بنت عبد العزى (٣) بن غنم (٤) بن عبد الدار بن قصي بن كلاب (٥)

---

(١) الخول : العبيد ، والخدم ، يقال : هؤلاء خول فلان إذا اتخذهم كالعبيد وقهرهم اللسان : « خول » .

(٢) جمع دُولة - بضم الدال ، وهو مايتداول من المال فيكون لقوم دون قوم اللسان : « دول » .

(٣) فوقها في الأصل ضبة .

(٤) فوقها في الأصل ضبة ، وبعدها كلمة « عثمان » معترضة بين السطرين .

(٥) يختلف النسب هنا اختلافاً كبيراً بعد عدنان عما هو عليه في كتب التاريخ والسيرة وقد قال محقق سيرة ابن هشام في حاشية حـ ١ ص ١ :« كره مالك وجماعة من العلماء أن يرفع الرجل نسبه إلى آدم من قبل أن هذا كله من باب التخريص والظنون التي لا يمكن أن يوثق بها ، ثم إن هذه الأسماء المذكورة قد اختلف فيها وفي ضبطها اختلافاً كبيراً » .

واسم أم عبد الله أبي النبي ﷺ فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة [١] بن مرة بن كعب . وأم عبد المطلب جدّ النبي ﷺ سلمى بنت عدي بن زيد من بني النجار .

حدثنا هارون بن حاتم ، نا أبو بكر بن عياش ، قال :

قبض رسول الله ﷺ وله ثلاث وستون ، وقبض أبو بكر وله ثلاث وستون وقبض عمر بن الخطاب وله ثلاث وستون ، وقتل علي بن أبي طالب [٢] وله ثلاث وستون .

قال أبو بشر : وسمعت غير أبي بكر بن عياش يقول :

قتل علي بن أبي طالب [٢] وله ثمان وخمسون سنة .

حدثنا أبو بشر ، أنا يحيى بن أبي عتبة ، قال :

مات العباس بن عبد المطلب سنة تسع وعشرين [٣] وله ست وثمانون سنة ، وكان أسن من النبي ﷺ بأربع سنين . قال : ومات عبد الرحمن بن عوف سنة إحدى وثلاثين [٤] / وله ثلاث وستون .

قال أبو بشر ، قال يحيى بن أبي عتبة :

ومات عبد الله بن مسعود سنة ثلاث وثلاثين [٤] وله ثلاث وستون .

قال أبو بشر : نا محمد بن يعلى قال :

قتل عثمان وله نيف وثمانون .

قال أبو بشر : ونا الفضل بن عمرو قال :

مات مسروق وله ثلاث وستون .

قال أبو بشر : نا عبد الرحمن بن هانيء النخعي ، قال :

---

(١) لانقط في الأصل ، وهو كذا في جمهرة الأنساب ١٥ ، ١٤١

(٢ — ٢) استدرك مابين الرقمين في هامش الأصل .

(٣) في تاريخ خليفة ١٧٩/١ مات العباس سنة ثلاث وثلاثين .

(٤) في تاريخ خليفة ١٧٧/١ سنة اثنتين وثلاثين فيها مات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود .

مات علقمة بن قيس سنة اثنتين وسبعين وله تسعون سنة .

حدثنا هارون ، نا عبد الرحمن بن هانيء ، قال : مات الأسود سنة خمس وسبعين وله خمس وثمانون .

قال أبو بشر : ونا أصحابنا قالوا : مات عمرو بن ميمون الأودي سنة أربع وسبعين .

حدثنا هارون ، نا عبد الله بن مراد[١] المرادي السلماني عن النعمان بن قيس قال : مات عبيدة السلماني سنة اثنتين وسبعين وله خمس وثمانون سنة وأوصى أن يصلي عليه الأسود بن يزيد .

حدثنا هارون ، نا الفضل بن عمرو قال : قتل عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبو البختري الطائي وعبد الله بن شداد بدُجَيْل[٢] سنة إحدى وثمانين .

قال أبو بشر : وحدثنا الفضل قال : مات سويد بن غَفَلَة[٣] سنة إحدى وثمانين وله عشرون ومائة سنة .

حدثنا هارون ، نا الفضل بن دكين قال : مات ربعي بن حراش سنة إحدى ومائة .

---

(١) فوقها في الأصل ضبة ، ولعله يريد أن الصواب كليب ، فالذي يصح في مكانه عبد الله بن كليب بن كيسان المرادي ، أبو عبد الملك البصري توفي سنة ١٩٣ ، فهو من طبقة شيوخ هارون . انظر التهذيب ٥/٣٧٠

(٢) هو دُجَيل الأهواز وكانت قريباً منه معركة دير الجماجم التي اتفق على أنها حصلت سنة اثنتين وثمانين ، وذكر خليفة وغيره أن أبا البختري قتل في المعركة وأن الآخرين افتقدا . انظر تاريخ خليفة ١/٣٦٦ ، والتهذيب ٦/٢٦٠ ، ومعجم البلدان « دجيل » .

(٣) « غَفَلَة » بفتح المعجمة والفاء واللام ، انظر التهذيب ٤/٢٧٨ ، والخلاصة ١٥٩ والضبط فيه .

وحدثنا هارون ، نا عبد الرحمن بن هانىء قال : مات إبراهيم النخعي سنة ست وسبعين .

قال أبو بشر : ونا وهب بن اسماعيل الأسدي قال : قتل سعيد بن جبير سنة خمس وتسعين .

قال أبو بشر : نا الفضل بن دكين قال : مات طلحة بن مُصَرِّف سنة ست ومائة [١] .

قال أبو بشر : ونا الفضل قال : مات أبو بردة قبل طلحة بن مصرّف بأيام .

قال أبو بشر : نا غير واحد من أصحابنا أن شريحاً القاضي مات سنة ثمانين

قال أبو بشر : نا أصحابنا أن ربعي بن حراش مات سنة إحدى وثمانين وكان ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو بن بجاد العبسي .

حدثنا هارون ، نا عمرو بن شبيب المسلي قال : مات الشعبي سنة أربع ومائة .

حدثنا هارون ، نا محمد بن كثير القرشي عن ليث قال : مات طاوس سنة ست ومائة .

وعن ليث قال : مات مجاهد سنة سبع ومائة [٢] .

حدثنا هارون ، نا عبد الله بن إدريس قال : سألت شعبة متى مات الحسن وابن سيرين قال : ماتا جميعاً في سنة عشرين [٣] ومائة ، بينهما مائة يوم مات الحسن قبل .

---

(١) أورده خليفة ٢/٥٠٦ في وفيات سنة ثلاث عشرة ومائة ، وانظر تاريخ ابن عساكر « الجزء عاصم ـ عايذ » ٣٩٢

(٢) ذكره خليفة ٢/٤٧٩ في وفيات سنة ١٠٤

(٣) كذا في الأصل وفوقها ضبة ، وفي تاريخ خليفة ٢/٤٩٨ أنهما ماتا سنة ١١٠

حدثنا هارون ، نا ابن ادريس قال : سألت شعبة متى مات الحكم ؟ قال : سنة خمس [١] عشرة ومائة . قال ابن إدريس : وفيها ولدت .

حدثنا هارون ، نا يحيى بن مساور عن أبي الجارود قال : مات أبو جعفر محمد بن علي سنة ست عشرة ومائة .

قال أبو بشر : نا مصعب عن ابن جريج ، قال : مات عطاء بن أبي رباح سنة ست عشرة ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا أصحابنا ، قال : مات حبيب بن أبي ثابت سنة تسع عشرة ومائة .

قال أبو بشر : وسألت عمر بن عبيد متى مات حماد بن أبي سليمان ؟ قال : سنة عشرين ومائة .

حدثنا هارون ، نا أصحابنا قالوا : مات سَلمَة بن كُهَيل الحضرمي سنة ثلاث وعشرين ومائة [٢] .

قال أبو بشر : سألت مفضل بن صالح متى مات جابر الجعفي ؟ قال : سنة سبع وعشرين ومائة .

قال : وسألته متى مات أبو إسحاق ؟ ، قال : بعده بسنة سنة ثمان وعشرين ومائة .

حدثنا أبو بشر ، ثنا عَبيدة بن حميد قال : مات منصور بن المعتمر سنة إحدى وثلاثين ومائة .

حدثنا أبو بشر نا إسماعيل بن علية قال : مات أيوب السختياني سنة إحدى وثلاثين ومائة .

---

(١) كذا في الأصل وفوقها ضبة ، ولعله يريد الحكم بن عتيبة العجلي وقد ذكر خليفة ٥٠٨/٢ وفاته سنة ١١٣

(٢) في تاريخ خليفة وفاته سنة ١٢٢

حدثنا أبو بشر وسألت عَبيدة بن حميد متى مات عبد العزيز بن رُفيْع ؟ قال : سنة ثلاثين ومائة [١] .

قال أبو بشر : وسألت عبيدة ، متى مات أبو الزعراء ؟ قال : سنة تسع وعشرين ومائة .

وسألت عَبيدة ، متى مات نوير بن أبي فاختة ، فقال سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

وسألت عَبيدة ، متى مات عمار الدُّهني [٢]؟ ، قال : مات عمار الدُّهني وعبد الملك بن عمير سنة ثلاث وثلاثين ومائة .

حدثنا هارون ، نا محمد بن فضيل قال : مات مغيرة بن مُقْسم سنة ثلاث وثلاثين ومائة [٣] .

حدثنا هارون ، نا محمد بن فضيل قال : مات عطاء بن السائب سنة أربع وثلاثين ومائة [٤] .

حدثنا هارون ، نا ابن فضيل قال : مات حصين بن عبد الرحمن سنة ست وثلاثين ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا ابن فضيل قال : مات يزيد بن أبي زياد سنة سبع وثلاثين ومائة .

---

(١) أورده خليفة ٢/٦٠٤ في وفيات سنة ١٣١

(٢) الدُّهني : بضم أوله وسكون الهاء بعدها نون ـ نسبة إلى « دُهن » قبيلة من بجيلة . انظر التاريخ الكبير ٧/٢٨ ، والأنساب ، واللباب ، والتهذيب ٧/٣٠٦ ، والتقريب ٣٧٥

(٣) ذكره خليفة ٢/٦٢٧ في وفيات سنة ١٣٤

(٤) ذكره خليفة ٢/٦٣٥ في وفيات سنة ١٣٦

حدثنا هارون ، نا أسباط بن محمد قال : مات أبو إسحاق الشيباني سنة ثمان وثلاثين ومائة [١] .

حدثنا هارون ، نا أسباط بن محمد قال : مات ليث بن أبي سليم سنة ثمان وثلاثين ومائة .

حدثنا هارون ، نا ابن علية قال : مات أبو عبد الله الشقري سنة تسع وعشرين ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا يحيى بن ميمون بن عطاء التمار - بصري [٢] - قال : مات علي بن زيد سنة تسع وعشرين ومائة [٣] .

حدثنا هارون ، نا يحيى بن ميمون بن عطاء قال : مات ثابت البُناني قبل علي بن زيد بسنة .

حدثنا أبو بشر - نا عبيد الله بن سفيان بن عبد الله بن رواحة الغُداني من بني يربوع ثم من بني تميم قال : مات يونس بن عبيد سنة أربع وثلاثين ومائة [٤] .

قال أبو بشر : ثنا عبيد الله بن سفيان قال : مات خالد الحذاء سنة سبع وأربعين ومائة [٥] .

---

(١) أورده خليفة ٦٤١/٢ في وفيات سنة ١٤٠

(٢) قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج ٤ ق ١٨٨/٢ « بغدادي » وقد عقب الخطيب على قوله في التاريخ ١٢٤/١٤ : « قلت : ولم يكن بغداديا وإنما كان من أهل البصرة وسكن بغداد » . وهو البصري أيضاً في ميزان الاعتدال ٤١١/٤

(٣) أورده خليفة ٦٠٣/٢ في وفيات سنة ١٣١

(٤) أورده خليفة ٦٤٠/٢ في وفيات سنة ١٣٩

(٥) أورده خليفة ٦٤٤/٢ في وفيات سنة ١٤٢

حدثنا أبو بشر ، نا مسعدة الباهلي قال : مات هشام بن حسان سنة ست وأربعين ومائة [١] .

حدثنا أبو بشر ، ونا أصحابنا قالوا : مات ابن أبي خالد سنة ست وأربعين ومائة .

قال أبو بشر : سألت أبا قطن عمرو بن الهيثم ، متى مات عبد الله بن عون ؟ قال سنة خمسين [٢]. قال : وفيها مات أبو حنيفة .

حدثنا أبو بشر ، حدثنا دُبيس الملائي قال : مات علي بن صالح سنة اثنتين وخمسين [٣] .

قال أبو بشر : نا دُبيس بن حميد الملائي ، قال : مات إسرائيل بن يونس سنة إحدى وستين ومائة [٤] .

قال أبو بشر : نا دُبيس قال : مات سفيان بن سعيد سنة اثنتين وسبعين ومائة .

قال أبو بشر : نا دُبيس قال : مات جعفر الأحمر سنة سبع وستين ومائة .

قال أبو بشر: نا دُبيس قال : مات حسن بن صالح سنة سبع وستين ومائة.

قال أبو بشر : نا عبد الرحمن بن أبي حماد المقرىء قال : مات حمزة الزيات وعيسى الهمداني سنة ثمان وخمسين ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا أصحابنا منهم أبو عمرو الحضرمي قال : مات جعفر

---

(١) أورده خليفة ٢/٦٥٤ في وفيات سنة ١٤٧

(٢) ذكره خليفة ٢/٦٥٤ في وفيات سنة ١٤٧

(٣) أورده خليفة ٢/٦٦٣ في وفيات سنة ١٥٤

(٤) ذكره خليفة ٢/٦٨٦ في وفيات سنة ١٦٢

ابن سليمان سنة سبع وسبعين [1] ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا رباح بن خالد قال : مات شريك سنة سبع وسبعين ومائة [2] .

حدثنا أبو بشر ، نا نوفل [3] بن مطهر الضبي قال : مات حماد بن زيد سنة سبع وسبعين ومائة [4] .

قال أبو بشر : ومات إبراهيم بن الزبرقان التيمي [5] وموسى بن عيسى ابن موسى وابن السماك سنة ثلاث وثمانين ومائة . ومات عمرو بن يحيى الهمداني سنة ثلاث وثمانين ومائة ، ومات عبد الله بن مراد المرادي السلماني الذي روى عن النعمان بن قيس سنة ثلاث وثمانين ومائة . ومات هشيم بن بشير الواسطي ببغداد سنة ثلاث وثمانين ، ومات يحيى بن زكريا بن أبي زائدة بالمدائن سنة ثلاث وثمانين ومائة . ومات عباد بن العوام ببغداد سنة ثلاث وثمانين ، ومات عبد السلام بن حرب سنة سبع وثمانين ، وصلى

---

(١) اللفظة مصحفة في الأصل وفوقها ضبة وإشارة إلى الحاشية حيث الصواب « سبعين » . وجعفر بن سليمان هذا هو الضبعي وقد جعل خليفة ٧١٨/٢ وفاته سنة ١٧٨

(٢) ذكره خليفة ٧١٨/٢ في وفيات سنة ١٧٨

(٣) فوقها في الأصل ضبة ، وفي الحاشية « مؤمل » . وهو ابن مطهر أبو مسعود الضبي الكوفي ، روى عن أبي الأحوص ، روى عنه الحسن بن الربيع . انظر الجرح والتعديل ج ٤ ق ٤٨٨/١

(٤) ذكره خليفة ٧١٩/٢ في وفيات ١٧٩

(٥) في تاريخ البخاري ٢٨٦/١ : « إبراهيم بن الزبرقان أبو إسحاق الكوفي من بني تيم » الله ، وفي الجرح والتعديل ج ١ ق١/١٠٠ « التميمي » .

عليه عمران بن إسحاق الأشعثي ، ومات عمر بن عبيد الطنافسي في هذه السنة بعده بأشهر .

حدثنا أبو بشر ، نا ابن فضيل قال : مات ابن شُبْرُمة سنة أربع وأربعين ومائة . ومات يحيى بن يمان العجلي سنة ثمان وثمانين ومائة ومات عبدة بن سليمان سنة ثمان وثمانين ومائة . ومات يحيى بن عبد الملك بن حميد [(١)] ابن أبي غنيّة [(٢)] الخزاعي ، وكان مولى لطلحة الطلحات سنة ثمان وثمانين ومائة . ومات حميد بن عبد الرحمن الرواسي سنة تسع وثمانين ومائة [(٣)]. ومات أبو خالد الأحمر سنة تسعين ومائة . ومات عبيدة بن حميد سنة تسعين ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا محمد بن كثير القرشي عن ليث قال : مات طاوس وسالم بن عبد الله [(٤)] سنة ست ومائة وصلى عليهما هشام بن عبد الملك . ومات إسماعيل بن علية سنة ثلاث وتسعين ومائة .

قال أبو بشر : نا أبو معاوية قال : مات عمرو بن مرة الجَمَلي [(٥)] سنة ست عشرة ومائة .

قال أبو بشر : نا أصحابنا قالوا : مات جعفر بن محمد وزكريا بن أبي

---

(١) فوقها في الأصل ضبة .

(٢) بفتح المعجمة وكسر النون وتشديد التحتانية . انظر التهذيب ٢٥٢/١١ والتقريب ٣٩٣

(٣) ذكره خليفة ٧٣٩/٢ في وفيات سنة ١٩٢

(٤) ذكر خليفة ٤٩٣/٢ وفاة سالم سنة سبع ومائة .

(٥) الجَمَلي - بفتح الجيم والميم نسبة إلى جمل بطن من مراد . انظر الأنساب واللباب ، والتهذيب ١٠٢/٨ .وفي تاريخ خليفة ٦٥٥/٢ وفاته سنة ١١٨

زائدة سنة ثان وأربعين [١] ومائة . ومات شعبة سنة إحدى وستين ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا عبيد الله بن موسى قال : مات محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى سنة ثمان وأربعين ومائة .

قال أبو بشر : نا أبو معاوية قال : مات الأعمش سنة ثمان وأربعين ومائة .

حدثنا أبو بشر : نا عبدة بن سليمان الكلابي قال : مات هشام بن عروة سنة ست وأربعين ومائة .

حدثنا هارون ، نا عبدة قال : مات ابن أبي خالد سنة ست وأربعين ومائة.

حدثنا أبو بشر ، أنا عبد الله بن نمير قال : مات عبدالملك بن أبي سليمان سنة سبع وأربعين [٢] ومائة .

قال أبو بشر : ومات ابن إدريس سنة اثنتين وتسعين ومائة في العشير وصلى عليه داود بن عيسى ، وكان أمير الكوفة يومئذ . ومات أبو بكر بن عياش سنة ثلاث وتسعين ومائة في شهر ربيع الأول وصلى عليه داود بن عيسى . ومات عائذ بن حبيب بياع الهروي [٣] سنة تسعين ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا دُبَيْس قال : مات قيس بن الربيع سنة سبع وستين ومائة [٤] . وفلج حفص بن غياث حين مات ابن إدريس فمكث في البيت إلى سنة أربع وتسعين ومائة ثم مات سنة أربع وتسعين ومائة في في العشير وصلى عليه الفضل بن العباس ، وكان امير الكوفة يومئذ .

---

(١) أورده خليفة ٢/٦٥٦ في وفيات سنة ١٤٩

(٢) أورده خليفة ٢/٦٥١ في وفيات سنة ١٤٥

(٣) انظر التهذيب ٥/٨٨

(٤) أورده خليفة ٢/٦٩٢ في وفيات سنة ١٦٨

قال أبو بشر : ومات ابن فضيل في سنة خمس وتسعين ومائة في صفر يوم جمعة وأخرج بالمشي وصلى عليه عبد الملك بن عيسى . قال : ومات أبو معاوية بعد ابن فضيل بثمانية وأربعين يوماً وصلى عليه الفضل بن العباس . ومات عبد الرحمن بن محمد بن زياد بن ملحان المحاربي يوم الاثنين آخر يوم من شهر ربيع الآخر بعد أبي معاوية بثمانية عشر يوماً ، وصلى عليه عبد الرحيم ابنه . قال : ومات محمد بن إسماعيل بن رجاء الزبيري سنة ثمانٍ وتسعين ومائة . ومات زيد بن الحباب[1] بن مسلم بن زياد بن ريان[2] العكلي في سنة إحدى ومائتين . ومات أبو أسامة في سنة اثنتين ومائتين . ومات محمد بن عبيد الطنافسي في سنة خمس ومائتين . مات جعفر بن عون سنة ست ومائتين . مات حسين الجعفي يوم الأحد في أول يوم من ذي القعدة وكان يوم النيروز في سنة ثلاث ومائتين . ومات أبو داود الحفري[3] ـ وإنما كان من بني فزارة ـ في سنة ثلاث ومائتين . ومات محمد بن بشير العبدي سنة ثلاث ومائتين . ومات عبد الرحمن ابن أبي حماد سنة ثلاث ومائتين . ومات داود بن يحيى بن يمان سنة ثلاث ومائتين . ومات عبيد الله بن موسى سنة ثلاث عشرة ومائتين . ومات قبيصة بن عقبة السوائي سنة خمس عشرة ومائتين . ومات الفضل بن دكين سنة تسع عشرة ومائتين .

---

(١) أورده خليفة ٧٦٦/٢ في وفيات ٢٠٣

(٢) كذا في الأصل وفوق هذه اللفظة والتي قبلها ضبة ، وهو زيد بن الحباب بن الريان أبو الحسين العكلي بضم العين المهملة وسكون الكاف وكسر اللام هذه النسبة إلى عكل بطن من تميم ـ توفي سنة ثلاث ومائتين . انظر الجرح والتعديل ج ١ ق ٥٦١/٢ ، والأنساب ، والتهذيب ٤٠٣/٣

(٣) هو عمرو بن سعد الكوفي ، وقد ذكره خليفة ٧٦٩/٢ في وفيات ٢٠٦ ، وانظر الكنى لمسلم ٥٩

قال أبو بشر : ونا نوفل بن [1] مطهّر قال : مات مالك بن أنس سنة سبع وسبعين ومائة [2] .

قال أبو بشر : ومات أسباط بن محمد في سنة تسع وتسعين ومائة [3] في أيام أبي السرايا .

قال : ومات عبد الله بن نمير في جمادى سنة تسع وتسعين ومائة ، قبل خروج أبي السرايا قال : ومات يونس بن بكير بعد ابن نمير بأيام في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين ومائة .ومات جنادة بن أسلم السوائي سنة سبع وتسعين ومائة . ومات رباح في ذي القعدة سنة أربع وتسعين ومائة . ومات أحمد بن بشير في المحرم سنة سبع وتسعين ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا رباح قال : سألت سفيان بن عيينة ، متى مات الزهري ؟ قال : سنة ثلاث وعشرين ومائة [4] ، وفيها قتل زيد بن علي .

قال أبو بشر : وسألت حسين الجعفي متى قتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ؟ قال : سنة خمس وأربعين ومائة .

قال أبو بشر : وحدثني أبو عمران الأحول قال : قتل الحسين بن علي صاحب فخ [5] بفخ يوم التروية سنة تسع وستين ومائة .

---

(١) كذا في الأصل وفوقها « صح » وقد تقدم التعريف به في ص ٨

(٢) ذكره خليفة ٧١٩/٢ في وفيات سنة ١٧٩

(٣) في تاريخ خليفة ٧٦٣/٢ وفاته سنة ٢٠٠

(٤) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، ذكره خليفة ٥٣٢/٢ في وفيات سنة ١٢٤

(٥) « فخّ » بفتح أوله وتشديد ثانيه ـ وادٍ بمكة ، قتل فيه أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن ، وقد كان خرج من المدينة يدعو إلى نفسه . انظر تفصيل خبره في مقاتل الطالبيين ٤٣١ ، ومعجم البلدان .

قال أبو بشر : ونا أبو أسامة عن هشام بن عروة قال : أسلم الزبير وهو ابن ست عشرة سنة ، وقتل وله بضع وستون سنة . ومات عكرمة سنة سبع ومائة .

قال أبو بشر : نا محمد بن عبيد الطنافسي عن أبي خالد قال : رأيت زِرّ بن حبيش وله عشرون ومائة سنة ، ورأيت أبا عمرو الشيباني وقد أتى عليه بضع عشرة ومائة سنة . قال : ومات الشعبي وأبو بردة في سنة واحدة سنة أربع ومائة . وقال آخرون : سنة سبع ومائة . مات الضحاك بن مزاحم سنة خمس ومائة ، ومات سالم بن أبي الجعد في خلافة سليمان بن عبد الملك . ومات قتادة ونافع سنة ست عشرة [1] ومائة ، ومات زبيدة اليامي[2] سنة اثنتين وعشرين ومائة ، ومات محمد بن كعب القُرَظي سنة ثمان ومائة[3] .

قال أبو بشر هارون بن حاتم : سألت عَبيدة بن حميد ، ياأبا عبد الرحمن متى ولدت ؟ قال : سنة سبع[4] ومائة . وسألت أسباط بن محمد فقلت : ياأبا محمد ، متى ولدت ؟ قال : سنة خمس ومائة . وسألت محمد ابن فضيل فقلت : يا أبا عبد الرحمن متى ولدت ؟ قال : أنا وحيان بن علي سنة إحدى عشرة ومائة ، فقلت : مندل ؟ قال : مندل أكبر منا بدهر . وسألت عبد السلام بن حرب فقلت : يا أبا بكر متى ولدت ؟ قال : ولدت أنا وسفيان بن عيينة سنة خمس ومائة . وسألت أبا خالد الأحمر متى ولدت ؟

---

(١) ذكره خليفة ٢/٥١٤ في وفيات سنة ١١٧

(٢) في تاريخ خليفة ٢/٥٤٧ « زبيد الأيامي » ، وهو زبيد اليامي ويقال الأيامي. انظر التهذيب ٣/٣١٠

(٣) ذكر خليفة ٢/٥١٤ وفاته سنة ١١٧

(٤) كتبت في الأصل « تسع » وفوقها ضبة ، ثم صوبت في الهامش، كما أثبتنا .

قال : سنة أربع عشرة . وسألت أبا معاوية ، متى ولدت ؟ قال : سنة ثلاث عشرة ومائة . وسألت أبا معاوية متى ولد الأعمش ؟ قال : ولد سنة ستين ومات سنة ثمان وأربعين ومائة ومات وله ثمان وثمانون سنة . وسئل حفص ابن غياث وأنا أسمع عن مولده فقال : ولدت سنة سبع عشرة ومائة . وسألت سليم بن عيسى فقلت : يا أبا موسى متى ولدت ؟ قال : سنة سبع عشرة ومائة ليلة عرفة ، أنا ويعلى بن عبيد في ليلةٍ واحدة . وسألت عبد الله بن نمير فقلت : يا أبا هشام متى ولدت ؟ قال : سنة خمس عشرة ومائة ، وسألت الحسين بن علي الجعفي فقلت : يا أباعبد الله متى ولدت ؟ فقال : سنة تسع عشرة ومائة . وسألت عبد الرحمن بن أبي حماد قلت : يا أبا محمد متى ولدت ؟ قال : سنة إحدى وثلاثين ومائة . وسألت عبيد الله بن موسى ، متى ولدت ؟ قال : سنة سبع وعشرين ومائة .

قال أبو بشر : وسأل داود بن يحيى بن يمان وكيعاً وأنا أسمع فقال : يا أبا سفيان متى ولدت ؟ قال : سنة ثمان وعشرين ومائة . وولد سعيد بن المسيب لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب رحمه الله . وسألت أبا نعيم فقلت : يا أبا نعيم متى ولدت ؟ قال : سنة تسع وعشرين ومائة . وسألت يحيى بن يمان فقلت : يا أبا زكريا متى ولدت ؟ قال : سنة سبع[١] عشرة ومائة . وسألت يحيى بن أبي غَنِيَّة [٢] فقلت : يا أبا زكريا متى ولدت ؟ قال : سنة سبع عشرة ومائة .

قال أبو بشر : وسمعت منصور بن أبي نويرة الأسدي يقول لأبي بكر بن

---

(١) كتبت في الأصل « ثمان » وفوقها ضبة ، ثم صوبت في الهامش كما أثبتنا .

(٢) لم تتضح اللفظة في الأصل ، وهو يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غَنِيَّة ـ بفتح المعجمة وكسر النون وتشديد التحتانية ، انظر التهذيب ٢٥٢/١١ ، والتقريب ٣٩٣

عياش : يا أبا بكر ، متى ولدت ؟ قال : سنة خمس وتسعين [١] ، فجئت إلى دُبَيْس بن حُميد المُلائي فقلت : ياأبا عيسى سأل منصور بن أبي نويرة أبا بكر بن عياش متى ولدت ؟ فقال : سنة خمس وتسعين : فقال دُبَيْس : صدق ، ولد أبو بكر بن عياش وسفيان بن سعيد وشريك بن عبد الله في سنة خمس وتسعين فمات سفيان بن سعيد في سنة اثنتين وستين وله سبع وستون ، ومات شريك بن عبد الله سنة سبع وسبعين وله اثنتان وثمانون ، ومات أبو بكر بن عياش سنة ثلاث وتسعين وله ثمان وتسعون سنة .

حدثنا أبو بشر ، نا دُبَيْس بن حميد قال : ولد علي بن صالح والحسن بن صالح توماً في بطن [٢] وجعفر الأحمر وإسرائيل بن يونس سنة مائة ، فمات علي بن صالح سنة اثنتين وخمسين وله اثنتان وخمسون سنة ؛ ومات إسرائيل سنة إحدى وستين وله إحدى وستون سنة ، ومات الحسن بن صالح سنة سبع وستين وله سبع وستون سنة ، ومات جعفر الأحمر سنة سبع وستين وله سبع وستون سنة .

قال أبو بشر : نا أصحابنا منهم أبو نعيم قال : مات شريح بن هانىء وله مائة وعشر سنين .

حدثنا أبو بشر ، نا أبو نعيم قال : مات سويد بن غَفَلَة الجعفي وله مائة وعشرون سنة .

حدثنا أبو بشر ، نا أبو نعيم قال : مات زِرّ بن حُبَيْش الغاضري وله مائة وسبع وعشرون سنة . ومات أبو خالد الدالاني [٣] الوالبي وله مائة سنة .

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/٣٨٤ ، وفيه : « منصور بن أبي مويرة الأسدي » .
(٢) في متن الأصل : « في يوم فطر » وفوقها ضبة وثبت الصواب في الهامش .
(٣) استدركت اللفظ في الهامش .

قال أبو بشر : نا نصر بن حماد الواسطي الوراق قال : سألت هشيم متى ولدت ؟ فقال : في سنة أربع ومائة .

قال أبو بشر : وسألت علي بن عاصم ببغداد سنة سبع وثمانين ومائة فقلت : ياأبا الحسن متى ولدت ؟ فقال : سنة خمس ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا سويد بن عمرو الكلبي عن حماد بن سلمة عن علي ابن زيد عن سعيد بن المسيب قال : رفع الله عز وجل عيسى بن مريم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، ومات معاذ بن جبل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

حدثنا أبو بشر ، نا أبو معاوية ، عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب [1] قال : توفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وبقي بعده أبو بكر حتى بلغ ثلاثاً وستين ثم مات ، وبقي بعده عمر بن الخطاب حتى بلغ ثلاثاً وستين .

حدثنا أبو بشر ، نا حسين بن علي عن زائدة عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال : أنزل على النبي ﷺ وهو ابن أربعين سنة ، ثم مكث بمكة ثلاث عشرة سنة ، وكان بالمدينة عشراً فقبض وهو ابن ثلاث وستين.

حدثنا أبو بشر ، نا عبدة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب [1] أن النبي ﷺ أنزل عليه القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين ثم توفي وهو ابن ثلاث وستين .

حدثنا أبو بشر ، نا إسماعيل بن علية عن خالد الحذاء عن عمار مولى بني هاشم عن ابن عباس قال : توفي رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وستين سنة .

حدثنا أبو بشر ، نا الفضل بن دكين عن شريك عن أبي إسحاق قال : مات النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعلي أبناء ثلاث وستين ، وقتل عثمان وهو ابن نيف وسبعين [2] .

---

(١) فوقها ضبة .　　(٢) كذا في الأصل وفوقها ضبة .

حدثنا أبو بشر ، نا حسين الجُعْفي عن سفيان بن عيينة قال : سمعت الهذلي سأل جعفر بن محمد ، كم كان لعلي حين قتل ؟ قال : قتل وهو ابن ثمان وخمسين ، ومات بها الحسن . وقتل بها الحسين ، يعني ولهما هذا السن .

ما جاء في الأسماء والكنى

اسم أبي الهيثم بن التَّيِّهان **مالك بن التَّيِّهان** [١] . واسم أبي مسعود الأنصاري **عقبة بن عمرو** [٢] . واسم أبي أيوب **خالد بن زيد** [٣] . واسم أبي أمامة **أسعد بن زرارة** [٤] . واسم أبي بكرة **نُفَيْع** [٥] . اسم أبي طلحة **زيد بن سهل** [٦] . واسم عبد المطلب **شيبة** . اسم هاشم **عمرو** . اسم عبد مَناف **مغيرة** . اسم أبي بكر **عبد الله بن عثمان** [٧] . اسم أبي طالب **عبد مناف بن عبد المطلب** . اسم أم حبيبة زوج النبي ﷺ **رَمْلَة** [٨] . اسم أم سلمة **هند بنت أبي أمية** [٩] . اسم أبي عبيدة بن الجراح **عامر بن عبد الله بن الجراح** [١٠] . اسم أبي مَحْذورة **سمرة بن مِعْيَر** [١١] . اسم

---

(١) انظر الاستيعاب ٤/١٧٧٣ . وتيّهان : أوله تاء بعدها ياء مشددة معجمة باثنتين . انظر الإكمال ١/٥١٩

(٢) الاستيعاب ٤/١٧٥٦ (٣) الكنى لمسلم ل ٥ ، والاستيعاب ١٦٠٦

(٤) الكنى لمسلم ل ٧ والاستيعاب ٤/١٦٠٠ (٥) الكنى لمسلم ٥٠

(٦) الكنى لمسلم ل ٧١ ، والاستيعاب ٤/١٦٩٧ (٧) الكنى لمسلم ل ٤٨

(٨) الاستيعاب ٤/١٩٢٩ (٩) الاستيعاب ٤/١٩٣٤

(١٠) الكنى ل ٨٢ ، والاستيعاب ٤/١٧١٠ ، وتاريخ ابن عساكر « عاصم ـ عايذ » ٢٥٩

(١١) الكنى لمسلم ل ٩٧ ، والاستيعاب ٤/١٧٥١ ، وفيه أنه مختلف باسمه

أبي بَرْزة نَضْلة **بن عبد الله** (١) . اسم أم ابن عباس **لبابة بنت الحارث الهلالية** (٢) . اسم ام هانىء بنت أبي طالب **هند** (٣) . اسم أبي دجانة الأنصاري **سِماك بن خَرَشة** (٤) . اسم أبي قرة الكندي **سلمة بن معاوية** . اسم أبي قتادة الأنصاري **الحارث بن ربعي بن بلدمة** (٥) . اسم أبي أمامة **الصدي بن عجلان** (٦) . اسم أبي سعيد الخدري **سعد بن مالك** (٧) . اسم أبي جُحَيْفة السُّوائي **وهب بن وهب** (٨) . اسم أبي موسى الأشعري **عبد الله بن قيس** (٩) اسم أبي هريرة الدَّوْسي **عبد شمس** (١٠) . اسم أبي الدرداء **عويمر بن عامر** (١١) اسم أبي ذر **جُنْدَب بن جُنادة بن الوقيعة بن عمرو بن غفارة** (١٢) . اسم أبي عبد الرحمن السلمي **عبد الله بن حبيب** (١٣) . اسم أبي البختري الطائي **سعيد بن فيروز** (١٤) ، وكان مولاهم . اسم الشعبي **عامر بن شراحيل** . اسم أبي لهب **عبد العزى** (١٥) .

---

(١) الكنى لمسلم ٥٠ ، وفيه « نضلة بن عبيد الله » والاستيعاب ٤/١٦١٠ ، وقد ذكر الخلاف في اسمه ورجح : « نضلة بن عبيد الله » .

(٢) الاستيعاب ٤/١٩٠٧

(٣) الاستيعاب ٤/١٩٦٣ ، اختلف في اسمها

(٤) الاستيعاب ٤/١٦٤٤

(٥) الكنى لمسلم ل٨٩ ، والاستيعاب ٤/١٧٣١ وفيه أنه مختلف باسمه .

(٦) الكنى لمسلم ل ٧ ، والاستيعاب ٤/١٦٠٢

(٧) الكنى لمسلم ٦٣ ، والاستيعاب ١٦٧١

(٨) الكنى ل ٥٢ ، وفيه « وهب بن عبد الله » ، والاستيعاب ٤/١٦١٩ ، وفيه « وهب بن عبد الله ، ويقال : وهب بن وهب » .

(٩) الكنى ل ٩٤ ، والاستيعاب ٤/١٧٦٢

(١٠) وكذلك في الكنى ل ١٠١ والاستيعاب ١٧٦٨ ، وفيه خلاف .

(١١) الكنى ل ٢٣ ، والاستيعاب ١٦٤٦

(١٢) الكنى ل ٦٠ ، والاستيعاب ١٦٥٢ وذكر خلافاً كبيراً في اسمه ونسبه .

(١٣) الكنى ل ٧٥

(١٤) الكنى ل ٥٠

(١٥) انظر جمهرة ابن حزم ١٧٦

اسم أبي المليح **عامر بن أسامة**[١] . اسم أبي سفيان **صخر بن حرب بن أمية**[٢] . اسم أبي الوداك **جبر بن نوف**[٣] . وكان اسم أبي المتوكل **علي بن دؤاد النّاجي**[٤] . اسم أبي سريحة الغفاري حذيفة ابن أسيد[٥] . وكان اسم أبي الكنود الأزدي **عبد الله بن عويمر**[٦] . وكان اسم أبي الأسود الدؤلي **ظالم بن عمرو بن سفيان**[٧] . وكان اسم أبي بردة بن أبي موسى الأشعري **عامر بن عبد الله بن قيس**[٨] . وكان اسم أبي خالد الوالبي **هرمز**[٩] وكان اسم أبي القمقـاع الحزامـي **عبد الله بن خالد** . وكان اسم أبي التـيّاح الضبعي **يزيد بن حميد**[١٠] . وكان اسم أبي عمران الجَوْني **عمر بن حبيب** . وكان اسم أبي تميمة الهجيمي **طريف بن مجالد**[١١] . وكان اسم أبي مسلم الخولاني **عبد الله بن عبدالله**[١٢]. و كان اسم أبي العجفاء السُّلمي **هرم**[١٣]

---

(١) الكنى لمسلم ل ٩٦ (٢) الكنى لمسلم ل ٦٦

(٣) الكنى لمسلم ل ١٠٠ ، والتهذيب ٢/٦٠ وقد اضطرب رسم الكنية في الأصل وهو جبر بن نوف الهمداني البـكالي أبو الوداك الكوفي ، روى عن أبي سعيد الخدري .

(٤) انظر الكنى لمسلم ٩٧ ، والمشتبه ٥١٥

(٥) الكنى لمسلم ل ٦٨ والمشتبه ١٢ (٦) الكنى لمسلم ٨٩

(٧) الكنى لمسلم ل ٦ (٨) الكنى لمسلم ل٩٤ ،و انظر تاريخ دمشق «عاصم ـ عايذ» ٣٨٠

(٩) الكنى لمسلم ل ٥٧

(١٠) الكنى لمسلم ل ٥٠ ،« والتياح » : بفتح التاء وتشديد الياء . انظر المشتبه ٥١٧

(١١) الكنى لمسلم ل ٥٠

(١٢) فوق « عبد الله » ضبة ، ولعله يريد أن الصواب « ثـوب » . فهو « عبد الله بن ثوب » على أصح الروايات . انظر الكنى لمسلم ٩٥ ، والإكمال ١/٥٦٨ والمشتبه ٨٠

(١٣) هو هرم بن نسيب السلمي . انظر التاريخ الكبير ٩/٦٢ ، والكنى لمسلم ل ٨٧ ، والتاج « عجف » ، وفي ذيل التاريـخ الكبير يقول ابن أبي حاتم ص ١٦٠ « أبو العجماء » بالميم . وفي الحاشية : « وقع في الكنى أبو العجفاء خطأ » . وهو « أبو العجماء » أيضاً في الجرح والتعديل ج ٤ ق ٢/٤٢٠

وكان اسم أبي حازم المديني **سلمة بن دينار** [١].

قال أبو بشر : أخبرني بذلك محمد بن عبد الرحمن بن أبي مليكة .

وكان اسم أبي الزّناد **عبد الله بن ذكوان** [٢]. أخبرني بذلك سفيان ابن عيينة . وكان اسم أبي الحويرث **عبد الرحمن** [٣] **بن معاوية** . قال أبو بشر : أخبرني بذلك سفيان بن عيينة . وكان اسم أبي عاصم الغطفاني [٤] **علي بن عبيد الله** . أخبرني بذلك عَبيدة بن حميد . وكان اسم أبي نَضْرَة **المنذر ابن مالك** [٥] . وكان اسم أبي الصديق النّاجي [٦] **بكر** . وكان اسم أبي فروة الهمداني **عروة بن الحارث** [٧] . وكان اسم أبي فروة الجهني **مسلم بن سالم** [٧]. أخبرني بذلك حفص بن عمر [٨] بن أبي فروة .

بلغت من أول تاريخ هارون بن حاتم سماعاً ، والشيخ الإمام أبو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي ، وعلي بن أبي سعد بن إبراهيم الخباز في محرم سنة إحدى وعشرين وخمسمائة . وكتب علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي وصح وثبت ، والحمد لله وحده .

هذا آخره والحمد لله وحده

---

(١) الكنى لمسلم ل ٥٥ (٢) الكنى لمسلم ل ٦٣

(٣) في الأصل «عبد الله » وفوقها ضبة ، وقد صوبت في الهامش كما أثبتنا، والذي في كنى مسلم ٥٧ « أبو الحويرث عبد الرحمن بن معاوية » وكذلك في التهذيب ٨١/١٢ ، والتقريب ٤١٧

(٤) لم تنقط الغين في الأصل والتبس رسمها بالفاء ، والصواب ما أثبتناه انظر الكنى لمسلم ل ٨٣ ، والجرح والتعديل جـ ٣ ق ١٩٤/١

(٥) الكنى لمسلم ٩٩ ، وميزان الاعتدال ١٨١/٤

(٦) الكنى لمسلم ل ٧٠ والمشتبه ٥١٥ « الناجي » .

(٧) انظر الكنى لمسلم ل ٨٨ (٨) فوقها في الأصل ضبة .

المصـــادر

الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر . تحقيق علي محمد البجاوي ط . مصر .

الإشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق .

تاريخ دمشق لابن عساكر المطبوع (عاصم ـ عايذ) . تحقيق الدكتور شكري فيصل . ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٧ » والمخطوط المجلدة ٩ . أخبار « عبدالله بن الزبير » . نسخة دار الكتب الظاهرية .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي . ط الخانجي . القاهرة ١٣٤٩هـ = ١٩٣١م

= خليفة بن خياط . تحقيق سهيل زكار . ط دمشق ١٩٦٨ م

= الطبري . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط . دار المعارف . مصر ١٩٦٧

التاريخ الكبير للبخاري . ط . حيدر آباد الدكن .

تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ط الهند ١٣٢٥ هـ

الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ط حيدر آباد الدكن الهند ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م

جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي . تحقيق عبد السلام محمد هارون . ط . دار المعارف بمصر ١٣٨٢ = ١٩٦٢هـ م

خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي . مكتب المطبوعات الإسلامية ١٣٩١ هـ ١٩٥٢ م

سير أعلام النبلاء للذهبي مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق .

الكامل في التاريخ لابن الأثير . ط . دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥م
لسان الميزان لابن حجر العسقلاني . حيدر آباد الدكن الهند ١٣٢٩ م
الكنى والأسماء لمسلم بن الحجاج القشيري . مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق
المشتبه في أسماء الرجال للذهبي . ط . ليدن - بريل .
المغني في الضعفاء للذهبي . تحقيق الدكتور نور الدين العتر .
ميزان الاعتدال للذهبي تحقيق علي محمد البجاوي . دار إحياء الكتب العربية القاهرة . ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣



التعريف والنقد

شعر عبد الله بن معاوية

جمع الأستاذ عبد الحميد الراضي - ص ١١٥ - قطع كبير
طبع مؤسسة الرسالة ببيروت

الأستاذ عدنان مردم بك

إن شعر عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب شعر السادة النجب ، من ذؤابة هاشم ؛ إذ يدور أكثره على الفخر والحماسة والحكمة ، ويترفع عن لغو القول ، وعن الساقط المرذول ؛ وليس ثمت مايستدعي العجب في ذلك ، وعبد الله هو من علمت في كرم المحتد ، ورفعة الحسب .

اشتهر هذا الشاعر بين الناس بالمروءة ونبل الأخلاق ، ولشدّ ما أجله الناس ، حتى بويع له بالخلافة ، في الفتنة التي اندلعت نارها مابين مروان ابن محمد وإبراهيم بن الوليد ، مما شجع الشاعر على أن يظهر للناس على المسرح السياسي سنة ١٢٧ للهجرة ، فجبى الأموال ، وضرب النقود باسمه ، ولم يزل الخليفة عند أكثر الناس ، حتى توجه لقتاله عامر بن ضبارة ومعن بن زائدة ، فلم يثبت لهما ، وفر إلى خراسان ، طمعاً بنصرة أبي مسلم الخراساني ، الذي أمر بحبسه ، ثم بقتله .

إن ما وصل إلينا من شعر عبد الله بن معاوية ، لايعدو نتفاً متناثرة ، حفظتها لنا كتب الأدب القديمة في بطونها ، وهذه النتف لاتتجاوز خمسين ومائة بيت من الشعر ، ومنها ماينسب إلى غيره ؛ والسبب في قلة

شعر هذا الشاعر يعود لأسباب عديدة ، منها أن عبد الله بن معاوية رحمه الله ، لم يدون شعره في حياته ، ومنها عدم تحمس الرواة لحفظ شعره وتدوينه حذراً من نقمه الأمويين عليهم ، يضاف إلى ذلك إغارة شعراء السوء على شعر هذا الشاعر وانتحالهم له .

والمتدبر لشعر عبد الله يطالع به سلامة الطبع ، وحسن انتقاء اللفظ ، مع موهبة شعرية جيدة ؛ وحسبنا أن نستشهد ببعض أبيات من شعره لذلك على صدق ماذهبنا إليه .

قال في الفخر :

أرى نفسي تتوق إلى أمور ويقصر دون مبلغهن مالي
فنفسي لاتطاوعني ببخل ومالي لايبلغني فعالي

وقال في الحكمة :

إن العدوَّ له عين يقلبها لايستطيع لما في القلب كتمانا
فالعين تنطق والأفواه صامتة حتى يرى من ضمير القلب تبيانا

ويقول في معرض آخر :

رأيت فضيلاً كان شيئاً ملففاً فكشّفه التمحيص حتى بدا ليا
أأنت أخي ما لم تكن ليَ حاجة فإن عرضت أيقنت أنْ لا أخا ليا

أبيات لعمري تنبىء عن مقدرة الشاعر على صوغ المقطعات الجيدة ، وعلى حسن رصف اللفظ والسبك الجيد ، مع تدفق ماء الطبع .

قد لايسمو شعر هذا الشاعر إلى درجة الفحول من الشعراء الذين انقطعوا لنظم الشعر وصقله وتهذيبه ، وليس في هذا ماحط من منزلة عبد الله بن معاوية الشعرية ، لأنه لم يكن شاعراً محترفاً ولم يكن من عبيد الشعر ، وإنما كان ينظم البيت أو القطعة الشعرية ، لخاطرة تمر ، أو لهاجس

يقع في نفسه ، وكان شأنه شأن الأمير أبي فراس الحمداني الذي يأنف أن يُقال عنه شاعر ، إذ لم ينظم الشعر إلاّ ليشيد بمناقب آبائه وأجداده وليترجم عن لواعج نفسه حينما أسره الروم .

أو ليس أبو فراس الحمداني هو القائل في قصيدته الرائية :

فخرت بأهلي وامتدحت عشيرتي وما أنا مدّاح ولا أنا شاعر

هذا وإن فيما قام به الأستاذ الراضي من جمع الأبيات المتناثرة في بطون الكتب ككتاب الأغاني وعيون الأخبار ومحاضرات الأدباء وكتاب نهاية الأرب وحماسة البحتري وغير ذلك من عشرات الكتب ، مايشير إلى الجهد الكبير الذي بذله ، إذ كان يعمد إلى كل بيت من شعر عبد الله أو كل قطعة كان أوردها في كتابه فيرتبه حسب تسلسل الأحرف الهجائية ، ويذكر في أسفل الصفحة التخريج ، وأحياناً يسطر اختلاف الرواية في الكتب التي نقل عنها مع الإشارة إلى المناسبة التي دعت لنظم البيت ، أو لنظم القطعة . وفي عمل الأستاذ الراضي هذا مايقدره له القارىء المنصف .

دمشق **عدنان مردم بك**

حول ديوان مسلم بن الوليد

الأستاذ محمد يحيى زين الدين

تعد الطبعة التي أصدرها المستشرق الهولندي ميخائيل ده خويه ، لديوان مسلم بن الوليد ، من أتم الطبعات استيفاء لشعر الشاعر ، وأخباره ، وقد بقيت هذه الطبعة من الديوان ، محل اعتماد الباحثين والمحققين فترة طويلة ، صدرت خلالها طبعات أخرى في القاهرة وبومباي ، ولكنها لم تكن لترقى إلى طبعة المستشرق ، أو لتضيف إليها شيئاً جديداً ، وإنما امتازت برداءة الإخراج ، والتحريف الواضح ، مما جعل الفائدة منها معدومة تقريباً . وفي أواخر الخمسينات ، أعاد الدكتور سامي الدهان ـ رحمه الله ـ نشر الديوان مرة أخرى ، معتمداً في ذلك على المخطوطة التي اعتمدها المستشرق الهولندي من قبله . وهي برواية أبي العباس الطبيخي ، أحد علماء الأندلس .

ولكن الطبيخي في صنيعه هذا لم يتعرض لجميع قصائد مسلم بن الوليد وإنما ألم بالمشهور منها ، كما أنه لم يعن بذكر هذه القصائد كاملة ، وإنما أسقط منها عدداً من الأبيات ، ولذا عمد المحقق إلى جمع ماتناثر من أبيات الشاعر مما لم يروه الطبيخي ، وجعل ذلك في قسم مفرد ، ولكنه لم يكلف نفسه عناء التثبت من صحة نسبتها ، سواء في الطبعة الأولى أو في الثانية للديوان وإنما بسطها للنقد والتمحيص كما يقول : « جعلنا ذيل الديوان لما جمعناه

من المصادر المخطوطة والمطبوعة ولم نقطع بأن الشعر لمسلم بن الوليد وإنما بسطناه للنقد والتمحيص [١] » .

وقد رأيت أن أستعرض في هذا المقال ، بعضاً من هذه المقطعات ، مبيناً صحة نسبتها ، كما رأيت أن أذكر بعض الأبيات التي لم ترد في صنعة الطبيخي أو ذيل الديوان .

وقد استحسنت أن أضم إلى ماجمعته بعض الأبيات التي أوردها المحقق في ذيل الديوان ، إن كانت تمثل جزءاً مما جمعته ، وهذا ما انتهيت إليه .

● غفل المحقق عن بعض أشعار مسلم بن الوليد ، وهي في جملتها ثمانية وعشرون مقطعة ، بلغ عدد أبياتها ١١٢ بيتاً ، وقد ألحقتُ في آخر المقال تخريجاً لهذه الأبيات ، بينت فيه عددها في كل مصدر ، كما حاولت أن أتبين صحة نسبتها معتمداً على أمهات الكتب والمراجع وهي :

● شجاني وأبلاني تذكرُ من أهوى ... وألبسني ثوباً من الضرِّ والبلوى [٢]

يدلُّ على مافي الضميرِ من الفتى ... تقلبُ عينيه إلى شخصِ من يهوى

وما كلُّ من يهوى هوًى هو صادقٌ ... أخو الحبِّ نضوٌ لايموتُ ولايحيى

خطبنا إلى الدهقانِ بعضَ بناتهِ ... فزوجنا منهن في خدرهِ الكبرى

ومازالَ يغلي مهرَها ويزيدُه ... إلى أن بلغنا منه غايتهُ القصوى

رحيقاً أبوها الماءُ والكرمُ أمها ... وحاضنها حرُّ الهجيرِ إذا يحمى

---

(١) ديوان مسلم بن الوليد : ٣٠٣

(٢) الأبيات في ديوان أبي نواس : ١١٨ - ١١٩ ، أما مانُسب منها إلى مسلم بن الوليد فهو : الأبيات ٤ - ٦ في قطب السرور : ٥١٤ ، والبيتان ٤ ، ١٠ في : ٥٩٨ - غير منسوبين - ، والأبيات ٩ - ١١ ، ١٥ ، ١٧ في روح الروح : ٢٠٩ / ١ ، والبيتان ٤ ، ١٠ في عيون التواريخ حوادث سنة « ٢٠٠ » ، وانظر الديوان : ٣٠٣ ، ق ٧٦ . ولعلها مما أضيف إلى أبي نواس .

لـها كنها دنٌّ به القارُ مشعَرُ | إذا برزتْ منه فليسَ لها مثوى
يهوديةُ الأنسابِ مسلمةُ القرى | شآميةُ المغدى عراقيةُ المنشا
مجوسيةٌ قد فارقت أهل دينها | لبغضتها النارَ التي عندهم تذكى
رأتْ عندنا ضوءَ السراج فراعها | فما سكنتْ حتى أمرنا به يطفى
وبينا نراها في الندامى أسيرةً | إذِ اندفعتْ فيهم فصاروا لها أسرى
إذا أصبحت أهدتْ إلى الشمسِ سجدة | وتسجدُ أخرى حين تسجد للمسرى
أميتتْ بلذاتِ الكؤوسِ نفوسهم | فأنفسهمْ أحيا وأجسادهم موتى
وساقٍ غريرِ الطرفِ والدلِّ فاتنٍ | ربيبِ ملوكٍ كان والدهمْ كسرى
حثثنا مغنينا على شربِ كأسهِ | فتدركه كأسٌ وفي كفه أخرى
فأمسكَ ما في كفهِ بشمالهِ | وأوما إلى الساقي ليسقيَ باليمنى
فشبهتُ كأسيهِ بكفيهِ إذْ بدا | سراجين في محرابِ قسٍّ إذا صلى
أديرا عليَّ الكأسَ تكشف البلوى | وتلتذَّ عيني طيبَ رائحةِ الدنيا
عقاراً كأنَّ البرقَ في لمعانها | تجلى لأبصارٍ فكادت به تعمى
إذا ما علاها الماءُ خلت حبابها | تفاريقَ درٍّ في جوانبها شتى
فتزدادُ عندَ المزجِ طيباً كأنها | إشارةُ من تهوى إلى كلِّ ما تهوى

● ألا ربَّ يومٍ صادقِ العيشِ نلتهُ | بها وندامايَ العفافةُ والنهى[1]

● فإنَّ الهوينى تخونُ الرجالَ | إذا ما الشدائدُ لم تُركبِ[2]
ولم أرَ كابنِ السرى والفلا | أمرَّ بعاقبةِ المطلبِ

● دارت عليهِ فزادت في شمائلهِ | لينَ القضيبِ ولحظَ الشادنِ الفردِ[3]

---

(١) روضة المحبين : ٣٧٠ ، وانظر الديوان : ٩١ ، البيت : ١٢

(٢) الحماسة البصرية ٤٨/٢

(٣) الأشباه والنظائر ٢١١/١ ، وانظر الديوان : ٨٠ ، ق ٨ . والبيت الأول منها في الحاشية .

مشيّته لما تمشت في مفاصله … لعب الرياح بغصن البانة الخضد

● ومشمولة مما تعتق بابل … كأن شعاع الشمس في كأسها انتشر[1]
سلافة كرم بنت خمسين حجة … إذا ما علاها الماء تقذف بالشرر
يطوف بها ساق أغن متوج … بوجنته خال وفي طرفه حور
عليه أكاليل من الآس رصعت … بأصناف ألوان الشقائق والزهر
فبت أسقاها بأنعم ليلة … معتقة حتى بدت غرة السحر

● أرادت رجوع القلب بعد انصرافه … وما علمت ما أحدثته المقادر[2]
يغر الفتى مر الليالي سليمة … وهن به عما قليل عواثر
فإن أعص ريعان الشباب فطالما … أطعت إليه الجهل والحلم وافر

● ويوم كأن الشمس فيه مريضة … من الدجن مطلول الضحى والظهائر[3]
جمعت له الأشتات من كل لذة … وأمسكت من أنفاسها بالمزاهر
ظللنا وما تنفك فينا ذبيحة … تمج نجيعاً من دماء المعاصر
رحيقاً تعالى في المزاج كأنه … شهاب غضى في كف ساع مبادر
وكأس يكون الماء حين يمسها … قذى ثم يعلوها بجثمان طائر
إذا دب فيها الماء قارن صعبة … جموحاً عليه سهلة في الحناجر

---

(١) قطب السرور : ٥٩٧ ، ولكنها لم تنسب فيه إلى مسلم بن الوليد صراحة وإنما وردت معطوفة على بعض أشعاره ، والمؤلف غالباً ما يُتبع ابيات الشاعر بأبيات أخرى من أشعاره مسبوقة بعبارة « وقال » .

(٢) البيتان ١ ، ٢ في البصائر والذخائر ٤٣٧/٢ ، والبيت الثاني في نهاية الأرب ٨٥/٣ ، والتمثيل والمحاضرة : ٨٢ ، ومحاضرات الأدباء ٣٩١/٤ - لم ينسبه الراغب - والبيتان ٢ ، ٣ في الحماسة البصرية ٤٢٨/٢ للعتابي .

(٣) قطب السرور : ٩١٩ ، والبيتان ٥ ، ٦ في كتاب الزهرة ٢٥٥/٢ بلا نسبة وانظر الديوان : ٣٢٢ ، ق ١٣٣

● سقّني من معتقات الخمور إنّ يومَ الاثنين يومُ سرورِ[1]
عاطفيها حمراءَ مثلَ دمِ الخشفِ عليها كاللؤلؤ المنثورِ
لاتطلْ حبسها عليّ وخذهـا واسقني واسقِ صاحبي بالكبيرِ
قد جعلنا الاثنين عيداً جديداً واتخذناهُ جنةَ الدهورِ

● لو كان يشبهُ جلدَ كلّ أبٍ لهُ لرأيتَ جلدتهُ كيمنةِ عبقرِ[2]
قبحتْ مناظرهُ فحينَ خبرتهُ حسنت مناظرهُ لقبحِ المخبرِ

● ولي صاحبٌ مازالَ يصبحُ رفدهُ وعيسي بلا منٍّ عليّ ولا كبرِ[3]
رأى أنّ شكري مستقلٌ ببذلهِ فربَّ بتمودٍ لابكيّ ولا نزرِ
متى أشكر النعمى وسهلٌ يربُّها سيعجزني لامن جحودٍ ولا كفرِ

● رأيتُ البواكي بعدَ طولِ عويلها نسينَ وما أنساكَ إلاّ على ذكرِ[4]
وذلكَ أنّ الجودَ شلّت يمينهُ غداةَ عدا ريبُ الزمانِ على بكرِ
أرادوا ليخفوا قبرهُ عن عدوهِ فطيبُ ترابِ القبرِ دلّ على القبرِ
فتىً لم يزلْ مذ شدّ عقدَ إزارهِ مُشيدَ فعالٍ أو مقيماً على ثغرِ
فتىً لم يكذّبْ فعلهُ نادباتهِ بما قلنَ فيهِ لاولا المادحَ المطري

---

(١) قطب السرور : ٦٢٣

(٢) الحماسة البصرية ٢/٢٨١ ، وفيه « وقال آخر وتنسب إلى مسلم بن الوليد » والبيت الثاني في المحاسن والمساويء : ٢٤٥ ، وبهجة المجالس ١/٥٢٢ ، والمنتحل : ١٤٠ ، والمصون في الأدب : ٢١ ، وديوان المعاني ١/١٨٢ ، والتمثيل والمحاضرة ٤٥٦ ، وكتاب الزهرة ٢/١٦١ ، وانظر الديوان : ٣٢١ ، ق ١٢٩

(٣) الأشباه والنظائر ١/١٤٨

(٤) الوحشيات : ١٤٣ ، والبيت الثالث في الإبانة عن سرقات المتنبي ٢٣٤ ، والصبح المنبي عن حيثية المتنبي : ٢٨٢ ، والمصون في الأدب : ١٧ ، والمحاسن والمساويء : ٢٤٥ ، وسرقات المتنبي ومشكل معانيه : ٦٨ ، ١٠٧ ، وانظر الديوان ٣٢٠ ، ق ١٢٦

● وبنتِ يهوديٍّ حضرتُ زفافها … وقد حلّيت دراً تزينُ به النحرا[١]

● يامنْ يلومُ على تحريقِ قرطاسِ … كم مرَّ مثلُكَ في الدنيا على راسي[٢]

الحزمُ تحريقهُ إنْ كنتَ ذا حذرٍ … وإنما الحزمُ سوءُ الظنِّ بالناسِ

فشقَّ قرطاسَ من تهوى صيانته … فربَّ مفتضحٍ في بطنِ قرطاسِ

إذا أتاكَ وقـــد أدى أمانته … فاجعلْ كرامتهُ في بطنِ أرماسِ

فشقَّ قرطاسَ من تهوى وكن حذراً … كم ضُيّعَ السرُّ في حفظٍ لقرطاسِ

● ضعيفةُ أثناء التهادي كأنمـــا … تخافُ على أحشائها أن تقطعا[٣]

تسيبُ انسيابَ الأيمِ أخصره الندى … فرفّعَ من أعطافـــهِ ما ترفعا

تأملتهـــا مفـــترةً فكأنما … رأيتُ بها من سُنّةِ البدرِ مطلعا

إذا ما ملأتُ العينَ منها ملأتهـا … من الدمعِ حتى تنزفَ الدمعَ أجمعا

● ولا خيرَ في ودِّ امرئٍ متكارهٍ … عليكَ ولا في صاحبٍ لاتوافقه[٤]

إذا المرءُ لم يبذلْ من الودِّ مثلما … بذاتُ لهُ فاءَ لمْ بأني مفارقـهْ

---

(١) عيون التواريخ حوادث سنة « ٢٠٠ » ، وقطب السرور : ٥٩٦ ، وانظر الديوان : ٤٤

(٢) ديوان أبي نواس ١/٣٥ - ٣٦ ، وانظر الديوان ، ٣٢٤ ق/١٣٩

(٣) الحماسة البصرية ٢/٢٢٠ ، والأشباه والنظائر ١/٢٠٦ ، والبيت الأول في ١/٤٥ ، والبيتان ١ ، ٢ في الحماسة ٣/٢٤٦ ، والبيتان ٣ ، ٤ في ٣/٢٤٨ ، والبيتان ١ ، ٢ في محاضرات الأدباء ٣/٣٠٨ للسعدي ? ، والشطر الثاني من البيت الثالث في محاضرات الأدباء ٣/٢٩٤ غير منسوب .

(٤) الأبيات ١ - ٣ من الديوان : ٣٣٠ ، والأبيات ٣ - ٥ في مجالس ثعلب ٢/٥٤٦ غير منسوبة ، والبيت الاول في ديوان المعاني ١/١٩٠ غير منسوب أيضاً والبيتان ٢و٣ ، ومعها بيت آخر في الحماسة البصرية ٢/٥٠ لنصيب بن رباح ، وانظر ديوان سحيم عبد بني الحسحاس : ٩٩ ، والبيت الثاني لطرفة بن العبد ضمن قصيدة مطولة في ديوانه : ١٤٦

فإنْ شئتَ فاصحبه فلاخيرَ عنده ... وإنْ شئتَ فاجعله صديقاً تماذقه

ولا خيرَ فيمن ليس يؤمنُ فجعهُ ... ولا يستقيمُ الدهرَ فينا خلائقه

فإنْ قرينَ السُوءِ ليسَ بواجدٍ ... لهُ راحةً ماعشتَ حتى تفارقه

● وكأنما كانَ النصيحُ ... ذمّ العزاءَ إليكَ حينَ نهاكا[1]

● عن غادةٍ مثلِ قرنِ الشمسِ ناعمةٍ ... بادٍ مخلخلها مرتجةِ الكفلِ[2]

كفاكمُ يابني العباسِ أنّ لكم ... سيفاً لغيرِكمُ مانكسٍ ولا وكلِ

● لهُ عطايا تردّ الروحَ نفحتها ... إلى النفوسِ وتحيي ميتَ الأملِ[3]

يهدي العفاةَ إليها قبلَ رغبتهم ... فيها ويغنيهمُ عن كلفةِ الرحلِ

● وخندريسٍ لها شعاعٌ ... ابنة خمسينَ ألفَ عامِ[4]

كأنها كوكبٌ منيرٌ ... والبدرُ في ليلةِ التمامِ

لو قربتْ بالظلامِ يوماً ... لانجابَ عنا دجى الظلامِ

تكسبُ شرّابها سروراً ... فما يُراعُون باهتمامِ

تضحكُ عن لؤلؤٍ شتيتٍ ... ألفهُ الماءُ في النظامِ

ماذقتها قطُّ غيرَ أني ... أمنحها الودّ بالكلامِ

حلت لي الكاسات حينَ دارت ... عليّ في سكرةِ المنامِ

● حلفتُ لئن لم تلقني سفهاؤها ... خزاعةُ والحيانِ عوفٌ وأسلمُ[5]

لأرتجعنْ الودّ بيني وبينها ... بقافيةٍ تفري العروق فتحسمُ

---

(١) سرقات أبي نواس : ٩٧

(٢) الوافي بالوفيات المجلد الثالث ، وانظر الديوان ق ١

(٣) الإبانة عن سرقات المتنبي : ١٦٧ ، وانظر الديوان ق ١

(٤) الوافي بالوفيات المجلد الثالث ، وعيون التواريخ حوادث سنة « ٢٠٠ » والأبيات الستة الأولى في ديوان أبي نواس : ١٥٢ ، ولعلها مما أضيف إليه .

(٥) رسائل الجاحظ ٣٦٦/١

من اللاءِ لايرجعنَ إلا شوارداً لهنّ بأفواهِ الرجـــال تهمهمُ
أصابوا حليماً فاستعدوا بجاهلٍ إذا الحلمُ لم يمنعكَ فالجهلُ أحزمُ

● ياصاحِ إنَّ أخاكَ الصبَّ مهمومُ فارفقْ بهِ إنَّ لومَ العاشقِ اللومُ[(١)]

● وفارقتُ حتى ما أبالي من انتأى وإن بانَ جيرانٌ عليَّ كرامُ[(٢)]
فقد جعلتْ نفسي على النأي تنطوي وعيني على هجرِ الحبيبِ تنامُ

● وليلة ماتَ اللهوُ إلاّ بقيــةً تداركها طيفٌ ألمَّ فسلَّمـــا[(٣)]
جمعنا معاذيرَ العتــابِ برقدةٍ مشت بيننا تطوي الحديثَ المكتَّما
تبسّم عن مثلِ الأقاحي تبسمتْ له مزنـــةٌ صيفيـــةٌ فتبسَّما
مزيدكِ عندي أن أقيكِ من الردى وإن كانَ شجواً أن أكونَ المقدما

● أصبحتُ مشتاقاً إلى وجهِ منْ كنتُ أراهُ بينَ يومينِ[(٤)]
وكنتُ لا أهجرهُ ساعةً فكيفَ صبري عنهُ شهرينِ
إني أرى الساعـــةَ شهراً إذا ماغبتَ واليومَ كحَوْلينِ

---

(١) البديع : ٣٢

(٢) كتاب الورقة : ٤٤ ، وفيه : « حدثني عبد الجبار بن سعيد بن سليمان المساحقي قال : ولاني الحسن بن زيد شرطته بالمدينة فقال لي يوماً قولاً كان جوابه مني خلاف ما أراد فقال : والله هممت أن أفارقك فراقاً لارجعة بعده . فقلت أيها الأمير إذاً أقول ـ ويقال الشعر لمسلم ، وقوم يقولون للمساحقي ـ وفارقت ... » وهما في مرآة الجنان ٤٤٩/١ لمؤرج بن عمرو السدوسي ، ونسبها الراغب الأصفهاني في كتابه محاضرات الأدباء ٧١,٣ إلى المتنبي .

(٣) الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ في طيف الخيال : ٥٥ ، والوافي بالوفيات المجلد الثالث ، وعيون التواريخ حوادث سنة « ٢٠٠ » . والأبيات ١ ، ٣ ، ٤ ، في البديع ٥٠ ، والبيت ٣ في الأشباه والنظائر ١٦٤/١ ، والديوان ٣٤٠ ، وفيه « وقيل إنه لابن المعتز » والصواب أنه لمسلم ، إذ أن ابن المعتز نسبه إليه في كتابه : البديع .

(٤) ديوان أبي نواس ٧٤/١

ما أقبحَ الهجرَ ولا سيما بينَ شقيقينِ صفيينِ
أدم لنا الوصلَ كما لم تزلْ لاتجعلِ الوصلَ بنصفينِ
اختبرتَ أقواماً علينا فلمْ لم تأخذِ الحبلَ برأسينِ

● أصبحتَ لي روحاً فيا منْ رأى من قبل ذا روحاً بجسمين (١)
قلبكَ قلبي والهوى واحدٌ صافٍ كما تعهدُ يازيني
لن يستطيعَ الهجرُ إفساد ما بينكَ ماعشتُ وما بيني
ولا أرى كالوصلِ في حسنهِ ولا أرى شراً من البينِ
ما غبتَ عن عيني وإن كنتَ قد غبتَ حبيبي أنتَ عن عيني
فالحمدُ لله على بخلكم غبتمْ ولما يقضَ لي ديني

● تركتَ صفاتِ الخيلِ والخيلُ معقلٌ وأصبحت في وصف البغالِ الكوادنِ (٢)
حننت إليها رغبةً في أيورها فدونكَ أيرَ البغلِ ياعبدَ مازنِ

● في المنى راحةٌ وإنْ عللتنا من هواها ببعضِ مالا يكون (٣)
مادعاني الهوى إليكِ ولكن باسمِ داعي الهوى عنتني المنون
أتراني سررتُ بعدكِ يوماً ليس قلبي إذاً عليكِ حزين
وإذا ماقنعتُ باليأسِ منها نصبتْ شبهةً علي الظنون

● هانتِ الدنيا عليهِ فهي نهبى في يديهِ (٤)
يصبحُ الجودُ ويمسي عاكفاً في راحتيهِ

● بيدت فيما تقدم أن المحقق قد ذكر في ذيل الديوان جملة من المقطعات المنسوبة إلى مسلم بن الوليد دون أن يبين صحة نسبتها . والواقع أن بعض

(١) ديوان أبي نواس ٧٥/١
(٢) رسائل الجاحظ ٣٢/٢
(٣) الأشباه والنظائر ٢٣٢/٢
(٤) محاضرات الأدباء ٥٧٩/٢

هذه المقطعات يكتنفها شك كبير في نسبتها إلى مسلم ، كما أن ثمة مقطعات أخرى يتنازعها مسلم بن الوليد وسلم الخاسر . ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض هذه المقطعات نسبت في محاضرات الأدباء ـ مطبوعة مصر ـ إلى مسلم ابن الوليد . بينما هي في مطبوعة لبنان منسوبة إلى سلم الخاسر . ولعل الأمر قد التبس على أحد الناشرَين : المصري أو اللبناني . ومرد ذلك سهولة تحريف لفظة مسلم إلى سلم . وقد بلغ عدد المقطعات المتنازعة ـ فيما أعلم ـ سبعاً وعشرين هي :

١ ق / ٨٠ : ٣٠٤

وبدرِ دجى يَمشي به غصنٌ رطبُ دنا نورهُ لكنْ تناولهُ صعبُ
إذا ما بدا أغرى به كلّ ناظرٍ كأنّ قلوبَ الناسِ في حبهِ قلبُ

البيتان لأبي بكر محمد بن هاشم الخالدي ، وهما في ديوان الخالديين : ١٥ ، وانظر محاضرات الأدباء ٥١٦/٤ ، ٢٩٦/٣

٢ ــ ق / ٨١ : ٣٠٥

هوىً يجـــدُّ وحبيبٌ يلعبُ أنتَ لقىً بينهمـــا معـذبُ

والبيت في طبقات الشعراء : ٤٣٤ لأبي نواس ، وفيه : « وتذاكر قوم في أغزل العرب فقال أحدهم : القائل هو أبو نواس ... » ، وانظر أيضاً المحاسن والمساوىء : ٢٤٥

٣ ــ ق / ٨٢ : ٣٠٥

إنّ المطيةَ لا يلذّ ركوبهـا حتى تذللَ بالزمامِ وتُركبـا
والحبّ ليس بنافـــعٍ أربابهُ حتى يفصلَ في النظامِ ويثقبـا

والبيتان في نساء الخلفاء : ٨٦ لفضل ، الشاعرة اليمامية وفيه : « جلبت فضل الشاعرة من البصرة فاشتراها رجل من النخاسين بعشرة آلاف درهم ،

فابتاعها محمد بن الفرج الرُّخَّجيّ ، فأهداها إلى المتوكل ، فكانت تجلس في مجلسه على كرسي تعارض الشعراء بحضرته ، فألقى عليها أبو دُلَف القاسم بن عيسى العجلي :

قالوا عشقتَ صغيرةً فأجبتهم   أشهى المطيِّ إليَّ مالم يركبِ

كم بين حبةِ لؤلؤٍ مثقوبةٍ   لُبِست وحبةِ لؤلؤٍ لم تثقبِ

فقالت فضل مجيبة له :

إنَّ المطيةَ لايلذُّ ركوبها   حتى تذلَّلَ بالزمامِ وتركبا

والحبُّ ليس بنافعٍ أربابهُ   حتى يؤلفَ بالنظامِ ويثقبا

وانظر كذلك محاضرات الأدباء ٣/٢٠٤ ، والمستطرف في كل فن مستظرف ١/٢٤٤ ، والمنتخب من كنايات الأدباء : ٢٣ ، والكناية والتعريض : ١٤ ، وديوان علي بن الجهم : ١١٢ ، والأغاني ١٩/٣٠١ ، ومرآة الجنان ١/٤٥٤

٤ - ق / ٨٨ : ٣٠٦

ياعنقَ الإبريقِ من فضةٍ   ويا قوامَ الغصنِ الرطبِ

هبكَ تجاسرتَ وأقصيتني   تقدرُ أن تخرجَ من قلبي

والبيتان في « المحمدون من الشعراء » ٢٣٧ لمحمد بن بركات النحوي ، وفيه : « قال ابن الزبير في الجنان - كتابه - : كان عالي المحل في النحو واللغة وسائر فنون الأدب ، منحطاً في الشعر إلى أدنى الرتب » . وانظر خريدة القصر - شعراء مصر - ٢/٤٢ ، وإنباه الرواة ٣/٧٨ ، ووفيات الأعيان ٧/٧٥ ، وبغية الوعاة ١/٦٠ ، وبعدهما :

وهبكَ صممتَ على هجرتي   رضيتُ أن أتلفَ في الحبِّ

واللهِ لو عذبتني جاهداً   ماقلتُ في حبي إذاً حسبي

٥ - ق / ٩٤ : ٣١٠

كأنه شلو كبشٍ والهواء لهُ تنورُ شاويةٍ والجذعُ سفودُ

والبيت في خاص الخاص : ٩٢، وروح الروح : ٣٠٤ ا لإبراهيم ابن المهدي .

٦ - ق / ٩٨ : ٣١١

يطولُ مع الرمحِ الرديني قامةً ويقصرُ عنهُ طولُ كلِّ نجادِ

والبيت لسلم الخاسر ، وهو في ديوانه : ٩٧ - ضمن « شعراء عباسيون » - وأمالي الشريف المرتضى ١/٥٧٢ ، ونسبه الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ٣/٢٨٥ ، إلى عمرو بن أحمر الباهلي ، وعنه أثبته الدكتور حسين عطوان في شعر عمرو بن أحمر ص : ٤٩

٧ ق ١٠٥ : ٣١٤

تلحّظَ السيفُ من شوقٍ إلى أنسٍ فالموتُ يلحظُ والأقدارُ تنتظرُ

فليسَ يبلغُ منهُ ما يؤملهُ حتى يؤامرَ فيهِ رأيكَ القدرُ

أمضى من الموتِ يعفو عندَ قدرته وليس للموتِ عفوٌ حين يقتدرُ

والأبيات في الوحشيات : ٣٨ ، وكتاب الزهرة ٢/١٠٩ لبعض بني ثعل وانظر الديوان : ٢٥٤ ، ق / ٤١

٨ ق ١٠٩ : ٣١٦

من راقبَ الناسَ ماتَ غماً وفازَ باللذةِ الجسورُ

والبيت لسلم الخاسر وهو في ديوانه : ١٠٤ ، وانظر أيضاً بهجة المجالس ١/١٢٢ ، وعيون التواريخ المجلد السادس حوادث سنة « ١٨٠ » ، والتمثيل والمحاضرة : ٧٧ ، ونهاية الأرب ٣/٨١ ، وطبقات الشعراء : ١٠٠ ، والإيجاز والإعجاز : ٤٩ ، ورسائل الجاحظ ٢/١٢٠ ، والأغاني ١٩ / ٢٦٣ - ٢٦٥

٩ - ق / ١١٠ : ٣١٦

أجِدَّكِ ماتدرينَ أنْ ربَّ ليلةٍ كأنَّ دُجاها من قُرونكِ يُنشَرُ
صَبَرتُ لها حتى تجلّتْ بغُرّةٍ كغُرّةِ يحيى حين يذكرُ جعفرُ

والبيتان في الرسالة الموضحة : ٤٤ لمنصور النمري ، والصواب أنهما لمسلم بن الوليد . انظر الحماسة البصرية ١٦٤/١ ، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء : ٣١٧

١٠ - ق / ١١١ : ٣١٧

أمّا القبورُ فإنهنَّ أوانسٌ بجوارِ قبرِكَ والديارُ قبورُ
عمّتْ فواضلُه وعمَّ مصابُه فالناسُ فيه كلّهمْ مأجورُ
ردّت صنائعهُ إليه حياتَه فكأنهُ من نشرها منشورُ

« جاءت الأبيات في العقد الفريد ٢٩١/٣ منسوبة إلى مسلم ، وفي الحاشية أن الحماسة نسبتها في الطبعة الأوربية إلى التيمي أبي محمد عبد الله ابن أيوب في رثاء منصور بن زياد ، ولعل الحماسة أوثق في هذا ، لأن العقد يورد كلمة « وقال » وتليها قصيدة أشجع بن عمرو السلمي في رثاء منصور ابن زياد ، فلعله نسي أن يذكر اسم الشاعر فكتب « وقال » بعد أن روى شعراً لمسلم بن الوليد ، فألحقناها بمسلم حتى تثبتها المراجع لغيره » .

هذا ماذكره المحقق ، والبيت الثالث في الإبانة عن سرقات المتنبي: ٣٦ ، والصبح المنبي عن حيثية المتنبي : ٢١٢ لأبي القوافي الأسدي ، وهو لمنصور النمري في التبيان في شرح الديوان ١٣٢/٢ وفيه : « وهذا البيت منقول بأسره من قول منصور النميري ـ كذا والصواب النمري ـ وهو من أبيات الحماسة ، وهذا وهم من العكبري لأن الأبيات في الحماسة ثابتة النسبة إلى التيمي — الحماسة ٥/٣ — ، والأبيات الثلاثة في الكامل ٧٢٩/٢ وفيه :

« وقال رجل من خزاعة ويُنْحِله كُثَيِّر يرثي عمر بن عبد العزيز بن مروان قال أبو الحسن : صح عندنا أن هذا الشعر لقطرب النحوي » .

وهي في كتاب الزهرة ٥٢/٢ غير منسوبة ضمن مقطعة في ستة أبيات هي :

لهفي عليكَ للهفة من خائفٍ كنتَ المجير لها وليسَ مجيرُ
أما القبورُ فلا تزالُ أنيسةً بجوارِ قبركَ والديارُ قبورُ
جَلّتْ مصيبتهُ فعَمَّ مصابُهُ والناسُ كلهمُ بهِ مأجورُ
والناسُ مأتمهمْ عليهِ واحدٌ في كلِّ دارٍ رنَّةٌ وزفيرُ
تجري عليكَ دموعُ من لم تولهِ خيراً لأنكَ بالثناءِ جديرُ
ردتْ مكارمهُ عليهِ حياته وكأنهُ من نشرها منشورُ

والبيت الأول من هذه الأبيات في الحماسة البصرية ٢٣٠/١ للشمردل الليثي ، وانظر كذلك عيون الأخبار ٦٧/٣ ، والبديع : ٤٢ ، ويتضح مما قدمتُ أن الأبيات ليست لمسلم بن الوليد .

١١ – ق / ١١٤ : ٣١٧

كأنَّ دُرّاً إذا هيَ ابتسمت من ثغرها في الحديثِ ينتشرُ

لم يُنسب هذا البيت إلى مسلم بن الوليد وإنما ورد معطوفاً على بعض أشعاره ، وهو في الأشباه والنظائر ١٦٩/١ غير منسوب وبعده :

تبذُّ بالحسنِ كلَّ جاريةٍ كما يبذُّ الكواكبَ القمرُ

١٢ – ق / ١١٨ : ٣١٨

أنتَ تفسو إذا نطقتَ ومن سبِّـ ـحَ من فسوٍ قالَ إثماً وزورا

والبيت لعنان ، جارية الناطفي ضمن مقطعة في هجاء أبي نواس وقبله :

مُتْ متى شئتَ قد ذكرتكَ في الشِّعـ ـر وجرّرْ أثوابَ ذيلكَ فخرا

لا تُسبّح فمــا عليك جُناحٌ جعلَ الله بــين فكّيك دبرا

انظر كتاب الورقة : ٤٢ ، وناشرح المقامات ١/١٢٢ ، وديوان أبي نواس ١/٨٢ . وفي هذه المراجع : «بالفسو قال إثما ووِزْرا » وهو الصواب .

وانظر كذلك روح الروح : ٢٩٦ : ا ، وفيه نُسب البيت إلى أبي نواس .

١٣ – ق ١٢٤ : ٣٢٠

سقى الله أياماً لنا لسن رُجّعاً وسقياً لعصرِ العامريةِ من عصرِ

لياليَ أجررتُ البطالة مقودي تمرُّ الليالي والشهورُ ولا أدري

والبيتان لمجنون ليلى وهما في ديوانه : ١٥٨ ضمن قصيدة مطلعها :

ألا أيها القومُ الذينَ وشوا بنا على غير ماتقوى الإلهِ ولا برّ

وهما في الحماسة البصرية ٢/١٣٧ لطلحة بن أبي الصفي الفقعسي .

١٤ – ق / ١٢٤ : ٣٢٣

لا يرحلُ الشيبُ عن دارٍ أقام بها حتى يرحّلَ عنها صاحبَ الدارِ

والبيت لبشار بن برد ، وهو في ديوانه : ١٢٧ ق ١٨٢ ، وانظر كذلك روح الروح : ٢٩٢ ا .

١٥ – ق / ١٣٥ : ٣٢٣

قالوا أبو الفضلِ محمومٌ فقلتُ لهم نفسي الفداءُ لهُ من كلِّ محذورِ

ياليتَ علتهُ بي غيرَ أنَّ لهُ أجرَ العليلِ وأني غيرُ مأجورِ

والبيتان في نثر النظم : ١٠٩ لأحمد بن يوسف الكاتب ، وهما غير منسوبين في المنتحل : ٧١ ، وشرح المقامات ١/٢٣٢ ، وانظر محاضرات الأدباء ٢/٤٤١ . وهما في روح الروح : ٢٨٩ ا لأبي تمام ، ولمحمد بن البَيْذق الشيباني في « المحمدون من الشعراء » : ٢٤٤

١٦ – ق / ١٤٣ : ٣٢٤

أقبلنَ في رأدِ الضحاءِ بها يسترنَ وجهَ الشمسِ بالشمسِ

والبيت لبشار بن برد وهو في ديوانه : ١٤٤ ، وطبقات الشعراء : ٣١ ، وقبله :

وخريدةٍ سودٍ ذوائبها قد ضُمِّخت بالمسكِ والوَرْسِ

١٧ – ق / ١٤٨ : ٣٢٧

بتُّ في درعها وباتَ رفيقي جُنُبَ القلبِ طاهرَ الأطرافِ

منْ لهُ في حِرِ امّه الفُ قرنٍ قد أنافت على علوّ منافِ

والبيت الأول منها لمسلم بن الوليد ، أما البيت الثاني فهو لدعبل الخزاعي . انظر ديوان دعبل : ٢١٦ - ٢١٧ ، ومعاهد التنصيص ٣/٦٥ ، والأغاني ١٩/٤٨ – ٤٩ ، والعقد الفريد ٨/٩٥

١٨ – ق / ١٦٨ : ٣٣٥

كأنَّ المنايا عالماتٌ بأمرهِ إذا خطرت أرماحُهُ ومناصلُهْ

والشطر الأول منه لسلم الخاسر ، انظر ديوانه : ١٢٠

١٩ – ق / ١٦٩ : ٣٣٥

. . . . . كادت لهُ مُهجُ الأنامِ تسيلُ

والشطر لسلم الخاسر وهو في ديوانه : ١١١ ، ومحاضرات الأدباء ٤/٥١٦

٢٠ ق / ١٧٣ : ٣٣٦

أعطاكَ قبلَ سؤالِهِ فكفاكَ مكروهَ السؤالِ

والبيت لسلم الخاسر ، وهوفي ديوانه : ١١٠ ضمن مقطعة في أربعة أبيات وانظر أيضاً بهجة المجالس ١/١٧٢ ، والموازنة ١/٩٦ ، وغرر الخصائص : ١٧١ . والأبيات في مدح يحيى بن خالد .

٢١ — ق / ١٧٥ : ٣٣٦

مامركبٌ من ركوب الخيل يُعجبني كمركبٍ بين دملوجٍ وخلخالِ

والبيت للفرزدق ضمن عدة أبيات وبعده :

ألذ للفارس المجري إذا انبهرتْ أنفاسُ أمثالها تجري بأمثالي

منَ المُلاءةِ أو من مثلها أُنفاً قفْراً من الناسِ كانتْغيرَ محلالِ

انظر ديوان الفرزدق ٢/٦١٤ ، والمنتخب من كنايات الأدباء : ١٠

٢٢ ـ ق / ١٧٦ : ٣٣٧

لسانكَ أحلى منجنى النحل موعداً وكفّكَ بالمعروف أضيقُ من قُفْلِ

تُمَنّي الذي يأتيكَ حتى إذا انتهى إلى أجلٍ ناولتَهُ طرفَ الحبلِ

والبيتان للبحتري ، وهما في ديوانه ٣/١٦٨٢ ، وانظر بهجة المجالس ١/٤٩٣ ، وغرر الخصائص : ١٩٩

٢٣ — ق / ١٧٨ : ٣٣٧

طرفتْ عيونَ الغانيات وربما أملْنَ إليَّ الطرفَ كلَّ مميلِ

وما الشيبُ إلا شعرةٌ غيرَ أنهُ قليلٌ قذاةِ العينِ غيرُ قليلِ

والبيتان في الحماسة الشجرية ٢/٨٢٠ لابن الرومي ، وانظر ديوانه :١٨

٢٤ — ق ١٨٢ : ٣٤٠

فإذا تنبّه رُعْتَهُ وإذا غفا سلتْ عليهِ سيوفَكَ الأحلامُ

والبيت لأشجع السلمي من قصيدة مطلعها :

قصرٌ عليهِ تحيةٌ وسلامُ نشرتْ عليهِ جمالها الأيامُ

وقبل البيت المذكور :

وعلى عدوِّكَ يابنَ عمِّ محمدٍ رَصَدانِ ضوءُ الصبحِ والإظلامُ

انظر طبقات الشعراء : ٢٥١ ، والأغاني ١٨ / ٢١٤ ، ٢٣٣ ، والشعر

والشعراء ٨٨٢/٢ ، ومجالس ثعلب ٣٧٩/٢ - ٣٨٠ ، ونهاية الأرب ٨٧/٣ ، وخاص الخاص : ٨٨ ، والكامل ٢٨٧/١ ، والتمثيل والمحاضرة : ٨٤ ، والإبانة عن سرقات المتنبي : ٥١ ، والإيجاز والإعجاز : ٥٠ ، والحماسة البصرية ٣٠/١ — ٣١

٢٥ — ق /١٨٣ : ٣٤٠

لعلَّ لهُ عذراً وأنتَ تلومُ وكم لائمٍ قد لامَ وهو مُليمُ

والبيت لمنصور النمري في مدح المأمون ، انظر طبقات الشعراء : ٢٤٧ ، ونهاية الأرب ٨٦/٣ ، والزهرة : ١٤٩ ، والمحاسن والمساوىء : ٥٠٢ ، والعقد الفريد ١٥/٢ ، والتمثيل والمحاضرة : ٨٣

٢٦ — ق /١٨٨ : ٣٤١

لايمنعنكَ خفضَ العيشِ في دعةٍ نزوعُ نفسٍ إلى أهلٍ وأوطانِ
تلقى بكلِّ بلادٍ إنْ حللتَ بها أهلًا بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ

والبيتان لمسلم بن الوليد في الوافي بالوفيات المجلد الثالث ، وعيون التواريخ المجلد الثامن حوادث سنة « ٢٠٠ » . وهما لأبي بكر الصولي في البداية والنهاية ٣٤٥/١٠ ، وديوان المعاني ١٩٢/١ ، وشرح المقامات ١٠٢/١ وانظر ديوانه : ١٥١ - ضمن الطرائف الأدبية - وهما لأبي تمام في غرر الخصائص : ٢٠٦ ، وبهجة المجالس ٢٤٤/١ ، والمحاسن والمساوىء : ٣٠٥ ؛ وانظر المحاسن والأضداد : ٧٢ ، وعيون الأخبار ٢٣٤/١ ، والحماسة البصرية ٢٢٠/٢ ، وروح الروح : ٣٠٤ أ

٢٧ - ق /١٩٩ : ٣٤٤

ذهبٌ في ذهبٍ را حَ بها غصنُ لجُينِ
فأتت قرّةَ عينٍ من يدي قُرّةِ عينِ

قمــرٌ يحمــلُ شمســاً مــرحبــاً بالقمــريــنِ
لا جرى بيــني ولا بيـ نهمــا طائــرُ بــيْنِ
وبقينــا مــا بقينــا أبــداً مــلتقيــينِ
في غبــوقٍ وصبــوحٍ لم نبــعْ نقــداً بــدْينِ

والأبيات للخاركي في طبقات الشعراء : ٣٠٦ - ٣٠٧ ، وفيها فضل بيتين ، ولعبد الله بن العباس في الديارات : ٤٥ . والبيتان الزائدان هما :

مرحبــاً بالــراحِ والرا حِ مــن ريحـانتــينِ
ألفــا إلفــين شكليــنِ معــاً مــؤتلفــينِ

حلب محمد يحيى زين الدين



بلوغ الأمل في فن الزجل

لابن حِجّة الحموي ، تحقيق الدكتور رضا محسن القريشي

وتصدير الدكتور عبد العزيز الأهواني ، ١٥٩ صفحة من القطع المتوسط

وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، سلسلة إحياء التراث العربي ، دمشق ١٩٧٤

الأستاذ عبد المحسن علي العباس

كتاب « بلوغ الأمل في فن الزجل » واحد من عشرات الكتب التي صنفها ابن حِجة الحموي . وأول ما يلاحظ هو أن المحقق اعتمد على نسختين فقط من نسخ خمس من المخطوط توجد واحدة منها في مكتبة البودليان بجامعة اكسفورد تحت رقم Ms. Marsh 702 والثانية بمكتبة جامعة كمبردج تحت رقم Qy 183 مع أن بروكلمان ،الذي اعتمد عليه المحقق يذكر مخطوط كمبردج في: « Geschichte Der Arabischen Litterature , S II , 4 » (١)

والسؤال الذي قد يعرض للمرء هنا هو : ماقيمة هاتين النسختين ؟ لأن الإجابة عليه تكون نوعاً من تقويم عمل الدكتور القريشي ، ولسنا الآن بصدد ذلك (٢) .

---

(١) تناهى إليّ أن ثمة نسخة مخطوطة من هذا الكتاب متوفرة في المكتبة الظاهرية لم تسعفني الظروف بالاطلاع عليها .

(٢) ألحق المحقق بالكتاب ثبتاً بمراجع التحقيق ، ولكن ليس في حواشي الكتاب مايشير إلى أنه استعملها ، إلا فيما ندر ، انظر على سبيل المثال : « ديوان إبراهيم بن =

أود أن أشير إلى قصور واضح في التحقيق نتج من إهمال المحقق لكتب المصنف الأخرى كمصدر مهم من مصادر تاريخ حياته ، ومن إغفاله الجانب الفني من كتابة المؤلف ؛ ومع هذا كله فمن الحق ان يقال إنّ إخراج الكتاب بشكله هذا يعطينا صورة واضحة عن الجهد الشاق الذي تكبده المحقق في جمع الأخبار والنصوص ليتم مانقص منه ويقوّم ما اعوج من عبارته ويضيف إليه مايجد فيه فائدة للقارىء . لقد تجمعت لدي ملاحظات كثيرة ربما كان في نشرها بعض الفائدة لقارىء الكتاب إذ أن فيه أخطاء عديدة يبدو أن الكثير منها ناتج عن التسرع وعدم الدقة كإغفال عدد من المصادر في التاريخ والأدب ، وإهمال ترجمات كثير ممن وردت أسماؤهم في نص الكتاب نحو : ابن قزمان وابن غزلة [1] . ولا شك أن الأخطاء المطبعية قد زادت الأمور سوءاً .

وسأحاول فيما يلي إيراد أهم هذه الملاحظات مرتبة تبعاً لترتيب صفحات الكتاب :

=سهل الاشبيلي ،تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت (١٩٦٧) والموشحة المذكورة في ص ص ٦٦ – ٦٨ ،أوالاختلافات بين كتاب « العاطل الحالي والمرخص الغالي » لصفي الدين الحلي ، تحقيق ولهلم هونرباخ. المانيا (١٩٥٦) ، أو ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي ، هامش محاضرات الأدباء للأصفهاني ، القاهرة (١٢٨٦ هـ) ص ٤٠٥ وكتاب بلوغ الأمل في فن الزجل ص ١٤٢

(١) مما تجدر الإشارة إليه هنا أن المحقق قد استعان بما كتب في « العاطل الحالي » عن ابن غزلة [أو : عرلة ، غرلة ، عزلة ، أو عذلة؛ ويسميه البدري في « سحر العيون» القاهرة (١٢٧٦ هـ) ص ١٧٦ : ابن غزاله] دون الإشارة للمصدر مع أن اسمه في العاطل » : ابن غرلة ، هذا بالإضافة إلى أن ترجمة المعمار لم تظهر في ص ٥٢ بل في هامش ص ١٢٠

ا - التصدير ص ص ٥ - ٧ :

ينفي الدكتور عبد العزيز الأهواني في تصديره للكتاب أية أهمية له حين يقول : « ويجيء ابن حجة فلا يضيف شيئاً فيما يتصل بنشأة هذا الفن (أي : الزجل) وتاريخه في عصوره الأولى وإنما يعتمد على ما قاله صفي الدين الحلي قبله الاعتماد كله » . ويضيف مؤيداً رأيه « إن الحلي لا يقدم مادة وفيرة في هذا المجال ، وفي كتابه فجوات واسعة من حيث العصور التاريخية والبيئات المختلفة ... » ولست أدري هل مخالفة ماجاء في الكتابين ، حول نشأة الزجل ، لرأي المصدّر هي السبب في نفي أهمية الكتاب أم أن السبب أمر آخر[1] .

ب - المقدمة ص ص ١١ - ٣٧ :

---

(١) يعتقد الدكتور عبد العزيز الأهواني أن الزجل ماهو إلا تقليد لشعر غنائي اعجمي . راجع كتاب « الزجل في الأندلس » . د . عبد العزيز الأهواني . القاهرة (١٩٥٧) ، ولكن الحلي يقول في العاطل ص ١٨ - ٢٥ في نشأة الزجل : « وأول مانظموا الأزجال جعلوها قصائد وأبياتاً مجردة في أبحر عروض العرب بقافية واحدة كالقريض لاتغايره بغير اللحن واللفظ العامي وسموها القصائد الزجلية » . ثم يذكر الحلي بعض قصائد مدغليس الزجلية . ويقول في ص ٢٦ : « وهذه القصائد لما كثرت واختلفت عدلوا عن الوزن الواحد العربي إلى تفريع الأوزان المتنوعة وتضعيف لزومات القوافي وترتيب الأغصان بعد المطالع والخرجات بعد الأغصان إلى أن صار فناً لهم بمفردهم . وراجع بلوغ الأمل ص : ١٠٠ - ١٠١

وهناك ظاهرة جديرة بالتسجيل هي أن الزجل في عصوره الأولى كان يتخذ شكل المسمط ، وأكبر دليل على ذلك ما وصلنا من أزجال ابن قزمان إذ أن أكثرها له نظام التقفية (الهيكل) التالي : اا ب ب ب ا حـ حـ حـ ا ... ويؤيد ذلك ماجاء في الكتابين اللذين كان مؤلفاهما أقرب منا لذلك العصر .

لقد اقتضبت المقدمة فأغفلت أموراً كثيرة جديرة بالاعتبار ؛ فقد كان يحسن بالمحقق أن يقوم بدراسة ، ولو قصيرة ، لكتب الحموي الأخرى وعلاقة الكتاب المحقق بها .

جاء في ص ١٢ من المقدمة : « فكتب (ابن حجة) رسالة إلى ابن مكانس سماها « ياقوت الكلام في أيام الشام » . والصواب : « ياقوت الكلام في مااناب الشام » وهي في وصف الحريق الذي أصاب دمشق أثناء الحصار الذي ضربه برقوق عليها في ذي القعدة سنة ٧٩١ هـ . والرسالة مهمة تاريخياً ، إذ أن العماد الحنبلي يجعل تاريخ الحريق في شعبان سنة ٧٩٤ هـ [1] ، بينما تذكر الرسالة أنه كان سنة ٧٩١ هـ والصحيح ماذكره ابن حجة ؛ لأنه شاهد عيان . والرسالة منشورة في مجلة المجمع العلمي بدمشق ٣١ : ٦١٢ ، سنة ١٩٥٦

لاتسود طريقة إيراد آثار الحموي ومصنفاته خطة واضحة فهي ليست مرتبة ترتيباً أبجدياً أو زمنياً .

جاء في ص ٢٤ : « ٨ - ناصح قلاّني » والصحيح « ناصح قلاقس » [2] .

وجاء في الصفحة نفسها : « ١٠ تحرير القيراط » والصواب « تحرير القيراضي » وهو مختصر لديوان برهان الدين القيراطي [3] .

وجاء في ص ٢٥ : « ٢٢ - تغريد الصلاح » والصواب « تغريد الصادح »

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، للعماد الحنبلي . القاهرة (١٣٥٠ — ١٣٥١ هـ) ٣ : ٣٣٢

(٢) الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ، لشمس الدين محمد السخاوي ، مكتبة القدسي ، القاهرة (١٣٥٣ هـ) ١١ : ٥٤

(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي ، القاهرة(١٣٠٤ هـ) ص ٣١٤

وهو اختيار موجز من كتاب الصادح والباغم لابن الهبارية [١] .

وهناك مؤلفات ورسائل كثيرة لم يذكرها المحقق مع أنها مثبتة في عدد من المصادر نحو : « ازدهار الأنوار ، وتعليق التمائم ، ورسالة السكين [٢] ، ورشف المنهلين ، والسيرة الشيخية ، وقبول البينات ، ولزقة العطار ، ولطائف التلطيف .. الخ » ..

وثمة كتاب آخر أشار ابن حجة إلى أنه ينوي وضعه لكن ليس هناك مايثبت أنه قد أنجزه [٣] .

ج — النص ص ص ٥١ — ١٤٦ :

يبدو من خلال قراءة المخطوط المُحَقق أن المحقق قد قرأ كتاب « دار الطراز في عمل الموشحات » لابن سناء الملك ، تحقيق د . جودت الركابي دمشق (١٩٤٩) ، وكتاب « العاطل الحالي والمرخص الغالي » لصفي الدين الحلي ، تحقيق ولهلم هونرباخ ، المانيا (١٩٥٦) ، ولكنه لم يثبت ماجاء من الفروق بين المخطوط والكتابين ، وكان يستحسن الرجوع أيضاً إلى ديوان ابن قزمان « إصابة الأغراض في ذكر الأعراض » نسخة مصورة عن نسخة لينينغراد ، أو « Tobo Ben Quzman » .غرسيه غومس ، مدريد (١٩٧٢) خاصة وأن المخطوط « بلوغ الأمل » يتناول أزجال ابن قزمان ، إمام الزجل ، باهتمام كبير .

---

(١) الصادح والباغم ، لابن الهبّارية ، القاهرة (١٢٩٢ ﻫ) ، خزانة الأدب للحموي ص ٣٦ ، ٩٣ وراجع أيضاً بلوغ الأمل في فن الزجل للحموي ص ٢٦

(٢) خزانة الأدب للحموي ، ص ٢٠ ، ٤٣٢

(٣) خزانة الأدب للحموي ، ص ٤٥٠ ، يقول الحموي : « قد عنّ لي أن أفرد كتاباً وأسميه « رفع الالتباس عن بديع الاقتباس » وقد تقدم وتقرر أيضاً أنه إن جاء في المنظوم فهو عقد وتنظيم وإن كان في المنثور فهو اقتباس » .

ومما تنبغي الإشارة إليه طريقة كتابة هيكل الزجل . تتكون الأزجال من مطالع وأغصان وأقفال وخرجات ولذلك ينبغي ألا تختلف كتابة هيكل الزجل عن كتابة هيكل الموشح . إن طريقة إثبات هيكل الزجل في الكتاب المُحقَّق تجعل من المسير التفرقة بين المطالع والأغصان والأقفال [١]، نحو ماجاء في ص ٥٨ ،

شرب الخمـر المحتسب وزنا قاضي المسلمين أت هو السبب

سيدي ليش جعلت ذا محتسب
ويحكم في أمر أهل الأدب
وهو زاني زنـيم كثـير الزنا

والزجل كما هو مثبت ناقص من جهة ، إذ أن النسختين [٢] اللتين لم يستعن بهما المحقق تحتويان على المطلع والبيت الذى يليه كما يوردهما أيضاً الحلي [٣] ومن جهة أخرى فإن تمييز المطلع عن الأغصان والقفـل أكثر صعوبة . فالكتابة الصحيحة للمثال السابق على هذه الصورة :

شرب الخمـر المحتسب وزنا الله يكفي لو كان عملتو أنا

قاضي المسلمين أت هو السبب
سيدي ليش جعلت ذا محتسب
ومحكم في أمر أهل الأدب

وهو زاني زنيم كثير الزنا

---

(١) أستعمل في الصفحات القادمة كلمة « هيكل » لأشير إلى أنه أتى على غير الصورة الصحيحة .

(٢) في نسختي اكسفورد وكمبردج . سوف تجري الإشارة من الآن فصاعداً إلى نسخة اكسفورد بـ « ا » ونسخة كمبردج بـ « ك » .

(٣) العاطل الحالي والمرخص الغالي ، لصفي الدين الحلي ص ٥١ ، ٧٦ ، ٧٧ ، من الآن فصاعداً : العاطل للحلي .

وكانت تجدر به الإشارة، على الأقل ، إلى النص كما أثبته الحلي في العاطل.
جاء في هامش الصفحة الأولى من المخطوط ، أي صفحة ٥١ من الكتاب :

(٥) صدره : أكل فصيح قال شعراً متيم (المتنبي) .

والصواب (٥) عجزه « أكل فصيح قال شعراً متيم » راجع ديوان المتنبي ، طبعة اليازجي ص ٣٠٨ أو طبعة عبد الوهاب عزام ص ٢٩٠ .

وجاء في هامش ص ٥٢ : « (٢) المعمار ، برهان الدين لم نعثر على ترجمته حتى الآن ، ولكن المؤلف توفي سنة ٨٣٧ هـ » . وقد ذكر المحقق في هامش ص ١٢٠ بشأن : برهان الدين ابراهيم المعمار : « (١) ذكره ابن شاكر الكتبي في فواته واسمه فيه إبراهيم الحائك أو المعمار أو الحجار (ج/٥٥١) . والصواب : أنه لم يكن معاصراً للمؤلف وإنما لابن نباته كما جاء في الصفحة نفسها » ونقل عن الشيخ جمال الدين ابن نباتة أنه قال : قطعنا المعمار بقاطيمه » . وتوفي المعمار سنة ٧٤٩ هـ في مصر [1] .

وجاء في ص ٥٣ : « فاللفظ المغربي لايجوز في المواليا لكون أنها من مخترعات المشارقة » . كان يجدر بالمحقق أن يصوّب الخطأ كما يلي : لكون أنه » أو « لكونه » وليس ماجاء في المخطوط . فالمواليا فن مذكر وليس مؤنثاً .

وجاء في ص ٥٤ : « بعد ما كنتُ قرير العين » . ولكن جاء في العاطل للحلي ص ١٠٩ : « بعد ما كنتو قرير العين » مما تنبغي الإشارة إليه وإثباته في الهامش .

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ، حيدر آباد (١٣٤٨ هـ) ١ : ٢٤٩

وجاء في الصفحة نفسها : « وهو أكبر عيوب الزجل بل محو رسمه وإخراجه عن قاعدة المصنف الإعراب » والصحيح : « وأكبر عيوب الزجل بل محور رسمه وإخراجه عن قاعدة المصنف : الاعرابُ » لأن الحموي يتكلم عن « الاعراب في الزجل » وليس عن « كنت » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وقد جردته من الإعراب كما تجرد السيف من القراب » [١] .

وهذا ليس بشعر وإنما هو نثر ، راجع العاطل للحلي ص ١٤ ، وراجع الورقة الأولى من ديوان ابن قزمان .

يقول ابن قزمان في خطبة ديوانه : « وصفيتُه عن العُقَد التي تشينُه ، وسهلتُه حتى لان ملمسُه ورقّ خشينُه ، عرّيتُه من الاعراب ، وعريتُه من النخالين والاصطلاحات تجريد السيف عن القراب ... » .

وجاء في ص ٥٥ : « وكان ابن سناء الملك يعيب عليه ذلك ، ولهذا لم يثبت شيئاً من موشحاته في دار الطراز » .

كان يحسن بالمحقق أن يشير في هامش الصفحة إلى الموضع الذي نقل ابن حجة كلامه عنه من كتاب « دار الطراز » ، فإن ابن سناء الملك يقول [٢] « الموشح المعروف بالمروس وهو موشح ملحون واللحن لايجوز استعماله في شيء من ألفاظ الموشح إلا في الخرجة خاصة فلهذا لم نورد مثاله » .

وجاء في ص ٥٦ : « .. والتزنيم هو ما أعرب من ألفاظ الفنون

(١) بلوغ الأمل في فن الزجل للحموي ص ٥٩ : « كما يجرد السيف من القراب » .
(٢) دار الطراز في عمل الموشحات لابن سناء الملك ، تحقيق د . جودت الركابي دمشق (١٩٤٩) ص ٢٧

الأربع : الزجل ، والمواليا ، والكان وكان ، والقوما ... واشتقاق المزنم وهو المستلحق في قوم ليس منهم ، وأما قوله تعالى « عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيم » أي لئيم . وكأنهم ألحقوا الزجل بالموشح من طريق إعراب بعضه وألحقوا بالموشح الزجل لما أظهروا اللحن في بعض ألفاظه ، فمن الموشحات المزنمة التي نظمها ... » .

والصحيح : « ... التزنيم هو ما أعرب من ألفاظ الفنون الأربعة : الزجل ، والمواليا ، والكان وكان ، والقوما ... واشتقاق المزنم من التزنيم والزنيم هو المستلحق في قوم ليس منهم . وأما قوله تعالى : عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيم » أي لئيم . كأنهم ألحقوا الزجل بالموشح من طريق إعراب بعضه ، وألحقوا الموشح بالزجل لمّا أظهروا (أو : أظهر) اللحن في بعض ألفاظه . فمن الموشحات المزنمة التي نظمها .. » لان قصد الكاتب هو جعل الزجل في مصاف الموشح عندما تكون ألفاظ الزجل معربة ، وجعل الموشح في مصاف الزجل عندما تكون ألفاظ الموشح (عدا الخرجة) ملحونة .

أورد المؤلف في ص ٥٧ موشحة ابن غزلة (؟) ناقصة مع العلم أنه كان بالإمكان الاستدراك وإكمال الموشحة ـ المزنمة ـ في الهامش ، وتكملتها (١) :

ظبية لعـوب حلوة لهـا معنى
ريقها الشنيب للقبـل وللمعنى
تنعش القـلوب وهي غاية المضنى
كلما تبدّى وجهها لنا يبدي قمـراً تـلالا في مطالع السعد
إن تقل هـلالا فالهلال محدّقـا

(١) راجع كتاب « مجموع الأغاني والألحان من كلام أهل الأندلس ، ١٤٠ نوبة وانقلابات » جمع وترتيب ناطان يدمون يافيل ، الجزائر (١٩٠٤ م / ١٣٢٢ هـ) ص ٣١١

أو تقـل غزالا فالغزال قد سبقا

ريم لا محـالا حسنها لمن عشقا

فوق كلّ ودّا ودها على ودي كالقضيب مـالا في حدائق الورد

وجاء في ص ٥٨ : « ومن نظمها فيه الزجل المشهور الذي مطلعه :

مشى السهر حيران حتى رأى إنسانْ عيْنى وَقَفْ »

وهذا المطلع هو مطلع زجل لابن قزمان رقم (١٤٨) . وهذا لم يشر اليه المحقق .

وجاء في الصفحة نفسها : « وهو أيضاً مقبول في الزجل » وفي ا ،وفي ك والعاطل للحلي ص ٧٨ .. « وهو أيضاً غير مقبول في الزجـل » والفرق لايمكن التغاضي عنه .

وجاء في ص ٥٩ هيكل الزجل على غير الصورة الصحيحة مرتين . راجع في « قدّني ياعيد » العاطل للحلي ص ٧٨ وفي « الجنة لو عطيت » العاطل للحلي ص ٧٩ ، ديوان ابن قزمان زجل (٦٧) .

وجاء في الصفحة نفسها : « فإذا أسكن في لفظة (هي) » وفي ا،وفي ك « فإذا أسكن الياء في لفظة هي » . وفي الصفحة نفسها ورد اسم مدغليس راجع ترجمته في « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » تأليف الشيخ أحمد بن محمد المقّري التلمساني ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت (١٩٦٨) ٢ : ٣٨٦ ، ٣ : ٣٨٥ ، ٥ : ٤٤ ، ٧ : ١٦ . وراجع « المُغرب في حُلى المغرب » لابن سعيد ، تحقيق د . شوقي ضيف ، مصر (١٩٥٣) ٢ : ٢١٤ ، ٢٢٠ .

وفي ترجمة ابن عمير الأندلسي ، راجع « مقدمة ابن خلدون » ، طبعة Quatrimére (١٨٥٨) ٣ : ٤١٧ ، « وتاريخ آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان ، القاهرة (١٩١١ – ١٩١٤) ٣ : ١٤

وجاء في الصفحة نفسها :

« وجردت فني من الإعراب كما يجرد السيف من القراب »

راجع ماقلناه عن ص ٥٤ . والكلام :

« فمن دخل عليّ من هذا الباب فقد أخطأ وما أصاب »

نثر أيضاً ، وهو ليس من قول ابن قزمان وذلك مما تنبغي الإشارة اليه راجع مقدمة ديوان ابن قزمان ورقة ١ - ٥

وجاء في ص ٦٠ : « ولو نهى عنه مطلقاً ... يصدق عليه ... » والصواب « لصدق عليه .. » .

وجاء في الصفحة نفسها : « لا أنه في حال الصلاة والنوم [كذلك] » والصواب : « لا لأنه في حال الصلاة والنوم (١) »

وجاء في ص ٦١ : « قواعد هذه من جملتها » وفي او فيك : « قواعد وهذه من جملتها » .

وجاء في ص ٦٢ : « فعلوا ذلك ليظهر الفرق » وفي اوك : « فعلوا ذلك ليظهروا الفرق » .

---

(١) بشأن الحديث راجع : سنن أبي داود سليمان بن أشعث السجستاني ، دهلي (١٣٢٢ هـ) ، كتاب الطلاق ، باب في نفقة المبتوتة ، وراجع : سنن الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن ، دمشق (١٣٤٩ هـ) ، كتاب النكاح ، باب النهي عن خطبة الرجل على خطبة أخيه ، وراجع : موطأ مالك ابن أنس ، تونس (١٢٨٠ هـ) ، كتاب الطلاق باب ما جاء في نفقة المطلقة ، وذكر في موطأ مالك : « ان فلاناً لايضع عصاه على عاتقه » وراجع النسائي أحمد بن شعيب ، القاهرة (١٣١٢هـ)، كتاب النكاح ، باب اذا استشارت المرأة رجلا هل يخبرها بما يعلم . أما المرأة فهي فاطمة بنت قيس ، والرجلان : معاوية وأبو الجهم ، ولكنها لم تتزوج أياً منهما ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « أما معاوية فرجل لا مال له ، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن (أو : على) عاتقه فأين أنت من أسامة » .

وجاء في ص ٦٣ :

« نهبتُ والقالي لايقيمُ أعذاري شَغَفي قدْ زاده وَهْي لاترعاني »

والصواب :

« نَبَّهتْ والقالي لايقيمْ أعذاري شغتفي قدْ زاده وَهْي لاترعالي »

وهناك فروق كثيرة بين « بلوغ الأمل في فن الزجل » للحموي والعاطل للحلي ص ٩٤ ، مما ينبغي إثباته في الهامش .

وجاء في ص ٦٤ : « لاسيما لفظة (ذا) في البيت الأول التي أراد بها (ذاما) » والصواب : « لاسيما لفظة (ذاما) في البيت الأول التي أراد بها (اذاما) » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وقد تقدم قول ابن سناء الملك وغيره من [أن] أئمة الوشاحة أتوا في آخر .. » وفي ا وك : « وقد تقدم قولي ان ابن سناء الملك وغيره من الوشاحة أتوا في آخر ... » .

وجاء في الصفحة نفسها موشح ابن سناء الملك : « لم يلق نعما ونعيم » والصواب : « نعمى ونعيم » ، « وأن لي دنْيا قديم » والصواب : « وإن لي ذنباً قديم أو دَينا قديم » ، « ثوى به الحسن الجديد » والصواب « ثوابه الحسن الجديد » أي جزاؤه ، « فحزت تشكيك » والصواب : « فحرت تشكيك » الخ .

وجاء في ص ٦٥ :

« فقال خلّى ذا الصّبا فقلت لاله

عْلآش نْخليكْ وليش نداريكَ مافي الهوىقاطبعْ طريقى لابد يُغريكْ »

والصواب :

« فقال : خُلْ ذا الصِّبا فقلتُ لاله

على آش نخليك وايش نداريك نا في الهوى قاطع طريق لابد نعرّيك »
(نا في : أي أنا في)[١].

وجاء في ص ٦٥ / ٦٦ : « إن حكمت لتوشيحه .. أتى في تزجيله »
وفي اوك : « أنّى حكمت لتوشيحه .. أتاني تزجيله » .

وجاء في الصفحة نفسها : « لاتدرك في الباب » والصواب : « لاتدرك في هذا الباب » .

ثبت المؤلف في الصفحة نفسها موشحة لابراهيم بن سهل الاشبيلي ليشير إلى عدم استعمال اللحن (التزنيم) في الموشحة إلا في الخرجة ، ويقول : « ومن الغايات التي لاتدرك في هذا الباب ... » ولكن المحقق أثبت ماهو غير صحيح ومخالف لما قاله المؤلف ، نحو : « مقتلو » والصواب : « مقتلُ » ، « ريقو » والصواب« ريق » ، « جدولو » والصواب : « جدول » الخ.

وغير متجانس ، نحو : من اللما ، برد اللمى ، بالإضافة إلى أخطاء عروضية ، نحو :

« سقى رياضْ الخفرِ من خدّها ورد الخجلْ »

والصواب : « سقى رياضَ الخفـر من خدّها وردُ الخجلْ »

وجاء أيضاً : « ماكُنّه إلا مَلَكْ » والصواب : « إن هذا إلا مَلَك » ، وجاء أيضاً :«حتى تَرِكْ فيَّ المحن »والصواب :«حُبّي تزكيه المِحَنْ »الخ[٢].

---

(١) راجع « النجوم الزاهرة في حُلي حضرة القاهرة » ، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب « المغرب في حلى المغرب » لابن سعيد ، تحقيق د . حسين نصار ، مطبعة دار الكتب القاهرة (١٩٧٠) ص ٣٦٩

(٢) راجع ديوان إبراهيم بن سهل الاشبيلي ، تحقيق د . احسان عباس ، بيروت (١٩٦٧) ص ٢٩٢ ، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ، تحقيق الشيخ محيي الدين عبدالحميد ، مصر (١٩٥١) ١ : ٥٣ ، وتوشيع التوشيح لصلاح الدين الصفدي ، تحقيق د . البير مطلق ، دار الثقافة (١٩٦٦) ص ١٥٧ .. الخ .

كما أورد المؤلف في ص ٦٨ موشحته بعد ذلك ، فافترض المحقق معلقاً في الهامش بقوله :

« وموشح ابن حجة الحموي هذا من الدوبيت الذي يكون فيه الغصن الثالث من المذهب والاقفال مهمل القافية » . إن هذا الموشح ليس من بحر الدوبيت [١] وإنما هو من البحر البسيط . وهذا الموشح مضمن [٢] أعجازاً من قصيدة المتنبي التي مطلعها [٣] :

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل دعا فلبّاه قبْل الركب والابل

ويحسن الرجوع إلى ديوان ابن العربي ، طبعة بولاق ، (١٢٧١ هـ) ص ١١٣ (على سبيل المثال) ، وديوان أبي الحسن الششتري ، تحقيق د . علي سامي النشار ، مصر (١٩٦٠) ، من أجل التعرف على هياكل الموشحات المختلفة ونظام تقفيتها .

أما الخرجة فقد نظمها أولاً جمال الدين بن نباتة بقوله :

إنسان عيني بتعجيل السهاد بلي عمري لقد خلق الإنسان من عجل

ثم عارضها ابن مقاتل [٤] .

وجاء في ص ٧٠ : « التي تغتفر للبارع » وفي اوك « التي لم تغتفر للبارع » .والفرق لا يمكن التغاضي عنه .

وجاء في ص ٧١ زجل ابن قزمان . راجع ديوان ابن قزمان زجل رقم (٩٤) ، والعاطل للحلي ص : ٥٠ ، ٧١

---

(١) راجع ديوان الدوبيت في الشعر العربي ، د . كامل مصطفى الشيبي ، بيروت (١٩٧٢)

(٢) خزانة الأدب للحموي ص ١٩٧

(٣) ديوان المتنبي ، طبعة اليازجي ص ٣٨٣

(٤) خزانة الأدب للحموي ص ٦

وجاء في الصفحة نفسها :

« تعرف اسما هنا يقل لك لا ، فلو خذ تملا

منها اذنك ملا هي هي القهوة والمدام والطلا

والحميـا والخندريس والراح »(١)

والصواب ماجاء في ا وك وديوان ابن قزمان والعاطل للحلي :

« تعرف اسمآها يقل لك لا (٢)

فلو خذ تملا منها اذنك ملا (٣)

هي هي القهوة والمدام والطلا

والحميا والخندريس والراح »

وجاء في الصفحة نفسها : « لم يغتفر » وفي ا وك : « لم يغتفروا » .

وجاء في الصحيفة نفسها : « هي أقبح العيوب » وفي اوك : « هي من أقبح العيوب » .

وجاء في ص ٧٢ : « لفظة الشحناء » . وهنا يحسن بالمحقق اثبات الزجل في الهامش ، راجع العاطل للحلي ص ٧٢

وجاء في الصفحة نفسها :

---

(١) اثبت المحقق في الهامش : « هذه ألغاز كان الزجالون يتبارون في حلها بطريقة الاضمار والجواب عنها بالزجل » ، والصواب هو ما قاله ابن حجة في السطر الذي يلي الزجل : « فهذه ست لفظات في أسماء الخمر ... » راجع أيضاً حلبة الكميت لمحمد بن حسن النواجي ، القاهرة (١٢٧٦ هـ) .

(٢) جاء في ديوان ابن قزمان زجل ٩٤ : « تحفظ أسماءها سيَقُلْلَكْ لا »

وجاء في العاطل للحلي ص ٥٠ ، ٧١ : « تعرف آسماها الستّا يقل لك لا »

(٣) جاء في ديوان ابن قزمان زجل ٩٤ : « قل خذ غلا منها أذنيك ملا »

« نظر بأهداب عينُو وعبّس فرّج لعمري كربه وأنّس »

وفي العاطل للحلي ص ٣٢ ، ٧٤:

« نظر بطرف عينو وعبّس للحيط نقلم ا نشكو ونحبس

وفي جملة الكلام الذي قال :

أين الصدود وقد طال ما طال

انخيل ات بعد صورة الحـال

فرّج لعمري كرْبَه وأنس »

مما يستحسن إثباته في الهامش .

وجاء في الصفحة نفسها: « لَعَمرُكَ إنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ » وهي آية ٧٢ من سورة الحجر .

وجاء في الصفحة نفسها : « وعابوا عليه أيضاً في بعض أزجاله استعماله لفظة (الزرد) » وهي غير موجودة في ا وك .

وجاء في الصفحة نفسها : « لفظة (مُرحبا) » وهذا يحسن بالمحقق إثبات الزجل في الهامش ، راجع العاطل للحلي ص ٩٤

وجاء في ص ٧٣ هيكل الزجل « دوني من ليس فعلو يُحمد » .

وجاء في الصفحة نفسها : « ومما سامحوا في استعماله . . فإنهم عابوها . »

وفي ا وك : « ومما شاححوا في استعماله ... فانهم عابوها ... » .

وجاء في الصفحة نفسها : « والغ » والصواب « والثغ » .

وجاء في ص ٧٤ : « أما من الاعراب بالحروف » وفي ا وك : « أما الإعراب بالحروف » .

وجاء في الصفحة نفسها هيكل الزجل ، راجع العاطل للحلي ص ٧٦ .

وجاء في الصفحة نفسها زجل محمد بن حسون حيث أشار المحقق إلى

مطلع الزجل في الهامش ولم يذكر المصدر الذي نقل عنه ، ربما كان العاطل للحلي ص ٧٦ ، مع أن هناك فرقاً في القراءة .

وجاء في ص ٧٥ : ذكر فاتح كاف الخطاب ، وهنا يحسن إثبات الزجل في الهامش ، راجع العاطل للحلي ص ٧٩

وجاء في الصفحة نفسها : « إنْ كنت أخطيت في عِشْقِكْ بَيْني » وفي اوك : « ... وفي عشقك يَبني » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وأما سوف فكقول أبو الحسن » مصححة من التطبيعات ص ١٥٩ . وفي اوك : « وأما سوف فكقول أبي الحسن (أو : الحسين) » .

وجاء في ص ٧٦ : « حق هو ليس يزح » وفي اوك : « حق هو ليسْ نمزح »[١] .

وجاء في الصفحة نفسها : « قفا نبك في القوم » وفي اوك « قفا نبك » في أزجال القوم » .

وجاء في الصفحة نفسها ذكر ابن نمارة ، وكان يجدر بالمحقق أن يعرّف به لأنه كان إمام الزجل قبل ابن قزمان . وفيه يقول ابن قزمان[٢] :
« ومن أسلس طبعاً وأخصب ربعا ، ومن حجوا اليه وطافوا به سبعا » أحق بالرياسة في ذلك والإمارة ، من الشيخ اخطل بن نمارة ، فإنه نهج الطريق واجدني إن أدركته، لألمتُ به وما تركته ، ولحكمت له بالتقديم، وزمرت له بالقديم ، وقلت له أنت الغني وأنا العديم ... »

(١) العاطل للحلي ص ٨٠

(٢) ديوان ابن قزمان ورقة ١ ـ ٣ ، وراجع « المغرب في حلى المغرب » لابن سعيد ، ١ : ١٦٧

وجاء في الصفحة نفسها هيكل الزجل [١] .

وجاء في الصفحة نفسها : « وإثبات السكون في ينكرون أفحش » وفي اوك : « وإثبات النون في ينكرون أفحش » [٢] .

وجاء في الصفحة نفسها : « فإنهم مجمعون على لفظه » وفي ا وك : « فإنهم مجمعون على لطفه » .

وجاء في ص ٧٧ : زجل لعلي بن غارة ، ينسبه الحلي إلى ابن قزمان مما تنبغي الإشارة اليه . راجع العاطل للحلي ص ٤٤ ، ٨٥ ، ١٨٧

وجاء في ص ٧٨ : ذكر أزجال ابن قزمان ، راجع ديوان ابن قزمان زجل (٥٤) ، زجل (١٤٦) العاطل للحلي ص ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩

وجاء في ص ٨٠ : « من ذوات الظاء لايجوز استعمالها » وفي ا وك : « من ذوات الظاء ولا يجوز استعمالها » .

وجاء في الصفحة نفسها : « أبي الحسن الشاطبي » والصواب : « أبي الحسن الامشاطي » .

وجاء في ص ص ٨١ — ٨٢ : ذكر زجل ابن مقاتل الحموي ، راجع خزانة الأدب لابن حجة الحموي ص ٣٨ ، تحت « ذكر اللفظي المقلوب » للمقارنة والتأكد من الأصل ، وراجع الهيكل أيضاً .

وجاء في ص ٨٣ : « ولكني شذ عني بيته الرابع » وجاء في خزانة الأدب للحموي ص ٣٨ البيت الأول : أي البيت الذي بعد المطلع ، وليس البيت الرابع ، مما تنبغي الإشارة اليه في الهامش . وراجع هيكل الزجل أيضاً .

---

(١) راجع العاطل للحلي أيضاً ص ٨٨

(٢) راجع العاطل للحلي ص ٨١ ، ٨٨

نحو : « ما الفراق في الهوى إلا خصمُو ألدْ
على تركُو إذ هو قوى حظي نلق وصلو من كل لذة ألذْ
نسألْ الله منو يزيد حظي

والصواب :

« ماالفراقفيالهوىإلا خصْموألدْ على تركُوإذ(أو: إن) هو قوي حضي
نلقى وصلو من كل لذّة ألذْ نسأل الله منو يزيـــد حظي »

لأن القصد هو المجانسة بين الدال المهملة والذال المعجمة والضاد والظاء .

وجاء في ص ٨٤ : « الأعراض عن هذا الفن » وفي ا وك : « الإعراض عن المذاكرة بهذا الفن » .

وجاء في ص ٨٧ : « والغصون بحال نداما » والصواب : « ندامى » .

وجاء في الصفحة نفسها : « لم يغتفروا له من أحد من الزجالة [1] والصواب : « لم يغتفرهما له أحد من الزجالة » .

وجاء في ص ٨٨ : « ولم يسلم له العُيوب (المنهي عنها) غصن ولاخرجة وفي ا وك : « ولم يسلم فيه غصن ولاخرجة من العيوب المنهي عنها » .

وجاء في ص ٨٩ : « ذا المليح في الجنة سُيدو » وفي ا وك : « ذا المليح في الجنة يبدو » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وآخره في ذا المُمَيَّم » وفي ا وك : « وأخرى في ذاك الفميم » .

وجاء في ص ٩٠ : « ماك بحال جمالو » وفي ا وك : « ملك تخال جمالو » .

وجاء في الصفحة نفسها : « ولكن تحريكه ليس من العيوب الفاحشة » وفي ا وك : « ولكنْ تحريك (ليس) من العيوب الفاحشة » .

---

(١) لاداعي لفصل الفقرات : « .. له أحد من الزجالة . إما أن ينون الكاف .. »

وجاء في ص ٩١ : « ذابْ نقول في عشقنا إلحق » وفي ا وك : « ذا نقول في عشقها آلحق » .

وجاء في الصفحة نفسها : « بدموع في الحُبّ تجرا » وفي ا وك : « بدموع في الخد تجرى » .

وجاء في ص ٩٣ : « واورَدها » وفي ا وك : « واوردوها » .

وجاء في الصفحة نفسها : « يظهر إليّ أنه » وفي ا وك : « يظهر لي أنه » .

وجاء في ص ص ٩٣ ٩٦ : اضطرابات كثيرة بين العامية والفصحى ، نورد على سبيل المثال لا الحصر :

اطفِ بدلاً عن اطفي ، قلتُ بدلاً عن قلتو ، قُم بدلاً عن قوم ، ومَحلا بدلاً عن ومَحلى (أي : وما أحلى) ، « تعود ياحبيبي وطبيب » والصواب : « فعود ياحبيبي وطيب » ... الخ .

وجاء في ص ٩٦ : « وإلى الرجوع » [من التطبيقات ص ١٥٩] وفي ا وك : « وآن الرجوع » .

وجاء في الصفحة نفسها : « يمنع » وفي ا وك « منع » .

وجاء في ص ٩٧ : « الانتقال من (كاللي) إلى (قمري) وهو الخبن عند العروضيين كالانتقال من (فاعلن) إلى (فعلن)... » ثم ذكر البيتَ الآتي:

«لو كانتْ الناس تسْجُدأوتصوم ابْتَشَر ْ لك كنت ِ نسْجُدعلى الدّوام و َنْصُوم»

المؤلف ، هنا ، يتكلم عن العروض والضرب والانتقال من (فاعلن) (/ه//ه) [أو : فاعلين /ه//هه] إلى (فعلين) (///هه) [أو : فعلن (///ه)] وهو كالخبن أي حذف الساكن الثاني أي حذف الألف من فاعلن [أو : فاعلين] فتصبح فعلن أو فعلين الخ ... ولكن جاء في العروض : مَ ابْتَشَرْ /ه//ه ، وفي الضرب : ونْصُوم /ه/هه .

وفي هذه الحالة لم يحدث الخبن ولكن لو حرّك الضرب : وَتَصُوم ، لكان ثمة انتقال من (كالى) إلى (قمري) أي حذف الساكن الثاني كما أراد المؤلف .

وجاء في ص ٩٨ : « مطلعاً أو بيتاً » والصواب : « مطلعاً وبيتاً » .

وجاء في ص ٩٩ . الهيا كل : « كم نقا / سي شقا .

والبيت : / ورما / ني رما / نى وما / عاد لقا / سي بقا » .

والصواب : « المطلع كم نقا / سي شقا .

والبيت : ورما / ني رما / ني وما .

القفل : عادلقا / سي بقا » .

وكذلك : « البح / رآصبح / فرجا / والجا / موس جا / يسبح » .

والصواب : « المطلع : البح / رآصبح

البيت : فرجا / والجا / موس جا

القفل : يسبح

وكذلك الصواب : زم / زم

حرْ / رَزْ / دِرْ .

هتمْ

وجاء في الصفحة نفسها : « بيت ومطلع ست قواف » والصواب : « مطلع وبيت لست قواف » .

وجاء في ص ١٠٠ : « وهم : يخلف بن راشد ، الحيط البرذعي ، ابن قزمان ، مدغليس ابن المليكة ، الحمال وهو متأخر » .

وفي ا : « يخلف بن راشد [١] ، والحبيط [٢] ، والبرذعي ، وابن قزمان ، ومدغليس ، وابن المليكة [٣] ، والجمال : وهو متأخر » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وأبياتاً محررة » وفي ا وك : « وأبياتاً مجردةً [٤] » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وعدتها ثلاثون » وفي العاطل للحلي ص ١٨ - ٢٥ : « وعدتها واحد وثلاثون » ، مما تنبغي الإشارة إليه .

وجاء في ص ١٠٢ : « فمن السهل الرقيق لابن قزمان » وفي العاطل للحلي ص ٩٢ ، ١٣٣ : « فمن السهل الرقيق لمدغليس » مما تنبغي الإشارة إليه .

وجاء في الصفحة نفسها : « لولا الشراب واش كانْ [بقِي نرْجَع فقي]

وفي ا وك والعاطل للحلي ص ١٦ ، ٣٧ :

« لولا الشراب واش كانْ بقي نرجع فقي »

وجاء في ص ١٠٣ :

« ياحبيبي لقيت كثير في النّاس بالحكم ينطقْ »

وفي ا وك والعاطل للحلي ص ١٩٩ .

« ياحبيبي لقيت كثير في الناس بالحكم ينطقوا »

---

(١) جاء في نسخة كمبردج (ك) : خلف بن راشدة ، وجاء في مقدمة ابن خلدون طبعة Quatremére باريس (١٨٥٨ م) ٣ : ٤٠٧ ، مخلف الأسود (وفي الهامش : (يخلف) .

(٢) جاء في نسخة كمبردج (ك) : « الخبيط » .

(٣) جاء في العاطل للحلي ص ١٧ : « ابن اللمنكة » .

(٤) المصدر نفسه : ١٨

وجاء في الصفحة نفسها : « انهلْ َشويّ ياصاح لاتقروب » وفي ا وك :
« اْمهَلْ شوَي ياصباح لاتقروب » .

وجاء في ص ١٠٤ :

« يتركُوا قـــومْ َونالا إنمـــا َمذْهـَبي الطِـــلا
يامنْ على مِنّو بـينْ ملا كانْ يكون أرجلي العقار
« ويكون فُمي الدّلوا »

وفي ا وك والعاطل للحلي ص ٣٤[1] :

« تتركوا َقومْ وآنالا »
إنمـا َمذهبي الطِـــلا
ياَعلَى منّو؛ ير مـلا
كان يكون أرجُلي العُقاب ويكون فُمّي الدّلو »

وجاء في ص ١٠٥ :

« ُغصنْ َبانْ أوعدني وخَلَفْ ْقاتْ ليه قصّه تعطّفْ
دار وقال حين عِنّي انحرف [وقال]من رأى من قبلك انسان
َصار عليه َمعْطوفْ غُصَين البانْ بالورق »

وفي ا وك : « غصن بانْ أوعدني وآخْلَفْ
شلت ليـه [2] قصة تعطـ ف
دار وقال حين عنّى أحرف

---

(١) م . ن : ٣٤ ، مطلع الزجل :
مُرْ قيل لي عن ذا الشرابْ َوَوجِدْتُو أنا حُلُـــو
ويضيف الحلي قائلاً : « لقد أضاف ابن قزمان مدّه في (آنا) غير أصلية لاقامة الوزن » .

(٢) راجع بلوغ الأمل في فن الزجل للحموي ص ١١٣

من رأى من قبلك إنسان صار معطوف عليه غصن البان بالورق[١]

وجاء في ص ١٠٦ : « في بيت ومطلع » والصواب : « في مطلع وبيت ».

وجاء في ص ١٠٧ : « وفي الأراضي قَوم تَرى شَى نذهَبْ » وفي ا وك : « وفي الأزاهر قوم ترى شي آتذهب » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وأصفر ويَحكي لنا في الأبْيَضْ » وفي ا وك : « واصفر ويحكي لنا في الأبيض » .

وجاء في الصفحة نفسها : « ولا فصوص كارب في بلاد تُوجَدْ » وفي ا وك : « ولا فصوص كارب في بُلاّر[٢] تُوجَدْ » .

وجاء في ص ١٠٨ : « في بيت زجل الخياط » وفي ا وك وخزانة الأدب للحموي ص ١٤١ ، وبلوغ الأمل في فن الزجل ص ١٣٠ : « في بيت من زجل في خياط » .

وجاء في الصفحة نفسها الزجل « قال فشبه خدي... » والزجل مذكور في بلوغ الأمل للحموي ص ١٣٤ ، وكان يحسن بالمحقق أن يرجع إليه ، وراجع كذلك خزانة الأدب ص ١٤١ .

وورد في الصفحة نفسها اسم « علي النجار » دون أن يعرّف به . راجع خزانة الأدب ص٧٣ . فإن علي النجار هذا كان وكيلا لبيت المال بدمشق.

وجاء في الصفحة نفسها : « وأش قلتو أنه خسر فيه » وفي ا وك .«وايش قلتو انو خسر فيه » .

---

(١) بشأن الخرجة ذات الردفة الزائدة راجع : ديوان الحلي ، تحقيق البستاني بيروت (١٩٦٢) ص ١٩٤ ، توشيح الصفدي رقم ٢١ ، وفيات الصفدي ٤ :٢٨٣ ، وفيات الكتبي ٢ : ٥٠٨

(٢) البلاّر : لغة في البلور .

وجاء في ص ١٠٩ : « يابُني لاتسُومْ » وفي ا وك : « يَبْني لاتسوم »

وورد في الصفحة نفسها اسم « أحمد العطار » دون أن يعرّف به . هو وهوشهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن العطار الدنيسري ، ولد في دنيسر قرب ماردين بالجزيرة سنة ٧٤٦ هـ ، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٩٤ هـ . راجع الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني حيدر آباد (١٣٤٨ هـ) ١ : ٢٨٧ ، الأعلام لخير الدين الزركلي (الطبعة الثانية) (١٩٥٥) ١ : ٢١٦ .

وجاء في ص ١١٠ : « لمصونات التواري حذراً ، والصواب : « خدراً »

وجاء في الصفحة نفسها : « ماذا وَردْ سَايل دمُوعي مَحْرُوم » وفي ا وك : « ماَرد سايل دموعي محروم » .

وجاء في ص ١١٢ زجل لابن حجة الحموي « عارضو لما عشق خَدّو » وقد ذكره محمد بن أحمد الابشيهي في المستطرف من كل فن مستظرف ، القاهرة (١٣٠٨ هـ) ٢ : ١٩٢ ، ومما ينبغي إثباتُ الفروق في الهامش .

وجاء في ص ١١٧ : « قدّو مايل » وفي ا وك : « قدّو مائل » [١] .

وجاء في الصفحة نفسها : « موطا خِلقُو مليح وما اعلا قَدْرو » وفي ا وك : « موطا خُلقو ومليح ما أعلا قدرو » .

وجاء في ص ١١٩ : « وأنت غرة بدر [تشرق] لنا في الأصايل » وفي ا وك : « وأنت غرة تشرق آلنا في الأصابل » . وهو أكثر انسجاماً مع البحر .

وجاء في ص ٢٠ : «مابُلى أحدً بما قدبُليت من العذاب» وفي ا وك :

---

(١) راجع بشأن القوافي أقفال الزجل نحو : « الشمايل وعمايل ، خمايل وحمايل ، نابل وبابل ، وقابل وقايل ، الغلايل ودلايل .

« مابلى حد مثل ما   بو بليت من العذاب [(١)]

وجاء في الصفحة نفسها « كم قطعت ُ من جبال» وفي ا وك : « كم قطعتو من جبال ».

وجاء في الصفحة نفسها : « تقطع البرّ الطويل » وفي ا وك : ما أقطع البر الطويل » .

وجاء في الصفحة نفسها : « ونجايبي » وفى ا وك : « وجنابي » .

= = = = :« امسْ مع وجه المليح » وفي ا وك : « امس مع وَحْد المليح ».

وجاء في الصفحة نفسها « وبقيتُ في عنونا » وفي ا وك : « وبقيتو في عنا »

ويلاحظ أن المحقق لايتخذ موقفاً محدداً من إيراد الألفاظ الجنسية : فقد جاء في ص ١٢٢ : « من رآه ... رقص » ، ولكنه أثبت الألفاظ الجنسية في خرجة الزجل نفسه . أو كما جاء في بليق المعمار في فن الزجل للحموي ص ١٢٤ :

وجاء في ص ١٢٣ :

« دارْ قلبّي ما عِنْدَك حنّا   أشْ دي المصيبةَ قُومْ عنّا
دَخيلكْ أولاد الحرّا   ناديت لُو اصْبر لي سنّنا »

وفي ا وك:

« دارْ قلبّي ما عِنْدَك حنّا   اش دي المصيبهْ قُومْ عنّا

---

(١) وجاء مطلع الزجل في النسختين أيضاً وهو :

في هوى المردان ضنيت   وبرى جسمي النحول
وذهب عقلي على من   لا ربيت لهم عقول

ناديت ُلو اصبر لي سنـًا ـَدخيلـَكْ آولد الحـَـرّا » (١)

وفي ص ١٢٤ : يعتمد الحموي في زجله هذا على التورية بسور القرآن والتنبه للتورية يعين على تصحيح بعض القراءات نحو : « ورأيت ماعطيت » والصواب : « أرأيت ما عطيت » وأيضاً : « يوم النازعات َعمّا » والصواب : « يوم النازعات َعمّ » ، « مايقع يوم الواقعة أعْداك » والصواب : « مانفع يوم الواقعة أعداك » ، وأيضاً : « قاف تراها » والصواب : « ق تراها » وكذلك « صاد جوارح » والصواب : « ص جوارح » الخ ..

وهناك ، أيضاً ، أخطاء مطبعية ، نحو : « بأمرو المتين » والصواب : « بأمر والتين » ، وأيضاً : « بين آدم » والصواب : « يبن آدم » الخ ...

وجاء في ص ١٢٨ : « شنب الحبيب » والصواب : « شنب الحبب » .

وجاء في ص ١٢٩ : « جُعلا » والصواب : « جملا » .

وجاء في الصفحة نفسها : « لكون ابن الامشاطي » وفي ا وك : « لكون أن الأمشاطي » .

وجاء في الصفحة نفسها : « عاد مخلّقاً » وفي ا وك : « فعاد محلقاً » .

وجاء في الصفحة نفسها :

« أْعشَقْ لكْ منَ الأكياس َمعْشوق وأنْفيقْ الأكياس
وان أوعد . وانعم . أنهب . وإن صال . إن هـان . وأرفعْ قدرو
فوق العين وفوق الرأس »

والصواب :

« إْعشَقْ لك من الأكياس معشوق وانفق الأكيـاس
ون أوعد . وأنعم . أنهب . وإن صال . انهان . وارفع . قدرُو .

---

(١) في نسخة اكسفورد ا : « الحرّا » .

فوق العين وفوق الرأس »

وجاء في ص ١٣١ : « في الياس والرجا عمري » وفي ا وك : « بين الياش والرجا عمري » .

وجاء في ص ١٣٣ :

« من أحمد . ماجانظم .ولا رتّب . زجّال . بلسان . ينْشد شعرو
ونْ راحْ يسْكِر الجُلاس »

والصواب :

« من أحمد . ماجا آنظم . ولا آرتب . زجال . بلسان . يسمع (١) . شعرو .
دون راح يسحر الجلاس »

وجاء في الصفحة نفسها : زجل الحاج علي بن مقاتل . راجع تعليقي على الزجل ص ١٠٨

وجاء في ص ١٣٨ : « ولو طلب ... توارت عنه » والصواب : « ولو طلب .. لتوارت عنه » .

وجاء في الصفحة نفسها : « بين أهل هذه البلاد » وفي اوك : « بين أهل البلاد » .

وجاء في الصفحة نفسها : « فالشعر قد شعر الناس بإعرابه » وفي ا وك : « فالشعر قد علم اعرابه » .

وجاء في الصفحة نفسها : « في مدائن » وفي ا وك : « في ميدان » .

= = = = : « ولماقالتسهولتها» وفي ا وك: «ولماقلّتسهولتها»

= = = = : « للمتأدب طبعها » وفي ا وك : « المتأدبطبعاً »

= = = = : « لم يلق المبلغ على تدبير مصطلحها جابر كان

---

(١) ويسمع أرجح لأن القافية تقتضي ذلك ، راجع أقفال الزجل السابقة : شعشع ، وسّع ، رصّع ، ضيّع ، يمنع ، وَرْفع .

أجنبياً من الصناعة » وفي ا وك: « لم يلق البليغ على تدبير مصطلحها جائزاً كان أجنبياً من الصناعة » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وقد عنّ أن أنظم » وفي أ وك : « وقد عنّ لي أن أنظم » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وهي المواليا » والصواب : « وهو المواليا » .

= = = = : « وإنما اللحن أحسن » وفي ا وك : « وإنما اللحن فيه أحسن » .

وجاء في ص ١٣٩ : « وما قُصِد بقولهم » وهذا منقول عن الحلي في العاطل ص ٨ ، وتنبغي الإشارة إليه [1] .

وجاء في الصفحة نفسها : « وهو التزنيم في الزجل ، فإنما المقصود أن يكون المعرب منه نوعاً بمفرده » وفي ا وك والعاطل للحلي ص٨ : « وهو كالتزنيم في الزجل ، وإنما المقصود أن يكون المعرب منه نوعٌ بمفرده » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وحلت بهذا الألباب » والصواب : « وخلب بها الألباب » .

وجاء في ص ١٤٠ قول البغاددة من الكان وكان وقد ذكر الحلي في العاطل الكان وكان نفسه مع وجود فروق في ص : ١٥٥ - ١٥٧ ، ٢١٧ - ٢٦٨ ، ولم يشر المحقق إلى ذلك . وقد جاء بيت ثان في ا وك وهو :

« السفن للسفن [2] تكاـي والطـير مع شكلو يطـير
ومـا تطـير الفواخت إلا مـع الورشان »

---

(١) راجع العاطل للحلي ص ٨ : وما قصدت بقولي

(٢) في نسخة كمبردج (ك) : « للسفر » .

وجاء في ص ١٤٢ : « ويعجبني أيضاً قول القائل » راجـع ثمرات الأوراق للحموي ص ٤٠٥ ، والقائل هو ابن الجوزي .

وجاء في الصفحة نفسها : « والآخر هو الثالث أطول منها » وفي ا وك : « والآخر وهو الفصل الثالث أطول منها » .

وجاءفي ص ١٤٣ :« والوزن الثاني منها » وفي ا وك:« والوزن الثاني منهما»

وجاء في الصفحة نفسها : « بعد غناء الرمل والجزل » وفي ا وك : « بعد غناء الرمل والزجل » .

وجاء في الصفحة نفسها ذكر « ابن نقطة »راجع ترجمته في الاعلام لخير الدين الزركلي (طبعة ثانية) (١٩٥٥) ٧ : ٨٠ ، وكتاب الدوبيت في الشعر العربي ، د . كامل مصطفى الشيبي ، بيروت (١٩٧٢) ص ١١٦

وجاء في الصفحة نفسها : « فلما وصل إلى القوما » وفي ا وك : « فلما وصل إلى القوما قال » .

وجاء في ص ١٤٤ : « اليد الطويلة » والصواب « اليد الطولى » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وكذلك إذا نظم » وفي ا وك : ولذلك إذا نظم»

= = = : « منها في آخره » وفي ا وك : « منها في الآخر » .

= = = : « القوما » وهي لصفي الدين الحلي ، راجع العاطل للحلي ص ١٧٦

وجاء في ص ١٤٥

« كُنْتَ مالكْ . دون أخْوالكْ . وَالَكْ . سَلَتْنا اللهُ يجُعتدُو

أوّل سؤالكْ . أقْصر مَقالكْ

قدْ ميج . قيلكْ وقالكْ . إنْ بدالكْ . في الهوى الله أقالكْ »

وفي ا وك والعاطل للحلي ص ١٧٩ :

« كُنَّا مآلكْ . دون اخواك وآلكْ . سلّيتنا الله يجعلو أول سؤآلكْ
اقصر مقالك . قد سمج قيلك وقالك . إن كان بدالك في الهوى الله أقالك »

وجاء في ص ١٤٦ : « وما قد تقرر حذف الاعراب منها » وفي ا وك :
« وقد حُذف الإعراب منها » .

وجاء في الصفحة نفسها : « قلت : والرسم الذي وضعته في كتابهم هو المصطلح عند المخترعين ، فإذا نظر المتأمل إلى الرسم يعلم أن المصطلح عليه » . وفي ا وك :

« قلت : والرسم الذي وضعته في كتابي هو المصطلح عليه عند المخترعين ، وإذا نظر المتأمل إلى الرسم يعلم أنه المصطلح عليه » .

اكسفورد عبد المحسن علي العباس

* * *

آراء وأنباء

الشيخ أبو عبد الله الزنجاني *

الدكتور محمد جواد مشكور

هو العلامة الفقيد أبو عبد الله بن نصر الله الزنجاني ،ولد في ربيع الأول سنة ١٣٠٩ هـ من أسرة عريقة بعلمها وشرفها . خرج منها فريق من العلماء والرجال وخدموا العلم والدين خدمة لاتنسى ، منهم شقيقه الأكبر العلامة المفضال الشيخ فضل الله شيخ الإسلام الزنجاني المتوفى سنة ١٣٧٣ هـ . كان كان نموذج السلف الصالح من العلماء كما تشهد عليه تآليفه القيمة في الفلسفة وتاريخ المذاهب وعلم الكلام ،وخزانة كتبه التي ابتاعتها مكتبة مجلس النواب الايراني من أنفس خزائن ايران لاحتوائها على المخطوطات النادرة وخطوط مشاهير العلماء والمؤلفين .

درس الأستاذ الفقيد اللغة العربية وآدابها ومبادىء الفقه الإسلامي على جماعة من علماء زنجان ثم درس الفلسفة وعلم الفلك على أحد حكماء ايران

(*) زنجان : مدينة في ايران الشمالية ، قاعدة اقليم خمسة . وهي تقع بين طهران وتبريز بعد مدينة قزوين .

الميرزا إبراهيم الزنجاني وهو من كبار تلامذة الفيلسوف الشهير ميرزا أبو الحسن جلوه - ثلاث سنوات من سنة ١٣٢٦ إلى سنة ١٣٢٩ ﻫ . ثم رحل إلى طهران ودرس العلم هناك فترة من الزمن باحدى المدارس الفرنسية ورجع إلى زنجان ثم ذهب مع شقيقه الأكبر الشيخ فضل الله في ذي الحجة سنة ١٣٣٠ ﻫ إلى النجف الأشرف ودرس الفقه والأصول على الإمامين السيد محمد كاظم اليزدي وشيخ الشريعة الأصفهاني كما حضر دروس كبار فقهاء الدين وزعماء المجتهدين كالعلامة السيد أبي الحسن الأصفهاني والآغا ميرزا حسين النائيني والآغا ضياء الدين العراقي الأصولي ، ومكث فيها تسع سنوات حتى نال درجة رفيعة من الاجتهاد ثم رجع في أواخر سنة ١٣٣٨ ﻫ إلى زنجان واشتغل بتأليف الكتب النافعة ونشر أفكاره الاصلاحية الإسلامية ثم جال في بعض بلاد ايران وسافر إلى سوريا وفلسطين والقاهرة وزار مكة المكرمة وتعرف في هذه الرحلة على كثير من رجال العلم والفكر في الأقطار العربية ثم عاد إلى زنجان وتولّى القضاء الشرعي فيها مع تدريس الفقه والفلسفة والتفسير على الأسلوب الحديث واهتّم أيضاً بنشر المقالات الأدبية والتاريخية في مجلة لغة العرب البغدادية ومجلة الزهراء المصرية ، وانتخب في ٧ محرم ١٣٤٧ ﻫ الموافق ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٨ عضواً مؤازراً في المجمع العلمي العربي بدمشق وكان أول عالم ايراني اختاره المجمع العلمي لعضويته للقيام بخدمة اللغة العربية وإحياء آدابها . ثم سافر في أواخر سنة ١٣٥٣ ﻫ مرة ثانية إلى العراق وسوريا ومصر وذلك لطبع تأليفه في تاريخ القرآن والتعرف إلى البلاد الإسلامية واتصل في هذه الرحلة بكثير من رجال العلم والأدب والصحافة في مصر وسوريا وألقى محاضرات في جامعة الأزهر وبعض أندية العلم في القاهرة وكان لأقواله ومحادثاته ومحاضراته التي تدور حول دعوة علماء المذاهب الإسلامية إلى المودة والمحبة والإخاء وقع عظيم في نفوس المستمعين

وأثر في توجيه الانظار إلى ضرورة التعاون بين الأقطار الإسلامية وتجاوز الخلافات المذهبية .

وبعد عودته من هذه الرحلة العلمية انتخبته وزارة المعارف الإيرانية استاذاً في جامعة طهران واشتغل بتدريس علم التفسير والأخلاق وتاريخ الفلسفة في كلية العلوم العقلية والنقلية (كلية التشريع والفلسفة الإسلامية) أربع سنوات من سنة ١٣٥٤ إلى سنة ١٣٥٨ هـ . وبعد انحلال هذه الكلية وضم قسم الفلسفة منها إلى دار العلوم العالية وقسم الشريعة منها إلى كلية الحقوق اشتغل الأستاذ سنة واحدة بالتدريس في دار العلوم العالية ثم أصابته ذبحة قلبية فأشار الأطباء عليه أن يقيم في زنجان لصفاء الجو فيها لكن الأجل لم يمهله فتوفي فيها بعد أشهر في ٧ جمادى الثانية سنة ١٣٦٠ هـ .

للأستاذ الفقيد إجازات اجتهاد عن كثير من الأئمة الأعلام كالسيد أبي الحسن الأصفهاني والآغا ميرزا حسين النائيني والشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي كما يروي بالإجازة على طريقة الفقهاء والمحدثين عن العلامتين العلامة العراقي السيد محمود شكري الآلوسي والعلامة الشامي المحدث السيد محمد بدر الدين بن يوسف الحسني الدمشقي .

مؤلفاته المطبوعة باللغة العربية :

١ — كتاب تاريخ القرآن : كتاب وجيز يبحث في سيرة النبي الأكرم والقرآن الكريم والأدوار التي مرّت به من كتابته وجمعه وترتيبه وترجمته إلى سائر اللغات . طبع في مصر سنة ١٣٥٤ هـ وطبع طبعة ثانية في ايران وثالثة في بيروت . وترجمه الأستاذ أبو القاسم سحاب إلى اللغة الفارسية في سنة ١٣٥٧ هـ .

٢ — الفيلسوف الفارسي الكبير صدر الدين الشيرازي : اطروحة

كتبها بمناسبة انتخابه لعضوية المجمع العلمي العربي بدمشق اولاً في مجلة المجمع العلمي العربي ثم طبعت على حدة في مطبعة المفيد بدمشق ثم طبعت طبعة ثالثة وطبعة رابعة في طهران . ترجم هذا الكتاب الأستاذ ابن يوسف الشيرازي إلى اللغة الفارسية وطبع قسماً منها في جريدة ايران آزاد التي كانت تصدر في طهران سنة ١٣٤٩ هـ .

٣ — شرح رسالة (بقاء النفس بعد فناء الجسد) للفيلسوف الكبير نصير الدين الطوسي . طبع في القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ . وترجمه العالم الفاضل زين الدين كياني نژاد إلى اللغة الفارسية وطبع أولاً في مجلة (جلوه) ثم طبع على حدة في مطبعة اخكر في طهران .

٤ — طهارة أهل الكتاب : محاضرة ألقاها على جماعة من طلبة العلم في أهل الكتاب ونظر الإسلام اليهم . طبع في بغداد سنة ١٣٤٥ هـ وقد ذكر في مقدمتها الدافع لتأليفها .

مؤلفاته المخطوطة باللغة العربية :

١ — أصول القرآن الاجتماعية : رسالة وجيزة تبحث في أصول القرآن العالية كالتوحيد والعدل وكراهة التقليد وغيرها .

٢ — الواحد لايصدر عنه إلا الواحد : رسالة تبحث في هذه القاعدة الفلسفية وقد وضع أستاذه الكبير شيخ الشريعة الأصفهاني استدراكات لهذه الرسالة وقرظها .

٣ — الأفكار : رسالة فلسفية اصلاحية إسلامية .

٤ — الوحي : رسالة وجيزة في معنى الوحي .

٥ — التصوف في التاريخ : كتاب ألفه في أواخر أيام حياته يبحث في مذهب وحدة الوجود وسيره من أقدم أزمنة الفكر وشرحه وبرهانه وحلّ بعض مشكلاته وأثره الخلقي وأشهر أصحابه في الإسلام .

٦ – الإسلام والأوربيون : رسالة وجيزة يدعو فيها المسلمين إلى التمسك بعروة الاتحاد الإسلامي والكفاح الاقتصادي مع الدول الأوربية الطامعة وذلك بوسائل منها اجتناب استعمال أمتعتهم وترك تقليد بعض عاداتهم .

مؤلفاته باللغة الفارسية :

١ – سيرة الإمام حسين بن علي عليهما السلام : شرح فيها أسباب حدوث واقعة الطف وأسرار شهادة الإمام شرحاً تاريخياً مبنياً على الإنصاف طبع في تبريز مراراً مع حواشي العلم الفقيد الحاج ميرزا عباسقلي جرندابي .

٢ – سر انتشار الإسلام : رسالة وجيزة تبحث في حالة العالم عند ظهور الإسلام وأسباب انتشاره في البلاد .

٣ – دين الفطرة : رسالة تبحث في موافقة الأصول الإسلامية مع أحكام العقل والفطرة .

٤ – المعارف في ايران قبل الإسلام رسالة وجيزة تبحث في حالة العلوم في ايران قبل الإسلام .

مترجماته من اللغة العربية إلى اللغة الفارسية :

١ – سيرة محمد (ﷺ) ترجمها من كتاب (الأبطال وعبادة البطولة) للفيلسوف الانكليزي الكبير توماس كارلايل . طبع في تبريز مراراً مع حواشي العالم الفقيد الحاج ميرزا عباسقلي جرندابي .

٢ – وصية ارسطو إلى اسكندر - طبعت في أعداد ٣ و ٤ من السنة ١٧ من مجلة كلية الآداب التي تنشرها جامعة طهران .

نبذة من مقالاته ومحاضراته :

١ – آثار في ضيا آباد ايران مجلة لغة العرب الجزء ٤ السنة ٦

٢ – خزائن زنجان في ايران مجلة لغة العرب الجزء ٢ السنة ٦

٣ – خراسان وخزائنها (١) مجلة لغة العرب الجزء ٩ السنة ٦

٤ – خراسان وخزائنها (٢) مجلة لغة العرب الجزء ١٠ السنة ٦

٥ مخطوط قديم في غريب الحديث مجلة لغة العرب الجزء ٣ السنة ٦

٦ – وصف كتاب تحفة الأزهار في نسب الأئمة الأطهار

مجلة لغة العرب الجزء ٥ السنة ٦

٧ – من كنوزنا المفقودة مجلة الزهراء سنة ١٣٤٥

٨ – دواء المسلمين في الرجوع إلى القرآن (محاضرة ألقاها في جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة) مجلة الهداية الإسلامية الجزء ٨ من المجلد السابع

٩ – الإسراء ترجمت دائرة المعارف الإسلامية ذيل هذه الكلمة

١٠ موقع المرأة في الإسلام والشرائع القديمة محاضرة ألقاها في جامعة طهران سنة ١٣٥٤ وطبعت في أعداد من جريدة إطلاعات .

دمشق . الدكتور محمد جواد مشكور

المستشار الثقافي في سفارة ايران

والعضو المراسل في مجمع اللغة العربية

تنويه

تلقت المجلة الكلمة التالية من الدكتور عمر الأسعد :

تعقيباً على المقال الذي نشرته لي مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في عددها الرابع من المجلد ٥٢ ، تحت عنوان « في شعر الخوارج » ، فقد سقطت في المطبعة الورقة التي نوهتُ فيها بأن الجانب المتصل بمراجع شعر الخوارج ومصادره ، مما جاء في المقال ، أفدتُ فيه بصورة أو بأخرى ، من معلومات مشتركة متبادلة مع الدكتور نايف معروف ، له فيهما فضلٌ لزم التنويه به والإشارة إليه .

عمر الأسعد

انتخاب الدكتور شاكر الفحام
نائباً لرئيس مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس المجمع في جلسته السادسة للدورة المجمعية « ٧٧ - ٧٨ » التي عقدها في ١ كانون الأول سنة ١٩٧٧ الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائباً لرئيس المجمع .

وقد صدر عن وزير التعليم العالي في ذلك قرار رقمه ١ / ت ع وتاريخه ١٩٧٨/١/٢٥ ، جاء فيه مايلي :

وزير التعليم العالي

- بناء على أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٤٣ لعام ١٩٦٦
- وبناء على القرار الجمهوري ذي الرقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ باحداث مجمع اللغة العربية وبخاصة أحكام المادة الثامنة منه .
- وعلى القرار الجمهوري ذي الرقم ٣١ لسنة ١٩٦١ المتضمن اللائحة الداخلية لمجمع اللغة العربية .
- وعلى محضر الجلسة السادسة لمجلس مجمع اللغة العربية المنعقدة بتاريخ ١ كانون الأول سنة ١٩٧٧

يقرر مايلي :

مادة ١ - يسمى الأستاذ الدكتور شاكر الفحام العضو العامل في مجمع اللغة العربية بدمشق نائباً لرئيس المجمع اعتباراً من ٣١ / ١٢ / ١٩٧٧

مادة ٢ - ينشر هذا القرار ويبلغ من يلزم لتنفيذه

دمشق في ٢٥ / ١ / ١٩٧٨

وزير التعليم العالي

الدكتور محمد علي هاشم

حفل استقبال الأستاذ أحمد راتب النفاخ

١ ـ كلمة الأستاذ الدكتور حسني سبح

٢ ـ خطاب الأستاذ عبد الهادي هاشم

٣ ـ خطاب الأستاذ أحمد راتب النفاخ

كلمة الأستاذ الدكتور حسني سبح
في حفل استقبال الأستاذ أحمد راتب النفاخ

الزملاء الأكارم ، سيداتي وسادتي :

إني وأنا أعلن باسم الله العليم القدير افتتاح هذه الجلسة العلنية التي يعقدها مجمع اللغة العربية لاستقبال عضو عامل جديد ، يطيب لي أن أرحب أحر الترحيب بكم جميعاً شاكراً لكم الاستجابة للدعوة والمشاركة في هذا الحفل .

نستقبل في هذه الأمسية الأستاذ أحمد راتب النفاخ وقد اختير عضواً عاملاً في المجمع في جلسة نظامية عقدت مساء الثامن من رمضان سنة ١٣٩٦ الموافق للثاني من ايلول سنة ١٩٧٦ وأقر الانتخاب رسمياً بصدور المرسوم الجمهوري ذي الرقم ٢٧٩٨ وتاريخ ٣٠ من كانون الأول سنة ١٩٧٦

لقد عرف أعضاء المجمع كما عرف كل متتبع لما ينشر إن في مجلته أو في غيرها من الدوريات التي تعنى بالعربية وما يتصل بها من علوم ، عرف هؤلاء وأولئك ما للأستاذ النفاخ من خبرة متميزة في تحقيق كتب التراث ، ومن اطلاع واسع على اللغة حتى كثيراً ما اختاره مجتمعنا خبيراً في بعض لجان مصطلحاته ، وأحال إليه إعادة النظر في بعض ماحقق من كتب التراث تحقيقاً غير واف .

وإن في انضمامه إلى أسرة المجمع ملء شاغر وسداد ثغر ، فهو يحل محل المرحوم الشيخ محمد بهجة البيطار فقيد العلم والدين ورجل التقوى والصلاح

وبقية السلف الصالح حقاً : عملاً وعلماً أسكنه الله فسيح جنانـه .

فالأستاذ النفاخ سلفي المنبت عصري المنهج ، ويتوسم فيه أن يسد ثلمة طالما تراءت منذ افتقاد الجم الأساتذة الأعلام طيب الله ثراهم من أمثال المغربي والتنوخي وغيرهما . ولا غرو إن عد الأستاذ ثبتاً من الأثبات في علوم اللغة العربية لا في قطرنا فحسب بل في الوطن العربي الكبير أيضاً .

وإني إذ أهنىء الأستاذ على مآناله من ثقة زملائه وتقـدير المجمع له لأرجو له المزيد من العمل الموفق والانتاج المثمر في رحاب المجمع فأهلاً وسهلاً بك أيها الزميل الكريم .

هذا ويستقبله باسم المجمع الأستاذ عبد الهادي هاشم ، ثم يلقي الأستاذ النفاخ كلمة عن سلفه المرحوم الشيخ محمد بهجة البيطار .

* * *

خطاب الأستاذ عبد الهادي هاشم
في حفل استقبال الأستاذ أحمد راتب النفاخ

الحمد لله وحده ، والصلاة على من لانبيّ بعده ، أمّا بعد :

فقد قارب مجمعنا أن يبلغ الستين من عمره المديد إن شاء الله ، تعاقب فيها على حمل أمانته أفذاذ من أفاضل الرجال يضنّ الدهر بأن يجود بأمثالهم ويعجز عن أن يمحو ذكراهم ، وقد تخطّفت المنية الرعيل الأول كله منهم ، وانتقل إلى خلفائهم واجب الجهاد الأكبر في نصرة العربية والحفاظ على تراثها ، وقد صدعوا بما أمروا ، وأوفوا بما عاهدوا ، وأعانهم على ذلك ما أوتوا من عزم ، وما مُكّنوا لهم من معرفة ، فهم لايفتأون يعملون على أن تظلّ راية هذه اللغة الشريفة خفّاقة في الملاء ، وأن تبقى شجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ولئن أسينا على فراق من زاملناه في مسيرتنا منهم ، إننا لنسعد بمن ينضم إلينا يشدّ أزرنا ويشدّد عزيمتنا وينهض بما كلّت سواعدنا عن الاضطلاع به ، وناءت قوانا بتحقيقه .

ولئن فارقنا بالأمس علامة الشام وزين رجالاتها الأستاذ الكبير الشيخ محمد بهجة البيطار فانّ لنا في خلفه الأستاذ أحمد راتب النفاخ عزاء وسلوانا فعلى زميلنا الجديد تعقد آمالنا في أن يكون خير خلف لخير سلف ، وأن يحمل الأمانة التي حمّلها مَنْ قبله من العلماء العاملين العارفين .

عرفت الأستاذ راتباً منذ لواذ ثلاثين عاماً ، واتّصلت بيننا أواصر الودّ منذئذ ، وكنت لا أنفكّ أسعى للقائه كلّما قيّض لي ذلك ، وكنت

كلّما لقيته أزداد إكباراً لما يتحلّى به من خلق رصين وعلم مكين وفكر نيّر واطلاع واسع وإحاطة بهذه اللغة العربية وأدبها وأسرارها وخصائصها ، إحاطةً لايكاد يجاريه فيها أحد من فرسان المعرفة وأركان العلم في عصرنا هذا . فمـا أسعدني اليوم إذ أنوب عن رجالات المجمع في استقباله باسمهـم والترحيب بانضوائه إلى العاملين في هذا الصرح العلميّ الممرّد . وقد وُكِل إليّ أن أعرّف بزميلنا الكريم ، كما جرت بذلك سنّة المجمع ، وأن أسرد طرفاً من سيرته وآثاره ، وما بكم أيها السيّدات والسادة حاجة إلى ذلك ، ولن أزيدكم علماً بفضله ونبله ، أو إعجاباً بعلمه وخُلقه ، أو تقديراً لآثاره وتصانيفه ، ومع ذلك فلا بدّ من كلمات يسيرات تترجم لزميلنا الجديد .

ولد رصيفنا الكريم سنة سبع وعشرين وتسعمائة وألف ، أي منـذ خمسين عاماً ، في هذا البلد الطيّب من أسرة هاجرت من بعلبك إلى دمشق في أوائل القرن الماضي إثر نزاع محلّي قـام بين بعض طوائفها ، وكانت أسرته قبل ذلك قد جاءت من حوران إلى بعلبـك . وقد بـدأ الدراسة وهو في الرابعة أو الخامسة من عمره في (كتّاب) قرب مسجد الشيخ محيي الدين بن عربي ، ثمّ التحق بمدرسة (الصاحبة) الابتدائية وبعدها بثانوية جودة الهاشمي ، وظهر تفوّقه على لداته منذ صباه ، فكان أساتذته يؤثرونه بالتقدير والتشجيـع ، ويتوسّمون فيه النبوغ والبرازة . وتجلّت مواهبه عندما انتسب إلى جامعـة دمشق ، وكان أساتذة كلّيـة الآداب وكلية التربيـة يقدرونه قدره ، ويعرفون له منزلته ، فلما نال الإجازة عام ١٩٥٠ عيّن أستاذاً للعربية في ثانويات درعا ، ثمّ مالبث أن احتضنته الجامعة أستاذاً في كلية الآداب منذ سنة ١٩٥٣ ، وهو لايزال إلى اليوم فيها يتخرّج به مئات الطلاّب كلّ عام ينهلون من علمه ، ويتأسّون بخُلقـه ، ويجهدون في السير على أثره .

أحبّ راتب العربية منذ صباه ودرسها وحرثها وجلّى من أسرارها ماخفي عن الأكثرين من المعاصرين . ولم يقنع بتمكّنه من ناصيتها ، وغوصه على لآلئها ، بل أراد أن يذيعها ويشيعها في ألسنة تلامذته وأقلامهم ، وعمل على أن يشركوه فيما علم ، ويفيدوا ممّا اتقن ، فالتزم الفصحى السليمة السهلة في حديثه اليوميّ ، وأخذ بها طلّابه في الجامعة ، وبثّ في نفوسهم محبّتها واكبارها وتذوّق خصائصها ، فطبعوا على غراره وحاولوا تقليده ، والتقليد ـ كما يقول الغربيون ـ أعظم دلائل الاعجاب ، وتخرّجت به طائفة كريمة منهم هي معقد آمالنا ومحطّ رجائنا في التمسّك بالعربيـة والحفاظ عليها في المستقبل القريب .

وراتب لايضنّ بعلمه ولا يبخل بعونه ولا يتمسك بكتبه وهي كثيرة غزيرة ، وبعضها نادر أو مفقود ، يبذل هذا وذاك خدمة للعلم وبثًا للحكمة ولعلّ كتبه التي في خزانته ، على كثرتها ، أقلّ عدداً من كتبه الـــتي استعارها رفاقه وأصدقاؤه منه وهي لاتزال عندهم ، وهو إلى ذلك لايسمع بكتاب ظهر في موضوع يهمّه أمره إلا سعى في اجتلابه وقراءته أبالعربية ظهر أم بالفرنسية .

ما زرته في داره مرة إلا وجدت عنده زائراً من كبار رجالات البحث والتحقيق المعروفين في الشرق والغرب جاءوا يستفتونه في قضيّة علميّة أو يطارحونه الحديث في مشكلة لغوية ، يجدون عنده مالا يجدون عند الكثيرين من المتخصّصين المتمرّسين : معرفة واسعة عميقة ، وإحاطة شاملة متمكنة ، وحكما صائباً بريئاً من التعصب والجهل والتخليط . وقد يلقى زائره عنده طائفة من طلابه لم يقنعوا بما قرأوه له أو سمعوه منه في محاضراته فجاءوا يستزيدون النهل من ينبوعه والإفادة من فضله ويتزاحمون على الاستماع إلى حديثه ، وقديماً قال الشاعر : والمورد العذب كثير الزحام .

والأستاذ راتب رضيّ الخلق لايستكبر ولا يتعاظم ، وهو القائل في بعض كتبه : « وبعد فما أشكّ ان بين عملي وبين ما أريده له بوناً بعيداً ، وإني لآمل أن أجد من آراء الزملاء الدارسين ممن ينظرون فى هذا الديوان ما يعين على استكمال أسبـاب التحقيق من تقويم عوج أو تصحيح خطـأ أو تلافي نقص » .

والأستاذ راتب إلى ذلـك وفيٌّ لأساتذته حفيٌّ بهـم ذاكر لفضلهم متأسٍّ بهم ، وطالما سمعناه يثني على علامة العصر الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي (١) والأستاذ الشاعر محمد البزم والعالم الناقد المعروف الدكتور أمجد الطرابلسي . أعضاء مجمعنا ، والعلاّمة الراوية المحقّق محمود محمد شاكر والأديب الكبير شوقي ضيف وغيرهم . .

أتقن زميلنا الكريم كثيراً من العلوم التي عرفها السلف أو استحدثها الخلف ، وبزّ أقرانه في فنون منها انتهت إليه الرياسة فيها في عصرنا هذا في بلدنا هذا : كالقراءات والنحو والبلاغة والعروض واللغة : فقها وعلما ، وأصبح حجّة فيها لاينازعه منازع ، هذا إلى أسلوب جزل متميز في الكتابة تفرّد به واشتهر ، وأسوق لكم مثالاً منه أختاره من المقدّمة التي وطّأ بها لديوان ابن الدمينة ... يقول الأستاذ راتب : « وفي حكايـة تفاصيل الخبر خلاف بين الروايات يقع مثله في أكثر الأخبار التي تتعدّد طرقها ، وهو خلاف لا وجه للقطع فيه برأي ، ولنا بعدُ فيما اتّفق فيه وهو لباب

(١) يحتفظ الأستاذ النفاخ بإجازتين كتبهما له عام ١٩٦٠ بخط يده الاستاذ الميمني وفي إحداهما يقول : لقيت الطالب الراغب والشادي الأديب أحمد راتب النفاخ في القاهرة المحروسة وبمدينة دمشق الفيحاء ... وأجزت له أن يروي عني الكتب الستة الأمهات وموطأ مالك وسنن الدارمي ... وسنن الدارقطني وبلوغ المرام كما أجازني به شيخي حسين بن محسن بمدينة دهلي سنة ١٣٢٦...

الخبر مقنع ، وأما ما اختلف فيه فأكثره أهون من ذلك إلا المكان الذي قيل فيه فسنقول بما رجح لدينا من رأي ، وليس من مذهبنا في هذا الموضع أن نتسع في حكاية الخبر ، ونحيط بتفاصيله ... وانما سنلمّ بجمله استيفاءً لعناصر سيرته » .

وزميلنا الكريم متثبّت متمكّن متأنٍ في دراساته وكتاباته ، فهو لايرضى بالخاطرة الأولى ، ولا يطمئن الرأي إلا بعد تقليب وجوهه وتعمّق جوانبه ، ولهذا قلّ ماينشره على الناس إذا قيس بما يعرفه ويتقنه ، ولكن ماينشره أبقى على الزمن من الكثير الكثير مما يفاخر به المتعجّلون المتسرّعون، ولا غرو فقد قال شاعرنا العربي :

بغاث الطير أكثرها فراخا وأم الصقر مقلات نزور

وأوّل مانشر من آثار راتب – ولم يكن قد بلغ يومئذ الخامسة والعشرين نقد موثّق محقّق لطبعة ظهرت سنة ١٩٥١ في مصر لـ (رسالة الغفران) . وكان بعض إخوان راتب قد اطلع على تعليقاته على تحقيق هذه الطبعة من كتاب المعرّي ، فأصرّ هؤلاء الأخوان على نشرها وبعثوا بها إلى مجلّة (الكتاب) في القاهرة ، ولكنّ المشرفين على المجلة جزأوا هذه التعليقات فنشروا بعضها وأحالوا مالم ينشروا إلى أصدقاء لهم أفادوا ممّا لم ينشر عند إخراج الطبعة الثانية من (رسالة الغفران) .

ثم أصدر الأستاذ راتب في العام ١٩٥٩ تحقيقه ديوان ابن الدمينة الشاعر الغزل المشهور ، وهذا التحقيق شطر من عمل ضخم أحاط بحياة ابن الدمينة وشعره وعصره كان قد قدّمه لكلية الآداب بجامعة القاهرة لنيل (الماجستر) واختيار زميلنا الكريم في مطلع شبابه لهذا الشاعر يشير إلى منزلة الغزل العذري الجميل في نفسه وإعجابه به . قيل لأبي السائب المخزومي : أترى

رجلًا لايحب الغزل ؟ قال : أمّا من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا . وراتب يؤمن بالله واليوم الآخر أشد الايمان ، فلا عجب أن ينصرف إلى دراسة غزل ابن الدمينة وتحقيق ديوانه وتجلية هذا الفن فن الغزل الفاتن البارع من فنون أدبنا القديم الأصيل ، وطّأ المحقق لهذا الديوان بمقدمة لخّص فيها ذلك البحث المطوّل الذي كان قد عقده على حياة الشاعر ومآتيه ، وعلى شعر الغزل وأطواره قبل ابن الدمينة وبعده ، ولا سبيل إلى التحدث عن هذا البحث الذي لمّا يطبع ، ولكن في التخليص شذرات منه تجلو صنيع الزميل فيه ، وتومىء إلى الجهد الذي بذل ، والأمْت الذي قوّم ، والحقّ الذي أظهر . وحسبي في الدلالة على بعض ذلك أن أذكر أمرَيْن غُمّ على مترجمي ابن الدمينة الأولين والآخرين وجهُ الحق فيها ، فجاء راتب بالقول الفصل معتمداً حججاً لايرقى اليها الشكّ ، فقد خلّط الباحثون في تعيين موطن ابن الدمينة ، ولكن زميلنا الكريم ساق النصوص المتضاربة التي أشارت إلى ذلك ووازن بينها وقارنها بنصوص أخرى واستشهد بأبيات من شعر الشاعر حتى توصّل إلى حقيقة لم يتجلّها باحث قبله فقال : « والرأي الذي صحّ عندنا وتضافرت الأدلة والقرائن على نصرته أن موطن ابن الدمينة إنما كان في الاصقاع الواقعة جنوبيّ الحجاز ممّا يلي اليمن » . وادعى إلى الإعجاب والثناء توصّل المحقق إلى تعيين العهد الذي عاش فيه ابن الدمينة ، فقد خفي زمنه على المتقدمين والمتأخرين ، فسكت بعضهم عنه ، ورجم آخرون بالظنّ فيه ، ووهم الأكثرون ، فجعله بعضهم شاعراً إسلامياً أو من شعراء الدولة الأموية أو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية أو من رجال القرن الثالث الهجري . ولكن المحقق وقع على نص جليل يقطع باليقين كل شك إذا ماقرىء هذا النص على وجهه لا كما مسخه

الناسخ . أما النص فمن أغاني الأصفهاني وخلاصته : . . « وقال مصعب : فلما أفلتَ من السجن (أي قاتل ابن الدمينة) هرب إلى صنعاء ، فقدم علينا وانّي بها يومئذ وال ، فنزل على كاتب لأبي كان مولى لهم . » هذا هو النص كما ورد في مطبوعة الأغاني ، والأمر لايستقيم ، فمصعب الزبيري لم يل اليمن ... فكيف يقول : وإني بها يومئذ وال ؟ درس المحقق تاريخ ولاة اليمن وعرف أنّ أبا مصعب لا مصعبا هو الذي ولي اليمن سنة ١٨٠ هـ ، واهتدى إلى خطأ في النسخ قلب كلمة (وأبي) إلى (واني) والصواب انزال النقطة من فوق الحرف إلى أسفله وجعل النون باء ، ويكون الكلام : وأبي بها يومئذ وال ، وبذلك تصح العبارة وتتسق ونعرف أن مقتل ابن الدمينة كان في أواخر سنة ١٨٠ هـ أو أوائل السنة التالية ، وان الأشبه بالحق أن يعدّ ابن الدمينة شاعراً من رجال المائة الثانية . ولا أستطيع في مقامي هذا أن أسوق حجج المحقق كلّها ، ولكن أودّ أن أنوّه بهذا الجهد الرصين في التحقيق العلميّ الذي كان يحسبه بعض المعاصرين وقفا على الغرباء عن العربية .

وقد نشر راتب فيما بعد كتاب (القوافي) للأخفش ، وهو أحبّ كتبه المنشورة إليه وآثرها عنده ، ولهذا الكتاب قصة طريفة خلاصتها أننا لم نعثر إلى اليوم إلا على مخطوطة واحدة منه ، اطلع عليها زميلنا راتب وشرع في تحقيقها وأزمع نشرها ، ثمّ علم بنيّة بعض الباحثين الأفاضل في نشرها ، فتلبّث راتب وتريّث . فلما ظهرت مطبوعة الكتاب هاله ما وهم فيه المحقق وما أسقطه من الكتاب وما أساء قراءته أو فهمه فيه . فنشر في مجلة مجمعنا مقالة تعقّب فيها هذه المطبوعة وبيّن أن في هذا الكتاب المنشور على صغره أربعة وستين موضعاً تجانب الصواب المحقق فيها ،

ويكاد القارىء يسلّم للناقد بجلّها ، ثم عكف الأستاذ راتب على الكتاب فنشره نشراً علمياً موثقاً .

ومن الكتب المفيدة التي نشرها زميلنا كتاب (فهرس شواهد سيبويه): شواهد القرآن والحديث والشعر ، وقد وطّأ بهذا الفهرس المشتغلين بكتاب سيبويه سبل الإفادة من شواهده وقواعده وعلّم شداة النحو بما وضع من هوامش وتعليقات كيف يمكن فهم سيبويه .

ولزميلنا الكريم مقالات كثيرة نشرت في مجلة مجمعنا وفي مجلة (العرب) ومجلة (معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية) ومجـلات أخرى لايتسع المقام لسرد أسمائها . وموضوع مقالاته في الجملة تصحيـح مايقع فيه المحققون والباحثون من خطأ عندما ينشرون شيئاً من تراثنا .

هذا ولراتب فضل مؤازرة إخوانه من كرام المحققين في تصانيفهم ، وما أكثر ما يلجأ إليه هؤلاء لاستشارته في مشكلة ، واستطلاع رأيـه في معضلة ، ولولا أن بعضهم يمحضه الشكر والثناء في مقدمـات كتبه ويشيد بفضله وعلمه لما علمنا بامر هـذا العون الذي يسدي والفضل الذي يولي . وإلى جانب مانشر الزميل من كتب هنالك مسوّدات مخطوطة كثيرة لكتب اشتغل بها ولا يزال يتابـع النظر فيها . والتماسه الكمال في ماينشر مبرّءاً من كل غلط أو زلل يحجزه عن دفعها إلى المطبعة ، على شدة تطلّعنا إليها. ومن هذه التصانيف كتاب (معاني القرآن) للأخفش ، وكتاب (معاني القراءات)للأزهري ،وكتاب(طبقات القراء)للحافظ الذهبي ، و (الشيرازيات) و (المسكريات) لأبي علي الفارسي ، و (جمال القرّاء) للسخاوي ...

هذا وقد يعتب بعض خلصاء راتب عليه أنه يقسو أحيانـاً في النقد

ويشتدّ في الردّ ، فإذا رأى عوجاً قوّمه بقارص القول ولاذع التعريض وجارح التبكيت لايترفّق في ذلك ولا يتسمّح ، ولعلّ مذهبه في صنيعه هذا أن بعض القسوة على أدعياء المعرفة قد يردعهم عن غيّهم ، ويردّهم عن ضلالهم ، ويحفظ للعلم حرمته وللحق منزلته ، ويقصي المتمالين عن الخوض في مالا يحسنون ، والتجرّؤ على ما لايتقنون ، ولكن هؤلاء الخاصاء لايرضون هذا المذهب ، ويؤثرون أخذ مخالفيهم بالحكمة والموعظة الحسنة .

أيها السيدات والسادة :

تحدثت إليكم بإيجاز عن راتب المحقق والعالم والباحث والكاتب ، ولم أحدثكم عن راتب الشاعر . وزميلنا الكريم عانى الشعر منذ صباه وقرضه وهو لايزال يافعاً في المدرسة الثانوية ، ومن ذلك أنه كان يقرأ من المقرر في الصف التاسع أو العاشر قصيدة مهيار الديلمي المشهورة التي يفخر فيها بآبائه من الفرس ... والتي مطلعها :

أعجبت بي بين نادي قومها ذات حسن فغدت تسأل بي

فحمي راتب لقومه ولغته وأخذ يرد على مهيار بأبيات على وزن قصيدته يخاطبه فيها ويقول :

لاتقل : لي في المعالي نسب ليس في المجد كآبائي أب

لغتي الضـــاد وقومي عرب عزّت الضاد وعزّ العرب

وله قصائد كثيرة ينحو فيها نحو الصوفية ويبدو عليها أثر ديوان إقبال (ضرب الكليم) ولكنّ راتباً زاهد في نشر شعره ، فإذا نشر شيئاً منه رمز إلى قائله أو عزاه إلى غيره من الشعراء .

وبعدُ فاكرم براتب زميلاً في هذا المجمع الذي عرفه وألفه وشاركه في أعماله منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً : تحقيقاً للتراث وحفاظاً على العربية وتمكيناً لها ودعماً لجهد العاملين في إعزازها ، والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب الأستاذ أحمد راتب النفاخ

في حفل استقباله

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ * وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) .

معذرة أيها السادة إذا ماغشيتني الهَيْبَة ، وعميت عليّ وجوه القول ، فلم أقو على أن أطالعكم بنحو ما اعتاد المختلفون إلى هذه القاعة سماعه ممن تعاقبوا قبلي على هذا المنبر في مثل هذه المناسبة ، فإني لم أكن أنتظر فيما غبر من أيامي أن يأتي علي يوم أقف فيه موقفي هذا لأستقبل عضواً عاملاً في هذا الصرح الشامخ من صروح أمتنا المجيدة : مجمع اللغة العربية الذي

قام منذ أن قام ليكون الأمين على مواريث هذه الأمة الحضارية والثقافية والذائد عن لسانها العربي المبين الذي هو صورة وجودها المتميز ، والمنار الهادي الذي يردّ من جار إلى سواء السبيل ، ويدل من حار على وضح الطريق ، ثم ليكون بعد هذا كله عاملاً مع سائر مؤسسات الأمة وقواها الخيرة على تحقيق أمانيها ومطامحها في المستقبل لتعود كما بدأت خير أمة أخرجت للناس ، وتستأنف أداء الرسالة التي ائتمنت عليها إلى البشر كافة .

أجل أيها السادة ، لم أكن أنتظر أن أقف يوماً هذا الموقف ، ولكن كان ما كان على غير سعي مني إليه ، ولا علم لي به . وسامح الله أستاذي عبد الهادي هاشم الذي مازال منذ أن عرفني وعرفته يفيء علي من ظله ، ويقبل علي بوده ، ويغضي عن معايب فيّ هو من أدرى الناس بها ، فإنه لم يقنع بأن حماني بترشيحه إياي لهذا المكان أمانة أخشى أن تكون فوق مافي طوقي ،حتى أضفى عليّ ما أضفي من نعوت عظم بها مني ماصغر ،وكثر ماقل . وما كان يقع في وهمي أن ما كنت أعرضه عليه من أعمال أقوم بها في علوم القرآن والعربية ـ مما سماه درساً وتحقيقاً ـ لأستهدي فيه بهديه ، وأقبس من علمه ، وأطارحه النظر في بعض ماعنّ لي من وجوه الرأي ، سيقع منه الموقع الذي يحمله على ماصنع ، وما كنت أظن أن ما أخرج للناس من هذه الأعمال ـ وهو لا يعدو كتيّبات يسيرة ومقالات معدودة سيحمل أساتذتي وإخواني من أعضاء المجمع ـ شكر الله لهم ـ على أن يبادروا في الجلسة التي عقدوها في الثامن من شهر رمضان الماضي فيجمعوا ـ إلا من تخلف منهم عن شهود تلك الجلسة ـ على إجابته إلى ما طلب ، فيولوني ثقتهم ، ويرتضوني زميلاً لهم ، ويأبوا عليّ إلا أن أشاركهم شرف العمل للعربية التي آليت على نفسي ألا أعيش ماعشت إلا لها ولكتابها العربي المبين غير حافل بما نالني وما قد ينالني في سبيلها من أذية .

وما إن وقع إلي النبأ حتى خامرني تهيب لم يزايلني حتى الساعة ، وجعلت تتراءى لي أطياف من الماضي البعيد وأخرى من الماضي القريب ، فتتعاقب على مخيلتي صور من تصدّر في هذا المكان من الأئمة الغابرين منذ أن أقامه الملك العادل ـ رحمه الله ـ ليكون تربة له ومدرسة تدرس فيها علوم القرآن والعربية . وتبرز من بين هاتيك الصور صورة الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك ـ وقد آلت إليه مشيختها ـ يقف في شباك هذه التربة ويهتف مستحثاً الطلبة : « القراءات القراءات . العربية العربية ! » ثم صورته وقد انقضى مجلس درسه وفرغ من صلاته والقاضي شمس الدين ابن خلكان ـ وكان نازلا فيها ـ يشيعه إلى باب داره . ثم تتراءى لي صور من ماضينا القريب في منبلج النهضة الحديثة ، صورة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي وصحبه وقد هبوا تخفق مابين جوانحهم آمال أمة ، فأحيوا هذه المدرسة ليتخذوها مقراً لمجمعهم الذي كان من أبرز معالم تلك النهضة ، وصور من كان يؤازرهم ويسعى مثل مسعاهم على امتداد الوطن العربي والإسلامي ، فيتراءون لي كمجموعة من الكواكب استوت في فلك أمتي ليكون لكل منهم في حياتها عمل ، وليكون لهم مجتمعين أيضاً فيها عمل ، منهم من هو ككواكب الهداية التي يهتدى بها في الظلمات ، ومنهم من يطلع عليها كالشمس يمدها بأسباب الخصب والحياة ، ثم إن منهم من هو ككواكب الرجم التي أعدت للمردة والشياطين . وانظر أين أنا من أصغر هؤلاء وما منهم إلا كبير ، فتتضاءل إليّ نفسي حتى أهم بالاعتذار ، لم يمسكني عن ذلك إلا صوت أستاذنا الدكتور أمجد الطرابلسي يوافيني من أقاصي مغربنا العربي يحذرني الاقدام على ذلك ، وصوت أخويّ الدكتور شاكر الفحام ، والدكتور محمد هيثم الخياط يلفتانني إلى أن الاعتذار فرار من الزحف لايكسب صاحبه إلا خزيا ، فلا يسعني إلا السكوت .

ويلح عليّ الأستاذ الرئيس الدكتور حسني سبح غير ما مرة لتعجيل موعد الاستقبال ، فأماطله - تحت وطأة ما أعانيه من التهيب - المرة تلو المرة ، حتى قطع علي قبل أسبوعين سبيل المعذرة بالحجة ، وحدّد هذا اليوم موعداً للاستقبال ، ورغب إلي أن أعد ماتقتضيه سنة المجمع من التعريف بسلفي شيخنا العلامة الكبير الأستاذ محمد بهجة البيطار تغمده الله برضوانه . وما إن هممت بذلك حتى وجدتني نهباً لخواطر وأفكار شتى ينتظمها أمر واحد وهو هذه الحرب الضارية يشنها على أمتي عدو متغطرس ماكر قد طوى قلبه على غل آكل ، وقد راعه أن يرى اليقظة تدب في أوصال هذه الأمة فهو يخشى أن تتنبه فيها حقيقتها التاريخية فتنشىء حضارة جديدة تناوىء حضارته وتطغى عليها ، فجعل همه الأول فتنة العقل العربي واسترقاقه ، لئلا يتلقى الوحي إلا منه ، ولا يعمل إلا وفق مايريده هو له دون مايريده هو لنفسه . ومن أشد مايحز في النفس أن يكون من أدواته في حربه هذه نفر من بني جلدتنا ومن يعيشون بين ظهرانينا ، منهم من ينزع إليه بعرق واشج ، ومنهم من تُصُيِّد من غفلته ، ومنهم من قيد من شهوته ، فأوقعوا في حبائل تمسك بها أيد خفية توجههم حين تشاء إلى حيث تشاء ، وتلوي ألسنتهم حين تريد إلى حيث تريد . وقصة هذه الحرب مما تتسع مذاهب القول فيه ، وقد رغب إلي الأستاذ الرئيس في الاختصار ، فأراني مضطراً الآن إلى أن أكفكف مايعتلج في النفس من هذه المعاني ولكن إلى حين ، لأقتصر على التعريف بسلفي الراحل رحمه الله .

ذكر الشيخ - رحمه الله - في صدر الترجمة التي كتبها لنفسه أن أصل أسرته القديم من بلدة بليدة من أعمال الجزائر ، هاجر منها جده جدّه الأدنى الشيخ حسن بن محمد البيطار فاستوطن دمشق منذ أكثر من مئتي

عام . ثم ذكر أنه لم يقع إليه شيء وراء ذلك عن أصل الأسرة ، ولا عن أسباب الهجرة . إلا أن مما يشهد أن هذا الشيخ المهاجر يؤول إلى أصل كريم أنه مالبث أن كان من ذريته بيت من أشهر بيوت العلم في بلدنا هذا ، أشاد بفضله وترجم لأعلامه غير واحد ممن عنوا بتاريخ دمشق في القرنين الأخيرين . وكان ممن اشتهر من رجاله في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن رجلان كان شيخنا ـ رحمه الله ـ وارثهما ، ويحسن بي ـ وأنا بصدد التعريف به ـ أن ألم بأطراف من سيرتهما ، وهما الشيخ عبد الرزاق ، وابن أخيه الشيخ بهاء الدين .

كان الشيخ عبد الرزاق البيطار ـ وهو أشهر الرجلين وأجلهما قدراً وأبعدهما في شيخنا أثراً ـ عيناً من أعيان دمشق في عصره ، وصدرا من صدور علمائها الأماثل ، متسعاً في علوم المعقول والمنقول ، صداعاً بالحق ، عزوفاً عن المناصب ؛ إلى وقار وحسن مفاكهة . وأما كرم النفس وطيب الشمائل فكان إليه فيها المنتهى ، وبه كان يضرب فيها المثل . وقد غبر دهراً على طريقة أهل عصره من الأخذ بالتقليد ، وتلقي الأقوال بالتسليم من غيرما تمحيص ، وإقبال على كتب المتصوفة التي يسمونها « كتب الحقائق » حتى إذا جاوز الخمسين خار الله له ، فعدل إلى ما كان عليه سلف الأمة من الأخذ من الكتاب والسنة ، وألا يقبل من الأقوال إلا ماتنهض به الحجة ، « فصار يأخذ الأحكام بالدلائل ، ويقبل قول الحق من أي قائل ، ويصدع به ولا يخاف في الله لومة لائم » واشتد نكيره على أصحاب البدع ومخرفة الطرق ، ومن ينحرفون عن التوحيد الخالص إلى مالم يأذن به الله ، فيلوذون بالقبور يدعون أصحابها ويستشفعون بهم في قضاء الحاجات . وكان من جراء ذلك أن امتحن سنة ١٣٢٤ بتهمة لفقها له من كان ينكر عليهم من حشوية

المنتسبين إلى العلم والتصوف ، ثم ظهر لوالي سورية إذ ذاك شكري باشا ـ وكان رجلاً عاقلاً عالماً ـ براءة الشيخ مما قرف به ، فأقبل عليه بما هو أهل له من الإجلال . وأقام الشيخ على طريقته من الصدع بالحق ، والأمر بالمعروف ، والإكباب على التدريس النافع ، حتى توفاه الله سنة ١٣٣٥ صابراً محتسباً .

وأما ابن أخيه الشيخ بهاء الدين فكان عالماً فاضلاً مشهوداً له بالألمعية وقوة الإدراك . أخذ عن أعلام آله علوم الدين والعربية وتفنن فيها ، وقرأ على علامة عصره الشيخ محمد الطنطاوي الكبير علم الجبر ، والمقابلة ، والحساب والميقات ، والفلك حتى برع ، وأقبل على الأدب والشعر حتى طار له فيهما صيت ، وترك فيهما جملة آثار . وكان إلى ذلك مطبوعاً على الكرم ، مسارعاً في الخيرات ، يذكر من مآثره حدبـــه على ذوي الفاقة والإنفاق عليهم حتى كان يدعى « أبا الفقراء » : آلت إليه عن والدته ـ وكان وحيدها ـ ثروة طائلة أنفقها في وجوه البر ، ومات يوم مات « لم يخلف عقاراً ، ولم يدخر درهما ولا ديناراً » .

وقد استوقفني من آثاره الأدبية « مقامة في المفاخرة بين الشمس والقمر » سلك فيها مسلك الرمز ، وأدارها على معان أخلاقية نبيلة تشف عما كانت تنطوي عليه نفسه من منازع كريمة تجلت فيما بعد في سيرة شيخنا ، رحمه الله ، و « على أعراقها تجري الجياد » . ومن تدبر تلك المقامة لم يخف عليه أنه كان ينظر في المعاني التي أقامها عليها إلى سيرة شيخه وقدوته : عمه الشيخ عبد الرزاق ، وقد جعله فيها حكماً يلجأ إليه المتنافسان ، فيصدع بالقول الفصل ، ويهديهما إلى ما يليق بأهل الفضل ، فيستجيبان له بالإذعان .

من هذين الرجلين الفاضلين كان شيخنا رحمه الله ، وفي حجرهما نشأ ، وعلى أعراقهما جرى ، وإياهما تقيل ، فهو ولد ثانيهما وسبط الأول .

ولد الشيخ في الثاني من شهر رمضان المبارك سنة ١٣١١ (١٨٩٤ م) ولما بلغ سن التمييز تلقى دروسه الابتدائية في « المدرسة الريحانية الأدبية » فتعلم فيها القرآن ، والإملاء والحساب ، حتى إذا كان أول سنة ١٣٢٣ — وهو في الثانية عشرة شرع في الدراسة الثانوية ، فتعلم في المدرسة العثمانية التي أصبحت تعرف - فيما بعد - بالكاملية مبادىء العلوم العربية والدينية والمدنية . ودخل في السنة التالية (سنة ١٣٢٤) المدرسة العازارية الميدانية ، فدرس فيها قواعد العربية واللغة الفرنسية مدة سنتين . ولما وافت سنة ١٣٢٦ ترك المدارس ، وانقطع - على سنة أسلافه — لتلقي علوم الإسلام والعربية على أهلها من رجال العلم والدين ، فقرأ على والده النحو ، والفرائض ، والفقه والأدب إلى حين وفاته منتصف سنة ١٣٢٨ .

وأخذ عن جدّه الشيخ عبد الرزاق طرفاً من الأصول ، والحديث ، والتفسير ، والتوحيد . وكان حين توفي أبوه قد حصل من العلم ، وبدا فيه من مخايل الفضل - ولما يستكمل السابعة عشرة — ما أهّله لأن يخلفه في الإمامة والخطابة والتدريس في جامع محلة القاعة في حي الميدان .

وقد جمع بعد وفاة أبيه إلى الدراسة على جده الدراسة على صفيه ، وصاحبه في الدعوة إلى الإصلاح وإحياء مذهب السلف ، ونصيره في المحنة التي سلفت الإشارة إليها : العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي ، فلزمه ، وحضر دروسه الخاصّة في التوحيد ، والتفسير ، والحديث ، والمصطلح ، والأصول والبلاغة ، والمنطق ثلاث سنين إلى حين وفاته - رحمه الله - سنة ١٣٣٢ هـ وكان القاسمي - كما وصفه السيد رشيد رضا في مناره - « علاّمة الشام ، ونادرة الأيام ، والمجدّد لعلوم الإسلام ، محيي السنة بالعلم والعمل ، والتعليم والتهذيب والتأليف ، وأحد حلقات الاتصال بين هدي السلف والارتقاء

المدني الذي يقتضيه الزمن ». وقد توفي - رحمه الله - ولما يستكمل الخمسين عن زهاء مئة مصنف كانت من النفاسة بحيث حملت الأمير شكيب أرسلان على أن قال في تقديمه لبعضها : « وإني لأوصي جميع الناشئة الإسلامية التي تريد أن تفهم الشرع فيما ترتاح إليه ضمائرها ، وتنعقد عليه خناصرها ، ألا تقدم شيئاً على قراءة تصانيف المرحوم الشيخ القاسمي » .

وكان أبلغ ماخلفته قراءة الشيخ على أستاذه القاسمي هذا وعلى جده الشيخ عبد الرزاق أن ورث عنهما مشربهما في الإصلاح وتمسكهما بمذاهب السلف . وكانت المحنة التي امتحن بها جده وثباته عليها ، ثم ما كان من جِدّ شيخه الآخر : القاسمي في نصرته فيها قد بصرته من أول أمره — وكان اذ ذاك في الثالثة عشرة — كيف يكون توخي الحق من وجوهه ثم الثبات عليه ، والصبر على المحنة فيه من غير ما التفات إلى كيد الكائدين ولا إلى إرجاف المرجفين ، واحتسابُ الأجر في ذلك عند الله .

وعلى يدي القاسمي تمرس الشيخ بالبحث والنظر . وفي أثناء دراسته عليه كان اتصاله بمجلة « المنار » التي على صفحاتها كان يلتقي دعاة الإصلاح على اختلاف آرائهم ويتصاولون ، وبصاحبها السيد محمد رشيد رضا الذي كان الشيخ يجله غاية الإجلال ، ولا يذكر اسمه إلا مقرونا بلقب : « السيد الإمام » .

وفي هذه الفترة ، وبتوجيه شيخه ، كان أيضاً اتصاله بآثار الأئمة الأوائل ، ولا سيما كتب الإمامين شيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية الذي كان أمة في رجل ، وصاحبه الفذ الإمام أبي بكر بن القيم ، فكانت مورده الذي ظلّ طوال حياته ينهل منها ويعلّ .

وفي هذه الفترة أيضاً بدأ الشيخ بالكتابة والتأليف ، فأخرج للناس سنة ١٣٣١ رسالته « نقد عين الميزان » . وكان من خبرها أن شيخه القاسمي وضع كتاباً سماه « الميزان في الجرح والتعديل » نصر فيه مذهب كبار المحدثين في التحمّل والرواية عن المبدّعين – أي المنسوبين إلى البدع – إذا ماثبت صدقهم وعدالتهم ، فتصدى له علم من أعلام النجف ، وهو الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ، فنقد بعض أبحاثه في رسالة سماها « عين الميزان » تشف – كما قال الشيخ – عن فضل كاتبها وعلمه ، وقوة رسوخه ودقة فهمه ، وأدب زائد في المناظرة ، وإنصاف في البحث والمحاورة ، بيد أنه تطرف في بعض أبحاثه إلى أن وصم بعض الموثقين بالكفر والفسق . وحالت مشاغل الشيخ القاسمي دون أن يتولى مناقشته والرّد عليه بنفسه ، فانتدب شيخنا لذلك ووضع رسالته المذكورة ، وهي على صغر حجمها (لاتزيد على ٥٩ صفحة) تقدم مثلاً طيباً في أدب البحث والمناظرة ، وتدل دلالة بينة على طبيعته العقلية والخلقية ، وأنه نشأ من أول أمره متعلقاً بالحق لايبغي غيره ، متمسكا بالنصفة لايعدل عنها ، وتشهد أن في أطواء هذا الفتى الغض الإهاب الذي لم يتجاوز العشرين عالماً سيبلغ في مستقبل أيامه من العلم أبعد غاياته .

وكان من صنع الله تعالى للشيخ وأصحابه من تلامذة القاسمي الذين فجعوا بشيخهم ولما يستوفوا منه كل ما كانوا يأملونه ، أن وجدوا العوض منه في رباني من علماء هذه الأمة ، وفرع زكي من فروع الدوحة النبوية نزل دمشق إذ ذاك ، ذاكم هو الإمام الحبر السيد محمد الخضر حسين ، تغمده الله برضوانه ، وكان قد أزعجه عن وطنه تونس المستعمرون الذين انقضوا على ذلك القطر من وطننا الكبير بحقد حاقد تزيده ذكرى دار ابن

لقيان استعارا ، وقد ساءهم منه أن هبّ - شأن الربانيين الذين يفون بما واثقوا الله عليه - يستجيش الغزائم لردّ عدوانهم . فحكموا عليه بالإعدام ، فكانت دمشق الفئة التي انحاز إليها ليواصل جهاده ومساعيه لتحرير وطنه ، وأقام فيها سنين لم يصرفه عمله السياسي خلالها عن واجب العالم في الإرشاد والتعليم ، فأقبل عليه الشيخ وصحبه فقرؤوا عليه في الأصول كتاب « المستصفى » للغزالي ، وفي فن الخلاف « بداية المجتهد » لابن رشد ، وفي الحديث « صحيح الإمام مسلم » وفي النحو « مغني اللبيب » لابن هشام ، وفي الأدب كتاب « الكامل » للمبرد . وكانت قراءتهم عليه قراءة نظر وتدبّر وتحقيق . وكان وهو يقرئهم « مغني اللبيب » يرجع في تقرير المسائل المتصلة بالسماع والقياس إلى ما أصابه في كلام المتقدمين من أئمة العربية من أصول في هذا الباب . وما استظهره منها بنفسه من طريق النظر في مجادلاتهم وأساليب استدلالهم . فاقترحوا عليه أن يجمع لهم هذه الأصول المتفرقة لتكون مرجعاً لهم في المطالعة ، فألف « مقالات تشرح حقيقة القياس ، وتفصل شروطه ، وتدلّ على مواقعه وأحكامه » . ثم أعاد النظر فيها من بعد عندما استقر في القاهرة فهذبها وزاد فيها ، وعقد فصولاً أخرى لمسائل من أمهات علوم العربية يتناولها موضوع القياس والسماع ، وألف من ذلك كتابه « القياس في اللغة العربية » الذي أصبح به عضواً في « هيئة كبار العلماء » وهو - فيما أعلم - أول كتاب ألف في بابه في هذا العصر .

وقد اتفق للشيخ أثناء قراءته على السيد الخضر - رحمه الله - حادثة كان يقصها على تلامذته لينبههم على ماينبغي أن يأخذوا به أنفسهم من الجد في طلب العلم ، وقد حكاها عنه تلميذه ومريده الشيخ مسلم الغنيمي ، ومجملها أنه تأخر هو وأصحابه في يوم اشتد البرد فيه عن موعد درس السيد

في المسجد ، فانقلب إلى داره ، ولما لحقوا به إليها استقبلهم بسجل من الماء البارد صبه عليهم من نافذة غرفته وقال : هذا جزاء من يتأخر عن موعد الدرس . وقد جاءت هذه الحادثة منبهة للشيخ أيقظت فيه أصلاً من الأصول الأخلاقية التي انطوت عليها نفسه ، فما عرف عنه – رحمه الله – أنه أخل في مختلف الأعمال التي تقلب فيها أو انتدب إليها أقلّ إخلال ، أو ترخّص فيها أدنى ترخص .

وكان الشيخ إلى تلقيه عن هؤلاء الأعلام قد حضر مجالس كثيرة في الحديث رواية ودراية على محدث الديار الشامية الشيخ بدر الدين الحسني وحرص على استكمال معرفته باللغة الفرنسية فدرسها – لمدة سنة – دراسة خاصـة على صديقه موسيو موريس الذي اعتنـق الإسلام على يده أثنـاء دراسته عليه وسمى نفسه عبد الله الريحاني .

وفي سنة ١٣٣٥ خلف الشيخ – وهو يناهز الخامسة والعشرين - خاله الشيخ أحمد الذي توفي في ذلك العام في الخطابة والتدريس في جامـع كريم الدين المشهور بالدقاق بعد أن امتحن من قبل لجنة الأوقاف العلمية . وكان تصدّيه لذلك بأمر من جده الشيخ عبد الرزاق الذي مالبث أن توفي في ذلك العام أيضاً .

وكان قد اجتمع للشيخ إذ ذاك من أسباب العلم إلى ما وهبه الله له من توقد القريحة ونفاذ البصيرة وحسن التأتي لما يحاول ، وما زانه به من كريم الخلق = ماجعل منه خليفة لشيخه العلامة القاسمي يئل إليه أصحاب المنزع السلفي من الشباب المحصل يقرؤون عليه ويقتدون به . وقد مكّن له في نفوسهم وزاد في إقبالهم عليـه ما أوتيه من قدرة على الاحتجاج والإقناع ، وحسنِ إبانة عما يعنّ له من سوانح الفكر ، وما وعاه صدره من أفانين العلم كتابة وحديثاً وخطابة .

ولاجتماع هذه الخلال فيه ماوقع عليه الاختيار – وهو في السابعة والعشرين سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠ م) – لتناط به مهمة من أثقل المهام .
وذلك أنه لما انحسر سلطان الأتراك عن بلاد الشام ، وقامت في دمشق الحكومة العربية الأولى يرأسها الأمير فيصل بن الحسين (قبل أن يكون ملكاً) دعا إليه السيد محمد رشيد رضا من مصر ليكون عوناً له في الشؤون العربية والإسلامية ، فكان منهما أن اعتزما إرسال كتابين باسميهما مع رسولين أمينين يبلغان رسالتيهما كتابة ومشافهة إلى الأمير عبد العزيز آل سعود (قبل أن يكون ملكاً أيضاً) وهما يدعوان إلى نصرة الإسلام ، و « عقد اتفاق عام بين جميع أمراء الجزيرة العربية وأئمتها الكرام دفعاً للعدوان الأجنبي » .
وتم اختيارهما للشيخ ليبلغ الرسالة الدينية التي كتبها السيد محمد رشيد رضا ، ولشلاش النجدي الذي كان مؤتمن الأمير فيصل لإيصال الرسالة السياسية فبدأ سفرهما من دمشق يوم السبت الثامن من جمادى الثانيـة سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠ م) وكانت رحلة شاقة أشرف فيها الشيخ على الهلكة على أيـدي أعراب من بني عطية سلبوه ماكان معه من مال وزاد ، ولم يدعوا ممـا عليه من الثياب إلا اليسير . حتى إذا انتهيا بعد أهوال لقي منهـا الشيخ أشد العنت إلى قرية الحائط – وهي تقع شمال المدينة المنورة على أربـع مراحل منها – تبين له تعذر وصوله إلى نجد لما كان من عيث أعرابها الذين أسموا أنفسهم « المتدينة » ، وأكفروا كل من عـداهم ، واستحلوا دماءهم . فاضطر إلى أن ينفذ الرسالة التي ائتمن عليها مردفة برسالة منـه إلى الأمير مع رفيقه شلاش الذي كانت تحميه نجديته من فتـك الأعراب . وتحققت للشيخ أمنيته في الوصول إلى المدينة المنورة والحظوة بشرف الزيارة المباركة وأقام فيها مكرما مرعي الجانب من قبل الأمير علي بن الحسين – ولي عهد أبيه حينئذ – وكبار الموظفين فيها من الدمشقيين ثلاثة أيام عاد بعدها إلى دمشق.

وقد دوّن الشيخ خبر هذه الرحلة في رسالة سماها « الرحلة النجدية الحجازية » وضمّنها صوراً من حياة البادية إذ ذاك ، وأحوال المدينة المنورة وسائر القرى التي نزلها أو مرّ بها هي غاية في الفائدة لمن يعنى بتاريخ تلك الحقبة ، وألحق بها رسائل كتبها إلى الأمير عبد العزيز والسيد محمد رشيد رضا يظهر منها أنه أصاب نجحا في التوفيق بين الرجلين بعد خلاف ارتفع فيه السيد محمد رشيد إلى الوعيد بالكتابة في المنار إن لم يلبِّ الأمير مطالبه وما أعلم أن الشيخ شارك بعد هذا في شيء من أعمال السياسة ، إلا أنه انعقدت من ذلك الحين بينه وبين الأمير الذي مالبث أن صار ملكاً آصرة أهابت بالملك — فيما بعد — أن يكلّفه بغير مهمة من المهامّ العلمية في مملكته .

وكان الشيخ إلى توليه الخطابة والتدريس في جامع القاعـة فجامع الدقاق قد عمل في التعليم في المدارس الأهلية منذ أن كان في العشرين ، فعلم سنة ١٣٣١ الدين والعربية في « مدرسة التوفيق » التي كان يديرهـا صديقه الفاضل الأستاذ عبد الحكيم الطرابلسي ، ولما ضمت هذه المدرسة إلى « المدرسة الكاملية » التي كان الشيخ قد تعلم فيها في حداثته تولى تدريس الصفوف العالية فيها حتى سنة ١٣٣٧ ، ثم أسس هو وصديقه عبد الحكيم المذكور سنة ١٣٣٨ « مدرسة التوفيق الميدانية » وكان مدرساً فيهـا أيضاً وملقباً برئيسها . ولما كانت سنة ١٣٤٠ (١٩٢١ م) دعته وزارة المعارف — في عهد وزارة الأستاذ محمـد كرد علي إلى تدريس الدين واللغتـين العربية والفرنسية في « مدرسة خالد بن الوليد » في الميدانـ ، فاستمر فيه خمس سنين .

وفي سنة ١٣٤٢ (١٩٢٣ م) انتخب الشيخ عضواً في المجمع ، وكانت باكورة أعماله فيه أن ألقى في ردهته بُعَيْد انتخابه محاضرة في « حياة شيخ

الإسلام ابن تيمية » وهي من أوائل ما كتب عنه في هذا العصر ، ثم ألقى فيه محاضرة أخرى باسم « الثقافتان الصفراء والبيضاء » ألمّ فيها بجملة آرائه ومنهجه في الإصلاح ، فجاءت كما قال في وصفها « جامعة للأصول السديدة للثقافتين القديمة والحديثة » وكان من أثرها أن بادر القائمون على « مكتب النشر العربي » إذ ذاك — وهم ثلة من الشباب المتعلم - إلى نشرها في رسالة مستقلة لتكون دستوراً في العمل للمخلصين الواعين من الشباب المتعلم وعلماء الدين ، وكان رحمه الله شديد اللهج بما جاء فيها من الآراء والتوجيهات ، وقد سمعته يشير إليها ، ويستشهد بها ، ويقرأ فقرا منها في غير ما محاضرة من محاضراته التوجيهية فيما بعد.

وفي عام ١٣٤٤ (١٩٢٦ م) دعي إلى المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد في مكة المكرمة ، فلبى الدعوة ، وأدّى فريضة الحج ، وشارك في أعمال المؤتمر . ثم كان أن رغب إليه الملك عبد العزيز أن يبقى في مكة ليقوم بإدارة المعهد العلمي السعودي ، فأجاب وهو يأمل أن يجعل من ذلك المعهد مدرسة لتخريج الدعاة على شاكلة « مدرسة الدعوة والإرشاد » التي أنشأها السيد محمد رشيد رضا في مصر . وأما المنهاج الذي ارتضاه له فكان تطبيقاً عملياً لآرائه في الإصلاح والتعليم ، وقد وصفه في رسالة كتبها إلى الأستاذ الرئيس محمد كرد علي في الثامن من شعبان سنة ١٣٤٥ فقال في ذلك :

« أبشركم بنجاح الحركة العلمية في الحجاز ، وإن طلاب المعهد الإسلامي السعودي في النهار والليل مئة أو يزيدون ، ودروسهم النهارية والليلية من العلوم الدينية المصفاة من الشوائب ، والمدنية التي لا يستغني عنها الطالب ، ومنها الهندسة ، وتقويم البلدان ، وسنن الكائنات ، والانشاء

كتابة وخطابـة ، والنشيد العربي ، والدروس الدينية العاليـة في المسائل الاجتماعية الإسلامية ، نجمع فيها بين الخطابة والمحادثة والمناقشة بحرية تامة ، واللغتان الافرنسية والانكليزية ، والإقبال عليها وعلى سائر الدروس عظيم جداً . وأكتب بعض افتتاحيات « أم القرى » الغراء لأحمل التلاميذ على نشر المقالات الإصلاحية المنوعة فيها بعد إصلاح ما لابد منه . وقد طلبنا تخصيص عمودين لهم في كل عدد ، وبعض ما أرسل إليها نشر ، والبعض الآخر لم ينشر . وإنا نتوخى في ذلك كله أن يعود لهذه البلاد المقدسة عهدها الزاهر ومركزها السامي في العالم الإسلامي ، وإني أعتقد أن ذلك دين في ذمة المسلمين عموماً والعرب منهم خصوصاً . ونسأل المولى المعونة على وفاء ماينالني منه بمنه وكرمه » .

وقد أقام يدير هذا المعهد ويدرس فيه خمس سنين لم ينقطع خلالهـا عن قراءة الدروس في المسجد الحرام ، كما درس في الحرم النبوي عندما أقام في المدينة المنورة زهاء شهر أيضاً ، وفي سنة ١٣٤٧ كلف إلى ذلك بجملة أعمال أخرى في التدريس والتفتيش وعضوية مجلس المعارف صدرت بها مراسيم ملكية ، فقام بها جميعاً . وكان مما أريد عليه أن يلي القضاء ، فعين سنة ١٣٤٦ عضواً في محكمة مكة الشرعية الكبرى ونائبـاً لرئيس هيئة المراقبة القضائية ، فلم يقض خلال توليّه ذلك بشيء ، ولا تقاضى عنه أجراً ، وقنع بمرتب التدريس وهو لايتجاوز نصف مرتب القضاء . ثم لم يزل يصرّ على الاستعفاء منه تورّعاً وخشية حتى أجيب . وكان - رحمه الله - إذا ما قاده الحديث في مجالساته لإخوانه ، أو مذاكراته لتلامذته إلى ذكر ذلك أخذته الخشية ، وخنقته العبرة ، حتى يخفى صوته فلا يكاد يبين ،

وفي سنة ١٣٥٠ (١٩٣١ م) عاد إلى دمشق ليجد أعماله موزعة ،

وأنه فقد من أعوام التقاعد أكثر من عشر سنين . ولما كانت سنة ١٣٥٣ دعته جمعية المقاصد الإسلامية في بيروت إلى التدريس في كليتها للبنات والبنين وفي العام نفسه كلفته وزارة المعارف في دمشق التدريس في ثانوية الإناث فكان يقوم بالعملين جميعاً ، يسافر إلى بيروت أصيل الجمعة ليعود منها إلى دمشق مساء الثلاثاء من كل أسبوع . ثم كان أن ولي حتى عام ١٣٦٣ جملة أعمال تدريسية في ثانويات دمشق ، ودار المعلمين العليا ، وداري المعلمين والمعلمات ، والكلية الشرعية التي أنشأتها مديرية الأوقاف .

وقد قام في هذه الحقبة بعدة أعمال علمية :

عني بتحقيق « مسائل الإمام أحمد » لتلميذه الإمام أبي داود السجستاني عن أصله المخطوط في الظاهرية – وهو أقدم مخطوطاتها والتعليق عليه ، وأنفذه إلى السيد محمد رشيد رضا ، فأضاف إليه جملة تحقيقات ، وطبعه في مطبعة المنار سنة ١٣٥٣

ووقف على طبع كتاب « قواعد التحديث » لشيخه جمال الدين القاسمي وعني بتخريج أحاديثه .

وشارك نفراً من زملائه في المجمع عنوا بإخراج كتاب البخلاء للجاحظ بأن خرج ماجاء فيه من الأحاديث أيضاً .

ولما توفي السيد محمد رشيد رضا فجاءة عام ١٣٥٤ (١٩٣٥ م) - وكان قد انتهى في تفسيره المشهور إلى قوله تعالى في « سورة يوسف » : (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) قام الشيخ بتفسير ماتبقى من هذه السورة على مثل منهج السيد ، وطبع الكتاب في مصر .

وكذلك أكمل كتاباً آخر كان السيد قد بدأ به ، وهو كتـاب « المعاملات في الإسلام وتحقيق ما ورد في الربا » ووضع له مقدمة وخاتمة ، وطبع في مطبعة المنار .

* * *

وفي عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) عزم الملك عبد العزيز أن ينشىء في الطائف معهداً باسم « دار التوحيد » على غرار المعهد الذي أنشىء من قبل في مكة ، ولم ير فيمن خبرهم من أهل العلم والرأي أقدر على الاضطلاع بأمره من الشيخ ، فرغب إلى الحكومة السورية في النزول له عنه ، فكان ذلك . وأمضى – رحمه الله – في إنشاء ذلك المعهد والقيام عليه ثلاث سنين بذل خلالها أقصى الجهد لا يبغي من وراء ذلك إلا مرضاة ربه حتى استوى على النحو الذي يريد ، وأخذ يؤتي أكله . وقد بلا القوم إذ ذاك – وكان قد أقبل عليهم الثراء وسار فيهم سيرته – من إخلاص الشيخ وصدق دينه وعفة نفسه فوق ما كانوا يعلمون ، فما ازداد عندهم إلا ارتفاعاً على حين تهاوى آخرون .

ولما عاد الشيخ إلى دمشق عام ١٣٦٧ (١٩٤٧ م) استأنف عمله مدرسا للدين في الصفوف العليا من المدارس الثانوية ، وكلف إلى ذلك تدريس التفسير والحديث في كلية الآداب ، واستمر في عمله هذا إلى أن بلغ سن التقاعد عام ١٣٧٤ (آخر عام ١٩٥٣ م) .

وكان من أعماله العلمية في هذه الفترة أن حقق كتاب (الموفي في النحو الكوفي » لصدر الدين الكنغراوي» ووضع عليه تعليقات لشرح غوامضه ، ونشره تباعاً في مجلة المجمع ما بين سنتي ١٣٦٩ و ١٣٧١ (١٩٤٩ – ١٩٥١ م) ثم أفرد منها في كتاب خاص .

وبإحالة الشيخ على التقاعد فرغ لأعماله العلمية والاجتماعية :

اختير منذ سنة ١٣٧٣ (١٩٥٣ م) عضواً في لجنة « مجلة المجمع » فكان لايفتر عن الكتابة فيها ، والنظر فيما يحال إليه من المقالات الواردة عليها . ولم يدع المشاركة فيما كان يعقده المجمع أو يدعى إليه من المؤتمرات .

واستمرَّ في دروسه العامة في جامع الدقاق والخطابة فيه ، ودروسه الخاصَّة في بعض حجره يتدارس فيها مع ثلة من صحبه وخواص تلامذته طائفة من الأمهات في الأصول والتوحيد . هذا إلى تدريسه التفسير في كلية الشريعة سنة ١٣٧٨ (١٩٥٩ م) .

وقام في هذه الفترة بعدة رحلات إلى أقطار شتى في الشرق والغرب لأغراض علمية واجتماعية قص من نبئها في ترجمته التي ألحقها برسالته « الرحلة النجدية الحجازية » . وكان منها رحلته إلى الرياض عام ١٣٨٠ (١٩٦١ م) بدعوة من الملك سعود المذاكرة بشأن إنشاء جامعة إسلامية في المدينة المنورة فوضع لتلك الجامعة منهاجاً لقي الاستحسان ، ويمم من فوره هذا تلقاء مصر ، فشارك فى المؤتمر الذي ضم رجال مجمعي القاهرة ودمشق ، وألقى فيه بحثاً في « الاشتقاق والتعريب » . ثم عمد في أواخر رجب من العام التالي (١٣٨١) إلى المدينة المنورة ، فحظي بالزيارة المباركة ، واطلع على سير جامعتها التي أنشئت على هدي المنهاج الذي وضعه لها ، وألقى فيها جملة محاضرات . وكانت هذه آخر رحلاته رحمه الله .

وقد كانت فترة مابعد التقاعد هذه من أحفل فترات حياته بالأعمال العلمية تأليفاً وتحقيقاً . وليس من همي الآن أن أتقصّى كل ما أخرجه من ذلك ، وإنما ألمّ بذكر أجل ما قرأته أو وقفت عليه ورجعت إليه منها :

عمد سنة ١٣٧٢ (١٩٥٢ م) إلى محاضرته القديمة في « حياة شيخ

الإسلام ابن تيمية » فنقحها وزاد فيها ، ونشرها في مجلة المجمع ، وأتبعها مقالات أخر تناول فيها اختياراته وتحقيقاته في موضوعات شتى ، فاجتمع له من جملة ذلك كتاب نشره المكتب الإسلامي عام ١٣٨١ (١٩٦١ م) باسم « حياة شيخ الإسلام ابن تيمية : محاضرات ومقالات ودراسات » ثم أعاد نشره عام ١٣٩٢ (١٩٧٢ م) .

ولما رأى رئيس المجمع الأسبق الأستاذ خليل مردم بك - رحمه الله - أن يوضع بين أيدي الناشئة كتاب في النحو من كتب الأئمة المتقدمين قريب المأخذ سهل العبارة وقع الاختيار على كتاب أبي البركات بن الأنباري « أسرار العربية » الذي نشره بعض المستشرقة في ليدن عام ١٣٠٣ (١٨٨٦ م) فرغب إلى الشيخ أن يتولى تحقيقه بالاعتماد على تلك الطبعة وما في الظاهرية من مخطوطاته ، فقام بذلك على الوجه الذي أتاحه له ماتيسّر له من أصوله وظهر في مطبوعات المجمع عام ١٣٧٧ (١٩٥٧ م) .

وكان من أجلّ أعماله في هذه الفترة أن أخرج مابين سنتي ١٣٨٠ و ١٣٨٣ (١٩٦٠ - ١٩٦٣ م) في مطبوعات المجمع أيضاً كتاب جدّه الشيخ عبد الرزاق « حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر » في ثلاثة مجلدات كبيرة ، وكان جده « قد كتبه في أدوار من عهود شبابه وكهولته وشيخوخته ، وترجم فيه لطائفة من رجال القرن الرابع عشر وهم أحياء ، ثم ترك الكتابة والتصحيح فيه قبل وفاته بأكثر من عشر سنين لما أضرّ بيده اليمنى من الأسى والشلل القليل إلى أن توفاه الله تعالى سنة ١٣٣٥ » وقد جرى فيه أول أمره على نهج المتأخرين من أصحاب التاريخ كالمحبي والمرادي فذكر نفراً من أهل الطرق المعروفة ليست لهم آثار تذكر ، ونقل « بعض ما يأثرونه من حكايات غريبة ، أو أمور مبتدعة ليست في كتاب ولا سنة »

وحكى في بعض التراجم أقوالاً من أقوال أصحابها وأشعاراً من أشعارهم فرط منهم في بعضها مالا يخلو من شطط وانحراف عن عقيدة السلف . ثم لم يتح له أن يتناوله بالتنقيح والتهذيب والتتميم ، فأذن للشيخ في اختصاره والتصرف فيه على وفق مايرتئيه ، فاختصره لنفسه فعلاً في ثلاثة مجلدات فرغ منها في آخر سنة ١٣٦٢ (١٩٤٣ م) . ولم يدع - مع ذلك - أن يستشير أفاضل أصدقاء المؤلف - ومنهم علامة العراق في عصره السيد محمود شكري الآلوسي - أي الكتابين ينشر ؟ فكان الرأي الراجح نشر الأصل والتعليق عليه بما لابد منه . وبهذا الرأي أخذ رجال المجمع عندما قرروا طبع الأصل لأنه « مرآة يتجلى فيها القرن الثالث عشر برجاله وأحواله » . فأبقى الشيخ الأصل على حاله من دون تصرف فيه بزيادة أو نقص أو تغيير ، وذيله بحواش نبه في بعضها على عوار ماتقدم ذكره من الحكايات الغريبة والأقوال المنحرفة ، وأبان عن وجه الحق في ذلك كله ، واستدرك في بعضها « مافات المؤلف ذكره ويعد من تمام تراجم بعض الأعلام ، كتسمية مالم يكن معروفاً من مؤلفاتهم ، أو إضافة سنة وفاة من ترجم لهم في حياتهم » إلى فوائد شتى من هذا القبيل .

ولا يفوتني ههنا أن أقول : إنه على ما لآثار الشيخ التي عددت جملة صالحة منها في ثنايا هذه الكلمة من قيمة علمية ، فالحق الذي لايخالجني فيه أدنى ريب أن الرجل في نفسه كان أكبر من هذه الآثار ، وما أظنه إلا كذلك عند كل من عرفه .

وإذا كان لابد لي أن أعقب على ما قدمت بكلمة في لغة الشيخ وأسلوبه ، فمجمل القول في ذلك أنه جرى في الفصاحة والبيان على عرق من سلفيه : أبيه وجده ، فكان يصدر في كتابته وخطابته عن طبع مُواتٍ

ترفده معرفة بأحكام العربية وأساليبها محكمة . وقد كان في أول أمره يجنح فيما يكتب إلى التزام السجع ، ثم أخذ يتخفف منه إلا ما أطفّ له من غير ماتعمّل ، وخلص في كتابته وخطابته وأحاديثه إلى أسلوب سهل عذب ، له من إشراق ذهنه إشراق ، وفيه من صفاء نفسه صفاء . وكان رحمه الله – قد راض لسانه على الفصحى منذ حداثته ، حتى صارت له طبعاً فما يحسن الكلام بغيرها ، وكان إذا ما ارتجل – وما كان أكثر مايرتجل – لايكاد يتعلق عليه – مهما امتدّ به نفس الكلام بسقطة ، ولا يطوع لسانه بلحنة ، وهو أمر تفرد به من بين أقرانه أو كاد .

وأما المنزلة التي تبوأها الشيخ في العلم والتحقيق منذ أن كان في فجر الشباب ، ومكانه من حركة الهدي والإصلاح ، والخصائص التي أحلته محله ، وأنهجت له سبله ، فإنه يطيب لي أن أدع الحديث في ذلك كله الكبير من علماء هذه الأمة ، ونادرة من نوادر رجالها ، عرك الدهر وعركه الدهر ، وقارع الخطوب وقارعته الخطوب ، وامتحن الرجال وامتحن بالرجال ، ذلكم هو العلامة الجهبذ ، والمجاهد العلم : الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رجل الجزائر الفذ الذي كان هو وسلفه في مشيخة « جمعية العلماء » في الجزائر : الإمام عبد الحميد بن باديس - أكرم الله مثواه – وصحبها الميامين من أكبر الشواهد في تاريخنا الحديث على أن حقيقة هذه الأمة معقودة أبدا برسالة السماء ، لم تستيقظ فيها هذه الحقيقة إلا أتت بالمعجزات وعنت لها الطواغيت ، ولم تغفل عنها إلا دبّ إليها الوهن وطمع فيها الطامعون .

وكان البشير رحمه الله - وهو مقيم في المدينة المنورة يدرس في حرمها النبوي قبل سنة ١٣٣٥ – يتوق إلى لقاء الشيخين عبد الرزاق البيطار وجمال الدين القاسمي ، فلم يقدر له ذلك . ثم وقع إليه من نبأ الشيخ ووقع إلى الشيخ من نبئه ماحبب كلا منهما بالآخر على البعد وشوقه إليه ،

حتى إذا حم لهما اللقاء ، واتصلت الأسباب بالأسباب — وكان ذالك عندما قدم البشير إلى دمشق في أخريات عام ١٣٣٥ (١٩١٦ م) — صدق الخبر الخبر . وأقام البشير في دمشق أربع سنين إلا قليلاً كان الرجلين وصحبهما من صفوة العلماء خلالها مجالس المؤانسة والمباحثة والمذاكرة ظل البشير يحن إليها طوال حياته . حتى إذا أتى على الفراق ثلاثون سنة كتب في صحيفته « البصائر » سنة ١٣٦٩ (١٩٤٩ م) مقالاً يعرف فيه بالشيخ ويصف ما بلاه — في تلك الحقبة — من علمه وخلقه ، ويذكر تلك المجالس التي كان واسطة العقد فيها السيد محمد الخضر حسين — كما قال ، فكان مما جاء في فاتحته :

« الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار علم من أعلام الإسلام ، وإمام من أئمة السلفية الحقة ، دقيق الفهم لأسرار الكتاب والسنة ، واسع الاطلاع على آراء المفسرين والمحدثين ، سديد البحث في تلك الآراء ، أصولي النزعة في الموازنة والترجيح بينها ، ثم له — بعد — رأيه الخاص ، يوافق مايوافق عن دليل ، ويخالف مايخالف إلى صواب ، لأنه مستكمل الأدوات المؤهلة لذلك ، ولأنه يفهم القرآن على أنه أصل ترجع اليه الآراء والمذاهب والفهوم وأنه كتاب الكون ودستور الإنسانية ، لا كما يفهمه كثير ممن كتبوا في التفسير ، فجردوا أقلامهم لتسطير أفهام غيرهم ، وجردوا القرآن من خصائصه العليا ، وقيدوا هدايته العامة بمذاهبهم الخاصة .

« والأستاذ البيطار مجموعة فضائل ، ماشئت أن تراه في عالم مسلم من خلق فاضل إلا رأيته فيه . مجاوز للحدود المذهبية والإقليمية ، يزن هذه المذاهب الشائعة بآثارها في الأمة ، لابأقدار الأئمة ، ويعطي كلاً ما يستحق . جريء على قوله الحق في العلميات . ولكن الجرأة منه يلطفها

الوقار ، والوقار فيه تزينه الجرأة ، فيأتي من ذلك مزاج خلقي لطيف ، متساوي الأجزاء ، ملتحم الخلايا ، قل أن تجده في أحد من علمائنا المدودين .

« والأستاذ البيطار مفكر عميق التفكير ، خصوصاً في أحوال المسلمين بصير بعللهم وأدوائهم ، طب بعلاجهم ودوائهم ، يرى أن ذهاب ريحهم من ذهاب أخلاقهم ، وأن معظم بلائهم آت من كبرائهم وأمرائهم وعلمائهم . وهو يعني كبراء الدعوى ، وأمراء السوء وعلماء التقليد . يرجع في ذلك كله إلى استقلال في الفهم والاستدلال ، ومقارنات في التاريخ والاجتماع ، وتطبيقات مصيبة للحقائق الدينية على السنن الكونية . وله في الإصلاح الديني سلف صدق حققوه علماً ، وطبقوه عملاً . يعتمد في تحصيله وتربيته على طودين شامخين من أطواد العلم والعمل : أحدهما الإمام عبد الرزاق البيطار ، والثاني الإمام المحدث جمال الدين القاسمي ، عنهما أخذ ، وفي كنفهما نشأ ، وعلى يدهما تخرج ، فجاء عالماً من ذلك الطراز الذي نقرؤه في التراجم ولانجده فيما تقع عليه العين من هؤلاء العلماء الذين يقرؤون ويحفظون وينقلون ، ولكنهم لايفقهون ... » .

وإذا كان لي ما أعقب به على هذه الشهادة - وأكرمْ بها من شهادة وبصاحبها من شاهد - فجملة ذلك أني لم أجلس إلى شيخنا البيطار - رحمه الله - وأستمع إليه ، ولا تدبرت سيرته في نفسه ثم سيرته فيمن حوله إلا ألقي في روعي أنه واحد ممن تختارهم عناية الله - جلت قدرته - لتتدارك بهم نقصاً في حياة من حولهم ، وتوجد فيها معنى ما كان ليوجد إلا بهم ، فتهيىء لكل منهم أسباباً تعمل فيه عملها ، ثم تهديه إلى موضعه من حياة أمته ليعمل فيها عمله .

وشيخنا - رحمه الله - قد تهيأ له من المواريث الكريمة ، وأسباب

التنشئة الصالحة ، وموارد العلم الصحيح ؛ والدين القويم ماجعل منه الرجل الفاضل الذي لاتقدح في فضله شبهة ، والعالم الحق الذي لايتطرق إلى علمه زيف ، وقد أورثه الدين القويم خلقاً ثابتاً لايتزعزع ، وعزماً دائباً لايفتر وتطلعا إلى الخير لاينتهي ، فما يشك من اتصلت أسبابه بأسبابه أنه رجل جعل الله في قلبه نوراً فما يخفق إلا بالإيمان ، وفي لسانه نوراً فما يلهج إلا بالحق ، وبين يديه نورا فما يسعى إلا إلى الخير .

ظهر – رحمه الله – مفكراً نير الفكر ، وعالماً مستكملا أدوات العلم في زمن كان الناس فيه – ولا سيا الشباب منهم – أحوج مايكونون إلى المعلم الهادي والمصلح الرشيد ، فكان المعلم الذي إليه يتطلعون ، والمصلح الذي إليه يتوقون . وقد تهدى بفطرته التي لم تزغ بها الشبهات ، وبصيرته التي لم تعمها الشهوات إلى حاق موضعه من أمته ، فأعرض عن المناصب والطريق إليها لاحبة ، وزهد في الوجاهة والثراء وأبوابها أمامه مفتحة ، ولم يؤثر على التعليم شيئاً ، لايكاد يضطر إلى العمل في غيره حتى يؤوب إليه قانعاً بمرتبه الضئيل الذي جعل فيه لكل من ذوي رحمه نصيباً ، ولكل عمل مما يحث عليه أو يدعى إليه من أعمال الخير نصيباً ، فكان الرجل الذي به هدى الله أفواجاً وأفواجاً ممن أدركتهم الحيرة ، وبه أعاد إلى طريق الحق الكثير الكثير ممن جار عنه ، وعلى يديه تخرج جماعات تليها جماعات ممن يدعون إلى ربهم ويعملون للنهوض بأمتهم على بصيرة .

وقد ظل – رحمه الله – في شيخوخته دائباً على عمله الذي أسلفت ذكره ، لم تفتر له همة ، ولا كلت له عزيمة ، ولم ينقطع عن ذلك إلا أسابيع معدودة أثقله فيها المرض ، حتى إذا كان ضحى اليوم الأول من

جمادى الآخرة عام ١٣٩٦ دعي فأجاب ، وسكن القلب الذي لم يخفق إلا بالإيمان ، وسكت اللسان الذى لم يلهج إلا بالحق ، وقبضت اليد التي لم تنبسط إلا بالخير ، وأعلن المعلن أن قد مات محمد بهجة البيطار .

وما أنس لا أنس ساعة هتف بي هاتف من الصحب يؤذنني بوفاته ، وما كان للنبأ في نفسي من لذع يزيد في إيلامه الحسرة على أن قعدبي المرض عن زيارته قبل ذالك . ووجدتني يومـذاك - على ما كنت أقاسيه من آلام التضيق في عروق القلب - أسعى مع الساعين إلى تشييعه وقد تقاطروا ألوفا من كل حدب وصوب ، لأرى صحبه والكثير أمثالي من تلامذته وقد انطوى كل على معنى يختلج في ضميره ولا تواتيه العبارة عنه ، حتى إذا طار النبأ في الآفاق انطلق من بغداد الصوت الذي عبر عما كان يختلج في الضمائر ، إنه صوت سميه وصفيه على امتداد أربعة وخمسين عاماً ، بهجـة العراق ، بل بهجة العربية ، شيخنا الأثري مد الله في حياته :

أدمشق مانبــأ لذعت به ... قلبي كأن حروفـه جمـر
أذكى حشاي وآج في كبدي ... وقداً وضج بنـاره الصدر
إن الذي تنعـين خاشعـة ... عـلم الهدى والمصلح الحـبر
غال على المهجـات حاليـة ... بجهـــاده الآثار والعصـر
فـذ عزيز المثـل جوهرة ... ذاك كأنفـــاس الشذا برّ
متفرد بخـــلائق غ رر ... بجمالهـا يتفاخر الفخـــر
في كل صالحـة له خـبر ... ولكـل محمـــدة له صـور
تتبـارك الحسنى بخلتـــه ... عنـا وخلته لهـــا ذخـر
ولقـد بلوت خلاله زمنـاً ... وصهرتها فــإذا هي التـبر
أربت على الخمسين لحمتنـا ... يهفو ويطفح فوقهـــا البشر

يغلو وفـاء كلها قدمت   أيامنا وكذلك الحـر
صاف كماء المزن ظاهره   كضميره وكسره الجهر
بشر ولكن في هدى ملك   صلى على أثوابه الطهر
ياحزن نفسي سوف تصحبني   حتى يواري جسمي القبر

أجل ، لقد مات محمد بهجة البيطار وزال من الدنيا رسمه ، ولكن ليبقى في القلوب ذكره ، وفي العقول هديه . لقد زال من الدنيا ولكن ليلحق بـ(الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) .

وما مضى على وفاته - رحمه الله - إلا أشهر قلائل حتى أريد لي أن أحلّ في هذا المجمع محله ، وقطع علي طريق الاعتذار ، وإني لعلى يقين من أني أصغرُ عن أن أسدّ جانباً من المكان الذي كان يسدّه ، ولكن غاية ما أطمح إليه — وقد قدر لي ما قدر أن أحاول السير في الطريق الذي كان يسير فيه ، وأن أؤم القصد الذي كان يؤم ، وأستهدي النور الذي كان يهتدي به ، وإما يكتبن لي التوفيق في هذا الذي أحاول فإني إذن لسعيد .

والسلام عليكم .

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
بغداد مدينة السلام	ابن الفقيه الهمداني	بغداد	١٩٧٧
فهرس مخطوطات كلية الآداب في جامعة بغداد	د . حسين علي محفوظ - نبيلة عبد المنعم داود	»	١٩٧٧
قاموس الموسيقى العربية	د . حسين علي محفوظ	»	١٩٧٧
كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى	محمد الملا عبد الكريم	»	١٩٧٧
عثرات المنجدفي الأدب والعلوم والأعلام	إبراهيم القطان	بيروت	١٩٧٢
أصول الهيدروليك الهندسي	ج . م . ك . داك، ترجمة المهندس د . أحمدفيصل أصفري	حلب	١٩٧٧
الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها	فانيا مبادى عبد الرحيم	»	١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
تذكرة الحفاظ (١ ٤)	شمس الدين الذهبي تحقيق عبد الرحمن المعلمي	حيدر آباد ـ الدكن ١٩٦٨—١٩٧٠
الثقات (١ ـ ٢)	محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي	حيدر آباد ـ الدكن ١٩٧٣ — ١٩٧٥
صفوة الصفوة (١ ـ ٤)	عبد الرحمن بن الجوزي	حيدر آباد ـ الدكن ١٩٦٨—١٩٧٢
نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١ ـ ٩)	إبراهيم بن عمر البقاعي	حيدر آباد ـ الدكن ١٩٦٩— ١٩٧٥
وسيلة المتعبدين إلى متابعة سيد المرسلين ﷺ القسم الأول من الجزء الرابع	عمر بن محمد بن الخضر الملا الموصلي	حيدر آباد ـ الدكن ١٩٧٠
وسيلة المتعبدين إلى متابعة سيد المرسلين ﷺ القسم الثاني من الجزء الثاني	عمر بن محمد بن الخضر الملا الموصلي	حيدر آباد ـ الدكن ١٩٧٢
وسيلة المتعبدين إلى متابعة سيد المرسلين ﷺ القسم الثاني من الجزء الثالث	عمر بن محمد بن الخضر الملا الموصلي	حيدر آباد ـ الدكن ١٩٧٣
الاخوة الثلاثة (قصص للأطفال)	عدد من المؤلفين السوفيات ترجمة هاشم حمادي	دمشق ١٩٧٧
الأذكار النووية	يحيى بن شرف النووي تحقيق عبد القادر الأرناؤوط	« ١٩٧١

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الانتروبولوجيا البغيوية	كلود ليفي- ستروس ترجمة	دمشق ١٩٧٧
	د . مصطفى صالح	» ١٩٧٧
الايديولوجيات	فرناند دمون . ترجمة وجيه أسعد	» ١٩٧٧
بيان حول العرق	اشيلي مونتاجو . ترجمة حسن بسام مراجعة أديب شيش	» ١٩٧٧
بيتها في سفح الجبل (قصص)	شوقي بغدادي	» ١٩٧٧
تاريخ ابن قاضي شهبة (المجلد الأول) الجزء الثالث من المخطوط	أبو بكر بن أحمدابن قاضي شهبة الأسدي تحقيق د . عدنان درويش	» ١٩٧٧
تاريخ عمر بن الخطاب	أبو الفرج بن الجوزي تحقيق أسامةعبدالكريم الرفاعي	» ١٣٩٤
تحفة المودود بأحكام المولود	ابن قيم الجوزية تحقيق عبد القادر الأرناؤوط	» ١٩٧١
تطور مفهوم الحياد عبر المؤتمرات الدولية	د . عبد المنعم زنابيلي	» ١٩٧٧
حركة التأليف باللغة العربية في الاقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر	د . جميل أحمد	» ١٩٧٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
حوار مع السينما	سعيد مراد	دمشق ١٩٧٧
الرأس والجدار (رواية)	عبد عبدالله	» ١٩٧٧
ساطع الحصري في كفاحه القومي والتربوي	مجموعة البحوث التي ألقيت في الذكرى المائة لمولده في نطاق أسبوع العلم	» ١٩٧٧
سلام في مدينة الأحلام (قصص للأطفال)	أيوب منصور	» ١٩٧٧
الصهيونية في خدمة الرجعية (صفحات مجهولة من تاريخ الصهيونية)	ر. م. برودسكي يو . أ. شوليستر ترجمة هاشم حمادي	» ١٩٧٧
الطرائق العددية للعلميين والمهندسين	ر. هيمنغ ترجمة د. فوزي دنان	» ١٩٧٦
الفأس الذهبية (قصص وحكايات للأطفال)	مجموعة من الكتاب. ترجمة عيسى فتوح	» ١٩٧٧
كتاب التوابين	ابن قدامة المقدسي . تحقيق عبد القادر الأرناؤوط	» ١٩٧٤
لغة السياسة	جورج كلاوس . ترجمة ميشيل كيلو	» ١٩٧٧
مدخل إلى الرواية الانكليزية (المجلد الثاني)	ارنولد كيتل. ترجمة هاني الراهب	» ١٩٧٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
المستنقع (الكتاب الثاني من بقايا صور)	حنا مينه	دمشق ١٩٧٦
النقد الأدبي (الجزء الرابع)	ويليام.ك. ويمزات كلينث بروكس ترجمة د.حسام الخطيب ومحيي الدين صبحي	» ١٩٧٧
هل العالم الثالث في طريق مسدودة	بول بيروك ترجمة موريس جلال	» ١٩٧٧
الآثار (أم النار)	طارق النعيمي	دولة الامارات المتحدة
» (حفيت)	» »	»
الآثار (قطارة)	» »	»
» (هيلي)	» »	»
محاضرات الموسم الثقافي لعام ١٣٩٣ / ١٣٩٤ ﻫ	وزارة الاعلام والثقافة	»
محاضرات الموسم الثقافي لعام ١٣٩٤ / ١٣٩٥ ﻫ	» » »	»
محاضرات الموسم الثقافي لعام ١٣٩٥ / ١٣٩٦ ﻫ	» » »	»
محاضرات الموسم الثقافي لعام ١٣٩٦ / ١٣٩٧ ﻫ	» » »	»

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
فهرس المخطوطات العربية (الجزء الأول - القرآن)	كيريل وميتودي	صوفيا	١٩٧٧
فهرس المخطوطات اليمنية في حضرموت « المحافظة الخامسة »	عبد الإله محمد الحبشي	عدن	١٩٧٥
ادارة الاقتصاد الاسرائيلي	د . السيد عليوه	القاهرة	١٩٧٧
أركان الظاهر كمصدر للحق	د. نعمان محمد خليل جمعة	»	١٩٧٧
الأطماع الصهيونية في مياه الأردن والليطاني	د. عز الدين الخيرو	»	١٩٧٧
التربية وبناء الأمة في العالم الثالث	ج . لو ، ن . جرنت ، ت. د. وليامز . ترجمة عثمان نويه	»	١٩٧٧
الدراسات الخاصة	معهد البحوث والدراسات العربية	»	١٩٧٦
دراسات في الاقتصاد السعودي	د . محمد علي رضا الجاسم	»	١٩٧٧
دراسة مقارنة بين السد العالي وسد الفرات	د . أجيه يونان	»	١٩٧٧
الشخصية النظرية: التقييم ،مناهج البحث	د . نعيمة الشماع	»	١٩٧٧
شرح أبيات سيبويه (الجزء الثاني)	يوسف السيرافي تحقيق محمد علي الرّيّح هاشم	»	١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
العلاقات العربية الافريقية (دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار)	معهد البحوث والدراسات العربية	القاهرة ١٩٧٧
مشكلات التعليم الابتدائي وانعكاساتها على مشكلة الأمية في الوطن العربي	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	« ١٩٧٧
معالم على طريق الكلاسيكية العربية الحديثة: طه حسين ومحمود تيمور	محمد خلف الله أحمد	« ١٩٧٧
ندوة البترول العربي والآفاق المستقبلية لمشكلة الطاقة (١-٢)	معهد البحوث والدراسات العربية	« ١٩٧٧
الوظيفة الاتصالية لجامعة الدول العربية	عبد الخبير محمود عطا	« ١٩٧٧
شرح الأربعين النبوية	محمد حسين الحسيني الجلالي	قم ١٩٧٥
ذكرى السيد عبد الرسول الطالقاني	لجنة التأبين	النجف ١٩٧٧

تصويبات

في هذا الجزء

الصفحة	السطر	الصواب
١٥	١٧	reflexe
١٦	١	=
١٧		
١٨	١٧	régle
١٩	٣	=
١٩	١٦	à gaz
٢٢	٢٤	kidney Wolffian
١٣٧	- ٨	ص ١٣٣
١٣٨	٩	زبيد
—	- ٤	الأيامي

فهرس الجزء الأول من المجلد الثالث والخمسين

المقالات

التعريف والنقـــد

آراء وأنبـــاء



الجزء الثاني ٣٨٨ المجلد الثالث والخمسون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »





ربيع الثاني من سنة ١٣٩٨ هـ
نيسان « ابريل » من سنة ١٩٧٨ م





إحياء الأسلوب القديم

الشدياق

الأستاذ شفيق جبري

في مقدمة كتابه الخالد : أمراء البيان ، تتبّع الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، نضّر الله عظامه ، أساليب البيان في مجامع عصوره ، فلم يغفل عن وصف هذه الأساليب في الجاهلية والإسلام ، ولم يفته الكلام على أسلوب القرآن ، ثمّ انتقل الى الكلام على الأطوار التي تقلّب فيها الأسلوب حتى انتهى إلى الكلام على إحياء الإسلوب القديم في عصرنا على يد الإمام محمد عبده بمصر وأحمد فارس الشدياق بالشام والآستانة ، ولا يستطيع الخوض في مثل هذا الموضوع الدقيق إلاّ من طال نظره في أدبنا ووقف على هذا الأدب وقفة المتبصّر .

إذا لم يكن لي نصيب من دراسة آثار الإمام محمد عبده فقد كان لي نصيب من دراسة آثار أحمد فارس الشدياق ، ولست أدري لماذا لم أطبع كتابي عنه حتى هذا اليوم .

لم يخطىء الذين يرون أن للشدياق فضلاً كبيراً في إحياء الأسلوب العربي الأصيل ، ولا ريب في أن الذي أعانه على هذا الإحياء إنما هو تبحّره في اللغة ، ودفاعه عنها ، وولعه بها ، فقد حمل لواء اللغة كل حياته ، فما جاء ذكرها في موطنٍ من مواطن كتاباته إلاّ أضاف إليها صفة الشرف والجلالة فقال : لغتنا الشريفة ... لغتنا الجليلة ...

وإني أرى أن البحث عن لغة الشدياق يستلزم مقالاً خاصاً ، وحسبي الإشارة في هذا المقام الى تفقّهه في اللغة ؛ فاللغة في رأيه عبارة عن حركات الإنسان وأفعاله وأفكاره ، فقد كان يجد لكل حركةٍ من هذه الحركات ولكل فعلٍ من هذه الأفعال ولكل فكرٍ من هذه الأفكار اللفظةَ المناسبة التي تعبّر أوضح تعبير ، وإن كان في بعض الأحيان يضع ألفاظاً لم تعش في لغة هذا العصر . من هذا القبيل استعمال المثاعب بدلاً من مجاري الماء ، ولكن لفظة المجاري غلبت على المثاعب ولا نجد في هذا العصر من يستعمل في كتاباته لفظة المثاعب ، وكذلك استعماله للمناصع وهي المواضع التي يُتخلّى فيها لبولٍ أو حاجةٍ . والخلاصة ان بعض ألفاظه التي وضعها لمعنى خاص لم تعش كلها ، ولكن هذا قليل جداً ، فقد أحيا الشدياق طائفةً من مفردات بقايا الفصاح كما أحيا طائفة من الجمل ، كل هذا قد أعانه على إحياء الأسلوب العربي الأصيل . على أني أرى أن التبحّر في اللغة وحده لا يكفي لإحياء الأسلوب العربي الأصيل ، فإنّا نعرف بعض علماء اللغة في عصرنا لم يفتهم حفظُ اللغة ولا فاتهم معاني المفردات لكن الله تعالى حرمهم حسن الأسلوب ، فقد أنعم عليهم بمعرفة اللغة

وحدها ، أمّا الشدياق فقد أضاف إلى إحاطته باللغة وأسرارها محاسن الأسلوب ، فهو لم يقتصر على معرفة اللغة ولكنه أكمل هذه المعرفة بحسن التصرف فيها وحسن التعبير عمّا يجول في الخاطر وتقع عليه العين وتسمعه الأذن وتلمسه اليد ، فما غفل الشدياق عن إدراك شأن الأسلوب فإنه يرى أن لكل مؤلفٍ أسلوباً ، وأنه لا يمكن لأحدٍ أن يعجب الناس كلهم إذ الأهواء متفاوتة والآراء مختلفة ، فإذا كان الشدياق قد أحيا أسلوب أدبنا الأصيل فقد أحياه بتمكنه من اللغة وبقوة أسلوبه ، أمّا اللغة فحسبه أن يكون إماماً فيها أعطته أسرارها وخصائصها فأحسن استعمالها في مواضعها ، وأمّا الأسلوب فقد امتاز اسلوبه بالقدرة على الوصف ، فلم يعجز عن وصف شيء مما تقع عليه العين ، وإذا وصف ما يرتبط بعض الارتباط بالعلم فإنه يُخلي أسلوبه من التزويق ويميل الى الوضوح والدقة والبساطة . والخلاصة انه برّز في الوصف كل التبريز ، وصف الزمان والمكان والهيئات والحركات والبواطن والظواهر .

على أني أرى أنه لا يتمّ الكلام على إحياء الشدياق الأسلوب العربي الأصيل الاّ بالخوض في خصائص أسلوبه نفسه وما اشتمل عليه هذا الأسلوب من التشابيه والألفاظ والتراكيب وتقطيع الجمل والعصبية والسرعة والهدوء وغير ذلك من الخصائص ، ولكن هذه الأمور كلها اذا لم توضّح أكمل توضيح ولم يؤت باستشهاداتٍ عليها فإنها لا تفصح عن عظمة الشدياق أكمل الإفصاح ، الاّ أن توضيحها يستلزم مقالاً خاصاً . وإذا كان هذا المقال الوجيز لا يتسع لبيان ما ذكرت فإني أستطيع أن ألخّص قاعدة الشدياق في كتاباته . إن هذه القاعدة تنحصر في هذه العبارة :

لكل مقام مقال ، ومذهبه في هذا الأمر مذهب بلغاء كتابنا في القديم وعلى رأسهم الجاحظ .

فإذا كان الأستاذ الرئيس محمد كرد علي قد أشار الى أحمد فارس الشدياق في مقدمته البليغة وقال إنه أحيا الأسلوب القديم فلم يكن في إشارته شيء من الغلوّ ، ففي قوله الصواب كله .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبّية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٣٧ -

الدكتور حسني سبح

11673 Rejeter , v. éliminer

١١٦٧٣ قَذَفَ ، انْتظر حَذَفَ
وأرجح طَرَحَ وقَاءَ

11674 relâchement, relaxation, détente, décontraction

١١٦٧٤ اِسْتِرخاء ، إرخاء ، اسْتِراحَة اِنْفِشاش، تَسهِيل، عَدم التقلص
وأرجح إرتخاء في اللفظة الأولى (اذ سبق للجنة أن ترجمت asystolie باسترخاء القلب اللفظة ١٢٣٠) وإرخاء او إنقاص التَّوتُّر في الثانية، اسْتِراحة في الثالثة ، وإرخاء التقلص في اللفظة الرابعة

11676 Relation

١١٦٧٦ عَلاقَة ، نِسْبَة ، قَرابَة
وصِلَة وارْتِباط ايضاً

11677 relation de compréhension

١١٦٧٧ مُناسَبات الإدراك أو الفَهْم
إرتباطات الإدراك ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(١)

(١) (comprehensife connexions)

11681 releveur des paupières de Desmarres

١١٦٨١ رافِعَة الأجفان لديمار

رافعَة ديمار للجَفْنين

11682 Reliant les centres nerveux (fibres)

١١٦٨٢ واصِلة المَراكز العَصَبيَّة

(ألياف)

وأرجح المُوصِلة بَيْنَ المراكز العَصَبية أو بَيْنَ العَصَبات[١]

كما جاء في الترجمة الاصلية من المعجم الاصلي[٢]

١١٦٨٣ عِلاجاتٌ جَالينُوسِيَّة 11683 Remèdes galiniques

١١٦٨٤ عِلاجَاتٌ الانْتِشاق ، لِلاستِنشاق 11684 remèdes à inhaler

وأرجح أدْوِيَة أو عَقّارات جالينوسيَّة أو الجَالينُوسِيّات[٣]

في اللفظة الأولى ،وأدوية أو عقّارات الانْشاق أو المُسْتَنْشَقات،

كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٤]

١١٦٨٥ أدوية سرية 11685 remèdes secrets

وأدوِيَة دَجَل وشَعْوَذَة وخَفِيَّة التركيب ، كما جاء في

الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٥]

١١٨٨٦ قابِلُ المُداواة 11686 Remédiable

يداوى ، يعالج ، وقابل المداواة

---

(١) الصفحة ٥٠٩ من المجلد الثامن والاربعين من هذه المجلة .

(٢) (internunical, connecting the nerve centers)

(٣) (galenicals,galenics)

(٤) (inhalants)

(٥) (Secret , quack , patent remedy , nostrum)

11689 Rémission , relâchement rémittence

١١٦٨٩ خُمود ، ارْتخاء ، تَردُّد ، تَهادُن

وأرجح هُدوء المَرَض وهُمودُه والتّحسن والتّوقف

11690 Rémittent , ente

١١٦٩٠ مُتَردِّد ، ذو فَتَرات

مُتَرِدِّد ومُترِدِّدة (الحمى)

11692 Renaissant , ante

١١٦٩٢ باعِث ، مُنْهِض ، مُجَدِّد

وأفضل مُتَجَدِّد ، عائِدٌ إلى النمو ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(١)

11694 rendre incapable , mettre hors de combat ou hors de service

١١٦٩٤ أعْجَزَ المَرء ، جَعلهُ غيرَ قادِر ، عَطَّله

وأفضل عَطَّله ، أقصاه عَن العَمَل

11696 renflement périostique des os dans la syphilis

١١٦٩٦ انْتِبارُ سِمحاقِ العَظْم في الدّاء الإفْرنجي

وأرجح اِلْتهاب السِّمْحاق وانْتِباج العِظام في الدّاء الإفرنجي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٢)

11697 Renforcement , dépression

١١٦٩٧ تَغْريز ، انْخفاض ، ثَوْخ ، سَخ

وأرجح كَبْس(٣) ادْخال ، انخفاض ومُنْخفض ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٤)

---

(١) (reviving , growing up again)

(٢) (periostitis , swelling of bones in syphilis)

(٣) لفظة مولدة أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ووردت في المعجم الوسيط

(٤) (depressinng , pitting)

وليس لتغريز وثوخ وسخ ان تدل على المعنى المطلوب(١)

١١٦٩٨ دَعْم ، تَقوِية — **11698** Renforcement

وتشديد ، وتعزيز ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٢)

١١٧٠١ جَدَّدَ ، بَعثَ — **11701** Renouveler,régénérer

وأرجح جدّد ، تنشط ، او استعاد النشاط

11702 Rénovation , réfection,remise en état

١١٧٠٢ تَجْديد ، إحْداث ، تَقويم

وأفضل تَجْديد ، إصلاح ، تَسْوِية ، وسبق للجنة أن ترجمت (orthopédie) بتقويم الأعضاء (اللفظة ٩٥٥٢)

١١٧٠٣ قَوّم الرُكَبَ — **11703** Rentrer les genoux

وأرجح بَسَط الرُكبَتين

11706 Réparti finement , divisé finement

١١٧٠٦ مجزّأٌ دَقيقاً ، مُنْقَسِمٌ دَقيقاً

وأفضل مُوّزع بدقّة ، مُتجزّأٌ دَقيقاً أو مُنْعَم الدَّق (أي مدقوق دقيقاً ناعماً)

---

(١) في لسان العرب : غرز الإبرة في الشيء غرزاً وغرّزها ادخلها ، وكل ما سُمّر في شيء فقد غُرِز وغرّز

في تاج العروس : ثاخت الاصبع في الشيء الوارم أو الرخو اذا غاصت وغابت

في تاج العروس : سخت الجرادة غرزت ذنبها في الارض لتبيض

11707 Repas

١١٧٠٧ طَعام ، أكلٌ

وأفضل أكْلة ، طَعام

11709 Répercussif, ve

١١٧٠٩ رادّ

وأفضل مُحَوِّل وراجِع . ففي المعنى الأول استعملت اللفظة في بعض وسائل العلاج قديماً كقولهم (remède répercussif) اي ذو تؤثر مُحَوِّل ، كأن يُحَوِّل الاحتقانَ السطحي مثلاً الى المُمتق (كيس الثلج) ، وفي المعنى الثاني كقولهم لهذا الشيء تأثير راجع أي يخشى حدوثه بعد مدة من الزمن.

11710 Répercussion

١١٧١٠ ارتداد

وأرجح صَدى ، او رُجوع او عُقْبى

11711 Répercussivité

١١٧١١ رَدودية (قابليَّة الارتداد)

وأفضل قابلية التأثير التالي . وسبق للجنة أن استعملت رَدودية (فتق) ترجمة لـ (réductibilité d'une hernie) (اللفظة ١١٥٠٨)

11718 repli amniotique

١١٧١٨ اِنْثناء سَابِيائي

اِنثناء سَلَوي كما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة [١]

11719 replis glosso-épiglottiques

١١٧١٩ انثناء لِسانيّة فلكية

انثناءات لِسانية فلكية

---

(١) الصفحتان ٤٦٤ و ٤٦٥ من المجلد الرابع والثلاثين والصفحة ٦٥٢ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

11720 Réponse (= réaction)

١١٧٢٠ جواب (تفاعل)

اجابة أو جواب (رد فعل ، تفاعل) وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة استجابة أيضاً .

11721 Réponses à côté , syndrome de Ganser

١١٧٢١ أجوبة جَنْباء ، تناذر غنسر

وأفضل أجوبة مجانِبيّة أو جانِبيّة

11723 repos au lit , repos couché

١١٧٢٣ اِستراحة في الفراش ، اِستراحة ، اِستلقاء

وأفضل اِلتزام السَّرير فقط ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

11725 Représentatif , ve

١١٧٢٥ قابِل للعرض ، اِلتبيان

وأفضل مماثل ومَثيل

11726 Représentation , idée

١١٧٢٦ عَرض ، بَيان ، فِكْرة

أقول تمثيل ، تَصَوُّر أو تصوير ، رأي

11732 représentation d'un tracé,d ' une courbe

١١٧٣٢ بيان مُخَطَّطٍ ، أو مُنْحنٍ

إراءة مُخَطَّط أو مُنحنٍ أو تصويره وتمثيله

11733 Reprise inspiratoire dans la coqueluche

١١٧٣٣ اِسْتِرجاعُ الشَّهيق في الشّهاق

وأفضل عَوْدة الشَّهيق في السُّعال الديكي(٢) وكذلك

---

(١) (rest in bed)

(٢) الصفحة ٥٩٢ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة

الشَهْقة أو الصَرير الشهيقي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(١)

11734 Répugnance

١١٧٣٤ كُرْه ، مَقْت ، نَفْرَة

وأفضل تقزز ، اشمئزاز ، كُرْه

11746 réserve de sang humain pour transfusions sanguines (depôt)banque de sang

١١٧٤٦ دمٌ بَشري احتياطي لنقل الدم (مستودع) مصرف الدم

أقول دَمٌ بَشَري او إنساني أو دَمُ الانسان المّدَّخر لنقل الدم (مستودع) مَصْرِف الدم

11747 réservoir à l'air

١١٧٤٧ حَوْضٌ لِلْهواء

وأرجح مَخْزَنٌ للهواء أو مَدخَرُه(٢)

11749 Résidu

١١٧٤٩ بَقِيَّة ، فُضَالَة ، ثُمالة

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : مُتخلف - الفَضْلة الراسب - الباقي بعد الترشيح . وأرجح باقي ، فُضالة ، راسب .

11750 residu d'évaporation

١١٧٥٠ بَقيةُ التَبْخير

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : قُرارة ، وجاء في الشرح : ما يتبقى بعد تبخير السائل في الوعاء .

---

(١) (whoop , inspiratory s ridor)

(٢) في لسان العرب : حاضَ الماءَ وغيره حوضاً وحَوّضة حاطه وجمعه الى ان قال والحَوْض مجتمع الماء

١١٧٥١ بقية التَرشيح — 11751 résidu de filtrage

وأفضل فُضالة الترشيح أو التصفية

١١٧٥٤ راتينَجْ ، صُمْرور — 11754 Résine

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : راتين (القاموس) راتينَجْ ، وعرفها : مجموعة من مواد غير متبلورة قابلة للالتهاب ، وتكون غالبا من أصل نباتي ويذوب عادة في الكحول ، وهو ينتج من بلمرة التربينات

وفي معجم الالفاظ الزراعية للمرحوم الامير مصطفى الشهابي : راتينَجٌ ، عَرَق الشجر راتين . وجاء في الشرح : كلمة راتينج من اليونانية ، والاوليان في المفردات والثالثة اي راتين في القاموس . مواد ثلاثية تتضمنها بعض النباتات ولا سيما الصنوبريات والبطميات وهي اشكال .

هذا ولم تأت لفظة صُمْرور في المعجم المذكور ولم اعثر عليها فيما بين يدي من المعجمات وأرجح راتين ، راتينَجْ

١١٧٥٦ راتينَجي ، صُمْروري — 11756 Résineux , se

وأفضل راتيني وراتينَجي

11759 résistance globulaire (épreuve de la)

١١٧٥٩ المتانَة الكُرَيْويّة (اختبار)

وأرجح مُقاوَمة الكُرَيْوات الحُمْر (اختبار)

١١٧٦٣ انْصراف ، انحْلال — 11763 Résolution

وأقر مجمع اللغة في القاهرة : البد — التفريق ، وجاء في التعريف : هو رد المادة الى قلوياتها . مثال ذلك فصل المخلوط

الراسيمي (racemic mixture) إلى مكونيه النشيطين ،
وجاء بين مصطلحات علم الجراحة ترجمة (resolution
of abscess) انْصراف الُخراج وعرفه بأنه تحلله

١١٧٦٧ نُضُوب ، غُؤُور ، ارْتِشاف 11767 Résorptiom

وأرجح ارتشاف فقط

١١٧٦٨ نُشُوق ، صالِحٌ لِلْتنفّس 11768 Respirable

وأفضل صالح لِلْتنفس . وسبق للجنة أن ترجمت
(priser) بنَشَق (اللفظة ١٠٩٣٩)

11778 Responsabilité , faculté de discernement

١١٧٧٨ تَبِعَة ، صفة التمييز

وأفضل مسؤولية ، مَلَكة التمييز

11779 Responsable , capable de discerner

١١٧٧٩ مَسؤول ، مُمَيِّز

وأفضل مسؤول ، مَيوز ، يستطيع التمييز

11780 Ressaut d'une courbe , pointe,clocher d'une courbe

١١٧٨٠ قَفْزَةُ مُنْحَنٍ ، نَشْزَة ذُرْوة مُنْحَنٍ

وأفضل نُشُوزُ مُنْحَنٍ او ارتفاعه ، قمته ، أنْفُ المُنحَني
تشبيهاً بأنف الجَبَل[1]

---

(١) في لسان العرب : وأنفُ الجبل نادر يشْخص ويندر منه والمُؤنَّف المحدَّد من كل شيء، النشْز والنشز المتن المرتفع من الأرض، ونشز الشيء يَنْشُز نُشوزاً ارتفع .

قفزَ يقْفِزُ قَفْزاً وقِفازاً وقُفُوزاً وقفزاناً وثب .

11781 ressaut terminal(T)

١١٧٨١ قَفْزَةٌ نِهائِيَّة أو خِتامِيَّة

وأفضل ناشِزة نِهائية او خِتاميَّة(T)

11784 Restes

١١٧٨٤ بَقايا ، فَضَلات

وأرجح بَقايا (وسبق للجنة أن ترجمت résidu بفُضالة ١١٧٤٩)

11786 Restreint (psychiatrie) isolement des aliénés dangereux

١١٧٨٦ مَحْجُور (عِلْمُ النفس) عَزْل المجانين الخَطِرين

مَحْجور (طب الأمراض النفسية أو العقلية)

11787 Résultante

١١٧٨٧ حاصِلَة

وعاقِبة أيضاً

11795 Rétablissement , réparation restauration

١١٧٩٥ تَجْديد ، اصْلاح ، تَعْمير

وأفضل ابْلال ، شِفاء ، اصْلاح ، تَرمِيْم

11796 Retardant ,te

١١٧٩٦ مُؤَخِّر ، مؤجِّل

مؤخر ومُثَبط كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11798 Retenir sa respiration , son souffle

١١٧٩٨ كَتَم نفسه ، حَبَس نَفَسَه

وأفضل أوقف تنفُّسه أو أمسك وحَبَس نَفَسَه أو أنفاسه

11799 Rétension

١١٧٩٩ احْتِباس ، حصْر

---

(١) (postponing inhibiting)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة إطام ترجمة لاحتباس الغائط أو البراز (retention of faeces)

11800 rétention chlourée — ١١٨٠٠ احتباس كلوروري

وأرجح احتباس كلورالصوديوم كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11801 rétention complète de gaz intestinux

١١٨٠١ احتباس الأرياح المعوية التام

وأفضل احتباس غازات الأمعاء كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

11805 réticence (psych.) — ١١٨٠٥ كتمان (علم النفس)

وتكتم

11808 Réticulocyte ,hèmatie granuleuse

١١٨٠٨ خلية شبكية أو شابكة كرراء حبيبية

خلية شبكية ، كريوة حمراء حبيبية

11809 Réticulo - endothéliose, réticulose , histocytose , histocytomatose

١١٨٠٩ داء شبكي بطاني ، زيادة الشبكيات

زيادة الخلايا النسيجية ، داء الخلايا النسيجية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : ترجمة اللفظة الأولى بالبطان الشبيكي ، وجاء في الشرح : وهي مجموعة من

---

(١) (retention of sodium chloride)

(٢) (retention of intestinal gases)

الأمراض ناتجة عن تغيرات ورمية أو تكاثر في الجهاز الشبكي البطاني ، وأشهر امثلتها مرض (هو دجكن)

11810 Réticulopathie ١١٨١٠ مَرَض الشَّبَكة البطانية

وأرجح اعْتِلال الشبكة البطانية

11811 Réticulo - sarcome, réticulo sarcomatose

١١٨١١ وَرَمٌ عَفَلي شَبَكي ، داء شبكي عفلي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة سرْكومة شبكية للفظة الأولى

11814 Rétine (proprement dite) , ١١٨١٤ طبقة شبكية (خاصة)

(1) fovea centralis (١) نُقْرَة مرْكزية

والحفرة المركزية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

(2) papille optique (٢) حُلَيْمة عصبية

حُلَيْمة بصرية والقُرْص البصري والبُقْعة العمياء ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة القُرْص البصري أيضاً

(3) portion iridienne (٣) قطعة قزحية

والجُزْء العِنَبي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

---

(١) (central pit)

(٢) (optic , blind spot)

(٣) (uveal tract)

11818 rétinite pigmentaire ١١٨١٨ الْتِهاب الشَّبَكِيَّة الصِّبْغي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة التهاب شبكي مُخضَّب،
وجاء في الشرح : ويخرج الخضاب من المشيمية ليستقر في اللمفاويات المحيطة بالأوعية

وأرجح الْتِهاب الشَّبَكِيَّة الصِّبْغي

11819 Rétracté , ée ١١٨١٩ مُنْقَبِض ، مُنْكَمِش ، مُتَقَبِّض

وأفضل مُتَقَلِّص ، مُتَقَبِّض ، أو مُتَباعد

11821 Rétractibilité, rétractilité ١١٨٢١ انكماشية (قابلية الانكماش)

وأفضل قَلوصية (قابلة التقلص) وقبوضية (قابلة الانقباض)
وليس للانكماشية أن تؤدي المعنى المطلوب (١)

11822 Rétractile ١١٨٢٢ قَلُوص (قابل الانكماش)

وأفضل قَلوص (قابل التكمُّش)

11823 Rétraction ١١٨٢٣ انقباض ، انكماش

انْقِباض وتقلُّص كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

11824 rétraction de l'aponévrose palmaire , maladie de Dupuytren

١١٨٢٤ انْكِماش الغِشاء الراحي ، داء دوبوترين

(١) في لسان العرب : الكَمْش الرجل السَّريع الماضي، رجل كَمْش وكميش عزوم ماضٍ ، سريع في أموره كمش كَمْشاً وكَمُش بالضم يكْمُش كماشةً وانكمش في أمره الأصمعي انكمش في أمره وانشمر وجدَّ بمعنى واحد إلى أن قال : قد تكمَّش جلده أي انقبض واجتمع .

(٢) (retraction , contraction)

وأرجح تقبّض الصِفاق الرّاحي داء دويويترن ، وتقفع دويويترن كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11825 rétraction musculaire ischémique de Volkmann, paralysie ischémique

١١٨٢٥ انكماش ولكمان العضلي بفقر الدم الموضعي ، شلل بفقر الدم الموضعي

أقول تقبّض فلكمان (كما يلفظ بالألمانية) العضلي بالقلة الدموية ، والشلل بالقلة الدموية الموضعية (٢)

11826 Retraite

١١٨٢٦ إنزواء ، انعزال ، عُزْلة

وأفضل تراجُع ، تقهقُر انسحاب ، وانعزال

11828 Rétréci dans le diamètre oblique

١١٨٢٨ تضيّق في القطر المنحرف

11829 rétréci dans le diamètre transverse

١١٨٢٩ تضيق في القطر المعترض

وأرجح ضيّقٌ أو ذو تضيُّق في القطر المنحرف في اللفظة الأولى وضيّق في القطر المعترض في اللفظة الثانية

11830 Rétrécissment , resserrement , sténose

١١٨٣٠ تضيّق ، تشدّد ، ضيق

وأفضل تضيق ، كرْب ، أو تكْريب ، ضيق (٣)

---

(١) (Dupuytren's contracture)

(٢) الصفحة ٤٩٦ من المجلد الثالث والأربعين من هذه المجلة .

(٣) في لسان العرب : وقيْد مكروبٌ إذا ضُيّق و كربْتُ القيْد إذا ضيقته على المُقيّد .

١١٨٣٤ تضيُّق المثانة — 11834 rétrécissement de vessie

وأرجح تقبُّض المثانة أو تقفعها ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [١]

١١٨٣٥ قُبوع — 11835 Rétrocession

والصحيح التراجع أو التقهقر والميل الخلفي (فيما يخص الرحم أو غيرها) [٢] ولا أرى للفظة القبوع الدلالة المطلوبة [٣]

١١٨٣٦ إجل خَلْفي — 11836 Rétrocolis

وأفضل صَعَر خلفي وقَمَاس [٤] ترجيحاً

١١٨٣٧ انثناء خلفي — 11837 Rétroflexion

---

(١) (contracted bladder)

(٢) لفظة (retrocession) في معجم ستدمان Stedman'sMedical) (Dictionary

(٣) في لسان العرب: قَبَع يَقْبَع قَبْعاً وقُبوعاً نَخَر والقَبْع صوت يردُّه الفرس من مَنْخِريه إلى حلقه. والقَبْع الصياح والقُبوع أن يدخل الانسان رأسه في قميصه أو ثوبه ويقال قَبَع قُبُوعاً واقْتَبع ادخل رأسه في ثوبه الخ.

(٤) في لسان العرب : الإجل وجع في العنق .

في لسان العرب : الصَّعَر ميل في الوجه وقيل الصَعَر الميل في الخد خاصة وربما كان خلقه في الانسان والظليم ،وقيل هو ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين،وقد صعر خده وصاعره اماله من الكبر .

في لسان العرب والقَمَاس التواء يأخذ في العنق من ريح كأنما تهصر إلى ما وراءه .

وأرجح انعطاف خلفي وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة انحناء الرحم إلى خلف ترجمة لـ (retroflexion of uterus)

11838 rétrognathie
١١٨٣٨ تأخر الفك الأسفل

والصحيح تأخر نمو الفك أحد الفكين أو كلاهما (١)

11839 Rétrogression
١١٨٣٩ تَقَهْقُر

ونُكوص وإرتداد وإدبار

11840 Rétropulsif, ve
١١٨٤٠ متراجع ، منكفىء إلى الوراء

11841 Rétropulsion
١١٨٤١ تراجع ، اندفاع إلى الوراء

وأفضل مندفع إلى الخلف في اللفظة الأولى واندفاع إلى الخلف في الثانية

11842 Rétsopulsion
١١٨٤١ تراجع ، اندفاع إلى الوراء

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ميل الرحم الى خلف ترجمة لـ (version of uterus) . وأرجح انقلاب الرحم الخلفي

1l847 Reveil subit, éclosion subite (d'un foyer de maladie)
١١٨٤٧ يَقَظة فُجائية ، اِنْفجار فُجائي (لبؤرة مرض)

وأفضل سَوْرة فجائية أو اندلاع فجائي ، استيقاظ فجائي (لبؤرة مرضية)

(للبحث صلة)

---

(١) لفظة (retrognathia) في معجم ستدعان الطبي (Stedman ' S Medical Dictionary) .

معبد الجهني

الاستاذ الدكتور يوسف فان اس

« إن أول من تكلم في القـدر : معبد الجهني » . هذا ما يقوله ابن قتيبة في كتابه « المعارف » (١) ، وكثيرون من بعده عبروا عن رأيهم بمثل هذا الإيجاز (٢) . إلا أن أقوالاً جازمة كهذه لا تؤيدها في الغالب إلا الأخبار المتداولة . وغالباً ما يتكرر ذلك الرأي لأنه يلائم أفضل ملاءمة الرغبة الشائعة في البحث عن الأوائل (٣) . فإذا ما أردنا المزيد من الدقة في البحث ، تبينت لنا ضآلة المعلومات التي بين يدينا .

كان اسم معبد نفسه موضع شك . فهو معبد بن خالد ، كما يقول خليفة بن خياط في كتابه « الطبقات » (٤) ، أو معبد بن عبد الله بن

(١) ص ٤٨٤ س ٧ (تحقيق عكاشة)

(٢) ابن الأثير « الكامل » ج ٤ ص ٣٦٧ س ١١ (Tornperg) / ج ٤ ص ٤٦٥ س ١١ والذي يليـه (بيروت ١٣٨٥ / ١٩٦٥) ؛ الذهبي « الميزان » رقم ٨٦٤٦ ؛ ابن حجر « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٥ السطر قبل الأخير .

(٣) قارن ما كتبه F. Rosenthal في هذا الفن الأدبي في Ei ط ثانية ، باب Awāʾil

(٤) رقم ١٧٣٢ (ص ٥٠٣ زكار) .

عكيم ، كما يقول ابن حزم في « جمهرة أنساب العرب » [١] ، أو معبد ابن عبد الله بن عليم ، كما يقول ابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » [٢] . وهو أيضاً معبد بن خالد أو معبد بن عبد الله بن عويمر ، كما يقول البخاري في « التاريخ الكبير » [٣] أو السمعاني في « الأنساب » [٤] ، ومعبد بن عبد الله بن عكيم أو معبد بن عبد الله بن عويم ، كما يقول ابن حجر في « تهذيب التهذيب » [٥] . وهكذا يبدو أن اسمه ينحصر في شكلين أساسيين يميز اسم الأب بينهما : في الشكل الأول (معبد بن خالد) لا يذكر اسم الجد ؛ وفي الشكل الثاني (معبد بن عبد الله) يبدو اسم الجد نفسه قابلاً للجدل أيضاً ، إما بسبب ارتباك المؤلفين أنفسهم أو بسبب نقص في الروايات المتأخرة .

ويمكن الفصل بينهما بالتنقيب في بعض المصادر . صحيح أن البخاري (توفي عام ٢٥٦/٨٧٠) قد عجز عن تفضيل شكل على آخر في الفقرة المذكورة أعلاه ، وحار ابن أبي حاتم الرازي (توفي عام ٣٢٧ / ٩٣٠) في أمره [٦] ، إلا أن هذا الأخير قد ميز القدري تمييزاً واضحاً عن شخص آخر من الصحابة يدعى معبد بن خالد ، توفي سنة ٧٢/٦٩١ عن عمر يربو على الثمانين عاماً [٧] . ولقد انضم إلى هذا الرأي ابن عبد البر [٨] وابن

---

(١) ص ٤٤٥ س ٤ والذي يليه (هارون)

(٢) انظر الصفحات التالية من هذا المقال .

(٣) ج ٤ ، ١ ص ٣٩٩ السطر الأخير والذي يليه

(٤) ج ٣ ص ٤٤١ س ٥ وما بعده (المعلمي)

(٥) ج ١٠ ص ٢٢٥ س ٩ والذي يليه

(٦) « الجرح والتعديل » ج ٤ ، ١ ص ٢٨٠ رقم ١٢٨٢

(٧) المرجع نفسه ج ٤ ، ١ ص ٢٧٩ رقم ١٢٧٦

(٨) « الاستيعاب » رقم ٢٤٤٢ (ص ١٤٢٦ ، بجاوي)

الأثير (١) ، كذلك عبر ابن حجر عن رأي مماثل (٢) . إن هذه الآراء ليست ، والحق يقال ، سوى مجرد استنتاج لباحثين متأخرين . لذا فنحن غير مضطرين للأخذ بها ، إلا أنها تصبح أكيدة إذا ما حاولنا القيام بما قام به مؤرخو القرون الوسطى من تحليلات معتمدين على مراجعهم الأساسية نفسها . فكثيراً ما يردد الواقدي اسم معبد الصحابي . ويقال إنه واحد من الرجال الأربعة الذين حملوا راية جهينة واشتركوا في فتح مكة في عام ٨/٦٣٧ (٣) . أما البخاري فيروي أن مالك بن دينار (توفي عام ١٢٧ / ٧٤٤) الذي كان تلميذا لمعبد القدري في البصرة ، قد اجتمع بمعبد في مكة بعد فتنة ابن الأشعث ، وأن هذا الأخير كان جريحاً لاشتراكه في القتال ضد الحجاج (٤) . وهذه الرواية لا تتفق وما نعرفه عن الصحابي . ففتنة ابن الأشعث قد وقعت ما بين عامي ٨١ و ٨٣ ه (٥) ، وأما معبد ابن خالد فكان قد توفي قبل ذلك بعشر سنوات .

---

(١) « أسد الغابة » ج ٤ ص ٣٩٠ س ١٥ والذي يليه

(٢) « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٣ س ١

(٣) قارن « المغازي » ص ٨٠٠ السطر الأخير ، و ص ٨٢٠ ص ٥ وص ٨٩٦ س٥ من تحت (Jones) . من المحتمل أن يكون عمره قد استنتج بمقارنة هذا الخبر وتاريخ وفاته . ومن جهة أخرى فقد جاء في نفس هذا المرجع أن كنيته كانت « ابا روعة » وليس ابو رغوة ، كما ورد في طبعة « الجرح والتعديل » . (قارن « المغازي » ص ٥٧١ س ١١) . لمعلومات أخرى عنه قارن المرجع نفسه ص ٩٤٠ س ١١ والذي يليه ، وص ١٠٣٨ س ١٢ وما بعده .

(٤) البخاري « التاريخ الكبير » رقم ١٧٤٥ (ج ٤ ، ١ ص ٣٩٩ س ١٤ وما بعده

(٥) قارن E i ط. ثانية تحت اسم Ibn al-Ash' ath

يغلب على الظن بالنظر لما تقدم أنه ليست هويته وحدها هي التي لا تتفق مع هوية الصحابي ، وإنما شكل اسمه لا يتفق اطلاقاً مع اسم معبد بن خالد . فلربما وقع تشويش بين الاسمين لأن الرواة لم يحسنوا الفصل بين الشخصين . وإن ما ورد في رواية متأخرة لابن تغري بردي في كتابه « النجوم الزاهرة » لا يبقي مجالاً للشك . ففي لائحة المتوفين عام ٨٠ ، يذكر المؤرخ اسم سعيد بن عبد الله بن عليم الجهني الذي أمر عبد الملك بصلبه بسبب آرائه القدرية [١] . والشخص المشار اليه هو أخ لمعبد ، ولا نعرف شيئاً عنه غير هذا [٢] . وهكذا تتأكد هويته ، لأن اسم معبد ذكر في السنة نفسها تحت اسم معبد بن عبد الله بن عليم ، فالاسمان متطابقان تماماً ، وكذلك الاشارة إلى سبب الوفاة . وتقول الرواية إنه قتل على يد الحجاج — أو على يد عبد الملك في الشام ، حسب رواية أخرى[٣] الا أن معبدا يظهر مرة أخرى ، بأسمائه نفسها ، ولكن في عام ٨٣ ، فتذكر وفاته ، إنما دون الإشارة إلى أسبابها[٤] . فيكون ابن تغري بردي قد استقى من مصدرين دون أن يلاحظ التناقض بينهما : المرجع الأول الذي يعود إليه بالنسبة إلى عام ٨٠ هو كتاب « تاريخ مصر »

(١) قارن « النجوم الزاهرة » (ط. القاهرة) ج ١ ص ٢٠٠ س ١٤ وما يليه.

(٢) إن كتب الطبقات لا تشير إليه . ولم يكن من المحدثين . فسعيد بن عبد الله الجهني الذي ورد ذكره عند ابن حجر (« تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٥٢) لا يمكن أن يكون هو نفس الشخص ، لأن عبد الله بن وهب الذي يقال إنه كان يأخذ عنه قد ولد في عام ١٢٥ / ٧٤٣ . (قارن Sezgin , GAS ج ١ ص ٤٦٦

(٣) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٠١ س ٩ والذي يليه

(٤) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٠٦ س ١٦ وما بعده .

لسعيد بن كثير بن عفير (١٤٦ / ٧٦٣ - ٢٢٦/٨٤٠) أحد أكبر معاصري خليفة بن خياط سناً[١] . والمرجع الثاني بالنسبة لعام ٨٣ فمن المرجح أنه الذهبي[٢] . ومن الواضح أن التاريخ الأخير وحده يمكن أن يكون صحيحاً ، إذا ما كانت « الآراء القدرية » تعني بالفعل الاشتراك في فتنة ابن الأشعث . صحيح أن كثيرين قد اعتمدوا على العام ٨٠ كمرجع في رواياتهم[٣] ، ولكن يصّح تفسير ذلك على أنه استقاء سطحي لمعلومات في آثار تاريخ قديمة ، كتلك التي لخليفة بن خيّاط ، والتي دوّن فيها معبداً في عداد المتوفين ما بين عامي ٨٠ و ٩٠ هـ [٤] .

يتّضح من كل ما تقدم أن كـلّا من اسم معبد وتاريخ وفاته قد حقّق بعض التأكيد . ويمكن إضافة بعض القول إلى هذين الأمرين : فكما أسقطنا معبد بن خالد الصحابي من بحثنا ، كذلك يجب إسقاط معبد بن عبد الرحمن الخارجي ، الذي أراد W.M.Watt أن يساويه بمعبد أوّل القدريّين[٥] . إن أب الثائريْن معبد وأخيه قد عاصر النبي ، كما يذكر ابن حزم[٦] . وانطلاقاً من هذا ، نرى أن عقدة الخطأ

(١) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٠٠ س ١٦ . قارن GAS ١/٣٦١ .

(٢) ابن تغري بردي يأتي بدليل على قصة دومة الجندل التي وردت عند الذهبي (انظر الصفحات التالية من هذا المقال) .

(٣) كما جاء مثلاً عند اليافعي « مرآة الجنان » ج ١ ص ١٢٦ س ١ والذي يليه ، أو ابن العماد « شذرات الذهب » ج ١ ص ٨٨ س ٧ والذي يليه استناداً إلى المصدر نفسه .

(٤) قارن خليفة « تاريخ ... » ص ٤٠١ س ١

(٥) قارن W.M.Watt , Free will and Predestinatoin ص ٥٣ والتي تليها .

(٦) قارن « جمهرة أنساب العرب » ص ٤٤٥ س ٤ والذي يليه .

في كتابة اسم الجد بأشكاله الأربعة ، أخذت تتحلّل وتنحصر في شكل واحد هو عكيم . فلم يُذكر بالآثار المتعلّقة بالموضوع الا ّ اسم واحد فقط وهو اسم عبد الله بن عكيم(١) . وفي الحديث عن الأب لانجد إشارة مباشرة إلى ابنيه هذين . وهذا أمر يكاد لا يكون متوقّعاً . ومع ذلك فقد كان يُكنى بأبي معبد . كان يقيم في الكوفة ، بينا كان ابناه يقيان أكثر أيامها في البصرة والحجاز ، على ما يبدو . أما ابن المرتضى فيعتبر معبداً من أهل المدينة المنورة(٢) . وكان بعض أهل السّنة المتأخرين يدّعون أنهم يعرفون عنه أنه نشر آراءه فيها(٣) .

من المعلوم أن معبداً وأخاه لم يكونا وحدهما أبرز ضحايا الحجّاج بعد فشل الفتنة . فقد لجأ كثيرون مثلها إلى الحجاز . أمّا مكان إعدامها فقد كان مدينة دمشق(٤) ، كما رأينا ذلك في تاريخ سعيد بن كثير

---

(١) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٦ ص ٧٧ وما بعدها ، ابن عبد البر « الاستيعاب » رقم ١٦١٠ ، ابن الأثير « أسد الغابة » ج ٣ ص ٢٢٦ س ٨ من تحت ، ابن حجر « الاصابة » رقم ٤٨٢٢ (وبالطبع أيضاً رقم ٦٣٣١ ثم عليم) .

(٢) « طبقات المعتزلة » ص ١٣٣ س ٩ (Diwald - wilzer) .

(٣) قارن الخبر في كتاب الشريعة لأبي بكر الآجري (تحقيق محمد حامد الفقي ، القاهرة ١٣٦٩ / ١٩٥٠ ص ٢٤٣ س ٣ وما بعده) . ينسبها أنس بن عياض من أهل المدينة (عاش ما بين ١٠٤ / ٧٢٢ و ٢٠٠ / ٨١٥) إلى الفقيه عبد الله بن يزيد بن هرمز من أهل المدينة أيضاً ، الذي كان يعتبر مرجعاً في « الأهواء » (قارن الشيرازي « طبقات الفقهاء ، تحقيق عباس ، ص ٦٩ س ٨ وما بعده) بالرغم من صفته هذه فإنه من المشكوك فيه جداً أن يكون قد تفوه بما قيل عنه (انظر الحاشية ١٧٥) .

(٤) وأيضاً ابن عساكر ، حسب المصدر نفسه ، في « تاريخ دمشق » ، ترجمة معبد غير المطبوعة . قارن إلى ذلك ابن حجر « تهذيب التهذيب » ص ٢٢٦ س ٥ من تحت وما يليه .

بن عفير . ويدّعي محمّد بن زياد الألهاني من سكان حمص[١] ، أنه ، فيما كان في المسجد ، شاهد معبداً يساق إلى الخليفة[٢] . وهذا يعني أن عبد الملك ربمـــا كان مسؤولاً عن إعدامه . وتأخذ الروايات الدمشقية مجراها معتمدة على هذا الافتراض أيضاً[٣] . ففي الواقع ، كان على عبد الملك ان يتدخّل في الأمر ، إذا صحّ ما قيل من أنه قُبِض على معبد في الحجاز . وليس هناك من مبرّر معقول أن يُنقَل هذا الأخير إلى البصرة

ومع ذلك ، فمسؤولية إعدامه تُلقى ، بصورة عامة ، على عاتـق الحجاج[٤] . ولقد قيل إنه عاقب معبداً « بأصناف العذاب »[٥] . ولا ينبغي أن نرى في هذا القول أكثر من تعبـــير عن حكم متسّرع ، فالحجاج كان قد أخمد فتنة ابن الأشعث . وأما ما جاء في الأخبار أنه عاقبه « بأصناف العذاب » فما ذلك إلا جزء من الروايات العديدة التي تقول إن معبداً قد تحمّل كل أنواع العذاب دون شكوى ، وإنـه لم ينهر إلا عندما انقضّت عليه أسراب الذباب . فأدرك عند ذلك أن الله قد تخلّى عنه بعد ما نبذته السلطة الدنيويّة . ومما لا شك فيه أنه لا ينبغي أن

---

(١) بالنسـبة اليـــه قارن الذهبي « الميزان » رقم ٧٥٤٤ ، ابن حجر « تهذيب .. » ج ٩ ص ١٧٠

(٢) قارن ترجمة معبد في « تاريخ دمشق » .

(٣) قارن ترجمته في « تاريخ دمشق » . إن أصل الخبر يعود إلى يحيى ابن يحيى الغساني (توفي عام ١٣٥ / ٧٥٣ ، انظر الصفحات التالية من هذا المقال ص) .

(٤) قارن مثلاً السمعاني « الانساب » ، (حيدر آباد) ج ٣ ص ٤٤١ س ٨ والذي يليه ، الذهبي « تاريخ الإسلام » ج ٣ ص ٣٠٦ س ٤ وما بعده .

(٥) الذهبي ، المرجع نفسه حسب خبر في « تاريخ دمشق » .

في الأمر أكثر من قصّة متأخرة مختلقة . وليس من باب الصدفة أن تُعزى الى صدقة بن يزيد الخرساني الذي كان يقيم في الرملة من أعمال فلسطين والذى ربّما لم يشهد هذا الحدث بنفسه[١]. وتذكر بعض الروايات في مناسبات أخرى أن معبداً مات مصلوباً[٢] . ويُروى الشيء نفسه كما رأينا عن أخيه سعيد[٣] . وفي الواقع ، كثيراً ما يعاقَب مثيرو الفتنة بهذه الطريقة استناداً الى سورة المائدة آية٣٣[٤] .

---

(١) قارن الذهبي « الميزان » رقم ٣٨٨٢ . من المحتمل ألاّ يكون في الأمر سوى تصور سائد ليس إلا . يقال أيضاً إن غيلان الدمشقي قد سئل عند إعدامه بسخرية قاسية إذا كان الذباب الذي يعذبه ليس مقدراً هو أيضاً . والمقصود ، كما تدعي الروايات ، أنه ظل مصراً على موقفه . (قارن ترجمته في « تاريخ دمشق » ، مخطوطة الظاهرية رقم ٣٣٨٠ ج ١٤ ص ٩٣ ب) . يبدو أنه كان للجبريين حجة ثابتة يرجعون إليها دوماً كما في هذه المناسبة ، وهي أن الذباب نفسه ، على الرغم من تفاهته ، لا يحوم إلا بعلم من الله وإرادته . ويروى عن عمر بن عبد العزيز أنه أكد ذلك في مناقشة مع غيلان الدمشقي (قارن « تاريخ دمشق » ، المرجع نفسه ق ٩٣ ا س ١٩ ، وكذلك الآجري في كتاب الشريعة ص ٢٣٢ س ٥ وما بعده) . بشأن التحويرات المختلفة عن هذا التصور ، قارن القصة عند الآجري « الشريعة » ص ٢٠٢ س ٣ وما بعده والسطر الأخير من ص ٢١٢ وما بعده .

(٢) كما عند سعيد بن كثير بن عفير ، قارن الذهبي « تاريخ .. » ج ٣ ص ٣٠٦ س ٩ والذي يليه والمقريزي « خطط » ج ٤ ص ١:١ س ٨ من تحت وما بعده .

(٣) انظر الحاشية ١ ص ٢٨٢ من هذا المقال وما يليها .

(٤) قارن الأمثلة لدى O . Spies , uber die kreuzigung in Islam في Religion und Religionen وهو كتاب تذكاري لـ G . Mensching ، بون ١٩٦٧ ، ص ١٥٠ وما قبلها وما بعدها .

لم تردنا أخبار كافية عن دور معبد أثناء الفتنة . ولكن ما من شك في أنه أيّدها تأييداً شديداً – وذلك منذ بدئها حتى نهايتها ، على ما يبدو . لقد كان على اتّصال بالحسن البصري وبالزاهد عطاء بن يسار الهلالي المدني (توفي عام ١٠٣ / ٧١٢ - ٣ أو عام ١٠٤ / ٧٢٢ - ٣ عن ٨٤ سنة) . جاء في إحدى الحكايات المشهورة أن هذين الأخيرين كانا متفقين معه في استيائهما من حكم الامويّين وشدّة الحجّاج[1] . إلا أن الحسن لم يؤيد ، على العكس منه ، قيام فتنه . مسلّحة ضدّ السلطة[2] وأما ما رواه الذهبي من أن الحسن كان ، في بادىء الأمر ، يعتبر معبداً صاحب بدعة[3] ، فهو بالتأكيد اختلاق متأخر . لقد أحرز معبد سمعة طيّبة بسبب دينه وتقواه[4] ، أثناء أقامته في البصرة . ولذا فمن الأكيد أنه أقام فيها مدة طويلة حتى قبل وقوع الفتنة .

في هذا الوقت كان معبد قد تقدم في السن . ومما يروى عنه أنه كان يقيم في دومة الجندل عام ٣٨ / ٦٥٨[5] بحيث اجتمع المحكّمان

(١) قارن ابن قتيبة « المعارف » ص ٤٤١ س ٧ وما بعده (عكاشة).

(٢) كذا وردت في الأخبار المعروفة . إذا استطعنا تصديق ابن النديم فإنه يكون قد قدم البيعة فعلاً لابن الأشعث . (قارن « الفهرست » ، ترجمة Dodge ص ٣٨٢) .

(٣) « تاريخ الإسلام » ج ٣ ص ٣٠٥ س ٥ من تحت وما بعده ، وكذلك كتاب « الشريعة » للآجري ص ٢٤٣ س ١٢ وما بعده وص ٢٤١ س ١٢ وما بعده (حسب النوبختي ، توفي عام ٣٠١/٩١٣ في كتابه « القدر » على وجه الاحتمال . قارن GAS ١٦٦/١) .

(٤) المرجع نفسه ج ٣ ص ٣٠٥ س ١١ وما بعده، انظر كذلك الصفحات التالية من هذا المقال .

(٥) قارن Ei ط . ثانية ج ٦٢٥/٢ ب تحت اسم (Dūmat al - Djandal) و ج ١ ص ٣٨٤ والتي تليها (تحت اسم Ali b . Abi Talib) .

للتشاور بعد موقعة صفّين . ولربما أنه كان على علاقة « بالقرّاء » في ذلك الوقت ، فيقال إنهم رجوه أن يخاطب ضمـــير المحكّمين . فتردّد بادىء الأمر بقبول المهمّة ، لأن قلوب بني قريش « أقفلت بأقفال الحديد » . وعندما بدأ بتنفيذها ، تبيّن له أن أبا موسى الأشعري قد تخلى عن سيده عليّ . أما عمرو بن العاص فقد رفضه بتكبر . ولقد وضع هذه الرواية عبد الملك بن عمير اللخمي الكوفي (توفي عن عمر طويل عام ١٣٦ / ٤ — ٧٥٣)[١] . وليس هنالك من شك في المصدر العراقي لها ، حتى ولو لم نكن على معرفة براويها . إنها ضدّ الأمويّين ولصالح العلويّين ، ففيها ينظر الى القريش على أنهم أشرار - ولم يكن الاشعري أحد المحكمين ، منهم — . أما عمرو بن العاص ، ممثل معاوية ، فيوصف بأنه متكبّر متعال . وأما عليّ فيخونه أقرب المقربين إليه . إن هـــذه الرواية واردة في كتاب « تاريخ دمشق » لابن عساكر . وقد أخذها عنه الذهبي على ما يظهر[٢] . ومن المحتمل أن تكون محرّفة . إلا أن هـــذا الأمر لا يغيّر شيئاً في بحثنا ، فهي تظهر أن سمعة معبد كانت ما تزال طيّبة في الكوفة — حيث كان قد أقام والده — حتى في النصف الأول من العام الثاني للهجرة . وتُظهر بالإضافة إلى ذلك أن الناس كانوا يقدّرون سنّه تقديراً كبيراً لدرجة أنـــه كان يحقّ له أن يحضر مشاورات دومة الجندل . وهـــذه الرواية تشترط علما مسبقاً أن طرفي المشاورات ، عندما التقيا في هذه المرة الأولى[٣] ، كان متفقين على سرّية

(١) قارن الذهبي « الميزان » رقم ٥٢٣٥

(٢) « تاريخ الإسلام » ج ٣ ص ٣٠٤ س ٧ من تحت وما بعده .

(٣) قارن Ei ط . ثانية ، المرجع نفسه .

المباحثات[١] . وعليه فينبغي أن تكون ولادة معبد قد حصلت في عام ٢٠/٦٤٠ على أبعد تحديد . ولا صعوبة في أثناء ذلك ، فأبوه كان قد ولد في الجاهلية[٢] . ومما يؤكد ذلك أنه كان يورد عن لسان عثمان (توفي عام ٣٥ / ٦٥٦) حديثاً مباشراً[٣] ، بينما كان يورد عن عمر (توفي عام ١٣ / ٦٣٤) حديثاً مرسلاً[٤] ، دون الاتصال به شخصياً . ولربما قد يكون قد تجاوز الستين عند وفاته . فتقدّمه في السن قد يفسر أثره في البصرة . أما الحسن البصري فقد كان أصغر منه سنّاً بكثير.

ليس من المستبعد أن يكون عبد الملك بن عمير قد عَنى بروايته معبداً الآخر ، أي الصحابي ، أو أن يكون هو نفسه قد خلط بين الرجلين . إلا أن هذا الافتراض يبدو ضعيف التصديق لورود شهادات أخرى تشير الى شهرة معبد المبكرة ، والتي لا يمكن إلصاقها بمعبد الصحابي الذي يحمل نفس الاسم . فمن الواضح أن علاقته بمعاوية كانت أوثق مما يظن[٥] . ومما يروى أن عبد الملك استدعاه إلى دمشق ليوفده كمبعوث إلى البلاط البيزنطي ، كما طلب منه في ذلك الوقت أن يقوم بتربية ابنه سعيد[٦] . ومن المرجح أن ذلك جرى بين عامي ٦٩ / ٩ –

(١) قارن نصر بن مزاحم ، في كتاب « وقعة صفين » ص ٦١٩ س ٢ (هارون) .

(٢) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٦ ص ٧٧ س ١١ والذي يليه .

(٣) انظر ص ٢٩٧ ومابعدها من هذا المقال .

(٤) كما في « تاريخ دمشق » .

(٥) انظر ص ٢٩٣ و ٢٩٨ من هذا المقال .

(٦) قارن « تاريخ دمشق » ، كذلك أوفد عبد الملك المؤرخ الشعبي (توفي عام ١٠٣/٧٢١) في مهمة مماثلة إلى بيزنطية . (قارن GAS ١ / ٢٧٧) .

٦٨٨ و ٧٣ / ٣ – ٦٩٢ . ففي عام ٦٩ / ٩ – ٦٨٨ كان الخليفة قد عقد معاهدة صلح لعشر سنوات مع ملك الروم ، ولم تلبث أن نُقضت تلك المعاهدة سنة ٧٣ / ٣ – ٦٩٢[١] . ومن جهة أخرى فان عبد الملك لم يستمد نفوذه في العراق إلا في عام ٧٢ / ٦٩١ بعدما انهارت سيادة الزبيريين . وهكذا نستطيع أن نضيّق فارق الزمن ونجعله بين عامي ٧٢ / ٦٩١ و ٧٣ / ٣ – ٦٩٢ . وإذا سلّمنا أن هناك رواية ثانية[٢] تقول إن عبد الملك قد طلب من الحجاج أن ينصحه بالمرشّح المناسب لهذا المنصب ، فهذا لا يفترض أن يكون الحجاج قد أصبح والياً على العراق . (الأمر الذي قد يوصلنا الى العام ٧٥ / ٦٩٤) . وهذا بالتأكيد خطأ محتمل . ومهما كان الأمر ، فانه قلّما نستطيع أن نفكر هنا بمعبد بن خالد الصحابي . فهو قد توفي عام ٧٢ / ٦٩١ بعد أن تقدم في السن . وبالاضافة إلى ذلك ، فإننا نجـــد في الرواية الآنفة الذكر إشارة إلى مسألة خلاف فقهية ، ارتبط حلها ، حيثما وجد ، ارتباطاً وثيقاً باسم معبد القدري أيضاً[٣] .

---

(١) راجع Gibb (في EI ط.ثانية تحت اسم (Abdal - Malik b . Marwan) ، وذلك بسبب النقد الجديد الذي لم تعترف به بيزنطية إلا أن G . Rotter لفت نظري إلى أنه حسب المستندات التي لدى

J . Walker ' Catalogue of The ArAB – Byzantine and Post - Reform Umaiyad Conis . (London 1956)

فان السبب المذكور أعلاه لم يؤيد بأية أدلة دامغة . (ص ٥٤ والتي تليها بالأرقام الرومانية) .

(٢) في « تاريخ دمشق » أيضاً .

(٣) انظر ص ٢٩٣ من هذا المقال فيما يتعلق بالمكاتب ,

ونجد شواهد أخرى على اضطلاعه بتربية ابن عبد الملك ، في غير هذا المكان . فيها البلاذري[١] والجاحظ[٢] يشيران اليها هما بدورهما بشكل مقتضب . كذلك يذكرها ابن عساكر مرة اخرى مأخوذة عن كتاب « الدولتين » لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن زَبْر (توفي عام ٣٢٩ / ٩٤٠) ، وهو أحد القضاة الدمشقيين ، وقد أقام في بغداد زمناً طويلاً[٣] . إلاّ أن هذا المنصب لم يدم طويلاً . فلا بدّ لنا أن نخصّص بعض الوقت لنشاط معبد في البصرة قبل أن تمتّد اليها فتنة ابن الاشعث . وإذا افترضنا أن معبداً قد كشف عن شخصيته كقدريّ اثناء إقامته في البلاط الأموي ، فان ذلك ما كان ليضرّ بسمعته . حقّاً إن زميله إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر الذي تولّى تربية باقي أبناء الخليفة قد انتقده على آرائه[٤] ، حسبما تقول بعض الروايات . إلا أننا لا نعرف هل حصل ذلك الانتقاد أيام قيامه بوظيفته . وإذا ما افترضنا حصول مثل هذا الانتقاد ، فان الأمر لا يعدو كونه مجرّد تعبير عن رأي

---

(١) « أنساب الأشراف » (قارن Anonyme arabische chronik تحقيق Ahlwardt ص ١٩٦ س ١٢ والذي يليه .

(٢) « البيان والتبيين » ، (هارون) ج ١ ص ٢٥١ س ٥ والذي يليه .

(٣) قارن « تاريخ بغداد » ج ٩ ص ٣٨٦ والتي تليها . وأيضاً F. rosenthal في History of Muslim Historiography ص ٥١٢ . لقد عثر ابن عساكر على كتاب ابن زَبْر ، وكان قد نقحه ابنه أبو سليمان محمد بن عبد الله بن زبر (توفي عام ٣٦٩/٩٨٩ . قارن GALS ١/٢٨٠) .

(٤) قارن بدران « تهذيب تاريخ دمشق » ج ٣ ص ٢٦ س ٥ والذي يليه .

شخصي . إن المسألة القدرية لم تكن بعد موضوعاً يثير الاهتمام . ولقد اتسمت خلافة عبد الملك آنذاك بمحاولتها تخفيف حدّة التناقضات الدينية قدر الإمكان[١] . ومما يروى أن الخليفة أوعز إلى إسماعيل بن عبيد الله المذكور آنفاً أن يربّي أبناءه تربية خلقية فاضلة[٢] . ومن المفروض أنه كان يتوقع الشيء نفسه من المناضل الثوريّ العتيد . ومما يسترعي الانتباه أن سعيد بن عبد الملك ، ذلك الابن الذي ربّاه معبد ، قد أظهر فيما بعد ميلاً واضحاً الى التقشّف . وكان الوحيد بين أبناء عبد الملك الذي سلك هذا المسلك . ولقد عرف باسم سعيد الخير[٣] .

---

(١) قارن علاقته بالخوارج القَعَدة (راجع R. Rubinacci في AIUON ١٩٥٤/٥ ص ٩٩ وما بعدها) واتفاقه مع حسن بن محمد بن الحنفيه العلوي (راجع W. Madelung ' Der Imam el — Qasim B.Ibrahim ص ٢٢٩) الخ .. كما أن الحجاج لم يعلن عداءه للقدريين منذ أول الأمر . فلقد ظل مدة طويلة يكنّ بعض الاحترام للحسن البصري ؛ ووجد عنده معبد ، كما يقال ، القبول والرضى عندما شرح له الدواعي التي أدت به الى اعتناق القدرية (انظر ص ٢٩٨ من هذا المقال) .

(٢) راجع Anonyme Chronik (البلاذري) ص ١٩٦ س ٨ وما بعده .

(٣) قارن « تهذيب تاريخ دمشق » ج ٦ ص ١٥٣ وما بعدها . الزبيري « نسب قريش » ص ١٦٥ س ٥ والذي يليه . يقرأ الخير (وليس الخيّر) قارن الذهبي « المشتبه » ص ٢٧٥ س ٤ من تحت (البجاوي) . سقط سعيد في القتال ضد العباسيين في عام ١٣٢/٧٥٠ أي بعد وفاة هشام بسبع سنوات . وكان هشام قد أصبح خليفة مع أنه كان أصغر أخوته سناً . أنشأ سعيد نهر سعيد بالقرب من الرقة في أيام الوليد (قارن ياقوت « معجم البلدان » ، انظر تحت اسم نهر سعيد) , ولم تكن تحق له الخلافة لأنه كان ابن جارية ,

يبدو أن سمعة معبد كانت ترتكز على سمعة علمٍ لا جدل فيها . فقد جاء في كتاب « تاريخ دمشق » أن عبد الملك قد طلب منه رأيه في مسألة خلاف فقهية تتعلّق بوضع المُكَاتَب[1] . ووردت فتواه فيهـــا للمرة الثانية في مكان آخر ، وذلك في كتاب « شرح معاني الآثار » للطحاوي[2] . إلا أنها جاءت في صيغة مختلفة : ففي الكتاب المذكور يستشهد معبد بقرار للخليفة عمر يطابق في مضمونه ما أجمـــع عليه في معالجة مسألة الخلاف الفقهية التي عرضها عبد الملك . أما في « تاريخ دمشق » فانه ، على عكس ما تقدم ، يرفض ذلك رفضاً قاطعاً اصالح حكم مختلف صادر عن معاوية . وفي هذا تنمكس لنـــا ، كما في حالات اخرى متعددة ، صورة الخلاف بين المذاهب الفقهية المتأخرة . فليس من السهل في الوقت الحاضر أن نثبت بشكل مقنع كيف أخذت هـــذه الرواية طريقها الينا .

هناك بعض القرائن تدلّ على أن الرواية الأخيرة التي تحتوي الأولى فتدحضها ، قد اطلقت عمداً ضد سابقتها . فهي إذاً قد جاءت بعدها . غير أنه يمكننا القول على عكس ذلك ، أن النصف الثاني من الرواية التي اوردها الطحاوي والتي جاء فيها حكم معاوية ينقض قرار عمر ... نقول ربما يكون هذا النصف من الرواية قد أسقط عمدا . فمن الثابت أن الاستشهاد بمعاوية يعود الى رواية قديمة . إلاّ أنـــه يفترض — على

---

(١) قارن Das Kitab an - Nakt des Nazzam ص ٦٠ وما يليها .

(٢) ج ٣ ص ١١١ س ٨ من تحت . (تحقيق جاد الحق ، القاهرة ١٣٨٧/١٩٦٨) .

العكس من كل التصورات المتأخرة – تصوّراً لمعنى السّنة يلائم الزمن . ومن المؤكد أنه لم يمض وقت طويل حتى رأى الناس في هذه الرواية تقديماً لمعاوية على عمر . وإنـــه لذو مغزى أن تنتهي الرواية في كتاب « تاريـــخ دمشق » بملاحظة تقول إن عبد الملك نفسه قد دهش من وجهة نظر معبد في المسألة ومن مقامه أيضاً – . وعلاوة على ذلك فإنه لم تقم أية علاقة مباشرة بينه وبين عمر . ولا غرو ، إذا ما راجعنا سيرة حياته ، أن يكون قد عرف الشيء الكثير عن معاوية أو أنه لربما كان من المقربين إليه . لقد حفظت هذه الرواية في البصرة ، ووردت عند الطحاوي في إسنادٍ قدري [1] . ومهما كان الأمر ، فإن الخلاف يعطينا دليلاً واضحاً على مـــكانة معبد الحقيقية ونفاذ كلمته في الأمور الفقهيـــة حتى في الأزمنة المتأخرة .

عرف معبد بسعة اطلاعه على الحديث . فقد قال عنه يحيى بن معين (عاش ما بين عامي ١٥٨/٧٧٥ و ٢٣٣ /٨٤٧) ، أحد الملمّين المشهورين بسير المحدّثين والذي لم يعرف بصداقته للقدريّين ، إنه جدير بكل ثقة [2] . ومثل هذا الكلام قاله إبراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني الدمشقي

---

(١) قتادة (توفي عام ١١٧/٧٣٥ أو ١١٨/٧٣٦) 〉 سعيد بن أبي عروبة مهران العدوي (توفي عام ١٥٠/٧٧٦ . قارن يحيى Zwischen Hadit und Theologie (برلين ١٩٧٤) ، ص ٦٣

(٢) قارن ابن حجر « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٥ السطر الثاني ما قبل الأخير والذي يليه .

(توفي عام ٢٥٩/٨٧٣) [١] . أما الحسن البصري (توفي عام ١١٠/ ٧٢٩) وتلميذه قتادة (توفي عام ١١٧/٧٣٥ أو عام ١١٨/٧٣٦) فكانا يأخذان عنه . كذلك فعل سعيد بن إبراهيم حفيد عبد الرحمن بن عوف ، قاضي المدينة (توفي عام ١٢٥ /٧٤٣ وربما بعد هذا التاريخ) .

ونذكر بالاضافة إلى ذلك زيد [٢] بن رفيع [٣] ومعاوية بن قُرّة [٤] (البصري توفي عام ١١٣/٧٣١) وعبد الله بن فيروز الداناج [٥] ، وعوف ابن أبي جميلة الأعرابي (توفي عام ١٤٦/٧٦٣ أو عام ١٤٧/٧٦٤) [٦] . وأخيراً نذكر النحوي يحيى بن يعمر الليثي [٧] . ويظهر أن يحيى بن دينار قد جمع أحاديثه [٨] . وحسب المصادر التي بين أيدينا ، يمكن أن نعتبر ثلاثة من هؤلاء ، أي الاثنين الأولين وعوفاً الأعرابي ، من القدريّين .

---

(١) قارن GAS ١/١٣٥ . فيما يتعلق بهذا الرأي راجع الذهبي « تاريخ الاسلام » ج ٣ ص ٣٠٥ س ١١ ومابعده (حسب « تاريخ دمشق ») .

(٢) في الطبع خطأ : يزيد .

(٣) قارن ابن أبي حاتم « الجرح والتعديل » ج ١ ، ٢ ص ٥٦٣ . ابن حجر « لسان الميزان » ج ٢ ص ٥٠٦ والتي تليها .

(٤) قارن ابن حجر « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢١٦ ومايليها ..

(٥) قارن ابن حجر ، المرجع نفسه ج ٥ ص ٣٥٩

(٦) قارن الذهبي « الميزان » رقم ٦٥٣٠ . بخصوص أسماء الرواية قارن ابن حجر « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٥ س ١٣ ومابعده .

(٧) انظر الصفحات التالية من هذا المقال .

(٨) قارن الذهبي « تاريخ الاسلام » ج ٣ ص ٣٠٤ س ١١ ومابعده . ابن المرتضى « طبقات المعتزلة » ص ١٣٧ س ٣ والذي يليه (Diwald - Wilzer)

ولربما أيضاً سعد بن إبراهيم [١] ويحيى بن يعمر . ففي هذا الجيل وبين معاصري عمرو بن عبيد كان تفكير الناس بمقاطعة القدرية أضعف بكثير مما يعرف عن يحيى بن معين . حتى ان سليمان بن طرخان التيمي ،أحد أصحاب الحديث المعروفين بخصومتهم [٢] لعمرو بن عبيد ، روى عن معبد بواسطة رجل مجهول [٣] .

إلا أن الحال تبدلت فيما بعد . ومن الأكيد أن أحاديث كثيرة قد اضمحلت وتلاشت تحت تأثير التكفير . فإننا لا نجد عند أحد من رواة معبد الذين عرفناهم إشارة إلى هذه العلاقة في ترجمته الخاصة . ومع ذلك فما زال بإمكاننا أن نقع على بعض منها الآن أيضاً . فهناك حديث مصدره مجموعة مالك بن دينار ، ينسبه معبد إلى عثمان بن عفان ويذكر فيه الحمّى على أنها حظ المؤمنين من النار ، أي كعقاب زمني لهم على ذنوبهم [٤] ويظهر هذا الموضوع أيضاً في مكان آخر [٥] . لكن صحيفة عثمان في مسند ابن حنبل [٦] لا تشتمل على هذا الحديث . كما لا نقع على أثر له في المجموعات

(١) قارن تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٦٥ س ٩ والذي يليه .

(٢) قارن دراستي Traditionistische Polemik gegen Amr b. Ubaid (بيروت ١٩٦٧) ص ٣٩ وما بعدها .

(٣) قارن « السنن » للبيهقي ج ١٠ ص ٢٣٢ س ٩ والذي يليه . (راجع Raddatz في Welt des Islams ١٣/١٩٧١ ، ص ٥٥) .

(٤) قارن ترجمة معبد في « تاريخ دمشق »

(٥) قارن Concordance ج ١ ص ٥٠٧ ب إلى ٥٠٨ أ .

(٦) مسند ابن حنبل ج ١ ص ٥٧ ومابعدها تحقيق أحمد محمد شاكر و ج ١ ص ٣٢٩ وما بعدها .

الستة المعترف بها[١] ويروي مالك بن دينار ، بالاضافة إلى ذلك ، خبرين من الاسرائيليات يدّعي معبد أنه أخذهما عن كعب الأحبار [٢] بواسطة شخص يدعى أبو العوّام ، كان سادناً لبيت المقدس . ويتذكر سعد بن إبراهيم حديثاً نقله معبد عن معاوية [٣] . ويسهب معبد في مطلع إحدى الروايات مشدّداً على أن الخليفة نادراً ما كان يرغب في نقل الأحاديث . وفي ذلك تلميح ضمني إلى منصبه الجدير بالثقة [٤] . ونجد عند زيد بن رفيع فتوى تتعلق بمسألة من مسائل الطهارة [٥] . وهناك حديث آخر عن الطهارة نقله عوف الأعرابي عن معبد ، وقد جاء على لسان حمران بن أبان ، وكان معبد ينسبه إلى مولاه عثمان[٦] : ومفاد هذا الحديث أن من يقوم

---

(١) إنما يمكن مقارنة هذه الرواية برواية مماثلة « في الجامع الصغير » للسيوطي ج ١ ص ١٥٢ س ١١ تحت اسم : الحمّى .

(٢) قارن ابن قدامة « كتاب التـوّابين » ص ٧٦ س ١٠ وما بعده (Makdisi)

(٣) قارن ابن ماجه « الأدب » ٣٦ رقم ٣٧٤٣ (عبد الباقي) .

(٤) قارن مسند ابن حنبل ، الطبعة الأولى ج ٤ ص ٩٢ س ٧ من تحت وما بعده وص ٩٣ س ١٧ وما بعده .

(٥) قارن « تفسير » الطبري (تحقيق محمد وأحمد محمد شاكر) ج ٤ ص ٥٠٥ السطر قبل الأخير ومايليه ، رقم ٤٦٩٦

(٦) قارن الذهبي « الميزان » رقم ٢٢٩١ ، ابن حجر « تهذيب التهذيب » ج ٣ ص ٢٤ والتي تليها . لقد كان مؤذن عثمان . (قارن الذهبي « التاريخ » ج ٣ ص ٢٤٦ س ١ والذي يليه)

بالوضوء على الوجه الصحيح ثم يصلي تغفر له جميع ذنوبه (١) . ولم يكن معبد الشخص الوحيد الذي أورد هذا الحديث . فلقد تداوله الناس بأشكال متعددة ، إذ كانوا يسندونه في أكثر الأحيان إلى حمران (٢) . وأحياناً إلى غيره من الثقات (٣) . ومما يسترعي اهتمامنا ، أن معبداً قد استشهد بعثمان للمرة الثانية ، مع أن هذا الأخير لم يكن مرجعاً معروفاً في شؤون الحديث . ففي هذا المجال تتجلى لنا مكانته المرموقة كما تجلت في أخذ الأحاديث عن معاوية ، بالاضافة إلى التزامه السياسي على ما يبدو . ويقال إنه علّل للحجاج اعتناقه للقدرية بحجة أن فساق أهل العراق ، كانوا

---

(١) قارن « مسند ابن حنبل » الطبعة الأولى ج ١ ص ٦١ س ٣ ومابعده، تحقيق أحمد ومحمد شاكر وج ١ ص ٣٤٥

(٢) قارن في مسند عثمان عند ابن حنبل الفقرات التالية : ج ١ ص ٥٧ س ١٣ ومابعده /ج ١ ص ٣٣١ رقم ٤٠٠ ، ج ١ ص ٥٧ س ٢٩ ومابعده/ج ١ ص ٣٣٣ رقم ٤٠٦ ،ج١ ص ٥٨ س ٢٦ ومابعده/ج١ص٣٣٧ رقم٤١٥ ،ج١ص٥٩س١١ ومابعده/ج ١ص٣٣٩ رقم ٤١٨ وما بعده ، ج١ ص ٥٩ س ٢٦ وما بعده/ج ١ ص ٣٤١ رقم ٤٢١ ، ج ١ ص ٦٠ س ٢٧ وما بعده/ج ١ ص ٣٤٤ رقم ٤٢٨ ، ج ١ ص ٦٦ س ٤ وما بعده/ج ١ ص ٣٦٥ رقم ٤٧٣ ، ج ١ ص ٦٦ س ١٣ ومابعده /ج١ ص ٣٦٦ رقم ٤٧٦ ، ج ١ ص ٦٦ س ٢٠ ومابعده/ج ١ ص ٣٦٧ رقم ٤٧٨ ، ج ١ ص ٦٧ س ١٢ وما بعده/ ج ١ ص ٣٧٠ رقم ٤٨٣ والذي يليه ، ج ١ ص ٦٨ س٢ ومابعده/ ج١ ص ٣٧٢ رقم ٤٨٩ ، ج ١ ص ٦٨ س ٢٣ ومابعده/ج١ ص ٣٧٤ رقم ٤٩٣ ، ج ١ ص ٧١ س ٢٢ ومابعده/ج ١ ص ٣٨٣ رقم ٥١٦

(٣) قارن على سبيل المثال المرجع نفسه ج ١ ص ٧١ س٣٣ ومابعده وج١ص٣٨٥ رقم ٥١٨

يزعمون أن مقتل عثمان كان أمراً مقدَّراً (١) . وكذلك كان أبوه يُكِنّ لعثمان محبة كبرى (٢) . وهذا أمر يسترعي الانتباه في الكوفة .

أما في البصرة حيث كان ينزل معبد فإن المدينة كانت تعتبر على كل حال عثمانية (٣) .

ويذكر ابن عساكر وابن الأثير (٤) وابن تغري بردي (٥) عن معبد أنه أورد حديثاً يعرف بحديث الدِّباغ . والمقصود هو المبدأ الفقهي القائل إن الجلود تصبح طاهرة إذا تمّ دباغها حسب الأصول الشرعية ، حتى ولو كانت لحيوانات ميتة لم تذبح حسب تلك الأصول (دباغها طهورها) (٦) . إننا لا نقع ، والحق يقال ، في أي مكان من المجموعات المعروفة القديمة على هذا الحديث مرتبطاً باسم معبد . إلا أنه يظهر أحياناً في إسناد ذي طابع بصري محض : فعن سلمة بن محبّق (٧) روى جَوْن

(١) قارن البلاذري « انساب الأشراف » ، مخطوطة استنبول ، رئيس الكتاب رقم ٥٣٨ ج ٢ ص ٢٥٦ س ٢٢ حسب المدائني .

(٢) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٦ ص ٨٧ س ٩ والذي يليه .

(٣) قارن ابن قتيبة « عيون الأخبار » ج ١ ص ٢٠٤ س ١٣ وما بعده ، حسب ملاحظة لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

(٤) قارن «الكامل» ج ٤ ص ٣٦٧ س ١١ (Tornberg) وج ٤ ص ٤٥٦ س ١١ (طبعة بيروت) .

(٥) « النجوم الزاهرة » ج ١ ص ٢٠١ س ٩ والذي يليه .

(٦) قارن Concordance ج ٢ ص ١١٠ ، وكذلك Juynboll, Handbuch Des Isl . Gesetzes (Leiden - Leipzig 1910) ص ١٧٣ .

(٧) قارن ابن عبد البر « الاستيعاب » رقم ١٠٢٦

ابن قتادة (١) ، وعن هذا الأخير الحسن البصري ، وعن الحسن قتادة ابن دعامة (٢) . إن جون بن قتادة ، ثقة الحسن البصري ، لم يكن معروفاً لدى الاجيال المتأخرة ، ولم يرد اسمه إلا مع هذا الحديث الوحيد(٣). فليس من المستبعد أن يكون قد أحِلَّ محل معبد في وقت لاحق ، أو أن يكون قد دُفِعَ به إلى الصدارة على الأقل عندما أخذت سمعة معبد المحيّرة تسيء حتى إلى أحاديثه . إلا أن رواية ابن عساكر وابن تغري‌بردي توضح لنا على الأقل أن الحديث قد تميز بذكر اسم معبد في المصادر التي استقيا منها (٤) . من الواضح أن هذا الحديث لم يحظَ بتصديق كافٍ في تلك الأيام(٥) . إن محتواه يتلاءم والروايات الأخرى التي توصلنا إلى العثور عليها .

---

(١) قارن الذهبي « الميزان » رقم ١٥٩٢

(٢) قارن مسند ابن حنبل ج ٣ ص ٤٧٦ س ١٢ ومـابعـده ، وج ٥ ص ٦ س ١٧ وما بعده ، وج ٥ ص ٧ س ٢ وما بعده ، « السنن » للنسائي ، باب الفرع ص ٢٢ » ، « السنن » لأبي داود ، باب اللباس ٣٨ رقم ٦

(٣) قارن الذهبي « الميزان » رقم ١٥٩٢

(٤) يظهر أن ابن تغري بردي أخذ عن سعيد بن كثير بن عفير (راجع الصفحات التالية من هذا المقال) .

(٥) تذكره المراجع في صيغتين أخريين تختلفان عن بعضها بعض الاختلاف: أولاً بدون « توطئة القصة » المميزة للصيغة البصرية وحسب إسناد كوفي : عائشة 〉 أسود (بن يزيد النخعي توفي عام ٦٩٣/٧٤ ، قارن « تهذيب التهذيب » ج ١ ص ٣٤٢ وما يليها) 〉 عمارة بن عمير الكوفي (توفي عام ٧١٧/٩٨ ؟ قارن « تهذيب التهذيب » ج ٧ ص ٤٢١ ومايليها) وإبراهيم (بن يزيد النخعي الكوفي توفي عام٩٦/٧١٥ قارن « تهذيب التهذيب » ج ١ ص ١٧٧ومابعدها) 〉 الأعمش(سليمان =

لقد كان معبد فقيهـاً بالدرجة الأولى . وكان معروفاً في أيام حياته وفي

= ابن مهران الأسدي توفي عام ٧٦٥/١٤٧ أو عام ٧٦٥/١٤٨ ، قارن « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٢٢٢ وما يليها) . ثانياً الحديث في « توطئة قصة » مختلفة يجري في المغرب وبإسناد مصري : ابن عباس 〉 عبد الرحمن بن وعلة المصري (قارن « تهذيب التهذيب » ج ٦ ص ٢٩٣ وما يليها) 〉 أبو الخير اليزني (مرثد بن عبد الله المصري ، مفتي مصر في أيامه ، قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٨٢) 〉 يزيد بن أبي حبيب المصري (توفي عام ٧٤٦/١٣٨ ، قارن تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣١٨ وما يليها . بالنسبة للصيغة الأولى راجع النسائي ، باب الفرع ٢٣ — ٢٦ ، وابن حنبل ج ٦ ص ١٥٤ السطر قبل الأخير ومابعده . وبالنسبة للصيغة الثانية راجع « صحيح مسلم » ، باب الحيض ص ١٠٦ ومايليها وكذلك أيضاً النسائي ، الفرع ٢٠ وأبي داود اللباس ٣٨ رقم ٤ حيث يعرج الإسناد عن عبد الرحمن بن وعلة إلى المدينة إلى زيد بن أسلم العدوي المدني (توفي عام ٧٥٤/١٣٦ قارن تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٥ وما بعدها) . ولايمكن البت بالعهد الذي تعود إليه هذه الصيغ دون تحقيق شامل ودقيق في مجمل المسألة الفقهية . وكل ما يجب الركون إليه في الوقت الحاضر هو أن ابن حنبل يعتبر الراوي الرئيسي في الصيغة المصرية المدنية المشتركة عبد الرحمن بن وعلة ضعيفاً وذلك على الأخص فيما يتعلق بموضوع حديث الدباغ (قارن « تهذيب التهذيب « ج ٦ ص ٦٩٤ س ٤ وما يليه) بالاضافة إلى ذلك هناك رواية أخرى عن الموضوع (النسائي « الفرع » ٢١) تقول إن ابن وعلة سأل ابن العباس إذا كان الحل الذي أتى به هو رأي شخصي أم إذا كان بالفعل قولاً من أقوال الرسول . وهذا معناه أن الناس ظلوا بعض الوقت يشكون في الركون إلى هذا القول . ويظهر أن الرجوع إلى مكانة الرسول قد زكـى في أكثر من مكان إحدى الحكم الفقهية الدامغة — قارن بحثي Zwischen Ḥadīt und Theologie بشأن تبدل التوطئة القصصية في الأحاديث ص ٣٩ ومايليها .

الجيل الذي أتى بعده ، ولم يتلاش اسمه من ذاكرة الأجيال المتأخرة إلا شيئاً فشيئاً . فبقدر ما كانت القدريّة تضطهد في البصرة ، بقدر ذلك كان يتحوّل الناس عنه . لكن هذا التحول لم يبدأ فعلاً إلا في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . ويمكن الآن التحقق من هذا التاريخ (١) بالاستناد إلى السؤال التالي : متى أعلن معبد جداً للقدرية ؟

* * *

إن تحول الأفكار في هذا الاتجاه لم يسر على خط واحد : باعتبار الحال ، ليس هناك أدنى شك في أنه لم يكن هو المتكلم باسم القدرية البصرية وإنما كان الحسن البصري . وتعتبر الرسالة التي وجهها هذا الأخير إلى الخليفة عبد الملك الوثيقة الأولى لهذه الحركة . ففيها شرح واضح لكل تعاليم القدرية وحججها (٢) . ولقد كانت المعتزلة تنظر إلى هذه الرسالة نفس النظرة : فابن المرتضى يستشهد بفقرات مسهبة منها (٣) ، بينما تكتم أمرها رواياتُ أهل السنة . ويذكر الشريف المرتضى الحسن البصري في المرتبة الأولى عندما يتكلم في رسالته « إنقاذ البشر من الجبر والقدر » عن التطور التاريخي لمذهب الاختيار . فيقول عنه إنه قد تصدّى لأولئك الذين يريدون إلصاق ذنوبهم بالله ، وان كثيرين آخرين — يذكرهم بأسمائهم — يوافقونه

---

(١) قارن دراستي Traditionistische polemik ص ٣٩ وما بعدها وتجد بعض المواد الأخرى في بحثي Zwischen Hadit und Theolgie ص ٦١ وما يليها

(٢) قارن لذلك ما كتبه M.Schwarz في Oriens ٢٠/١٩٦٧ ص ٥١ وما بعدها

(٣) « طبقات المعتزلة » ص ١٩ س ٣ وما بعدها .

على ذلك [١] . وإذا ما أردنا فعلاً أن نتقصى الماضي ، فإننا لا نقع مطلقاً على اسم معبد ، وإنما على أبي الاسود الدؤلي (توفي عام ٦٨٨/٦٩) وعلى كل حال الذي يعتبره ابن المرتضى « أول من تكلم بالقدر » [٢] أما الجهة الأخرى فقد نسبت إلى أبي الأسود « رسالة في ذم القدرية » وذلك قصد كسبه إليها [٣] .

إن هذا الأمر يطلعنا على ما كان يقصد من ذلك . لقد كان البعض يحاول أن يكسب لوجهة نظره شخصيات مرموقة من الأوائل وأن يجعلها تتخلى عن معتقدها الخاطىء . فلم يتقدم معبد إلى مركز الصدارة إلا عندما أراد الناس ألا يسمعوا بعد الآن أن الحسن البصري كان قدرياً – وهذا ما يفسر أيضاً ظهور معبد في روايات أهل السنة فقط – وهنا تبرز بعض الاقاويل الساترة كتلك التي يحذر فيها الحسن من معبد [٤] أو كتلك التي يؤكد فيها أصحابها على الاقل أن الحسن شعر بنفور تجاه معبد في أول الامر

(١) تحقيق علي الخاقاني النجفي ، النجف ١٩٣٥ ص ٢٥ ، السطر الأخير وما بعده = رسائل الشريف المرتضى تحقيق احمد الحسيني (بغداد ١٣٨٦/١٩٦٧) ص ٥٤ السطر الثاني قبل الأخير ومابعده .

(٢) « طبقات المعتزلة » ص ١٣٤ س ٤ وما يليه .

(٣) قارن عبد القادر البغدادي « أصول الدين » ص ٣١٦ س ١٢ وقارن بحثي Zwischen Ḥadit und Theologie للتحقق من أصالتها ص ٥٤ ومـا يليها .

(٤) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٦٦ س ٤

ولكن هذا الأخير لم يلبث أن استماله إليه (١) . وجاء عن مالك بن دينار قوله إنه عندما التقى به معبد في مكة لم يُخْفِ هذا الأخير إعجابه بالحسن البصري في ذلك الوقت - كان الحسن يصغره بكثير - وأسف لأنه لم يتبع نصيحته . فلقد نصحه الحسن أن يبتعد عن فتنة ابن الأشعث (٢) كما فعل هو نفسه ، على العكس من معبد . ومن هنا نستشف السبب الذي دفع بمعبد إلى مركز الصدارة : فلقد رأى الناس في مصيره صورة واضحة للعواقب الوخيمة التي تصيب كل من ناضل في سبيل القدرية . لذا فلم يقع الاختيار عليه نظراً لتقدمه في السن . إن هذا الأمر لم يلعب إلا دوراً ثانوياً فقط . كذلك لم يكن مذهبه سبباً في اختياره . فهو لم يخلف عنه إلا صورة غير واضحة المعالم . فلو رأت الروايات أهميته ، لكانت احتفظت به . وكل ما استقر عنه في ذاكرة الأجيال كان نشاطه السياسي . إن التحول عن الحسن إلى معبد ، هذا التحول الذي يظهر فيه معبد بمظهر سابي على الدوام ، إنما له مغزى مهدىء - أو بالاحرى مغزى معادٍ للثورة .

---

(١) قارن الذهبي « تاريخ الاسلام » ج ٣ ص ٣٠٥ السطر الثاني قبل الأخير ومايليه (حسب تاريخ دمشق) : تلطف له معبد .

(٢) قارن « تاريخ دمشق » و « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٦ س ٩ ومابعده : روى جعفر بن سليمان الضبعي (شيعي توفي عام ١٧٨/٧٩٤ قارن الذهبي « الميزان » رقم ١٥٠٥) هذا الحديث عن موسى بن إسماعيل التبوذكي (توفي عام ٢٢٣/٨٣٨) وهو الذي نشر اقوالاً ضد عمرو بن عبيد) قارن دراستي Traditionistische Polemik ص ١٨ ومايليها وص ٢١)

إن اتجاهاً مهدئاً كهذا ليس له معنى إلا إذا كانت هناك امكانيات واقعية للالتزام النضالي أو ألا يكون قد مضى عليها زمن طويل . وهذا يوصلنا إلى عهد يزيـــد بن الوليد (١٢٦ / ٧٤٤) حيث تمتعت القدرية بالشام بنفوذ سيـــاسي لبعض الوقت [١] ، امتد إلى سنوات انتقـال الحكم إلى العباسيين . فالظاهر أن البصرة لم تستجب آنذاك لمطامع يزيد[٢]. إلا أن هذا الأمر يستوجب مزيداً من الأدلة . ويمكننا ذلك بمقارنة الاسانيد التي بموجبها تثبت الرواية القائلة أن معبداً كان أول القدريين . إن أحد هذه الأسانيد ، وقد حفظه ابن حجر [٣] ، يسوق حديثاً عن إبراهيم ابن هشام الغساني الذي توفي إما في عام ٢٣٨ / ٣ - ٨٥٢ أو في عام ٢٤٥ / ٨٥٩ [٤] ، والذي لا يحظى بتقدير كبير لدى خبراء « الجرح والتعديل » بسبب أساليبه غير الرصينة في نقل الروايات .. هذا الحديث رواه الغساني عن أبيه ورواه الأب عن الجد يحيى بن يحيى الغساني . فهذا الأخير كان قد أشار إلى مقتل معبد على يد عبد الملك [٥] - في مناسبة مماثلة ? - وقد اشتهر الغساني في دمشق كفقيه رفيع الشأن ، وكانت له علاقة وثيقة بالعائلة المرموقة التي حكمت ما قبل الاسلام . وتوفي

---

(١) قارن مقالتي في Stud Isl ٣١/١٩٧٠ ص ٢٧٠ وما بعدها .

(٢) قارن المرجع نفسه ص ٢٨٣

(٣) « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٦ س ٥ من تحت ومايليه .

(٤) قارن الذهبي « الميزان » رقم ٢٤٤ ، ابن حجر « لسان الميزان » رقم ٣٧٢

(٥) انظر الصفحة السابقة من هذا المقال « ص ٢٨٥ » والملاحظة ٣

في عام ١٣٥/ ٧٥٣ (١) . ولقد نصّبه عمر بن عبد العزيز قاضياً على الموصل وكان أبوه مفوضاً للشرطة في عهد مروان (٢) . ويحملنا مركزه الحساس على الظن أنه كان له ضلع في الاضطرابات التي وقعت في عهد يزيد بن الوليد . وإذا اعتبرنا أنه ورث عن أبيه ميلاً إلى المروانيين ، فلا بد إذاً من أن يقف من الخليفة القدري موقفاً معادياً لا سيما وأن مروان قد وجه انتقاداً إلى الخليفة المذكور .

يقال إن الأوزاعي قد عبّر هو أيضاً عن رأي مماثل في هذا المجال . لقد عاصر الغساني وكان أصغر منه سناً وتوفي عام ٧٧٤/١٥٧ . فهو يطلعنا بشكل أدق على ما كان عليه موقفه من التطور السياسي في ذلك العهد . لقد تنصّل من أولئك الذين كانوا يؤيدون يزيد بن الوليد (٣) . ويتجلى موقفه المؤيد للأمويين في أنه عاتب أول الحكام العباسيين في الشام ، وهو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس ، على المجزرة التي حصلت بعد انهزام السلالة الأموية ، فاستنزل عليه بذلك سخطه وغضبه (٤) . أما نظرته إلى نشأة القدرية فأكثر تعقيداً مما سواها . فلقد أنشأ لها شجرة

---

(١) قارن خليفة بن خياط « الطبقات » رقم ٢٩٨٩ ، ابن سعد « الطبقات » ج ٧ ، ٢ ص ١٦٩ س ١٤ وما يليه ، الذهبي « الميزان » رقم ٩٦٤٩

(٢) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٢٩٩

(٣) قارن Stud.Isl ١٩٧٠/٣١ ص ٢٧٤

(٤) قارن يعقوب بن شيبة « مسند عمر » (بيروت ١٩٦٩) ص ٥٨ س ٢ وما بعده ، الذهبي « تذكرة الحفاظ ص ١٨٠ س ٤ من تحت وما بعده Barthold في Der Islam ١٩٢٩/١٨ ص ٢٤٤

تامة . فهو يروي أن شخصاً نصرانياً يدعى سُوسن (أو سَوسن في الصيغة العربية) وقد اعتنق الاسلام وحمل معه إلى الدين الجديد نظراته في حرية الإرادة . إلا أنه ما لبث أن تخلّى عن الإسلام فيما بعد . ولقد أخذ عنه معبد هذه النظرات ، وأخذها غيلان الدمشقي بدوره عن معبد[1]. فهذا الأخير لم يكن إذاً إلا وسيطاً . أما التهجمات فكانت موجهة مباشرة ضد غيلان الدمشقي الذي كان يتمتع بنصيب كبير من الأهمية بالنسبة لبلاد الشام وللاضطرابات السياسية التي جرت هناك . إن حزب يزيد بن الوليد كان يدعى الغيلانية[2] . أما غيلان فكان قبطياً ، وككل الأقباط نصراني الأصل أيضاً . لذا فقد حظي سوسن النصراني ، الذي انكشفت صورته السلبية بسبب تقلباته وردّته ، بأهمية مَثَلية .

وإذا أردنا أن نثق بصحة هذه الروايات الشامية ، وعلى الأخص بالأخيرة منها ، فلا بد من أن تكون لها أصول في المصادر البصرية . وبالفعل فإننا نقع هناك على روايات مماثلة . فمنذ أزمان بعيدة استرعت انتباه المؤرخين ملاحظتان تتعلقان بالموضوع ، وردت إحداهما عن ابن سعد والأخرى عند المقريزي[3] . جاء في ملاحظة ابن سعد أن عبد الله بن

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٦ س ٢ وما بعده ، الذهبي « تاريخ الاسلام » ج ٣ ص ٣٠٥ س ١٤ وما بعده ، ربما أخذ الاثنان عن ابن عساكر . هناك رواية اقدم للآجري « الشريعة » ص ٢٤٣ س ١ وما بعده . (عن الفريابي) توفي عام ٣٠١/٩١٣ في كتابه « القدر » حسب تقديرنا ، قارن GAS ١/١٦٦

(٢) قارن Stad.Isl ٣١/١٩٧٠ ص ٢٨١

(٣) راجع مثلاً A. S. Tritton, Muslim Theology ص ١٨ ومايليها .

عون ، تلميذ الحسن البصري والذي توفي عام ١٥١ /٧٦٨ ، ما زال يتذكر ذلك الزمن إذ كان معبد وسنهويه زوج أم موسى وحدهما يتناقشان في موضوع القدر (١) . أما المقريزي فيجمع كذلك بين معبد ومولى من أصل فارسي ، إلا أنه لا يذكر أم موسى ، والمولى لا يدعى سنهويه ، وإنما أبا يونس سنسويه الاسواري ، نسبة إلى « الأساورة » - وهم فرقة مختارة من الخيالة الفرس في عهد الساسانيين ، وكانوا قد تحالفوا مع بني تميم في البصرة بعد مجيء الاسلام (٢) .

هاتان الروايتان كانتا إلى الآن موجودتين جنباً إلى جنب في آثار متشتتة . وكانتا على الرغم من تشابههما مختلفتين فيما بينهما . وكان من العسير إيجاد قاعدة مشتركة لهما . إلا أننا أصبحنا نملك الآن مواد أكثر للبحث . من المحتمل أن يكون المقريزي يستقي أخباره من الفهرست . ففي هذا المؤلف أورد أبو القاسم البلخي الخبر الذي أشرنا إليه سابقاً . ولربما أخذ عن كتابه « مقالات الاسلاميين » (٣) . ففي أيام البلخي ، أي في نهاية القرن الثالث ، كان أتباع المعتزلة أنفسهم لا يجدون ما يعترضون عليه في هذا الخبر ، لقد كان مصدره أوساط البصرة شأن الملاحظة التي وردت

---

(١) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٧ ، ٢ ص ٢٧ س ١ ومابعده .

(٢) قارن « الخطط المقريزي (القاهرة ٢٦ - ١٣٢٤) ج ٤ ص ١٨١ س ٦ من تحت وما يليه . فيما يتعلق بالاساورة راجع Le Milieu Basrien Ch. pellat ص ٣٥ اما كيف تقرا نسبة اسواري واشتقاقها من اساورة فقارن الذهبي « المشتبه » ص ٢٣ س ٤ (البجاوي) .

(٣) قارن ابن النديم « الفهرست » ، تحقيق رضا تجدد (طهران ١٣٩٣/ ١٩٧٣) ص ٢٠١ السطر الأول قبل الأخير وما يليه .

عند ابن سعد . ويصبح ذلك واضحاً إذا ما استشهدنا بأربع روايات أخرى لابن عساكر ، تطابق كلها نقطة البحث ذات الطابع المميز التي نحن بصددها ، وذلك بالرغم من التباعد الشديد فيما بينها في الوقت الحاضر . فهذه الروايات لا تتحدث عن أم موسى وإنما عن الأساورة ، وهي إلى هذا تدرج كنية أبي يونس . ويسند ابن عساكر هذه الروايات إلى ابن عون تماماً كما يفعل ابن سعد . ومن ناحية أخرى فإن كل راوية يليهم لا بد أن يكون بصرياً . فعند ابن سعد نجد بكار بن محمد بن عبد الله السيريني (توفي عام ٢١٤/٨٢٩) ومن الظاهر أنه حفيد أحد أحفاد محمد ابن سيرين ، الزاهد البصري المتقدم (توفي عام ١١٠ / ٧٢٩) [١] . كما أننا نجد حميد بن الأسود [٢] وحماد بن زيد (توفي عام ١٧٩ / ٧٩٥) [٣] وعبد الله بن مسلم [٤] عند ابن عساكر [٥]. ويدون ابن عساكر بالاضافة إلى ذلك أن يونس بن عبيد العبدي (توفي عام ١٣٩ / ٧٥٦ أو عام ١٤٠ / ٧٥٧) ، وهو أحد معاصري ابن عون ، قد قال قولاً مشابهاً . فهذا الأخير يضيف إلى الشريرين الأخيرين شخصاً

---

(١) قارن الذهبي « الميزان » رقم ١٢٦٣

(٢) قارن « الميزان » رقم ٢٣١٩

(٣) قارن الذهبي « تذكرة الحفاظ » ص ٢٢٨ وما يليها رقم ٢١٣

(٤) قارن « الميزان » رقم ٤٦٠٧

(٥) عند الآجري (= الشريعة ص ٢٤٣ س ٩ وما بعده) يضاف إلى ذلك تلميذه معاذ بن معاذ البصري (عاش بين عامي ١١٩/٧٣٧ و ١٩٦/٨١٢ ، قارن دراستي Trad . Polemik ص ١٦ و ٤٠) .

ثالثاً لا يذكر اسمه ويقول عنه : « ملعون من بني عوانة » . وفي كتاب « الشريعة » للآجري يروي مرحوم بن عبد العزيز العطار البصري (عاش بين عامي ١١٧ / ٧٣٥ - ١٨٧ / ٨٠٣) [1] عن أبيه عبد العزيز بن مهران البصري وعن عمه عبد الحميد بن مهران [2] ، خبراً مماثلاً بصدد ذكر الأساورة [3] .

إن الأمر يبدو وكأن هؤلاء الرواة قد تذكروا قولاً لابن عون ردّده بأشكال مختلفة [4] . وإذا اعتبرنا أن أقاويل يونس بن عبيد ومرحوم بن عبد العزيز لم تكن مجرد ترديد لاحق له فقط ، فإنه يصبح من المحتمل أن نرى بعض الوقائع متسترة خلف هذه الأقوال . إلا أنه يجب علينا ألاّ نتمادى في تصديق كل ذلك . فما لا شك فيه قبل كل

---

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٨٥

(٢) قارن فيما يتعلق بالاثنين « تهذيب التهذيب » ج ٦ ص ٣٦١

(٣) الآجري ص ٢٤١ س ١٢ ومابعده .

(٤) يصعب التأكد من أصالة الرواية لأن كل واحد من الرواة كان له موقف مختلف منها . فعبد الله بن مسلم ينقلها بشيء من الريبة إذ يقول « زعم ابن عون » وحماد بن يزيد يضيف إليها ملاحظة تنمّ عن عدم الرضى . ومن جهة اخرى فإن ابن عون قد عُرف بدعايته ضد معبد . فقد كان يزعم أن أبا السوار قد ابتعد عن معبد وقد كان أبو السوار (حسان بن حريث العدوي البصري توفي بعد عام ٨٠/٦٩٩ قارن « الطبقات » لخليفة بن خياط ص ٤٨٢ رقم ١٦٣٢ و « الطبقات » لابن سعد ج ٧ ، ١ ص ١١٠) شخصاً معروفاً في أيامه على ما يظهر (قارن « تاريخ دمشق ») فلو قصد التزوير لكان وقع الاختيار على شخص لم يعش في زمن بعيد عن زمن معبد .

شيء أنه لا ابن عون ولا يونس بن عبيد قد عرفا بتجردهما . فهما من ألدّ خصوم عمرو بن عبيد [١] ومن الجبريين المتمسكين بعقيدتهم . وهما يحاولان تفسير تعاليم الحسن البصري حسب معتقدهما ، فيسكتان عن التزام الحسن بالقدرية ، هذا الالتزام الذي لم يتأخر زمنياً عن التزام معبد . يضاف إلى ذلك أنه كان يفصل بينهما وبين معبد زمن طويل . أما إذا كانا يعتمدان على خبرتهما الشخصية فيجب ألاّ نأخذ كلامهما على حرفيته . لقد توفي ابن عون بعد مقتل معبد بأقل من سبعين سنة تقريباً . ويقال إنه ولد قبل طاعون البصرة بثلاثة أعوام[٢] (الطاعون الجارف) ، أي بين عامي ٦٢ و ٦٦ [٣] . أما يونس بن عبيد فقد توفي قبل ذلك بقليل ،

(١) قارن دراستي Trad . Polemik ص ٣٩ وما بعدها والمصادر التي اشرت إليها هناك .

(٢) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٧ ، ٢ ص ٢٥ س ٣ ومايليه .

(٣) إن وباء طاعون يحمل نفس هذا الاسم قد ورد ذكره في سنوات مختلفة : في سنة ٦٥ و ٦٧ و ٦٩ (قارن Caetani ,Chronographie ص ٧٣٥ و ٧٨٤ و ٨٠٩) . اما الطبري (ج ٢ ص ٥٧٩ س ١٨ وما بعده) وقسم من الروايات التي ربما تكون قد حذت حذوه (قارن مثلاً ابن تغري بردي ج ١ ص ١٩٩ س ١١) فقد اعتمدت أقدم التواريخ مرجعاً . وهذا التاريخ تعتبره المصادر غير الاسلامية مرجعها ايضاً . ومع ذلك فإن مؤلفاً قديماً كخليفة بن خياط يحدد حصول هذا الحدث بعام ٦٩ / ٦٨٩ (قارن تاريخه ج ١ ص ٣٣١ س ١٢) كذلك يحدده أبو اليقظان بالعام نفسه =

إلا أنه كان أكبر من ابن عون بسنة واحدة فقط [١] .

وبعد ، فلا بد لنا من الاقرار بوجود بعض الاضطرابات في الروايات المتأخرة . لذا فعلينا أن نطيل الوقوف عندها بعض الشيء :

– للبحث صلة في العدد التالي – يوسف فان اس

= (توفي عام ١٩٠/٨٠٦ ، قارن GAS ١٦٦/١ والتي تليها) كما ورد عند الذهبي « تاريــخ الاسلام » ج ٣ ص ٣٤٣ . ويظهر أن الوباء قد جرى على موجات متعددة . ولقد عمد المؤرخـون إلى تحديده تاريخياً بالاستناد إلى بدء تفشيه او إلى زواله .

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٤٤٥ س ١

ابن رشد العالم بالبصريات والفلك خاصة

الدكتور عمر فروخ

هذا المقال مبنيّ على عدد من المصادر لابن رشد نفسه وعلى عدد من المراجع المتأخرة وخصوصاً المعاصرة لنا. وليس في هذه المصادر والمراجع ما يثير تساؤلاً إلا « رسائل » ابن رشد في رأي نفر من الناس.

هذه الرسائل (١) ، في الحقيقة شروح على عدد من كتب أرسطو ، فكيف يجوز عدّ ما فيها من الآراء آراء لابن رشد نفسه ؟

إذا نحن اعتبرنا هذه الرسائل (وهي شروح على كتب أرسطو) لم نجد ابن رشد قد شرحها شرحاً فقط ، بل بان لنا وشيكاً أننا أمام تآليف لابن رشد :

---

(١) رسائل ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ = ١١٩٨ م) ، وهي تفسير (شرح) لكتب أرسطو : السماع (بالفتح) الطبيعي — السماء والعالم — الكون والفساد — الآثار العلوية — كتاب النفس — ما بعد الطبيعة . الطبعة الأولى (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) حيدر آباد الدكن (الهند) ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .

أولاً – إن مقارنة عاجلة لرسائل ابن رشد برسائل أرسطو تبين أن ابن رشد كان في الحقيقة يعلق على آراء أرسطو مدافعاً في الأكثر ومفنداً في الأقل .

ثانياً – إن ابن رشد كان يأتي بآراء نفر من المفكرين فيدافع عنها أو يفندها أيضاً ، وهؤلاء المفكرون جاؤوا بعد أرسطو كالاسكندر الأفروديسي (تلميذ أرسطو والشارح الأشهر لكتبه) وبطليموس القلوذي (الذي جاء بعد أرسطو بنحو خمسمئة عام) وابن النقاش المشهور بولد الزرقيال وبالزرقالي أيضاً (وهو معاصر لابن رشد) . ويرد في هذا المقال تراجمُ موجزة لهؤلاء جميعاً (في الحواشي) .

ثالثاً – إذا أخذ أديب معنى من أديب آخر قلنا إن الأول سرق من الثاني . أما إذا تبنى مفكر رأياً من آراء مفكر آخر عُدّ المفكر الأول متبنياً لرأي المفكر الآخر وعد الرأي المتبنى كأنه رأي المتبني له .

رابعاً – هنالك مواضع كثيرة في رسائل ابن رشد في شرح عدد من كتب أرسطو يقول ابن رشد فيها : فنقول (ص ٣ ، ٧ ، ١٩ ، الخ) بما يدل على أن ابن رشد كثيراً ما يترك الشرح على آراء أرسطو ويورد آراء هي له .

من أجل ذلك كله ومن أجل أشباه ذلك جملت عدداً من الآراء الواردة في هذه الرسائل معبرة عن مقاصد ابن رشد نفسه .

جرت عادة الدارسين منّا ، إذا هم تناولوا نفراً من بناة حضارتنا وثقافتنا – من أمثال الكندي والفارابي واخوان الصفا وابن سينا وابن حزم وابن طفيل وابن رشد وغيرهم – أن يتناولوا نشاطهم الفكري النظري ، كبحث هؤلاء في سبب وجود العالم أو في أحوال النفس أو في

تخيّل بناءٍ للدولة . وقلّما توفّر أولئك الدارسون على جانب علوم التعاليم (العلوم الرياضيّة والطبيعية) لهؤلاء الأعلام في تاريخ حضارتنا وثقافتنا ، مع أنّ الفلسفة عند الكندي وابن سينا مثلاً ، وعند ابن حزم الفقيه أيضاً ، ليست أبرز جوانب المعرفة التي كانت لهم .

ولم يكن حظّ ابن رشد ، عندنا ، من عناية الدارسين بالجوانب العلمية البَحْتِ أكبر من حظّ ابن سينا وغيره ومع أنّ دائرة المعارف الإسلامية قد خصّت ابن رشد بعدد وافر من الصفحات (راجع الجزء الثالث من الطبعة الجديدة ، النسخة الانكليزيّة ص ٩٠٩ ٩٢٠ ، والنسخة الفرنسية ٩٣٤ — ٩٤٤) ، فإنّها قد اقتصرت على جانبي الفقه والفلسفة (فلسفة ما بعد الطبيعة) من جوانب تفكيره .

لا شكّ في أن ابن رشد كان ذا اتّجاه علمي واضح . قال في مطلع تفسير كتاب « السَماع الطبيعيْ » لأرسطو (رسائل : السماع الطبيعي ٣) :

« فلنبدأ بأوّل كتاب من كتبه — وهو المعروف بالسماع الطبيعيْ — ونلخّصْ ما في مقالةٍ مقالةٍ من الأقاويل العلمية بعد أن نحذف منها الأقاويل الجدلية لأنّها إمّا كانت مُضطراً إليها (١) عندهم في الفحص عن المطالب الفلسفية قبل أن يُوقع (٢) عليها بالأقاويل العلمية . فأمّا أنّه

(١) إذ كانت مضطرا إليها (بالبناء للمجهول) : إذ كان هنالك اضطرار إليها .

(٢) أوقع عليها بالأقاويل العلمية : بنى عليها ؛ أقام عليها الأدلة الفلسفية .

أوقع عليها فلا مدخل لها في التعليم [١] إلاّ على جهة الارتياض . ويكفي في ذلك الاقتصار على مسائل محدودة العدد » .

وممّا يدلّنا على الاتّجاه العلميّ لابن رشد أنّه يأخذ بالاستقراء . أي بالوصول إلى قاعدة عامّة من ملاحظة مفردات الأشياء — غير أنّه يعتقد أن الاستقراء الناقص لا نفع منه لأنّه لا يفيد اليقين (تهافت التهافت ٥٦٥) ويقول ابن رشد (مثله ، ص ٥٦٦)[٢] فاذا قال قائل : إن كلّ حيوان يحرّك فكّه الأسفل فإنّ استقراءه هذا ناقص لأنّ صاحب هذا القول لم يستقرىء جميع أنواع الحيوانات .

ثمّ إنّ ابن رشد يحسن استعراض العلوم (راجع مثلاً تهافت التهافت ٥١١) ، ذلك لأنّ الإحاطة بمعرفة عدد من العلوم تساعد على حسن المعرفة بالموضوع المعالج .

ثمّ لا شكّ في أن ابن رشد كان ذا عقل مبدع من الطبقة الأولى (سارطون ٢ : ٢٧٩) [٣] ، وكان يرى مكانة العقل في النظر إلى كلّ

---

(١) فلا مدخل لهـــا (بعدئذ) في التعليم (في اللجـــوء الى البراهين الهندسية) الا على جهة الارتياض (في سبيل التمرن على المسائل الحسابية) .

(٢) تهافت التهافت (تحرير الأب موريس بويج) بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٠ م .

(٣) جورج سارطون (١٨٨٤ — ١٩٥٦ م) بلجيكي الأصل أميركي الجنسية تخرج في بلده الأصلي برتبة دكتور في الرياضيات (عام ١٩١١ م). وهو مؤلف مكثر في تاريخ الحضارة وتاريخ الثقافـــة أشهر كتبه وأعظمها مقدمة الى تاريـخ العلم (ثلاثة أجزاء في خمسة أقسام) :

George Sarton ' Introduction to the History of Science ' **1927 - 48**

وجورج سارطون مؤرخ العلم منـذ أقدم عصوره وفي جميـع بلاده وفي كل لغاته . ولا شك في أنه كان لجورج سارطون مساعدون من علماء الأقطار =

أمر من الأمور وفي كلّ مدرك من المدارك . ومع أنّ الشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات ، فإنّ ابن رشد يذهب أيضاً إلى أن هذا النظر بالعقل يصدق في الأمور الشرعية نفسها (فصل المقال ٣ وما بعد) . من أجل ذلك كان ابن رشد مستحقّاً لشكرنا الدائم على أنّه أكّد قيمة العقل في زمن كان معظم الناس يخشى أن يفعل ذلك (راجع سارطون ٢ : ٣٢٢) .

ومن دلائل العبقرية في ابن رشد أنّه كان يدرك مدارك أرسطو من خلال النقول الخاطئة التي كانت لعدد من كتب أرسطو في اللغة العربية (١) : إنّ ابن رشد كان يرى أن عبارات الذين يفسّرون كتب أرسطو (ينقلونها إلى اللغة العربية) كانت أحياناً تقصّر عن أداء أغراض أرسطو ومعانيه ثم يقول صراحة (رسائل : الآثار العلوية ٧٦) : « فإن كان مَنْ تأدّت إلينا كتبهم من المفسّرين قد أرادوا هذا المعنى فقصّرت عبارتهم عن ذلك ، إما بسبب الترجمة أو غير ذلك ، فهو صحيح . وإن كانوا أرادوا المعنى الآخر فقد أخطأوا غرض أرسطو في التفسير » .

=المختلفة واللغات المختلفة يقدمون اليه الحقائق العلمية فيؤلف هو منها « كلا عاقلا » . وهو من الذين أنصفوا الثقافة العربية والاسلام إنصافاً صالحاً ، ثم هو من المعجبين بابن خلدون . ولكاتب هذا المقال تعريف بالجزء الثالث من كتاب جورج سارطون (٢٢٠٠ صفحة) في « مجلة المجمع العلمي العربي » في دمشق (المجلد السادس والعشرون الجزء الأول ، ص ١٠١ — ١١٣) . وله أيضاً ترجمة لجورج سارطون في مجلة العرفان (صيدا — لبنان) المجلد ٤٤ ، الجزء الثاني ، ص (١٢٩ — ١٣٥) والجزء الثالث ص (٢٥٣ — ٢٥٨) من عام ١٩٥٦ م .

(١) هذا يقتضي أن يكون مستوى التفكير عند ابن رشد مساوياً لمستوى التفكير عند أرسطو حتى يمكن أن يكون تفكيرهما في مجرى واحد .

ومن الأدلة المادية على هذه العبقرية التي كانت تدرك مقاصد أرسطو - إذا كان تعبير شارحي كتب أرسطو غامضاً أو خاطئاً ، مع أن نفراً من هؤلاء الشارحين كانوا من ذوي المكانة السامية في الفلسفة كالاسكندر الأفروديسي [1] مثلاً — أن ابن رشد كان يفهم المقصود الصحيح من قول أرسطو ، ولو مرّ ذلك المقصود الصحيح من خلال الشرح اليوناني الخاطىء ومن خلال النقل الخاطىء إلى اللغة العربية . من ذلك أن أرسطو زعم أن المجرة دخان ملتهب (رسائل : الآثار العلوية ، ص ١٥ وما بعد) . والمجرة ، في الحقيقة ، تتألف من نجوم كثيرة تظهر في رأى العين — لبعدها عنا — كأن بعضها متصل ببعض . فانظر إلى تعليق ابن رشد عند تصحيحه هذا الخطأ (ص ١٩) :

« وهذا هو الظاهر من كلامه في النسخة التي وقعت إلينا . وإن كان الاسكندر أراد هذا المعنى فهو صحيح ، إلا أنه لا يقتضيه ظاهر لفظه مع هذا فكان يكون قد بقي عليه جزء من القول ليس بالدون [2] . ولعله تركه على جهة الإيجاز وذلك من أجل خلل وقع في الترجمة ، فإن كثيراً ما تنقلب مفهومات المعاني عند المترجمين ، فيلزم عن ذلك تغيير في العبارة ، والاسكندر أعظم مكاناً من أن يظن به القول المتقدم مع ما نجد في كتب أرسطو خلافه » . ويحسن أن نعلم أن ابن رشد فرَغ من تلخيص هذه الرسالة في أوائل سنة ٥٥٤ هـ (أوائل ١١٥٩ م) وعمره يومذاك نحو أربع وثلاثين سنة هجرية (راجع ص ١٠٢) .

---

(١) الاسكندر الافروديسي (أي الذي من بلدة افروديسيا في مقاطعة قاريا — في الجنوب الغربي من آسية الصغرى) كان بين ١٩٨ و ٢١١ م أستاذاً لمذهب المشائين (أتباع أرسطو) في أثينا . وهو أشهر الشارحين (المفسرين) لكتب أرسطو وأهمهم وأصحهم شرحاً . وكان مفكراً أيضاً .

(٢) ليس بالدون : ليس خطأ أو قليل الأهمية والأثر .

وابن رشد أكبر فلاسفة العصور الوسطى بلا ريب . أمّا أنّه أكبر فلاسفة المسلمين فلا يحتاج إلى براهين كثيرة . وأمّا أنّه أكبر فلاسفة العصور الوسطى بإطلاق فقول يقوم على دليلين :

أن موسى بن ميمون[1] ، أكبر فلاسفة اليهود ، والقدّيس توما[2] وأستاذه ألبرت الكبير[3] ثمّ نفرا (كثيرين جدّاً) من فلاسفة

(١) موسى بن ميمون : ولد في قرطبة ، ولما استولى الموحدون على الأندلس انتقل مع أسرته الى مصر . ثم أخذ يملي علومه الفلسفية في الفسطاط (مصر القديمة) . وهو أشهر مفكري اليهود ، ولكنه مفكر على الطراز الارسطوطاليسي المتأثر بشرح ابن رشد . له كتاب « دلالة الحائرين » ألفه باللغة العربية ولكن دوّنه بالحرف العبري . وتأثر موسى بن ميمون بابن طفيل وقال بأن الفلسفة للطبقة المختارة لأن جمهور الناس لايستطيعون فهم الأمور على ما هي عليه .

(٢) القديس توما إيطالي الأصل وتلميذ ألبرت الكبير توفي عام ١٢٧٤م (٦٧٢ هـ) قبل أستاذه بست سنوات . له المجموعة اللاهوتية (في الفقه المسيحي) وله « الرد على الأميين (غير المسيحيين ، وخصوصاً على فلسفة ابن رشد وفلسفة موسى بن ميمون) . وبلغ القديس توما بالفلسفة الغربية (الدينية : المسيحية) ذروة البحث من حيث الشكل (الاسلوب المنطقي) ومن حيث الموضوعات ، ولكنه كان يرى الفلسفة في نطاق الدين المسيحي وحده . ولكننا نستطيع أن نقول إن فلسفة القديس توما كانت رد فعل ضعيفاً على فلسفة ابن رشد لم يمنع فلسفة ابن رشد من الاستمرار في التاثير على العالم الغربي .

(٣) ألبرت الكبير ، ألماني الأصل ولد ١١٩٣ (٥٩١ هـ) وتوفي ١٢٨٠ م (٦٧٩ هـ) علّم اللاهوت في ستراسبورج وكولن (كولونيا) وباريس . وهو أول من أشاع الاتجاه العلمي والفلسفي في أوروبة بعد أن تأثر بالمفكرين العرب (من خلال النقول من العربية إلى اللاتينية) . ورأت الكنيسة خطر =

أوروبة لم يشتهروا إلاّ لأنهم كانوا رشديين (من أتباع ابن رشد في آرائه المختلفة في الفقه والفلسفة والعلوم) أو كانوا من خصومه ومن الذين نصبتهم الكنيسة للردّ عليه . تلك الحركة الرشدية ، في الذهاب مذهب ابن رشد ثم في مقاومة آراء ابن رشد ، دامت أربعة قرون كوامل . ويكفينا هنا أن نقول مع جورج سارطون (٢ : ٩٣٦) : إن المؤلفات العلمية التي وضعها ألبرت الكبير (ت ١٢٨٠ م = ٦٨٠ ﻫ) قد صنع بها ، أو حاول أن يصنع بها ، للنصرانية ما صنعه ابن رشد للإسلام ، ولكن ألبرت الكبير كان من الناحية الفكرية أدنى كثيراً من سلفه المسلم .

إن ابن رشد كان سبب السيادة التي نعم بها أرسطو في الغرب (سارطون ٣ : ٥٠٨) . إن فلسفة أرسطو لم تصل الى الغرب المسيحي إلاّ مع شروح ابن رشد عليها . ولقد كان الأوروبيون يخشون فلسفة أرسطو فيتركون منها جوانب لا توافق النصرانية في رأيهم ، ولكنهم كانوا يأخذون بفلسفة ابن رشد جملة ، سواء أكانت تلك الفلسفة لابن رشد خالصة أو كانت لابن رشد في التعبير عنها فقط .

ونفوذ آراء ابن رشد إلى الغرب المسيحي لم يكن قاصراً على حمل آراء ابن رشد إلى الفكر الأوروبي ، ولا على حمل آراء ابن رشد وآراء أرسطو وحدها إلى الفكر الأوروبي ، بل حمل معها أيضاً اتجاه الفكر الإسلامي ، فلعل شروح ابن رشد على كتب أرسطو كانت من أثر تفسير القرآن في الإسلام

= الفلسفة اليونانية والفلسفة العربية على سلطتها ، ولم تنجح الحرمانات التي كانت البابوية تلقيها على المهتمين بهاتين الفلسفتين ، فأوعزت الكنيسة إلى ألبرت الكبير (القديس ألبرت) بأن يدرس الفلسفة ولكن من خلال تعاليم الكنيسة ، فعكف ألبرت على « تنصير » فلسفة أرسطو بشيء من الحذف وشيء من التشويه .

(سارطون ٢ : ٣٥٦) . ويحسن ألا ننسى أن الاتجاه العام في التفكير يكون أبعد تأثيراً - إذا انتقل من جماعة إلى جماعة أخرى — من تسرب الآراء المفردة في الحين بعد الحين . إن شروح ابن رشد على كتب أرسطو لم تحمل الى الفكر الأوروبي آراء جديدة فحسب ، بل حملت إليه أيضاً منهجاً في التفكير وأسلوباً في التعبير .

ومع هذا كله فإن فلسفة ابن رشد ظلت تنوء بعدد من المعوقات : أول تلك المعوقات أن ابن رشد لم يقرأ كتب أرسطو في نصوصها اليونانية بل في النقول العربية . وقد كان في تلك النقول العربية لكتب أرسطو – سواء أكان النقل نقلاً مباشراً من اللغة اليونانية نفسها أو كان بتوسط اللغة السريانية (أي من اليونانية إلى السريانية ثم من السريانية إلى العربية) - كثير من الحذف والتشويه والإضافة . وقد مر بنا شيء من تألم ابن رشد من هذا المعوق .

ومن تلك المعوقات المبالغة في الإعجاب بأرسطو ، فقد كان ابن رشد شديد الاعجاب بأرسطو في كل شيء ، ولا حاجة إلى الاستشهاد على ذلك الإعجاب ، ولكن ربما توقف ابن رشد في قبول شيء من آراء أرسطو . يقول ابن رشد مثلاً (رسائل : الآثار العلوية ٧١ – ٧٢) فيما يتعلق في شأن قوس قُزَح :

« .... يظهر أصغر من نصف دائرة . فهذا هو الذي أدت إليه الأصول التعاليمية (العلوم القائمة على الحسبان) . وأرسطو يخبر أن المشاهَد خلاف ذلك . وقد ينبغي أن ننظر في ذلك » .

وابن رشد يخالف أرسطو في سبب حدوث اللون الأخضر في قوس

قزح ، وابن رشد مصيب في تخطئة أرسطو ، ولكن تصحيح ابن رشد لقول أرسطو ليس صحيحاً (الآثار العلوية ٧٥ - ٧٦) .

وربما جانب ابن رشد نفسه صواب العلم في مواقف كثيرة له من الأمور المادية . ذلك لأنه يصر على أن يفسر طبيعة كل شيء بتفريعها من طبيعة العناصر الأربعة . إن ابن رشد كان يرى - مع النفر الخاطئين من مفكري اليونان - أن الأجسام التي في عالمنا ، كالخشب والحديد والذهب ، تتكون من نسب معينة من العناصر الأربعة . إن في الخشب مثلاً نسبة من الماء أكبر من النسبة التي فيه من التراب ، بينما في الحديد نسبة من التراب أكبر من النسبة التي فيه من الماء أو الهواء . ثم يعقّد ابن رشد هذه القضية حينما ينسب اجتماع النسب المختلفة في جسم إلى القوة المحركة في هذا العالم ، لا إلى خواصّ وعواملَ في الأجسام نفسها . إن هذا النظر الذي أصر عليه ابن رشد بعيد عن العلم لأن ابن رشد يحاول به تفسير الموجودات المادية تفسيراً غير مادي (راجع أماكن متفرقة في كتاب الكون والفساد ومتابعة ابن رشد لأرسطو في أمور كان أرسطو أيضاً مخطئاً فيها) . ولكن الغريب في ذلك كله أن ابن رشد قد ردّ (فيما بعد ، في كتابه « تهافت التهافت ») على الأشعرية الذين أنكروا أثر الأسباب غير المحسوسة في الموجودات المحسوسة فقال (ص ٤١٦ - ٤١٧) :

« وأما الأشعرية فإنهم جحدوا الأسباب المحسوسة ، أي لم يقولوا بكون بعضها أسباباً لبعض ، وجعلوا علة الموجود المحسوس موجوداً غير محسوس بنوع من الكون غير مشاهد ولا محسوس (يقصد ابن رشد : أن الله يخلق الأشياء خلقاً مباشراً) وأنكروا الأسباب والمسببات ، وهو نظر خارج عن الإنسان بما هو إنسان » .

ومن خروج ابن رشد هنا عن نطاق العلم استخدامه الجدل في إثبات مظاهر الوجود ، كقوله مثلاً (رسائل : كتاب النفس ٧٩ — ٨٠) :

« ..... إن كل صورة معقولة (يمكن ادراكها أو تخيلها) فهي إما هيولانية (مادية) أو غير هيولانية ..... وكل صورة تكون معقولة بأن تُعقَل فهي هيولانية . وإن كل صورة تكون في نفسها عقلاً — وان لم تُعقَل — فهي غير هيولانية . فإذا تقررت لنا هذه المقدمات ، - وهي بينة من طبيعة العقل والمعقول - قلنا : هذه الصورة التي هي صورة المعقولات النظرية واجبٌ أن تكون غير هيولانية لأنها عقل في نفسها سواء عقلناها نحن أو لم نعقلها ، إذ كانت صورة الشيء هو في وجوده عقل . ولو أنزلناها معقولة بالفعل من جهة وبالقوة من جهة يلزم أن يكون هنالك عقل آخر متكون فاسد ، وهو الشيء الذي صارت به معقولة بالفعل (أي موجودة فعلاً) بعد أن كانت بالقوة (أي مدركة بالتخيل) ..... فنقول : أما من يضع هذه المعقولات موجودة بالفعل دائمة وأزلية فليس لها (أي لا يكون لها) هيولى (مادة أولى غير متحيزة) إلا على التشبيه والتجوّز ، إذ كانت الهيولى هي أخصّ أسباب الحدوث ، وذلك أن معنى الهيولى على هذا الرأي ليس يكون شيئاً أكثر من الاستعداد الحادث الذي به يمكن أن نتصور (نتخيل) هذه المعقولات وندركها لا على أن الاستعداد هو أحد ما تقوّم به هذه المعقولات اذن قَبْلَها كالحال في الاستعداد الهيولاني الحقيقي » .

وعندي أن هذا الميل إلى الجدل كان عند ابن رشد حينما كان يفسر كتب أرسطو في إبان فتوته . أما موقفه الآخر في السببية المادية فيعود إلى طورٍ متأخرٍ من حياته أكثر نضجاً .

وما دمنا في حديث الاستقسّات (العناصر) فلنعطف عليها وعلى المذهب الذري قليلاً بما يحتاج إليه البحث هنا .

قال قدماء اليونانيّين بأن الأجسام في عالمنا متكوّنة من الاستقسّات (العناصر) الاربعة : الماء والهواء والتراب والنار (وهو رأى خاطىء بلا ريب ، فإن التراب مثلاً ليس عنصراً بل هو خزان للعناصر . وكذلك الماء والهواء والنار ليست عناصر) . ثم جاء علماء طبيعيون (١) من اليونانيين فقالوا إن الأجسام في عالمنا متكونة من الذرات . والذرة كانت عندهم وحدة مادية بالغة في الصغر وليس لها خاصة معينة . والأجسام في عالمنا تتألف من هذه الذرات ، ويختلف كل جسم من كل جسم آخر (كالخشب والحديد والذهب الخ) باختلاف عدد الذرات فيه كثرة وقلة وترتيباً . وقد قال هؤلاء إن الذرات تختلف في أحجامها ، والكبيرة منها أثقل من الصغيرة ، كما قالوا إن هذه الذرات متحركة في أماكنها .

ومع أن هذا المذهب الذري لم يكن صحيحاً كل الصحة ، كما نعرف نحن اليوم من البناء الذري للعناصر المختلفة ، فإنه كان على كل حال أصح من نظرية العناصر الأربعة .

غير أن أرسطو رفض القول بالمذهب الذري وتمسك بنظرية العناصر

---

(١) العلماء الطبيعيون هم المفكرون اليونانيون الذين اهتموا بدراسة عالم الطبيعة ، ومنهم ذيوقريطوس (٤٦٠ — ٣٧٠ ق.م) الذي من أبديرا (على شاطىء تراقية الغربية من بحر ايجه) . وهو صاحب المذهب الذري على الحصر . وأرسطو أيضاً معدود في الطبيعيين (في مقابل الرياضيين : افلاطون واقليدس وبطليموس) .

الأربعة (وكان ذلك من خطيئاته) . وجاء ابن رشد فأخذ برأي أرسطو بالقول بالماء والهواء والتراب والنار . وهو يسمي « التراب » الأرض (راجع رسائل : السماع الطبيعي ١٢ ، ٢٤ ، ٣٣ ؛ ٤١ ؛ السماء والعالم ٨ ، ٧٥ - ٧٦ ؛ ما بعد الطبيعة ٤١) .

ولم يجهّل ابن رشد القائلين بالجزء الذي لا يتجزأ (بالمذهب الذري) ، فقد أشار إليهم إشارة عارضة (راجع رسائل : الكون والفساد ٤ ، ١٣ مثلاً) ، ولكنه ظل متابعاً لأرسطو في هذا الموضوع .

* * *

وفيما يلي استعراض يسير لمكانة ابن رشد في علوم التعاليم (العلوم التي تجري في الأرقام والاعداد كالحساب والهندسة والفيزياء) ثم في العلوم الطبيعية ما أمكن ، سوى الطب فإن ابن رشد من الأطباء الكبار المشهورين والمؤلفين في هذا الفن من فنون المعرفة (وتبيان مكانته في الطب يحتاج إلى مقال خاص) .

(١) لم نعرف كتاباً لابن رشد في الرياضيات ، ولكن له تلخيصاً لكتاب المجسطي (سارطون ٢ : ٣٥٦ ، ٣:٥٢١) . والمجسطي كتاب لبطليموس القلوذي يدور على الفلك وما يتصل بالفلك من الرياضيات . ويقول منصور جرداق [١] إن ابن رشد « عرف بواسطة الحساب الفلكي وقت عبور

---

(١) منصور حنا جرداق ولد في بلدة الشوير (لبنان) سنة ١٨٨١ م ، تخرج في جامعة بيروت الاميركية برتبة بكالوريس علوم (١٩٠١ م) ثم برتبة أستاذ علوم (١٩٠٧ م) . علّم الرياضيات وتولى مرصد الجامعة وكشف نجما جديداً (عام ١٩١٨ م) في صورة (قنو ، مجموع) الجاثي =

عطارد على قرص الشمس فرصده وشاهده بقعة سوداء على قرصها في الوقت المعين . وهذا أمر لا يتصدى له في وقتنا الحاضر سوى الراسخين في الرياضيات الفلكية » [1] . هاتان قرينتان على الأقل تدلان على براعة ابن رشد في الرياضيات . وهنالك قرائن أخرى تدل على اهتمامه بالرياضيات . من ذلك قوله (تهافت التهافت ٧٧) : « النقطة نهاية الخط وتوجد معه لأن الخط ساكن فيمكن أن نتوهم نقطة هي مبدأ لخط وليست نهاية لآخر » . هذه القرينة تدل على أنه كان يعرف « علم العدد » كما وضعه الفيثاغوريون من أن النقطة مبدأ للخط وليست خطاً . وكذلك قوله (رسائل : السماع الطبيعي ٢٦ – ٢٧) : « فنقول : .... إن كل عدد يُفرض بالفعل فيمكن أن يزاد عليه عدد آخر ... وأيضاً فإن كل عدد فهو إما فرد وإما زوج ، وكل واحد من هذين متناه . وكل عدد فهو متناه » . وهذا أيضاً من وضع الفيثاغوريين .

وفي مثل ذلك يقول ابن رشد أيضاً (فصل المقال – في الكشف عن مناهج الأدلة ٣٩) إنه لا يجوز وضع مبدأ ونهاية ثم وضع شيء بينهما لا نهاية له . وهذا صحيح لأن مافرض متناهياً من جانب يجب أن يكون متناهياً من الجانب الآخر . وفي رسالة الكشف عن مناهج الأدلة في

= (هركليس) . له عدد من الكتب المدرسية (بالعربية والانكليزية) ثم عدد آخر من كتب العلم منها : الكون العجيب وظواهره – عجائب السماء والفلك (١٩٤٩) – القاموس الفلكي والأبراج وصور النجوم (١٩٤٧ م) – مآثر العرب في الرياضيات والفلك (خطبة ، عام ١٩٣٧ مطبوعة) . وكانت وفاته في السادس من نيسان ١٩٦٤

(١) مآثر العرب في الرياضيات والفلك ، ص ٢٢

عقائد الملة (فصل المقال ٣٥ — ٣٦) كلام على العدد المنقسم والعدد غير المنقسم وعلى الكم المتصل وعلى الكثرة من الأعداد التي تؤلف وحدة. وكل هذه المدارك ومصطلحاتها من وضع الفيثاغوريين ، ولا يمكن أن يعرفها أحد إلا إذا كان مطلعاً على كتب هؤلاء . وليس المهم هنا معرفة هذه المدارك والمصطلحات ، ولكن المهم أن ابن رشد يستشهد بها في كتاب فيه شيء من الجمع بين الحكمة والشريعة توجه به ابن رشد إلى القارىء العادي . إن هذا يدل على أن الرياضيات كانت نازلة في نفسه نزولاً بعيداً وراسخة في تفكيره رسوخاً مكيناً فلم يستطع الانفلات منها وهو يتوجه بكتاب له إلى جماعة لا ينتظر منهم أن يدركوا « علم العدد الفيثاغوري » إدراكاً يقنعهم بأدلة ابن رشد الفقهية والفلسفية .

ويكاد يكون ابن رشد مغرماً بضرب الأمثلة من الرياضيات ، فهو يقول مثلاً (رسائل : السماع الطبيعي ٥٢) قولاً مفصلاً دقيقاً :

« .... ومن هنا يظهر أزلية الزمان وأنه تابع لحركة أزلية مستديرة . وكما أن النقطة هي التي تفعل الخط وتحدده وبها يكون المتصل ذا أجزاء ، كذلك الآن (أي الوقت أو الجزء منه) هو الذي يفعل الزمان ويحدده . ولولاه لم يكن متقدم ولا متأخر أصلاً ولا عدد ، إذ كانت الحركة من الأشياء المتصلة . وكذلك تصدق على الزمان خواص الكم المتصل وهما الطويل والقصير وخواص المنفصل وهما القليل والكثير . فلو كان الخط يأتلف من نقط لكان يلزم أن يكون الزمان يأتلف من آنات (جمع آن) ، ولكان هو عددها . وبالجملة فكان يعد في الكم المنفصل . لكن سنبين أن كل نقطتين فبينهما خط ، وأن كلَّ آنين فبينهما زمان » .

وابن رشد يقول (تهافت التهافت ٢٤) : إن النفس لا تتصور (تتخيل) ما هو غير متناه في وجوده . ثم يقول بعد ذلك (تهافت التهافت ٢٧ ، راجع ٢٣٣) : « وأيضاً فامتناع مالا نهاية له على ما هو موجود بالفعل أصل معروف من مذهب القوم[١] » ، سواء كان أجساماً أو غير أجسام ..... و (هذا القول) لا يلائم أصلاً من أصولهم فهو خرافة ، لأن القوم ينكرون وجود مالا نهاية له بالفعل ، سواء كان جسماً أو غير جسم لأنه يلزم عنه أن ماله نهاية[٢] أكثر مما لا نهاية له » .

ومن ملاحظات ابن رشد (فصل المقال : الكشف عن مناهج الأدلة ٣٥) تفريقه بين الكم المنفصل الذي هو علم العدد (علم خواص الأعداد) والكم المتصل الذي هو الهندسة . وتحسن قراءة هذا المقطع بالتفصيل في رسالة الكشف عن مناهج الأدلة . ثم له أيضاً ملاحظة (رسائل : ما بعد الطبيعة ٩٨ - ٩٩) في الهندسة هي « أن الزوايا المعادلة لقائمتين إنما تلفى أبداً مركبة من المثلث ، والمثلث ضرورة في الشكل ..... وأما الزوايا المعادلة لثلاث قوائم فتلفى أبداً منفصلة عن المثلث » . أما القسم الأول من هذه الملاحظة فيعني أن زوايا المثلث

---

(١) القوم : الفلاسفة اليونانيون .

(٢) إن الأب موريس بويج اليسوعي (ت ١٩٥١/١٢/٢٢) محرر كتاب (تهافت التهافت) لابن رشد أثبت جملة بنص هو : « ... لأنه يلزم عندهم أن يكون ما لا نهاية له أكثر مما لانهاية له » . والجملة هذه خطأ طبعاً . غير أن الأب بويج ذكر في الحاشية ٧ ص ٢٧ أن المخطوط ب فيه « ما له نهاية » ، وهو الصحيح فيكون نص الجملة الصحيح حينئذ ما أثبته أنا في المتن فوق .

(الثلاث) تعدل زاويتين قائمتين (وهذا صحيح) . وأما القسم الثاني من الملاحظة والمتعلقة بشكل هندسي (مستو) مجموع زواياه يعدل ثلاث زوايا قائمة فلا أدري وجهه . ولابن رشد عدد من الملاحظات في الطبيعيات في الثقل وجذب الأجسام وفي الزنجار (التأكسد) ثم في الندى وملوحة ماء البحر والزلازل والبخار والغيم والسمع والصوت ثم في علم الحياة من النبات والحيوان ومن الطب خاصة . هذه المعارف تحتاج إلى دراسة خاصة لم ألحها حينما بدأت كتابة هذا المقال . ولكني سأفصل الكلام على « الضوء » عند ابن رشد لأن للضوء صلة بالفلك ومقصدي الأول من هذا المقال الكلام على الفلك عند ابن رشد .

* * *

يحسن أن نبدأ الكلام على الضوء والبصر عند ابن رشد بالنص الطويل الموجود في تفسير كتاب الآثار العلوية (رسائل : الآثار العلوية ٥٩ — ٦٥) .

يرى ابن رشد أن المعتبر في قوانين البصر إنما هو نظر الرجل الطبيعي (أي النظر الطبيعي في الإنسان ، حينما لا تكون العين كليلة ضعيفة من تعب أو حينما لا تكون مريضة) .

يورد ابن رشد رأي القدماء من اليونانيين في الإبصار فيقول (ص ١٦) : « وكان الأقدمون من الطبيعين [1] يرون أن الإبصار إنما يكون بأشعة تخرج من العين » (أعلى الصفحة) ثم يرد (ينكر)

(١) الأقدمون من الطبيعيين : لعله يعني بهم قدماء المفكرين ابتداء بثاليس الملطى (ت ٥٤٥ ق.م) وأتباعه ، قدماء فلاسفة الطبيعة .

هذا الرأي فيقول (أواسط الصفحة) : « وكان قد تبين في علم النفس أن البصر ليس يكون بشعاع يخرج من العين . فالأولى أن نعمل في علم المناظر (في البصريات) على هذا الرأي » . ولكن الرؤية عنده انتقال (شبح) المُبْصَر إلى العين (راجع ص ٥٩) . والسبب في لقاء المُبْصَر بالعين (انتقال شبح الشيء المنظور إلى العين) الانعكاس والانعطاف ، كما أن هذا الانتقال يتم بورود شعاع مستقيم إلى العين (ص ٦٠) . ويرى ابن رشد أن موضوع البصر يدرس من جانبين ، فمن جهة هو طبيعي (تابع لعلم الفيزياء) ومن جهة أخرى هو تعليمي (تابع لعلم الحساب) . ولصحة البصر شروط منها قرب الجسم من العين أو بعده عنها ، ومنها كبر الجسم نفسه وصغره وإضاءته ولونه (ص ٥٩) . ثم من ذلك حال المجال الواقع بين العين والجسم المنظور إذا كان شفيفاً غير ملون كالهواء المطلق أو إذا كان ذلك المجال مملوءاً بالهواء الرطب أو بالماء أو بأجسام كثيفة (ص ٥٩ و ٦٠) .

ومع أن ابن رشد يذكر علم المناظر (ص ٦٠) وأصحاب علم المناظر (ص ٦١) — وأغلب الظن أنه يقصد أفلاطون واقليدس وبطليموس — فيبدو أنه لم يكن له معرفة بكتاب المناظر لابن الهيثم (ت ٤٣٠ هـ = ١٠٣٩ م) . ولو عرفه لكان عرضه للحقائق التي أوردها في هذا الباب أكثر دقة ووضوحاً .

وسبب الرؤية هو الانعكاس (انعكاس شبح عن الجسم المنظور إلى العين) والانعطاف (ص ٦١) ، وهو يذكر انكسار الشعاع وانعطافه على أنهما يؤديان معنى واحداً (ص ٦٠) . ويشترط ابن رشد في

الانعكاس أن يكون عن سطح متصل أملس . وبما أنه يذكر ذلك في عرض انعكاس الأشعة عن السحاب (ص ٦٢) فإنه يفضل أن يكون ذلك السطح مقعراً لأن سطح الغمامة يكون محدباً (راجع ص ٦٢) . والغريب أن ابن رشد يعود فيجعل الشعاع المنعطف غير الشعاع المنكسر (ص ٦٢ ، السطر الأخير) . ثم يتابع القول فيقول (ص ٦٣) : ولما كانت خاصة الشعاع المنكسر (المنعطف) أن يكون (تكون) زوايا الانكسار منه من جميع الجهات متساوية ، وجب أن لا يكون بُعد نقطة الإبصار عن مركز الغمامة والسحاب (أو السحاب ؟) أيَّ بُعدٍ اتّفق ، بل بعداً محدوداً ، وذلك بحسب بعد (الجسم) المنير عن السحاب و (بعد) السحاب عن أبصارنا . وتبين هنالك أن ذلك يتم بأن تكون نقطة أبصارنا أقرب إلى السحاب منها إلى أبصارنا » . ثم يورد ابن رشد لانعكاس الشعاع عن السحاب كي تتشكل الهالة (راجع تحت) شكلاً هندسياً مبرهناً بتفصيل (ص ٦٣ — ٦٥) .

ومن توابع البصريات انتقال الحرارة مع الشعاع من الشمس إلى الأرض فإلى جو الأرض . وقد وفى ابن طفيل (ت ٥٨١ هـ = ١١٨٥ م) حقّ هذا الموضوع من الوضوح لما قال في قصته الرمزية البارعة « حي بن يقظان » (دمشق ، الطبعة الرابعة ١٣٣٩ هـ = ١٩٤٠ م ، ص ٧٦ — ٧٨) :

.... قد تبرهن في العلوم الطبيعية أنّه لا سبب لتكوّن الحرارة إلا الحركة أو ملاقاة الأجسام (احتكاك الأجسام) أو الإضاءة .... وأنّ الشمس لا تسخن الأرض كما تسخن الأجسام الحارة أجساماً أخرَ

تماسُّها .... ولا الشمس أيضاً تسخن الهواء أولاً ثم تسخن بعد ذلك الأرض بتوسط سخونة الهواء . وكيف يكون ذلك ونحن نجد أن ما قرب من الهواء من الأرض في وقت الحر أسخن كثيراً من الهواء الذي يبعد عنا علواً ؟ فبقي أن تسخين الشمس للأرض إنما هو على سبيل الاضاءة لاغير ، فإن الحرارة تتبع الضوء أبداً ، حتى ان الضوء إذا أفرط في المرآة المقعرة أشعل ما حاذاها .

وابن رشد كان تلميذاً لابن طفيل على الحصر ، ومع ذلك فإن كلامه في تسخين الشمس للهواء والأرض يلتقي قليلاً بقول ابن طفيل ويفترق عنه كثيراً حتى كأن ابن رشد لم يقرأ كتاب شيخه (أستاذه) ابن طفيل . يقول ابن رشد في هذا الموضوع (رسائل : كتاب السماء والعالم ٤٨ — ٥٠ ثم الآثار العلوية ٢٠ ، ٣٩ ، ٤٦) :

فنقول : إن الشمس يوجد لها (فعل) التسخين من جهتين : إحداهما من قبل الحركة والثانية من قبل الإضاءة .... وأما الأمر الخاص بتسخين الكواكب والشمس فهو الإضاءة . فإنه يظهر أن الضوء ـ بما هو ضوء — عندما ينعكس يسخن الأجسام التي لدينا بقوة إلهية ، وبخاصة إذا كانت الخطوط الشعاعية منه واقعة على الجرم المتسخن على زوايا قائمة ، لأنه حينئذ يكون أكثر ما يكون الانعكاس (= يكون الإنعكاس على أشده) . وإذا كان الانعكاس أكثر كانت الإضاءة أكثر على ما نشاهده في المرايا المحرقة وفي الزجاجة التي يحرق بها القطن وبخاصة إذا كان الجسم الذي ينعكس فيه الضوء صقيلا .... وأما ما يمكن أن يتشكك به على هذا من أن كل فعل وانفعال يكون في

الأجسام إنما يكون بمماسّة إن كان (من) الفاعل القريب . فإن لم يكن (من الفاعل القريب) فبتوسط جسم آخر ، إذ أنه لا يمكن أن يكون بتوسط الخلاء فعل وانفعال . وإذا وضع هذا هكذا ، فكيف يمكن أن تسخن الشمس الهواء بتوسط ما دونها من الأفلاك من غير أن ينفعل ذلك المتوسط .... وكذلك الأمر في الأجرام السماوية فإنها تقبل الإضاءة وتؤديها إلى الهواء فتفعل فيه تسخيناً وإن لم تفعله في الأجرام السماوية :

إذا نحن قارنا كلام ابن رشد بالقول الصواب الذي سبق لابن طفيل بان لنا أن الصواب والخطأ في قول ابن رشد يختلط بعضها ببعض . وسبب ذلك ، فيما أرى ، أن ابن وشد يجب أن يلتزم بآراء أرسطو — أو بالآراء التي نسبت في النقول العربية إلى أرسطو – وهذه الآراء ، سواء أكانت لأرسطو أو كانت منسوبة إليه ، تدور في جدال نظري ثم هي ليست ، في آراء ابن رشد وفي آراء أرسطو ، مقصودة لذاتها بل وسيلة إلى أن تكون أدلة على آراء فلسفية .

ولا أحسب أن العرب قد عرفوا طبيعة الضوء ولا سبب ظهور الألوان . وقد ظلوا إلى أيام ابن رشد (ت ٥٩٥ ﻫ — ١١٩٨ م) يذهبون إلى أن هنالك لونين : الأبيض والأسود ، وإلى أن من اختلاط الأبيض والأسود (أو النور والظلمة) تنشأ سائر الألوان . وهذا رأي خطأ فالأبيض هو مزيج من جميع الألوان ، والأسود ليس لوناً بل غياب لجميع الألوان . ولقد كان ابن رشد قد وقع على كلمة تخدم البحث في رأيه الخاطىء هي الصريم (فصل المقال ١١) وعرّفها بأنها القول

على الضوء والظلمة . والصريم في القاموس هو الصبح والليل (من الأضداد) ، وهو القطعة من الليل . والأصرمان هما الليل والنهار ثم على المجاز الذئب (الأغبر) والغزال (الأبيض ؟) أو الصُرَد (بضم ففتح) والغراب فالغراب أسود والصرد أخطب أو أبقع (في لونه غبرة أو صفرة) ، وقيل الصرد طائر نصفه أبيض ونصفه أسود (راجع تاج العروس ، الكويت ٨ : ٢٧٣) .

يرى ابن رشد أن للّون وجوداً ذاتياً (تهافت التهافت ٢٢٨ ، ٥٥٠ ثم راجع ٢٩٠ – ٢٩١ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥) فهو يقول (ص٢٢٨): فإن اللون نجد له مراتب في الوجود بعضها أشرف من بعض ، وذلك أن أخس مراتبه هو وجوده في الهيولى ، وله وجود أشرف من هذا وهو وجوده في البصر ، وذلك أن هذا الوجود هو وجود اللون مُدْرَك لذاته ...

ومع أن ابن رشد يجادل في ذلك جدالاً نظرياً فإنه يقترب من العلم حينما يؤكد الصلة بين اللون والضوء وإن كان تعليله لهذه الصلة بعيداً عن العلم . فلنستعرض شيئاً من الآراء التي قبلها في هذا الموضوع والتي وردت في رسائله (رسائل ابن رشد) . يقول ابن رشد : وأما الأجسام ذوات الألوان التي ليس لها أشعة (أي التي ليست مضيئة بنفسها أو بالانعكاس) فإنها إنما تحرك الإبصار (بكسر الهمزة) على سمت (اتجاه) خطوط بهذه الصفة (ورود شبح الأجسام الملونة الى العين ؟) .... (الآثار العلوية ٦١) . وقوة الإبصار (بكسر الهمزة) تقبل معاني الألوان مجردة من الهيولي (كتاب النفس ٢٤) . إن

الجسم الذي من شأنه أن يقبل اللون من جهة ما هو غير ذي لون هو الجسم المشف من جهة ما هو مشف ... ولكن هذه الأجسام المشفة يظهر من أمرها أنها إنما تقبل الألوان حين هي مشفة بالفعل ، أي مستضيئة ، ولذلك لا يمكن أن يبصر (تبصر : بالبناء للمجهول مع التأنيث) في الظلام .. وإنما تكون مشفة بالفعل حين حضور المضيء . فإذن ، إنما يتفق الإبصار بهذين الأسطقسين (المنصرين : الماء والهواء وهمـــا الغالبان في تكوين أجزاء العين) وبالضوء .... فقد يظهر من أمر هـــذه (الأجسام المضيئة أو المستضيئة) أنها بخلاف (الأجسام ذوات) الألوان إذ كانت إنما تبصر (أقرأ : تبصر بالبناء المجهول) في الظلمة و (الأجسام ذوات) الألوان (إنما تبصر) في الضوء فقط ، حتى قيل إن خاصة اللون أن يحرك للمشف (أقرأ : المشف ؟) بالفعل . والأولى بهذه (الأجسام ذوات الألوان) أن يظن أنها تضيء من جهة أنها تقبل الانعكاس (أي : ينعكس اللون عنها) لأنها في طبيعة المرئي ، وإن كان ليس يمكن أن تضيء غيرها (كتاب النفس ٢٦ — ٢٨) ؛ ذلك أنه لاتحدث رؤية إلا عن انعكاس الشعاع (كتاب النفس ٣٢ ، السطر ١١) .

وبينما يرى ابن رشد أن اللون موجود بذاته ، أي أن له وجوداً حقيقياً ، ولعله جسم ، نجده يقول في الضوء إنه غير جسم أصلاً (كتاب النفس ٢٨) .

وللّون عنـــد الإنسان مدارك مختلفة يراها ابن رشد في الأوجه التالية (تهافت التهافت ٢٦٢) :

« ومثال الاختلاف الذي يكون من قِبَل اختلاف القوابـــل

استعداد الأجسام لتقبل الآثار الطارئة) ، وكون المختلفات بعضها أسباباً لبعض ، اللون . فإن اللون الذي يحدث في الهواء غير الذي يحدث في الجسم ، والذي يحدث في البصر — أعني في العين — غير الذي يحدث في الهواء ، والذي يحدث في الهواء والذي يحدث في الحس المشترك غير الذي يحدث في العين ، الخ » .

وكلام ابن رشد في الهالة (وهي الطفاوة أو الدائرة المنيرة التي ترى حول الشمس أو القمر أو السراج إذا اعترض بين هذه وعين الرائي رطوبة على درجة معينة من الكثافة) قريب من الصواب المقبول، أعني الصواب الذي يألفه الملاحظ لهذه الظاهرة ولو لم يكن عالماً بالبصريات . ويصيب ابن رشد حينما يجعل الهالة من باب التخيل (لأن الهالة لاتكون في الحقيقة حول الشمس أو حول القمر — لأن جو القمر وجو الشمس ليس فيهما هواء رطب ولا هواء البتة ، ولكن الهالة تكون في الحقيقة حول عين الرائي) . وابن رشد على حق في قوله (رسائل : الآثار العلوية ٦٠) إن أثر هذه الظاهرة في نفس الرائي يختلف قوة وضعفاً بعوامل كثيرة منها طبيعة الأشياء المنظورة وكبرها وصغرها وقربها من الناظر وبعدها ومركز الرائي بالإضافة إليها (ص ٥٩) . ثم هنالك الأجسام التي تقوم بيننا وبين تلك المُبْصَرات (أي أنواع تلك الأجسام : هواء رطب على كثافة معينة أو قطعة من نسيج رقيق ، الخ) . وربما كان الجو بيننا وبين الجسم المنير صافياً لا يقتضي ظهور الهالة ، ولكن هذه الهالة قد تظهر للرائي (على درجات مختلفة من البروز) إذا كان في بصره ضعف (ص ٦٠ ، السطر ٦) . وسبب ظهور الهالة (ص ٦٠ السطر ١٥ وما بعد) مايلي :

.... « إن سبب هذا كلــه هو انعـكاس (كذا) الشعاع أو انعطافه ، والنظر الحقيقي إنما يكون بشعاع مستقيم . وإن مثل هـذه التخاييل (كالهالة) إنما تعرض بانكسار الشعاع أو انعطافـه ، وإن الشعاع إنما ينعكس[1] أو ينعطف من (أثر) الأجسام المشفة الكثيفة كالماء والهواء الرطب المائي ، وهي التي تنفذ الأضواء فيها وليس لهـا لون خاص » .

وبعد هذا الكلام الذي هو شبه المقدمة ينتقل ابن رشد إلى الكلام على الهالة مباشرة فيقول (ص ٦١) :

« فنقول : أما الهالة فإنه (كذا) أثر مستدير يرى حول القمر أو بعض الكواكب ، وفي الأقل حول الشمس . ولما كان هـذا الأثر يعرض إذا قام السحاب بيننا وبين (الجسم) المنير في السحاب (يقصد : من خلال السحاب الرقيق) إلى أبصارنا أو انعطافه ، ويكون اللون الذي يُرى لذلك الأثر كالممتزج من لون الغمام ومن ضوء (الجسم) المنير لضعف البصر عن أن يفرق بينهما ، كالحال في سائر التخاييل الــتي تعرض هنالـك .

هنا موضع ملاحظات . الهالة في الواقع تُرى كأنها دائرة والأليق أن يقال : كرة . ويقصد ابن رشد بالسحاب مرور النور من الجسم إلى

---

(١) ترد كلمتا انعكاس وانعطاف في هذا النص بلا تمييز بينهما . الانعكاس هو ارتداد الضوء عن السطح الصقيل . والانعطاف (ويقال له اليوم انكسار الضوء) هو أن يعاني الضوء في اثناء امتداده انحرافاً عنـد خروجه من مجال على كثافة معينة إلى مجال آخر ذي كثافة مختلفة (أرقّ أو أغلظ) . والهالة تحدث لعين الرائي حينما يمر شعاع الضوء من جسم منير إلى عين الرائي خـلال جو مشبع برطوبة معينة ، فينعطف (ينكسر) .

أبصارنا في جسم كروي يتيح للنور المارّ أن ينعطف أو ينكسر – وقد أدرك ابن رشد وسيلة ظهور الألوان ولم يدرك طبيعته) . ثم إن ابن رشد يستعمل الانعكاس والانكسار بلا تمييز بينها في المعنى .

« وقوس قُزَح ترى أبداً (رسائل : الآثار العلوية ٦٥) قبالة (أي مقابلة) للشمس ، إذا كانت الشمس قريباً من آفاق الطلوع والغروب ، وكان هنالك سحاب مشف متكاثف » . ويتابع ابن رشد الكلام فيقول : « وبخاصة في الأيام الطوال . وأما في الأيام القصار فقد ترى النهار كله » .

ولست أدري المقصود من ذكر الأيام الطوال والأيام القصار هنا .

وسبب ظهور قوس قزح (رسائل : الآثار العلوية ٦٦) « انعكاس (يقصد : انكسار أو انعطاف) شعاع الشمس من ذلك الغمام إلى الأبصار » . ويلاحظ ابن رشد أن ظاهرة قوس قزح (أي ظهور ألوان مختلفة في جو مشمس) تتكرر إذا اتفق انتشار شيء من رشاش الماء في نور الشمس ، في بر أو بحر . وذكر ابن رشد أن ابن سينا قد رأى مثل هذه الظاهرة في الحمام (لأن جو الحمام يكون عادة مشبعاً ببخار الماء . فإذا اتفق أن نفذ اليه شيء من شعاع الشمس من كوة أو نحوها ، انعطف شعاع الشمس في بخار الماء ذلك وظهرت الألوان المألوفة في قوس قزح ، ولكن على غير ترتيب) .

ولم يجد ابن رشد لظهور الألوان في قوس قزح سبباً فتخيل أن هذه الألوان تتولد من امتزاج نور الشمس بكدرة الغمام – وهو التعليل الذي كان عند اليونانيين من قبل (راجع الآثار العلوية ٧٤ – ٧٦) .

وتعليل الشفق عند ابن رشد ليس مختلفاً من تعليل ظهور الألوان في قوس قزح . ففي « الآثار العلوية » (ص ١٣ – ١٤) : « فنقول :

أما الألوان الدموية التي تظهر ليلاً ، فإن السبب في ظهورها إشراق الضوء في الغيم الكثيف الأسود ، وذلك أن من شأن الضوء إذا لاقى جسماً كثيفاً مشفا أن يشع (يشيع ؟) فيه فيحدث من ذلك المنظر لون متوسط بين بياض الضوء وسواد الغمام .... والدليل على ذلك أن الشمس والكواكب إذا طلعت في هواء كثيف رؤيت حمراء .... ومن هذا الجنس الحمرة التي تظهر عند غروب الشمس ، وهي المعروفة بالشفق . ويصيب ابن رشد في تفسير شدة الحمرة في الشفق حينما يقول : « فأما السبب في اختلاف هذه الألوان (ظلال الألوان) في شدة الحمرة وضعفها فهو من قِبَل اختلاف الغيم في قلة السواد وكثرته ورقته أيضاً وغلظه ، ومن قبل كثرة الضوء وقلته والقرب والبعد وضعف الأبصار وقوتها . ولهذا يظهر بعض هذه الألوان حمراء قانية وبعضها شقراء وبعضها صفراء .

ـ للبحث صلة ـ

بيروت عمر فروخ

وقفة
مع
ديوان بشار بن برد

تحقيق الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور

أنا المرعث لا أخفى على أحد ذرّت بي الشمسُ للداني وللناتي

(بشار)

الدكتور شاكر الفحام

١

نعمت بصحبة الشاعر العظيم أبي معاذ بشار بن برد عامي ١٩٥٨ و ١٩٥٩ . كنت أعدّ حينذاك رسالة التبريز (الماجستير) التي اخترتُ موضوعاً لها : دراسة شعر بشار بن برد ، وكانت الأجزاء الثلاثة التي ظهرت من ديوان بشار بتحقيق الأستاذ العالم محمد الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة الأعظم بتونس (١) ، خير مؤنس لي في رحلتي المتعة مع

(١) اشتملت خزانة كتب الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور على مخطوطة =

أشعر المحدثين ، ورأس المطبوعين ، وإن لم تخل تلك الرحلة من تنغيص قليل مردّه إلى ما حفلت به مخطوطة الديوان اليتيمة من التصحيف والتحريف . وعلى ما بذل الشيخ الطاهر – طيب الله ثراه – من جهد بلغ الغاية ، وما قام به صاحباه الأستاذان محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين من مراجعة وتهذيب ، فما زال الديوان يفتقر إلى تضافر العلماء ليضطلعوا بتصحيحه ، ويمسحوا الهنات عن وجهه ، ذلك بأن التركة ثقيلة ، والعبء مرهق ، ينوء بالعصبة أولي القوة .

ولقد وقفتُ بأبواب القوافي ، وأنا أطالع الديوان ، فأطلت الوقوف ، وأتاحت لي الصحبة المحببة أن أرجح قراءة في الأبيات تخالف ما اتجه إليه المحقق والمراجعان ، وأن أوثر تفسيراً أراه أقرب إلى مراد الشاعر ،

= الجزء الأول من ديوان بشار ، وقد رتبت فيها القصائد على حروف المعجم ، وهي تبدأ بحرف الهمزة ، وتنتهي في أثناء حرف الراء . أوراقها (٢٧٥) ورقة ، وعدد أبياتها (٦٦٢٨) بيت . وقد قام الأستاذ محمد الطاهر بتصحيح الديوان وشرحه ، فخرج في ثلاثة أجزاء ، طبعت في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة بين عامي (١٩٥٠ – ١٩٥٧ م) ، وأعان الشيخ في مراجعة الجزأين : الأول والثاني ، والاشراف على طبعهما الأستاذان محمد رفعت فتح الله ، ومحمد شوقي أمين ، وانفرد الأستاذ محمد شوقي أمين ، بمراجعة الجزء الثالث والاشراف على طبعه (انظر ديوان بشار ١ : ٩٠ – ٩٣ ، وكلمتي « بيان » في مطلع الجزأين : الأول والثالث من الديوان) ، ثم أخرج الشيخ الطاهر ملحقات الديوان في جزء رابع صدر في القاهرة عام ١٩٦٦ ، وهو يضم ما تناثر من شعر بشار في كتب الأدب ، مما لم تحوه قطعة الديوان المخطوطة .

وألصق بمذهبه ، واخترتُ من ذلك شواهد وأمثلة ضمنتها رسالتي حين أعددتها للمناقشة ، ثم صرفتني شواغل عن طبع الرسالة ، فوددت أن أفرد ماترجح لي من تصحيحات الديوان في مقالة أنشرها في إحدى مجلات التراث ، فكان « شهرا ربيع كجمادى البوس » (١) ، فسدلتُ دونها ثوباً ، ومرت الأيام حافلة بأحداثها ، وضربت بيني وبين عملي في بشار بسورٍ ، وطويت تلك الصفحة ، وانقضى تسعة عشر عاماً لم يخطر لي ما كان من أمري وأمر الديوان ببال . وإذا قادم يقدم إليَّ منذ أيام ، من أرض الجزائر الحبيبة ، جزائر العرب والعربية ، يحمل إليّ طبعة جديدة من ديوان بشار ، صدرت بأجزائها الأربعة في النصف الأول من عام ١٩٧٦ (كانون الثاني — أيار ١٩٧٦) ، وشاركت في إخراجها تونس والجزائر ، وتصفحتها على عجل ، فإذا هي إعادة لطبعة الشيخ الطاهر الأولى ، احتفظت باسمه وتحقيقه وشروحه ، وفاءً لجهوده المشكورة في خدمة العربية، وخدمة الديوان . ولئن لم تلتزم الطبعة الجديدة شروح الطبعة الأولى التزاماً تاماً دقيقاً ، إنها التزمت قراءات النصوص كما جاءت في الطبعة الأولى أشد التزام ، لم تحد عنها قيد أنملة ، فذكّرتْ ما نسيتُ ، وهاجت ما سكن ، « حرك لها حوارها تحن » (٢) ، وصح مني العزم أن أعود لما كتبت ، « والعود أحمد » (٣) ، فانفض عنه غبار النسيان ، وأجلوه للناظرين .

---

(١) من أمثالهم ، وهو يضرب لمن يشكو حاله في جميع الأوقات : أخصب أم أجدب (أمثال الميداني ١ : ٣٨٦) .

(٢) من أمثالهم ، ومعناه : ذكره بعض أشجانه يهج له (أمثال الميداني ١ : ٢٠٠)

(٣) من أمثالهم ، ومعناه : ان الابتداء محمود ، والعود أحق بأن يحمد منه (أمثال الميداني ١ : ٤٩٥) .

وقد رأيت أن أتخيَّر جملة صالحة مما كتبتُ ، تكون شاهد ما وراءها ، ولم أقصد إلى الاستقصاء . ثم اني لا أزعم أن ما ذهبت إليه ورجحته من قراءة أو تفسير هو الراجح ، وإنما هو ما أداني إليه اجتهادي أعرضه العرض الرفيق ، لا أقطع فيه بيقين ، وأنا أعلم أنه جهد المقل ، وأن بضاعتي في العربية مزجاة . وليست كلمتي في معرض التعقب على الشيخ الطاهر - غفر الله له وأجزل ثوابه - فقد قدّم من العمل ما يوسع العذر ، وإنما هي خدمة العربية الخالدة ، التي راعت بفصاحتها ، وسحرت بحسن بيانها ، فإن أصبتُ فبنعمة الله ، وإلا فغايةُ ما أرجو أن أنتفع بما يرشدني إليه علماء اللغة الأبيناء ، وفرسان الكلام المجلّون في ميدانه ، و « علمان خير من علم »[1] و « إن العصا قرعت لذي الحلم »[2] .



٢

الجزء الأول من الديوان :

١ - قال بشار يذكر قطعه فلاة واسعة (١ : ١٠٩) :

قد تجشمّتها وللجندب الجو ن نداء في الصبح أو كالنداء
حين قال اليعفور وارتكض الآ لُ بريعانه ارتكاض النِّهاء

ويبدو لي أن كلمة « الصبح » في البيت الأول مصحفة ، صوابها :

(١) من أمثالهم ، يضرب في مدح المشاورة والبحث (أمثال الميداني ١ : ٤٨٣-٤٨٤)

(٢) من أمثالهم ، يضرب لمن إذا نبّه انتبه (أمثال الميداني ١ : ٣٩ - ٤١)

« الضحّ » بالضاد المعجمة ، والحاء المهملة المشددة ، وهو ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض . وفي حديث أبي خيثمة : « يكون رسول الله ﷺ في الضحّ والريح ، وأنا في الظل » أي يكون بارزاً لحر الشمس وهبوب الرياح . وبذلك يزول التناقض في الزمن بين البيت الأول وتاليه : « حين قال اليعفور ، وارتكض الآل » ، ولا يقيل اليعفور[1] إلا في الهاجرة ، لأن القيلولة عند العرب : الاستراحة نصف النهار ، وإن لم يكن معها نوم (لسان العرب) . فبشار قد تجشم قطع الفلاة في الهاجرة والحرّ ، يحتمل المشقة ، فعل ذي العزم ، طلباً للقاء الممدوح . ومن أقوال الشعراء في صرير الجندب ونزوه ، يستغيث من شدة الحر المفرطة قول الأعشى (د : ٩٧) :

وبيداء يلعب فيها السرا ... بُ ، لايهتدي القوم فيها مسيرا
قطعتُ إذا سمع السامعو ... ن للجندب الجون فيها صريرا

وقال ذو الرمة :

وهاجرة من دون ميـة لم تَقِلْ ... قلوصي بها ، والجندب الجون يرمحُ

وقال بشار نفسه في مديح يزيد بن حاتم يصف الهاجرة وحر الصحراء ، ويذكر صرير الجندب (٣ : ١٨٦ – ١٨٧) :

ومصفيات وقعها تقديرُ
قود براها النص والتسييرُ
والوخد حين احترق الهجير

---

(١) اليعفور : الظبي الذي لونه كلون التراب ، وقيل : هو الظبي عامة ، وقيل: اليعفور ، الخشف ، سمي بذلك لصغره ، وكثرة لزوقه بالأرض (لسان العرب)

وقد تردّى بالسراب القــور
والجنــدب الجــون له صرير

٢ – وقال بشار يمدح عقبة بن سَلْم الهُنائي الأزدي بالسخاء (١: ١١١):

كخراج السماء سيبُ يديه لقريب ونازح الدار نـــاء

وضبطت لفظة « خراج » بفتح الخاء المعجمة ولم تفسر . والصواب كسر الخاء . فالخرج : بفتح فسكون ، السحاب أول ما ينشأ، وقال الأخفش : يقال الماء الذي يخرج من السحاب : خرج . وتجمع خرج على خراج بكسر الخاء . يصف بشار عطاء عقبة وفيض يديه للقريب والبعيد من قاصديه ، فيشبهه بسحاب السماء .

٣ – وقال يمدحه بالشجاعة والسخاء (١ : ١١٣) :

أسد يقضم الرجال ، وإن شئـ ت ، فغيث أجشُّ ثر السماء

و « السماء » في البيت محرفة عن « الماء » فبشار يصف الغيث بأنه غزير الماء ، يشبه به ممدوحه عقبة ليدل على تدفق عطائه لسائليه .

٤ – وقال يتغزل (١ : ١١٥) :

فاذكري حلفتي : أفارق أخرى يوم زكّى تلك اليمين البكاءُ
يوم لا تحسـبي يميني خلابـــا بيميني توقّـــر الأحشـــاء

ولعل الصواب : « يوم لم تحسبي » ، والخلاب والخلابة ، بكسر الخاء : الخداع . وفي حديث رسول الله ﷺ : لا خلابة .

٥ – قال بشار في هجاء أبي هشام عمرو بن عبد الرحمن بن الخلق الظالمي الباهلي (١ : ١٢١) :

أبوك ، إذا غدا ، خنزير وحش وأمك كلبةٌ فيها بَذَاءُ

والصحيح : « خنزير حُشٍّ » . والحش : المتوضأ ، سمي به لأنهم كانوا يذهبون عند قضاء الحاجة إلى البساتين . وقد ردّد بشار هذا المعنى في أهاجيه . قال (١ : ٣٦٩) :

لحا الله أبناءَ الخليق فإنهم خنازير حُشٍّ ، سخوت لسروب

وقال (٣ : ١٩٧) :

للملك عباس وأبناؤه قدما ، وللحشّ الخنازيرُ

٦ ويقول بشار يتغزل (١ : ١٢٦) :

تحمل والي « أم بكر » من اللوى وفارق من يهوى ، وبتّ رجاءُ

وصحة البيت : « وفارق من تهوى » ، بالتاء المثناة من فوق ، أي : وفارقك من تهواه ، حين ارتحلت أم بكر وظعنت بتحمل واليها من اللوى .

٧ — وقال بشار (١ : ١٢٦) :

إذا أسفرت طاب النعيم بوجهها وشبه لي أن المضيق فضاءُ

ضبطها الشارح : « أسفرت » بالهمزة ، والصحيح : « سفرت » (فعل ثلاثي مجرد) ، وهي رواية المختار من شعر بشار ، قال في المختار (ص : ٩٠) : « يقال : سفرت المرأة عن وجهها : إذا كشفته ، وأسفر وجهها : أضاء » . قال في اللسان : « وإذا ألقت المرأة نقابها قيل : سفرت فهي سافر ... » . قال بشار (٣ : ١٥) :

مشهَّرة الجمال بعارضيها إذا سفرت لها نظر جديدُ

وقال ذو الرمة :

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت لعينيه ميٌّ سافراً كاد يبرق

وقال بشار يتغزل بهند (١ : ٢٧٣) :

أملح الناس جميعاً سافراً أو في نقابِ

٨ – ورد في الديوان (١ : ١٣٢ – ١٣٣) قصيدة رويها على الألف المقصورة ، وإن القراءة المتأنية لتوجب أن يكون رويها الألف الممدودة ، إذ لم ترد في القوافي كلمة واحدة مقصورة . ولا يعقل أن يبلغ العجز ببشار أن يقصر جميع الكلمات الممدودة ، ليجعل روي قصيدته الألف المقصورة . ولعل الشارح الفاضل قد تورط ببعض الخطأ حين أراد أن يقسر المعاني ، وخرج إلى أقوال وتفاسير غريبة . قال في المطلع :

ذهب الدهر بسمط وبرا وجرى دمعي سحا في الردا

« السمط : الخيط المنظوم فيه الدر ، والمراد أن الدهر نثر سلك صاحبته ، وبرا جمع برة ، وهي الحلقة التي تلبسها المرأة .... » ويتجلى معنى البيت صحيحاً بيّناً إذا مدت القافية :

ذهب الدهر بسمط وبَراءِ وجرى دمعي سحّاً في الرداءِ

وقد ضبطت كلمة « بَراء » في المخطوطة بفتح الباء ، لا كما أرادها الشارح مضمومة . فبشار يرثي صديقيه : سمطاً وبراء ، حين غلبته المنية عليها ، فبكاهما أحرّ بكاء وأوجعه ، وأكثر من ذكرهما . قال (٢:٢٩٧):

تبكي نديميك راحا في حنوطهما ما أقرب الرائح المبقي من الغادي

وقال (٣ : ١٥٥) :

فقلت : همٌّ عراني من أخ سبقت به المنايا ، كريم العهد مودود

كان الدنيُّ فغـــال الدهرُ ألفته   والدهر يحدث وهناً في الجلاميـد
وجارُ دجـــلة حلّت بي مصيبته   وفاتني سيـــد من معشر سود
قد كنت أرجو مع الراجي إيابها   حتى أقامـــا على رغمي بملحـود

وقال (أمالي الشريف المرتضى ٢ : ١٣٣) :

غمض الحديد بصاحبيك فغمضـــا   وبقيت تطلب في الحبالة منهضـــا

وقد جاء اسم « البراء » صديق بشار في خبر أورده صاحب الأغاني قال (الأغاني ٣ : ٢٣٤) : « كان لبشار خمسة ندماء ، فمات منهم أربعة ، وبقي واحد يقال له البراء ، فركب في زورق يريد عبور دجلة العوراء فغرق ... فكان بشار يقول : ما خير في الدنيا بعد الأصدقاء ، ثم رثى أصدقاءه بقوله :

كان لي صاحباً فأودى به الدهـ   ـر ، وفارقته عليـــه السلام
بقي الناسُ بعد هلك ندامـــا   ي وقوعاً ، لم يشعروا ما الكلامُ
كيف يصفو لي النعيمُ وحيـدا   والأخلاءُ في المقـــابر هـــامُ
نفستهم عـــليّ أمُّ المنـــايا   فـــأنامتهمُ بعنفٍ فنامـــوا
لا يغيض انسجـــام عيني عليهم   إنما غايـــة الحزين السجام » .

٩ — قال بشار (١ : ١٣٣) :

ادنُ مني تلقني ذا مرّة   ناصح الحب ، كريماً في الاخاء

وصحيح الرواية : ناصح الجيب . قال في اللسان (نصح ، جيب): ورجل ناصح الجيب ، نقيُّ الصدر ، ناصح القلب ، لا غشّ فيه . كقولهم : طاهر الثوب ، وكله على المثل ، قال النابغة :

أبلـغ الحارث بن هند بأني ناصح الجيب ، باذل الثواب

وقال : وخشنت صدراً جيبهُ لك ناصحُ

ومن أمثالهم : رب غريب ناصح الجيب (العقد الفريد ٣ : ٧٦) ، وجاء في أساس البلاغة : ومن المجاز : هو ناصح الجيب .

١٠ - قال بشار (١ : ١٣٣) :

ما أراكِ الدهر إلا شاخصا دائب الرحـلة في غير عناء

والمعنى لا يستقيم ، أن يدأب الانسان في السعي ، ولا يصيبه العناء (بالعين المهملة) ، وصحة الكلام : « دائب الرحلة في غير غناء » (بالغين المعجمة المفتوحة) ، إذ أن بشاراً يحقر من أمر الدنيا ، ويقلل من شأنها ، ويرى ألا يندفع الانسان في طلبها « فدع الدنيا وعش في ظلها » (١:١٣٣) فكل ما يجنيه من الدأب والعمل لانفع له ، ولاغنية فيه .

١١ - قال بشار (١ : ١٣٣) :

ترجع النفـس إذا وقَّرتهـا ودواء الهم من خمـر وماء

وصحة الكلام : « ودواء الهم في خمر وماء » ، وقـــد ورد البيت صحيحاً في كتاب الفصول لابن المعتز .

١٢ - قال بشار (١ : ١٣٩) :

ياصاح قد كنت زلالاً عذباً

ثم انقلبت بعـــد لين صعبا

. . . .

ياصاح قد بلغت عني ذنباً

وهل علمت خلقي منكبا ؟

وهل رأيت في خلاطي عتبا ؟

والسياق يقتضي أن يقال : « ياصاح ، هل بُلِّغت عني ذنباً ؟ » بصيغة الاستفهام ، لا بصيغة التقرير التي وردت .

١٣ - وقال في مديح عقبة بن سلم الهُنائي (١:١٤٣ - ١٤٤) :

يلقاك ذو الغصة للشراب

بلج المحيا ، محصد الاسباب

يجري على العلات غير كاب

ولعل الصواب : تجري ، بالتاء المثناة من فوق ، والجملة حال من الكاف في يلقاك .

١٤ - وقال في وصف نحوله (١ : ١٤٦) :

يا صاح ، لاتسأل بحبي لهـا وانظر إلى جسمي ثم اعجب

من ناحل الألواح لو كلتـه في قلبهـا مـرّ ولم ينشب

ضبطت « قلبها » بفتح القاف ، والصواب ضمها . قال في القاموس : القلب ، بالضم ، سوار المرأة . وقال في اللسان : القلب من الأسورة ما كان قلدا واحداً . وأظن ضبط القاف مفتوحة من خطأ المطبعة ، لأن الشارح أحسن ضبطها وتفسيرها في قول بشار (١ : ١٧٠) :

سقط النقـاب ، فراقـني - إذ زاح - قُرطـاه وقُلْبُهُ

١٥ - وقال من قصيدة يمدح بها يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري في صفة خيله المغيرة على أعدائه (١ : ١٥٢) :

يتبعن مخـذولاً وأشياعـه بالعين فالروحـاء فالمرقب

فقال الشارح : أرادَ بالمخذول : المثنى بن عمران العائذي عامل الخوارج على العراق ، إذ لاقاه ابن هبيرة بعين التمر فهزمه ، ثم لحق به وبجمعه في جهات متعددة لعلها هي التي أرادها بشار بقوله : فالروحاء فالمرقب » .
ويقول الطبري (٩ : ٦٥ – ٦٦) : « ..... فاستعمل [الضحاكُ بن قيس الشيباني ، رأس الخوارج] على الكوفة المثنى بن عمران من بني عائذة .. وانحط [يزيد بن عمر] بن هبيرة من نهر سعيد [بن عبد الملك ، وهو دون الرقة من ديار مضر] حتى نزل غزة من عين التمر ، وبلغ ذلك المثنى بن عمران العائذي عامل الضحاك على الكوفة ، فسار إليه فيمن معه من الشراة ، ومعه منصور بن جمهور [الكلبي] ، وكان صار إليه حين بايع الضحاك ، خلافاً على مروان [بن محمد ، آخر خلفاء بني أمية] ، فالتقوا بغزة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً أياماً متتالية ، فقتل المثنى ، وعزير، وعمرو ، وكانوا من رؤساء أصحاب الضحاك ، وهرب منصور ، وانهزمت الخوارج ... فلما قتل منهم من قتل في يوم العين [عين التمر] ، وهرب منصور بن جمهور أقبل لايلوي حتى دخل الكوفة ، فجمع جمعاً من اليمانية والصفرية .... فجمعهم منصور جميعاً ثم سار بهم حتى نزل الروحاء ، وأقبل ابن هبيرة في أجناده حتى لقيهم فقاتلهم أياماً ، ثم هزمهم .... وهرب منصور ..... » فنص الطبري يدل على أن المراد بالمخذول في بيت بشار، منصور بن جمهور الكلبي الذي حلت به الهزيمة في العين والروحاء ، وألجأه الفرار (١) وهو أشبه بطريقة العرب في سبّها وتشفيها بأعدائها ،

---

(١) مضى منصور بن جمهور الكلبي ، بعد هزيمته في العين والروحاء والمرقب ، إلى السند ، فغلب عليها . ولما كانت سنة ١٣٤ ﻫ وجه ابو العباس السفاح اول الخلفاء العباسيين موسى بن كعب لقتال منصور ، فقاتله وهزمه ، فهام على وجهه ومات عطشاً في الرمال (الطبري ٩ : ١٥٠ – ١٥١) .

فتدعوهم بأضداد أسمائهم ، كما قال الحجاج لسعيد بن جبير : يا شقي بن كسير (العقد الفريد ٥ : ٥٥) ، وسبّ مروان بن محمد يزيد بن الوليد فقال : الناقص بن الوليد (الطبري ٩ : ٤٦) ، فلا غرو أن ينهج بشار ذلك النهج فيدعو منصور بن جمهور ، مخذولاً ، وأعاد بشار تسميته بقوله (٣ : ٢٥٣) :

وقد راحت تروحنا المنايا لمخذول ، وأحرزه الفرارُ

١٦ – وقال بشار يتحدث عن نفسه (١ : ١٥٩) :

زَوْرُ ملوك ، عليه أبهة تعرف من شعره ومن خطبه

وأرجح أن تكون الرواية (تغرف) بالغين المعجمة .

١٧ – وقال في النسيب بأم محمد (١ : ١٦٨) :

سَقْياً لأم محمد ، سقياً لها إذ نحن في لعب الشباب اللاعب

ضُبطت « سقياً » بضم السين ، والصواب فتحها ، لأن « سقياً » مصدر سقيت ، فهي بفتح السين ، وهي تقال في الدعاء للانسان ، وتنصب على أنها مفعول مطلق ، واللام التي تأتي بعدها هي لام التبيين (انظر مغني اللبيب – اللام المفردة العاملة للجر ، المعنى الثاني والعشرون) . أما السقيا بضم السين والالف المقصورة ، فهي الاسم .

ولعل الخطأ في الضبط قد وقع من فعل الطباعة . فقد جاءت الكلمة صحيحة بفتح السين في قول بشار (١ : ٢٨٠) :

سَقْياً له ، ولمدخل أدخلته يوم الخميس عليه في أترابه

١٨ – وقال بشار (١ : ١٧١) :

أنكرت عيشك بعـــده والدهر ضاق عليك رحبُهْ

ضبطت « رحبه » بفتح الراء ، والصواب ضمها . قال في اللسان : الرحب ، بالضم ، السعة ، وطريق رحب (بفتح الراء) : أي واسع .

١٩ – قال بشار (١ : ١٧٥) :

طرب الحمام فهاج لي طربا وبما يكون تذكري نصبـا

وقال متغزلاً (٢ : ٣٢٦) :

وصرمن حبلك بعد أول نظرة وبما يكنّ إلى حديثك صيدا

وقال (٣ : ١٤) :

أعادك طيفهـــا وبما يعود وحب الغانيات جوى يؤودُ

وقد جعل الشارح كلمة « وبما » في الأبيات الثلاثة محرفة عن «ربما»، ولا موجب لذلك . إن رواية النسخة عربية فصيحة ، جارية على طريقة العرب العرباء في كلامها وأشعارها . وسنورد نماذج وشواهد من أقوالهم تمضي على هذا السـنن ، نشفع طائفة منها بأقوال الشراح الأقدمين .

ذكر الميداني في مجمع الأمثال (١ : ١٠٤) : « بما تجوعين ويعرى حرك » ، وقال في شرحه : « يضرب لمن يغنى بعـد فقر ، ثم يفخر بغناه ، فيقال له هذا القول ، أي هذا الغنى بدل جوعك وعريك قبل ».

وذكر الميداني أيضاً (مجمع الأمثال ١ : ٣١٩) : « ربما أصاب الأعمى رشده » ، وقال في شرحه : « أي ربما صادف الشيء وفقه من غير طلب منه وقصد . وكثيراً ما يقولون : بمـا أصاب الأعمى رشده ، مكان ربما ، قال حسان [بن ثابت الأنصاري] :

إن يكن غث من رقاش حديث ... فبما تأكل الحديث السمينا

قالوا : أراد ربما [1] . قلت : [أي الميداني المؤلف] : يجوز أن تكون الباء في قوله : فبما تأكل ، باء البدل كما يقال : هذا بذاك ، أي ببدله ، يقول : إن غث حديثها الآن فببدل ما كنت تسمع السمين من حديثها قبل هذا . ومثله قول ابن أخت تأبط شراً يرثي خاله :

فلئن فلَّت هذيل شبـاه ... لبما كان هذيـلاً يفلّ

وبما أبركهم في منـاخ ... جعجع ، ينقب فيه الأظل »

ويقول المرزوقي في شرحه على حماسة أبي تمام حين يعرض لتفسير أبيات تأبط شراً ، أو ابن أخته (٢ : ٨٣٥) : « إن كان هذيـل قد تمكنت منه فكسرت حدّه ، وأتعست جدّه ، فهو بما كان يؤثر من قبل في هذيل فيطأ حريمها ، ويكثر قتيلها . والعرب تقول : هذا بذاك ، أي هو عوض منه .. »

وقال الأعشى على لسان امرأة راعها عشا بصره (د : ٩٥) :

على أنهـا إذ رأتني أقـا ... دُ قالت : « بما قد أراه بصيرا »

رأت رجـلاً غائب الوافديـ ... ـن ، مختلف الخلق ، أعشى ضريرا

وقال عبيد بن الأبرص يتحدث إلى امرأته (البيان والتبيين ١ : ٢٣٦) :

إن تريني تغير الرأس مني ... وعلا الشيب مفرقي وقذالي

(١) وهذا قول ابن الأعرابي في تفسير « بما » في بيت حسان هذا ، حكاه في لسان العرب (ما) وجاء فيه بعده : « قال أبو منصور [يعني الأزهري] : وهو معروف في كلامهم ، قد جاء في شعر الأعشى وغيره » .

فبما أدخل الخبـاء على مه- ضومة الكشح،طفلة ،كالغزال
فتعاطيت جيدهـا ثم مالت ميلان القضيب بين الرمـال
ثم قالت : فدى لنفسك نفسي وفـداء لمال أهلك مـالي

وقال الفرزدق (الديوان ١ : ٢٥٦) :

خلا بعد حيّ صالحين ، وحلّه نعام الحمى،بعد الجميع ،وباقره
بما قد نرى ليلى ، وليلى مقيمة به في خليط لاتنائى حرائره

قال محمد بن حبيب في شرحه : « أراد : ذلك بما قد نرى » .

وظل هذا النمط العربي في التعبير حياً في زمن العباسيين . قال علي ابن جبلة المكوك (طبقات ابن المعتز : ١٨٠) :

وبمـا أعتسف البيـ ـدَ ، أسدّي وأنيرْ

ويعرض ابن هشام في مغني اللبيب لحديث الباء الجارة ، وأنها ترد لأربعة عشر معنى . ثم يجعل الثامن من معانيها معنى المقابلة ، وهي الداخلة على الأعواض ، نحو اشتريته بألف ، وكافأت إحسانه بضعف ، وقولهم : هذا بذاك . ومنه : (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) [سورة النحل ، آ : ٣٢] ولم يقدرها باء السببية .

ثم يعود ابن هشام في مغني اللبيب لهذا المعنى حين حديثه عن « ما»: الاسمية ، والحرفية ، وأوجه كل منها ، وكان الوجه الثالث من أوجه الحرفية أن تكون زائدة ، وهي نوعان : كافة وغير كافة ، والكافة ثلاثة أنواع : الكافة عن عمل الرفع ، والكافة عن عمل النصب والرفع ، والكافة عن عمل الجر . ويتابع ابن هشام ليذكر أن « ما » الكافة عن عمل الجر تتصل بأحرف وظروف ، وأن أحد هذه الأحرف التي تتصل بما الكافة عن عمل الجر هو الباء ، كقول الشاعر :

فلئن صرتَ لا تُحير جواباً لبما قد تُرى وأنت خطيبُ (١)

ذكره ابن مالك ، وأن « ما » الكافة أحدثت مع الباء معنى التقليل ، كما أحدثت مع الكاف معنى التعليل في نحو (واذكروه كما هداكم) [سورة البقرة ، آ : ١٩٨] . ثم يعقب ابن هشام برأيه فيقول : « والظاهر أن الباء والكاف للتعليل ، وأن « ما » معها مصدرية.. ثم المناسب في البيت معنى التكثير لا التقليل » .

وقال عبد القادر البغدادي في شرح شواهد المغني تعليقاً على الشاهد (المخطوطة — الانشاد الحادي عشر بعد الخمسمائة) : « قال أبو حيان في شرح التسهيل : قال المصنف [أي ابن مالك] في الشرح : وتحدث « ما » الكافة في الباء معنى ربما ، فمعنى « لبما قد تُرى وأنت خطيبُ » : ربما قد ترى . ومثله قول كثير :

مغانٍ يهيّجن الحليم إلى الهوى وهنّ قديماتُ العهود دواثرُه
بما قد أرى تلك الديار وأهلها وهن جميعات الأنيس عوامره

(١) هذا البيت من مقطوعة تنسب لمطيع بن إياس الكوفي يرثي بها يحيى ابن زياد الحارثي ، ونسبها بعضهم لصالح بن عبد القدوس وهي :

وينادونه وقد صمّ عنهم ثم قالوا ، وللنساء نحيبُ :
ما الذي عاق أن ترد جوابا أيها المقول الخطيب الأريب
فلئن صرت لا تحير جوابا لبما قد ترى وأنت خطيب
ذو عظات وما وعظت بشيء مثل وعظ السكوت إذ لا تجيب

(انظر الأمالي للقالي ١ : ٢٧٠ - ٢٧١ ، سمط اللآلي ١ : ٥٩٩ — ٦٠١ ، خزانة الأدب ٤ : ٢٨٥ — ٢٨٦ ، شرح شواهد المغني للبغدادي - الانشاد الحادي عشر بعد الخمسمائة) .

أراد : بما أرى ، وقد مع المضارع يفيد هذا المعنى ، ولكن اجتمعتا توكيداً . كما اجتمعت عن والباء التي بمعناها في قول الشاعر :

فأصبحن لا يسألنه عن بما به (١) ، انتهى [كلام ابن مالك] .

وما ذهب إليه من أن « ما » ، فيما ذكر ، كافة ، وأنها أحدثت معنى التقليل ، غير صحيح . بل « ما » في ذلك مصدرية ، والباء للسببية المجازية ، والمعنى على التكثير لا على التقليل ، ونظيره قول الآخر :

فلئن فلت هذيل شباه لبما كان هذيلاً يفُلّْ

والفعل الذي تعلق به الباء مقدّر قبلها . والتقدير : لانتفاء إحارتك جواباً برؤيتك وأنت خطيب ، وهن قديمات العهود دواثر برؤيتي تلك الديار ، لفلته بما كان يفلّها ، والسببية ظاهرة في هذا البيت ، وأما في البيتين قبله : فسبب خرسه بالموت كونه كان خطيباً في الحياة ، إذ ينشأ عن الحياة الموت ، إذ مصير كل حي إلى الممات ، وكذلك البيت الثاني: سبب دثور الديار كونها كانت عامرة بأهلها ، إذ مصير العمران للخراب ؛ ولذلك جاء :

---

(١) البيت بتمامه :

فأصبحن لايسألنه عن بما به أصعد في علو الهوى أم تصوّبا

أنشده الفراء في معاني القرآن ٣ : ٢٢١ ، وابن جني في سر الصناعة ١ : ١٥٣ ، وابن هشام في مغني اللبيب ، في آخر حديثه عن « هل » ، والرضي في شرح الكافية ، وشرحه البغدادي في الخزانة ٤ : ١٦٢ — ١٦٣ ، وشرح شواهد المغني (اللوح : ٣٩٨) ، وقال فيها : « وهذا البيت لم اقف على قائله ولاتتمته » . غير ان العيني نسبه في المقاصد النحوية ٤ : ١٠٣ (هامش الخزانة) إلى الأسود بن يعفر .

لدوا للموت وابنوا للخراب (١) هذا آخر كلام ابن حيان .

وقال تلميذه ناظر الجيش : ولا يخفى أن ما قرره بعيد أن يكون مراد الشاعر ، ولكن قول المصنف أن المراد التقليل غير ظاهر . انتهى [كلام ناظر الجيش] .

ومن شواهد هذا النمط من البيان قول طرفة بن العبد :

فغيّرن آياتِ الديار مع البلى وليس على ريب الزمان كفيلُ

بما قد أرى الحيَّ الجميعَ بغبطةٍ إذ الحيُّ حيٌّ والحلولُ حلولُ

وشرحه الأعلم الشنتمري بقوله : « يقول : هذا التغير والبلى بما كان الجميع فيه من الغبطة والسرور ، أي : هذا بذلك . وقيل : معنى بما : ربما » .

٢٠ — يقول بشار على لسان حبيبته عبدة من كلام طويل تعاتبه فيه ، وتشترط عليه ، لتعود إلى مودته (١٧٨:١) :

واجهــد يمينك لا تخالفني فيما هويتُ وكان لي اربا

وإذا بكيت فلا عدمت شفا وأكلت لحمك جنة كلبــا

ويبدو لي أن في البيت الثاني تصحيفاً لا يستقيم به معنى . ولعــل صحة البيت :

وإذا نكثت فلا عدمت شقا وأكلت لحمك جنة كلبــا

(الجنة ، بكسر الجيم : الجنون . وفي التنزيل العزيز : أم به جنة (٢) ، والكلب ، بفتح الكاف واللام : داء يعرض للانسان من عض الكَلْب الكَلِب ، فيصيبه شبه الجنون ، ويعرض له أعراض رديئة) .

---

(١) البيت بتمامه :

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى ذهاب

وهو مطلع قصيدة لشاعر الزهد أبي العتاهية .

(٢) سورة سبأ ، آ : ٨

فعبدة تأخذ على بشار المواثيق ألا يشرك في مودتها خلة أخرى ، وتبالغ في التأكيد ، وتختم قولها بالدعاء عليه أن يلقي الشقاء والعسر ، وأن يعتريه جنون من عضه الكلب الكلِب ، فيأكل لحمه إن نكث عهدها ، وخالف ما أقسم عليه من اتباع رضاها . فليس في البيت بكاء ولا دعاء له بالشفاء (بالفاء) ، بل دعـــاء على الشاعر أن تحل به المصائب ، ويعتريه الجنون إن نكث وبدّل .

٢١ - ويقول بشار في حكاية حاله ، وقد سمع مقالة عبدة (١٧٨:١):

سألت لأعتبهـــا وأطلبهـــا مما تخاف ، فقلت : قد وجبا

وضبطت كلمة « أطلبها » بضم اللام ، مضارع طلب الثلاثي ، ولعل الصواب أن يكون الفعل المضارع مأخوذاً من « أطلب » الرباعي . قال في اللسان : أطلبه ، أعطاه ما طلب ، وطلب إليّ فأطلبته ، أي أسعفته بما طلب . وهكذا يتجلى معنى بشار ، فقد سألته صاحبته أن يترضاها ، ويرجع إلى مسرتها ، ويستجيب لمطالبها بما يطمئنها من مخاوفها ، فلبّى ، ورآه حقاً يجب عليه إنفاذه ، والتمسك به . وتقف بذلك كلمة «أطلبها» إلى جانب أختها « أعتبها » .

٢٢ – قال بشار يتحدث عن ناصحة له تريد له أن يرعوي عن صباه (١ : ١٨٠) :

تكلّفُ إرشادي ، وقد شاب مفرقي وحمّلـــني أهـــلي فليس أريب

ولم يتضح للشارح معنى « وحملني أهـــلي » ولكن المراجعين تكلفا ما تكلفا ليجدا معنى مقبولاً . والصحيح أن كلمة « وحملني » محرفة ، صوابها « وحلّمني » بتقديم اللام على الميم ، من الحلم . وهو تعبير شائع في كلام العرب ، وأشعار السابقين المتقدمين . قال في اللسان : حلّمه تحليما ، جعله حليماً ، وتحلّم : تكلف الحلم . قال ذو الرمة :

أفي الدار تبكي أن تفرق أهلها وأنت امرؤ قد حلّمتك العشائرُ

وقال الشاعر (الكامل ٢ : ٦١) :

فعدِّ عن شتمي ، فإني امرؤ حلَّمَني قِلَّةُ أكفائي

وقال بشار (٢ : ١٠) :

ونُبئت نسواناً كرهن تحلمي ولله أبلي ، أكثرت أم أقلت

وقال أبو تمام :

حلَّمتني – زعمتمُ – وأراني قبل هذا التحليم كنتُ حليما

٢٣ – قال بشار يخاطب محبوبته سلمى (١ : ١٩١) :

يا سلم ، جودي بما رأيت لنا ما عند أخرى سواك لي أربُ

وكلمة « رأيت » محرفة ، صحتها : « وأيت » بالواو بدل الراء . وفي اللسان : وأى له : وعده . ومن وأى لامرىء بوأي فليفِ به . وقال في الفائق : (٣ : ١٤٠) : الوأي ، الوعد الذي يوثقه الرجل على نفسه ، ويعزم على الوفاء به . وقد ترددت كلمة الوأي ومشتقاتها في شعر بشار مراراً . من ذلك قوله (١:٢٧٧) :

دع قول واءٍ ، وانتظر فعله يُثني على اللقحة ما في العِلابْ

وقال بشار (١ : ٣٠٤) :

أنجز حرٌّ وأيه طائعاً والعبد مكدود ومضروبُ

وقال (٢ : ٢٢) :

وبالمنحنى يوم راح العدا ذكَّرتُها وأياً فقالت: نسيتْ

وقال (٢ : ٢٦) :

لا بل وفيت ولم أضع عهداً ولا وأياً وأيته

وعلى فعل « وأى » بمعنى وعد ، يتخرج لغز النحاة الشهير :

إنَّ هندُ المليحةُ الحسناءَ وأيَ من أضمرت لخلٍّ وفاء

(انظر كتاب : مغني اللبيب – فقرة تنبيه من مبحث حرف الألف، وفقرة تنبيه من مبحث إنَّ المكسورة المشددة) .

٢٤ – وقال يصف ديار الأحبة بعد الترحل (١ : ٢٢٩) :

كأنها ، بعدما جرَّ العفاء بها ذيلاً من الصيف ، لم يمدد له طنبُ
كانت معاناً من الأحباب فانقلبت عن عهدها بهم الأيامُ فانقلبوا

وصحة البيت الأول :

كأنها ، . . . . ، لم يمدد بها طنبُ

وجملة : « لم يمدد بها طنب » ، خبر كأن ، وبذلك يكمل المعنى في البيت ويتضح ، وهو على الرواية الأولى ناقص ، لا خبر فيه .

٢٥ - وقال في صفة الصحراء (١:٢٣١) :

في كل هناقة الأضواء موحشة يستركض الآل في مجهولها الحدبُ

ولعل صحة الشطر الأول : في كل هتافة الأصداء موحشة .

٢٦ – وقال يصف مسيره إلى الممدوح يقطع الصحراء على ناقته (١ : ٢٣٢) :

جرداء ، حواء ، مخشيٌّ متالفُها جشّمتها العيس ، والحرباء منتصبُ
عشرا وعشراً إلى عشرين يرقبها ظهر ، ويخفضها في بطنه صببُ

وكلمة « يرقبها » قلقة في مكانها ، لا تلائم المعنى ، ولعلها محرفة عن « يرفعها » على ما بين رسم الكلمتين من بعد ، فقد عودنا الناسخ

مثل هذا التحريف . قال في اللسان : « رفعته فارتفع ، فهو نقيض الخفض في كل شيء » . وبذلك يلتئم معنى بشار ، ويتم له الطباق بين الرفع والخفض .

٢٧ - وقال في وصف ناقته ، والمياه الأواجن التي تردها في الفلاة (١ : ٢٣٢) :

ورادة كل طامي الحم ، عرمضه في ظل عقبانه مستأسد نشبُ

رويت في الديوان « الحم » بالحاء المهملة ، وصحتها : « الجم » بالجيم . وفي اللسان : جمّ الماء ، معظمه إذا ثاب ... وكذلك جمته ، وجمعها : جمام وجموم . واللفظ مما تعاوره الشعراء في صفة مياه الصحاري والفلوات . قال عبدة بن الطبيب (المفضليات ١ : ١٣٩) :

ومنهلٍ آجن ، في جمّـه بعرٌ مما تسوق إليه الريح مجلول .
أوردته القوم قد ران النعاس بهم فقلت إذ نهلوا من جمّه : قيلوا

وقال كعب الغنوي (الأصمعيات : ٧٤) :

وعافي الجبا ، طامي الجمام وردته بذي خصل ضافي السبيب رجيل

وقال ربيعة بن مقروم (المفضليات ١ : ١٨٥) :

وماءٍ آجن الجمّات ، قفر تعقّـم في جوانبه السباعُ

وقال ذو الرمة :

ومنهل آجن : قفرٍ محاضرهُ تُذري الرياحُ على جمّاته البعرا

وبشار نفسه يقول (٣:٧٩) :

وماءٍ صرى الجمات ، طام ، كأنه عنيّةُ طالي متليات ٍ صعائدِ

٢٨ – وقال من قصيدة في رثاء ابنه محمد (١:٢٥٥) :

لعمري لقد دافعتُ موت محمد　　لو ان المنـــايا ترعوي لطبيب
وما جزعي من زائل عم فجعه　　ومن ورد آباري وقصد شعيبي ؟

ولا مورد لكلمة (زائل) في البيت ، وصحتها : زائـــر ، فالشاعر يتحدث عن الموت ، والموت لا يوصف بأنه زائل ، ولكنه زائر يزور الجماعات فيتنقصهم ، ويعمهم بالمصيبة والفجيعة ، لا يوقفه شيء ، « إن المنايا بجني كل انسان » فلا يُجدي الجزع منه شيئاً .

٢٩ – وقال على لسان فتاة اتهمته بالخداع (١:٢٦٤) :

قالت : أكل فتاة أنت خادعها　　بشعرك الساحر الخلاب للعرب
كم قد نشبت بغيري ثم زغت بها　　فاستحيِ من كذب،لاخيرفي الكذب

ولا معنى للنشوب في البيت ، وصحته :

كم قد نسبت بغيري ... (بالسين المهملة) من النسيب . قال في اللسان : نسب بالنساء : شبّب بهن في الشعر وتغزل . فالمرأة تتحدث عن براعة بشار في الغزل ، وخداعه النساء يسحرهن بقوله الجميل ، ويتغنى بحبهن :

شعراً تصلي له العواتقُ والثّـ　　ـيبُ صلاة الغواة للوثن (١)

ثم يتخلى ويملل ، وتنصرف نفسه عنهن .

٣٠ – وقال بشار (١ : ٢٧٤) :

قلت لمـــا برَّحت بي　　لم يكن هـذا احتسابي
حيث أرجوكم فسمتم　　زَوْركم سوط عـذاب

وصحتها : جئت أرجوكم ...

---

(١) الأغاني ٣ : ٢٤١

٣١ – تحدث الشارح عن الخليفة المهدي (١ : ٢٧٥) فذكر أنه تولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ ، وتوفي سنة ١٦٧ هـ ، والصحيح أن وفاة المهدي كانت سنة ١٦٩ هـ (الطبري ١٠ : ١١).

٣٢ – قال بشار (١ : ٢٧٦) :

يا مجلساً ، أكرم به مجلساً حفّ بريحان وعيش عجاب
بت به أسقى رهاويـةً لعيب ست خلقت للعـاب

وفسر الشارح الرهاوية بأنها الخمر التي تأتي من الرهاء ، وهم حي من مذحج من اليمن . والذي ذكره ياقوت في معجم البلدان (الرهاء) أن الخمر الرهاوية منسوبة إلى الرهاء : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ، واستشهد لذلك ببيتي ابن مقبل :

سقتني بصهباء درياقة متى ما تلين عظامي تلنْ
رُهاوية مترع دنّها ترجع من عود وعسّ مُرِن

٣٣ – وقال بشار في مطلع قصيدة يمدح بها داود بن حاتم (١:٢٧٨)

ما ردّ سلوته إلى أطرابه ؟ حين ارعوى ، وحدا الصبا بركابه

ومعناه واضح بيّن ، فقد استهلّ الشاعر قصيدته بالغزل ، وهو يتساءل عما ألمّ به ، فردّ سلوته إلى الطرب ، وصحوه إلى الصبابة ، بعد أن أقلع عن العشق ، ونزع عن الغواية ، وودّع الجهل الذي فارقه وارتحل ، يحدو بركابه . يقال في اللغة : ردّه إلى منزله ، وردّ إليه جواباً ، أي رجع إليه جواباً (لسان العرب) . وهذا المعنى حام حوله بشار ، وأكثر من طرقه ، كقوله (١:٣٥٢) :

أصبح القلب بالبخيلة صبا بعدما قد صحا وراجع لُبّا

وقوله (٢ : ١٢٧) :

فتى المرعّثُ بعد طول تصاح فصبا ، وملّ مقالة النُصّاح

ويبدو لنا أن معنى البيت قد غُمّ على الشارح ، فجعل « ما » التي أتى بها الشاعر للاستفهام ، نافية وغيّر لفظ « حين » إلى « حتى » ، ولا حاجة لذلك .

٣٤ — وقال بشار يصف بعيره الذي مضى به إلى الممدوح (١ : ٢٨٢) :

غول البلاد ، إذا المقيل تحرقت آرامه ، وجرت بماء سرابه

(المقيل : الموضع . الآرام : حجارة تجمع وتنصب في المفازة يهتدى بها ، واحدها أرم) .

قوله : « وجرت بماء سرابه » لا يتسق مع سائر البيت في صناعة الشعر ، والصحيح : « وجرت نهاءُ سرابه » ، أي أن الصحراء لشدة حرها ، احترقت حجارتها ، وتراكضت فيها غدران السراب التي لاتتراءى إلا في شدة الهاجرة ، وصخد النهار . قال في اللسان : النهي ، بالكسر والفتح ، الغدير ، وكل موضع يجتمع فيه الماء ، والجمع : النهاء . وهذا التصحيح أقرب إلى رسم المخطوطة ، وهو رسم عدّه الشارح تحريفاً ، وعدل عنه . وفي قريب من هذا المعنى يقول بشار (١ : ١٠٩) :

حين قال اليعفور وارتكض الآ لُ بريعانه ارتكاض النّهاء

٣٥ — وقال بشار يصف الثور الوحشي وقد فجأه المطر (١:٢٨٥) :

حتى إذا طلع الزمان بعيشة فيها ، وسال عليه بعض شعابه
حنف المبيت له بأوجس ليلة من صوت راعده ، ومن تسكابه

ولعل صحة الكلام : « حتى إذا طلع الزمان بغبية » ، قال في

اللسان : الغبية : الدفعة من المطر . والزمان : يقع على الفصل من فصول السنة . ويجوز أن تكون : « حتى إذا طلع الزمان ببغشة » ، والبغشة : السحابة التي تدفع مطرها دفعة . وبذلك يلتقي سقوط المطر ، وسيل بعض الشعاب في البيت . وقد أكثر شعراء العرب في قصائدهم من وصف الثور الوحشي ، وقد فجأه المطر في ظلمة الليل البهيم ، فعاذ بالأرطى والألاء ، خوفاً وإشفاقاً . قال أبو ذؤيب (المفضليات ٢ : ٢٢٦) :

ويعوذ بالأرطى إذا ما شفَّه قطر ، وراحته بليلٌ زعزعُ

وقال ذو الرمة :

فبات ضيف ألاء يستغيث به من قطقط في سواد الليل محدورِ

(القِطْقِطُ : المطر الخفيف ، وقال الليث : القطقط ، المطر المتفرق المتتابع المتحاتن) .

وقال النابغة الذبياني :

وبات ضيفاً لأرطاة ، وألجأه مع الظلام إليها وابل ساري

٣٦ – وقال يشبه بعيره بالثور الوحشي (١ : ٢٨٧) :

فكذاك ذلك إذ رفعت قيوده أصلاً ، وميثرتي على أصلابه

والصواب : إذ رفعت قتوده (بالتاء المثناة من فوق) ، قال في اللسان : القتد : خشب الرحل ، ... والجمع : أقتاد ، وقتود . قال النابغة الذبياني :

فعدِّ عما ترى إذ لا ارتجاع له وانم القتود على عيرانة أجُد

وقال المثقب العبدي (المفضليات ١ : ١٤٨) :

فبت وباتت كالنعامة ناقتي وباتت عليها صفنتي وقُتُودُها

وقال الحطيئة (د : ٤٣) :

عذافرة ، حرف ، كأن قتودها على هقلة ، بالشيطان ، جفولِ

وإذا كان الشارح قد سها عن تصحيح الكلمة في هذا الموضع ، فقد ردّها إلى الصواب حين وردت مرة ثانية مصحفة في قول بشار (١ : ٣١٠) :

أمقُ ، غربيٌّ ، كأن قتوده على مُثْلَثٍ يدمَى من الحقب حاجبُهْ

وأطال هو والمراجعان في تفسيرها ، وتعداد شواهدها ، وبيان طريقة العرب التي سلكوها في مثل هذا التشبيه .

٣٧ - وقال بشار (١ : ٢٨٧) :

هجر المقامة أن تكون مناخَه بأغر تزدحم الوفود ببابه

واهل الصواب : « هجر المقامة أن يكون مناخُه » ، وأن مصدرية وقبلها لام العلة مقدرة (انظر مغني اللبيب - بحث أن) . ورواية البيت في كتاب المختار من شعر بشار (ص : ٦٤) :

هجر المقامة لو يكون مناخه بأغرّ تزدحم الوفود ببابه

٣٨ - وقال في مديح داود بن حاتم المهلبي الأزدي (١ : ٢٩٠) :

سهم اللقاء ، إذا غدا في درعه رأيت مشاهده الثأى برثابه

وكلمة : « سهم » ، مصحفة ، صحتها : « شهم » ، بالشين المعجمة . وفي اللسان : قال الفراء : الشهم ، في كلام العرب ، الحمول ، الجيد القيام بما حمل ، الذي لا تلقاه إلا حمولا ، طيب النفس بما حمل . قال بشار في مديح المهدي (١ : ٣٢٧) :

شهم ، وقور ، يزين غرته حلم ، وزان الوقار ما اجتنبا

وقال في مديح عبد الله بن عمر بن عبد العزيز (٣ : ١٧٤) :

شهم اللقاء ، حليم عند قدرته ... سيان معروفُه في الناس والمطرُ

وللحارث بن حلزة اليشكري (المفضليات ١ : ١٣١) :

أولا تعديهـا إلى ملك ... شهم المقادة ، ماجد النفسِ

٣٩ – وقال بشار يتحدث عن نشاط ناقته التي تتقدم الإبل (١ . ٢٩٧) :

سقين بجذاء النجاء ، شملة ... إذا قال يعفور الفلاة تؤوّب

وأشكلت كلمة (سقين) على الشارح والمراجعين ، ويبدو لي أن الكلمة مصحفة عن (شَقين) بالشين المعجمة ، فبشار يتحدث عن نشاط ناقته ، وقدرتها على السير في الهواجر ، حين يقيل اليعفور توقياً للحر ، ويذكر الشاعر أن النوق قد شقين بها ، فهن لا يستطعن اللحاق بها ، إذ لا يبلغن مبلغها ، قوة وإسراعاً .

٤٠ – وقال في صفة سليمان بن هشام بن عبد الملك (١:١٠٣) :

رزين حصاة العلم ، لا يستخفه ... أحاديث يستوعي عليها المعيّبُ

والعلم في البيت محرفة عن الحلم ، والحلم ، بالحاء المهملة المكسورة وسكون اللام : الأناة والتثبت في الأمور ، وذلك من شعار العقلاء ، والرزانة تكون في الأحلام . ويقابل الحلم الجهل والسفه ، قال الفرزدق :

أحلامنا تزن الجبال رزانة ... وتخالنا جنا إذا ما نجهلُ

وقال جرير (د : ٤١٩) :

الأثقلون حصاة في نديّهم ... والأرزنون إذا خفّ المجاهيلُ

والحصاة تضاف إلى الحلم لأنها منه بسبب ، لا إلى العلم . قال في

اللسان : الحصاة : العقل والرزانة ، يقال : هو ثابت الحصاة ، إذا كان عاقلاً ، وفلان ذو حصاة وأصاة ، أي عقل ورأي .

٤١ — وقال في مديح سليمان (١ : ٣٠١) :

له كل عــام غزوة بسوّم يقود المنايا رايُه حين يذهبُ

وأرى أن الصواب : حيث يذهب .

٤٢ – وقال في مديح سليمان (١ : ٣٠٣) :

يزين سرير الملك زيناً ، وينتهي به المنبر المنصوب في يوم يخطبُ

ولا معنى لكلمة : « وينتهي » في البيت ، ولعل صحتها : « ويزدهي » ، أو « ويبتهي » ، جاء في اللسان (بهأ ، بها) : قال أبو سعيد : ابتهأت بالشيء : إذا أنست به وأحببت قربه . قال الأعشى (د : ٢٠١) :

وفي الحيّ من يهوى هوانا ويبتهي وآخر قد أبدي الكآبة ، مُغضبُ

وقال الزمخشري في الأساس (بهي) : وفلان يفتخر بكذا ، ويبتهي به ، ولي به افتخار وابتهاء . قال أبو النجم :

ليس المحاذر أن يعدّ قديمه والمبتهي بقديمه بسواءِ

٤٣ — وقال في صفة صديق له (١ : ٣٠٣) :

عزّني المعروفُ حتى علقت كل كفّ لي منه بسبب

روى الشارح : « عزني المعروفُ » : فعل ومفعول به وفاعل ، وقال في تفسيره : أي غلبني المعروف . ويبدو لي أن الصواب : « غرّني المعروفَ » ، غرني ، بالغين المعجمة والراء المهملة ، والمعروفَ ، بالنصب .

قال في اللسان : غرَّ الطائر فرخه : زقّه .... وفي حديث معاوية : كان النبي ﷺ يغر علياً بالعلم ، أي يلقمه إياه . والحسن والحسين كانا يغران العلم غرا . وقد أعاد بشار استعمال هذه اللفظة في قوله :

ولما التقينـــا بالجنينة غرني بمعروفه حتى خرجتُ أفوق

قال في الأغاني (٣ : ٢١٣) : غرّني ، أوجرني ، كما يغرُّ الصبيَّ — أي يوجر — اللبنَ .

٤٤ - وقال بشار في بائيته الشهيرة ، يتغزل في مطلعها (١:٣٠٧):

فأقصـر عرزامُ الفؤاد ، وإنمـا يميل به أمس الهوى فيطالبـــه

وصواب البيت ما ورد في طبقـــات ابن المعتز (ص : ٢٧) : فأقصر عن داعي الفؤاد ، والعجب أن المراجعين قد عادا إلى طبقات ابن المعتز ، ولكنهما ذكرا أن الرواية فيه : فأقصـر عن رامي الفؤاد ، ولم يتضـح لي وجه هذه الرواية التي روياها . وداعي الفؤاد : الشوق والصبابة والهوى .

٤٥ — وقال بشار في بائيته ، يصف ماءً ورده في الفلاة (١:٣١٠):

قريب من التغرير ، ناء عن القرى سقاني به مستعمل الليـــل دائبه

ويبدو لي أن الصواب : « قريب من التغـــوير » ، وإنمـا يوصف ماء الصحراء بالتغوير ، والذهاب في الأرض . يقال : غار الماءُ وغوّر : ذهب في الأرض وسفل فيها . فالشاعر يصف قلة الماء وخفاءه ، وأنه على شفا النضوب .

٤٦ — يسمي الشارح الشاعر العتابي : عمرو بن كلثوم (١ :٤٦، ٧١ ، ٣١٩) وقد نبه المراجعان إلى صوابه في الصفحة ٧١ فقط ، حين ذكرا أن اسمه الصحيح : كلثوم بن عمرو .

٤٧ – قال بشار يصف روضاً (١ : ٣٣٥) :

متناهي الريحان يسجد للشمـ ـسِ مبيناً ، وما عليه انتئابْ

ولعل الصواب (يسجد للشمس منيباً) ، قال في اللسان : أناب إليه إنابة فهو منيب ، أقبل وتاب ورجع إلى الطاعة . واتّأب الرجل : استحيا ، قال الأعشى :

من يلق هوذة يسجد غير متئب إذا تعمم فوق التاج أو وضعا

ويقول بشار في شبيه معناه السابق (١ : ٢٨٥) :

للشمس يسجد طائعاً ريحانُه ويبيت يأرق ضيفه بذبابه

ويقول في أرجوزته التي مدح بها عقبة بن سلم (٢ : ٢٢١) :

يلقى الضحى ريحانُه بسَجْد

٤٨ – قال بشار يتحدث عن شجاعة المهلب بن أبي صفرة وانتصاره على قطري بن الفجاءة (١ : ٣٤٦) :

حدا بأبي أم الرئال فأجفلت نعامته عن عارضٍ يتلهب

وقد قوّمه المراجعان ، وفسراه ، ورأيت تعزيزاً لما ذهبا إليه أن أذكر أن هذه الرواية الصحيحة قد جاءت في نهاية الأرب (٧ : ٩٧) حين مثل النويري ببيت بشار شاهداً لتجنيس المعنى .

٤٩ – وقال في النسيب (١ : ٣٤٨) :

فأرتني ثم شطّت شطة تركت قلبي إليها يضطربْ

ويبدو لي أن صحة الشطر الأول : « قاربتني ثم شطت شطة » ، وبذلك يتضح معنى البيت ، ويتأتى فيه الطباق بين المقاربة والشط (وهو البعد) . ومثله قول بشار (١ : ١٧٦) :

خلقت مبـــاعدة مقاربـة حربا ، وتمت صورة عجبا

٥٠ — قال بشار في مطلع قصيدة له (١:٣٥٢) :

أصبح القلب بالنحيلة صبـا بعدما قد صحا وراجع لبا

ولعل « النحيلة » محرفة عن « البخيلة » بالباء الموحدة والخاء المعجمة ، وهي صفة ألف بشار أن يصف بها محبوبته على طريقة العرب في التغزل ، قال (٢:١٢٣) :

من هوى عبدة البخيلة إني لا أرى غيرها لقلبي رواحا

وقال (٢: ١٢٧) :

وأصابه سحر البخيلة بعدما ألف الصلاة وعـاذ بالمسباح

٥١ — وقال (١ :٣٥٢) :

تلك عبّادةُ التي لم تنله غيرماأصبحت لعينيه نصبا

وضبطت كلمة « تنله » ضبطاً يجعلها مأخوذة من « نال » الثلاثي ، وصحتها أن تكون مضارع الفعل الرباعي « أنال » .

٥٢ — وقال (١:٣٥٣) :

يوم قامت مختـــالة في حقاب ليتني كنت بعض تلك الحقابِ

والحقاب (بوزن كتاب) : شيء تعلق به المرأة الحـــلي ، وتشده في وسطها ، وجمعه حقب (بوزن كتب) . فالحقاب مذكر ، وبذلك يصحح شطر البيت : « ليتني كنت بعض ذاك الحقاب » .

٥٣ — وقال (١ : ٣٥٧) :

لا يخش قتـلي حين شبـ ـت ، وهل يخاف الأشيب

ولعل الصواب : « لا يُخشَ مثلي » ، بالميم والثاء المثلثة .

٥٤ — وقال (١ : ٣٦١)

يا ليت لي قلباً بقلب يثيب أو ليت لي حباً بحبي ينيب
مللت قلبي ، لا يمل الهوى يا طول إغرامي بمن لا يجيب

ضبط « قلبي » في البيت الثاني ، مضافاً إلى ياء المتكلم ، وضبط « لا يمل » بالبناء المجهول ، وسياق الكلام يقتضي أن يقال : « مللت قلباً لا يَمل الهوى » ، (بتجريد قلب من ياء المتكلم ، وبناء يمل للمعلوم) . فالشاعر في البيت السابق يتمنى أن يستبدل بقلبه وبحبه لما كابداه من المشاق ، فضاق ذرعاً بهما ، ومل قلباً لا ينفك متعلقاً بالحب ، نازعاً إلى العشق .

٥٥ — وقال في هجاء أبي هشام الباهلي (١:٣٦٨) :

فقلت له : قد فارقت وحدتها . . . .

ولعل الصواب : « قد قارفت » بتقديم القاف ، أي أن أم المهجو قد قارفت المعصية ، وارتكبت الاثم مع الشاعر . وفي هذا ما فيه من لاذع الهجاء ، وتأكيد الشتم .

٥٦ — وقال في النسيب بعبدة (١ : ٣٨٠) :

قلت : كلا ، لا بل صفالك حتى زادك الله يا عبيدة حبا

و « حتى » في البيت لا معنى لها ، وهي مصحفة ، صوابها : « حبّي » بالحاء المهملة والباء الموحدة ، وبذلك يتم المعنى ويتضح في الشطر الأول . ويأتي الشطر الثاني دعاء لها .



ـ للبحث صلة ـ شاكر الفحام

تحقيقات وتصحيحات لكتاب الأعلام

للمرحوم الأستاذ خير الدين الزركلي

الأستاذ محمد أحمد دهمان

يزورني الأرق في بعض الليالي فآخذ بعض الكتب أرشف من معينها حتى يغلبني النوم ؛ ومما كنت أنهل من فوائده وفرائده كتاب الأعلام للعلامة المحقق الأستاذ خير الدين الزركلي ، هذا الكتاب الذي سد فراغاً كبيراً في اللغـــة العربية وأجمع الباحثون والعلمـاء على إطرائه وتقدير جهود مؤلفه .

في أثناء المطالعة فيه كان يقع نظري على ما يجعل في نفسي شكاً فيه فكنت أخط على هامش بعض صفحاته خطاً بالقلم الرصاص حتى لا يضيع موضع الشك لأرجع إلى تحقيقه في وقت آخر ، وكان بعض ما أشك به أبقيه في حافظتي حين لا يكون لدي قلم قريب مني أشير به . وطال الأمد على ما كتبته على الهامش وفر مني بعض ما كان في الحافظة فرأيت من الأفضل أن أسجل هذه الملاحظات خوف فرارها وضياعها وشرعت بالكتابة في هذا الموضوع لأقدمها إلى المؤلف .

ولم أكد أشرع في العمل حتى فوجئت بوفاة المؤلف رحمه الله رحمة واسعة فوقفت عن العمل لمرض عرض لي . وقد تجمع لدي ما أقدمه الآن ليبقى كتاب الأعلام خالداً خالصاً من الشوائب ، وقد قال مؤلفه في آخر مقدمة الطبعة الثانيه ص ١٦ :

« أما وقد مضيت فيما شرعت فيه ، فما علي لتكون الخدمة خالصة للعلم إلا أن التمس ممن حذقوا التاريخ ومازوا لبابه من قشوره وكان لهم من الغيرة عليه ما يحفزهم إلى الأخذ بيده أن يتناولوا الكتاب ، منعمين ، مفضلين ، بنقد خطأه ، وعدل عوجه ، وبيان ما يبدو لهم من مواطن ضعفه . وقديماً قال إبراهيم الصولي : « المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل فيه من منشئه » . وهذا ما أقدمه :

في الجزء الأول

ج ١ / ص ٢٥

● ذكر في ترجمة ابن الأجدابي أنه توفي نحو سنة ٦٥٠ هـ

— الصواب : في معجم المؤلفين أنه توفي قبل سنة ٦٠٠ هـ وهو أقرب للصواب لأن ياقوت الحموي ترجمه في معجم البلدان (مادة أجدابية) ولم يذكر وفاته ، وياقوت توفي سنة ٦٢٦ .

ج ١ / ١٠٥

● جاء في ترجمة أحمد بن حجّي الحافظ المؤرخ أنه ألف كتاباً في التاريخ ذكره تلميذه ابن شقدة ، وقال : إنه ابتدأ بحوادث سنة

(٧٦١) وختمه سنة وفاته [أي سنة ٨١٦] ثم أكمله ابن شقدة إلى سنة (٨٤٠)

— الصواب : هذا ما جاء في ترجمة أحمد بن حجي ولكن المؤلف ترجم ابن شقدة في ج ٤ / ١٢٣ وقال : إن وفاة ابن شقدة سنة ١١٦٠ فإذا أسقطنا من هذا العدد سنة وفاة أحمد بن حجي التي هي سنة ٨١٦ فإنه يبقى ٣٤٤ سنة ، فهل عاش ابن شقدة أكثر من (٣٤٤) سنة حتى تتلمذ لابن حجي ؟ مع أن المؤلف يقول عن ابن شقدة توفي عن ٩٠ سنة . ولذلك فإن تلمذة ابن شقدة لأحمد ابن حجي خطأ واضح يجب حذفها والمؤلف ذكر في ترجمة ابن شقدة أنه ألف « المنتخب » اختصر بـه شذرات الذهب لابن العماد ، ولم يذكر أنه ذيل على تاريخ ابن حجي .

ج ١ / ١٧٤

● ورد في ترجمة ابن زنبل اسم كتاب : سيرة السلطان سليم (خ)

— الصواب:هذا الكتاب طبع قبل ٨٠ عاماً طبعة حجرية وأعيد طبعه منذ بضع سنين وهذا الكتاب روائي لا علمي ألفه بعض المتنين بالقصص وقد انخدع بعض المؤلفين المعاصرين فجعلوه من المصادر التي يرجع إليها ، مع أنه كتاب روائي قصصي نسب إلى ابن زنبل كما نسبت قصة عنترة إلى الاصمعي .

أثبتنا هذه الملاحظة هنا كيلا ينخدع أحد بالنقل عنه ظناً منه أنه مصدر صحيح .

ج ١ / ٢٤١

● جاء في ترجمة نصر الدولة أنه ملك ٥١ سنة .

ـ والصواب : أنه ملك ٥٣ سنة . انظر تاريخ ميافارقين للأزرقي

ج ١ / ٢٤٢

● جاء في ترجمة أحمد المكتبي : له كتب منها حاشية على شرح الخضري على شرح ابن عقيل .

ـ الصواب : من المعلوم أن للخضري حاشية على شرح ابن عقيل وليس له عليها شرح . وصواب العبارة أن تكون حاشية على حاشية الخضري ، وهذا غريب ونادر وقلما يضع العلماء حاشية على حاشية .

في الجزء الثاني

ج ٢ / ١٨

● ورد في ترجمة الملك الظاهر برقوق أنه خلع سنة ٧٩١ وأعيد الصالح فخرج خلسة إلى الكرك فامتلكها وزحف على دمشق فدخلها فزحف عليه الصالح بجيش فظفر برقوق وعاد إلى مصر سلطاناً .

ـ الصواب هذا ما جاء في الأعلام ، والحقيقة أنه ألقي القبض على الظاهر برقوق في القاهرة واعتقل ثم أرسل إلى الكرك فسجن بها ثم ظهر له أنصار في الكرك ساعدوا على نجاته من السجن والاعتقال ، وقدم مدينة دمشق بجيش صغير فدخلها وقد فتحت له أبوابها ولكن بعض جنوده اعتدوا على بعض الباعة فقام إليهم العوام بالحجارة والمقاليع فطردوهم من دمشق إلى خيمة السلطان برقوق ونهبوا خيامهم فاخفق السلطان بهذا العمل وفشلت سياسته وانسحب إلى مرج الصُفّر (شقْحَب) وهناك التقى بالجيش المصري الذي حضر للقضاء على حركته فانتصر عليه .

انظر النجوم الزاهرة ، وولاة دمشق في عهد المماليك لمحمد أحمد دهمان .

ج ٢ / ٣٥

● جاء في ترجمة ابن قاضي شُهبة أن له من المؤلفات : مدارس دمشق وحماماتها ، وقد جاء في أسفل الصفحة في تعداد مصادر هذا البحث مجلة المجمع العلمي (٣٣٢/٤٢) فرجعت إليها وإذا فيها مقال لمحمد أحمد دهمان كاتب هذه التصحيحات الذي أثبت في مقاله أن مؤلف هذه الرسالة هو الحسن بن أحمد بن زفر الأربلي وهو الذي حقق هذه الرسالة ونشرها في مجلة المجمع ثم نشرها مستقلة وقد ترجمه مؤلف الأعلام في ج٢ ص١٩٥ وقال عنه : له كتاب مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها (ط) .

ج ٢ / ٨٤

● الشريف ثُقبة بضم الثاء

— الصواب : ثَقبة بالفتح انظر : المنهل الصافي ١ / ٢٤٣ والضوء اللامع ١ / ٢٦٦

ج ٢ / ٩٥

جاء في ترجمة الأشرف جان بلاط ما يلي :

● جان بلاط بن يشبك الأشرفي أبو النصر ، من ملوك الشراكسة المماليك بمصر والشام ، اشتراه الأمير يشبك بن مهدي الشركسي .

— الصواب : جان بلاط بن يشبك ، ويشبك بن مهدي اسمان من أسماء المماليك الشراكسة ، والمملوك عادة يكون مجهول الأب ولذلك يقال فلان بن عبد الله لكل مملوك مجهول الأب . وفي العهد المملوكي لما كثر المماليك في مصر والشام وصاروا بالألوف صاروا ينسبون إلى من لهم علاقة كبرى بهم وخصوصاً أسيادهم الذين دخلوا تحت رقهم

فيقال : جان بلاط من يشبك الأشرفي ، يعني جان بلاط من مماليك يشبك الأشرفي ؛ وكذلك يشبك من مهدي ولا يقال يشبك بن مهدي لأنه ليس أباً له وإنما هو من مماليكه . وهذه ناحية هامة قل من انتبه إليها ممن ينتسب إلى التاريخ .

ج ٢ / ١٠٩

● جاء في ترجمة جرم بن ربان بن حلوان ، من بني الحافي .

ـ تكررت في الكتب العربية القديمة وفي كتاب الأعلام كلمة الحافي فتارة تكتب الحافي بالياء وتارة تحذف منها الياء فتكتب : الحاف . انظر ج ٢ / ٣٧٢ من الأعلام . وبما أن كتاب الأعلام كتاب عصري فيجب أن توحد فيه هذه الكتابة فتكتب حيثما وردت بالياء أو بحذفها . والأولى الحذف . انظر باب الوقف في آخر شرح قطر الندى لابن هشام .

ج ٢ / ١٤٩

● حبيش بن محمد الكتاني المغربي . ورد لفظ الكتاني مرتين

ـ الصواب : الكُتامي بالميم قبل الياء وهو حبيش بن محمد بن صمصامة الكتامي نسبة إلى قبيلة كتامة من البربر . انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٣ / ٤١٨ ، وأمراء دمشق في الإسلام للصلاح الصفدي وفيه : « حبيش بن محمد بن الصمصامة القائد ابن اخت أبي محمود الكتامي المغربي » وتاريخ أبي يعلى حمزة بن القلانسي ٩ و ١٠ ، والكامل لابن الأثير ٨ / ٦٤٢ و ٩ / ٧ و ١٢٠ و ١٢١

ج ٢ / ١٧٥

● ورد في ترجمة الحجاج الثقفي أنه انصرف إلى بغداد في ٨ أو ٩ رجال الخ ....

ـ الذي يلفت النظر أن بغداد لم تكن بنيت حينئذ .

ج ٢ / ٢٠١

● قبل هذه الصفحة صفحة مصورة رقم الصورة ٣٤١ فيها خط ملك النحاة وأسفل هذه الصفحة ما يلي : لمحمد بن أبي القاسم النفوسي .

والذي بخط ملك النحاة رقم اللوحة ٣٤١ النفلوسي (السطر الرابع) والذي في معجم ياقوت (النفوسي) وهي جبال في المغرب بعد افريقيا عالية .

ـ وملاحظتنا هنا أن الموجود بخط ملك النحاة (النفلوسي) لا (النفوسي)

ج ٢/ ٢١٢

● ورد فيها : ابن أبي حُصينة ضبطها المؤلف بضم الحاء بالشكل .

ـ الصواب : صححها الأستاذ الميمني بأنها بفتح الحاء وأن صوابها حصينة كجميلة . انظر مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٣٥ ص ٦٩٧ .

ج ٢ / ٢٤٥

● جاء في ترجمة حسني الزعيم ما يلي : وسار الركب إلى قلعة المزة التي تبعد حوالي عشرة كيلو مترات عن دمشق .

ـ صوابها خمسة كيلو مترات .

ج ٢ / ٣١٠

● في ترجمة حمزة بن علي . فاضطر حمزة إلى الرحيل ولحق به بعض اتباعه إلى بلاد الشام واستقر أكثرهم في المقاطعة التي سميت بعد ذلك جبل الدروز في سورية ، وقال في تعليقات ص ١١٣ قريباً من ذلك .

ـ الصواب : أن الدروز كان استقرارهم أولاً في لبنان كجبال كسروان ولم يتديروا في حوران إلاّ من عهد غير بعيد ، ففي سنة ١١٢١ هـ = ١٧١٠ م عظم أمر اليمنية في لبنان فجاروا على القيسية وآذوهم ولم يبقوا لهم حرمة فأنفذ الأمير حيدر الشهابي إلى القيسية أن يتجمعوا في رأس المتن ثم انتقلوا إلى عين دارة . واستعان اليمنيون بوالي صيدا بشير باشا ووالي دمشق نصوح باشا واتفقوا معهما على الايقاع بالقيسية ، ولكن القيسية باغتوا اليمنيين بقيادة الأمير حيدر في عين دارة واعملوا فيهم السيف وأبادوا أمراء آل علم الدين رؤساء اليمنيين ، فنزح اليمنيون على أثرها إلى جبل بني هلال في حوران المسمى الآن بجبل الدروز أو جبل العرب بعد أن خربت ديارهم وأبيدت امراؤهم وكان هذا الجبل يكاد يكون خالياً فسكنوه وتديروه إلى الآن وطردوا سكانه الأصليين الضعفاء وتعرف هذه الحادثة بوقعة عين دارة وكانت سنة ١١٢٢ هـ = ١٧١١ م يراجع في تفصيل ما ذكر في خطط الشام ٢ / ٢٨٨ الطبعة الأولى ج ٣/١٣٣

● جاء في ترجمة سعد الدين الجباوي بأنه توفي سنة ٦٢١

ـ الصواب أن أسرة سعد الدين الجباوي أصبحت أسرة صوفية شهيرة في دمشق منذ القرن العاشر الهجري ، وحسب ماورد في الكواكب السائرة ج ١/١٧٥ أن وفاة حسن بن محمد بن سعد الدين الجباوي كانت سنة عشر وتسعمائة ولذلك يظن بأن جده سعد الدين كان قبل سبعين سنة تقريباً لا كما ورد في الأعلام . ولم يترجم صاحب الكواكب السائرة لسعد الدين هذا ترجمة مستقلة بل ذكره في ج ١/١٧٥ مع ترجمة حفيده حسن بن محمد بن سعد الدين ولم يذكر سنة وفاته . ولم يذكر مؤلف الأعلام مصادره

في هذا البحث . وجاء في ترجمة المذكور ص ١٣٤ من الأعلام أنه من أهل جبا من قرى دمشق . والصحيح أن جبا من قرى حوران .

في الجزء الثالث

ج ٣/١٦٤

● جاء في ترجمة سلطان بن أحمد المزاحي : له مؤلف في القراءات الأربع الزائدة على العشرة ، لعله رسالة التجويد .

ـ الصواب : ينبغي حذف كلمة «لعله» ووضع واو مكانها لأن علم التجويد غير علم القراءات وإن كان بينهما ملابسة كعلمي النحو والصرف ، وكتابٌ يبحث في القراءات الأربع الزائدة على العشر لا يكون رسالة .

ج ٣/٢٥٠

● ذكر قرية يلدة ، وقد أثبتها ياقوت يلدا بالألف في مادة « يلدان ».

في الجزء الرابع

ج ٤/٥٤

● عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة ، وفاته ٦١٤ هـ ١٢١٧م

ـ الصواب في معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي المستشرق زانباور أن وفاته سنة ٥٩٢ هـ كما ورد في صفحة ١٢٢ ، وفي كتاب الدول الإسلامية تأليف ستانلي لين بول أن وفاته سنة ٥٩١ هـ كما في الصفحة ١٠٧ من الجزء الأول .

ج ٤/٧٠

● جاء في ترجمة أبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل أن له كتابين في

تاريخ دمشق أحدهما كبير في خمسة عشر جزءاً والثاني في خمسة أجزاء .

ـ الصواب أنه اختصر تاريخ دمشق لابن عساكر اختصارين أحدهما كبير والاختصار الآخر صغير وقد ذكر أحدهما قبل ثلاثة أسطر .

وذكر أن له كتاب أبرز المعاني ـ خ

والصواب إبراز المعاني كما في كشف الظنون وقد طبع هذا الشرح

ج ٤/٩٤

● جاء في ترجمة الأوزاعي مايلي : كتاب محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي . نشره الأمير شكيب أرسلان ولم يعرف مؤلفه ولعله لصالح بن يحيى .

ـ والصواب أن هذا الكتاب تأليف : أحمد بن محمد ... بن زيد الموصلي الدمشقي كما حققت ذلك في مقالة نشرتها في مجلة المجمع العلمي ج ٢٢ ص ١٨٧

ج ٤/١١٩

● جاء في ترجمة عبد الرحيم الأسنوي : من كتبه «المبهات على الروضة» .

ـ الصواب : « المهات على الروضة » ، ويوجد كتاب آخر للعراقي اسمه مهمات المهات ولابن الوكيل كتاب مختصر المهات . انظر كشف الظنون ١/ ٩٣٠

ج ٤/١٢٤

● جاء في ترجمة ابن الفُوطي ج ٤/١٢٤ ما يلي : له (مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب ـ خ) المجلد الرابع منه وهو كبير جداً قيل في خمسين مجلداً .

ـ الصواب : لقد طبع هذا المجلد في أربعة مجلدات ، طبعته وزارة

الثقافة والارشاد في دمشق ، وأمامنا الآن القسم الثالث من الجزء الرابع طبع سنة ١٩٦٥ والقسم الرابع من الجزء الرابع طبع سنة ١٩٦٧ .

ج ١٦٢/٤

● وجاء في ترجمة عبد القادر بدران أنه ولي إفتاء الحنابلة .

- والصحيح : انه لم يتول هذا الإفتاء وكان المفتي في عصره الشيخ مصطفى الشطي كما في مختصر طبقات الحنابلة للشيخ جميل الشطي ص ١٧٦ و ١٧٧ الطبعة الأولى سنة ١٣٣٩ هـ مطبعة الترقي .

ج ١٦٣/٤

● وجاء في ترجمة عبد القادر بدران المذكور أن من مؤلفاته : الآثار الدمشقية والمعاهد العلمية خ تاريخ . ومنادمة الأطلال ومسامرة الخيال خ . في معاهد الشام الدينية القديمة طبع منه كراسان .

- والحقيقة أن كلا الاسمين لمسمى واحد ، وكنت اتفقت معه رحمه الله على نشر منادمة الأطلال فغير اسمه وسماه الآثار الدمشقية والمعاهد العلمية وعملت له « كليشة » للطبع ففاجأه الفالج ولم نتمكن من طبع شيء منه ولكن هذا الكتاب طبعه في سنة ١٣٧٥ هـ الشيخ على آل ثاني حاكم قطر سابقاً وجعله وقفاً لله تعالى .

ج ١٦٨/٤

● جاء في ترجمة عبد القادر بن محمد النعيمي أن من كتبه الدارس في تاريخ المدارس - ط - مجلدان .

- الصواب أن كتاب النعيمي اسمه : تنبيه الطالب وإرشاد الدارس ، كما أثبت المؤلف ذلك في أول كتابه ص ٥ وليس لأحد أن يسميه بالدارس ، أما كتاب الدارس فهو تأليف شهاب الدين بن حجي كما ورد في تنبيه الطالب (الدارس) . طبع المجمع العلمي ص ١٤٣ .

في الجزء الخامس

ج ٥/١٧٩

● جاء في ترجمة علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي المدلجي .

ـ الصواب : « المذحجي » نبه على ذلك الدكتور عدنان الخطيب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد ٤٥ ص ٣٨٣ مستنداً في ذلك إلى جمهرة أنساب العرب .

ج ٥/٣٧٠

● جاء في ترجمة فوزي المعلوف أنه ابن اسكندر عيسى المعلوف .

ـ وهذا سبق قلم والصواب : هو ابن عيسى اسكندر المعلوف ، أحد قدامى أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق .

ج ٦ / ١٧

● جاء في ترجمة علم الدين البرزالي أنه تولى مشيخة النورية ومشيخة دار الحديث بدمشق .

ـ الصواب : تولى مشيخة دار الحديث النورية بدمشق

ج ٦ / ٢٤

● جاء في ترجمة الظاهر قانصوه : قانصوه بن قانصوه الأشرفي .

ـ الصواب: قانصوه من قانصوه الأشرفي ، كما مر معنا سابقاً في ص ٣٧٩

ج ٦ / ١٠٠

● جاء في ترجمة المنصور لاشين : لاشين (المنصور) حسام الدين

ابن عبد الله المنصوري من ملوك المماليك البحرية بمصر والشام وهو الحادي عشر من ملوك الترك ويسمى (الروك الحسامي) .

ـ الصواب : هذه العبارة توهم بأن لاشين المنصوري يسمى أيضاً الروك ، والحقيقة أن الروك عملية إدارية وهي أن تمسح الأراضي وتقسم الضريبة عليها بحسب مساحة كل أرض منها وكان الناس قديماً يبتهجون بهذه الطريقة لانصافها وعدالتها . ومن كلام العامة في دمشق حتى اليوم : الحمل على الروك خفيف . وقوله لاشين (المنصور) صوابها (المنصوري) لأنه كان مملوكاً للملك المنصور قلاوون لا أنه هو المنصور .

ج ١٠١/٦

● أسفل الصفحة التعليقة رقم ١ : وانظر معظم قبائل العرب .

ـ خطأ مطبعي والصواب معجم قبائل العرب .

ج ٢١٤/٦

● جاء في ترجمة ابن جبير في تمداد كتبه : « وجد الجوانح في تأبين القرن الصالح » مجموع ما رثى به زوجته أم المجد .

ـ الصواب : في تأبين القرين الصالح .

ج ٢١٧/٦

● ترجمة محمد بن أحمد بن محمد الموصلي الحنبلي أبو عبد الله معروف بشعلة المتوفى [٥٥٦ هـ] ويقال له ابن الموقع ، فاضل له علم بالقراءات وغيرها ، كان أبوه موقعاً عند (خير بك) كافل حلب وهاجر محمد إلى القاهرة بعد زوال الدولة الجركسية وتوفي بالموصل من كتبه (الشمعة المضية لنشر القراءات السبعة المرضية) منظومة رائية في نحو نصف الشاطبية ،

وشرح تصحيح المنهاج لابن قاضي عجلون ، والتلويح بمعاني أسماء الله الحسنى الواردة في الصحيح ، والفتح لمغلق حزب الفتح وهو شرح لحزب أستاذه أبي الحسن البكري ، وكنز المعاني في شرح حرز الأماني - خ - وشرح للشاطبية في القراءات و (المنقود - خ) قصيدة في النحو .

- الصواب : هذا ما جاء في كتاب الأعلام ولكن هذه الترجمة فيها كثير من الأغلاط والاختباط فقد جمع لشخصين مختلفين في الزمن والعصر وجعلها ترجمة واحدة ونسب إليها مؤلفات ليست المترجم ونحن نترجم كل واحد على حدة ليتضح الفرق بينها وتظهر على الصحة أسماء كتب كل منهما وليتلخص من هاتين الترجمتين ما يتناسب مع أسلوب الأعلام .

ترجمة شعلة الموصلي الحنبلي

من شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٨١ سنة ٦٥٦ :

وفيها : الإمام شعلة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسين الموصلي الحنبلي المقرىء العلامة شارح الشاطبية ، قرأ القرآن على أبي الحسن علي بن عبد العزيز الأربلي وغيره وتفقه وقرأ العربية وبرع في الأدب والقراءات وصنف تصانيف كثيرة ونظم الشعر الحسن قال الذهبي : كان شاباً فاضلاً ومقرئاً محققاً ذا ذكاء مفرط وفهم ثاقب ومعرفة تامة بالعربية واللغة وشعره في غاية الجودة ، نظم في الفقه وفي التاريخ وغيره ونظم كتاب الشمعة في القراءات السبعة وكان مع فرط ذكائه صالحاً زاهداً متواضعاً كان شيخنا التقي المقصاتي يصف شمائله وفضائله ويثني عليه وكان قد حضر بحوثه . وقال ابن رجب له تصانيف كثيرة أكثرها في القراءات منها شرح الشاطبية وكتاب الناسخ والمنسوخ ، وكلامه فيه يدل على تحقيقه

وعلمه وله كتاب فضائل الأئمة الأربعة - قال الذهبي : توفي بالموصل وله ثلاث وثلاثون سنة رحمه الله . انتهى كلام صاحب الشذرات .

وإليك ترجمة ابن الموقع الذي اختلطت ترجمته ومؤلفاته بترجمة شعلة الموصلي لتظهر صحة نسبة مؤلفاته وترجمته منقولة من در الحبب ج ٢ ص ١٦١ .

محمد بن أبي الوفاء

الشيخ كمال الدين المصري الأصل ، الحلبي المولد ، الشافعي الصوفي المقرىء المعروف بابن الموقع ، لأن أباه ، وكان أسلميا ، كان موقعاً عند (خير بك) كافل حلب ، ولما انهدمت الدولة الجركسية هاجر الشيخ كمال الدين إلى القاهرة وجدّ في طلب العلم النقلي والعقلي حتى وجد فأخذه رواية ودراية عن جماعة ، منهم من علماء الطريق صاحب الكرامات أبو السعود الجارحي ، وأزهد أهل زمانه سيدي محمد بن عراق الدمشقي ثم المكي ، وصاحب الحال ابن مرزوق اليمني .

ومنهم : القاضي زكريا الأنصاري ، والشرف عبد الحق السنباطي والسيد الشريف كمال الدين محمد [ابن حمزة الحسيني الدمشقي ، والشيخ كمال الدين الطويل والمسند المقرىء أمين الدين محمد] بن أحمد إمام وخطيب جامع الفخري بالقاهرة ، والدلجي ، والصاني ، وأبو الحسن البكري .

وألف كتباً منها : (شرح تصحيح المنهاج لابن قاضي عجلون) وقد شهد له أبناء عصره في مذهبه بأنه عالي الذروة في التحقيق ، ومنها : (الشمعة المضية بنشر قراءات السبعة المرضية) و (التلويح بمعاني أسماء الله الحسنى الواردة في الصحيح) و (الفتح لمغلق حزب الفتح) وهو

شرح وضعه على حزب أستاذه أبي الحسن البكري ، وله رسالة سماها (الهام الفتاح بحكمة انزال الأرواح من عالمها العلوي وبثها في الأشباح) وله (الحكم اللدنية والمنازلات الصديقية الصدقية) .

ج ٦ / ٢٦٠

● قال نقلاً عن كتاب « حل الرموز في عقائد الدروز » إن الحاكم أرسل محمد بن إسماعيل إلى بلاد الشام لنشر دعوته ، فنزل بوادي التيم بالقرب من جبل الشيخ وقتل في وقعة مع التتر سنة ٤١١ هـ

ـ الصواب : الحقيقة ان التتر لم يكن لهم وجود في بلاد الشام قبل سنة ٦٥٨ هـ وفي كتاب « ذيل تاريخ دمشق » للقلانسي سنة ٥٢٢ هـ أن بهرام الباطني حدثته نفسه بقتل برق بن جندل ص ٢٢١ أحد مقدمي وادي التيم بغير سبب بل حباً بسفك دمه فخدعه إلى أن حصل في يده فاعتقله وقتله صبراً ولكن أهل وادي التيم ثأروا لمقدمهم جندل وأوقعوا ببهرام الإسماعيلي في التاريخ المذكور وفلوا جيشه . ويظهر أن في الأمر اختلاطاً وعدم تمييز بين الدروز وبين الإسماعلية .

ج ٦ / ٢٧٥

● جاء في ترجمة محمد بن بدر الدين بن عبد القادر بن بلبان « أن له كتاباً اسمه اخصر المختصرات – خ »

ـ الصواب : أن هذا الكتاب طبعه في دمشق وعلق عليه الأستاذ المرحوم الشيخ عبد القادر بدران سنة (١٣٣٩ هـ)

ج ٦ / ٢٧٣

● ورد في ترجمة ابن جابر التباني اسم بطليموس العالم اليوناني الشهير

وكتابته بهذه الصورة مما عمّ الخطأ بها من أكثر الكتاب والأدباء المعاصرين

– الصواب : كتابتها بتقديم الميم على الياء وقد راجعت عدداً من الكتب العربية المطبوعة قبل ستين عاماً كعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة وكتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي فلم أجدها إلا بتقديم الميم على الياء . وإن الأستاذ نلينو العالم الإيطالي الشهير كرر هذا الاسم كثيراً في محاضراته في علم الفلك ولم يثبته إلا كما صححناه . وقال الأستاذ محمد كرد علي في تعليقه على أخبار حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي ص ٥٣ نقلاً عن تحقيق نلينو عن المعجم الفلكي قال : الميم في « بطلميوس » قبل الياء .

ج ٦ / ٣٣٥

● وجاء في ترجمة عين الملك أنه ولي نيابات المحاكم في الصالحية والميدان وجبة عسال (من أحياء دمشق)

– والصواب : انها ليست من أحياء دمشق وإنما هي قرية نائية في جبل قلمون تبعد عن دمشق (٧٠) كم ويسمونها أيضاً جبة العسال ، ورد ذكرها كثيراً في كتب التاريخ بأنها كانت مركز قضاء ؛ أي كان فيها قاضٍ يحكم بين الناس ويجري العقود من بيع وشراء وزواج وأمثال ذلك .

أما الجبة التي في دمشق فهي تسمية جديدة منذ عشرين سنة فقط وأصلها أن رجلاً من الجبة يملك بستاناً قرب مسجد الشيخ محيي الدين ابن عربي فسمى الناس هذا البستان بستان الجبة ثم قسم أقساماً وجعل دوراً فصار الناس يسمون تلك الجهة بالجبة .

ج ٦ / ٣٤٥

● جاء في ترجمة محمد الخالدي : ونصب شيخاً للمولوية

ـ الصواب : انه لم ينصب شيخاً للمولوية وإنما زاحمهم على هذه المشيخة لأمور مادية (وكان شديد الفقر) وانضم إليه جماعة من المولوية رأسوه عليهم ثم ضايقه المولويون الذين زاحمهم وخطفوا كلاهه عن رأسه وهو ماش في الطريق والزموه تركها .

ج ٦ / ٣٥٨

● جاء في ترجمة محمد راغب باشا بأنه عين والياً في الشام وأميراً للحج .

ـ الصواب : انه لم تتم هاتان الوظيفتان فقد استدعي وهـو في الطريق إلى الآستانة قبل وصوله إلى الشام وعين صدراً أعظم في الاستانة (قاموس الأعلام لشمس الدين سامي ، وأعلام النبلاء للطباخ ٣ / ٣٣٢)

ج ٦ / ٣٦١

● جاء في ترجمة محمد رشيد رضا أنه زار بلاد الشام واعترضه في دمشق وهو يخطب على منبر الجامع الأموي أحـد أعداء الإصلاح فكانت فتنة .

ـ الصواب : انه لم يكن يخطب على منبر دمشق وإنما كان يتكلم في الإصلاح على كرسي ككرسي الوعاظ ، ومثل هذه التهمة نسبت إلى الإمام أحمد بن تيمية بأنه كان يخطب على المنبر والحقيقة أنه كان يتكلم في مسائل دينيـة على كرسي ككرسي الوعاظ الذي يكون عادة في المساجد .

في الجزء السابع

ج ٧ / ١٩٥

● جاء في ترجمة محمد علي حشيشو أنه ذهب إلى القصير على مقربة من حماة فتوفي فيها .

ـ والصحيح أن تكون على مقربة من حمص لأن القصير على مقربة منها من جهة دمشق . وسألت بعض العارفين من أهل حماة هل يوجد قربها مكان يدعى بالقصير ؟ فأجابوا بالنفي .

ج ٧ / ٧٥

● جاء في ترجمة محمد بن علي الحكيم أنه أنشأ المدرسة الريحانيه بدمشق

ـ والصواب : ان الذي انشأها هو الشيخ عبد الجليل الدرا وَوَضَعَ لها مديراً فخرياً الشيخ الطيب ، أما محمد بن علي الحكيم فكان معلماً في هذه المدرسة .

ج ٧ / ٢٤٣

● جاء في ترجمة الفارابي : لا يحفل بأمر مسكن أو مكسب .

ـ والصواب : لا يحفل بأمر مسكن أو ملبس .

في الجزء الثامن

ج ٨ / ٤٣

● جاء في ترجمة كشاجم مايلي : ... ومن أجل كتابه الأخير

ـ والصواب : ومن أجلّ كتبه كتابه الأخير . وهذا خطأ مطبعي .

ج ٨ / ٣٨

● وجاء في ترجمة محمود بن أحمد العيني مايلي :

وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون

– والصواب : ونظر الأوقاف ولعلّ المؤلف نقل عمن قرأ في ترجمته و « نظر الاحباس » والمراد بها الأوقاف فظن أنها السجون

ج ٨ / ١٦١

● وقبلها بصفحتين أعلى رسم فوق رسم معروف الرصافي :

اللهم العن بني عبيد أعداءك وأعداء بيتك

– والصواب : واعداء نبيك ولا معنى لبيتك هنا . ورقم هذا الرسم (١٣٩٢)

في الجزء التاسع

ج ٩ / ١٨٥

● جاء في ترجمة يحيى بن شرف النووي أن من تآليفه كتاب منار الهدى في الوقف والابتدا – تجويد – (مطبوع) .

- والصحيح أن كتاب منار الهدى هو من تصانيف أحمد بن محمد الأشموني كما في معجم المؤلفين لكحالة ٢ / ١٢١

ج ٩ / ٣١١

● وجاء في ترجمة يوسف بن طاهر الخُوَيّي نقلاً عن الانساب للسمعاني: « وظني أنه قتل في وقعة العرب بطوس سنة ٥٤٩ أو قبلها بيسير »

– الصواب : الغُزّ لأنه لم يكن في طوس عرب حتى يعملوا فتنة ؛ والغُزّ نوع من الترك خرجوا في هذا العصر فخربوا البلاد وقتلوا العباد وفعلوا نحواً مما فعله التتار . قال ياقوت في معجم البلدان في مادة نيسابور: « أصابها الغُزّ في سنة ٥٤٨ بمصيبة عظيمة حيث أسروا الملك

سنجر وملكوا أكثر خراسان وقدموا نيسابور وقتلوا كل من وجدوه واسْتَصْفَوْا أموالهم حتى لم يبق فيها من يُعْرَف وخربوها وأحرقوها » اهـ .

ـ يقول صاحب التصحيحات :

إنهم دخلوا إلى بلاد عديدة من إيران ووصلوا إلى الجزيرة وكادوا يدخلون الشام لولا أن تجمعت ملوك الشام وردوهم على أعقابهم وقد قتل في فتنتهم عدد كثير من العلماء وكانوا تبشيراً وارهاصاً بظهور التتار .

ح ٩ / ١٠٦

● وجاء في ترجمة هنري سوفير أنه عين قنصلاً في بيروت ، له كتابات عن الشرق منها طرفة في خطط الشام ووصف أبنيتها .

ـ والصواب : أنه ترجم كتاب مختصر تنبيه الطالب للعلموي وأضاف إليه منتخبات من كتاب عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي .

وهنا ينتهي ما تهيّأ لنا من التصحيحات راجياً من ذوي الفضل التعليق عليها فيما التوى به القلم ، والله ولي المتقين .

دمشق محمد أحمد دهمان

الكنى والألقاب والأسماء عند العرب
وما انفردت به اليمن

القاضي إسماعيل بن علي الأكوع

شاع عند العرب استعمال الكنى[1] وكادوا ينفردون بها دون غيرهم ، ويستأثرون باستعمالها في أحاديثهم ومخاطبتهم بعضهم بعضاً حتى صار من دواعي الفخر والإعجاب ومازال في بعض الأقطار العربية أن يكنى الرجل بولده فيقال مثلاً لمن له ولده اسمه عبد الله ، يا أبا عبد الله ، وللمرأة : يا أم عبد الله . وإذا لم يكن الرجل ولد يُكنى به فانه يُكنى باخيه ، وكذلك المرأة ، كما حكى الله تعالى في كتابه الكريم ما قاله قوم مريم

(١) الكنى : جمع كنية ، قال نشوان بن سعيد الحميري في شمس العلوم : كنية الإنسان ما يكنى به نحو أبي سعيد ، وأبي بكر ، وأم عمرو ، والمراد بالكنية التنبيه والتعظيم ، وأصل الكنى للعرب تحفة أسمائهم ، وسهولة كلامهم ، فإن نسبوا إلى الكنية نسبوا إلى الاسم الثاني ، فقالوا في النسب إلى أبي بكر : بكري ونحو ذلك ، وكذلك نسب كل مضاف يتعرف بالثاني نحو ابن الزبير ينسب اليه زُبَيري ، فإن كان غير متعرف بالثاني نسبوا إلى الأول نحو عبد مناف وعبد شمس فقالوا : عبدي وربما قالوا : منافي ، وشمسي خشية الالتباس ، وربما بنوا من الاسمين اسماً واحداً فقالوا : عبشمى في عبد شمس ، وعبقسى في عبد القيس ، فإن نسبوا إلى اسمين جعلا اسماً واحداً نسبوا إلى الأخير منها نحو عبد يغوث فقالوا يغوثى .

لها حينما أتتهم بابنها عيسى بن مريم : يا أخت هارون .. الآية[1] وكانت الكنية مشهورة الاستعمال في اليمن ، ولكنها الآن لم تعد مستعملة إلاّ في منطقة (إبّ) وللنساء فقط .

وقد اشتهرت في التاريخ الاسلامي أسماء اقترنت بكُنى معينة ثم صارت تلك الكُنى تطلق على من يتسمى بتلك الأسماء ، وإن لم يكن لهم أولاد يحملون الأسماء التي كانت سبباً للتكني بها ، فمن اسمه محمد يُكنى عادة : أبا القاسم ، وإن لم يكن له ولد اسمه القاسم[2] ، وإبراهيم يُكنى أبا أسحاق أو أبا أسماعيل ، وإسحاق : أبا يعقوب ، وعبد الملك : أبا الوليد ، وزيد : أبا اسامة ، وهلم جرا .

وهناك أسماء تُكنى أحياناً بأسماء آبائها ، فمن اسمه محمد يُكنى أبا عبد الله ، وعمر يُكنى : أبا الخطاب ، وعثمان : أبا عفان ، والحسن والحسين : أبا علي ، وموسى : أبا عمران ، ويوسف : أبا يعقوب ، وأبا الحجاج .

وتوجد أسماء اقترنت بكنى لا تعرف أسباب التكني بها ، وهل جاءت من قبل الآباء أم من قبل الأبناء ؟ أو أن هناك أسباباً أخرى غير معروفة ؟ مثل أحمد فإنه يُكْنى : أبا العباس ، وأسعد ونصر : أبا الفتح أو أبا عمر ، وأيوب : أبا الخير ، والحسن : أبا محمد أو أبا السعود ، وسليمان : أبا الربيع ، وطاهر : أبا الطيب ، ومُسَلَّم :

---

(١) سورة مريم ٢٨

(٢) الألف واللام التي تدخل على بعض أسماء الاعلام كالحسن والحسين والعباس والقاسم والمحسن والمطهر ، وكذلك السيدة — كالسيدة بنت أحمد الصليحي زوج الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي — تسمى أل التحليَة .

أبا الغمر ، ونجيب : أبا الهيجاء ، ونشوان : أبا سعيد ، والنعمان : أبا عبد الله .

وثمة أسماء تكنى بأسماء القبيلة أو العشيرة أو الرهط مثل شعيب فانه يكنى : أبا مدين . وبعض الأسماء تُكنى بصفاتها مثل أبي بكر فأنه يُكْنى : أبا العتيق ، وابراهيم : أبا خليل ، وإسماعيل : أبا الفدى ، وعلي : أبا تراب ، وعمر : أبا حفص .

أما الألقاب فلم يكن للعرب بها اهتمام أو التفات ، ولم تظهر فيهم الا منذ بداية الدولة العباسية بعد اختلاطهم بالفرس وغيرهم من الأمم التي كانت تمجد السلطان وتعدّه ظل الله في أرضه ، فكان لخلفاء بني العباس ألقاب أطلقوها على أنفسهم مثل السفاح ، والمنصور ، والهادي ، والمهدي ، والرشيد ، والأمين ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ، والمستنصر ، الى غير ذلك من الألقاب التي يطول ذكرها . وسار على نهجم الامويون في الأندلس ومن أتى بعدهم من ملوك الطوائف ، حتى انتهى أمر الألقاب في عهد ملوك الطوائف الى أن صارت موضع سخرية ومجال استهزاء على حد قول شاعرهم ، الحسن بن رشيد القيرواني :

مما يزهدني في أرض أندلس ... أسماء معتضد فيها ومعتمد
أسماء مملكة في غير موضعها ... كالهرّ يحكي انتفاخاً صولة الاسد

وكان أكثر من استعمل الألقاب في الممالك الاسلامية هم ملوكُ بني بويه ، والفاطميون ، والأيوبيون ، والمماليك ، وسلاطين آل عثمان . وكذلك أمراؤهم ووزراؤهم ورجال دولتهم ، فقد أسرف هؤلاء جميعاً في حمل الألقاب حتى غدت لهم كالأغلال لا ينفكون عنها .

وإذا ألقينا نظرة على ما استعمل من الألقاب في اليمن لوجدنا أن ملوكها وائمتها كانوا مقتصدين في استعمال الألقاب ، ففي عهود ما قبل الاسلام كان لملوك اليمن كما هو مذكور في كتب التاريخ ألقاب تطلق عليهم بحسب مدى نفوذهم وسعة ملكهم ؛ فالملوك الذين كانوا يحكمون ما يعرف باليمن تاريخياً وجغرافياً يلقبون بالتبابعة (جمع تُبَّع) ، والملوك الذين كانوا يحكمون أقاليم من اليمن أو مخاليف منه يلقبون بالأقيال وقيول (جمع قَيْل) أو (عباهل) جمع عبْهل - وكان هذا اللقب الأخير خاصاً بملوك مخلاف حضرموت - وكان مَنْ دون هؤلاء وأولائك في المنزلة والرتبة وسعة النفوذ يلقبون بالأذواء (جمع ذو) مثل (ذو سَحَر) و (ذو يَهَر) و (ذو جَدَن) و (ذو يَزَن) الى آخر هذه الأذواء[1] المعروفة .

وكان الأئمة - وحكمهم في اليمن أطول من حكم غيرهم - غير مهتمين بالألقاب ، فقد كان الإمام إذا ما بويع إماما يختار لنفسه لقباً واحداً فقط ليضاف إلى لقب (أمير المؤمنين) الذي كان في اليمن مقصوراً على الأئمة وحدهم تقريباً . والألقاب المشهورة فيهم[2] هي الهادي ، والناصر ، والمنصور ، والداعي[3] والمهدي ، والمتوكل ، والمؤيد . ولم

(١) ومنهم الأذواء الثامنة من حمير ، قال نشوان الحميري : ولا يصلح الملك لمن ملك من ملوك حمير إلا بهم حتى يقيمه هؤلاء الثانية وإن اجتمعوا على عزله عزلوه . (ملوك حمير وأقيال اليمن - ١٥٧) .

(٢) وهناك القاب غير مشهورة تلقب بها بعض الأئمة مثل المرتضى ، والمختار ، والمعتضد ، والمنتصر ، والمحتسب ، والواثق .

(٣) ويلقب بالداعي أيضاً من يقوم بأمر الإمامة احتساباً إذا خلت البلاد من إمام حتى يتم اختيار إمام تتوفر فيه شروط الإمامة المعتبرة في الإمام الواجب اتباعه .

يكن لقب (صاحب الجلالة) معروفاً عند أئمة اليمن وملوكها إلاّ منذ عهد الأمام يحيى بن محمد حميد الدين حيما أخذ بعض اليمنيين في تقليد بعض الأساليب الحديثة التي أخذها العرب عن الغربيين ، ثم أخذناها منهم بغير تدبر لمعناها ، ولا فهم لمدلولها ، وكان الأمام يحيى بن محمد حميد الدين أول أمام في اليمن أطلق عليه هذا اللقب .

لم يكن لأبناء الأئمة ألقاب خاصة بهم يعرفون بها غير أنه منذ المائة الحادية عشرة بدأ يطلق على من يقود منهم الجيوش لقب (سيف الاسلام) ، ثم أخذ استعمال هذا اللقب في الاتساع حتى صار يطلق على كل من بلغ الحلم من أولاد الأئمة الذكور ، على أنه كان يلقب به نادراً من لم يكن من أولاد الإمام[1]

وظهر في السنوات الأخيرة من حكم الإمامة في اليمن استعمال لقب (صاحب السمو) لأبناء الإمام يحيى ، ثم لقب (أمير) مع أن لقب أمير كان يطلق على قادة الجيوش ، كما كان يطلق أيضاً على الموالي[2] . كذلك فإن مذهب الزيدية في اليمن ، وهو مذهب الأئمة ، لا يقر نظام ولاية العهد ، ولا يأخذ به مطلقاً ، وكان الأئمة يتحاشون أن يؤثر عنهم ذلك لأن من أعظم الأشياء التي نقموا من معاوية بن أبي سفيان سَنَّه ولايةَ العهد في الاسلام وأخذه البيعة لولده يزيد بن معاوية ، وجعْلَ الخلافة والإمامة العظمى وراثية حتى صارت الخلافة ملكاً عضوضاً ، مع أن بعض

(١) مثل سيف الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين (١٢٧٧ — ١٣٥٣هـ) .

(٢) مثل الأمير الماس المتوفى سنة ١١٧٣ مملوك للإمام المهدي العباس ، والأمير صمصام والأمير عنبر ، وهما مملوكان للإمام يحيى حميد الدين .

الأئمة كانوا يورثون الإمامة في أعقابهم ، وكان يتم ذلك بصفة غير معلن عنها بأن يتفق بعض من العلماء أو كثير منهم مع أعيان البلاد على اختيار ابن الإمام ليكون خلفاً لأبيه الإمام بعد وفاته تحقيقاً لرغبة الإمـام في انتقال الإمامة إلى ابنه وذلك بأن يلزم ابنه بالتقرب إلى العلمـاء ووجهاء البلد ويتودد اليهم ويغدق عليهم العطايا حتى يستميلهم اليه فيقفوا إلى صفه بعد وفاة والده ، ويقطعوا على الطامعين في الإمامة المتربصين لوفاة الإمام القائم الطريق فلا يكون هناك خيار أمامهم إلا الاعتراف بالأمر الواقع .

وظلت الأمور تسير على تلك القاعدة المتبعة في المذهب الزيدي حتى عهد الإمام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين فأطلق الناس ، لا سيما رجال الدولة وأعيان البلاد ، على ابنه الأكبر الإمام أحمد لقب (ولي العهد) للمرة الأولى في تاريخ الأئمة في اليمن ، وكان الإمام يحيى يظهر امتعاضاً في الظاهر من إطلاق هذا اللقب على ابنه ، ويمحوه من الأوراق التي تقدم اليه حتى لا يتهم بأنه نقض القاعدة الزيدية وخالف طريقة آبائه ، ولكنه كان راضياً في قرارة نفسه بأن يكون ابنه إماماً بعده ، حتى انه لم يعترض ولم ينكر على بعض من قام من رجال دولتـه بمبايعة ابنه أحمد ليكون بعد وفاة والده إماماً .

فلما ولي الإمام الناصر أحمد بن يحيى حميد الدين الأمر بعد مقتل أبيه سـنة ١٣٦٧ هـ خرج عن القاعدة المتبعة ووافق على طلب من بعض العلماء وأعيان البلاد بأن يجعل ابنه محمداً البدر ولياً لعهده ، كما وافق على أخذ البيعة له من علماء اليمن ورؤسائها نكاية باخوته الذين كانوا غير راضين عن الإمام أحمد نفسه في أن يكون إماماً — لولا مقتل الإمام يحيى سنة ١٣٦٧هـ وقيام الإمام الهادي عبد الله بن أحمد الوزير إماماً ، الأمر الذي جعل

إخوته يضعون أيديهم في يده مبايعين له بالإمامة خوفاً من خروج الإمامة من أيديهم لو استمروا في منازعتهم ومنافستهم له .

أما بالنسبة للبدر فقد كان إخوة الإمام أحمد مجمعين على عدم صلاحه للإمامة . ولكن قوة نفوذ الإمام أحمد في القبائل والجيش وبين العلماء أفسح المجال أمام ابنه وقضى على معارضيه من إخوته فخلا له الجو .

وكان البدر أول إمام يتم مبايعته إماماً في عهد والده ليخلفه بعد وفاته وآخر إمام في تاريخ الإمامة في اليمن ، إذ لم يدم حكمه إماماً بعد موت والده سوى بضعة أيام فقط . ثم قامت حركة الجيش صبيحة يوم الخميس ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢ الموافق ٢٦ أيلول سنة ١٩٦٢ فأطاحت بالنظام الملكي وأحلت محله النظام الجمهوري .

وأما الملوك الصليحيون فكان لقبهم الشائع فيهم والذي يطلق على كل قائم منهم هو (الداعي) بيد أن الرسائل التي كانت توجه إليهم من المستنصر الفاطمي كان يتصدرها عدد كبير من الألقاب الفخيمة [١] كما أنهم كانوا يكتبون رسائلهم إلى المستنصر فيغدقون عليه الألقاب الكثيرة .

وفي عهد بني أبي أيوب كانت ألقاب توران شاه حينما قدم إلى اليمن حاكماً لها (السلطان المعظم شمس الدين) ثم خلفه في ولاية اليمن أخوه طُغْتَكين بن أيوب فكان يطلق عليه (الملك العزيز سيف الاسلام) وفي معجم الألقاب لابن الفوطي: سيف الاسلام العزيز أبو الفوارس طُغْتَكين بن أيوب بن شاذ الدويني ملك اليمن)[٢].

(١) يمكن الرجوع إلى كتاب «الصليحيون والحركة الفاطمية» للدكتور حسين الهمداني ففيه عدد من الرسائل ذكرت في ملاحق الكتاب .

(٢) الجزء الرابع القسم الأول ص ٤١٦ .

وكان ملوك بني رسول يلقبون أولادهم بألقاب تطغى على أسمائهم وتقرن بلقب (الملك) فإذا ما ولي أحدهم الملك أضيف إليه لقب (السلطان). والألقاب المتداولة فيهم هي : المنصور ، المظفر ، الأشرف ، المؤيد ، المجاهد ، الأفضل ،الناصر ، الظاهر ، المفضل ،الفائز ،المسعود. وكان يطلق على كبار رجال دولتهم (الأمير) مثل الأمير شمس الدين علي بن يحيى العنسى والأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن رسول .

وفي عهد ملوك بني طاهر كان يقال لهم السلطان . والألقاب التي تلقبوا بها هي : المنصور ، والمجاهد ، والظافر .

وإذا تجاوزنا حدود ذوي الشأن من الأئمة والملوك والسلاطين والأمراء والوزراء الذين كانوا يرفلون في سرابيل الألقاب السابغة الفضفاضة إلى من عداهم من الفقهاء والعلماء ورجال الفكر والأدب نجد أن لكل اسم لقباً يعرف به ، وقد يشترك في اللقب الواحد اسمان فأكثر . وقد تتبعت ماورد من الألقاب المستعملة عند اليمانيين في كتب الطبقات والتراجم والأسماء التي تطلق عليها فرأيت انها لاتخرج عن دائرة ما هو مذكور هنا :

بدر الدين : يطلق على إبراهيم .

بهاء الدين : يطلق على محمد .

تاج الدين : يطلق على زيد .

تقي الدين : يطلق على عمر ، وعلي ، وعمران .

جمال الدين : يطلق على محمد ، وطاهر ، وشعبان .

حسام الدين : يطلق على حميد ، كما يطلق على حميد أيضاً محيي الدين .

رضي الدين : يطلق على أبي بكر .

شهاب الدين : يطلق على أحمد .

صارم الدين : يطلق على داود .

ضياء الدين : يطلق على بشر .

عز الدين : يطلق على عبد العزيز .

عفيف الدين : يطلق على عبد الله ، وعبدالرحيم ، وعبد اللطيف ، ومسعود

غياث الدين : يطلق على أحمد ، لطف .

نظام الدين : يطلق على من اسمه علي .

وجيه الدين : يطلق على من اسمه عبد الرحمن ، وهبة الله .

ولي الدين : يطلق على من اسمه عبد الولي .

ومنذ المائة الحادية عشرة تحدد في اليمن إطلاق بعض الألقاب على أسماء بعينها فصار استعمالها مقصوراً عليها ، فكان يطلق جمال الدين أوجمال الإسلام على من اسمه علي ، وحسام الدين أو حسام الإسلام على من اسمه محسن ، وشرف الدين أو شرف الإسلام على حسن أو حسين،وصارم الدين أو صارم الإسلام على إبراهيم ، وصفي الدين أو صفي الاسلام على أحمد،وضياء الدين أوضياء الإسلام على إدريس وإسحاق وإسماعيل ويعقوب ويوسف وغيرهم من أسماء الأنبياء ما عدا إبراهيم ومحمد . وعز الدين أو عز الاسلام [1] على من اسمه محمد [2] ، وعلم الدين أو علم الاسلام يطلق على من اسمه القاسم، وفخر الدين أو فخر الإسلام على من اسمه عبد الله .

---

(١) يطلق أحياناً العزّ من دون إضافة (الدين او الإسلام) على من اسمه محمد ولو لم يكن من طبقة العلماء أو الفقهاء او من طبقة السراة . وقد يصبح كالعلم فلا يعرف إلا به . وكذلك الصفيّ لأحمد .

(٢) يلقب محمد بالبدر إذا كان من العلماء الكبار كالبدر محمد بن إسماعيل الأمير .

كان العلويون منذ مجيئهم إلى اليمن يلقبون بالأشراف حتى المائة الحادية عشرة أي إلى زمن الامام القاسم بن محمد ،ثم استبدل السيد بالشريف في جميع مخاليف اليمن ما عدا مناطق الجوف ومأرب وبيحان وحضرموت فإن لقب (الشريف) ظل استعماله شائعاً فيها حتى اليوم .

ويقال : إن أول من سَنّ استعمال (السيد) أو (سيدي) (١) هو القاضي أحمد بن سعد المسوري (٢) . ومنذ زوال النظام الملكي سنة ١٣٨٢ ﻫ — ١٩٦٢ م الذي كان حريصاً على بقاء الفوارق الطبقية بدأت هذه الألقاب تختفي شيئاً فشيئاً لاسيما في صفوف الشباب الذين صار يدعو بعضهم بعضاً بالأسماء المجردة من جميع الألقاب .

كان يطلق لقب الفقيه على العلماء المبرزين في الفقه ،ثم اختص به العلماء من غير العلويين، ثم انحدر مستوى هذا اللقب حتى صار يطلق على فقهاء البوادي الذين لا يعرفون من الفقه إلا المسألة والمسألتين وكان القاضي يطلق على من يتولى القضاء، ثم اختص به من يتولى القضاء من غير العلويين ،ثم صار يتوارث في أولادهم إذا كانوا فقهاء وعلماء وإن لم يتولوا القضاء . ثم انحدر إلى أن صار يتلقب به من بلغ الحلم من أولادهم وإن لم يكن لهم أي صلة بالعلم (٣) . ولكن هذا العرف بدأ يزول ويختفي .

---

(١) جاء في سيرة الإمام الهادي يحيى بن الحسين صفحة ٥٣ ان رجلاً قال له : جعلت فداء للسيد ، فقال له الهادي : لا تعد تقول هذا مرة اخرى فإنما السيد الله وإنما انا عبد ذليل ، فقال له رجل ممن حضر المجلس : جعلت فداك قال الله : وسيداً وحصورا ، فقال : نعم ولكن لا أحب ان يقال لي هكذا .

(٢) ويقال انه هو الذي حصر اطلاق لقب سيف الإسلام على اولاد الإمام فقط .

(٣) ذكر ابن سمرة في ترجمة عمر بن عبد الله المعروف بابن عقبة أنه كان يعرف بالقاضي استصحاباً لبقاء الاسم على عادة الناس يسمون القاضي بأهله ، وكذلك الفقيه وإن كانوا عواماً . « العقد الفاخر الحسن» .

ألقاب رؤساء القبائل والعشائر

يدعى رؤساء قبائل اليمن وزعماء عشائرها بالشيخ في جميع مناطق اليمن ما عدا رؤساء قبائل بكيل، مثل زعماء قبائل خولان ونِهْم والجوف وبَرَط فإنهم يدعون بالنقيب، وكذلك يُدعى بالنقيب بيت (أبو مِفْلِح) من بيت (زُوْد) من الكَلْبِيِّين من خارف، وبيت الجشمي عشار من الثلث الضحياني من خارف من قبيلة حاشد.

ويطلق (العاقل) على من دون ذلك مثل كبير القرية. كما يقال لمن يترأس مجموعة من أفراد القبائل تقوم بالخدمة العسكرية في غير منطقتها (عريفة).

ديباجة الرسائل

كانت الرسائل التي توجه من شخص إلى مثله في الدرجة والسن تبدأ بلقب الصنو أو الأخ، وإذا كان المرسل إليه أصغر سناً فيكتب إليه: الولد، وإن كان أكبر فيكتب إليه: الوالد، ثم يأتي بعدها موضوع الرسالة. فإذا كانت موجهة إلى عالم فيكتب إليه: الصنو العلامة، البدر الفهامة، علامة نجد وتهامة، فلان ابن فلان حفظه الله وأبقاه وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحفظ الله مولانا أمير المؤمنين وأيد به الدين. وأحياناً يقال: والله يحفظ الإمام، ويشد أزره بأنجاله الكرام. صدورها ... الخ.

ثم يأخذ في كتابة موضوع الرسالة، وفي نهاية الرسالة يكتب: والسلام مسك الختام. ثم: التوقيع وهو مكوّن عادة من اسم المرسل واسم أبيه وأحياناً اسم الجد. ويكتب قبله: من الحقير إلى الله أو من المملوك، بحسب

درجة المرسل إليه ، ثم يعقب التوقيع بالدعاء لنفسه بأن يكتب : عفا الله عنه أو سامحه الله أو وفقه الله .

وهناك نموذج آخر : الصنو العلامة عزّ الهدى ، وبدر الدجى ، الأخ ضياء الاسلام ، وبدر الليالي والأيام . ونموذج آخر : الأخ العلامة الفهامة بدر سماء الكمال نبراس النبلاء الفخام ، وزينة الاجلاء الكرام .

وكان يكتب إلى الأمام :

مولانا أمير المؤمنين ، أيّد الله بكم الدين ، وأعزّ بكم الاسلام والمسلمين . أو نصركم الله ونصر بكم الدين . ثم يكتب الموضوع .

وكان يكتب لأولاد الامام :مولانا سيف الاسلام فلان ابن أمير المؤمنين .

ثم صار يكتب إليهم في آخر الأمر : صاحب السمو الملكي سيف الاسلام . وكان يكتب قبل التوقيع : خادمكم المملوك أو عبدكم .

أسماء الأعلام الشائع استعمالها في اليمن:

كثيرة فمنها للرجال:عبد الله ، عبد الرحمن ، عبد الرحيم ، إلى آخر الأسماء الحسنى . محمد ، أحمد ، يحيى ، علي ، حسن ، حسين ، قاسم ، زيد ، إبراهيم، إسماعيل ، لطف ، غالب ، مطهر .

وللنساء : آمنة ، خديجة ، فاطمة ، أمة الله ، أمة الرحمن ، أمة الرحيم، أمة اللطيف ، حسناء ، أسماء ، زينب ، عائشة ، ميمونة ، سُكينة ، تقوى ، تقية ، زبيدة ، آسية ، بلقيس ، أرْوى .

ولكن توجد في بعض المناطق أسماء يكثر استعمالها فيها ولاتستعمل في غيرها إلا نادراً سنذكرها فيما يلي :

في تهامة :

داود ، سليمان ، أبكر ، عمر ، مقبول ، مدني ، مكي ، شامـي ، هارون ، مُكَرَّم ، مُنَوَّر ، مُوَفَّق ، جُنَيْد .

في لواء تعز ولاسيما الحُجَرية :

أنعم ، بجاش ، ثابت ، جازم ، دَبْوان (يكثر استعماله في العُدَيْن وشَرْعَب)، سلطان ، سعيد ، سلام ، سيف ، شاهر ، شايف ، شمسان ، صائل ، عبد التواب ، عبد الجبار ، طاهر ، عبد الحق ، عبد الرؤوف ، عبد الماجد ، عبد الوليّ ، غيلان ، غالب ، فارع ، مقبل ، مكرد ، مهيوب ناشر ، هائل ، هزاع ، عون ، طارش ، طربوش .

في مدينة (ابّ) وتختص بتصغير أسماء الاعلام للذكور والإناث :

فـ : حسن يصغرونه حُسَانى ، وعليّ عُلاية ، وقاسم قُسَامى ، ومحمد مُحَيميد ، وأحمد حُمادى ، وعبد الله عبادى ، وفاطمة فطامى ، وزينب زُنابة ، ولطفية لطافة .

في يافع وأبين ولحج :

قحطان ، شَعْفَل ، نَصْر ، مُعَوض ، عَيْدَروس ، سالمين ، فضل ، عوض .

في لواء البيضاء والمشرق :

عبد ربه ، عبد القوى ، سالم ، مبارك ، عامر .

في حضرموت ويافع :

يَسْلَم ومحفوظ ، كما أن الحضارمة يضيفون إلى أسماء ألقابهم (با) مثل باسلامه ، باعلوى ، باسندوه ، باحُبيشي ، باوزير ، بازرعة ، باشنفر ، بامطرف.

في بوادي ذمار ويريم ورداع :

للذكور :

جُبْران ، حِزام ، سعد ، صالح ، صلاح ، عايض ، عتيق ، قايد ، مِثَنّى ، مِسْعِيد ، مِحِمَّد ، مصلح ، مِقبل ، ناجي ، ناصر .

وللإناث :

بَخيتة ، بَدْرَة ، حِسْن ، دِرَّة ، زَيْنة ، زَهْرة ، سابرة ، سَعدَة ، سَعْدِية ، شَلْعَة ، ضَنينة ، عَتيقَة ، غالية ، غزال ، مُحْصَنَه ، مَسْعوده ، خَيْرِيّه .

أسماء الذكور الشائعة في مدينة ذمار ويريم ورداع وصنعاء وغيرها من مدن الجبال :

حسن ، حسين ، لطف ، مطهر ، يحيى ، محسن .

أسماء الإناث :

آمنة ، أمة الخالق ، أمة الرحمن ، أمة الرزاق ، أمة الله ، تقوى ، تقية ، حسيبه ، حسنا ، حظية ، حفيظة ، حورية ، زكية ، سيدة ، عزية ، لطفية ، مريم ، مَهدِية ويكثر استعماله في ذمار ، ميمونة ، نورية ،

بلاد حاشد وبكيل :

أسماء الذكور :

دَحّان ، دِرْهم ، راجح ، سِرْحان ، صادِق ، عزيز ، عَشْكر قَنّاف ، مانع ، مَبْخُوت ، مجاهد ، مُحُمّد ، مِطيع ، مِشْلي ، مِفْلِيح ، مِلْهِي ، مِنَصّر ، مَهدِي ، نايف ، هادي .

أسماء الإناث :

زهراء ، صالحة ، عزيزة ، غالية ، مِقْبِلَة .

الأسماء الشائعة في بلاد صعدة وفي خولان بن عامر ورازح بصورة خاصة للذكور :

بَجْنان ، بُوْمي ، تُرابي ، جِبْع ، جُبْر ، جُدَم ، جَرْبَع ، جِرشاب ، جَعْبور ، جعْدار ، جِمْري ، جَمْوَر ، جَمَّاخ ، حامس ، حُجْمي ، حيدْبُور ، حَماطي ، حِمْباص ، حُنين ، دُحْوُه ، دِرْدِح ، دُغَيْم ، دِعْبُوش ، دَنْدَل ، ذِبْان ، زِعْطوط ، شِفْلوت ، ضَبْمان عَبْسي ، عُلْقوس ، عَلُوط ، عُمْلوس ، عُمَيْش ، عِناص ، عنْجَره عَوض ، عيضه ، فَقُوع ، قاشي ، قُرْب ، قُرْحُوش ، قِشي ، قَصُوع ، قُمْفي ، كبَح ، كُرات ، كُرْمان ، مِرْباق ، مُسَيَب ، مُشَبَّب ، مِشْكاع ، مُغَبَّش ، مُكواس ، مِكْيال ، مِلْفِي ، مَوْجَعه ، نِشْوي ، وُرّي ، وكَيب .

أسماء الإناث :

جَمْنة ، حاميَة ، حِنَيْشة ، دَشْنَة ، دَوْشَة ، رادعة ، سابرة شايقة ، صافية ، ضَيْفَة ، عِنْصِيَة ، عجبة ، غُبْرة ، مجبة ، مِحْنِقَة ، مخافة ، مِسْرعة ، مِسْفرة ، مِعْجلة ، مِغْبِشة .

أسماء مابعد ثورة سنة ١٣٨٢ (١٩٦٢)

وقد ظهرت أخيراً أسماء غير عربية الاستعمال وإن كانت عربية الألفاظ انتشر استعمالها في اليمن منذ سنوات وهي من الأسماء الشائعة في مصر والشام

فإذا استحسن الأب أو الأم أو كلاهما اسماً من الأسماء لا سيما إذا كان اسم ممثل أو ممثلة أو مطرب أو مطربة ورزقا مولوداً سمياه باسم مطربهما أو مطربتهما المفضلة .

فمنها للذكور مثلاً :

فريد ، فؤاد ، نبيل ، فائز ، عادل ، سمير

والإناث :

منى ، سلوى ، سهام ، نبيلة ، إلهام ، آمال ، فايزة ، فوزية ، سعاد ، حنان ، سميرة ، فيروز ، نجاة ، سامية ، صباح ، أسمهان .

صنعاء إسماعيل الأكوع

التعريف والنقد

شرح أبيات سيبويه

المنسوب إلى أبي جعفر النحاس

— ١ —

الدكتور محمد خير الحلواني

لم تعرف المكتبة النحوية المعاصرة من تراث أبي جعفر غير كتيّب صغير هو (التفاحة) وكتاب جليل هو (شرح القصائد التسع المشهورات)، على الرغم من غزارة ما تركه في تاريخ هذا العلم وتوفر بعض كتبه في مكتبات العالم أهمها : إعراب القرآن، ومعاني القرآن، والوقف والائتناف، وشرح أبيات سيبويه، وهو غير هذا الكتاب الذي نتحدث عنه.

على أن المطبعة العربية قد دفعت منذ أربع سنوات كتاباً جديداً موسوماً بالعنوان : (شرح أبيات سيبويه)، منسوباً إلى أبي جعفر النحاس وما أشك في أن أبا جعفر بريء منه، لأسباب كثيرة سأعرضها في بحث آخر، وأكاد أقطع بأنه ملفق من مصدرين قديمين، أولهما مصدر كوفيّ قديم أرجح أن يكون مختصر الكسائي أو حدوده، والثاني بصري يلتصق

بكتاب سيبويه ويتابعه في إستطراداته التوضيحية ، لعله كتاب المختصر لأبي عُمَر الجَرْمي .

وإذن ، ليس الكتاب شرحاً لأبيات سيبويه كما يوهم عنوانه ، وليس لأبي جعفر النحاس ، ولكنه في بدايته كتاب نحوي مستقل ، ينحو في مصطلحاته ومذاهبه نحواً كوفياً صِرْفاً ، ويختصر في قسمه الثاني كتاب سيبويه اختصاراً مشوهاً رديئاً ، ويُعنى بشواهده ولكنه لايلتزم في شرحها ما يلتزم عادة في كتب الشواهد .

لقد طبع الكتاب في مدينة حلب سنة ١٩٧٤ ، بتحقيق الدكتور أحمد خطاب التكريتي ، رئيس قسم اللغة العربية في جامعة الموصل ، وهو ممن عُنُوا بأبي جعفر النحاس ، وتوفروا على تحقيق كتبه ودراستها ، فقد أخرج له كتابه الثمين (شرح القصائد التسع المشهورات) ، كما حقق كتابه (القطع والائتناف) ، وهذا لم يطبع بعد .

غير أن الدكتور الخطاب لم يُتَحْ له أن يشرف على طباعة الكتاب ، ومن أجل ذلك وقع فيه من الزلات ما شوه نصه في كثير من المواضع ، وأضاف إلى ما ارتكبه الناسخ أو الملفق له اضطراباً في العبارة يحسن بنا أن ننبه إليه ، في هذه المقالة الموجزة ، حفظاً لنصوص التراث ، وحرصاً على صحته .

١ — جاء في الصفحة ٦ ما يلي : « وقال آخر :

مالي إذا ذو أرمي من وراء حجا كما توقي من ذي العزة الحرب »

وصواب الرواية :

مالي أذادُ وأُرْمَى من وراء حجا كما توقي من ذي العَرَّة الجَرِب

٢ – وجاء في الصفحة ٧ «وقال آخر :

وأيقن أن الخيل إن تلتبس به يكن لفسيل النخل بعده' آبرُ »

والصواب : يكن لفسيلِ النخل .

٣ - وجاء في الصفحة (٩) : «وقال :

أقول إذا خرت على الكلكال ياناقتي ما جلت من مجال »

والصواب : أقول إذ خرت ...

٤ – وجاء في الصفحة ١٥ : «وقال زهير :

ومن يعصِ أطراف الزّجاج فإنه مطيعِ العوالي رُكبتْ كل لَهذَم »

والصواب : يُطيعُ العوالي . لأن الشاهد إنما هو جواز تسكين ياء المنقوص في حال النصب في ضرورة الشعر ، وعلى هذا لاتصح (مطيع) هنا ، لأنها تحيل مابعدها إلى أن يكون مجروراً بالإضافة ، وتسكين ياء المنقوص في حال الجر هو وجه الكلام وقياسه ، فإذا صحت روايةً ، لم تَصِحَّ شاهداً .

٥ - وجاء في الصفحة ١٦ : «وقراءة ابن مسعود : لا تخَفْ دركاً ولا تَخْشَ » .

والصواب : ولاتخشى . وهي موضع الشاهد ، لأن الحديث عن المعتل الذي يجري في الضرورة الشعرية مجرى الصحيح ، وعن لهجات العرب فيه ، وقد حشد المؤلف شواهد كثيرة على هذا ، مثل : «ألم يأتيكَ والأنباء تنمي ... » ومثل : «منْ هجْو زبانَ لم تهجو ولم تدعِ .. » ثم احتج بقراءة ابن مسعود : ولاتخشَى .

٦ – وجاء في الصفحة ٢٢ : وحد آخر من (كان) قال الأسود ابن يعفر أبو الأسود » .

والصواب : قال أبو الأسود ، بإسقاط (الاسود بن يعفر)

٧ – وجاء في الصفحة ٢٢ البيت التالي :

دع الخمر يشربْها الغواةُ فإنني رأيت أخاها مُجْرِماً من مكانها

والصواب : مُجزِئاً ، لامجرماً ، لأن الشاعر – وهو أبو الأسود – يتحدث عن الزبيب ، وينهى غلامه عن شرب الخمر ، ويريه أن الزبيب يغني عن الخمر ويجزىء عنها ، أما (مجرماً) فتحريف وقع من الناسخ ، والغريب أن المحقق أشار في الحاشية إلى الرواية الصحيحة ، ولكنه لم يثبت في المتن اللفظ الصحيح الذي يؤدي المعنى المعقول .

٨ – وجاء في الصفحة ٢٣ شرحُ المؤلف لقول الشاعر :

فِدى لبني ذَهْلِ بن شيبان ناقتي إذا كان يومٌ ذو كواكب أشهبُ

وهو قوله : « ومعنى البيت أنه أخبر أن اليوم الشديدَ في الحرب تفدي بني ذهل بن شيبان أي يدفعون معاوية » .

والعبارة كما ترى مضطربة غير تامة ولا مفيدة ، ولم يشر المحقق إلى هذا ، ولعلها كما يلي . « إنه أخبر أنه في اليوم الشديد في الحرب تفدي ناقتي بني ذهل بن شيبان » .

٩ ـ وجاء في الصفحة ٢٦ :

« ومنا الذي اختير الرجالَ سماحةً وجوداً إذا هب الرياحُ الزعازع

فقال اختير الرجالَ . على معنى : اختير من الرجال ، فلما حذف (من) نصب سماحة على التمييز » .

ولاشك أن في العبارة نقصاً ، وهي على صورتها هذه مشوهة مضطربة، لأن نصب (سماحة) على التمييز لايتوقف على حذف حرف الجر (من)، والذي يريده المؤلف أن (من) لما حذفت انتصب (الرجال) على نزع الخافض . وهذا هو موضع الشاهد ، أما نصب (سماحة) فعلى التمييز، سواء أحذفت (من) أم لم تحذف .

١٠ - وجاء في الصفحة ٣١ : « كما قال سبحانه : كذبت قوم لوط بالنذر . والقوم مذكر ، ولكن ذهب قبيلة » .

والصواب : ولكن ذهب بهم مذهب قبيلة . أو ذهب بهم إلى أنهم قبيلة

١١ - وجاء في الصفحة ٣٥

« فلو أن نصفاً لو سبيتُ وسبني بنو عبد شمسٍ من مناف وهاشم »

ولا معنى لهذه الرواية ، لأن (لو) بقيت بلا جواب ، والرواية الصحيحة : ولكن نصفاً ..

١٢ — وجاء في الصفحة ٣٥ : « وقال آخر :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشةٍ كفاني ولم أطلب قليلٌ من المال

فقال : كفاني ، ولم أطلب ، قليل ، ومعناه : كفاني قليل من المال ، ولم أطلب الملك . فأعمل الثاني » .

وعلى الرغم من خطأ العبارة الواضح لم يشر المحقق إلى الصواب ، وهو : فأعمل الأول . إذ كيف يكون الثاني عاملًا وقليلٌ فاعل للفعل كفاني ومعمول الفعل الثاني محذوف ، وهو الملك .

١٣ — وجاء في الصفحة ٤١ :

« وخلتُبُ يحمد أصحابُه بالحق ، لايحمد بالباطل »

والصواب : وخالدٌ يحمد أصحابُه . وفي حاشية الصفحة ذكر الدكتور خطاب أن البيت من الرجز ، والصواب أنه من السريع لا من الرجز

١٥ - وجاء في الصفحة ٥٠ :

« لابرة عنـــدهم فأطلبها ولاهـــم نُهْزَةٌ لمختلس »

والصواب لاترة عندهم فتطلبها .

١٥ - وجاء في الصفحتين ٥٠ - ٥١ :

« وبنو تميم يجعلون الفاء في (ما ، ولا ، وليس) ثم جاءت الفـــاء جواباً ، وهم يرفعون بها وينصبون » .

وعلى الرغم من اضطراب العبارة لم يشر المحقق إليها ، وإنها لكذلك في المخطوطة المعتمدة ، ولعلها صوابها : « وبنو تميم قد يهملون الفـاء في (ما ، ولا ، وليس) إذا جاءت جواباً ، فهم يرفعون بها وينصبون » وإذا لم تكن كذلك لفظاً فهي كذلك معنى .

١٦ — وجاء في الصفحة ٦٢ :

« إن علياً وعميراً قزمين . والصواب : قرمين .

١٧ - وجاء في الصفحة ٦٣ :

« تقول : أنت أحسنُ الناسِ وجهاً ، بنية التنوين » وقد ضبط المحقق (الناس) بالكسر على الإضافة ، والصواب ضبطها بالفتح ، لأنهـــا منصوبة على الشبه بالمفعول به ، لأنها وضعها تحت عنوان « باب ما ينصب على نية التنوين » ، وعلى هذا يكون نصب (الناس) هو موضع الشاهد وعليه ساق شواهد الباب كله .

١٨ - وجاء في الصفحة (٦٤) :

« والحافظو عورة العشيرة لا تأتيهم من ورائهم نَطَف »

والصواب : لايأتيهم .. بالياء لابالتاء ، لأن الفاعل مذكر ، وهو النَطَف ، أي العيب .

١٩ - وجاء في الصفحة ٧٥ :

« ورأي عينيَّ الفتى أخاكا يعطي جزيلًا فعليك ذاكا »

« نُصب : عيني ، برأي ، لأنه مصدر ، وكأنه قال : رأت عيناي الفتى أخاكا » .

ولم يشر المحقق إلى الخطأ الصريح في كلام المؤلف ، لأن المنصوب بالمصدر (رأي) هو (الفتى) لا (عيني) ، وهذا من عمل المصدر المضاف إلى فاعله ، كقولك أعجبني فهم التلميذ الكلام ، أي أن يفهم التلميذ الكلام . وإذن ، فإن (عيني) مجرورة بالإضافة لفظاً ، وهي في المعنى فاعل للمصدر ، والمفعول به هو (الفتى) .

٢٠ - وجاء في الصفحة ١١٤ :

« وهو لتلك الإبل جار ، أنّى يركبه صاحبه ، فيمنع إبله عليه من العدو » .

ولا معنى لـ (أنى) هنا ، ثم لا تستقيم بها العبارة إعراباً ، إذا صحّ لنا أن نلتمس وجهاً من المعنى ، لأن الفاء في قوله (فيمنع) لا يصح أن تكون رابطة لجواب الشرط ، وهذا واضح ، وصواب العبارة هي : « أي يركبه فيمنع .. » لأنه يفسر معنى أن يكون جاراً لتلك الإبل .

٢١ – وجاء في الصفحة ١١٩ : « وقال آخر :

ظَلّ عدواً ناجزاً لَطاطِ مُرْبَعَةً بِفَرْصِ الخراط

المفرص : مفراص الصائغ ، والخراط ، وصاحَ بالناقة هي لَطاطِ فقال : لَطاطِ ، أي تبري وتقطع ، ثم قال : لَطاطِ ، أي التطيء » .

وذكر المحقق أنه لم يوفق إلى معرفة القائل ، ولا إلى مرجعٍ يلتمس فيه البيت ، وأن الرواية في المتن : « ناجزاً قَطاطِ » . وليس لَطاطِ .

والحق أن النص بالغ الاضطراب ، ويصعب تصويبه ، ولكني أرجح أن البيت الأول من الرجز على هذه الصورة :

« تظل عدواً ناجزاً قطاطِ »

لأن (ظل) تخل بالوزن ، وتخل (بالمطابقة) بين الفاعل المؤنث وهو الناقة وفعله . وأرجح أن (لطاطِ) في الشرح تحريف ، والأصل : قَطاطِ . لأنه يصف الناقة بالسرعة ، والقَطُّ : القطع ، أي أنها تقطع الصحارى . أما (اللط) فهو الستر ، يقال : لطت الناقة بذنبها إذا سترت فرجها ، ولا معنى لهذا في البيت .

٢٢ – وجاء في الصفحة ١٣٠ :

« قد سالم الحيات منه القدما
الأفعوانَ والشجاعُ الشجْعما
وذاتُ قرنينَ ضَموزاً ضِرزِما »

ضبط المحقق (ذات) بالضم ، والصواب بالفتح ، للعطف على المنصوب قبلها ، ولإتباعها بالنصب ، بقوله (ضموزاً) .

٢٣ – وجاء في الصفحة ١٤٤ :

« عَذيرُكَ منْ مَوْلىً إذا نِمْتَ لم يَنم يقول الخنــا أو يعتريك زنابره

لم يرد : اعذرْني ، إنما أراد : عُذْرَكَ إياي هـذا ، ولو أراد : اعذرني لنصب » .

ضبط المحقق : عذرَكَ ، بالنصب ، والصواب ضمها ، لأنها مبتدأ ، والرفع هو موضع الشاهد .

٢٤ وجاء في الصفحتين (١٤٥ – ١٤٦) :

« هذا حجة بأن قول العرب : فاها لفيكَ ، يريدون : الداهية .

يقول : إنما نصبت فاها لفيكَ ، لأنها بمنزلة الداهية » .

وصواب العبارة : « هذا حجة بأن قول العرب : فاها لفيك يريدون به فا الداهية ، يقول : إنما نصبت : فاها لفيك ، لأنها بمنزلة دهاك الله » . (انظر سيبويه ١/١٥٩ بولاق) ولا معنى لما أثبته المحقق .

٢٥ ـ وجاء في الصفحة ١٥٣ :

« والدَّأل : مشي يثقله .. » وأرجح أن يكون الصواب : مَشْيٌ بتثاقل ، ولا معنى لـ (يثقله) .

٢٦ ـ وجاء في الصفحة ١٥٤ :

« لها بعد إسنادِ الكريمِ وتعْبيه ورنة من يبكي إذا كان باكيا »

وجاء في الشرح : « ترن على رجل كبيرٍ أسندوه .. » .

هكذا وردت الكلمة الواحدة في الشعر : الكريم ، وفي الشرح : الكبير . وما هي هذا ولا ذاك ، وإنما هي في الموضعين : الكليم . ولا معني للكريم ولا للكبير .

٢٧ - وجاء في الصفحة ١٧٢ :

« أقل به ركب أتوه تَئِيَّةً وأخوف إلا ما وقى الله ساريا »

والصواب : تئية . من الفعل : أَيِيَ ، مثل : حيي . إذا تلبث في المكان وتوقف فيه .

٢٨ - وجاء في الصفحة ١٧٣ :

« ولا يشعر الرمح الأصم كعوبُه بثروة رهـط الأعيط المتظلم

هذه حجة بأنه قال : الأصم . ولم يقل : الصم . كقولك : مررت برجل آباؤه كرام » .

وفي هذا الكلام خطأ واضح ، إذ اختل القياس بين : الأصم كعوبه ، وآباؤه كرام . والصواب : مررت برجل كرامٍ آباؤه . وذلك على حمل (الأصم) التي لا تجمع جمع السلامة ، على كريم التي تجمع جمع السلامة .

٢٩ - وجاء في الصفحة ١٧٤ :

« بعيد الغَزاة فما إن يزا ل مضطمراً طرتاه طليحا

حجة في أنه ذكر الفعل ، وكان حقه أن يقول : فما إن تزال . لأن الفعل للطرتين ، وهما مؤنثتان » .

وعلى الرغم مما في هذا الكلام من خطأ واضح لا نرى المحقق يشير إليه ، فالمؤلف يخطىء فهم عبارة سيبويه ، ويوجه الشاهد توجيهاً بعيداً جداً عن الصواب ، فيظن أن الفعل (لا يزال) يعمل في (طرتاه) رفعاً ، على حين يستتر فيه ضمير يرجع إلى الممدوح وهو عبد الله بن الزبير ولا علاقة لتذكير الفعل بتأنيث (طرتاه) ، وإنما موضع الشاهد - وهو ما ذكره سيبويه - قوله : مضطمراً طرتاه . إذ لم يطابق بين اسم الفاعلِ

ومعمـــوله في التأنيث ، وهو كقولك : أذاهب نساؤك ؟ (انظر : سيبويه ١/٢٣٨) .

٣٠ ـ وجاء في الصفحة (١٨٤) :

« شفارة تقذ الفصيل برجلها فطـارة لقوادم الأبكار »

والصواب : شغارة . أي التي ترفع رجلها ضاربة للفصيل لتمنعه من الرضاع عند الحلب ، يقال : شغر الكلب ، إذا رفـع رجله ليبول . (انظر : الخزانة ٣/١٣٠) .

٣١ ـ وجاء في الصفحة ١٩٢ :

« والبر : معرفة ، والحتي : سويق المِقْلى » .

وصواب النص : والبر : معروف ، والحتي ، سويق المُقْل ، بضم الميم ، وهو حمل شجر الدَّوْم .

٣٢ ـ وجاء في الصفحة ١٩٦ :

« ربما تكره النفوسُ من الأمـ ـر له فَرْجةٌ كحلّ العقـال »

والصواب : رب ما تكره .. أي بفصل (ما) عن (رب) ، لأن (ما) هنا ليست زائدة كافة حتى توصل بـ (رب) بل هي مبهمة مفسَّرة بشبه الجملة (من الأمر) ويعود إليها الضمير في (له) .

٣٣ ـ وجاء في الصفحة (٢٠٠) :

« يا ليت أيام الصبا وارجعا

كأنه قال : يا ليت أيام الصبا أقبلت رواجعا » .

والصواب : أقبلت رواجعَ ، بلا ألف ، لأن هذه الألف لاتثبت إلا في الشعر أو في النثر ذي الفواصل .

٣٤ - وجاء في الصفحة ٢١٨ :

« والأصرام : البيوت من الأخبيّة ..

والصواب : البيوت من الأخبية ، جمع خِباء .

٣٥ - وجاء في الصفحة ٢٣٢ :

« وقد رأى الراؤون غيرُ البُطَّلِ أنك يا معاوِ ابنَ الأفضـل »

والصواب : أنك يا معاوِ يا بنَ الأفضل . وفي رواية المحقق يختل وزن الرجز .

٣٦ - وجاء في الصفحة ٢٣٢ :

« حجة أن العرب لما أكثرت ترخيم الحارث لكثرته في الكلام ، وكذلك (مالك) قال » ..

وهذا الكلام غير مستقيم ، لأن جواب (لما) لم يظهر ، والصواب: حجة أن العرب إنما أكثرت ... »

٣٧ - وجاء في الصفحة ٢٣٩ :

« ومنهل ليست به خوازق وللضفـادي جمـةٌ نقائق »

والصواب : ولضفادي جَمِّهِ نقائق . والجم : جمع جمة ، وهو معظم الماء ومجتمعه ، وبهذا تبدو رواية المخطوطة لا معنى لها .

٣٨ - وجاء في الصفحة ٢٥٢ :

« مالك من شيخِكَ إلا عملُهْ إلاّ رَسيمُهُ ، وإلا رَمَلُـهْ

ضربان من السير ، إلا رسيمه ، بدل من : إلا عمله ، وحمله على الموضع ، كما قال : فلسنا بالجبال ولا الحديدا » .

وهـذا الكلام مشوه مضطرب ، فكيف يكونُ (إلا رسيمه)

محمولاً على موضع (إلا عمله) ؟ فالبدلية هنا على اللفظ والموضع معاً ، لأن المبدل منه مرفوع لفظاً ومحلاً ، والاستثناء مفرغ .

ويغلب على الظن أن الناسخ أسقط شيئاً غيرَ قليل من كلام المؤلف ، فقد جاء في سيبويه في هذا الموضع : « زعم الخليل رحمه الله ويونس جميعاً أنه يجوز : ما أتاني غيرُ زيدٍ وعمروٍ ، فالوجه الجر ، وذلك أن (غير زيد) في موضع (إلا زيد) وفي معناه ، فحملوه على الموضع كما قال : فلسنا بالجبالِ ولا الحديدا » (٣٤٤/٢ هارون) .

وعلى هذا أرجح أن يكون المؤلف أتى على ما سماه سيبويه (باب غير) ثم أسقط الناسخ الكلام ، فجُمِع في النسخة هذا الجمع المشوه .

٣٩ – وجاء في الصفحة ٢٥٤ :

« بعد اللتيا والتي واللاتي

حجة أنه حذف صلة (التي) كأنه أراد : التي من أمرها كذا وكذا . قال : وحذْف المضاف ليس بأشدّ من حذف صلة (التي) » .

والصواب : « وحذف المضاف إليه ليس بأشد من حذف صلة (التي) » . لأن حذف المضاف لا يمكن أن يقاس على حذف صلة الموصول لأنه كثير جداً في العربية ، ولأنه لا يخرج على أعرافها وقوانينها اللغوية أما حذف الصلة فنادر ، وليس بعرف لغوي ، وعلى هذا يتباعد طرفا القياس .

ثم إن الكلام على (ليس غيرُ) وقد حذف المضاف إليه فيها لا المضاف ، وهذا بيّن واضح . أضف إلى ذلك أن الكلام منقول من سيبويه ، قال في هذا الموضع : « فليس حذف المضاف إليه في كلامهم بأشد من حذف تمام الاسم » . (٣٤٧/٢ هارون)

٤٠ – وجاء في الصفحة ٢٥٩ :

«قدنيَ من نصر الخُبَيْبين قَدِي»

حذف النون الأخيرة من (قدني) الأخيرة ، وشبهه بخبيبين » .

ما وجه الشبه بين (قدي) التي حذف منها النون و (خبيبين) ؟ أليس هذا عبثاً من الناسخ ؟

والصواب ما جاء في سيبويه في هذا الموضع : « شَبَّهه بـ (حسبي) لان المعنى واحد » . (٢/٣٧١ هارون) .

٤١ ـ وجاء في الصفحة ٢٦٢ عند الكلام على البيت :

قلت إذ أقبلت وزُهْرٌ تهادى

ما يلي : « فعطف : زهر ، وهي أسماء ظاهرة ، على التاء ، وهي اسم مضمر » .

والصواب : وهي اسم ظاهر . ولا معنى للجمع هنا .

٤٢ ـ وجاء في الصفحة ٢٨٤ :

« إذ ما أتيتَ على الرسول فقل له حقاً عليك إذا اطمأن المجلس

حجة أنه جازى بـ (إذ ما) و بـ (إذا) ، ولولا أنه جزاء لما أدخل الفاء » .

والصواب أن يحذَف قوله (وبـ : إذا) لأنه لا موضع له هنا .

٤٣ ـ وجاء في الصفحة ٢٨٥ :

« تصغي إذا شدها بالرحل جانحةً حتى إذا ما استوى في غرزها تثب

حجة أن العرب لا تجازي إلا أن تضطر ، ألا تراه رفع تثب » .

أي كلام هذا ؟ إن الصواب : لا تجازي بـ (إذا) إلا أن تضطر .

٤٤ - وجاء في الصفحة ٣٢٠ :

« بالخير خيرات وإن شـراً فا ولا أريـد الشر إلا أنـ تا

يريد : إن خير فخير ، ولا أريد الشر إلا أن أتى ».

والصواب : ولا أريد الشر إلا أن تشاء . كما ورد في سيبويه . (٣٢١/٣ هارون) .

* * *

هذا ما وقفت عليه ، ولقد تركت ما يعادله كثرة ، لأن وجه الصواب فيه بيّن واضح ويرتد معظمه إلى أخطاء مطبعية تسهل معرفتها ، ولا بد لي هنا من أن أذكر في نهاية هذه الملاحظات أن الأستاذ المحقق اعتمد نسخة واحدة لم يجد غيرها ، وهي - كما وضح لنا - سقيمة جـداً ، تدل على جهل الناسخ ، وبعده عن حقل النحو .

محمد خير الحلواني

ذيل مشتبه النسبة للذهبي

تأليف : محمد بن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

تحقيق : الدكتور صلاح الدين المنجد

طبع : بيروت ـ دار الكتاب الجديد ـ الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م

الأستاذ عبد الجبار زكار

فرحتُ بظهور هذا الكتاب وسعدتُ بقراءته من أوله إلى آخره وشكرت الأستاذ صلاح الدين المنجد جهده في إخراجه ضمن جهوده الكثيرة المرموقة في إحياء التراث .

وكنتُ قد حصلتُ على مصورة له اضطرني إليها عملي ، هي إحدى نسختين اعتمد عليهـا الأستاذ المحقق في إخراجه . فلما مضيت أقابل بين المصوّر والمطبوع ظهرت لي جملة من الملاحظات لا أشك في أنهـا أثر من آثار السهو أو السرعة التي لا تلتقي مع ماعهد من الدكتور المنجد ، فهو من كبار المهتمين بتحقيق التراث ونشره والمؤصلين لقواعده[١] فيما نشر من كتب كبيرة ورسائل صغيرة .

ويمكن أن ترد جملة هذه الملاحظات إلى :

ا ـ تصحيفات محمولة على الخطأ الطباعي .

ب ـ سقطٌ في المطبوع يبدو كثيراً إذا قورن بضآلة صفحات المخطوط .

جـ ـ أمور كان يحسن ذكرها ولم تذكر أو ذكرت دون أن تنال حظها من العناية .

---

(١) انظر كتابه : قواعد تحقيق المخطوطات ، في طبعته الثانية .

د - وأكثر هذه الملاحظات مردّها إلى أن الأستاذ الدكتور المنجد اتخذ من مخطوطة مكتبة خراجي أوغلى في بروسة أصلاً (رأس الصفحة ٨)، ولكنه في إخراج الكتاب لم يتقيد بذلك. فقد وضع إضافات ليست في الأصل ولم يشر إلى المصدر الذي أضاف منه [١] كما أنه لم يضع هذه الزيادات ضمن أقواس خاصة تعارف عليها العاملون في التراث، لتشعر القارىء بأنها ليست من الأصل وأنها ربما كانت من النسخة الثانية مثلاً أو من مصدر آخر.

وأرجو أن يتقبل الأستاذ المنجد هذه الملاحظات إذا ارتضاها حين يعيد طباعة الكتاب حرصاً على الحقيقة العلمية.

وبهذه المناسبة أقترح أن يقوم القادرون على النشر بإلحاق صور للمخطوط المعتمد في نهاية الكتاب المحقق والمطبوع وخاصة إذا كان الأمر يتعلق برسائل صغيرة كرسالتنا هذه.

يتكون الكتاب المطبوع من خمس وخمسين صفحة وزعت على الشكل التالي: ثماني صفحات للمقدمة وأربعون صفحة للأصل والباقي للفهارس.

ضمت المقدمة تعريفاً بالمؤلف وهو: محمد بن رافع السلامي.

يذكر المحقق في الصفحة الخامسة (السطر ١٥ - ١٦) عن المؤلف أنه: «توفي في سنة ٧٧٤ هـ في دار الحديث النورية، ودفن بباب الصغير..» ولعل المحقق استقى معلوماته هذه من رواية منقولة عن ابن حجي وهو أحد تلاميذ ابن رافع، ولكن ابن الجزري ذكر في طبقات القراء أن ابن رافع توفي: «... يوم الثلاثاء الثامن عشر من جمادى الأولى سنة أربع وسبعين وسبعمئة بالمدرسة الشامية ظاهر دمشق، ودفن بالمقابر الصوفية قريباً من الحافظ ابن الصلاح». وابن الجزري هذا دمشقي عاصر المؤلف

---

(١) لايصح هذا القول على اطلاقه لأن نظرة سريعة إلى الهوامش في مطبوعة الأستاذ المنجد تشير إلى إضافات من النسخة الثانية ومقارنات ومقابلات كثيرة عليها.

وأخذ عنه ، كما أن ابن قاضي شهبة ذكر في تاريخه : « الإعلام بتاريخ أهل الإسلام » في وفيات سنة ٧٧٤ هـ أن ابن رافع دفن بمقبرة باب الفراديس بدمشق . وعلى هذا لايمكننا أن نجزم بتحديد اسم المقبرة التي دفن فيها ابن رافع .

وورد في الصفحة نفسها (السطر ١٦) : « ... كان ابن نافع .. » والصواب : « كان ابن رافع » ويبدو أن هذا خطأ مطبعي .

كما أنه في الصفحة نفسها (السطر ٤ و ٥) قال الأستاذ المنجد : « ... وتبين لي بعد مقابلة التبصير بذيل ابن رافع أن ابن حجر لم يطلع عليه .. » .

لعلّ المقابلة لم تكن متأنية لأنه تبين لي لدى التدقيق في مقابلة نص ابن رافع بكتاب تبصير المنتبه أن ابن حجر قد اطلع عليه واستفاد منه وقد صرح بذلك في الجزء الرابع في صفحة : ١٥١٢ – ١٥١٣ في الفصل الذي عقده بعنوان : « ذكر الكتب التي طالعتها على هذا المختصر اللطيف » فقال : « ... وقد ذيل عليه الحافظ تقي الدين بن رافع تلميذه في هذا المختصر جزءاً قدره عشرة أوراق غالبه لا يرد عليه ، لأنه إما أن يكون قد ذكره أو يكون لا يشتبه على بعد ، ولو تصدى أحد لتجريد ما استدركته عليه في هذا المختصر لقضى العجب من كثرته ، بل لا شك أن مجرد ذكر الأسماء من غير ضبط ولا تسمية لو جمع لكان أزيد مما استدركه ابن رافع » .

وفي الصفحة السادسة (السطر ٩ – ١٠) قال المحقق : « وقد وصل إلينا من تأليفه – يعني ابن رافع – الذيل على تاريخ ابن كثير .. » والصواب على تاريخ البرزالي » .

وقال : « ومنه مخطوطة بدار الكتب ١٢٩ تاريخ م كتبت سنة ٩٩٩ هـ والصواب أن سنة ٩٩٩ هـ ما هي إلا تاريخ تملك هذه النسخة

من قبل الأكمل بن مفلح . أما المخطوطة فقد نسخت قبل هذا التاريخ ولكن على كل حال بعد عام : ٨٤٢ هـ فقد وردت في نهايتها العبارة التالية : « نقلت هذه النسخة من أولها إلى هنا من خط الحافظ الشهير بابن ناصر الدين رحمه الله تعالى وقوبلت عليه ولله الحمد والمنة ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم » . والمعروف أن ابن ناصر الدين توفي في سنة ٨٤٢ هـ . وفي السطر الحادي عشر قال الأستاذ المحقق : « ووصل إلينا مختار من ذيله على تاريخ ابن النجار انتخبه تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي..» سماه : « المختار المذيل به على تاريخ ابن النجار .. » والصواب : « تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار » . هكذا ورد اسمه على الأصل المطبوع والمحقق من قبل الأستاذ المرحوم عباس العزاوي .

وبهذه المناسبة فإننا نضيف إلى المؤلفات التي ذكر المحقق أنها وصلتنا : ترجمة « الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني » . ويوجد منها نسخة في مكتبة الدولة للمحفوظات الثقافية البروسية في برلين الغربية برقم / ١٠١٢٤ / .

ولقد عدد الأستاذ المحقق مؤلفات ابن رافع فذكر منها خمسة مؤلفات فقط ، والواقع أن لابن رافع أربعة أضعاف هذا العدد ما بين كتاب ومشيخة وغيره وقد بينت ذلك في مقدمة كتابه « الوفيات » .

في الصفحة السابعة والثامنة قال الأستاذ المحقق : « اعتمدنا في نشر هذا الذيل على نسختين مخطوطتين الأولى مخطوطة في مكتبة خراجي أوغلي في بروسة بتركيا رقم ٢/٣٢١ تبدأ في الورقة : ١٨٣ ب وتنتهي بالورقة : ١٨٨ب كتبها بخطه إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي المعروف بسبط ابن العجمي

في عاشر شوال سنة خمس وثمانين وسبعمئة وهي نسخة صحيحة مضبوطة فكاتبها عالم معروف مشهور كان من كبار المحدثين في عصره وقد اتخذنا هذه المخطوطة أصلاً » .

وبهذه المناسبة فإننا نضيف ، لوضوح التعريف ، إلى ما ذكره الأستاذ المحقق ان المخطوطة المذكورة هي ضمن مجموع يتكون من ثلاثة مؤلفات هي : كتاب المشتبه من الأسماء والأنساب للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي وهي نسخة جيدة وتامة منقولة عن نسخة لها صلة بنسخة الذهبي وعليها تعليقات هامة ومفيدة جداً بخط سبط ابن العجمي ، وتقع هذه النسخة في : / ١٨٣ / ورقة ولم يرجع إليها الأستاذ علي محمد البجاوي أثناء تحقيقه كتاب المشتبه ، وفي نهاية كتاب الذهبي ألحق سبط ابن العجمي وبخطه كتابَ ابن رافع هذا والذي يتكون من ست أوراق في إحدى عشرة صفحة تضم الصفحة الواحدة من « ٢٦ — ٢٩ » سطراً ، ثم الكتاب الثالث وهو : كتاب التبيين لأسماء المدلسين وهو من تأليف سبط ابن العجمي والنسخة بخطه أيضاً وأعتقد أنها مسودة الكتاب .

في الصفحة الحادية عشرة من مطبوعة المنجد يبدأ نص كتاب الذيل على مشتبه النسبة للذهبي دون الإشارة إلى الهامش الوارد في رأس الصفحة الأولى من المخطوطة ونصه : « توفي الحافظ أبو المعالي محمد بن رافع بن أبي محمد السلامي يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وسبعين وسبعمائة وصلي عليه من غده ، كذا رأيته بخط أحمد بن القرشي فنقلته » . وهو بخط سبط ابن العجمي . وسنبين فيما يلي بعض الاختلافات بين الأصل وبين مطبوعة المنجد .

الصفحة الحادية عشرة

	الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ١١ =	قال الإمام الحافظ تقي الدين محمد ...	قال الإمام الحافظ العمدة تقي الدين أبو المعالي محمد ...
س ٨ - ٩ =	وعلى الله المتكل في القول	وعلى الله التوكل

الصفحة الثالثة عشرة

	الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ٥ =	علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن	علي بن محمد بن عبد الرحمن
س ١١ =	يوسف بن علي بن محمد بن علي ابن عبد الله	يوسف بن علي بن محمد بن عبد الله
س ١٢ =	المعروف بالقفال لحمله إياها بيده	المعروف بالقفال لعمله إياها بيده

ولقد كتب الناسخ فوق كلمة « لحمله » كلمة « كذا » وفي الهامش عبارة : « لعله لعمله » ولكن الأستاذ المحقق لم يشر إلى شيء من هذا .

الصفحة السادسة عشرة

	الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ١ - ٢ =	وفاته في هذا الحرف حرمة	وفاته في هذا الحرف في : حرمة
س ٧ =	الأول بفتح الحاء المهملة وسكون الشين المعجمة ، وفتح الراء المهملة هو أبو ...	الأول بفتح الحاء المهملة وسكون الشين وفتح الراء المهملة : أبو ...
س ٨ =	زنبور بن يعسوب الحشرمي الأندلسي النحوي تلميذ الإمام أبي الحسن علي ..	زنبور بن يعسوب الحشرمي الأندلسي.. تلميذ الإمام أبي الحسن علي ..

هكذا ترك الأستاذ المحقق مكان كلمة « النحوي » فراغاً مما يوحي أنه من الأصول المعتمدة دون الإشارة إلى وجود كلمة لم يتمكن من قراءتها علي الرغم من وضوحها .

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ١١ = عن أبيه ، ومخرمة بن بكير . وعنه سلمة بن شبيب	روى عن أبيه ، ومخرمة بن بكير وسلمة بن شبيب

س ١٢ = أضاف المحقق العبارة التالية : « قلت : وقال أبو حاتم ليس به به بأس » ولم يشر إلى مصدر هذه الزيادة كما أنه لم يضعها ضمن قوس .

الصفحة السابعة عشرة

س ٣ = أما الأول : بفتح	الأول : بفتح

الصفحة التاسعة عشرة

س ١٠ = وفاته في	وفاته فيه

الصفحة العشرون

س ١ = الحسين بن يوسف بن الحسن بن يوسف اللخمي	الحسين بن يوسف اللخمي

س ٦ = جاء في مطبوعة المنجد البيت التالي :

ومن يدعو الله أمْ يقصده فقد صلحت آمـاله ومآله

وقد علق عليه الأستاذ المحقق بقوله : إن هذا البيت غير مستقيم[1] .

والحقيقة أن التصحيف الذي طرأ على البيت أضاع وزنه علماً بأنه صحيح ومستقيم في الأصل وهو :

ومن يك نحو الله أمّ بقصده فقد صلحت آمـاله ومآله

الصفحة الثانية والعشرون

س ٨ = وابن سامة والذهبي	وأبو شامة والذهبي

---

(١) ليس هذا التعليق في النسخة التي بين أيدينا . وهي ذات النسخة التي ذكرها الكاتب (الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م) . (لجنة المجلة)

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
الصفحة الثالثة والعشرون	
س ١٣ = ابن القاضي الفاضل. وذكره	ابن القاضي . وذكره
س ١٦ = وفي آخرها خاء معجمة ،فهو أبو عبد الله	وفي آخرها خاء معجمة فهو أبو محمد عبد الله
س ١٨ = محمد بن إبراهيم الفارسي	محمد بن إبراهيم القاري
الصفحة الرابعة والعشرون	
س ٨ = محمد بن إبراهيم بن جماعة	محمد بن إبراهيم جماعة
س ٩ = أبي الحسن بن المفضل	أبي الحسن المفضل
س ١٠ =وتولى الحسبة بالقاهرة في الأيام الكاملية	وتولى الحسبة في الأيام الكاملية
س ١١ = وانتفع الناس به	وانتفع به الناس
س ١٢ = من أعمال قليوب	من قليوب
الصفحة الخامسة والعشرون	
س ٣ = وتوفي في تاسع شعبان سنة خمس وثلاثين	وتوفي في تاسع شعبان خمس وثلاثين
س ٩ = محمد بن النصير بن أمين الدولة	محمد بن النصير بن علي بن أمين الدولة
س ١٤ = مولده في سنة ثلاث وثمانين	مولده سنة ثلاث وثمانين
س ١٩ = وستمئة ، ذكره الشريف عز الدين	وسبعمئة ، وذكره الشريف عز الدين

الصفحة السابعة والعشرون

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ٦ - ٧ = محمد بن حسين السبيي وحدث عنها	محمد بن حسين السبيي من قرى الرملة وحدث عنها

إن عبارة « من قرى الرملة » ليست في الأصل وإنما هي تعليقة وضعها الناسخ في الهامش فأدخلها الأستاذ المحقق وجعلها أصلاً دون الإشارة إليها أو وضعها ضمن قوس .

الصفحة التاسعة والعشرون

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ١١ = وفاته فيه :	وفاته :
س ١٣ = أما الأول بفتح العين والراء المهملتين فكثير . وأما الثاني	أما الأول بفتح العين وسكون الراء المهملتين فكثير . أما الثاني

الصفحة الثلاثون

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ٥ = ابن أبي بكر الحراني	ابن محمد أبي بكر الحراني
س ٨ = عبدالله بن عبد الواحد بن علاق	عبد الله بن عبدالواحد بن أحمد بن علاق
س ٩ = لابن الأخضر	لأبي الأخضر

الصفحة الحادية والثلاثون

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ١٢ = وفاته فيه :	وفاته :

الصفحة الثانية والثلاثون

أضاف الأستاذ المحقق البيت التالي ولم يشر الى مصدر هذه الزيادة كما أنه لم يضمه ضمن قوس وهو :

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
من أين أرسل للفـؤا	د وأنت لم تنظره سهما

الصفحة الثالثة والثلاثون

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ٥ = الخضر بن محمد الفرحي	الخضر بن يحمد الفرحي

الصفحة الرابعة والثلاثون

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ٤ = بعدها ألف ثم راء مهملة .	بعدها ألف ثم راء

وفي السطر الثامن وما يليه ذكر المؤلف ترجمة الإمام « علي بن داود ابن يحيى بن كامل القحفازي » فقال : « مولده في سنة ثمـان وستين وستمئة » وفي الصفحة الخامسة والثلاثين صحف الأستاذ المحقق تاريخ وفاته فجعله سنة خمس وأربعين وستمئة علماً بأنه في الأصل « سنة خمس وأربعين وسبعمئة » كتابة لا رقماً ، وكان يمكن للأستاذ المحقق الاستعانة بكتب الذين ترجموا لهذا العلم أمثال : ابن كثير ، وابن الوردي ، والحسيني ، والكتبي ، والنعيمي ، والسيوطي ، والقرشي ، واللكنوي ، وابن رافع في وفياته ..

الصفحة الخامسة والثلاثون

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ٣ = بجامع نائب السلطنة	بجامع باب السلطنة
س ٦ = أما الأول بفتح القاف والفاء فهو :	أما الأول بفتح القاف فهو

الصفحة السادسة والثلاثون

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ٧ = وأعاد ببعض المدارس بالقاهرة وتولى مشيخة الرباط الركني بيبرس	وأعاد ببعض المدارس بالقاهرة وتولى مشيخة الرباط الركني بقبرص

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجـــد

وقد علق الأستاذ المحقق على كلمة بيبرس بقوله في الأصل « بلسرس » وما أثبتنا من ح - يعني النسخة الثانية - مع العلم أن كلمة بيبرس واضحة جداً ، وأن هذا الرباط معروف ومشهور بالقاهرة ، ومكانه اليوم الجامع المعروف بجامع بيبرس ولا يوجد بقبرص أي رباط يحمل هذا الاسم . كما أنه لا توجد أية علاقة بين مدارس وأربطة القاهرة وقبرص .

الصفحة السابعة والثلاثون

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ٢ = وبمكة من أبي عمرو	وبمكة عن أبي عمرو
س ٨ = وأقام أيضاً بالقدس	وأقام بالقدس

الصفحة الثامنه والثلاثون

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ٦ = وفاته في حرف الميم في :	وفاته في حرف الميم :

الصفحة التاسعة والثلاثون

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ١١ = وفاته في :	وفاته فيه :

علق الأستاذ المحقق في الحاشية رقم :/٣/على كلمة « الدمشقي » الواردة في السطر الرابع عشر بأنها ساقط (ساقطة) من ح - أي النسخة الثانية - والحقيقة أنها ليست في الأصل والزيادة ربما تكون من ح .

الصفحة الأربعون

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ١٠ = ابن يزيد بن جارية ، ومجمع بن جارية	ابن يزيد بن حارثة ، ومجمع بن حارثة
س ١٣ = مجمع بن جارية بفتح الميم الثانية ، ومجمع بكسر الميم الثانية في قصي	مجمع بن حارثة بفتح الميم الثانية في قصي

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
الصفحة الحادية والأربعون	
س ٢ = ابن محمد المقرىء . سمع من أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي	ابن محمد المقرىء . سمع من أبي المعالي أحمد بن إسحق الأبرهوقي
س ٩ = محمد بن مكي بن عبد الصمد	محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد
س ١٥ = العلماء المفننين	العلماء المفتين
س ١٨ = بالديار المصرية وبالديار الشامية	بالديار المصرية والبلاد الشامية
الصفحة الثانية والأربعون	
س ١ = بفتح الحاء المهملة فهو أبو	بفتح الحاء المهملة أبو
الصفحة الثالثة والأربعون	
س ٤ = فهو أبو أحمد نصر الله	فهو أبو محمد نصر الله
س ١٢ = ابن عبد الكريم بن علي البلبيسي	ابن عبد الكريم البلبيسي
الصفحة الرابعة والأربعون	
س ٧ = أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن محمد بن يحيى بن محمد	أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن محمد
س ١١ = فهو أبو حرب لؤي بن محمد ابن أبي حرب .	فهو أبو حرب لؤي بن أبي حرب
الصفحة الخامسة والأربعون	
س ٩ = فبقي أياماً ومات	فبقي إماماً . ومات
س ١٢ = وفاته فيه في همام	وفاته في همام

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجـــد

الصفحة السادسة والأربعون

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ٨ = وسافر منه في سنة	وسار منه في سنة
س ١٠ = والشريف يونس	والشريف يوسف
س ١٢ = وعبدالصمدبن محمد الحرستاني	وعبد الصمد بن الحرستاني
س ١٤ = ثم سافر إلى بلاد العجم	ثم سار إلى بلاد العجم
س ١٥ = فسمع بنيسابور من منصور ابن عبـد المنعم الفراوي ، والمؤيد بن علي الطوسي	فسمع بنيسابور من موسى بن عبد المنعم الفراوي ، والمؤيد بن الطوسي

الصفحة السـابعة والأربعون

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ١ - ٢ = من أبي روح عبد المعز	من أبيالروح عبد العزيز
س ١٤ - ١٥ = سبط ابن العجمي ولله الحمد والمنة سبحانه	سبط ابن العجمي

وقد أغفل كذلك الأستاذ المحقق ذكر العبارة التالية التي وردت داخل شكل مستطيل على يسار الصفحة الأخيرة من المخطوط وهي : « علقه داعياً لمالكه أحمد بن السمسار » .

الصفحة الثامنة والأربعون

الأصل المخطوط	مطبوعة المنجد
س ٢ = الحمد لله قرأته أجمع – يعني الذيل – في مجلس واحد	قرأته أجمع في مجلس واحد
س ٨ = وأجاز بشوال	وأجاز سؤالي
س ١٢ = سمعه أجمع	سمع أجمع
س١٧=وكاتبه محمدبن إبراهيم بن محمدالسلامي	وكاتبه محمد بن إبراهيم بن محمدالشلالي

ولنأت الآن على عمل الأستاذ المحقق وتعليقاته في الهوامش : فهو مثلاً كان يحيل بعض الأنساب والأعلام الذين ترجم لهم المؤلف على كتاب تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر العسقلاني . ففي الصفحة الرابعة عشرة الهامش الأول علق الاستاذ المحقق على : « أبي إسحق إبراهيم بن علي المعروف بابن بقا » بقوله : لم يذكره ابن حجر في التبصير . في الحقيقة أن ابن حجر ذكره في صفحة : / ٢٠٢ / في السطر الاول .

وفي الصفحة الخامسة والعشرين علق الأستاذ المحقق على نسبة « ستيك و بسيل » في الهامش الثالث بقوله : « لم يذكرهما ابن حجر في التبصير » . ولكن ابن حجر ذكرهما في الصفحة : / ٦٧٤ / السطر / ٢٠ / وفي الصفحة / ٧٧٤ / السطر / ١٤ / .

وفي الصفحة السادسة والعشرين الهامش الثاني علق الاستاذ المحقق على : « أبي السلم » بقوله : « لم يذكره في التبصير » . ولقد ذكره ابن حجر في صفحة : / ٦٨٨ / السطر / ١١ / .

كما علق على ابن شهدة في الصفحة السابعة والعشرين الهامش الأول بقوله : « لم يذكره في التبصير » . والحقيقة أن ابن حجر ذكره في الصفحة : / ٧٩٣ / السطر الخامس :

الفهـــارس

ألحق الأستاذ المحقق في نهاية الكتاب عدة فهارس منها : فهرس عنوانه : الأعلام الذين ترجم لهم ابن رافع . ولكنه أغفل في هذا الفهرس الأعلام التالية أسماؤهم :

علي بن أبي المعالي بن خضر بن جباه المعري . الوارد ذكره في الصفحة الثامنة عشرة السطر التاسع .

محمد بن محمد بن الحسين المالكي . الوارد ذكره في الصفحة الثانية والعشرين السطر السادس .

المؤمل بن إهاب. الوارد ذكره في الصفحة الخامسة والثلاثين السطر السادس .

عبد الملك بن قفل. الوارد ذكره في الصفحة الخامسة والثلاثين السطر السادس.

* * *

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشيد بالجهد الذي بذله الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد في تحقيق هذا الكتاب وإخراجه على الرغم مما ورد في تحقيقه من هنات ، ولعل مرده كما ذكرت إلى السرعة في العمل .

كلية الآداب ـ مكتبة الدراسات العليا عبد الجبار زكار

أعلام الإصلاح في الجزائر (١٩٢١ ـ ١٩٧٥)

تأليف الأستاذ محمد علي دبوز

مطبعة البعث ـ قسنطينة ـ الجزائر ـ ١٩٧٦ ـ عدة الكتاب : ٢٧١ صفحة

الدكتور صفاء خلوصي

إنه لمما يملؤني سروراً أن يكون هذا الكتاب أول كتاب من الجزائر أقوم بمراجعته ، ولعله من أوائل الكتب المطبوعة في الجزائر طبعاً جميلاً أنيقاً ، فاقرؤه بلذة وشغف . إنه كتاب (أعلام الاصلاح في الجزائر خلال سني ١٩٢١ - ١٩٧٥) ويضم سير نخبة ممتازة من الأعلام المصلحين من أمثال الشيخ العربي بلقاسم التبسي ، وإبراهيم بن عمر بيّوض ، وابراهيم الابريكي وعبد الله بن إبراهيم أبو العلاء ، والشيخ بابا يوسف ، وعمر بن يحيى ، وقاسم بن الحاج عيسى ، وعمر بن مسعود ، وعدّون بن الحاج ، وأبو اليقظان إبراهيم ، ومحمد إطْفيّش ، مزداناً بنيف وستين صورة ضوئية .

ومؤلف الكتاب هو الأستاذ المحقق والأديب الأريب محمد علي دبّوز وقد سبق له أن أتحف المكتبة العربية بكتب لها أهميتها وخطورتها في عالم البحث والتأليف منها تاريخ المغرب الكبير في ثلاثة أجزاء ضخمة تضم ألفاً وستمائة وثلاثاً وثمانين صفحة من القطع الكبير ، ويتناول بالبحث والاستقصاء تاريخ ليبيا وتونس والجزائر والمغرب أي تاريخ المغرب بأكمله

بأقطاره الأربعة ، وقد خصّص الجزء الأول منه لتاريخ المغرب من العصر الحجري إلى الفتح الاسلامي ، والثاني للفتح الاسلامي وعهد بني أمية ، والثالث للعهد العباسي والدول المغربية المستقلة .

أما كتابه الثاني ، وهو (نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة) فهو الآخر في ثلاثة أجزاء تضم تسعمائة وستاً وتسعين صفحة من القطع الكبير أيضاً ، شرح فيه المؤلف عوامل النهضة الاسلامية في الجزائر وأدوارها ونتائجها الخطيرة في كل دور من هذه الأدوار وقادتها وتاريخهم وما قدموه للشعب الجزائري من أسباب العزّة والمنعة ، وتطرّق كذلك إلى عوامل ضعف الجزائر وقهرها من لدن الاستعمار الغربيّ ، ثم انبعاثها من جديد واستقلالها ، والكتاب مثل كلّ كتب الأستاذ دبّوز موشّح بصور ضوئية تاريخية لزعماء النهضة الجزائرية المباركة ومظاهرها ومصادرها .

وكتابه الثالث (أعلام الاصلاح في الجزائر) والذي نحن بصدده لا يقل خطورة عن الكتابين السالفين ، وهو كما ينبىء عنه عنوانه يبحث في أعلام الإصلاح بين عامي ١٩٢١ و ١٩٧٥ وقد أهداه مؤلفه بكل جدارة واستحقاق إلى الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش ، وباعتقادنا أن الكتاب جهد محمود مشكور ، وذلك لأن تاريخ الجزائر الحديث — كما يقول المؤلف الفاضل نفسه — من الاحتلال الفرنسي إلى الاستقلال ، ولا سيما تاريخ الاصلاح في الجزائر وأعلامه ، لم يدوّن قبل أن يتصدى المؤلف له ، إذ كان محفوفاً بمصاعب البحث والتقصي ، وأكثره ، إن لم يكن كله ، في ذاكرة المعاصرين وهم في أمصار نائية شتّى .

وقد روى الأستاذ البحاثة دبّوز تاريخ أعلام الاصلاح في الجنوب ،

ثم عرّج على أعلام الاصلاح وتاريخهم في الشمال معتمداً في الدرجة الأولى على أقربائهم وأصدقائهم وتلامذتهم ، وإن ما وقع فيه من تناقض إنما كان نتيجة تقدم السن ببعضهم واختلاط الأحداث والأخبار لديهم ، وإننا لنؤيد الباحث الفاضل فيما ذهب إليه من أن تاريخ الجزائر الحديث من الاحتلال الفرنسي إلى الاستقلال إذا لم يكتب فيما بقي من العقد الذي نحن فيه للقرن العشرين ، فمآله مع الأسف الشديد ، إلى الضياع لا محالة ، وذلك بوفاة مصادره أو عجزهم وتقدمهم في السن .

وممن يتحدث عنهم الأستاذ محمد علي دبّوز في سلسلة أعلام الاصلاح الشيخ العربي بن بلقاسم التبسّي ، ويَهْتَبِلُ الفرصة السانحة للتطرق إلى مآثر الغرب الجزائري ومزاياه الكثيرة فيقول : « إن الغرب الجزائري في مطلع القرن الرابع عشر للهجرة لم يكن مستعداً للنهضة كشرقه ، ولئن ازدهرت النهضة في مدينة قسنطينة وأطرافها أكثر فسبقت الغرب بعض أمور ، فإن ذلك لأسباب تورث الغرب الجزائري فخراً وتومىء إلى مزاياه ، ولقد كانت الأعباء التي نهض بها الغرب الجزائري من القرن الثاني حتى آخر الثالث عشر أكثر مما حمله الشرق فكان إعياؤه أكثر ونومه أطول ، وقيود المستعمرين عليه أشدّ » .

لقد قامت في الغرب الجزائري ثورات كبرى على مراكز الخلافة الأموية والعباسية بدوافع مختلفة واجتهادات مما أدى إلى قيام عدد من الدول : الدولة الرستمية العظيمة التي سارت سيرة الخلفاء الراشدين ، وذلك في القرن الثاني للهجرة ، وحمل جزء من هذه المنطقة أعباء الدولة الإدريسية ، وصار في القرن الخامس الهجري جزءاً من دولة المرابطين ثم من دولة الموحدين ثم نشأت

فيه دولة بني عبد الواد وبني زيّان في القرن السابع للهجرة ، فكانت عاصمتها تلمسان ، ودخلت في صراع مع دولة بني مَرين ، وفي القرن العاشر الهجري أصيبت الجزائر والمغرب بالاسبان فاستهدفوا « وهران » وشواطئه واحتلوا المرسى الكبير في « وهران » فقارعتهم الجزائر والمغرب أعنف قراع وجالدتهم أشدّ جلاد ، ثم حصل جهاد الأمير عبد القادر الجزائري فكانت قواعده في الغرب الجزائري ، ثم وقعت ثورة أولاد سيدي الشيخ الكبرى على المستعمرين وكانت قاعدتها في الغرب الجزائري ، وبعد أن استولى عليه الاستعمار الغربي الغاشم نكل بعلمائه وقادته وزعمائه وهاجر الكثير منهم إلى المشرق العربي ، فغط في نوم عميق ردحاً من الزمن إلى أن قيض الله له من أيقظه من سباته وأعاده سيرته الأولى إلى صراعه وجهاده وجلاده .

وتطغى على الكتاب كله نزعة إسلامية قوية مباركة ، ويشير الأستاذ دبّوز إلى ثورة الجزائر الجبارة العارمة التي غيرت وجه التاريخ ، وكيف أن مدينة قسنطينة أصبحت سنة ١٩٥٦ من مراكزها العظيمة الكبرى .

ويعتبر الأستاذ المؤلف أعلام الاصلاح في الجزائر كلهم أبناء القرآن في خلقهم وألسنتهم وأقلامهم فالقرآن والحديث الشريف هما اللذان قوّما ألسنتهم وأورثاهم العبقرية وغاية النبوغ .

ومما يذكره عن الشيخ العربي أنه كان ، كأكثر دعاة الاصلاح في العالم العربي ، مسجدياً تربّى في حجر المسجد في مراحل دراسته وكان ميدان عمله في عهود جهاده .

ومن رائع ما يروى عن الشيخ العربي أن القائد الشهيد عميروش

أرسل إليه رسوله وهو في الجزائر العاصمة يسأله وصية يتبعها في جهاده ، فلم يجد الشيـخ العربي وقتاً لكتابة الوصية وخاف التفتيش الشديد فسلَّم لرسول القائـد عميروش مصحفاً صغيراً قائلًا له : « بلغه سلامي ودعواتي وابتهاجي العظيم بجهادهم وانتصارهم ، وقل له : هذا المصحف الشريف هو وصيتي له » .

ويذكر العلاّمة الفاضل ديبّوز في كتابه شيئاً من أدب الطلبة مـع مشايخهم والعامة من العلماء والعزّابة وإجلالهم ، فإذا تحدثوا إليهـم بدؤوا كلامهم بالدعاء لهم ، ويزجون بـه حديثهم إليهم فمن ذلك قولهم باللهجة الجزائرية (ابارك فيك) أي بارك الله فيك .

ويحدثنا كذلك عن تنافس طلبة العلم في حفظ القرآن واستظهاره ، وعن الشعار الرائع : « إن العلم سلاح لا يجوز أن يكون إلا في الأيدي الطاهرة والنفوس التي تنفـع به ولا تضر ، ويكون بها نوراً لا ناراً » . ويذكرنا هؤلاء العلماء الذين يسعدنا أن نعاصرهم بالأوائل من علمائنا الذين كانوا إلى جنب عكوفهم على العلم يعتمدون على أنفسهم في المعاش ، فالتعليم عندهم عبادة ، ولمَ لا يكون كذلك وقد جاء في التعاليم الاسلامية أنك كلما أزددت علماً ازددت قرباً من الجنة ، ولذلك كان علماؤنا يحرصون على فهم مغاليق العلم حتّى وهم على فراش الموت وفي ساعات الاحتضار ،وقد رُوِيَ العديدُ من القصص عمّن شُرحت له قضية نحوية أو فقهية وهو قاب قوسين من الموت أو أدنى ، ولا يكاد الشارح ينهي شرحه حتى يلفظ عاشق العلم المحتضر أنفاسه .

لذلك نجد العزّابة والمعلمين في وادي (ميزاب) بالجزائر يقومون

بعملهم الجادّ الدائب في المساجد والكتاتيب والمعاهد الحرة ويرون ذلك عبادة عظمى وأجرهم فيها على الله ، لا يتقاضون أي أجر مادي بل يرفضونه لان ما يقومون به عبادة خالصة لوجه الله ، فالعزّابة والمعلمون كلهم يعتمدون على أنفسهم في المعاش ، إذ يخرجون بعد أداء أعمالهم التعليمية إلى أعمالهم الأخرى المعاشيّة ، يمنحونها مايستطيعون من وقتهم فيخرج العزّابي إلى حقله أو متجره ، فيعمل بكل جد ونشاط إلى أن يحين وقت المسجد فيهرع إليه بلذة وشوق .

ويطّلع القارىء من خلال دراسته للكتاب على المعاهد والمؤسسات الثقافية في الجزائر ، فيهوله تعددها وكثرة انتشارها رغم طول أمد الاستعمار الفرنسي لهذه الديار ، وهي تحت أسماء شتّى ، فهناك فضلاً عن المساجد التي هي قواعد راسخة للعلم والبحث والثقافة في مختلف أقطار العالم الاسلامي وأمصاره منذ نشأة الاسلام الأولى ، أقول هناك عدا المساجد جمعية العلماء ومعهد الشيخ إبراهيم الابريكي ومعهد الحياة وغير ذلك كثير ، ومعهد الشيخ الابريكي لتحفيظ القرآن وتدريس العلوم لايقبل فيه المبتدئون ، بل الذين يعرفون القراءة ، وتقدموا في حفظ القرآن ، ولهم استعداد عقليّ خاصّ . أما معهد الحياة فقد انشيء عام ١٩٢٥ فأقبلت إليه البعوث العلمية من مدن (ميزاب) وسواها ، وهو معهد عظيم حقاً كوّن للجزائر والمغرب بل وللعالم الاسلامي أجيالاً من المثقفين المصلحين من بناة النهضة وجنود الثورة الجزائرية وكان قطب الرحى فيه العلامة الجليل الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض .

وبعد فالأستاذ البحاثة محمد علي دّبوز أفضل الشكر وأسناه على جهده ومسعاه لما ضمن كتابه الفذّ (أعلام الإصلاح في الجزائر) من قيّم المعلومات مما يجعل كل عربي يتوق شوقاً إلى إخوان له في الجزائر يفيضون علماً وموهبة .

اكسفورد د . صفاء خلوصي

آراء وأنباء

كتاب الأزمنة والأنواء

« لابن الاجدابي »

الأستاذ علي الفقيه حسن

منذ سنوات أهدتني وزارة الثقافة والارشاد القومي بسورية كتاب الأزمنة والأنواء لأبي إسحق إبراهيم بن الأجدابي ، وهذا الكتاب من خيرة ما ألف في هذا الموضوع كما ذكره محققه الدكتور عزة حسن .
ومما لا شك فيه أن مؤلفات أبي إسحق إبراهيم بن الأجدابي جميعها قيمة وأمِنَ فيها مؤلفها من التصحيف والتحريف ورُزق فيها حسن التصنيف .
وابن الأجدابي مكانته العلمية مرموقة لدى علماء اللغة وغيرها من العلوم ، غير أن الدكتور عزة حسن استعظم الثروة العلمية التي كان يتحلى بها العلامة الكبير أبو إسحق بن الأجدابي ، وما كان يظن أن طرابلس الغرب ينشأ فيها مثل صاحب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ وغيره من المؤلفات . والأغرب من ذلك ما صرح به قائلا : « ما كنا نعلم أن طرابلس الغرب كانت مركزاً من مراكز الفكر والعلم وما كنا رأينا كذلك علماء كباراً لهم شأن في علم من العلوم ينشؤون فيها ، ولكن نشأة أبي إسحق بن الأجدابي

في طرابلس الغرب ، واشتهاره بالعلم والتعليم فيها ، واشتغاله بالتصنيف في اللغة وغيرها من الفنون ، يدل دلالة قاطعة على أن طرابلس الغرب كانت حقاً مركزاً من مراكز العلم ، وإن لم تبلغ في ذلك مبلغ حواضر الحضارة والعمران الكبرى في المشرق والمغرب من مثل بغـداد ودمشق وحلب والقاهرة والقيروان وقرطبة » .

إن ما ذكره محقق الكتاب من أن طرابلس الغرب لم تكن في يوم من الأيام موطناً لكبار العلماء والمؤمنين ، كلام يحتاج إلى تمحيص ومراجعة ، إذ لا يخفى على أقطاب المؤرخين الذين دونوا سير علماء الفقه واللغة والتاريخ ، أن من كبار العلماء الذين نشؤوا في طرابلس الغرب جمال الدين ابن منظور صاحب لسان العرب ، وهو المعجم الكبير الذي يحتوي على ثمانين ألف مادة لغوية ، فضلاً عن بحوثه في التفسير وغريب الحديث والأمثال والأدب وأسماء البلدان مع ذكر الشواهد . فهذا المعجم الكبير خزانة كبرى جمعت شتات العـلم المتفرق ، ومؤلفه ابن منظور من طرابلس الغرب وكان قاضياً بها ، وهو من رجال القرن الثامن ووفاته كانت في سنة ٧١١ ﻫ . وجده الأعلى الصحابي الجليل رويفع بن ثابت دفين مدينة البيضاء بطرابلس كما ذكره ابن منظور صاحب اللسان في مادة ج ر ب ، وقد رفـع نسبه إلى رويفع بن ثابت الصحابي المذكور ، ولسـان العرب هو أكبر معجم عربي برز للوجود وليس له نظير مماثل .

ومن العلماء الكبار الذين نشؤوا في طرابلس الغرب الفقيـه الكبير محمد بن محمد الحطاب من رجال القرن العاشر صاحب المؤلفات الكثيرة التي منها منح الجليل في شرح مختصر خليل في ستة أسفار ، وهو مطبوع ومتداول بين العلماء ومرجع الفقهاء . وله غير ذلك من المصنفات في الحديث

والتفسير واللغة وعلوم العربية ، وهو من رجال القرن العاشر .

ومن رجال طرابلس العلامة ابن المنيّر من علماء القرن السادس ، وقد ذكره ابن خلدون في المقدمة وأثنى عليه وخصوصاً في علم الفرائض .

هؤلاء أفراد من كبار العلماء ذكرتهم على سبيل المثال . على أن طرابلس الغرب كان فيها رجال خدموا وتركوا مصنفات ليس لها مثيل ، وقد بينت هذه الحقائق حتى يقتنع السيد عزة حسن أن البلاد الطرابلسية أنتجت هؤلاء العلماء ، وأمثالهم قليل في المشرق والمغرب ، وليس من الانصاف أن ننكر وجود النهضة العلمية عبر التاريخ في طرابلس .

وقد ذكر محقق الأزمنة والأنواء أن وفاة أبي إسحاق إبرهيم بن الأجدابي كانت حوالي سنة ٦٥٠ ، وهذا غير صحيح فابن الأجدابي من رجال القرن السادس لأن ياقوت الحموي ترجم له ، وياقوت كانت وفاته في سنة ٦٢٦ ، فكيف يمكن أن يترجم لأبي إسحاق بن الأجدابي الذي توفي بعده حسبما ذكره الدكتور عزة حسن ؟ . ورحم الله ولي الدين ابن خلدون الذي قال : «التاريخ مزلة أفهام ومزلة أقدام » .

وأختم هذه الكلمة بما قاله أحد الشعراء :

وما عبّر الإنسان عن فضل نفسه   بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

طرابلس الغرب   **علي الفقيه حسن**

مخطوطات يتيمة في مكتبة شيستر بيتي بدبلن [1]

Unique Mss at Chester Beatty Library
Dublin (Irish Republic)

- ٢ -

الدكتور صفاء خلوصي

رقم المخطوط

٣٠٦٠ – « كشف الإبهام » لبدر الدين محمد بن عبد الله بن قُبيِّم الشبليّة ، الشبليّ الحنفي (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٦٨ م) . والمخطوط مستند في أصوله ومعلوماته على « الإلمام في أحاديث الأحكام » لابن دقيق العيد (المتوفى سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م) . عدد أوراقه : ١٦٧ ورقة مقاسها ٢٦،٤ × ١٨،٩ سم ، وهو بخط المؤلف نفسه ، وتاريخه ٢٥ رجب ٧٣٨هـ / ٢٨ شباط (فبراير) ١٣٣٨ م .

٣٠٧٠ – « تُحفة العالِم في سِيرةِ سيِّد العوالم » لنصر الدين أبي عبد الله محمد بن أيْبَك بن عبد الله بن الفَأفَاء (عاش حوالي سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م) .

[سيرة النبي ﷺ مستقاة من سيرة ابن هشام المتوفّى سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٤ م] .

(١) نشر القسم الأول من هذا المقال في العدد الرابع من المجلد ٥١ ص ٩٠٤

عدد أوراقه : ٣٠٧ مقاسها ٢٦٫٥ × ١٩ سم بخط نسخ واضح ، وناسخه أحمد بن عبد ربّ النبيّ الشرابيّ الناسخ القُرَشيّ الأنصاري ، وتأريخه ٢٢ رجب ٧٨٢ هـ / ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٣٨٠ م ؛ وتحتوي الورقة ٣٠٦ / ا على ملاحظة تشير إلى قراءة المخطوط على مؤلفه في خانقاه بيبرس بتاريخ ٢ ذي الحجّة ٧٨٢ هـ / ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٣٨١ م.

٣٠٨١ - « الابتهاج في انتخاب المِنْهاج » لعلاء الدين أبي الحسن علي بن إسماعيل بن يوسُف القُونَوي الشافعيّ (ت ٧٣٨ هـ / ١٣٣٨م).

والمخطوط تلخيص « لشُعَب الإيمان » (أو المِنْهاج) وهو رسالة شافعيّة في أصول الدين لأبي عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد الحليمي الشافعيّ (المتوفى سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) عدد أوراقه ١٧٩ ورقة مقاسها : ٣٠٫٣ × ٢٠٫٣ بخط نسخ واضح ، وبلا تاريخ (ولعله من القرن ١٢ هـ / ١٨ م) .

٣٠٨٧ - « دلائل المنهاج » لزين الدين أبي المعالي عبد الملك بن علي ابن أبي المُنَى الشافعي الحلبي البابيّ (المتوفى سنة ٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م).

[وهو تلخيصٌ وتنقيحٌ « لمنهاج الطالبين » لمحيي الدين النووي]

عدد أوراقه : ٢١٥ ورقة مقاسها ٢٧٫٦ × ١٨٫٣ بخط نسخ واضح ، وناسخه محمد بن أحمد بن حسن البابي الشافعي (المتوفى سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م) وتاريخه : ٢٦ رمضان ٨٣٩ هـ / ١٣ نَيْسان (إبريل) ١٤٣٦م ، وقد قوبلت النسخة على نسخة بخط المؤلف لانعرف أنها موجودة .

٣٠٩٥ - « مرسلُ السائل إلى تسهيل المسائل » لشمس الدين محمد ابن محمد بن أحمد الحجازي الأنصاري (عاش حوالي سنة ٨٣٥ هـ / ١٤٣٢م)

[دراسة نقدية للأحكام الشرعية الواردة في « روضـات الطالبين » وهو شرح محيي الدين النووي (المتوفى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٨ م) على « الوجيز » للإمام الغزالي ؛ عدد أوراقه : ٢٩١ ورقة مقاسها ٢٧,٥ × ١٨,٢ سم بخط نسخ واضح ، وناسخه محمد بن حسن الرمزي ، وتاريخه : ٢٦ شعبان ٨٩٤ هـ / ١٤ آب (أغسطس) ١٤٨٩ م .

٣١٠٠ — « القسطاس المستقيم في الحدّ والبرهـان القويم » للإمام المهدي لدين الله المُرتضى (المتوفى سنة ٨٤٠ هـ / ١٤٣٧ م) [رسالة موجزة في المنطق ، الورقة ٥٦ — ٥٩ / ا] .

٣١٠١ — (١) « كتـاب الأحاديث » لمحمد بن علي بن محمد بن طُولُون الصالحي الدمشقي الحنفي (المتوفى سنة ٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ م) [ويتضمن عشرة أحاديث مختارة رويت في مساجد دمشق الورقة ١ — ٤/ ا] .

(٢) « كتاب الأحاديث » لابن طولون [خمسة وأربعون حديثاً مما روي في مساجد دمشق ، الورقة ٥ - ١٧/ ا] .

(٣) « كتاب الأحاديث » لابن طولون [أحاديث وقصص وأقوال مأثورة وأشعـار مما روي في معاهد دمشق الشرعية ، الورقة ١٧ / ب — ١٦٤ / ب] .

(٤) « السفينة الطولونية في الأحاديث النبوية » لابن طولون [٣٦٠ حديثاً مختاراً من ٣٦٠ مصدراً ، الأوراق : ١٦٧ - ٢٧١] .

(٥) « الملتقط من التذكرة » لابن طولون [مقتبسات لعلها مماثلة « للفوائد القدسية والفرائد العطرية » لبرهان الدين بن عبد الرحيم بن محمد ابن جماعة الكيناني الشافعي (المتوفى سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م) وهو مجموعة

أحاديث وأقوال فقهية وأشعار . الأوراق : ٢٧٤ – ٣٠٧ .

ومجموع الأوراق في المجلد كله ٣٠٧ ورقة مقاسها ١٨ × ١٣٫١ سم ، بخط نسخ واضح ، بلا تأريخ ، ولعله من القرن ١٠ هـ / ١٦ م .

٣١١٢ - (١) « تعليقات على كتاب الشفاء » لمحمد باقر بن محمد داماد الحسيني (المتوفى سنة ١٠٤٠ هـ / ١٦٣٠ م) [وهو ملاحظات على قسم من كتاب « الشفاء » لابن سينا (المتوفى سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م)] .

(٢) « شرح من لا يحضره الفقيه » لبديع الزمان القهبالي (كذا) [وهو ملاحظات على كتاب « من لا يحضره الفقيه » الذي يُعدُّ من كتب الشيعة المعروفة لأبي جعفر محمد بن علي بن بابُويه القُمّي الصّدوق (المتوفى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) الأوراق : ٤٣ – ٦٠

(٣) « الأحاديث » لأبي عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز الكَشّي [وهو ملاحظات على مجموعة أحاديث ، الأوراق : ٦١ - ١٣٢] .

(للبحث صلات) اكسفورد : د . صفاء خلوصي

حول شعر الصنوبري

ملاحظات على استدراك في مجلة المورد

الأستاذ مصباح غلاونجي

اطلعت على مقال الأديب المحقق الأستاذ هلال ناجي منشور في العدد الأول من المجلد السادس من مجلة المورد بعنوان « تعقيب على مقالات في المورد » . شمل المقال ، فيما شمل ، استدراكاً على ديوان أبي بكر الصنوبري الذي نشره الدكتور إحسان عباس ، وعلى تتمة الديوان للأستاذين لطفي الصقال ودرية الخطيب ، وعلى ما نشره الأستاذ ضياء الدين الحيدري في العدد الرابع من المجلد الرابع من مجلة المورد من مقطوعات شعرية للصنوبري لم ترد في المصدرين المذكورين .

ضمّ مستدرك الأستاذ هلال ناجي ستاً وعشرين مقطوعة . وقد رأيت ، استكمالاً للعمل الجليل الذي نهض به وتتميماً للفائدة ، أن أبدي هذه الملاحظات :

١ – اعتمد الكاتب الأديب في بحثه ثلاث مخطوطات سمّى اثنتين منها وهما : مخطوطة كتاب « حدائق الأنوار » ومخطوطة كتاب « التشبيه »

ولم يسمِّ الثالثة ، بل اكتفى في تعقيبه على كل مقطوعة أخذها عنها ، بقوله : مخطوطة ليدن ... وكان من المستحسن أن يعرف بها أيضاً . وهي مخطوطة كتاب « المحب والمحبوب والمشموم والمشروب » للسري الرفاء .

٢ـ المقطوعة الأولى : ا ـ جاء في الشطر الخامس منها لفظة « فُضّلت » ونصه : « قد فُضّلت بدرة بيضاء » .

وهذه اللفظة مصحفة وصوابها « فُصّلت » أي زينت بدرة بيضاء . وهو المعنى الذي يناسب ما تقدم من اشطار القصيدة وهي :

أما ترى جواهر الأنواء
ألفها مؤلف الأنداء
ما شئت من ياقوتة حمراء
فيها ، ومن ياقوتة صفراء
زهراء مثل الزهرة الزهراء

حيث شبه الشاعر مظاهر أنواء الطبيعة بعقد من الجواهر نُظمت حبّاته وألفت وجعلت بينها حبة متميزة منها وهي « درة بيضاء » .

ب ـ ذكر الكاتب في الهامش ، تعقيباً على الشطر السادس من هذه المقطوعة ونصه :

فإن لحظت زاهر الصحراء .

أن روايته في مخطوطة الحدائق مخالفة لرواية مخطوطة ليدن ، ونصها في الحدائق :

فإن لحظت زاهر الشجراء

مع أن هذا الشطر قد ورد أيضاً ، على مثل رواية الحدائق ، بالورقة ١٠٢ من مخطوطة المحب والمحبوب .

٣ ـ المقطوعة الثالثة :

ا ـ وردت كلمة « راسية » في البيت الثاني منها ونصه :

كأنمـــا الأعـــين في قعرها (راسية) إثر القذى الراسب

ونرجح أنها مصحفة . وصوابها (راسبة) . لأن الرسو هو الاستقرار والثبات . أما الرسوب فهو الهبوط سفلاً إلى قعر الماء . وهو ما قصده الشـاعر ، في رأينا ، ودلت عليه كلمة « قعرها » . هذا إلى ما في اجتماع كلمتي « راسبة » و « الراسب » في البيت من محسن لفظي .

ب ـ وردت كلمة « صارخ » في البيت السـابع من هـــذه المقطوعة ، ونصه :

(وصارخ) أنساً إلى حاضر وهاتف شــوقاً إلى غائب

ونعتقد أنها مصحفة وأن صوابها : « صادح » . ذلك لأن الصراخ لا يرتفع إلا في حال الاسـتغاثة أو عند الألم أو الفزع أو المصيبة . وهذا لا ينسجم مع كلمات القصيدة ومعانيها التي تفيض ابتهاجاً واستبشاراً ، ولا مع تلاقي الطيور المتحابة ، ذلك التلاقي الذي يبعث على التغريد أنسـاً وطرباً ونشوة ، وليس على الصراخ فزعاً أو ألماً أو استغاثة .

٤ ـ المقطوعة الرابعة :

ورد البيت الثاني منها على هذا النحو :

تحسـبها من طول ترجيعهـا (دائمة) تنشـد أو تخطب

ونرجح أن تكون كلمة (دائمة) مصحفة . وصوابها (دائبة)

ه - المقطوعة السادسة ونصها .

ما زال يقبض روح الدنّ مبزله كما (تغلغل) سلك الدر في الثقب
وأمطر الكأس ماءً من أبارقه فأنبت الدر في أرض من الذهب
وسبّح القوم لما أن رأوا عجباً نوراً من الماء في نار من العنب

ا - ترك الكاتب مكان كلمة (تغلغل) فارغاً . وقد استدركناها من المصادر التي سنذكرها .

ب - ورد البيتان الثاني والثالث في تتمة ديوان الصنوبري ٣٣ وفي الروضيات ٦٠ وفي حلبة الكميت . ويبدو أن الكاتب لم يتنبه عليهما

حـ - ورويت الأبيات الثلاثة في ديوان ابن المعتز ٢١٠ في قصيدة تنتظم أحد عشر بيتاً [١] كما ورد البيتان الثاني والثالث منها في كتاب أحسن ما سمعت للثعالبي ٥١ معزوين إلى ابن المعتز وكذلك البيت الثالث في قطب السرور ٥٣١ . ونرى أنها لابن المعتز وأن عجز بيت الصنوبري :

ناهيك من فضة تجري على ذهب نور من الماء في نار من العنب [٢]

---

(١) مطلعها :

يا من يفندني في اللهو والطرب دع ما تراه وخذ رأيي فحسبك بي

(٢) البيت من قصيدة للصنوبري في ٦ أبيات وردت في قطب السرور ٥٣٢ - ٥٣٣ ونقلها عنه الدكتور إحسان عباس الى تكملة ديوان الصنوبري ٥٥٤ ومطلعها :

ومجلس لا ترى فيمن يطوف به إلا فتى صيغ من ظرف ومن أدب

المطابق لفظاً ومعنى لعجز البيت الثالث من هذه المقطعة — إمّا تضمنياً أو اتفاقاً — هو الذي أوقع الرواة في هذا التخليط في نسبة الأبيات .

٦ – المقطوعة التاسعة : أورد الكاتب البيت الثاني منها ونصه :

ما للهــدى بيننا مكانٌ ما أمكن (الكوب) والكتاب

تاركاً مكان كلمة (الكوب) بياضاً ، ومشيراً إلى أنها كلمة غير مقروءة — ونرجح أنها كما ذكرنا .

٧ ـ المقطوعة الثامنة عشـرة : استبدل بكلمة (وخلعت) كلمة (وأطعت) في البيت الأول منها ونصه في المورد :

إن الذي استحسنت فيه خلاعتي (وأطعت) فيه تنسكي وتحرجي

مع أنها وردت في مخطوطة المحب والمحبوب (وخلعت) وهو الصواب لان كلمة (وأطعت) تؤدي عكس المعنى الذي توخاه الشـاعر وهو : خروجه وتمرده على تنسكه وتحرجه ووقاره في سبيل محبوبه .

٨ ـ المقطوعة العشرون : وردت كلمة (نضيح) في البيت الأول منها ونصه :

شكوت إليك من قلب قريح بدمع في شكايته (نضيح)

ونعتقد أن كلمة (نضيح) مصحفة ، وصوابها (فصيح) . أي بدمع يفصح عن ألم قلبي القريح .

٩ ـ المقطوعة الحادية والعشرون : ورد في جملة أبياتها البيتان التاليان على هذا النحو :

هذا (طراز) عليك أم سبج ذانك صدغان أم همـا زرد

مالي بخـديك يا غلام يـد (ولا بخديك للعيون يد)

ا ـ البيت الأول وارد في ديوان المعاني ١ : ٢٤٨ ، ونقله عنه الدكتور إحسان عباس إلى تكملة ديوان الصنوبري : ٤٧٧ ولم يُنبه الكاتب على ذلك .

ب ـ كلمة (طراز) ـ وهو علم الثوب ـ ترجح أنها مصحفة وصوابها (طرار) جمع طرة : وطرة الجارية هي ما تطره من الشعر الموفي على جبهتها وتصففه وتجعله كالحلق . وقد وردت كلمة (حلق) بدل كلمة (مسبج) في ديوان المعاني مما يؤكد التصحيف .

ج ـ ورد الشطر الثاني من البيت الثاني في مخطوطة المحب والمحبوب على هذا النحو : « وما لحديك بالعيون يد » .

وقد أورده الكاتب بالصيغة التي ذكرنا : « ولا بخديك للعيون يد » دون أن يعلل ذلك . مع أننا نرجح رواية الأصل .

١٠ ـ المقطوعة الخامسة والعشرون ونصها :

انظر إلى نرجس تصدى ينشر منه الصباح طاقه (١)
(واذكر) أباطيل واصفيه بالحسن في دفتر الحماقه (٢)

---

(١) ورد هذا البيت في مخطوطة المحب والمحبوب وحلبة الكميت واللطائف والظرائف على هذا النحو :

انظر إلى نرجس تبدت صبحاً لعينيك منه طاقه

(٢) في حلبة الكميت : واكتب أسامي مشبهيه ـ وفي المصادر الأخرى : واذكر أسامي مشبهيه ـ

وأي حسن (لعين) صب من يرقات يحل ماقه (١)
كراية ركبت عليها صفرة بيض على رقاقه (٢)

أ - رويت هذه الأبيات منسوبة إلى أبي العلاء السروي في كل من : مخطوطة المحب والمحبوب بالورقة ١٠٢ ، وفي حلبة الكميت : ٢٣٥ ، واللطائف والظرائف ٩١ ، ووردت الأبيات (١ و ٢ و ٤) في مطالع البدور ١ : ١٠٢ .

ولا أظنها للصنوبري ، إذ لا تتسم بطابع شعره ، ولا تتفق مع روحه التي افتتنت بالطبيعة وبجمالها ، وكانت ترى كل ما فيها زاهياً وجميلاً . ولو تصفحنا ما بين أيدينا من شعره لما وجدنا فيه ذماً لزهرة -

ب - ترك الكاتب فراغاً مكان كلمة (واذكر) في البيت الثاني لأنها غير مقروءة في المخطوطة . وقد استدركناها من المصادر التي ذكرناها .

ﺟ - وردت ، في البيت الثالث كلمة (لغير) بدل (لعين) وهو تصحيف صححناه أيضاً من المصادر المشار إليها .

١١ - فات الكاتب الاطلاع على بعض الأبيات المنسوبة إلى الصنوبري في مخطوطة كتاب « المحب والمحبوب » وهي :

ا - سماؤه من فضة وأرضه من ذهبه

---

(١) ورد الشطر الأول منه في المحب والمحبوب كالآتي : وأي حسن يرى لطرف - وفي حلبة الكميت : وأي حسن لعين صب .

(٢) روي الشطر الاول من هذا البيت في كل من اللطائف والظرائف وحلبة الكميت : « كروثة ركبت عليها » .

وكأسـها مخضوبة أوتارهـا مصطخبه

والبيتان مستدركان على المقطوعة ١٢ في تكملة ديوانه ٤٥٣ - ٤٥٤ ويليان البيت الأول منها في الترتيب وهو :

يوم ذيول سـحبه على الثرى منسـحبه

ب - بدر بدا بالضياء معتجراً غصن أتى بالبهاء متشحا

وهو مستدرك على بيته المروي في نهاية الأرب ٢ : ٢٧١ والروضيات ٦٩ ويتقدمه في الترتيب :

رق فلو كلفته أعيننا أن يرشح الخمر خده رشحا

دمشق . مصباح غلاونجي

من معجم عثرات الأدباء *

الأستاذ محمد العدناني

١ - الوِشاح ، الوُشاح ، الإشاح ، الأُشاح

يطلقون على النسيج العريض ، الذي تشدّه المرأة بين عاتِقها وكَشحَيها ، اسمَه الفرنسي المعرَّب : الإشارب . والصواب هو : الوِشاحُ ، أو الوُشاحُ ، أو الإشاحُ على الإبدال ، أو الأُشاحُ كما جاء في الصّحاح .

وجاء في النهاية لابن الأثير : [وفي الحديث « أنه كان يتوشَّح بثوبه » أي يتغشّى به . والأصل فيه من الوشاح . ويقال فيه إشاحٌ أيضاً] .

ومن المعجمات التي ذكرت الوِشاحَ : الصّحاح ، والمحكم ، والأساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

٢ - إصْطَبْلاتٌ ، إسْطبلاتٌ ، أصاطِبُ

---

* هذه نموذجات من « معجم عثرات الأدباء » الذي أرجو إعطاءه قريباً للناشر للبدء بطبعه ، وأملي عظيم في أن يزودني أعلام الضاد بملحوظاتهم على صفحات مجلة مجمعنا الخالد ، أو يرسلوها إلي ، وعنواني : بيروت ، شارع الجامعة العربية ، بناية الاسكندراني رقم ٣

يقول النحو الوافي : لايجمع إصطبلٌ إلا على إصطَبْـلاتٍ ؛ لأنه خماسيٌ لم يُسمع له عن العرب جمع تكسير .

ولكنْ : جمعه تاج العروس ، والمد من القاموس ، والمتن من اللغة على : أصاطِب ، وجمعه المصباح المنير ودوزي على : إصطَبْلات ؛ وجمعه محيط المحيط وأقرب الموارد على : إصطبلاتٍ وأصابلَ ؛ وجمعه المعجم الكبير الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة وعلى : إصطَبْلاتٍ وأصاطِبَ ؛ وجمعه الوسيط على : إسطَبْلاتٍ ، وذكر المعجم الكبير والوسيط أن المفرد هو : إسْطَبْل أو إصطَبْل .

ولم يضع له المختار جمعاً ، وروى أن أبا عمرو قال : الإصطبلُ ليس من كلام العرب . وقال القاموس : إن كلمة الإصطبلِ شامية ، ولم يذكر لها جمعاً . وقال المعجم الكبير إنها يونانية الأصل[١] .

وقد عثر محيط المحيط حين أجاز جمع الإصطبـلِ على : أصابِلَ ، فنقلها عنه أقرب الموارد — كعادته — وعَثَر مثلَه .

أما تصغيره فهو : أصيطِب ، وأرى أن نجيز (أسَيْطِب) أيضاً ، ما دام المعجم الكبير والوسيط أجاز استعمال كلمة الإسطبل .

والإصطبلُ هو : موقف الدوابّ ، ويطلق على حظيرة الخيل والبغال . قال أبو نُخيلة السعديّ يمدح أبا الفضل الربيعَ :

لولا أبو الفضلِ ، ولولا فضلُه

---

(١) ربما كان مصدر هذا القول محيط المحيط فقد جاء فيه أن الاصطبل من اليونانية والصواب أنه من اللاتينية . وهو بالفرنسية étable وبالانكليزية stable . وجاء في معجمي وبستر الأميركي واكسفورد الانكليزي أن الكلمة الانكليزية الحديثة استعملت في الانكليزية المتأخرة وأنها من الفرنسية القديمة estable وهذه من اللاتينية stabulum المشتقة من الفعل stare أي وقف.يتبين من هذا المعنى للفعل اللاتيني صحة التعريب العربي للاصطبل وهو موقف الدواب أو مربطها . (لجنة المجلة)

مااسْطِيبَ بابٌ لا يُسَنّى(١) قُفْلُهُ ومِنْ صلاحٍ راشدٍ إصطبالُهُ
نِعْمَ الفتى ، وخيرُ فِعلٍ فِعلُهُ يَسْمُنُ منهُ طِرفُهُ وبَغْلُهُ

لذا قُلْ :

(أ) إسْطَبْل أو إصْطبْل .

(ب) واجمعه على : إسطبلاتٍ ، أو إصطبلاتٍ ، أو أصاطبَ .

(ج) وصغّره على : أصيطِبٍ أو أسيْطِبٍ .

٣ - الأقْتُ ، الوقتُ ، المؤقّتُ ، المُوَقّتُ

ويخطئون من يقول : الأقْتَ والمؤقّتَ ، ويقولون إن الصواب هو : الوَقْتُ والموَقّتُ ، اعتماداً على ما جاء في الأساس، والمصباح ، والوسيط .

ولكنْ :

(١) أجاز : أقّتَهُ فهو مؤَقّتٌ ، ووَقّتَه فهو مُوَقّتٌ كلٌّ من معجم ألفاظ القرآن الكريم ، الذي ذكر الآية ١١ من سورة المرسلات: (وإذا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) ، وقال إن معناها : حُدد وقتُها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم يوم القيامة .

وأجازها أيضاً : الصحاح ، والراغب الأصفهاني ، والمختار ،واللسان، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمتن ، والمعجم الكبير .

(٢) وذكر المعجم الكبير والوسيط : أقَتَهُ يأقِتُهُ أقْتاً : قدر له حيناً ، وحدد وقته ، يقال : أقَتَ الصّلاةَ وأقّتَ لها . وأقّتَ العملَ ونحوَهُ : أقتَهُ ، ويقال : أقّتَ الصّلاةَ ، وأقَتَ لها .

(٣) وقال إن الأقْتَ هو الوَقتُ كلٌّ من القاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، والمعجم الكبير .

---

(١) سنّي الباب : فتحه

(٤) وذكر وَقَتَهُ يَقِتُهُ وقتاً فهو مَوْقوتٌ كُلٌّ من معجم ألفاظ القرآن الكريم ، الذي قال إن معنى وَقَتَهُ : جعل له زمناً يقع فيه ، واستشهد بالآية ١٠٣ من سورة النساء : (إنَّ الصَّلاةَ كانتْ على المؤمنينَ كتاباً موقوتاً) ، والصحاح ، والأساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمتن ، والوسيط .

(٥) وفي حديث ابن عباس : لم يَقِتْ رسول الله ﷺ في الخمر حدّاً ، أي : لم يُقَدِّرْ ، ولم يَحُدَّه بعدد مخصوص .

وهنالك الميقاتُ ، ويعني الوقتَ أيضاً . وجمعه مَواقيتُ .

لذا قُلْ :

(١) الوقتَ ، والأَوْقتَ ، والمِيقاتَ .

(٢) وَقَتَهُ فهو مَوْقوتٌ ، وأَقَتَهُ فهو مأْقُوتٌ .

(٣) وقَّتَهُ فهو مُوَقَّتٌ ، وأَقَّتَهُ فهو مُؤَقَّتٌ .

٤ ـ الأَكَمُ ، الأَكَاتُ ، الإِكامُ ، الآكُمُ ،

الأُكُمُ ، الأُكْمُ ، الآكامُ ، الأكاميمُ .

ويختلفون اختلافاً كبيراً في جموع الأَكَمَةِ ، إذ يتراوح عددها بين جمعين وسبعة جموع . فمن جمعها على أَكَمٍ وأَكَاتٍ : الصحاحُ ، واللسان ، (أجاز جمعها على أُكُمٍ وإكامٍ أيضاً) ، وابن هشام الأنصاري في شرح قصيدة كعب بن زهير (اكتفى بذكر الجمع أَكَمٍ) ، والمصباح ، والقاموس (اكتفى بذكر الجمع أَكَمٍ أيضاً) ، والتاج (ضم إليها الجمعَ آكُم) ، والمدّ ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير .

ومن جمع الأَكَمَ على إكامٍ : عمرُ بن أبي ربيعة في قوله :

إنّما أنتِ ظَبيةٌ مِن إكامٍ عشائبِ

(عشائب : معشبة)

والصحاحُ ، واللسان ، وابن هشام الأنصاري ، والمصباح ، وأقرب الموارد ، والمتن .

ومن جمع الأَكَمَ على إكامٍ وآكُمٍ : التاجُ (ضم إليها آكام) ، والمدّ ، والمعجم الكبير .

ومن جمع الإكامَ على أكُمٍ : الصحاح ، وهامش النهاية ، واللسان ، وابن هشام الأنصاري ، والمصباح ، والتاج ، والمد ، وأقرب الموارد ، والمتن .

وانفرد المعجم الكبير بجمع الإكامِ على : أكُمٍ وأكْمٍ .

ومن جمع الأُكُم على آكامٍ : في حديث الاستسقاء ، حين اشتد المطر ، دعا النبي ﷺ ، فقال : « اللهم حوالَيْنا ولا علينا ، على الآكامِ والظِّراب ، وبطون الأودية ، ومنابتِ الشجر ... » . الظِّرابِ : الروابي الصغيرة .

وحين روى النهايةُ واللسان حديث الاستسقاء ذكرا (الإكامَ) بدلاً من (الآكامِ) التي ذكرها المعجم الكبير .

ومن جمع الأُكُمُ على آكامٍ أيضاً : الصحاح ، وهامش النهاية ، واللسان (الذي يجيز أيضاً جمع الأَكَمِ على آكامٍ) ، وابن هشام الأنصاري والمصباح ، والتاج ، والمد ، وأقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير .

وانفرد ابن هشام الأنصاري بجمع الآكامِ على أكاميمَ .

ومما يزيد طين التشويش بِلّةً :

(ا) أن معجم مقاييس اللغة يجمع الأَكَمَةَ على : آكامٍ ، وأُكُمٍ ، وإِكامٍ .

(ب) وأن ابنَ سيده يجمعها على : أَكَمٍ ، وأُكُمٍ ، وأُكْمٍ ، وإِكامٍ ، وآكامٍ ، وآكُمٍ (والجمع الأخير عن ابن جني) .

(ج) ويجمع النهايةُ الأَكَمَةَ على إِكامٍ ، والإِكامَ على أُكُمٍ ، والأُكُمَ على آكامٍ .

(د) وزاد القاموس : الأُكُمَ ، والآكُمَ ، والإِكامَ ، والآكامَ ، ويقول إنها جميعها جمع : أَكَمَةٍ .

(ه) ويجمع التاجُ الأَكَمَةَ كما جمعها ابن هشام الأنصاري .

(و) ويزيد محيط المحيط على جمعي الأَكَمَةِ المذكورَيْن آنفاً : الأَكُمَ ، والأَكْمَ ، والأَكْؤُمَ ، والآكامَ ، والإِكامَ .

(ز) ويزيد المتن على الجمعين الأوَّلَيْن الجموعَ الآتية : الإِكامَ ، والأُكُمَ ، والأُكْمَ ، والآكامَ ، والآكُمَ . ثم يوزع الجموع وجموع الجموع كما ذكرت في صدر هذه المادة .

(ح) ويجمع الوسيط الأَكَمَةَ على : أَكَمٍ ، وإِكامٍ ، وآكامٍ .

وأنا أرى إما :

(١) أن نجمع الأَكَمَةَ والجموع الأُخَر كما جاء في المعجم الكبير .

(٢) أو نجعلَ الجموع الثانية كلها جموعاً لـ (أَكَمَة) ، دفعاً لهذه الفوضى في المعاجم ، فما رأي مجامعنا الأربعة ؟

٥ - إ ّلا ، إلا ّ ، الانسانُ ، الا ْنسانُ

ويخطّئون من يضع الشدة (ّ) على الساق الأولى من (ّلا) ، نحو : ما سافر إ ّلا أحمد ، ومن يضع الهمزة على الساق الثانية (لأ) ، نحو : الانسانُ كثير النسيان . ويقولون إن الساق الأولى لـ (لا) هي الألف ، والثانية هي اللام ؛ لأننا حين نكتبها نخط لامها أولاً (لـ)، ثم نكتب الألفَ (ـا) . لذا يرون أن نكتبها هكذا : إلا ّ، الا ْنسان.

حُكي عن الخليل بن أحمد الفراهيديّ أنه قال : « الطرف الأول في (لا) هو الألف .

ويقولون أيضاً إن من أتقن صناعة الخط من الكُتّاب المتقدمين ، إنما يبتدىء برسم الطرف الأيسر قبل الطرف الأيمن . وهذا جعلهم يقولون إن الطرف الأيسر هو اللام ، أي الأول ؛ لأننا نقول : (لام ألف) .

وقال الأخفشُ سعيدُ بن مسعدة عكسَ ذلك ، وزعم أن الطرف الأول هو اللام ، واستدلّ على صحة ما ذهب إليه من ذلك ، بأن الملفوظ به من حروف الكلم أولاً ، هو المرسوم في الكتابة أولاً ، وأن الملفوظ به من حروفهن آخراً هو المرسوم آخراً .

وأبو عمروٍ الدّاني يخالف رأي الأخفش ، وأنا أخالف الداني وأؤيد الأخفش للأسباب الآتية :

(ا) نطلق على (لا) اسم : لام ألف ، وليس ألف لام .

(ب) عندما نكتب (لا) اليوم بيدنا (لا بالآلة الكاتبة أو المطبعة)، نكتبها هكذا : (لا) ، وهي طريقةٌ تفرض علينا كتابةَ اللام أولاً (لـ) ، ثم نضع الالف في حضن اللام (لا) .

(ج) إن ما يُكتب باليد من الحروف العربية اليوم، هو عشراتُ أضعاف ما يطبع في كتب، أو مجلات، أو صحف.

(د) أما في القرآن الكريم، فقد اعتبرت اللامُ هي الحرف الأول (الاخرة، الايات، الانسان، الارض، الاثنتين. أما (إلاّ) فقد وضعت الشدة بين ساقيها.

(هـ) وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم: الأفق، الآفاق، الأمّيّ، الإنسان، الأشهاد.

(و) وفي التاج الجامع للأصول في حديث الرسول: إلا، الأنبياء، الأربعة، الإمام، بالأسقية، بالأزر.

(ز) وفي النهاية لابن الأثير: الأزر، الإزرة، الإمّعة، إلاّ، الإناث، الأنس.

وقد اعتُبرت الساقُ الأولى من (لا) هي اللام، ووضعت الهمزة على الساق الثانية، في المعجمات وكتب الأدب واللغة الآتية: الألفاظ لابن السِّكّيت، وأدب الكاتب، والكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، والألفاظ الكتابية، والعقد الفريد، وأمالي القالي، والأغاني، والصحاح، ومقاييس اللغة، ومتخيَّر الألفاظ، ومعرفة علوم الحديث للنيْسابوري، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي، وفقه اللغة للثعالبي، ومفردات الراغب الأصفهاني، ومقامات الحريري، ودرة الغواص، والأساس، ومعجم الأدباء، والمختار، واللسان، والمصباح، وشروح التلخيص (مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني)، والقاموس، والمزهر، وهمع الهوامع، والتاج، والمد، ومحيط المحيط، ودوزي، وأقرب الموارد، والإفصاح في فقه اللغة للصعيدي وموسى، وهداية الباري إلى

أحاديث البخاري ، والمتن ، وبادجر ، والمعجم الكبير ، والنحو الوافي ، والوسيط ، ومجلتي مجمعي اللغة العربية بدمشق والقاهرة ، ومجـلة اللسان العربي ، التي يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرّباط .

وأنا أرى أن نحذو حذو هذه الأكثرية الساحقة من الأدباء والعلماء ، وإن كنت لا أستطيع تخطئة أمثـال الخليل بن أحمد ، وأبي عمرو الدّاني ، وكثير من الخطاطين المتقـدمين ، وبعض الأدباء الذين يرون أن الساق الثانيـة من (لا) هي اللام . وأقترح على سباكي حروف الطباعة أن يسبكوا هذين الحرفين كما نكتبهما (لا) .

٦ ـ الأمينُ

ويخطّئون من يستعمل (الأمينَ) بمعنى الفاعل : المؤْتَمِن ، ويقولون إنها لا تأتي إلا بمعنى المفعول : المؤْتَمَن ، اعتماداً على قول ابن السكيت ، والتهذيب ، والقاموس .

ولكنْ :

(١) فسَّر الأخفشُ قوله تعـالى في الآية الثالثة من سورة التين : (وهـذا البَلَدِ الأمينِ) بقوله : يريد الآمنَ ، وهو من الأمْن . وقد يقال : الأمينُ : المأمونُ ، كما قال الشاعر :

ألم تعلمي يا أَسْمَ وَيْحَكِ أنّني حَلَفْتُ يميناً لا أخونُ أميني

أي مأموني .

(٢) وقال ابن الأنباري في كتابه الأضـداد : الأمينُ من حروف الأضداد ، يقال : فلان أميني ، أي مؤْتَمِني ، وفلان أميني : مؤْتَمَني الذي أأتَمِنْه على أمري .

(٣) وقال أبو الطّيّب اللغويّ في أضداده ، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة : تستعمل الأمينُ بمعنى الفاعل ، وبمعنى المفعول . ثم استشهدا بقول حسان :

وَأَمِينٍ حدّثتُه سرَّ نفسي فوعاه حِفْظَ الأمينِ الأمينا

وقالا : الأول بمعنى المفعول ، والثاني بمعنى الفاعل ، كأنه قال : كما حفظ المُؤْتَمَنُ مؤْتَمِنَهُ . وعلق مؤلف (التضاد) على ذلك بقوله : « ويلاحظ أن الأمينَ الاولى هي « فعيل » بمعنى « مفعول » مشتقة من « أمِنَ » المتعدي ، كقتيل بمعنى مقتول ، وأن الأَمينَ الثانية هي صفة مشبهة باسم الفاعل ، مشتقة من « أمِنَ » اللازم ، يقال : أمِنَ يَأْمَنُ فهو : آمِنٌ وأَمِينٌ وأمِنٌ » .

(٤) وقال الصحاح والمحكَم: إن الأمينَ تعني المأمونَ والمؤتَمنَ كليهما .

(٥) وقال متن اللغة : الأمينُ : حافظ الأمانة ، ج : أمناء و - : القَويُّ المُؤْتَمِنُ : المُؤْتَمَنُ (ضدٌ) .

(٦) وقال المعجم الكبير : الأمينُ : من يتولى رعاية الشيء والمحافظة عليه ، واستشهد ببيت حسان . والأمينُ : الآمِنُ ، واستشهد بالآية الكريمة المذكورة في رقم (١) . والأمينُ : القوي . والجمع : أُمَناءُ وأَمَنَةٌ . وفي الحديث : النجوم أَمَنَةُ السماء .

لذا استعمِل الأمينَ بمعنى :

(أ) الآمِنِ أو المُؤْتَمِن .

(ب) المأمون أو المُؤْتَمَن .

٧ - الأُمّهاتُ و الأُمّاتُ

ويخطّئون من يجمع أمَّ مَنْ يعقل على : أُمّاتٍ ، ويقولون إن الصواب هو : أُمّهاتٌ . فالقرآن الكريم ذُكرت فيه الأمّهاتُ وحدَها إحدى عشرةَ مرةً ؛ منها قوله تعالى في الآية السادسة من سورة الأحزاب: (النبيُّ أولى بالمُؤْمِنينَ من أنفسِهم ، وأزواجُه أمّهاتُهم) .

وممن قال إن الأُمّهاتِ لمن يعقل ، والأُمّاتِ للبهائم : معجمُ ألفاظ القرآن الكريم ، والتهذيب ، والشيخ ناصيف اليازجي في شرح بيت المتنبي ، الذي وصف به الخيل ، من قصيدته التي مدح بها أبا أيوب أحمد بن عمران :

العارِفينَ بها كما عَرَفَتْهُمُ والرّاكبينَ جُدودُهُم أُمّاتِها (١)

ودقائق العربية .

ولكنْ :

أجاز الأُمّهاتِ والأُمّاتِ لمن يعقل وما لا يعقل كل من: أبي حنيفة الدّينَوَري ، الذي أنشد في كتاب النبات لبعض ملوك اليمن :

وأُمّاتُنا أكرمْ بهنَّ عجائزاً ورِثْنَ العُلا عن كابرٍ بعدَ كابرِ

وابن دُرُسْتَوَيْهَ الذي قال إن أُمّات لغة ضعيفة ، وابنِ جني الذي قال في مخطوطة قونيةَ للفَسْر ، في شرح بيت المتنبي المذكور آنفاً : « ولم يقل (أمّهاتِها) ؛ لأن الأُمّهاتِ إنما تطلق على مَنْ يعقل ، فإن كانت من لا يعقل ، قلتَ (أُمّات) ... وقد يجوز (أمّهات) فيما لا يعقل ... ويجوز (أُمّات) فيمن يعقل » .

والصّحاحِ ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، ومفردات الراغب

---

(١) وقال مثل ذلك في شرح قصيدة المتنبي التي مدح بها سيف الدولة :

تظنّ فراخ الفُتْخ أنك زرتها بأمّاتها وهي العتاق الصلادم

« لجنة المجلة »

الأصفهاني ، وابن بَرِّي ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمدّ ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمتن ، وعبد الرحمن البرقوقي ، في شرح بيت المتنبي المذكور آنفاً ، والمعجم الكبير الذي استشهد بقول السفاح ابن بُكَيْر اليربوعي ، في الأُمَّهات لغير الآدميين :

قَوّالُ معـــروفٍ وفَعّالُهُ عَقّارُ مَثْنى أُمَّهاتِ الرِّباعْ

(الرِّباع جمع رُبَع ، وهو الفصيل يُنْتَجُ في الربيع) .

والمعجمِ الوسيط .

والإِمُّ ، والأُمَّهَةُ ، والأُمَّةُ كالأُمِّ ، أما مصغرها فهو : أُمَيْمَةُ ، وأُمَيْهةُ ، وأُمَيْمِيَةُ .

وقالت جلُّ المعجمات : « وقيل الأُمَّهاتُ فيمن يعقل ، والأُمّاتُ فيما لا يعقل » .

بيروت محمد العدناني

المخطوطات العربية في جامع بكين

الأستاذ هادي العلوي

يقع مسجد بكين الجامع وسط العاصمة الصينية ويرجع بناؤه إلى أواسط أسرة مينغ (١٣٦٨ — ١٦٤٤ م) وقد جدد مرات عديدة آخرها سنة ١٩٧٢ . وطراز هذا الجامع لا يشبه طراز الجوامع المعروفة في العالمين العربي والإسلامي، فهو مكون من عدة أقسام بنيت على طراز العمارة الصينية تضم المدخل يليه رحبة مربعة تقوم حولها غرف مخصصة للإدارة والمكتبة والمطعم ، ويؤدي هذا القسم إلى رحبة أوسع تتصدرها قاعة الصلاة الكبرى . والقاعة مستطيلة ذات سقوف عالية نسبياً تقوم على أعمدة مغلفة بالخشب ومطعمة بزخارف متعددة الألوان تتخللها قطع متفاوتة المساحات مكسوة بغلاف رقيق من الذهب . وليس في الجامع مئذنة أو قبة ، ماعدا جناحاً صغيراً متفرعاً من قاعة الصلاة تعلوه قبة صغيرة من الوسط . ويبدو أن هذا الجناح أضيف إلى الجامع للتشبه بالطراز الإسلامي المألوف إذ أنه يقع خارج القاعة وقلما يكون مشغولاً لغرض ما .

ألحقت بالجامع مكتبة صغيرة تسمى مكتبة فؤاد الأول (أنشئت بمساعدة من مصر أيام الملك المذكور) وهي مقسمة إلى قاعتين : واحدة للكتب المطبوعة ، وتضم أمهات المصادر الإسلامية من التفاسير والصحاح

وموسوعات الفقه ، مع مجموعة نفيسة من كتب الأدب القديم . والأخرى مخصصة للمخطوطات التي تضم مجموعات من كتب اللغة والأدب والفقه والعقائد باللغتين العربية والفارسية . ويتميز القسم العربي بتعدد النسخ ويبدو أن معظمها كتب في الصين ويغلب على كُتّابها الأصل الفارسي أو المعرفة باللغة الفارسية إذ تتخلل الكثير منها شروح بهذه اللغة أو عبارات تأتي في آخرها من قبيل كلمة الختام (تمام شُد) . وتحتوي المخطوطات في الغالب على أوراق زائدة كتبت فيها أمور لا علاقة لها بموضوع الكتاب . والغالب على خطها الوضوح والخشونة ويميل أكثره إلى نمط الخط الفارسي وتجد فيه أحياناً النسخي والرقعة .

وفيما يلي قائمة أولية بهذه المخطوطات التي لم تمتد اليها يدٌ في السابق حاولتُ أن تكون شاملة ، لولا عدد محدود من كتب الفقه والمواعظ لم أتوصل إلى نفض الغبار عنها ، وآمل أن يتيسر لي ذلك إذا طالت إقامتي في هذه الربوع .

١ – مجموع يضم :

(ا) الرسالة الكافية لابن الحاجب (نحو) . أولها : الكلمة لفظ وضع لمعنى مجرد .

(ب) أوراق شتى تحتوي أذكاراً وكلمات دينية .

(ج) مقالة في ست صفحات تتحدث عن الوضع في الصين وتشير إلى حوادث معينة تخص المسلمين الصينيين .

المجموع كله بخط : يار محمد بن أيوب الخانبالقي الصيني . تاريخه : ١١٠٥ هـ . أبعاده ١٦ × ٢١ .

٢ – الفوائد الضيائية في شرح كافية ابن الحاجب . لم يذكر اسم المؤلف . أوله : الحمد لوليه ، والصلاة على نبيه ، وعلى آله وأصحابه المتأدبين بآدابه . تاريخ الخط : ورد في آخره بالصينية : « السنة الحادية والخمسون من كانغ ثي ٢ أيار يوم الاثنين » .. والمشار إليه من أباطرة أسرة تشينغ وتصادف هذه السنة من حكمه ١٧١٣ م . الابعاد ٢٠ × ٢٨

٣ – إحدى عشرة نسخة أخرى كاملة من الفوائد الضيائية ، وواحدة ناقصة من الآخر ، تخلو كلها من اسم المؤلف وتاريخ الخط ..

٤ – تلخيص المفتاح . (موجز مفتاح العلوم للسكاكي) . لم يذكر مؤلفه . أوله : نحمدك يا من شرح صدورنا لتلخيص البيان في إيضاح المعاني. غير مؤرخ . أبعاده ٢١×٢٩،٥

٥ – سبع نسخ اخرى كاملة من تلخيص المفتاح ونسخة ناقصة الأول وأخرى ناقصة الآخر .

٦ – مجموع يضم :

(ا) المصباح في النحو . أوله : أما بعد حمد الله تعالى ذي الإنعام ، جاعل النحو في الكلام كالملح في الطعام . تاريخ الخط ٩٩٧ هـ

(ب) العوامل في النحو . أوله : العوامل في النحو على ما ألفه الشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي رحمه الله . غير مؤرخ. أبعاده ١٩،٥×٢٨،٥

٧ – ضوء المصباح . شرح المصباح لم يذكر مؤلفه . أوله : «إن أحق ما يتوشح بذكره صدور الكتب والدفاتر» . تاريخه : سنة ٢٠ من توكونغ. والمشار إليه أحد أباطرة أسرة تشينغ ، وتصادف هذه السنة من حكمه ١٢٩١ هـ . أبعاده ٢٠×٢٥

٨ - إحدى عشرة نسخة كاملة من ضوء المصباح ، كلها غير مؤرخة .

٩ - مراح الأرواح (نحو). أوله : قال المفتقر إلى الله الودود ، أحمد بن علي بن سعود . غير مؤرخ . أبعاده ١٩×٢٦

١٠ - مقامات الحريري . أوله : اللهم إنا نحمدك على ما علمت من البيان . تاريخ الخط ١١٣٠ هـ . الأبعاد ٢١×٣٠

١١ - أربع نسخ أخرى كاملة من مقامات الحريري، غير مؤرخة

١٢ - مجموع لغوي يضم :

(ا) جزءاً في الحروف والأسماء .

(ب) باباً بعنوان « التركيب » رتب فيه نزول السور والآيات القرآنية زماناً ومكاناً .

(ج) جزء في تعليم النحو العربي للفرس .

(د) الرسالة البرهانية . شرح لكتاب الصرف العربي لم يذكر صاحبه . أولها : «والحمد لله الذي خلق الأشياء بقدرته ، ورزق الأحياء بحكمته» .

أبعاد المجموع ١٧,٥×٢٧,٥

١٣ - مقدمة في اللغة والأدب . وضعه مصنفه - الذي لم يذكر اسمه - لأبي المظفر اتسز بن خوارزم شاه . ناقص من آخره . غير مؤرخ .

أبعاده ٢٥,٥×٣٤

١٤ - جواهر اللغات . مختصر لصحاح الجوهري حذفت منه الشواهد الشعرية ، مع شروح فارسية للمفردات . مصنفه : أبو محمد بن عمر بن خالد المدعو جمال القرشي . أوله : قال الفقير إلى مولاه ، الغني عن سواه .

غير مؤرخ . أبعاده ٢١×٢٩,٥

١٥ - نسخة أخرى من جواهر اللغات في مجلدين ، يبدأ أولها بفصل اللام من باب الهمزة .

١٦ - شرح العقائد للسعد التفتازاني . وهو شرح لعقائد النسفي. (فلسفة عقائد) . أوله : الحمد لله المتوحد بجلال ذاته . تاريخ الخط ١٠٥٧ هـ أبعاده ٢٢,٥×٣٠

١٧ - ثلاث نسخ أخرى كاملة من شرح العقائد ، غير مؤرخة .

١٨ - شرح خطب الأربعين . (حديث) . لم يذكر مصنفه . أوله : الحمد لله على مِنَحِه الغِزار ، ومِنَنه الكبار . تاريخ الخط ٩٥٣ هـ . أبعاده ٢٤ × ٣٢

١٩ - نسختان كاملتان من شرح خطب الأربعين ، بدون تاريخ .

٢٠ - مشكاة المصابيح . مجلدان (حديث) . ألف سنة ٧٣٧ هـ لتسنيد كتاب المصابيح للبغوي . لم يذكر المؤلف . أوله : الحمد لله نحمده ونستعينه . غير مؤرخ . أبعاده ٢٩×٣٨,٥

٢١ - أدلة الشرع والسنن (علوم قرآن) . لم يذكر مؤلفه . أوله : الحمد لله الذي جعل الدنيا ديار الدعجاء . غير مؤرخ . أبعاده ٢٥ × ٣٣,٥

٢٢ - مجموع يضم :

(ا) خير المفاتيح . (فلسفة عقائد) . عربي وفارسي . لم يذكر مؤلفه . أوله بعد البسملة : أما اللمعان ، مصدر لمع ، فهو الذات .

(ب) مجمع الخمسة (فلسفة عقائد) . مترجم عن الصينية لعالم صيني مسلم لم يذكر اسمه ولا اسم المترجم . أوله ; أما بعد فهذه خمسة فصول

جمعها مولانا علامة الصين ، بديع الزمان من سابق الدهر إلى الحين ..

(ج) منبه الغافلين (مواعظ) .

(د) نوادر الاسلام (أدبيات دينية منتقاة) . غير مؤرخ . أبعاده ٢٤,٥ × ٣٧

٢٣ ـ نسختان أخريان من مجمع الخمسة ـ انظر ب أعلاه ـ إحداهما ناقصة من الآخر .

٢٤ . مجموع يضم :

(ا) كتاب في الحروف (لغة) . لم يذكر مؤلفه .

(ب) كراسة في الشرح على شرح المحقق الرازي الرسالة الشمسية في المنطق . تأليف برهان بن كمال الدين بن حميد .

(ج) شذرات منطقية بالفارسية . غير مؤرخ . أبعاده ١٨ × ٢٢

٢٥ ـ مجموع يضم:

(ا) إيساغوجي (منطق) . لم يذكر مؤلفه . أوله : الحمد لله واهب التوفيق ، ونشكره بهداية الطريق .

(ب) رسالة في العقائد بالفارسية . غير مؤرخ . أبعاده ٢٠ × ٢٩,٥

٢٦ ـ الوظائف (مقدمات منطقية) . لم يذكر مؤلفه . أوله : الحمد لله الهادي إلى أقوم السبب . غير مؤرخ . أبعاده ١٥ × ٢٠

٢٧ ـ معالم التنزيل للبغوي . الجزء الرابع . غير مؤرخ . وعلى الغلاف آية بخط يختلف عن خط الكتاب كتب تحتها بالأرقام ٦٢٣ مصطفوية.

وفي موضع آخر من الغلاف تملك مؤرخ في ٦٣٧ ﻫ باسم سعد بن أمين خان أبعاده ١٧٫٥×٢٦

٢٨ - تفسير البيضاوي . بخط الهادي بن نظر (؟) أبي الحسن الازدوبادي. تاريخه ١٠١٧ ﻫ . أبعاده ١٧×٢٥

ملاحظة : كتب على المخطوطتين ٢٧ و ٢٨ أنهما هدية من الدكتور التيجاني الماحي من السودان عند زيارته للصين عام ١٩٦٦ .

٢٩ - نسخة أخرى من تفسير البيضاوي في أربعة مجلدات . مؤرخة في ١٠٤٠ ﻫ . أبعادها ٢٧×٣٥

٣٠ - نسخة ثالثة من تفسير البيضاوي في مجلدين كتب في آخرها : « السنة الثانية والخمسون من كين لون » . وهو الامبراطورتشين لونغ من أسرة تشينغ . وتصادف هذه السنة من حكمه ١١٩٣ ﻫ . أبعادها ٣٠×٤٠

٣١ - مشكل القرآن . تأليف طاهر بن علي بن سعيد . غير مؤرخ . أبعاده ١٦×٢٣

٣٢ - مشكل إعراب القرآن . تأليف أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي . أوله : قال الفقيه المقري أبو محمد .... غير مؤرخ . أبعاده ٢٢٫٥ × ٢٨٫٥

٣٣ — مجموع يضم :

(ا) الناسخ والمنسوخ . تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن علي العابدي الاسفراييني أوله : الحمد لله مستحق الحمد لذاته وصفاته . غير مؤرخ .

(ب) رسالة في رسوم خط المصحف .

(ج) رسالة بالفارسية تجري هذا المجرى . أبعاده ٣٧٫٥ × ٣٤

٣٤ – نسخة أخرى كاملة .

٣٥ – لغات القرآن .

شروح لغوية وفلسفية لبعض الآيات والسور لم يذكر مؤلفه . ناقص أوله بعد البسملة : في طغيانهم يعمهون . غير مؤرخ . أبعاده ٢٢٫٥ × ٣١

٣٦ – نسخة من القرآن .

كتبت هذه النسخة سنة ٧١٨ هـ بيد محمد بن أحمد بن عبد الرحمن السرايي ، وتقع في مجلدين قياس ٣٢ × ٤٧٫٥ . وهي مكتوبة بخط نسخي غاية في الجمال وحروفها كبار ، ما بين ١ سم و ٢٫٥ سم للحرف الواحد ، وقد كتبت الرموز بخط أحمر . والصفحات غير مؤطرة وتخلو فواتح السور من الزخارف . وثمة ثلاث صفحات من المجلد الأول مكتوبة بخط مغاير للأصل . ومن الواضح أنها أضيفت في وقت لاحق بعد أن تمزقت أو بليت الصفحات الأصلية .

هذا وفي المكتبة مخطوطات قرآنية أخرى أحدث من هذه النسخة ، علاوة على عدد كبير من أجزاء القرآن مجلدة على حدة .

هادي العلوي بكين ـ الصين

من تاريخ الألفاظ العلمية :

منشأ لفظة الموثة [1]

الأستاذ علي حيدر النجاري

توالي مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق نشر النظرة القوية التي يسددها الأستاذ الدكتور حسني سبح إلى المعجم الطبي الكثير اللغات للعالم الفرنسي الدكتور أ ل كليرفيل والذي نقله إلى العربية الأساتذة : خاطر وخياط وكواكبي . وأنا منذ سنين أتابع نظراته لهوًى كان قد تكوّن عندي لهذه المصطلحات العلمية منذ نحو ثلاثين عاماً . ولذا لم يكن غريباً أن أتوقف في مقاله الثالث والثلاثين (ج ٢ مج ٥٢) عند الكلمة ذات الرقم ١١٠٣٤ وهي : موثة (بروستات) ثم مشتقاتها في الأرقام الثلاثة التالية لها ، لما كان لي من سابقة جهد في هذا الموضوع .

لقد لفتني ما قاله الأستاذ سبح في نهاية هذه الكلمات ؛ ونصه : « ولم أعثر على منشأ لفظة الموثة » . ويسرني أن أشير إلى أني كنت توقفت عند هذه اللفظة في مقالٍ لي نشرته مجلة المعرفة الدمشقية « تصدرها وزارة الثقافة

---

(١) هي بالفرنسية والانكليزية Prostité ومعناها الأمامي من اللاتينية Prostatia وهذه من اليونانية Prostaes .

والإرشاد » منذ أكثر من عشر سنوات في العدد ٥٨ كانون الأول ١٩٦٦

واضع الكلمة هو العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي (١٨٦٨ - ١٩٤٧) وهو يذكر قصة هذه الكلمة في مقال نشره في مجلة المعهد الطبي العربي « نيسان عام ١٩٢٦ » والقصة معقدة متداخلة لا بد من مناقشتها ليتضح وجه الحقيقة منها .

وخلاصة القصة أن العلامة نعمان الآلوسي — عم شكري الآلوسي صاحب كتاب « بلوغ الأرب » ونجل محمود الآلوسي صاحب التفسير المشهور (روح المعاني) — هو الذي اقترح هذه الكلمة على الكرملي حين زاره وسأله ماذا يسمي العضو « بروستاة » [١] و [٢] .

---

(١) يجيز العلامة الأب الراحل كتابة بعض الكلمات العلمية منتهية بتاء مربوطة دون أن تكون من الكلمات التي نقف عليها بالهاء ، وأذكر أنني قرأت له في مجلة المعهد الطبي العربي رأياً بجواز كتابة سلفاة وفوسفاة ونحوهما بالتاء المربوطة والوقوف عليها كالتاء المفتوحة واستدل بأحد أصنام الجاهلية « مناة » الوارد ذكره في القرآن الكريم إذ لا يوقف عليه بالهاء .

(٢) تنظر القصة بتمامها — ليكون القارىء على بينة وتفصيل — في مجلة المعهد الطبي . وتتجدد القصة عند الكرملي مرة أخرى في المقتطف (أغسطس ١٩٤٥) . أي إنه يعيدها بعد نحو من عشرين سنة ، ولكن في هذه المرة مع الإوز العراقي لامع البروستات إذ قال له الألوسي حين أراه الكرملي صورة الطائر إن هذا يسمى « الغبراق » وخطأ تسميته بالأوز العراقي .

وكان العلامة الأب يذهب إلى حد التزمت في اللغة العربية ، فحيثما رأى لفظة أجنبية ورأى في بطون معاجم اللغة العربية مايقاربها من لفظة عويصة ذهب إلى أن الأصل الأجنبي عربي ، وقد أوقعه هذا في مآزق ما كان أغناه عنها لو أنه تجنبها .

وبعد بضعة أشهر وعلى صفحات المجلة نفسها — مجلة المعهد الطبي العربي - أبدى العلامة المرحوم الطبيب جميل الخاني عدم اقتناعه بما ذكره الأب ، وذلك في حاشيةٍ على مقال له حول تأثر البروستات ببعض الحميّات، ورجح الاستمرار باستعمال لفظة بروصطات راجياً الظفر باسمٍ فصيح وضعته

= مثال ذلك أن الباحثين في التاريخ الطبيعي يعلمون أن للتماسيح أنواعاً ثلاثة تعيش في قارات ثلاث ، الأول : التمساح المعروف في أعالي وأواسط النيل ، والثاني : الأليغاتور Alligator في أمريكا الجنوبية في الأمازون . ويذهب الأب إلى أن الكلمة من أصل عربي « القاطور » صيغة مبالغة من (قطره) أي (صرعه) . وفي جملة أدلة لغوية كهذه ، يستدل الأب على اكتشاف العرب أمريكا قبل كريستوف كولومبس « المقتطف فبراير ١٩٤٥ من مقال للأب الكرملي عنوانه : هل عرف العرب أميركة وللحقيقة الكاملة نذكر أن الأب استدل أيضاً ببعض الشواهد التاريخية » . والنوع الثالث الكافيال Gavial في الهند على شاطىء الغانج وقد ادّعى الأب أن الكلمة من أصل عربي « جُبار » — [المقتطف مارس ١٩٤٢] وهنا انبرى له على الفور عالم هندي ضليع هو الأستاذ أبو النصر أحمد الحسيني الهندي فأعلمه « أن الكلمة في الحقيقة هنــدية الأصل ، وأصلها بالهنــدية (كَهْـريال) وهذه الراء مضخمة في اللغـة الهندية ليس لها شبيه في غيرها من اللغــات وكتابتها في بعض القواميس الأجنبية Garial أقرب إلى الصواب من Gavial [المقتطف ابريل ١٩٤٢]

على أن هذا كله لايمنعنا من القول : إنه كان نادرة هــذا العصر في سعة الاطلاع ووفرة التحقيق وكان عضواً بارزاً في المجامع اللغـوية الثلاثة في بغداد والقاهرة ودمشق ، وكانت وفاته في السابع من كانون الثاني عام ١٩٤٧ خسارة فادحة للغة العربية .

العرب [١] وذلك « خـير من استعمال لفظ يحيق بمورده غموض وشبهات [٢] » .

على أنه رغم هذا عمّ استعمال لفظة « المونة » وأخذ بها أساتذة الطب في الجامعة السورية رغم كل الملابسات التي أحاطت بوضع الكلمة المذكورة ورغم أنه ليس لها ذكر في معاجم اللغة العربية [٣] .

(١) استغرب المرحوم الدكتور الخاني كيف رأى العرب القناة الدافقة Canal Déferant وسموها بالأسهر وهي أخفى وأدق من البروستات ، ولم يلمحوا هذه الأخيرة ، مما يدل على أن لها اسماً لم يكشف بعد .

(٢) مجلة المعهد الطبي العربي ص ٤٤١ لعام ١٩٢٦

(٣) ورد في المعاجم : ماث ، أي اختلط وذاب .

هـــدية قيمـة

تفضل الأستاذ الدكتور حسني سبيح رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق فأهدى مكتبة المجمع المجلدات التسع التالية من الصحف والمجلات النادرة التالية :

آ – جريدة المقتبس لصاحبها الأستاذ المرحوم محمد كرد علي :

العدد	السنة الهجرية	الميلادية
١ - ٤٢٩ - ٥٦٢	١٣٢٨ هـ	١٩١٠ - ١٩١١ م
٢ - ٥٦٣ - ٧٣٥	١٣٢٩ هـ	١٩١١ م
٣ - ٧٣٦ - ٨٥٧	١٣٢٩ هـ	١٩١١ م
٤ - ٨٥٨ - ١٠٥٨	١٣٣٠ هـ	١٩١١ - ١٩١٢ م
٥ - ١٠٥٩ - ١٢٦١	١٣٣١ هـ	١٩١٢ - ١٩١٣ م
٦ - ١٢٦٢ - ١٤٦٤	١٣٣١ - ١٣٣٢ هـ	١٩١٣ - ١٩١٤ م

ب – مجلة الميزان لصاحبها الأستاذ المرحوم أحمد شاكر الكرمي

٧ - من العدد ١ - ٨٨ السنة الأولى عام ١٩٢٥ - ١٩٢٦

جـ – جريدة السياسة الاسبوعية المصرية لصاحبها الأستاذ المرحوم محمد حسين هيكل

العـــدد	عـــام
٨ - ٩٥ - ١٢٠	١٩٢٧ - ١٩٢٨ م
٩ - ١٢١ - ١٤٧	١٩٢٨ م

فللسيد الدكتور حسني سبح أجزل الشكر على هذا الصنيع وأطيب التقدير لهذه البادرة الكريمة في إغناء قسم المجلات في مكتبة المجمع ، وهو القسم الذي يتنامى أثره في الدراسات الحديثة .

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الأول من عام ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
أعلام العراق الحديث قاموس تراجم ١٨٦٩ - ١٩٦٩ الجزء الأول	المحامي باقر أمين الورد مراجعة الدكتور ناجي معروف	بغداد	١٩٧٨
التحبير في المعجم الكبير ١ - ٢	عبدالكريم السمعاني. تحقيق منيرة سالم	»	١٩٧٥
الحلاج موضوعاً للآداب والفنون العربية والشرقية قديماً وحديثاً	د . كامل مصطفى الشيبي	»	١٩٧٦
العباب الزاخر واللباب الفاخر الجزء الأول : حرف الهمزة	الحسن الصغاني. تحقيق محمد حسن آل ياسين	»	١٩٧٧
الفتح الوامض على المنح الفائض في علم الفرائض	عمر الشهير بابن القرهداغي	»	»
الفلك المحملة بأصداف بحر السلسلة «مجموع من الأشعار من فن السلسلة»	د . كامل مصطفى الشيبي	»	»

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ١ - ٨	سالم عبد الرزاق أحمد	بغداد	١٩٧٥
الفهرس الوطني للمطبوعات العراقية عام ١٩٧٧	وزارة الثقافة والفنون	»	
المعرفة والتاريخ ١-٣	يعقوب بن سفيان الفسوي تحقيق الدكتور أكرم العمري	بغداد	١٩٧٤-١٩٧٦
الأوزاعي وتعاليمه الانسانية والقانونية	الدكتور صبحي محمصاني	بيروت	١٩٧٨
الحب	عمر رضا كحالة	»	»
حياة المرحوم دهام الهادي رئيس عشائر شمر العربية	أنور العسكر السباهي	»	١٩٧٧
دير ياسين (مسرحية شعرية)	عدنان مردم بك	»	١٩٧٨
شعراء الأعراب	خليل مردم بك . شرحه وقدم له عدنان مردم بك	»	١٩٧٨
الشعراء الشاميون	خليل مردم بك تحقيق عدنان مردم بك	»	»
المسرح المردمي	علي المصري	»	»
المسلمون في الاتحاد السوفييتي	تعريب د . إحسان حقي	»	١٩٧٧
تاريخ افريقيا الشمالية	شارل جوليان تعريب محمد مزالي — البشير بن سلامة	تونس	١٩٦٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
رسائل أحمد القليبي بين طرابلس وتونس	علي مصطفى المصراتي	تونس ١٩٧٦
تاريخ الجزائر في القديم والحديث ١ – ٣	مبارك بن محمد الهلالي الميلي	الجزائر ١٩٦٤
تعلم لتكون	ايد جارفور ترجمة د. حنفي بن عيسى	» ١٩٧٦
الجواهر الحسان في تنظيم أولياء تلمسان	أبو مدين شعيب تحقيق عبد الحميد حاجيات	»
محاضرات في علم النفس اللغوي	د . حنفي بن عيسى	»
محاضرات الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامي	وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية	» ١٩٧١
المرآة	حمدان بن عثمان خوجة تح. د . محمد العربي الزبيري	» »
المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون	جلول يلس ، امقران الحفناوي	»
الموشحات والأزجال ١ – ٢	جلول يلس ، امقران الحفناوي	»
أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب ، الجزء الأول: الأبحاث باللغة العربية	معهد التراث العربي جامعة حلب	حلب ١٩٧٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة الجزء الثالث ـ القسم الأول	ابن شداد . تحقيق يحيى عبارة	دمشق ١٩٧٨
ألحان الغروب « شعر »	الياس قنصل	دمشق ١٩٧٨
الرياضيات العامة :		
الجبر والتحليل القسم الثاني : التحليل	ش . بيزو ، م زمانسكي ترجمة . عدنان الحموي	» »
الفن تأويله وسبيله . الجزء الأول من عهد النشأة إلى الفن الروماني	رنيه هويغ ترجمة صلاح برمدا	» »
مسرح المعركة	جان الكسان	» »
نضال حزب البعث العربي الاشتراكي ١٩٤٣ - ١٩٧٥	القيادة القومية	» »
نشر حوليات المثاني	القادري. تحقيق د. نورمان سيكار . تقديم د . عبد الهادي التازي	الرباط ١٩٧٨
فيليب لطف الله : شاعراً وإنساناً	وحيد الدين بهاء الدين	سان باولو ١٩٧٧
جمال الدين الميلادي : المعلم ، الاقتصادي ، الموسيقي	علي مصطفى المصراتي	طرابلس ١٩٧٧
مؤرخون في ليبيا (مؤلفاتهم ومناهجهم)	علي مصطفى المصراتي	» »
هيا كل الحب : الجزء الأول «شعر»	حسني فريز	عمان

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
إدارة الاقتصاد الاسرائيلي	د . السيد عليوه	القاهرة ١٩٧٧
استخدام التقنيات الحديثة في مجال المعلومات	د . المهندس السعيد شابي	» »
استخدامات عوائد النفط العربي حتى نهاية السبعينات	المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم	القاهرة ١٩٧٧
إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى. أو تاريخ الشام من قيام دولة المماليك في مصر إلى صدر العهد العثماني	شمس الدين محمد بن علي ابن طولون الصالحي الدمشقي تحقيق عبد العظيم خطاب	» ١٩٧٣
التعاون النقدي العربي : مجالاته وإمكانياته	سليمان حميد المنذري	» ١٩٧٨
الجغرافيا السياسية لاسرائيل	محمود توفيق محمود	» ١٩٧٧
دراسات حول ضمانات الاستثمار في قوانين البلاد العربية	د . جميل الشرقاوي	» ١٩٧٨
دراسة في الشخصية الاسرائيلية « الاشكنازيم »	د قدري حفني	» ١٩٧٥
دليل البحوث ١٩٦٦ - ١٩٧٦	جامعة عين شمس	» ١٩٦٧
الريف المصري في القرن الثامن عشر	د . عبد الرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم	» ١٩٧٤
الصحافة العربية في الجزائر ١٩٥٤ — ١٩٦٢	د . عواطف عبد الرحمن	» ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
فرقة النزارية : تعاليمها ورجالها على ضوء المراجع الفارسية	د . السيد محمد العزاوي	القاهرة ١٩٧٠
الفلسطينيون في الوطن العربي	المنظمة العربيـة للتربية والثقافة والعلوم	» ١٩٧٨
قائمة ببليوجرافيـة بالرسائل الجامعية حتى عام ١٩٦٩	فاطمة حسن الخضراوي نادية محمود وادي مراجعة: مايسة محمد عبد المنعم معوض	» ١٩٧٧
» » حتى عام ١٩٧٠	»	» ١٩٧٨
قانون البحار الجديد والمصـالح العربية	إشراف د. مفيد شهاب	» ١٩٧٧
القصد الجنائي في القانون المصري والمقارن	د . عبد المهيمن بكر سالم	» ١٩٥٩
المدينة المنورة: التركيب الوظيفي النمو والتغيرات	د. عمر الفاروق سيد رجب	» ١٩٧٧
المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة	د . أحمد بدري ، د . هرمن كيس	» ١٩٥٨
ملخصـــات رسائل الماجستير والدكتوراة التي منحتها الجامعة من سنة ١٩٥٠ — ١٩٦٠	جامعة عين شمس	» ١٩٦١
ملخصات رسـائل الماجسـتير والدكتوراة من سنة ١٩٦٠ — ١٩٧٠ (الجزء الاول)	»	» ١٩٧٢

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
ندوة أبي الحسن الماوردي	لجنة إحياء ذكرى علماء الاسلام، الندوة الأولى ١٩٧٥	القاهرة ١٩٧٥
يوميات من رحلة البحار «شعر»	د . وليد قصاب	« ١٩٧٨
أعلام الاصلاح في الجزائر ٢-٣	محمد علي دبوز	قسنطينة ١٩٧٨
حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا	أحمد توفيق المدني	«
طبقات المشايخ في المغرب الجزء الثاني	أحمد الدرجيني تحقيق إبراهيم طلاي	«
اتجاهات الشعر العربي المعاصر	د . إحسان عباس	الكويت ١٩٧٨
بيليوجرافيا الكويت والخليج (كشاف بعناوين المقالات الصادرة في المجلات الكويتية عام ١٩٧٧)	بكر محمد أحمد شعيب	« «
تصنيف القصاصات الصحفية في مراكز المعلومات والمؤسسات الصحفية	بكر محمد أحمد شعيب	« ١٩٧٨

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثالث والخمسين





مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»





رجب الفرد من سنة ١٣٩٨ ه
تموز «يوليو» من سنة ١٩٧٨ م



ما وراء البيان

الأستاذ شفيق جبري

إذا كنا نلجأ إلى تقليب النظر في محاسن البيان في قديم عصورنا فلا نفعل هذا لمجرد الاهتداء إلى ألفاظٍ حلوةٍ وتراكيب تشتمل على مثل هذه الحلاوة ، إذا كان هذا هو غرضنا من المحافظة على أدبنا فلا خير في محافظتنا . إنا لا نستحسن ما يستحسن من بياننا القديم لمجرد الصيغة وحدها، فإن وراء هذا البيان الذي يبلغ منا كل مبلغ عقولاً راجحة ، وفطناً ثاقبة ومداخل ومخارج في أمور الحياة تعلمنا وترشدنا أبلغ تعليم وإرشاد . فإذا وقع نظرنا في مطالعاتنا على جمل لبلغاء كتّابنا فلا ينبغي لنا أن تشغلنا بلاغة هذه الجمل عن التدقيق في الذي تنطوي عليه ، فلا ينبغي لنا أن تصرفنا حلاوة الألفاظ عن حلاوة ما تعبّر عنه هذه الألفاظ ، ولسنا نحافظ على أصالة أدبنا القديم للأصالة وحدها ولكننا نعتقد أن هذا الأدب يتضمن كنوزاً من عظمة المعقول مما لا سبيل إلى إحصائه ، فإن أكثر كتّابنا المتقدمين لم تكن بلاغتهم قائمة على اختيار الألفاظ وحدها والتأنق في تنسيقها والجهد في رصفها وإنما جمعوا بين بلاغة اللفظ وبلاغة المعنى لذي يفصح عنه هذا اللفظ ،

ولا ريب في أن الألفاظ وحدها إذا لم تدل دلالة صحيحة على المعاني كانت باطلة لا عمل لها في النفوس ، وأن المعاني إذا لم تصورها ألفاظ تدل عليها دلالة قوية ضاعت فلا نحسّ لها بأثر ، فالكتّاب البلغاء الذين اشتهروا في قديم عصورنا إنما اشتهروا لحسن تنسيقهم بين الألفاظ والمعاني ، ولذلك إذا مررنا بقطعةٍ كان لألفاظها وقع في نفوسنا فجدير بنا أن نبحث عن محاسن ما وراء هذه الألفاظ . والنماذج من هذا الشكل كثيرة في أدبنا :

تأخرت أرزاق الجند وتراخت أعطياتهم على أيام المأمون ، وقد يدل هذا التأخر على اختلال النظام في الدولة ولا يستحسن أن لا يُعلم خليفة مثل المأمون بأمرٍ من هذا النوع لأن كتمانه قد يؤدي إلى شيء من الفساد ، فما هي السبيل إلى إطلاع المأمون على حالة الجند ؟ لقد اهتدى عمرو بن مَسْعَدة إلى هذه السبيل ، وكان يُعدّ من بلغاء الكتّاب في دولة العباسيين ، قال في كتابه إلى المأمون :

« كتابي إلى أمير المؤمنين ، ومن قِبَلي من قوّاده ورؤساء أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما تكون طاعة جندٍ تأخرت أرزاقهم ، وانقياد كفاةٍ تراخت أعطياتهم ، فاختلت لذلك أحوالهم والتاثت معه أمورهم » .

لا حاجة بنا إلى التنبيه على البراعة في هذه السطور القليلة فإن صاحبها قد فطن إلى ما يقال وإلى ما لا يقال في مسألةٍ مثل هذه المسألة الدقيقة ، فإذا اقتصر عمرو بن مسعدة على مجرد إعلام المأمون بتأخر الأرزاق وتراخي الأعطيات كان في هذا الاقتصار ما قد يغضب المأمون ، أو قد يسوؤه إذا لم يغضبه ، وإذا لم يشر في كتابه إلا إلى انقياد القواد ورؤساء الأجناد وإلى طاعتهم وأغفل ذكر حقوق الجند فقد يكون في هذه الإشارة ما يخلّ بحقوق الذين يدافعون عن الدولة بأرواحهم . ولكن عمرو بن مسعدة جمع

بين ذكر الأمرين : أمر الانقياد والطاعة وأمر تأخر الأرزاق ، فأرضى بهذا الجمع المأمونَ والجندَ في وقتٍ واحد .

إن المأمون لم يهتم ببيان عمرو بقدر ما اهتم بما عبّر عنه هذا البيان ، فليس في كلام عمرو شيء من التأنق وإنما استعمل الألفاظ البسيطة للدلالة على ما يريد الدلالة عليه كالانقياد والطاعة والتأخر والتراخي والاختلال وغير ذلك . ولكن الذي أعجب المأمون إنما هو ما انطوت عليه الألفاظ البسيطة من فهم صحيح في مكاتبة خليفة مثل المأمون . فقد استعمل عمرو كل الأدب في كتابه فحرص على إعطاء المأمون ما يستحقه من الإجلال والتعظيم وحرص على حقوق الجند والقوّاد . وقد أدى وقع الكتاب في نفس المأمون إلى أن أمر للجند بإعطياتهم لسبعة أشهر وأمر لعمرو بن مسعدة برزق ثمانية أشهر . وبلغ من حسن أثر هذا الكتاب إلى أن قال المأمون لأحمد بن يوسف : لله درّ عمرو ما أبلغه ! ألا ترى إلى إدماجه المسألة في الإخبار ، وإعفائه سلطانه من الإكثار .

ونجد في كتاب : أمراء البيان ، الأستاذ الرئيس محمد كرد علي فصلاً يتصل بعصر ابن الزيات ونشأته ووزارته ونماذج من إنشائه ، منها هذا الكلام القليل : فقد أمر الواثق ابن الزيات أن يتلطف بعبد الله بن طاهر ويعلمه أنه صرفه عن أمر الجزائر والعواصم وفوض ذلك لابن عمه إسحق ابن إبراهيم ، فكتب ابن الزيات :

« أما بعد فإن أمير المؤمنين رأى أن يخلع ما في يمينك من أمر الجزائر والعواصم فيجعله في شمالك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

قال الأستاذ الرئيس كرد علي في خاتمة هذا الكتاب : وليس في الوصول إلى الغرض مع مراعاة المكتوب إليه أوجز ولا ألطف من هذا .

لا نظن أن من الهيّن أن يُعلمَ صاحب عمل في الدولة بصرفه عن عمله ، فقد يكون هذا العمل جزءاً من نفسه ، من حياته ، لا يعيش دونه إلا في كدرٍ وتنغيص ، كما أنه ليس من الهين أن يُعلم بخَلَفه في العمل الذي صُرف عنه ، فإن هذا الخلف قد يكون أبغض الناس إليه لا يصفو له قلبه ، ولا يخلص له حبه ، فكيف السبيل في مثل هذه الحال إلى حلٍّ وسط كما تقول ؟ كيف السبيل إلى إعلام المصروف عن العمل بخلفه في هذا العمل دون أن يثور غضبه ويهيج غيظه ؟ السبيل إلى ذلك ما فعله ابن الزيات في سطر واحد ، فلم يترك لعبد الله بن طاهر عذراً في العتاب ، فإن الذي خلفه إنما هو ابن عمه . ولا شك في أن ابن طاهر لا يسره صرفه عن العمل ولكنه لا يجد سبيلاً إلى الإفصاح عن ذلك ، فلم يأت الواثق بعدوٍ له ، وإنما أتى بابن عمه فقطع عليه كل طريق إلى العتاب



إذا أردنا أن نستشهد بنماذج من البيان الذي يختفي وراءه عقل كبير فإنا نجد أن أدبنا القديم حافل بأمثال هذه النماذج ، وقد يكون كتاب عمرو بن مسعدة إلى المأمون وكتاب ابن الزيات إلى عبد الله بن طاهر لا شهرة لهما في أدبنا ولا ذكر لهما في هذا الأدب ، ولكنهما على الرغم من قلة شهرتهما أو من عدم هذه الشهرة يدلان على براعةٍ في بيان وراءه فهم ثاقب وفطنة نافذة . وإذا كانت كتب الجاحظ تعليم العقل أولاً والأدب ثانياً فما أجدرنا بالتفتيش عن الكتب القريبة من هذا النمط وإن كان الجاحظ في هذا الباب السماء التي لا تطاولها سماء .

شفيق جبري

ابن رشد العالم بالبصريات
والفلك خاصّة

- ٢ -*

الدكتور عمر فروخ

ألف ابن رشد كتابين عنوان أحدهما « كتاب حركات الفلك » وعنوان الثاني منهما « موجز المجسطي » (سارطون ٢ : ٣٥٦) . راجع في المجسطي ماتقدم « الجزء السابق ص ٣٢٥ » .

ولكن بروكلمان [1] لم يذكرهما (١ : ٦٠٤ - ٦٠٦ ، الملحق ١ : ٨٣٤ - ٨٣٦) . ويقول كارمودي (ص ٥٥٩) [2] إنه لم ير كتاب « موجز المجسطي » . فلعل الكتابين قد ضاعا . ولكن بروكلمان ذكر لابن رشد (الملحق ١ : ٨٣٦ ، السطر الثالث من أسفل) كتاباً في الأنساب الكرية (علم المثلثات الكروية) ، ونفع هذا العلم إنما هو في

(*) نشر القسم الأول من هذا المقال في العدد الماضي « مج ٥٣ ج ٢ ص ٣١٣ » .

(1) Brockelman, Geschichte der Arabischen Litteratur.

(2) Francis James Carmody, The Planetary Theory of Ibn Rushd in OSIRIS, 1952, 556 - 586 .

الفلك . وفي كتبه الموجودة بين أيدينا إشارات كثيرة إلى علم الفلك . ويقول سارطون (٢ : ٢٩٥) إن ابن رشد كان كثير الاهتمام بعلم الفلك وحينما يمر القارىء المطالع بملاحظات ابن رشد في الفلك — في كتبه المختلفة — يدرك وشيكاً أن الرجل كان أعلم بالفلك مما تدل عليه تلك الملاحظات لما تضمنته ملاحظاته من الاشارات إلى مدارك وقواعد في علم الفلك يمكن أن تكون أجزاء من معرفة واسعة جداً .

ولكن لا بد هنا من الاشارة أولاً إلى المدرك القديم لهذا العالم الذي نحيا نحن فيه والذي أكثر ابن رشد من الكلام عليه في خلال بحثه في مسائل الفلسفة . لقد كان هذا « الموقف القديم » في الفلك موافقاً للموضوع الذي كان ابن رشد يعالجه في كل مكان : « دلالة العقل وسياق المنطق » عند النظر في الحقائق الفلسفية النظرية وفي الحقائق الدينية العملية . ولاشك في أن المبالغة في حب ابن رشد لفلسفة أرسطو قد حملته على أن يتقبل من فلسفة أرسطو كل شيء وما كان في الفلك مخالفاً للعقل . غير أننا — مع حبنا لابن رشد — لا نستطيع إلاّ لومه على متابعة أرسطو فيما كان أرسطو غير ملوم في اتباعه : إن أرسطو كان ابن بيئة وثنية تعتقد أن الشمس والقمر والكواكب وسائر النجوم الكبار الظاهرة للعين آلهة أو مساكن للآلهة ، وأنها — من أجل ذلك — يجب أن تكون كائنات حيـــة ذوات نفوس تحركها وذوات عقول تجعلها قادرة على معرفة أحوال الناس ثم تكون مخالفة في مادتها لمادة هذا العالم الذي نعيش نحن فيه ، ذلك لأن طبيعة الآلهة المسيطرة يجب أن تكون مختلفة من طبائع الناس الذين تقع عليهم سيطرة الآلهة . ولكن ابن رشد لم يكن معذوراً في الميل إلى أشياء من رأي أرسطو في

ذلك ، فإنه ابن بيئة مؤمنة موحدة توحيداً صحيحاً . وأشد ما يمكن أن نحمله على ابن رشد من اللوم أن العلماء المسلمين كانوا قد فندوا كثيراً من آراء أرسطو . ونذكر في هذا المجال ابن حزم الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) – قبل ابن رشد بخمسة أجيال – فقد قال إن هذه النجوم أجسام حجرية لا تعقل ولا صلة لها بحياة الناس وأنها هي نفسها « مدبَّرة » (بالبناء لاسم المفعول) تخضع لقوانين طبيعية عادية . ويقول ابن حزم : إن هذه النجوم إذا كان لها أثر فينا ، فإن أثرها هذا لا يعدو أن يكون طبيعياً كأثر الريح والمطر والبرد والحر ، أو ما يشبه ذلك .

وافق ابن رشد الأقدمين في أن عالمنا الفلكي الذي تعد أرضنا جزءاً منه مؤلف من أفلاك (مدارات مادية مكوكبة – أي مثبت فيها كواكب مفردة أو متعددة ، ولا يرى ابن رشد مبرراً لفلك لا نجوم فيه) وأن هذه الأفلاك مستديرة ومركّب بعضها في بعض كطبقات البصلة المكورة . وقَبِلَ ابن رشد رأي أرسطو في أن عالم ما فوق فلك القمر (أي القمر والشمس وجميع الأجرام السماوية الأخرى – لأن جميع هذه الأجرام السماوية تدور حول أرضنا في رأيهم) جسم بسيط ، يقصد أن ذلك الجسم مؤلف من عنصر غير العناصر الأربعة (الماء والهواء والتراب والنار) ، ذلك لأن العناصر الأربعة في رأيهم يستحيل بعضها إلى بعض ولذلك تكون خاضعة للكون والفساد ، تتبدل الأجسام التي تتألف منها ثم تخضع تلك الأجسام للنشوء والفناء مرة بعد مرة . أما الأجرام السماوية فلا تتبدل ولا تتغير ولا تنشأ ولا تنعدم ولا تختلف في طبائعها وأفعالها . وإذا كان ذلك كذلك – كما يقول ابن رشد – فإن الأجرام السماوية أجسام حية عاقلة مدركة :

حية حياة كاملة خالدة وعاقلة عقلاً تاماً ومدركة إدراكاً صحيحاً . والجرم السماوي (أي مجموع هذا العالم الذي نراه فوقنا) تبدّى للفلاسفة القدماء بمثابة حيوان يسلك في حركته سلوكاً واحداً صحيحاً كما يسلك الحيوان السليم المزاج . (راجع في ذلك كله تهافت التهافت ١٨٤ ، ٢١٦ ، ٢٥١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٩ ، ٤٨٠ ، رسائل : ما بعد الطبيعة ١٤١ ، ١٥٧ ، الخ) .

ويكفي أن نستشهد هنا بهذه الجمل من أقوال ابن رشد (تهافت ١٩٠ – ١٩٢) :

هذه الكواكب « موجودات مدركة حيّة ذوات اختيار وإرادة .. لعظم أجرامها وشرف وجودها وكثرة أنوارها ... فإذا تأمل الانسان هذه الأجسام العظيمة الحية الناطقة (أي العاقلة) المختارة المحيطة بنا (ثمّ) نظر إلى أصل ثالث وهو أنها مع عنايتها بما هنا (أي بتأثيرها في الكائنات التي في أرضنا من النبات والحيوان ...) هي غير محتاجة إليها (أي إلى هذه الكائنات التي على أرضنا) في وجودها ، علم أنها مأمورة (من الله تعالى) بهذه الحركات ومسخرة (للعناية) بما دونها من الحيوان والنبات والجمادات ، وأن الآمر لها غيرُها ، وهو غير جسم ضرورة (أي بالضرورة : الضرورة تقضي بألا تكون جسماً) لأنه لو كان جسماً لكان واحداً منها ... وأنه لولا مكان هذا الآمر لما اعتنت (تلك الأجرام السماوية) بما هاهنا على الدوام والاتصال ... والآمر هو الله سبحانه » .

لا شك في أن هذا النص الواضح الصريح مخالف للاسلام برغم الآيات الكريمة التي حاول ابن رشد الاستشهاد بها على ما أراده . وتلك – بلا ريب –

من زلاّت ابن رشد حمله عليها حبّه البالغ لأرسطو ودفاعه عن عدد من آراء أرسطو التي قال بها تأثراً قومه الوثنيين .

* * *

وإذ وفّينا خضوع ابن رشد الأثر الوثني الذي كان لأرسطو شيئاً من حقه فإننا ننتقل إلى جانب إيجابي من الآراء العلمية الصحيحة التي تفتحت عنها عبقرية ابن رشد .

أخذ ابن رشد عن الأقدمين عموماً وعن أرسطو أن هذا الوجود الذي نحن جزء منه هو الوجود الممكن بجمعه ، فليس في الامكان أن يكون هذا الوجود أكبر مما هو عليه ولا أصغر مما هو عليه . لأنه لو جاز أن يكون هذا الوجود أوسع مدى مما هو لكان أوسع مدى بالفعل (راجع تهافت التهافت ٧٩ - ٩١ ، ٢٤١) . ولقد التفت ابن رشد في أثناء هذا النقاش الطويل الذي ملأ بضع عشرة صفحة في محاولة إثبات قضية لا يمكن أن يكون عليها برهان مادي : هل كان بالإمكان أن يكون هذا الوجود أوسع مدى مما هو عليه الآن أو أصغر مدى ، وهل بالامكان أن يكون معه وجود آخر أكبر منه أو بقدره أو أصغر منه ؟ إن هذا الافتراض ليس جائزاً عند أرسطو ولا عند ابن رشد ، لأنه لو كان في الوجود عالمان أو ثلاثة عوالم أو أكثر منفصلة أو متصلة لما كانت سوى عالم واحد . غير أن لفتة ابن رشد كانت في جانب آخر . إنها كانت رداً على عناد المتكلمين (أي على اعتراض لهم منتظر) : ذلك الاعتراض من المتكلمين هو : أليس الله قادراً على أن يخلق عالماً آخر ؟ أما كان بالإمكان أن يكون الله تعالى قد خلق هذا الوجود أكبر مما عليه الآن أو أصغر لو شاء ؟

ورد* ابن رشد على ذلك (ص ٨٩ ، السطر الأول وما بعد) بقوله إن هذا الاعتراض يكون حينئذٍ عقلياً (مفارقاً : يتعلق بالإمكان النظري ولا يتصل بالواقع المادي) الذي هو الوجود الفعلي لهذا العالم . وأحب أن أضرب مثلاً من عندي : لو تناول رجل بيده حبة عدس وسأل : ألا يمكن أن تكون « هذه الحبة من العدس أكبر مما هي عليه أو أصغر »، لكان الجواب العقلي المجرد : ان هذا ممكن بلا ريب . ولكن «هذه الحبة» التي في يد الرجل هي هي لا يمكن أن تكون أكبر ولا أصغر ، إذ لو كان ذلك بالإمكان (فيما يتعلق بهذه الحبة نفسها) لوجب أن تكون من قبل الآن كذلك .

ومع أن ابن رشد قد ذكر أن الأجرام السماوية حية وذات عقول تدبّر أجناس النبات والحيوان والجماد مما نجده على أرضنا فإنه كان لا يعتقد صواب التنجيم ، بمعنى أن الانسان يعرف من مواقع الكواكب وحركاتها مستقبل الانسان على الأرض (راجع سارطون ٣ : ١٤٩٠ ، السطر ٧ وما بعد من أسفل) . ولكن هذا لا يمنع أثر الشمس والقمر (وسائر الأجرام السماوية في رأي ابن رشد ، في المد والجزر مثلاً) .

وابن رشد يقسم علم الهيئة أو علم الفلك قسمين : صناعة النجوم التعاليمية (أي الحسبان الفلكي أو علم الفلك النظري) ثم صناعة النجوم التجريبية (المستمدة من الرصد ، أي علم الفلك العملي) وهذا مدخل العلم الفلكي (راجع علم الفلك للمستشرق كارلو نلينو ٢٢) .

وابن رشد ينتقد نظام بطليموس انتقاداً شديداً . ولكن الكلام في ذلك يحتاج إلى شيء من التفصيل .

كان أرسطو (ت ٣٢٢ قبل الميلاد) يرى أن الأفلاك في نظامنا الشمسي متمركزة أي ذات مركز واحد (أي أنها دوائر بعضها أكبر من بعض ولكنها كلها تحيط بمركز واحد) . ولكننا لا نستطيع أن نفهم الخطأ في نظام بطليموس إلا إذا نحن أوردنا الملاحظات التالية على نظام أرسطو :

— أصاب أرسطو في جعل الأفلاك متمركزة .

— لم يصب أرسطو في جعل الأفلاك دوائر (إن الأفلاك إهليلجية ، أي بيضوية الشكل) .

— أخطأ أرسطو لما جعل الأرض مركز النظام الشمسي ثم قبل أن تكون الشمس في الفلك الرابع تدور حول الأرض . ولم يكن أرسطو في ذلك معذوراً ، لقد عرف أرسطو أن الفيثاغوريين كانوا يقولون بأن الأرض تدور حول « النار الوسطى » (لا حول الشمس ، لأن الشمس كانت في رأيهم تدور أيضاً حول تلك النار الوسطى) وأن الأرض كانت تدور على محورها (وذكر ذلك أفلاطون أستاذ أرسطو) . وكان أرسطو يصر على أن الأرض ثابتة لا يجوز لها أن تتحرك (١) .

وتبع ابن رشد آراء أرسطو ، إعجاباً بأرسطو من جانب ثم انتصاراً لرأيه هو في تخريج مظاهر الوجود كلها تخريجاً عقلياً ونظرياً ، من جانب آخر .

---

(١) لم يكن أرسطو وابن رشد معذورين في جعل الأرض ثابتة لاتتحرك . ومادام ابن رشد يقول : إن الشمس أكبر من الأرض (وهذا صحيح) مائة وخمسين أو مائة وستين أو مائة وسبعين مرة ، فإنه كان يجب أن يعرف من علم الحيل (الميكانيك) في الفيزياء أن الجسم الأصغر لايمكن أن يكون مركزاً يدور حوله الجسم الأكبر .

ومن المظاهر التي لفتت نظر الفلاسفة القدماء اختلاف حركات النجوم : رؤية الزُهَرة مثلاً مرة في الغرب متأخرة عن الشمس ومرة في الشرق متقدمة على الشمس ، كما أن القمر يسلك هذا المسلك بالاضافة إلى الشمس وبالاضافة إلى الزهرة أيضاً .

وجهد كثيرون في تفسير هذه الظاهرة التي سميت « تحيراً » وسميت الكواكب التي تفعل ذلك (كعطارد والزُهَرة مثلاً) : الكواكب المتحيرة. فاقترح أفلاطون مثلاً أن يكون في تلك النجوم قوتان تحركها : قوة موافقة لحركة الشمس (من الشرق إلى الغرب) وقوة « مضادة » لحركة الشمس (من الغرب إلى الشرق) ومنهم من اقترح أن يكون لعدد من الكواكب حركة لولبية (كالصعود والنزول على سلم ، مثل تلك التي تكون في المآدن عادة) ثم اقترح بطليموس [1] القلوذي تعدد الأفلاك (المدارات حول الأرض) لهذه الكواكب التي سميت متحيرة . لقد جعل بطليموس لهذه الكواكب أفلاكاً متعددة متداخلة (ذات مراكز مختلفة في سطح واحد) فكان بعضها خارجاً عن بعض (بعض الأفلاك متطرف عن الأرض ذات اليمين وبعضها متطرف ذات الشمال) .

ولم يرض علماء الفلك العرب هذه الأوجه من التفسير لاختلاف

(١) بطليموس القلوذي (كلوديوس بطليموس) ولد في صعيد مصر ونشأ في الاسكندرية (وليس له صلة قرابة بالبطالسة ملوك مصر اليونانيين) ، من علماء الرياضيات والفلك والجغرافية والطبيعيات ، له كتاب ضخم اسمه باليونانية « التصنيف العظيم في الحساب » ويعرف بعنوان « المجسطي » . والمجسطي كتاب في الفلك وفي الحسبان الفلكي . وكانت وفاة بطليموس سنة ١٧٠ م

حركات النجوم في رأي العين. حاول جابر بن أفلح الأندلسي (ت ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥ م) إصلاح نظام بطليموس. ثم اقترح ابن طفيل الأندلسي (ت ٥٨١ هـ/ ١١٨٥ م) على تلميذه نور الدين البطروجي أن يحاول ذلك (ولا نعلم إذا كان ابن طفيل قد اقترح مثل ذلك على تلميذه الآخر ابن رشد). ومع ذلك فنحن لا نعلم مدى تينك المحاولتين (محاولة جابر بن أفلح ثم محاولة البطروجي بإشارة من ابن طفيل). غير أن ابن رشد لم يرض نظام بطليموس، فيما يبدو، ولم يكن انتقاده هذا واضحاً. قال ابن رشد (رسائل: السماء والعالم ٥ - ٦):

« ... ليس للجسم المتحرك بها (بالحركة المستديرة، وهي الحركة الطبيعية) مبدأ مضاد للمحرك (في الاتجاه الذي يقتضيه المحرك الطبيعي المادي) كالحال في الحيوان (الذي يتحرك بإرادة منه). وإذا كان هذا هكذا، فظاهر أنه يلزم أن يكون للحركة المستديرة - بما هي مستديرة - مراكز وأقطاب، وما هو بهذه الصفة فهو كرة ضرورة. فأما الأكر المحروقة (؟) الأقطاب التي يصفها بطليموس في كتابه « في الاقتصاص » فشيء لا يصح على هذه المتحركات دوراً حركة طبيعية. وأيضاً لو كانت الكواكب تتحرك بذاتها - كما يظن قوم - لم تكن حركتها طبيعية أصلاً ... ».

ومثل ذلك، أو قريب منه، قول ابن رشد أيضاً (رسائل: السماء والعالم ٤٧) في الحركات المختلفة للكواكب (الحركة المستقيمة والحركات المتحيرة):

« ولم يكن ظهر مثل هذه الاستقامة والرجوع (الحركات المستديرة

المستقيمة على وتيرة واحدة إلى جانب الحركات المتحيرة) المتقدمين من اليونانيين (الفلاسفة قبل أرسطو) إلا في الكواكب المتحيرة . وكذلك لم يكن ظهر للبابليين كثير من الحركات التي أثبتها بطليموس مثل حركات أقطار (أقطاب ؟) أفلاك التداوير إلى الشمال والجنوب ، وكحركة الفلكين الخارجيي المركز اللذين لعُطارد والزُهَرة مرة إلى الجنوب ومرة إلى الشمال».

ولابن رشد رد على بطليموس في سبب الحركة التي للكواكب والتي كانت تتم في رأي القدماء بوساطة فلك محيط يحركها كلها بقوة مستمدة من الأول (الله) لأن ذلك الفلك المحيط قريب من الأول ، قال (رسائل : ما بعد الطبيعة ١٣٥) :

« وأما وجود فلك تاسع ففيه شك ، فإن بطليموس ظن أن هاهنا حركة بطيئة لفلك البروج ، غير الحركة اليومية ، يتم دورها في آلاف السنين . وآخرون رأوا أنها حركة إقبال وإدبار ، وهو الرجل المعروف بالزرقال [1] من أهل بلادنا هذه وهي جزيرة الأندلس ومن تبعه منهم ، ووضعوا لذلك هيئة تلزم عنها هذه الحركة . والذي دعاهم إلى إثبات هذه الحركة أنهم رصدوا عودات الشمس إلى نقط معلومة من فلك البروج فوجدوها (أي عودات الشمس) تختلف . وآخرون رأوا أن هذا

(١) من أكابر الرياضيين والفلكيين في الأندلس أبو إسحاق إبراهيم النقاش المعروف بالزرقالي أو بولد الزرقيال (ت ٤٩٣ هـ = ١٠٩٩ م) ، كان بارعاً جداً في الرصد وفي استخدام الاسطرلاب ، وهو أول من جاء بدليل على أن حركة (مثيل) أوج الشمس (أبعد نقطة لها عن الأرض) بالنسبة إلى النجوم (الثوابت) تبلغ بالثواني ١٢٫٠٤ (بينما الرقم الحقيقي ١١٫٨) .

الاختلاف قد يكون لمزيد حركة أو حركات في فلك الشمس . وآخرون رأوا أن ذلك لخلل في الآلات أو لتقصير في الآلات أنفسها عن دَرْك ذلك على كُنهه فيها » .

والذي دعا فلاسفة اليونان المتقدمين والمتأخرين ثم علماء العرب حتى أيام ابن رشد إلى هذا التعقيد أنهم فرضوا أن الأرض ساكنة وأن الكواكب والنجوم (والشمس فيها) تدور حول الأرض - وهذا بلا ريب هو الذي أدّى بهم إلى الخطأ . ولو أنهم أدركوا ما أدركه زكريا بن محمد القزويني (ت ٦٨٢ هـ/١٢٨٣ م) حين قال (عجائب المخلوقات ١ : ٢٤٨): « والأرض متحركة دائماً على الاستدارة . والذي نراه من دوران الفلك (الشمس والكواكب والنجوم) إنما هو من دوران الأرض (على نفسها) لا من دور (لا من دوران) الكواكب » ، لما احتاجوا إلى كل ذلك التعقيد وإلى الوقوع في الأخطاء الكثيرة .

وذكر كارمودي (ص ٥٦٢) أن ابن رشد ينكر إمكان الحركات المتضادة للكواكب لأنها ليست جزءاً من النظر (التفكير) العقلي . ولكن ابن رشد نفسه يجعل هذا الحركات المتضادة التي للكواكب دليلاً على أن تلك الكواكب حية مدركة ذات اختيار وإرادة (تهافت التهافت ١٨٩ ، السطر ١٠ - ١٣) .

وكان ابن طفيل قد جعل العالم بجملته كروياً ومحدوداً متناهياً (حي بن يقظان ١٢٧ وما بعد) فأخذ ابن رشد عنه ذلك وقال (تهافت التهافت ٤٥ - ٤٧) :

« ... وأن العالم إنما يتناهي من جهة الجسم الكري ، وذلك أن

الجسم الكري متناه بذاته وطبعه ، إذ كان يحيط به سطح واحد مستدير » وجسم العالم « لا يمكن فيه زيادة ولا نقصان ، ولذلك كان متناهياً بذاته، وأنه لمكان هذا لم يصح أن يكون الجرم المحيط بالعالم إلا كرياً » .

ويبدو أن ابن رشد قد استفاد من محاولة البطروجي أيضاً ،ولكنه لم يذكر البطروجي ولا ذكر ابن طفيل (راجع أيضاً كارمودي ٥٥٩ ، ٥٨٥) .

وابن رشد من الذين يرون أن للأجرام السماوية أقداراً (أحجاماً) مختلفة . قال (فصل المقال ٥) :

« لو ... رام إنسان واحد من تلقاء نفسه أن يدرك مقادير الأجرام السماوية وأشكالها وأبعاد بعضها عن بعض لما أمكنه ذلك – ولو كان أذكى الناس ، إلا بوحي أو شيء يشبه الوحي – بل لو قيل له إن الشمس أعظم من الأرض بنحو مائة وخمسين ضعفاً أو ستين ، لعدّ هذا القول جنوناً من قائله . وهذا شيء قد قام عليه البرهان في علم الهيئة قياماً لا يشك فيه من هو من أصحاب ذلك العلم » .

ويأتي هذا المعنى مكروراً في تهافت التهافت (ص ٢٠٧) ليوازن ابن رشد بينه وبين العلوم الالهية ، كعلم الفقه والأصول – وبالجملة العلوم الدينية – فإن الفقيه أيضاً محتاج إلى علم البرهان من المنطق وغيره . يقول ابن رشد في حجم الشمس :

« لو قيل للجمهور – ولمن هو أرفع رتبة في الكلام[١] منهم – إن

(١) الكلام (علم الكلام) غايته الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية .

الشمس التي تظهر للعين في قدر قدم (في قُطرها) هي نحوٌ من مائة وسبعين ضعفاً من الأرض لقالوا هذا من المستحيل ، ولكان من يتخيل ذلك عندهم كالنائم ، ولعسر علينا إقناعهم في هذا المعنى بمقدمات يقع لهم التصديق بها من قرب في زمان يسير ، بل لا سبيل (إلى) أن يتحصل مثل هذا العلم إلا بطريق البرهان لمن سلك طريق البرهان » .

وعِظَمُ جِرمِ الشمس بالاضافة إلى كثافة مادتها وتلزّزها (تلاصق أجزائها) هو – عند ابن رشد واستناداً إلى قول أرسطو – سبب شدة حرارتها (رسائل : السماء والعالم ٤٩) . ويرى كارمودي (ص ٥٧٤) أن كلمة شرف في وصف الشمس تدل على حجم الشمس وقلة حركاتها[1]، لأن حجمها الكبير يقاوم التأثيرات الخارجية عليها .

ويعرض ابن رشد لذبول الشمس (أي لنقص حجمها وحرارتها بما يتحلل من جرمها بالإشعاع) . وينكر ابن رشد ذلك فيقول (تهافت التهافت ١٢٩) :

« ولو كانت الشمس تذبل – وكان ما يتحال[2] منها في مدة

(١) الشرف في الفلك يعزى في الأكثر إلى الارتفاع (عن الأرض في فلك البروج) أيضاً .

(٢) أول من أشار إلى خسران الشمس شيئاً من مادتها بالتحلل الإمام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ = ١١١١ م) . قال الغزالي (تهافت الفلاسفة – بيروت ، المطبعة الكاثوليكية – ص ٨٣) : « ... فمن أين عرف (جالينوس) أنه لا يعتريها الذبول ؟ وأما التفاته إلى الأرصاد (اعتماده الأرصاد : مراقبة الشمس) فمحال لأنها لا تعرف مقاديرها إلا بالتقريب . والشمس التي يقال إنها كالأرض =

الإرصاد (أي في المدة القصيرة التي اشتغل العلماء فيها برصد الشمس) غير محسوس ، لعظم جرمها - لكان ما يحدث من ذبولها فيما ههنا من الأجرام له قدر محسوس . وذلك أن ذبول كل ذابل إنما يكون بفساد أجزاء منه تتحلل . ولا بد في تلك الأجسام المتحللة من الذابل أن تبقى بأسرها في العالم أو تتحلل إلى أجزاء أخر . وأيٌّ ذلك كان يوجب في العالم تغيراً بيّناً إما في عدد أجزائه وإما في كيفيتها . ولو تغيرت كميات الأجرام لتغيرت أفعالها وانفعالاتها . ولو تغيرت أفعالها وانفعالاتها - وبخاصة الكواكب - لتغير ما ههنا من العالم . فتوهم (لعلها بصيغة الأمر) أن الاضمحلال على الأجرام السماوية مخل بالنظام الإلهي الذي ههنا عند الفلاسفة . و (مع ذلك فإن) هذا القول لا يبلغ إلى مرتبة البرهان » .

لا شك في صحة ما يقوله ابن رشد هنا . إن حجم الشمس يجب أن ينقص لما يتحلل من أجزائها عند صدور النور (والحرارة) منها . ثم لا شك في أن ابن رشد قد أصاب لما قال أن هذا التقلص في الحجم لا يجوز

= مائة وسبعين (كذا) مرة أو ما يقرب منه ، لو نقص منها مقدار جبال مثلاً لكان لا يبين للحس . فلعلها في الذبول وإلى الآن قد نقص مقدار جبال وأكثر ، والحس لا يقدر على أن يدرك ذلك ... » (ولقد أصاب الغزالي في هذا القول) . ويقدر العلماء المعاصرون لنا أن الأرصاد الفلكية قد دلت على أن الشمس قد خسرت من مادتها - في مدى خمسين عاماً - مقداراً ضئيلا ، ذلك لأن الشمس تشع في كل دقيقة خمسة وعشرين سعراً (بالضم : كالوري) ، وهو يساوي نحو اثنين من البليون (غير أن هذا كله لا يمنع من أن الشمس تستعيد ما تخسره من طرق مختلفة) .

أن يحدث ، ولكن تعليله لما أراد لم يكن تعليلاً مادياً ، بل هو تعليل « عقلي» من من جانب وفقهي من جانب آخر . وقد وقف العلماء المعاصرون لنا أمام هذه المشكلة ، ويرجى أن يكون تعليلهم أصح حين قالوا : إن المادة (من الشمس) تتحول إلى طاقة ثم تعود تلك الطاقة فتتحول (في الفضاء الأرحب) إلى مادة من جديد (ينشأ منها أجرام جديدة) فتظل النسبة في بناء هذا العالم الفسيح واحدة ، أو كذلك قالوا أو مثل ذلك .

ويقول ابن رشد (تهافت التهافت ١٨٨) إن حدوث الفصول الأربعة في الأرض راجع الى بعد الشمس وقربها من الأرض عند مسيرها في فلكها المائل (وكان الأمثل أن يقول إن ذلك راجع إلى ميل الأرض على محورها نحو الشمال - شمال الساكنين فيها - ونحو اليمين ، فينتج من ذلك أن يصبح في قطب الأرض القريب من الشمس صيف وفي القطب الآخر شتاء ، ويكون الخريف والربيع بينهما) . قال ابن رشد :

« فإنه لولا قرب الشمس وبعدها في فلكها المائل لم يكن ههنا فصول أربعة . ولو لم يكن ههنا فصول أربعة لما كان نبات ولا حيوان .. مثال ذلك إذا بعدت الشمس إلى جهة الجنوب (تخيلْ ميل القطب الشمالي من الأرض بعيداً عن الشمس) برد الهواء من جهة الشّمال فكثرت الأمطار .. وفي الصيف بالعكس » (راجع رسائل : الآثار العلوية ٤٦؛ ما بعد الطبيعة ١٦٨) .

والمألوف عندنا أن يكون للجرم السماوي قطبان أحدهما يقال له شمالي ويكون في أعلى الجرم (بالإضافة إلى تخيلنا لاستواء هذا الجسم في فلكه) والآخر يقال له جنوبي . غير أن ابن رشد يرى (من الناحية النظرية)

أن كل نقطتين متقابلتين في الكرة (عند طرفي القطر المفروض - وللكرة أقطار غير متناهية) تصلحان لأن تكونا قطبين شمالياً وجنوبياً . ولكن المعقول (عند ابن رشد) أن يكون القطبان في كل جرم سماوي في موضعها المخصوص بهما في ذلك الجرم . قال ابن رشد (تهافت التهافت ٤٨) :

« فالأجسام السماوية فيها مواضع هي أقطاب بالطبع لا يصح أن تكون الأقطاب منها في غير ذلك الموضع .. وقد ظُنّ ... في بادىء الرأي أنه يمكن أن يكون القطبان في فلك أي نقطتين اتفقتا » .

ويتكلم ابن رشد على اختلاف موقع النجوم باختلاف موقع الانسان على الأرض ، فإن النسر الطائر (١) مثلاً يرى من الأندلس في موقع من السماء غير الموقع الذي يراه فيه إنسان آخر في غير الأندلس — في بلد على غير خط العرض الذي تقع عليه الأندلس (رسائل : الآثار العلوية ١٧) . والصحيح أن النجم يكون دائماً في موضعه ولكن اختلاف المنظر (٢) يتبدل باختلاف موقف الناظر على سطح الأرض . والمقصود من التعبيرين واحد ،ذلك لأن القدماء كانوا يعتقدون أن الأجرام السماوية هي التي تدور حول الأرض ، فوضعوا تعبيرهم في قالب مخالف للقالب الذي نضع نحن اليوم تعبيرنا عن هذا الأمر فيه .

---

(١) النسر الطائر ، ويقال له أيضاً العقاب (بالضم) وفي الأفرنجية : الطير ، أكليلا ، صورة من صور السماء .

(٢) اختلاف المنظر هو (من الناحية العملية) تبدل موقع النجم بالإضافة إلى انتقال الواقف على الأرض من مكان إلى آخر (اختلاف زاوية النظر بسبب دوران الأرض على محورها ودورانها حول الشمس) .

وكلام ابن رشد في الكواكب المنقضة (الشهب) وذوات الأذناب والمجرة يختلط فيه الصواب القليل بالخطأ الكثير . وهو في هذه يعتمد أقوالاً سابقة ولا يتبناها كما يفعل في عدد من الأمور .

يروي[1] ابن رشد (رسائل : الآثار العلوية ١٢) أن ذوات الأذناب شهب ثابتة ، وأن الشهب كواكب (صغيرة) منقضة . وتحدث ذوات الأذناب ، إذا كان البخار الممتد (تحتها) له ثبات ، وليست ذوات الأذناب رؤية (من خداع البصر) تعرض من ضياء الكواكب (كالهالة التي ترى حول الشمس مثلاً - أو بالأصح حول العين - راجع فوق ، عند الكلام على الهالة في قسم البصريات) . وكل ما يرويه ابن رشد عن ذوات الأذناب وعن الشهب يسنده إلى القدماء وإلى أرسطو خاصة (ص ١٢ - ١٣) .

أما المجرة فيحاول ابن رشد أن يقول فيها قولاً أكثر وضوحاً : فهي ليست دخاناً ملتهباً كما قيل ، ولكنها تتألف من نجوم كثيرة متقاربة . ويؤكد ابن رشد أن المجرة مؤلفة من كواكب (الآثار العلوية ١٨) .

وشكل الأرض عند ابن رشد أيضاً كروي ، وهو يورد على كروية الأرض دليلاً بارعاً ، قال (رسائل : السماء والعالم ٦٢ - ٦٣) إن البدر يَخْسَفُ بظلِّ الأرض يُرى خسوفه (الجزئي) هلالياً . وهنالك عنده سبب آخر (ص ٦٣) هو أنه إذا سار الانسان في الأرض أدنى (أقل) مسير ظهرت له في السماء كواكب لم تكن ظاهرة له من قبل .

* * *

(١) إن ابن رشد يستند في ذلك إلى أقوال الذين سبقوا .

وينسب إلى ابن رشد ملاحظتان في الفلك على غاية من البراعة : أولاهما رؤية الكلف على وجه الشمس والثانية منهما مشاهدة عبور الكوكب عطارد على قرص الشمس بالبرهان الحسابي .

ا) نقل العـــالم الرياضي الفلكي منصور جرداق (١) عن صناجة الطرب (٢) و « حضارة العرب » (٣) هذه الجملة : « وهو (ابن رشد) أول من رأى كُلَفَ الشمس وكتب عنها » . والجملة في « صناجة الطرب » (ص ٤١٣) : « وابن رشد .. رأى كُلَفَ الشمس وكتب عنها قبل أن عرفها أهل أوروبا » . ولم أعثر على كتاب « حضارة العرب » .

وكُلَف (٤) الشمس بقع غير منظمة (٥) تظهر مظلمة على وجه الشمس

---

(١) مآثر العرب ٢٢

(٢) نوفل بن نعمة الله نوفل (١٨١٢ - ١٨٨٧ م) من أهل طرابلس الشام أديب مثقف يحسن العربية والتركية والفرنسية ويهتم بالجانب الحضاري والثقافي من تاريخ الأمم . له عدد من الكتب منها « صناجة الطرب في تقدمات العرب » .

(٣) « حضارة العرب » كتاب من تأليف أسعد مفلح داغر (١٨٨٦ - ١٩٥٨ م) كان من دعـاة القومية العربية والعاملين على تحقيق الوحدة العربية والناشـطين في المطالبة باستقلال العرب ، اشتغل بالصحافة مدة طويلة . له من الكتب « ثورة العرب » (١٩١٦ م) -- « حضارة العرب » (١٩١٨ م) - مذكرات على هامش القضية العربية (١٩٥٨ م) . ومع أن كتاب « حضارة العرب » قد أعيد طبعه (١٩١٩ م) فأنا لم أستطع أن أقع على نسخة منه .

(٤) الكلف (بضم ففتح) جمع كلفة (بالضم) : بقعة ترى مظلمة على وجه الشمس لأنها فجوة أو رقعة أكثر برودة مما حولها .

(٥) غير منتظمة : متعرجة المحيط ، ليست دائرة مثلاً ولا هي مستقيمة الأضلاع .

وهي — فيما يبدو — فجوات واسعة في جرم الشمس لا يصدر منها نور . من أجل ذلك تبـدو قائمة . وإذا كان ابن رشد فعلاً أول من رأى الكَلَف وعرفها فتكون براعته في الفلك العملي (الرصد) عظيمة جـداً وخصوصاً لأن الادوات التي تُعثَر تلك الكلف بها لم تكن في أيام ابن رشد وافية ولا كافية .

ب) وينسب إلى ابن رشد أنه شـاهد مرور الكوكب عطارد على قرص الشمس بعد حسبان حركة عطارد . وهذا يقتضي براعة أعظم من البراعة في رؤية الكلف . يقول منصور جرداق : (مآثر العرب ٢٢) : « وعرف (ابن رشد) بواسطة الحساب الفلكي وقت عبور عطـارد على قرص الشمس فرصده وشاهده بقعة سوداء على قرصها في الوقت المعين . وهذا الأمر لا يتصدى له في وقتنا سوى الراسخين في الرياضيات الفلكية » . ويذكر جرداق أنه أخذ ذلك من كتاب « خلاصة تاريخ العرب » ، من الصفحة ٢١٥ . وبالرجوع إلى هذا الكتاب ، وهو في الحقيقة تهذيب (مختصر) لكتاب العالم الفرنسي سيديو نقله إلى العربية محمد بن أحمد عبد الرزاق [١] أحد المترجمين في ديوان الترجمة في القاهرة ومعـلم اللغة الفرنسية بالمدارس الملكية المصرية ، وكان قد أمره بذلك علي باشا مبارك [٢].

---

(١) محمد أحمد عبد الرزاق موظف في قلم الترجمة في وزارة المعارف المصرية ومعلم للغة الفرنسية ، كانت وفاته سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣ م) .

(٢) علي مبارك عالم مصري ولد سـنة ١٢٣٩ (١٨٢٤م) وذهب في بعثة إلى باريس فتعلم العلوم الرياضية والطبيعية والعلوم الحربية وتولى عدداً من الوزارات وله آثار عمرانية وثقافية منها دار الكتب المصرية . وله مؤلفات منها « الخطط (بكسر الخاء) التوفيقية » وغيرها . وقد أشرف على نقل كتاب « خلاصة تاريخ العرب » للعـالم الفرنسي سيديو (انظر هامش الصفحة التالية) وقد كانت وفاته سنة ١٣١١ (١٨٩٣ م) .

ولكن يبدو أن الترجمة لم تكن دقيقة فعمد علي مبارك نفسه إلى نقل الكتاب من جديد أو إلى تنقيحه تنقيحاً كبيراً ، فقد قال علي باشا مبارك : « فوجدت به (في الكتاب المنقول) أبواباً لم تترجم وأخرى لم تستوف حقها في الترجمة . فترجمنا ذلك وصححنا الكتاب وقابلناه على الأصل كلمة كلمة . ثم كلفنا به العالم النحرير الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ السيد الشرقاوي الشرشيمي وأمرناه أن ينشئه إنشاء عربياً فصيحاً . فأخذ ينشيء ويقرأ علينا ما كتبه بخطه . ثم صححنا أسماء البقاع والرجال وقابلناه على أصلها الفرنجي وسميناه « خلاصة تاريخ العرب » (ص ٥ — ٦) . والجملة موضع الاستشهاد هي ، في كتاب « خلاصة تاريخ العرب » (ص ٢١٥) ، التي تلي :

« وعزي إليه (إلى ابن رشد) شرحٌ على المجسطي ظن إبصاره بقعة سوداء في قرص الشمس يوم عرف من الحساب الفلكي زمن مرور كوكب عطارد » .

ثم بالرجوع إلى كتاب سيديو[1] (٢ : ٢٩) قرأنا :

« وكان (ابن رشد) يحب أن يرصد (الكواكب) وكان قد اعتقد أنه بَصُرَ بنقطة سوداء على (قرص) الشمس في يوم دلّه (فيه) الحسبان على (أن ذلك كان) عبوراً لـ (كوكب) عطارد » .

---

(1) Louis Pierre Sédillot, Histoire générale des Arabes, Paris 1877 .

وسيديو مستشرق فرنسي (١٨٠٨ — ١٨٧٥ م) كان أبوه أيضاً مستشرقاً يعنى بالفلك . واتجاهه في دراسة التاريخ العربي اتجاه سليم .

ولم يذكر سيديو من أين أخذ ذلك . وقد لفت نظري أن ما قاله منصور جرداق كان أقرب إلى الأصل الفرنسي من قول الترجمة المباشرة عن اللغة الفرنسية ، مع اعتقادي بأن منصور جرداق لم يعرف في الأغلب كتاب سيديو في أصله الفرنسي .

ولا أعلم إذا كان منصور جرداق قد اطلع على كتاب سيديو في أصله الفرنسي ، مع أنه قد عدّ في كتابه « المعجم الفلكي » بضعة كتب باللغة الفرنسية منها كتاب لسيديو نفسه . وفيما يلي كلمة في عبور عطارد على وجه الشمس ندرك منها حقيقة المهمة التي نصب ابن رشد لها نفسه .

عطارد أصغر الكواكب في نظامنا الشمسي – وحجمه أكبر قليلاً من حجم القمر الذي يدور حول الأرض ثم هو أقرب هذه الكواكب إلى الشمس . وعطارد يدور على محوره في نحو ستين يوماً من أيام الأرض ويدور حول الشمس في نحو ثمانية وثمانين يوماً . والمفروض أنه في كل دورة من دوراته حول الشمس يعترض مرة واحدة بين الأرض والشمس ، ولكن هذا الاعتراض بين الأرض والشمس مكانياً لا ينشأ منه « اقتران » (أي اجتماع الأرض وعطارد والشمس في خط نظر واحد) إلا قليلاً . إن عطارد يمر أحياناً فوق قرص الشمس (بالاضافة إلى الناظر إليه من أرضنا) ويمر أحياناً فوق قرص الشمس .

وفي بعض الأحيان يرى عطارد ماراً على قرص الشمس ، فهذا المرور على قرص الشمس يسمى عبوراً . إلا أن هذا العبور قد يكون جزئياً فيمس عطارد قرص الشمس مساً في أعلاه أو في أدناه ويدوم بضع ثوان ويكون هذا العبور أحياناً على قطر الشمس مثلاً ويدوم بضع ساعات .

وفي رصد عطارد وهو مارٌ على قرص الشمس عدد من المصاعب :

١ - إن العبور الطويل لعطارد على قرص الشمس نادر فيجب أن يتسقط الراصد هذا العبور طويلاً .

٢ - إن هذا العبور يكون في النهار فيمر الكوكب الصغير الضئيل النور على قرص الشمس الكبير المضيء ويرى جسماً صغيراً ضئيلاً يتحرك على وجهها .

٣ - يدخل في معادلة العبور هذه حركة عطارد حول الشمس وحركة الأرض على محورها وحول الشمس أيضاً .

٤ - إن معظم الأوقات التي يحدث فيها هذا العبور يكون بعد الضحى (بعد ارتفاع الشمس عن الأفق الشرقي للأرض في رأي العين) حين يكون نور الشمس على أشده .

٥ - وأكثر ما يحدث هذا العبور في أيار (مايو) أو تشرين الثاني (نوفمبر) ، وربما كان الجو غائماً فتتعذر الرؤية .

ولقد كان من الأيسر على ابن رشد (من الناحية العملية) أن يرصد عبور عطارد في الوقت الذي يكون عبور عطارد فيه في الصباح الباكر (بعد قليل من شروق الشمس) .

ا) يرصد ابن رشد عطارد قبل طلوع الشمس ويعين موقعه في السماء بالاضافة إلى أفق الأرض وإلى نقطة شروق الشمس على الأفق .

ب) يحسب ابن رشد سرعة عطارد في فلكه وسرعة الأرض حول نفسها (على محورها) ، مع حسبان سرعة الشمس (لأن ابن رشد كان يعتقد أن الأرض ثابتة وأن الشمس هي التي تدور حول الأرض - ولكن

هذا لا يبدل شيئاً ، لأن حسبان حركة الشمس حول الأرض في رأي العين هو حسبان حركة الأرض حول نفسها) .

ج) وحينما يصح حسبان ابن رشد يبصر نقطة صغيرة تدخل قرص الشمس من الشرق (عن يسار ابن رشد) ثم تتقدم ببطء نحو الغرب .

د) وإذا كان حسبان ابن رشد دقيقاً فإنه يرى هذه النقطة السوداء تغادر قرص الشمس من جانبها الغربي (على يمين ابن رشد) .

هـ) ويكون من حظ ابن رشد أن يحدث عبور عطارد بعيداً عن كلف الشمس أو حينما لا تكون تلك الكلف مواجهة للأرض . وربما كان من غير العسير على ابن رشد أن يميز عطارد من كلف الشمس ، فعطارد جرم صغير منتظم (دائرة تامة) وكلف الشمس كبيرة في الأغلب وغير منتظمة .

و) ولا أعتقد أن ابن رشد كان باستطاعته (في التفريق بين الكلف الصغيرة على وجه الشمس وعطارد) أن يدخل في حسبانه دوران الشمس على محورها (في كل خمسة وعشرين يوماً مرة واحدة) ليعرف الفرق بين سرعة عطارد على وجه الشمس وسرعة الكلف على وجه الشمس أيضاً .

ز) وبما أن عطارد يكون أثبت في رأي العين من الشمس (بالإضافة إلى الواقف على سطح الأرض) ، فلقد كان من المعقول أن يرى ابن رشد عطارد يقطع قرص الشمس من الشرق الشمالي إلى الغرب الجنوبي (لأن الشمس في طلوعها ترتفع — في رأي العين — من الجنوب إلى الشمال : من أدنى إلى أعلى) .

* * *

هذه كلمة في ابن رشد الفقيه الفيلسوف ، ولكنها في العلم الطبيعي والرياضي : في علم المناظر (البصريات) والهيئة (الفلك) . وقد بدا أن ابن رشد كان عالماً طبيعياً كما كان فلكياً أيضاً ، مع أن معظم الدارسين — وأكاد أقول جميع الدارسين ، منا على الأقل — قد وجهوا اهتمامهم كله إلى ابن رشد الفيلسوف النظري وأهملوا آراء ابن رشد الرياضية والطبيعية . فحبذا أن يقوم منا نفر ينصفون جميع علمائنا بالالتفات إلى آرائهم العلمية البحت (حينما يكون مثل هذا الالتفات ممكناً) .

بقيت كلمة اعتذار[1] :

لا يبعد أن يرى الزملاء الكرام — من علماء الرياضيات والطبيعيات - أخطاء قليلة أو كثيرة في هذا المقال ، فأرجو أن يحمل الذنب عليهم هم لا عليّ أنا . لقد كان من الأوجب أن يقوموا هم بمثل هذه الدراسات العلمية (وإن كنت أنا لا أسمي مقالي هذا دراسة علمية ، بل أسميه عرضاً يسيراً لفكرة علمية معينة) . فحبذا أن يكون لهذا المقال - برغم مايمكن أن يكون فيه من الأخطاء - صواب واحد : حث البارعين منا في علوم التعاليم (العلوم الدقيقة من الرياضيات والطبيعيات) على الاهتمام بالآثار العلمية عند علمائنا وعند فلاسفتنا على السواء . والله من وراء القصد .

بيروت : عاشر ربيع الأول ١٣٩٨

١٨/٢/١٩٧٨ عمر فروخ

---

(١) كان للجنة المجلة بعض الملاحظات التي تتناول بعض الحقائق العلمية الخاطئة في المقال ، ولكنها طوتها أمام كلمة الاعتذار هذه مقدرة جهود الزميل الدكتور عمر فروخ وغيرته على التراث العربي العلمي والانساني وحرصه على إحيائه وجلائه .

معبد الجهني

الدكتور يوسف فان اس

– ٣(*) –

إن هذا الاضطراب قلما يمس الفرق بين زوج « أم موسى » من جهة « وفرد من الأساورة » من جهة أخرى. فأحد الأمرين لا يتعارض مع الآخر. فهناك نساء كثيرات يسمين أم موسى ورد ذكرهن عند ابن سعد. وعلى كل حال، فإن واحدة منهن تستحق اهتمامنا [١]، وهي تلك التي قيل عنها [٢] إنها كانت تروي عن علي، وكان ينقل عنها مغيرة ابن مقسم الضبي (الكوفي توفي عام ١٣٣/٧٥١ أو بعد ذلك بقليل). لقد كانت تلك المرأة، كما رأينا في مكان آخر [٣]، زوجة لعلي، وعادت فتزوجت بعد وفاته (في عام ٤٠/٦٦٠). وزوجها لم يكن غير أبي يونس الآنف الذكر. وهو من مواليد الأوساط الفارسية الرفيعة. وكان قد انضم من قبل إلى بني تميم في البصرة [٤]. ومن المحتمل أن يكون

(*) نشر القسم الأول من هذا المقال في الجزء السابق (مج ٥٣ ج ٢ ص ٢٧٩)

(١) كل الآخرين كانوا يعيشون بالحجاز (قارن ابن سعد ج ٥ ص ٤٠ س ١٠، وص ٥٢ س ٢٣، وص ٢٣٨ س ٢٤).

(٢) ابن سعد ج ٨ ص ٣٥٦ س ٢٠

(٣) الذهبي « الميزان » رقم ١١٠٣٦

(٤) حتى إن المؤرخين العرب قد أخذوا بهذه العلاقة. فعند الذهبي (الميزان =

ذلك « الملعون من بني عوانة » قد عـاش في نفس هذه البيئة ، وهو

= رقم ٣٦٣٤) وابن حجر الذي مشى على إثره (لسان الميزان ج ٣ ص ١٣١) يذكر شخصاً يدعى سيسويه (كما جاء عند ابن حجر وفي مخطوطة للميزان) أو سسّويه) كما جاء في مخطوطة أخرى « للميزان » صدرت عن سبط ابن العجمي ، (توفي عام ١٤٣٨/٨٤ وبكلمة أخرى ، عن معاصر لابن حجر) ، ويوصف بأنه زوج والدة موسى الأسواري . إن هذين الاسمين جاءا عن الأخبار الـتي كانت متداولة في بيئة الرواية التي كان البلخي والمقريزي على اتصال بها . أما لفظة « والدة موسى الأسواري » فقد استنتجت من عبارة أم موسى عند ابن سعد . وإنه لمن المشكوك فيه أن يكون هذا الاستنتاج صحيحاً . إنه في حدّ ذاته يبدو معقولاً : فموسى الأسواري كان قدرياً وكان معروفاً كذلك عند المعتزلة (قارن « الميزان » رقم ٨٨٧٤ و٨٩٤٣ ، ابن المرتضى « الطبقـات » ص ٦٠ س ١٣ وما بعده) . إلا أنه توفي في أواسط القرن الثاني ولربما فيما بعد وكان يأخذ عن قتادة (توفي عام ٧٣٥/١١٧ أو ٧٣٦/١١٨) ، وكان معاصراً لعوف الأعرابي (توفي عام ٧٦٣/١٤٦ أو ٧٦٤/١٤٧) . ويعده ابن المرتضى في طبقة أبي الهذيل وبشر بن المعتمر والنظام وجميعهم توفوا في القرن الثالث . ففارق الزمن بينهم وبين معبد كبير . بالاضافة إلى ذلك ينبغي أن نعتبر أن ليس من دُعي « زوج أم موسى » يكون له من زوجته صبي يدعى موسى ، — ولا بـد أن يكون هذا الأمر ما افترضه الذهبي ، إذا اعتبر أن نسبة موســى الاسواري تعود إلى أبيه أبي يونس الاسواري ، بل قد تكون الزوجـة كنيت بأم موسى لأسباب أخرى . فهذا الاحتمال ينطبق بشكل أفضل على تلك التي كانت زوجة لعليّ سابقاً . ومما يجعلنا نحسب حساب الوقوع في الخطأ في هذه المرحلة المتأخرة من الروايات هو ان ابن حجر قد سمى أبا يونس الاسواري باسم يونس الاسواري فقط لاغير في مكان آخر (« لسان الميزان » ج ٦ ص ٣٣٥) ، فالترتيب حسب الحروف الابجدية يدل على أن ابن حجر نفسه قد وقع في الخطأ وليس الناسخ أو مصفف حروف الطباعة في وقت لاحق . ومن جهة أخرى فإن الشهرستاني قد وقع في هذا السهو أيضاً (قارن « الملل والنحل » ص ٣٥ س ٥ من تحت ، تحقيق Cureton) وفي مكان آخر فإن يونس هذا قد ساواه ابن حجـر بـ سيسويه / سسّويه . وقد اخطأ في كتابة الاسم فأصبح سيبويه .

الشخص الذي وصفه يونس بن عبيد بأنه الثالث في الرابطة . فبنو عوانة هم أيضاً إحدى قبائل بني تميم [١] . والمسألة الأصعب هي في التحقق من الاسم : فهو سنهويه عند ابن سعد وسنسويه عند البلخي والمقريزي . والمستندات الجديدة لا تساعد في تيسير هذه المسألة : فبدلاً من الشكلين السابقين يطالعنا ابن عساكر بشكل ثالث هو سنسويه . ويمكن قراءة الاسم على هذا الشكل بقدر ما يسمح بذلك الخط غير المنقّط تنقيطاً كاملاً – أو غير الواضح التنقيط على الأقل – . إلا أن ابن عساكر يشير إلى أن أبا داوود (توفي عام ٢٧٥ / ٨٨٨) ، صاحب مجموعة الأحاديث المشهورة ، لم يشأ إلا أن يتلو الاسم بالتاء أي سُسْتُويه . ومرة أخرى نجد الشكل الذي استعمله المقريزي في كتاب « خلق الأفعال » للبخاري [٢] . ويأتينا الذهبي وابن حجر ، كما رأينا [٣] ، بالأشكال الثلاثة التالية : سيسويه وسّنويه وسيبويه . وفي طبعة كتاب « الشريعة » للآجري نقرأ الشكل الكامل المتفرخ وهو سيسفوه . أما في المخطوطة فنقرأ سيسفويه ، وهذا أقرب إلى الحقيقة إذا ما قيس بالشكل الآخر [٤] .

ولإيجاد الحلّ لا بد لنا من أن نثبت أياً من تصغيرات التحبّب هذه يمكن توضيحه توضيحاً لغوياً ، أو على أي منها يمكن العثور ، مرة

(١) قارن كحالة « معجم قبائل العرب » ص ٨٥٣

(٢) قارن علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي « عقائد السلف » ص ١٦٧ س ٨

(٣) انظر الحاشية ٤ من الصفحة ٥٢٧

(٤) قارن ص ٢٤١ س ٦ من تحت والحاشية .

أخرى ، في غير هذه الروايات . وهنا يتضح لنا أن تلاوة أبي داوود لها ما يبررها . فهي تعطي الاسم مدلوله : فكلمة سستويه تعني إلى حد ما « المستضعف الصغير » . ومن المؤكد أن أبا داوود كان ملماً بالفارسية ، باعتباره من مواليد سجستان . ومع ذلك فإن شهادة الذهبي في كتابه « المشتبه » تناقض ذلك . فهو لا يعرف إلا اسمي سنسويه وسسُّويه[1]. ولم يزد ابن حجر في كتابه « تبصير المنتبه » شيئاً إلى ذلك [2] . كما أن المعلومات في « القاموس » [3] وفي « تاج العروس » [4] تقتصر على هذه المواد فقط . ولم يتوصل Noldeke إلى تفسير للاسمين يطمئن إليه ، وهو الذي عالج هذه الأشكال في دراسة لا تزال تعتبر مرجعاً إلى الآن [5] . فهو يرى ، بالنسبة لسنسويه ، أنه مشتق من سسنفروه أو سسنخره . ويستبعد صلته بـ « ساسان » لأنه من الأصح في هذه الحال أن يكون الشكل المشتق منه ساسويه وليس سنسويه [6] . أما بالنسبة لسسُّويه ، فهو يرى له صلة بـ « سست » أي خامل [7] . وهكذا

(١) « المشتبه » ص ٣٥٨ س ١١ وما بعده (البجاوي)، هنا مع الحركات اللازمة

(٢) « تبصير المنتبه » ص ٦٨ س ١ ومابعده .

(٣) ج ٤ ص ٢٣٤ س ١٠ والذي يليه ، وج ٢ ص ٢٢١ السطر الثاني قبل الأخير وما يليه .

(٤) ج ٩ ص ٢٣٤ س ٢٢ وما يليه ، وج ٤ ص ١٦٧ س ٨ ومابعده .

(٥) Persische Studien فصل ١ في Sitzungsberichte, Wiener Akademie ١٨٨٨/١١٦ ص ٣٨٨ وما بعدها . قارن ايضاً W.Eilers في Acta Orientalia ١٩٥٦/٢٤ ص ٢٠٧ والتي تليها وص ٢١١ والتي تليها.

(٦) المرجع نفسه ص ٤٠٣ والتي تليها .

(٧) المرجع نفسه ص ٤٠٤

يبدو أن هذا الشكل ليس إلا وجهاً آخر لـ « سستويه » الوارد عند أبي داوود . ولم يقف Nôldeke على الأشكال الأخرى مع أنه محّص مراجع أدبية عديدة ، كمادة لمجموعته . أما يوستي (Justi) فلم يتعدّه بحثاً في مؤلفه (كتاب الأسماء الفارسي) « Iranisehes Namenbuch » .

بهذا نكون قد حصلنا على بعض المقاييس التي تسمح لنا بإلقاء نظرة أولى على مواد البحث . إن « رسم » الاسم ينطوي على كثير من التأويلات . وبالاضافة إلى ذلك يجب أن ننطلق من الواقع التالي ، وهو أن نساخ تلك النصوص المعنية لم يكونوا على معرفة جيدة بأشكال الأسماء الفارسية . فالوقوع في أخطاء نسخية كان أمراً غير مستبعد . ويمكننا أن نرى بالتأكيد في شكلي سيسفويه وسيسفوه المتفرّخين خطأ من هذه الأخطاء . وهذا أكيد بالنسبة لشكل سيسويه الذي ظهر فيما بعد ، بل وأكثر تأكيداً بالنسبة لسيبويه الذي لم يقرأ (أو يطبع) إلا بهذا الشكل عند ابن حجر . ويبدو الأمر صحيحاً أيضاً بالنسبة لسنسويه ، مع أن هذا الشكل ورد في زمن مبكر عند البلخي والبخاري . إن مخطوطات هذه المؤلفات لم تكن بأية حال قديمة كقدم تلك المؤلفات . ومن ناحية أخرى ينبغي أن ندخل في حسابنا أن الناشر الذي كان على علم بالشكل الوارد عند المقريزي فقط ... نقول إن ذلك الناشر بالذات قد علّل الشكل الذي اعتمده ، مستنداً عن قصد أو غير قصد ، إلى ما عرفه عند المقريزي . وهكذا وإن شكل سنهويه الوارد عند ابن سعد يبقى معزولاً . ويسهل علينا الآن الفصل بين شكل سنسويه أو شكل سِستويه / سستّويه ، إذا ما رجعنا إلى قول الأوزاعي . يبدو لنا أن مؤلف

« القاموس » قد فهم سسنو يه على أنه تصغير تحبُّب لاسم سُوسن أو سَوسن (١) . ونجـــد في « تاج العروس » ، علاوة على ذلك ، ملاحظة ساخرة تقول إن الاسم لا يقرأ سَسنويه فحسب ، وإنما أيضاً سُسنويه (٢). وهذا ممكن تماماً من الناحية اللغوية البحت . إن اختصار الصيغة المجردة في التصغير أمر شائع . من الحق أن المسألة بالنسبة للأمثلة التي عرفناها إلى الآن تتعلق بتشويه أول الاسم أكثر مما تتعلق بإدغامه (٣) . ولكن لا ننسى أنه قد ورد اسم أبّويه كاسم تحبب لعبد الله (٤) ، وحمّويه (كصيغة أخرى لحمدويه) لمحمد (٥) . وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار ماسبق فيكون الأوزاعي قد فعل ما فعله مؤرخ العراق بنقله الاسم على هذا الشكل . لقد كان يقدر ابن عون حق قدره (٦) . ويُظَنّ أنه اتصل به بطريقة أو بأخرى . ومن المحتمل أن ينظر إلى قوله على أنه جاء

(١) جـ ٤ ص ٢٣٤ س ١٠ والذي يليه .

(٢) جـ ٩ ص ٢٣٤ س ٢٢ تحت اسم سوسن .

(٣) قارن Noldeke المرجع نفسه ص ٤٠٨ والتي تليها .

(٤) قارن « الديوان » للصنوبري رقم ٣٥١ = ٣٩٤ السطر قبل الاخير (إحسان عباس) . إنني لا أرى ان يقرأ الاسم أبَّويه حسبما يقول الناشر ، فهذا تركيب نحوي ولفظة أبّويه لها نفس الوزن . فيما يتعلق بالاسماء المشتقة من عبد الله قارن لفظة عبو الكردية لدى Noldeke ص ٤٠٧

(٥) قارن Noldeke ص ٤٠٩ وللتشديد قارن الذهبي « المشتبه » ص ٢٥٠ س٩ (البجاوي). قارن ايضاً اسم سمّويه المشتق من إسماعيل لدى Noldeke ص٤٠٨

(٦) قارن يعقوب بن شيبة «مسند عمر » (بيروت ١٣٨٩/١٩٦٩) ص٥٦ س٤

متأخراً ، لأنه - أي الأوزاعي - كان أصغر سناً من ابن عون وأصغر من يونس بن عبيد أيضاً [١] بالاضافة إلى أنه لم يكن من أصل عراقي. لقد نقل الاسم في صيغته المجردة ، تلك الصيغة التي كانت أقرب إليه[٢] من التصغير الفارسي نظراً لنشأته في بيئة آرامية . وعليه ، فإن شكل سنويه يبدو كأنه الصيغة الصحيحة . وبالرغم من مكانة أبي داوود الأدبية فان شكل سنويه يبقى ، حسب تقديرنا ، اقتراحاً للقراءة ينم عن ذكاء وتبصر ليس إلاّ .

ويكمل الأوزاعي الروايات العراقية في نقطة واحدة : إنه يعرف الدوافع الدينية للملاحد الفارسي . ومع ذلك فإنه عندما يعلن عنه أنه نصراني ، فإنما يفعل ذلك عن غاية في نفسه . وقصده لم يكن معبداً بقدر ما كان غيلان الدمشقي . فلا عجب إذاً ، أن يخالفه البخاري في ذلك : ففي الفقرة المذكورة من كتاب « خلق الأفعال » [٣] يرى هذا الأخير في سنويه / سنسويه مجوسياً اعتنق الاسلام . ويقول إن أهل البصرة قد انضموا إليه ، بينما لم يَحْذُ الحسن البصري حذوهم . والغاية هي نفسها هنا وهناك : إن الإلحاد في الاسلام مردّه إلى التأثيرات

---

(١) توفي عام ١٥٧/٧٧٤ عن عمر يناهز السبعين عاماً (قارن EI ط . ثانية ، تحت الاسم المذكور) .

(٢) قارن لفظة شوشنتا السريانية « زنبقة » وهذا هو معنى الاسم المقصود هنا ، مع انه يعطى بصفة عامة للنساء .

(٣) انظر الحاشية ٢ من الصفحة ٣١٤

الخارجية (١) . ومن الصعب البتّ في أي منها على حق . فرواية البخاري هي أيضاً منقولة عن غيره . ولعله استنتج الانتماء الديني باستناده إلى تفسير الاسم : فصيلةُ الأساورة بالمجوسية كانت صلة قريبة للعقل . لكنّ بني تميم الذين انضم الأساورة إليهم كانت بعض جماعاتهم تدين بالنصرانية (٢). وكانت الديانتان تُتّخذان كوسيله للتنفير والترهيب في الدعايات الدينية . وجاء في حديث واسع الانتشار أن القدريين هم « مجوس هذه الأمة »(٣) كما جاء في حديث أقل انتشـاراً من الأول « اتقوا القدر ، فإنه شعبة من النصرانية » (٤) . وتشير إحدى الملاحظات التي يؤكد أصحابها أنها

---

(١) من المعروف ان ذلك كان تصوراً سائداً . كذلك يرى الجاحظ ان معتنقي الإسلام الجدد هم الذين يدخلون الهرطقات فيه (قارن « الرد على النصارى » Finekel ١٧) . ولربما يكون الجاحظ قد قصد بدعاً أخرى غير هذه. وحسب روايات المعتزلة فإن يوسف السمتي قد اخذ نظرية « التكليف بما لا يطاق» عن زنديق من واسط يدعى ضرير (قارن القاضي عبد الجبـار « المغني » ج ٨ ص ٤ س ٨ والذي يليه) .

(٢) قارن EI ط . أولى في باب Tamīm

(٣) قارن بالاضافة إلى ذلك بحثي Zwisehen Hadīt Und Theologie ص ١٣٧ وما يليها .

(٤) قارن الذهبي « الميزان » ٩٠٢١ وكذلك بحثي المشار اليه في الحاشية السابقة ، ص ١٢٩ . للحصول على مواد أخرى المرجـع نفسه ص ١٣٩ الحاشية رقم ٣١) وكذلك Tritton A. S. Muslim Theology ص ١٨ وما بعدها .

نقلت عن الناسك والفقيه البصري مسلم بن يسار (توفي عام ١٠٠ / ٧١٩) [١] أن أي عراقي لم يكن قط يفكر بتأثير الزّرادشتيّة أكثر مما يفكر بتأثير النصرانية . فلقد جاء في تلك الملاحظة أن معبداً يتكلم كالنصارى [٢] . اذاً فقد يجوز لنا ، والحالة هذه ، أن نرجح قول الأوزاعي على غيره .

أما بالنسبة لابن عون ويونس بن عبيد ، فمسألة الدين لم تكن بعد واردة عندهما . وكل همها كان أن ينالا من معبد بالتعرض لملاقته بالأعاجم وبالموالي . ويظهر ذلك تماماً في اختيار العبارات التي استعملها ابن عون ولم تكن تلك العلاقات أمراً مستحيلاً على الاطلاق . فلقد شارك الأساورة بني تميم في الثورة ضد الحجاج [٣] . وكانوا يُعتبرون مفاوضين لامعين يحسب لهم حساب [٤] . إنما لم تكن تلك العلاقات أيضاً غير مألوفة في البصرة آنذاك . ففي أيام معبد ، أي بعد تأسيس المدينة بستين عاماً تقريباً ، كان الذين اعتنقوا الاسلام جديداً يشكلون بالتأكيد أكثرية فيها . ولذا فإن حملة القدح والذم التي شنها ابن عون وزميله في أيامها لم تعط

---

(١) قارن « الميزان » رقم ٨٥١٠

(٢) قارن كتاب « العلل » لابن حنبل (انقرة ١٩٦٣) ص ١٧٥ رقم ١٠٨٤ ، و « تاريخ دمشق » ، كذلك « تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٢٦ س ٦ وما بعده : ربيعة بن كلثوم بن جبر البصري عن ابيه (توفي عام ٧٤٨/١٣٠ ، قارن « الميزان » رقم ٦٩٦٧ « تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٤٢)

(٣) قارن A . Abd Discon , the Umayyad Caliphate لندن ١٩٧١ ص ١٦٧

(٤) قارن وكيع « اخبار القضاة » ج ١ ص ٣٤٥ س ١ وما بعده .

نتيجة تذكر . فأغلبية سكان المدينة كانت آنذاك تقول بالقدرية (١) .
كما أن مكانة معبد كانت لا تزال صامدة بعض الشيء . وفي النصف الأول من القرن الثاني ، عندما طُرِدَ الأباضي حمزة الكوفي من الجماعة البصرية لهذا المذهب بسبب ميوله القدرية ،وُصِف بأنه من أتباع غيلان الدمشقي (٢).
ولم يرِدْ اسم معبد ولا حتى اسم سنسويه على الاطلاق (٣) .

* * *

وها نحن نؤيد قولنا بدليل آخر . من الواضح أنه يمكننا أن نعود إلى البصرة ، إلى تلك المرحلة من تاريخها ، حيث نجد معبداً وقد كوّن لنفسه فيها مكانة طيبة . إلا أننا لا نعثر على أثرٍ للفارسي الذي ضلله. يروي بعضهم ، وهو يحيى بن يعمر ، حديثاً معروفاً ، فيقول فيه : « كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني . فانطلقت أنا وحميد بن عبد

---

(١) أيضاً Zwichen Hadlit uud Theologie ص ٦١ وما يليها .

(٢) قارن كتاب « السير » للشماخي (القاهرة ١٨٨٦) ص ٨٤ السطر قبل الأخير وما بعده ، و EI ط. ثانية ، باب Ibadiyya

(٣) لقد صرف النظر هنا عن الرواية المدنية التي لمحنا إليها بصورة عابرة فيما سبق ، وفيها يوصف معبد بأنه أول القدريّين في المدينة (قارن الحاشية ٣ ص ٢٨٤ من هذا المقال) . ويظهر أنها تاثرت بالطريقة التي صاغ بها ابن عون قوله فأصبحت بالتالي ثانوية . ومن المحتمل أن يكون أبو ضمرة أنس بن عياض من أهل المدينة والمذكور في الإسناد مسؤولاً عنها ، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الزمن الذي عاش فيه (مابين ١٠٤/٧٢٢ و ٢٠٠/٨١٥) . لقد لعب هذا الرجل أيضاً دوراً لا يستهان به في نشر الأخبار المعادية للقدريّة في مسقط رأسه (قارن Zwischen Hadit urnd Theologie في الفهارس تحت الاسم المذكور) .

الرحمن الحميري حاجّين – أو معتمرين – فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر . فوفّق لنا عبد الله ابن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبي سيكِل الكلام إليّ ، فقلت : أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قِبَلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفّرون العلم . وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنُف [1] . قال فإذا لقيتَ أولئك فأخبِرْهم أني بريء منهم وأنهم بُرآء مني . والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أُحُد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر [2] ، ثم قال : حدثني أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه [3] ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام ... » .

ويمكننا أن نتوقف عند هذا الحد : يجيب النبي فيسترسل في تفسير

---

(١) ملاحظة لأحد الرواة المتأخرين . قارن Zwischen Hadit und Theologie ص ٤٨ فيما يتعلق بوصف مذهب القدرية المذكور هنا .

(٢) إن هذه الجملة ليست سوى تصور سائد ، وكثيراً ما استعملت في أمكنة أخرى ضد القدريين (قارن الآجري « الشريعة » ص ١٨٧ س ٤ من تحت ، و ص ٢٠٣ س ٧ وما قبل الأخير) . لقد كان الناس يشعرون بالحرج من تقوام .

(٣) حركة تدل على الإصغاء والتعلم .

تعاليم الإيمان موضحاً مفاهيم الإسلام والإيمان والإحسان ومحدداً كلّا منها ومعلناً في جملة ما يعلنه أن الإيمان بالقدر خيره وشره هو من عقيدة الإسلام (١) . ويؤكد الرسول أنه تبين له فيما بعد أن ذلك الزائر الغامض لم يكن غير جبرائيل (٢) .

يشتمل هذا الحديث على شطرين : الشطر الرئيسي ، والتوطئة التي تروي الحكاية (وهي التي أدرجت هنا بالدرجة الأولى) ، هذه الحكاية التي يتداخل فيها اسما الراوي الأول عبد الله بن عمر والراوي الثاني يحيى ابن يعمر . ويوصلنا الإسناد إلى عبد الله بن بريدة ، أحد القضاة في مرو ، وقد توفي في عام ٧٣٣/١١٥ (٣) . ومن ثم يؤدي بنا إلى البَصرة حيث نقع عليه عند اثنين من الحفاظ ، دون اختلاف جوهري في متنه . هذان الاثنان هما الناسك كهمس بن الحسن (توفي عام ١٤٩ / ٧٦٦) (٤) ، ومطر الورّاق (توفي عام ٧٣٧/١٣٠) ، أحد خصوم عمرو بن عبيد(٥).

(١) « أن تؤمنوا بالقدر خيره وشره » . قارن Zwischen Hadit Und Theologie ص ١١٩ فيما يتعلق بهذه العبارة .

(٢) قارن « صحيح » مسلم ، كتاب الإيمان ١

(٣) قارن الذهبي « تذكرة الحفاظ » ص ١٠٢ رقم ٩٥ ، وكيع « أخبار القضاة » ج ٣ ص ٣٠٦

(٤) كما عند مسلم « الإيمان ١ » ، وفيما يتعلق بكهمس قارن الذهبي « الميزان » رقم ٦٩٨١

(٥) كما جاء عند مسلم « الإيمان ٢ » ، مع مقدمة مختلفة بعض الشيء ، قارن أيضاً الآجري « الشريعة » ص ٢٠٤ س ٥ من تحت ، بالنسبة لمطر قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ١٧٦ ومابعدها .

ولربما جاز لنا أن نفترض ، ولو إلى حين ، أن تاريخ وفاة الورّاق هو بمثابة نقطة بداية : فإن الرواية القائلة أن معبداً هو مؤسس القدرية كانت قد أطلقت في البصرة قبل عام ٧٤٧/١٣٠ ، وذلك بعد فتنة ابن الأشعث بزمن بعيد ، ولربما أيضاً بعد وفاة الحسن البصري (٧٢٨/١١٠) . ومرة أخرى نرانا نقترب من عهد يزيد بن الوليد . إلا أن هذا التاريخ يتجاوز ذلك الماضي الذي رويت فيه حكاية سسنويه المرتدّ . وهكذا فإن ما كان ظناً واحتمالاً لدى معالجتنا شكل الرواية يصبح أكيداً لدى مراجعتنا الإسناد. ويمكننا توضيح ذلك توضيحاً أتم وأكمل .

إن هذا لا يعني أن الحديث كله قد زُيِّف في البصـــرة في ذلك الزمن . فبصورة عامة تتطور الأحاديث بشكل أكثر تعقيداً مما نتصور (١) . والظاهر أن التوطئة التي يُذكر فيها معبد ، إنما أضيفت إلى الحديث فيما بعد . ويمكن التدليل على ذلك بتحليل مضمونـه . فليس المقصود من الحديث بحد ذاته التشديد على تعاليم القضاء والقدر بالدرجة الأولى . صحيح أن الحديث يذكر تقدير الخير والشر ، ولكنـه يذكره مع غيره من العقائد الاسلامية ولا يأتي مطلقاً في نقطة تستوعي الانتباه بصورة خاصة . فالناس لم يقفوا هـذا الحديث نظراً إلى إشارته إلى هذه المسألة الدينية ، وإنما وجدوا فيـه في وقت لاحق وسيلة مفيـدة لطرح هذه المسألة على بساط

---

(١) أعود هنـا إلى بعض ماذكرته في بحثي Zwischen Hadit und Theologie في معالجة موضوع آخر (ص ٤٧ وما يليها) . بالنسبة للطريقة المتبعة هنـا التي تبدو بديهية بعض الشيء والتي تنقصها الأمثلة لتصبح أكيدة ، أرجو الاطلاع على ما قلته في البحث المذكور .

البحث . ويتأكد ذلك إذا ما قارنا بين المصادر . لقد ورد هـذا الحديث مراراً وتكراراً ، وذلك لتميزه بطابع تعليمي ديني ، على ما يظهر . إلا أن التوطئة قد سقطت من أكثر الروايات ، وإذا ظهرت فإنما دون الاشارة إلى معبد . وهذا ما لدينا من المصادر نعرضه بإيجاز لأخذ نظرة عامة عنه :

هناك أولاً صيـغ الرواية التي وردت دون الاشارة إلى التوطئة المذكورة أعلاه . وإحداها [١] تعود بنا إلى كهمس ، كتلك التي عالجناها إلى الآن ، وعليه فقد كانت معروفة في البصرة . نقلت عن محمد بن جعفر البصري المعروف باسم غندر (توفي عام ١٩٢/٨٠٨ أو ١٩٤/٨١٠) [٢]، وعن يزيد بن هارون الواسطي (عاش بين عامي ١١٧/٧٣٥ أو ١١٨/٧٣٦ و٢٠٦/٨٢١)[٣] وكذلك نقلت عن وكيع بن الجراح (عاش بين عامي ١٢٩/٧٤٦ و١٩٧/٨١٢) [٤] والذي يرد عند مسلم كثقة للصيغة الموسعة . وإلى جانب هذا ، فقد وردت أسانيد مختلفة تمام الاختلاف ليس لها أصول في البصرة. كتلك الذي ذكرها البخاري [٥] وابن ماجه [٦] والنسائي [٧] ، وهي على

---

(١) « مسند » ابن حنبل جـ ١ ص ٥١ س ٩ من تحت وما بعده ، وجـ ١ ص ٣١١ والتي تليها رقم ٣٦٧ وما بعده ، ابن ماجه « المقـدمة » ٩ رقم ٦٣

(٢) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ٩ ص ٩٦ وما بعدها

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ١١ ص ٣٦٨

(٤) قارن Sezgin GAS ٩٦/١ والتي تليها .

(٥) « الإيمان » ٣٧ وتفسير سورة لقمان ٢

(٦) « المقدمة » ٩ رقم ٦٤

(٧) « الإيمان » ٣ (= جـ ٢ ص ٢٦٩ س ٣ وما بعده) .

الوجه التالي : أبو هريرة (توفي عام ٦٧٩/٥٩) > أبو زرعة (ابن عمرو ابن جرير الكوفي)[١] > أبو حيان التيمي (يحيى بن سعيد الكوفي ، توفي عام ٧٦٢/١٤٥)[٢] وكذلك أبو فروة (عروة بن الحارث الكوفي)[٣] > إسماعيل بن عليّة (= إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم البصري ، عاش بين عامي ٧٣٤/١١٦ و ٨٠٩/١٩٣)[٤] وكذلك جرير (ابن عبد الحميد الرازي ، من مواليد الكوفة ، توفي عام ١٨٨ / ٨٠٤)[٥] .

وهناك إسناد آخر عند ابن حنبل[٦] : ابن عباس (توفي ٦٨٧/٦٨) > شهر ابن حوشب (الشامي ، توفي عام ٧٢٩/١١١ أو عام ٧٣٠/١١٢ ، وبعضهم يقول بالاستناد إلى روايات مشوهة ؟ - إنه توفي عام ٧١٨/١٠٠)[٧] > عبد الحميد (ابن بهرام الفزاري المدائني[٨] > أبو النضر (هاشم بن القاسم

---

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٢ ص ٩٩ والتي تليها .

(٢) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٢١٤ والتي تليها .

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٧ ص ١٧٨ والتي تليها .

(٤) قارن ابن النديم « الفهرست » ص ٢٢٧ س ١٤ ومابعدها (Flügel) .

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٢ ص ٧٥ ومابعدها .

(٦) « المسند » ج ١ ص ٣١٨ س ٤ من تحت ، وج ٤ ص ٣٣٣ والتي تليها رقم ٢٩٢٦ م

(٧) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٣٦٩ وما بعدها ، « الميزان » رقم ٣٧٥٦

(٨) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٦ ص ١٠٩ والتي تليها .

الخرساني ، عاش بين عامي ١٣٤/٧٥٢ و ٢٠٧/٨٢٣)[١] .

وهناك إسناد آخر نجده عند ابن حنبل[٢] يعود بنا إلى شهر بن حوشب الذي كان له بعض الشأن عند أهل البصرة خاصة ، ويعتبره غيرهم ضعيفاً[٣] .

لقد جاء هذا الاسناد مشوهاً في مطلعه : عامر أو أبو عامر أو أبو مالك > شهر بن حوشب > عبد الله بن (عبـد الرحمن) أبي حسين (المكي)[٤] > شعيب (بن أبي حمزة الحمصي ، توفي عام ١٦٢/٧٧٩ أو ١٦٣/٧٨٠)[٥] . وأخيراً نجـد عند ابن حنبل[٦] جزءاً من حديث فيه تفسير لمفهوم الايمان فقط ، مقرون ببعض الأمثلة . وهو يعتمد كذلك على إسناد كهمس الذي كان نقطة انطلاقنا .

إلى جانب ذلك نقع على نص يقتصر على تحديد مفهوم الإيمان أيضاً ، ولكنه يختلف في صياغتـه ؛ وقد اشتمل على توطئة للقصة تختلف أيضـاً تماماً عن تلك التي نعرفها . أما الأسانيد فتختلف هي أيضاً بدورهـا عن تلك التي رأيناها ، وهي على الوجه التالي : ابن عباس > أبو غمرة (نصر

(١) قارن الذهبي « تذكرة الحفاظ » ص ٣٥٩ رقم ٣٥٠

(٢) « المسند » جـ ٤ ص ١٢٩ س ١٥ وما بعده ، وكذلك جـ ٤ ص ١٦٤ س ٥ وما بعده .

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ٦ ص ١١٠ س ٦ من تحت والذي يليه .

(٤) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ٥ ص ٢٩٣

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ٤ ص ٣٥١ والتي تليها .

(٦) « المسند » جـ ١ ص ٢٨ س ٩ من تحت والذي يليـه ، وجـ ١ ص ٢٣٨ رقم ١٩١

ابن عمران الضّبّي البصري ، توفي عام ٧٤٦/١٢٨) [١] 〉 شعبة بن الحجاج (من مواليد البصرة ، توفي عام ٧٧٦/١٦٠) [٢] . وفي مكان آخر نجد الإسناد التالي : جرير بن عبد الله (البجلي ، نزيل الكوفة ، توفي عام ٦٧٤/٥٤) [٣] 〉 زاذان (أبو عبد الله الكوفي ، توفي عام ٧٠١/٨٢) [٤] 〉 أبو جناب (يحيى بن أبي حيّة الكوفي توفي عام ١٥٠/ ٧٧٦) [٥] .

وأخيراً نقع على حديث ليس له قرابة مباشرة بحديثنا ، وهو يضيف إلى كل من مفهومي الايمان والإسلام ملاحظة عن سبل تحقيقهما أفضل تحقيق (أيّ الإيمان أفضل ؟) . وهذا الحديث يظهر بظهرين مختلفين ، أحدهما طويل والآخر قصير . وليس للأسانيد التي يرتبط بها من صفات مشتركة إلا أولها فقط : عمرو بن عبسة (السلمي ، وهو من أهل الشام [٦]) 〉 أبو قلابة (عبد الله بن زيد الجرمي ، توفي عام ١٠٤/

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٤٣١ والتي تليها .

(٢) قارن GAS ٩٢/١ . إن الإسناد المذكور موجود عند ابن حنبل ج ١ ص ٢٨٨ س ١٠ من تحت وما بعده ، وج ٣ ص ٣١٨ والتي تليها رقم ٢٠٢٠ ، وعند أبي داود « السنّة » ١٥ (= ج ٢ ص ٢٦٩ س ١٢ وما بعده) .

(٣) قارن ابن عبد البر « الاستيعاب » رقم ٣٢٢

(٤) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٣ ص ٣٠٢ والتي تليها .

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٢٠١ وما بعدها . إن الإسناد المذكور موجود عند ابن حنبل ج ٤ ص ٣٥٩ س ١٠ وما بعده .

(٦) قارن ابن عبد البر « الاستيعاب » رقم ١٩٣٧

٧٢٢) [١] 〉 أيوب (ابن أبي تميمة السختياني البصري ، توفي عام ٧٤٨/١٣١ [٢] 〉 معمر (بن راشد ، توفي عام ٧٧٠/١٥٤) [٣] . والإسناد الثاني هو على الوجه التالي : عمرو بن عبسة 〉 شهر بن حوشب [٤] 〉 محمد بن ذكوان (البصري) [٥] 〉 الحجاج بن دينار (الواسطي) [٦] . وهذا يعني أن المواد التي بين أيدينا هي في معظمها عراقية المصدر وغالباً ما تلتقي الأسانيد في البصرة أو في الكوفة ، وذلك على الرغم من التباين الشديد فيما بينها . إلا أن أحدها ، وقد ورد وفي مطلعه تشويه يستدعي تصحيحه ، فقد ضل عن طريقه وحلّ في مكة ومن ثمّ توجه إلى حمص . وهكذا نرى كيف كان الرواة يختلفون في هذه الرواية . وهي لم تتخذ صيغتها النهائية إلا بعد مرور ردح من الزمن .

ويختلف الأمر بالنسبة لتلك الروايات التي تبدأ بمقدمة معادية للقدرية . فالشطر الرئيسي قد استقر على تلك الصيغة التي انطلقنا منها . وفيها يبرز اسم يحيى بن يعمر على الدوام في كل إسناد . أما التباين فلا يظهر إلا في

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٥ ص ٢٢٤ ومابعدها .

(٢) قارن GAS ٨٧/١ والتي تليها .

(٣) قارن GAS ٢٩٠/١ والتي تليها . إن الإسناد المذكور موجود عند ابن حنبل ج ٤ ص ١١٤ س ٨ ومابعده .

(٤) انظر الحاشية ١ ص ٢٩٧ والحاشية ٧ ص ٥٤١ والحاشية ١ ص ٥٤٢ الحواشي ٦٩ و ١٩٨ و ٢٠١

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٩ ص ١٥٦ والتي تليها .

(٦) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٢ ص ٢٠٠ والتي تليها . إن الإسناد المذكور موجود عند ابن حنبل ج ٤ ص ٣٨٥ س ١٩ ومابعده .

المقدمة نفسها . لقد رأينا أن اسم معبد كان قد ذكر في اثنتين من صيغها. وأما في الأخرى فلا يؤتى على ذكره . وفي كلٍّ من الصيغتين يأتي الكلام عن القدريين بصورة عامة فقط . فلقد وردت في إحدى الجمل عبارة مقتضبة جداً مفادها أن الحديث مع عبد الله بن عمر أتى على ذكر القدر. فيحيى بن يعمر ورفيقه قد أوردا خلاصة الحديث [1] ، تماماً كما فعل أحد الرواة بشأن صيغة النص [2] التي أوردناها . ويسوق الإسناد الرواية من يحيى إلى عبد الله بن بريدة ، ومنه إلى أحد أبناء بلده عثمان بن غياث الراسبي من المرجئين [3] ، وليس إلى كهمس . وفي مكان آخر يخبر يحيى عبد الله بن عمر أنه هو ورفيقه التقيا ببعض القدريين أثناء سفرهما [4] . والسند في هذه الرواية ليس عبد الله بن بريدة ، وإنما أخوه التوأم سليمان (توفي عام ١٠٥/٤ - ٧٢٣) ، وكان يعتبر موضع ثقة أكثر من أخيه [5] ،

---

(١) قارن ابن حنبل ج ١ ص ٢٧ س ٥ ومابعده ، وج ١ ص ٢٣٣ والتي تليها رقم ١٨٤ ، « سنن » أبي داود ، « كتاب السنة » ، باب في القدر رقم ٦ (= ج ٢ ص ٢٧١ س ٨ من تحت ومابعده) . وربما كانت هذه الرواية هي نفس رواية مسلم في « كتاب الإيمان ٣ » .

(٢) انظر الحاشية ١ ص ٥٣٧

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٧ ص ١٤٦ والتي تليها ، والميزان رقم ٥٥٥١

(٤) قارن ابن حنبل ج ١ ص ٥٢ س ٨ من تحت وما بعده ، وج ١ ص ٣١٤ رقم ٣٧٤ ، الصيغة نفسها مع بعض التوسيع ج ١ ص ٥٣ س ٦ ومابعده ، وج ١ ص ٣١٥ رقم ٣٧٥

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ١٧٤

وقد نقل الخبر إلى علقمة بن مرثد ، معلم أبي حنيفة (توفي قبل عام ١٢٠/٧٣٨ بقليل) [١] . لذا فلا عجب إذا ما عثرنا على الرواية في المسند لأبي حنيفة أيضاً [٢] . وهي هنا تعرض الوقائع بشكل أوسع بعض الشيء . زد على ذلك ميزة ثانية لهذا النص وهي أن يحيى بن يعمر قد سلمه مباشرة إلى علقمة بن مرثد .

ونعثر أخيراً على نص فيه تلميح إلى البصرة ، إلا أنه لا يشير إلى مذهب معبد وإنما إلى مذهب آخر ، وأغلب الظن أنه لا يمت إلى معبد بصلة . وفيه يقول يحيى بن يعمر : « إن عندنا رجالاً يزعمون أن الأمر بأيديهم ، فإن شاؤوا عملوا وإن شاؤوا لم يعملوا » [٣] . وهذا موقف لم يكن معروفاً إلا في عهد عمر بن عبد العزيز [٤] ، وقد أخذته المعتزلة فيما بعد . فالحسن البصري – ولربما أيضاً معبد الجهني – لم يكن بعد قد

(١) عند نهاية حكم خالد القسري . قارن « تهذيب التهذيب » ج ٧ ص ٢٧٨ والتي تليها .

(٢) تحقيق صفوت السقاء (حلب ١٣٨٢/١٩٦٢) رقم ١ . ذكر هذا الخبر في كتاب « الآثار » للشيباني . (طباعة حجرية لكنو ١٨٨٣) ص ٦٧ س ٥ وما بعده .

(٣) قارن ابن حنبل « المسند » ج ٢ ص ١٠٧ س ١٤ وما بعده ، وج ٨ ص ١٦٦ رقم ٥٨٥٦

(٤) قارن مقالتي في Abr Nahraia ١٢/١٩٧١ ص ١٩ وما بعدها وكتابي Anfange Muslimircher Theologie (بيروت ١٩٧٧) ص ١١٣ وما يليها .

فكثّر مثل هذا التفكير (١) . وإن الإسناد ينتقل من يحيى إلى علي بن زيد (البصري ، توفي عام ١٢٩/٧٤٧ أو عام ١٣١/٧٤٩) (٢) ، ومن هذا الأخير إلى حمّاد بن سلمة (توفي عام ١٦٩ / ٧٨٦) ، أحد أسس أهل السنة في البصرة (٣) . لقد كان دور علي بن زيد كمحدث موضع خلاف ، ويقال عنه إنه حرّف بعض الأحاديث ، أضف إلى ذلك أنه كان شيعياً متطرفاً . وقد عرف عنه أنه ينقل الأحاديث عن ابن عمر مباشرة ، وهذا يتلاءم تماماً مع ما نحن بصدده ، ويذهب ابن عساكر المذهب نفسه في نقله الخبر على هذه الصيغة دون غيرها في كتابه « تاريخ دمشق » ، إنما مع فارق واحد وهو أنه ينسب إلى معبد مباشرة تلك النظرة التي وردت أعلاه ، فيقول عنه : « يزعم أن العمل أنف ، من شاء أحسن ومن شاء أساء » (٤) . ومسؤولية ذلك تقع على سليمان بن طرخان التيمي ، وهو أيضاً أحد خصوم عمرو بن عبيد المعروفين (٥) . فلقد أبلغ الخبر إلى ابنه معتمر بن سليمان (توفي عام ١٨٧/٨٠٣) الذي عرف بإيراده أحاديث معادية للقدرية (٦) . وهكذا يتبين لنا أن التوطئة لم تستقر في صيغة ثابتة

---

(١) قارن M. Schwarz في Oriens ١٩٦٧/٢٠ ص ٦٣

(٢) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٧ ص ٣٢٢ وما بعدها .

(٣) قارن Zwischen Hadit und Theologie ، فيما يتعلق بدوره في الخلاف حول القدر (ص ١١٢ — ١١٤)

(٤) بالنسبة لهذه العبارة راجع ما تقدم من هذا المقال .

(٥) قارن Trad. Polemik ص ٣٩ وما بعدها .

(٦) قارن Zwischen Hadit und Theologie في الفهارس تحت الإسم المذكور .

مطلقاً ، ومن الواضح أن كل مخبر كان يشعر بحرية في سرد الخبر ،فكان ينوعه حسب الظروف والمقاصد منتهجاً في ذلك نهج « رواية بالمعنى » ، أو يسرده مقتضباً كما جاء في صيغة عثمان بن غياث .

ولكن مهما كانت صيغة تلك الرواية في تفاصيلها ، فإن مصدرها كان يحيى بن يعمر في جميع الحالات ، فهو إنما يروي حادثة وقعت له . وترانا مضطرين إلى التساؤل عن مدى الحقيقة التاريخية التي تختبيء وراءها. يزعم البغدادي [١] أن يحيى بن يعمر قد وضع « رسالة في ذم القدرية » . أما يصح ، والحالة هذه ، أن نرى في المقدمة التي نعالجها هنا مدخلاً إلى تلك الرسالة ؟ — وذلك طبعاً في صيغتها الأول اتساماً بصيغة معينة — إن الأمر لا يبدو مستحيلاً . غير أن هذا لا يعني أن تلك الرسالة كانت أصلية . ولكي نبت في أصالتها لا بد لنا من أن نتفحص عن كتب الشخصين الآخرين اللذين لعبا دوراً في الرواية . والأمر يستدعي لذلك نشوء سلسلة من المعضلات .

إن عبد الله بن عمر الذي يدّعي يحيى بن يعمر أنه تكلم معه ،قد توفي في عام ٦٩٢/٧٣ ، أي قبل إعدام معبد الجهني بعشر سنوات . وقد وردت عنه في أكثر من مكان أقوال معادية للقدرية [٢] . ومن غير

---

(١) « أصول الدين » ص ٣١٦ س ١٢ والذي يليه .

(٢) قارن Zwischen Hadit und Theologie في الفهارس تحت الاسم المذكور . يروى عنه أنه نبه معبداً أيضاً إلى عدم الشرود في دقائق دينية وعندما سأله معبد مرة عما يحدث لإنسان يفعل كل ما يتصوره العقل من شر ولكنه ينطق بالشهادة ، نصحه ابن عمر ألا يتزلق هذا المنزلق الخطر (بالمثل =

المستبعد أن تكون تلك الروايات قد جاءت متأخرة ، إلا أنها نسبت إلى جيل سابق . فمن الثابت ان بعض القدريين كانوا قد ظهروا في تلك الأيام أي في منتصف خلافة عبد الملك ، ولكن ليس من الواضح إذا كان الناس قد أدركوا جيدّاً تعاليمهم . ومما يحملنا على عدم الأخذ بهذا هو مركز معبد المرموق لدى بلاط الخليفة الذي يوافق في تاريخه الحقبة التي نحن بصددها . كما أن القدريين أنفسهم كانوا لا يزالون يؤكدون أنهم لا يريدون أن يأتوا بأمور تغير مجرى الأحداث : فلقد جاء في رسالة الحسن البصري إلى عبد الملك – والتي كتبها بعد وفاة ابن عمر [١] – ، أنه لا يعبر إلا عن مبادىء متعارف عليها [٢] . إلا أنه من الممكن أن نستشف من هذا القول تلك الحقيقة السائدة ، وهو أن الصراع من أجل شهادة الأقدمين كان قد بدأ بالفعل . فأحد المثل العليا كان إذ ّاك ، ألاّ يقال قول جديد . وهكذا نرى أنه من غير الممكن لنا أن نصل إلى برهان قاطع من هذه الناحية .

= القائل : عشّ ولا تغترّ . قارن الميداني « الأمثال » ، تحقيق Freytag ج ٢ ص ٩٢ ، الزمخشري « المستقصى » ج ٢ ص ١٦٢ رقم ٥٥٠) . إن النتيجة الحتمية التي يمكن أن تلحق بالقدري – أو بالمعتزلي على الأقل – هي أن مثل هذا الإنسان نصيبه النار ، إلا أنه لم يؤت على ذكرها هنا عن قصد . وفي هذا يجب أن نرى مغزى الحكاية (قارن « تاريخ دمشق ») .

(١) إنما كتبت بتدبير من الحجاج ، لكن هذا الأخير لم يصبح حاكماً للعراق إلا في عام ٧٥/٦٩٤

(٢) قارن Der Islam ١٩٣٣/٢١ ص ٦٨ س ٩ ومابعده .

ومن ناحية أخرى فإن حميد بن عبد الرحمن الحميري ، رفيق يحيى ، لا يجدينا نفعاً هو الآخر . ففي بعض الصيغ لا يعطى اسمه أو لا يؤتى على ذكره قط . ومع ذلك فلا يمكن اعتباره مجرد اختلاق . فهذا الأمر يبدو غير معقول ، حتى ولو كانت الرواية مزورة . فها نحن نجده في مقطع للطبري يخبرنا فيه عن الأحداث التي جرت عند موت النبي [1]. ويذكره النظّام بصدد قصة يقال إنها جرت أثناء خلافة علي [2] . وفي « التاريخ » لخليفة بن خياط يرد اسمه كمحدّث لأحد الصحابة [3] ، عندما تولّى يزيد ابن معاوية الخلافة في عام ٦٠ / ٦٨٠ ؛ إلا أنه لم يكن هو نفسه من الصحابة . ويعدّه ابن سعد في عداد التابعين من أهل البصرة [4] . ولقد توفي في الوقت الذي توفي فيه معبد تقريباً ، أي بعد عام ٨٠/٦٩٩) [5] . لذا فروايته التي جاءت عند الطبري لا تعتمد على شهود عيان . فلا غرابة ، إذا ما اعتبرنا ما تقدم ، أن يظهر في محيط الحسن البصري [6] . لقد كان فقيهاً بالدرجة الأولى ، ويقال إنه لم يكن في البصرة أفضل منه في السنوات

(١) « تاريخ » الطبري ج ١ ص ١٨١٨ س ٩ ومابعده .

(٢) قارن بحثي في كتاب النكث للنظام ص ٧٨

(٣) « التاريخ » ص ٢٥٧ س ٥ (زكـّار) .

(٤) « الطبقات » ج ٧ ، ١ ص ١٠٧ س ١ ومابعده .

(٥) قارن خليفة بن خياط « التاريخ » ص ٤٠١ س ٢ ، « الطبقات » ٤٨٧ رقم ١٦٦٢

(٦) قارن الحكاية عند حمزة الأصفهاني « التنبيه على حدوث التصحيف » ص ١٢٣ س ٣ (طلس) .

العشر الأخيرة من حياته [1] . ويحفظ وكيع في « أخبار القضاة » حكماً من أحكامه [2] . وكانت ابنته أم أبي بكر الهذلي ، النحوي البصري [3] . وينسب مبرّد أحدَ أحفاد يحيى إلى يحيى هذا بعينه [4] . وهكذا يبدو أنه كان لا يزل معروفاً معرفة جيدة حتى في الأزمان المتأخرة ، غير أننا لا نعرف شيئاً عن آرائه في علم الكلام .

لا يبقى لنا ، والحالة هذه ، إلا يحيى بن يعمر نفسه . لكن الصعوبات لا تلبث أن تبدأ بتاريخ وفاته . فالمرزباني يحدده في عام ٨٣/ ٧٠٢ [5] . أما خليفة بن خياط فلا يحدده بالضبط ، وإنما يجعله في السنوات العشر ما بين عامي ٨٠/٦٩٩ و ٩٠/٧٠٢ [6] ، تماماً كما يفعل بتاريخ وفاة كل من معبد وحميد بن عبد الرحمن . أما « طبقات النحويين » فإنها تعتمد على العام ٧٤٧/١٢٩ [7] ، بصرف النظر عن المرزباني . ويبدو لنا

---

(١) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٧ ، ١ ص ١٠٧ س ٤ ، الشيرازي « طبقات الفقهاء » ص ٨٨ س ٥ من تحت (عباس) حسب رأي ابن سيرين (توفي عام ٧٢٩/١١٠)

(٢) « أخبار القضاة » ج ١ ص ٣٠٧ س ١٠ ومابعده .

(٣) قارن المرزباني « نور القبس » ص ٤٠ س ٢ والذي يليه (Sellheim)

(٤) « الكامل » ص ٨٨١ س ٥ والذي يليه (مبارك) .

(٥) « نور القبس » ص ٢٢ السطر الأخير .

(٦) « تاريخ » خليفة ص ٤٠١

(٧) قارن الزبيدي « طبقات النحويين ص ٢٣ السطر الأخير (أبو الفضل)، ياقوت « الإرشاد » ج ٧ ص ٢٩٧ س ٣ (Margoliouth) ، ابن خلكان « الوفيات » ج ٥ ص ٢٢٤ س ١٢ (عبد الحميد) .

أن هذا التاريخ خطأ متوارث ، فجميع الذين خلفوا يحيى والمذكورين في الأسانيد التي اطلعنا عليها حتى الآن قد توفّوا قبل هـذا التاريخ أو بعده بزمن قصير لا يكاد يذكر : فعبد الله بن بريدة توفي عام ١١٥/٧٣٣، وأخوه سليمان عام ١٠٥/٤ - ٧٢٣ ، وعلقمة بن مرثد حوالي عام ١٢٠/ ٧٣٨ ، وعلي بن زيد الذي نقل الصيغة « الحديثة » توفي عام ١٢٩/٧٤٧ أو عام ١٣١/٧٤٩ . وفي عام ١٣١/٧٤٩ توفي منافسه إسحاق بن سويد. وفي مكان آخر نقع على قتادة الذي يستشهد بيحيى [١] ، وقـد توفي عام ١١٧/٧٣٥ أو عام ١١٨/٧٣٦ . ويقول خبر جاء عند الطبري أن يحيى قدم إلى خراسان مع سلم بن زياد في عام ٦١/٦٨١ [٢] . فالتاريخ المتأخر المذكور أعلاه يبدو مستحيلاً كلياً ، إذا ما علمنا أن يحيى كان يأخذ بالفعل عن أبي ذرّ (توفي عام ٣٢/٦٥٢) وعن عمّار بن ياسر (توفي عام ٣٧/ ٦٥٧) وعن عائشة (توفيت عام ٥٨/٦٧٨) كما يزعم الذهبي [٣] . وأما التاريخ الذي حدده المرزباني فيضعف الأخذ به ، وذلك إستناداً إلى ماورد عند ابن الجوزي من أن الحجّـاج قد نفاه المرة الثانية إلى خراسان في عام ٨٤/٧٠٣ [٤] . وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنه ، علاوة على ذلك ،

---

(١) قارن المحاسبي « فهم القرآن » ص ٤٣٩ السطر الثاني قبل الأخير (القـوتلي) .

(٢) « التاريخ » ج ٢ ص ٣٩٣ س ٣ ، كذلك H. A. R. Gibb, The Arab Conquests in Central Asia ص ٢١

(٣) « تذكرة الحفاظ » ص ٧٥ س ٦ من تحت .

(٤) قارن ابن خلكان ص ٢٢٣ س ١٦ ومابعده .

ة- كتب إلى قتيبة بن مسلم [١] الذي لم يقدم إلى مرو إلا في نهاية عام ٨٥/٧٠٤ [٢] ، فإننا نرى أنفسنا مضطرين إلى أن نرجع إلى ما بعد هذا التاريخ . إن كل هذه المؤشرات التاريخية ليست ، والحق يقال ، جديرة بكل ثقة . إلا أنه من الأفضل أن نلتزم بذلك التاريخ العام الذي ذكره خليفة بن خياط .

أما السبب الذي من أجله نفاه الحجّاج ، فهو عبارة عن زعم سائد ليس إلا : فلقـــد قيل إنه لفت نظر ذلك الحاكم إلى معلوماته الضعيفة في اللغة الفصحى [٣] . وهنا جاز لنا أن نتساءل : أليس من الأحرى بنا أن نرى في تاريخ وفاته عند المرزباني — الذي يطابق تماماً تاريخ وفاة معبد — ونفيه إلى خراسان إشارة إلى نوع التعاطف مع ابن الأشعث ؟ ويعرض الذهبي لحكم مفاده أن يحيى قد كشف عن بدعة في مسألة القدر بقوله هذا: « نحن أقدر من الله » [٤] . ومما لا ريب فيه أن الرواية قد طبعت بطابع الجدل الحاد . ولكنها لا معنى لها بحد ذاتها إلا إذا نسبت إلى أحد القدريين . وعلى كل حال ، فان يحيى كان يروي حديثاً عن معبد الجهني [٥] . وما عدا ذلك فقد وصف بين الحين والآخر بأنه شيعي [٦] ، ربما لأنه كان

---

(١) قارن المرزباني ص ٢٢ س ٧ والذي يليه .

(٢) قارن Gibb, Arab Conquests ص ٢٨

(٣) قارن أيضاً المرزباني ص ٢١ س ١٥ ومابعده ، وعلى كل حال فهناك أيضاً تعليل مختلف س ١٩ ومابعده .

(٤) « الميزان » رقم ٩٦٦٠

(٥) قارن السمعاني « الأنساب » ج ٣ ص ٤٤١ السطر الأخير .

(٦) قارن ابن خلكان « الوفيات » ج ٥ ص ٢٢٢ س ١١ ومابعده .

ينقل عن أبي ذر وعن عمّار بن ياسر — وكذلك أيضاً عن عائشة — ، أو لربما ، وذلك هو الأرجح ، بسبب رواية رواهـا المرزباني [١] . لقد كان يحيى من النحويين والقرّاء [٢] ، وكان نزيل البصرة ، إلا أنه أقام في خراسان مدة طويلة وكان فيها قاضياً لمرو [٣] . ويقـال إن يزيد بن المهلب قد عزله عن هذا المنصب [٤] ، في بداية عهده على وجه الاحتمال — (عام ٧٠٢/٨٢ ومطلع عام ٧٠٤/٨٥) [٥] . ولا يمكن تصور مثل هذا إلا إذا كان الحجّاج قد أعاده فملأ إلى خراسان من جديد في عام ٧٠٣/٨٤ لقد كان يحيى كمعبد الجهني من أصل عربي قـحّ ، وكان يوصف بأنه حكيم العرب [٦] .

الأخبار عنه غير واضحة ، ولا يعرف عن مكانته في علم الكلام أكثر مما تقدم . وهذا الواقع لا يتفق وما قيل عنه من أنه وضع « رسالة

(١) « نور القبس » ص ٢١ س ١٩ ومابعده .

(٢) قارن ابن الجزري « طبقات القراء » رقم ٣٨٧٣ (Bergstrasser).

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ١١ ص ٣٠٥ س ٢

(٤) قارن المرزباني ص ٢٢ س ٩ ومابعده .

(٥) قارن ... Gibb, Arab Conquests ص ٢٥ ومابعدها .

(٦) قارن ابن حزم « جمهرة أنساب العرب » ص ٢٤٣ س ٥ من تحت ، هذا يذكـر بوصف الكندي بفيلسوف العرب . راجع أيضاً وكيع « أخبار القضاة » جـ ٣ ص ٣٠٥ والتي تليهـا ، ابن سعد « الطبقات » جـ ٧ ، ٢ ص ١٠١ ، ابن الأبّار « إعتاب الكتاب » ص ٥٣ ومابعدها (اشتر) ، «الأعلام» الزركلي جـ ٩ ص ٢٢٥

في ذم القدرية » . فلو صح هذ القول ، لكان من المفروض أن نمثر على مواقفه الجبرية في المراجع التي لدينا . أما إذا كان الأمر مختلفاً ، بل وإذا كان يحيى ، على العكس من ذلك ، قد تعرض لبعض الهجمات بسبب مواقفه القدرية المتطرفة ، فهذا يعني أحد أمرين : فإما أن يكون البغدادي قد خلط بينه وبين شخص آخر ، وإما أن يكون قد نُظِرَ إلى تلك الرسالة على أنها مزوَّرة – وهذا أقرب الاحتمالين – . غير أن ابن النديم ـ الذي كان يعتبر معتزلياً ثاقب البصر في مثل هذه المستندات المشكوك في صحة أصحابها ـ لم يأت على ذكرها في عداد تلك المستندات . ومن جهة أخرى فإن الحديث الذي نحن بصدد معالجته ، بما فيه التوطئة ، يصح تماماً أن يدخل في رسالة ، كبحث الرسالة الآنفة الذكر ، فيُكوّن عند ذلك مدخلها ، ثم تليه روايات ابن عمر المعادية للقدرية – أو التي فهمها الناس على أنها معادية للقدرية – . وعليه فقد تكون التوطئة غير صادرة عن يحيى بن يعمر نفسه .غير أنه ليس من المستبعد أن يكون الشطر الرئيسي في الحديث قد أخذ عنه بالفعل . ولا نزال نجد هذا المقطع أيضاً مع ذكر أسانيد أخرى . فمن الممكن إذاً أن تكون الرسالة قد استخدمت لبّ الحديث الأكثر قدماً ، ليس في المتن فحسب ، وإنما في الإسناد أيضاً . ومن المحتمل أن يكون المحدّثون قد وجدوا في ذلك تلميحاً لاذعاً من نوع خاص : ففي توطئة الحديث ذِكْرٌ لشخصين عاصرا معبداً ، أحدهما ، وهو يحيى ، كان وإياه على اتفاق تام في المذهب على ما يبدو ، وأما الآخر فأقل ما يقال عنه انه كان فقيهاً كمعبد ... نقول إنه لتلميح لاذع أن يلجأ هذان الشخصان إلى الاذعان للهداية على يد أحد الصحابة البارزين .

فإذا ما أطلقت يد يحيى في عرض المذهب البصري ونشره (١) بكل إيجابية ، كما جاء في بعض الروايات ، فإنما قد يكون ذلك من باب التشديد على مفعول تلك الهداية .

مما لا شك فيه أن المستند قد نشأ في البصرة . لقد انتشرت منه « نسخات » عديدة ، كل منها تعرض آخر ما وصلت إليه المناقشات حول القدر . ونعتقد أن أقدم تلك النسخات يعود عهدها إلى ما قبل عام ١٢٠/ ٧٣٨ . ففي هذا العام توفي علقمة بن مرثد الذي سلّم النص إلى أبي حنيفة في الكوفة . ومن الممكن أن تكون قد ظهرت في السنوات العشر التي تفصل عام وفاة الحسن البصري عن هذا التاريخ . إن صيغة النسخة التي لمعبد فيها نصيب ، تُنْسب إلى عبد الله بن بريدة ، إلا أن ذلك خدعة ، على ما يظن . فقد كان ابن بريدة قاضياً في مرو . وحتى لو سلمنا أن خراسان كانت في ذلك الوقت على ارتباط وثيق بالبصرة ، فإنه من غير المحتمل أن يسلك المستند هذا الطريق الملتوي . لقد كان القصد من ذلك على الأرجح ، التعريف بمعبد على أهون سبيل . ولا يخفى أن ذكر معبد كان في ذلك الوقت موضع انتقاد عند كل أولئك الذين كانوا يتذكرون الوضع على حقيقته : فعبد الله بن بريدة كان بحكم منصبه كخلف ليحيى في مرو الوسيطَ المطلوب . وكان من الصعب التحقق من رواياته بسبب المسافة البعيدة . ولا شك أن نسبة إحدى الصيغ الغامضة إلى أخيه سليمان قد فعلت فعلها هي أيضاً . فلربما يكون الاسناد قد أشار فيها «في الأصل»

(١) قارن مع النص الذي تقدم من هذا المقال .

إشارة عامة فقط إلى المسمى ابن بريدة . لذا فمن الصعب التثبت في نهاية الأمر مِنْ واضعِ هذا المستند ومِنْ محوره . وقد يجوز أن ننظر إليه على أنه تعبير جماعي للأقلية الجبرية في البصرة . وعلى ما يظهر ، فقد وضع مطر الورّاق (توفي قبل عام ١٣٠/٧٤٧) في التداول صيغةً لنص تحليلنا بشكل قاطع على معبد الجهني .

* * *

ويمكننا الآن أن نوجز ما تقدم . من الظاهر أن مذهب القدرية لم يكن ليشكل بعدُ خطراً على الدولة قبل فتنة ابن الأشعث . فلم يعدم معبد بسبب مذهبه - ذلك المذهب الذي نادى به الحسن البصري أيضاً - وإنما بسبب نشاطه السياسي ، شأنه في ذلك شأن أخيه . فبعد إعدامه بسنوات ، بل وبشيء من التأكيد ، بعد وفاة الحسن البصري (١١٠ / ٧٢٨) ، حاول الناس أن يجدوا في هذا الحدث سبيلاً إلى النيل من تعاليم القدرية أيضاً . من أجل ذلك بدؤوا يصورون معبداً « كأول القدريين » ولقد تم ذلك في مكانين : في البصرة وفي الشام التي كانت تابعة لها بعض التبعية . ففي البصرة استطاعت هذه الأفكار أن تنضم إلى أفكار معادية للقدرية ، قد أضيفت - على ما يبدو - بين عامي ١١٠/٧٢٨ و ١٢٠/٧٣٨ كمقدمة إلى حديث متداول . وفي السنوات العشر التي تلت ذلك ، أي قبل عام ١٣٠/٧٤٨ على كل حال ، ما كان ذلك الحديث بحاجة إلا إلى اسم يلصق به . أما في الشام فإن هذه الامكانية لم تكن ميسرة فالناس كانوا قد شهدوا فيها إعدام معبد . ومثل هذه الاعدامات التي يرتبط طابعها السياسي باعتبارات دينية ، كان لها ولا شك وقع مروّع على الجماهير ، بل وأيضاً تأثير

مقبض للنفوس من بعض الوجوه . يضاف إلى ذلك كله أن معبداً لم يكن نكرة من النكرات ، وإنما شخصية سامية المقام حملت عبد الملك نفسه على تقديم الاحترام لها . ومن المحتمل أن الوضع الذي سبب الرجوع إلى مصير معبد ، إنما كان تجدد نشاط القدرية في عهد يزيد بن الوليد (في عام ١٢٦/٧٤٤) . فالشام كانت مهيّأة لذلك ففيها كان الحديث يتناول بصفة خاصة غيلان الدمشقي الذي تم إعدامه على الشكل نفسه ليكون عبرة لمن اعتبر . ويغلب على الظن أيضاً أن الوضع كان شبيهاً في البصرة : فمطر الورّاق كان معروفاً بعداوته لعمرو بن عبيد ، ومن المعروف أيضاً أن هذا الأخير كان من مؤيدي يزيد بن الوليد [١] .

وفي مجموعة ثانية من الأحاديث يطالعنا موضوع آخر بالاضافة إلى ما تقدم . ففيها يقال إن أحد الموالي قد ضلّل معبداً . ولا حاجة بنا إلى إثبات أن هذه الرواية بصرية المصدر ، ويبدو من الواضح أن عبد الله بن عون هو الذي قد وضعها ، وذلك بعد عام ١٣٠/٧٤٨ . ويظهر أن الأوزاعي قد أخذها عنه ونقلها إلى الشام . وقد كان يشاع ، من باب الاطمئنان النفسي ، أن البدعة أقل ما يقال عنها ، أنه لم يأت بها شخص لم يتنكّر لأصله الاسلامي والعربي القح . ولو افترضنا أن بصرياً لا يتفق مع الفريق القدري من سكان مدينته — ذلك الفريق الذي كان لا يزال يحسب له حساب في ذلك الوقت — نقول لو أن هذا البصري لم ينكر

(١) قارن ابن المرتضى « طبقات المعتزلة » ص ١٢٠ س ١٢ وما بعده (Diwald Wilzer) ، الشهرستاني « الملل والنحل » ص ١٧ س ١٥ (Cureton) .

أن فساداً قد قام في تلك المدينة عينها ، فإن أقل ما يمكن قوله في هذا السبيل هو أن ذلك الفساد لم يصدر عن أعيان تلك المدينة ، وإنما عن حطاط شعبها . وهل كان متوقعاً ، على كل حال ، أن يصدر عن الحطاط غير هذا (١) ؟.. إن الذين كان لهم ضلع كبير في تزوير التاريخ هذا والذين تقع عليهم مسؤوليته أيضاً ، لم يكونوا إلا بعض تلامذة الحسن البصري ، أولئك الذين قرروا تفسير تراثه تفسيراً جبرياً ، في الوقت الذي أخذت فيه مشكلة القدر تستقطب الأفكار ودخلت فيه المعتزلة ميدان الصراع . فلقد تسلّم مطر الورّاق حلقة قتادة بعد وفاة هذا الأخير في عام ٧٣٥/١١٧ أو في عام ٧٣٦/١١٨ (٢) ، كما كان قد تسلّمها قتادة من الحسن البصري . ويرجّح أن الورّاق كان مهتماً بنوع خاص بأن يضفي على الحلقة طابعاً شخصياً حسب مفهومه لها . ولقد سارت الأمور في البصرة على غير ما سارت عليه في الشام ، فحدث تفاعل بين أمرين : فبالإضافة

---

(١) انظر ما تقدم من هذا المقال . إن ابن عساكر ينعت أبا يونس الأسواري بلفظة حقير في أحد أخباره . وعندما كان يُذكر اسمه مقروناً بذكر اللواحق في نفس الفقرة فإنما كان يُقصد شيء من هذا القبيل . وفي أيام عثمان كانت تطلق لفظة لواحق أو روادف على الرعاع أتباع بعض الثائرين (قارن الطبري ج ١ ص ٢٨٥٢) . غير أن تلك اللفظة كانت تعني في هذا المكان عرباً أو بالأحرى أعارب .

(٢) قارن أبو زرعة الدمشقي « التاريخ » (مخطوطة استنبول ، فاتح رقم ٤٢١٠ ، ٣٢ ب س ١٣ والذي يليه .

إلى الالتزام بموقف معاد للقدرية ؛ قامت محاولة لحماية الحسن البصري من التهجمات ولاستغلاله لمآرب أهل السنّة . ولقد كان معروفاً في هذه الحلقات أنه بقدر ما تصبح صورة معبد قاتمة ، بقدر ذلك تتجلى شخصية الحسن وتتلألأ نوراً . فإلى هذه الحلقات يعود الفضل في أن المعتزلة نفسها ليست هي وحدها التي اتخذت الحسن كمثال يحتذى ، وإنما أهل السنّة أيضاً . . أجل ، لقد اتخذ الحسن مثالاً يحتذى ، وذلك على الرغم من التزامه بالقدرية .

جمهورية المانيا الاتحادية يوسف فان اس
توبنجهن



الحكيم الترمذي

عارف من القرن الثالث الهجري

بارنت رادكه (١)

شهد القرنان الثالث والرابع الهجريان جماعةً من المفكرين المسلمين حاولوا تشكيل تجربتهم الروحية في منظوماتٍ نفسيةٍ وكلامية وفلكية. كان من هؤلاء الجُنيد بن محمد، وأبو سعيد الخرّاز، وأبو بكر الواسطي، وكان منهم المحدّث والفقيه محمد بن علي الترمذي العارف المُلقّب بالحكيم.

خلّف الترمذي لنفسه ترجمة - هي الترجمة الأولى الواسعة لمفكر مسلم فيما أعلم - تمكننا من التعرف على مجرى حياته بشكل يُطمأن إليه. يذكر الترمذي أنه قضى عشرين عاماً في دراسة الحديث والفقه ثم مضى إلى مكة لأداء فريضة الحج، وله من العمر ثمانٍ وعشرون سنة. وقد

(١) Bernd Radtke . دراسة قصيرة ألقيت في المؤتمر العشرين للمستشرقين الألمان الذي انعقد في « إرلانغن » بين ٣ و ٨ تشرين الأول ١٩٧٧ . ترجمها إلى العربية الدكتور رضوان السيد المدرس بالجامعة اللبنانية .

دفعته تجربته الروحية خلال الرحلة – خصوصاً في مكة بالذات - إلى انتهاج الطريق العرفاني . وعندما عاد إلى وطنه أكبّ على أعمال الزهد والورع، وقضى أيامه مصلياً وقارئاً للقرآن ومتجولاً بين المقابر المهجورة والخرائب المحيطة بالمدينة . وذهب بحثُه عن إمام يقتدي به عبثاً ؛ لكنه وجد بعض ما أمّله في كتاب لأحمد بن عاصم الأنطاكي تلميذ المحاسبي (- ٢٤٣ ﻫ). تعلّم من الكتاب المذكور أشياء عن رياضة النفس ، ثم بدأ بتكوين حلقة من المريدين من حوله ؛ لكن الفقهاء والمحدثين لم يصبروا عليه طويلاً فبدؤوا يسمون به لدى السلطة الحاكمة ويتهمونه بالحديث عن حب الله بطريقة غير مألوفة وبادّعاء أنه نبيّ . واستدعاه أمير بلخ للتحقيق معه فاستطاع أن يبرىء نفسه مما نُسب إليه . لم تنل هذه الأحداث على أي حال من هدوئه الداخلي إذ تابع انقطاعه وتزهده وكانت الأحلام والرؤى هي التي تسدّد خطاه وتعطيه الثقة بصواب الطريق الذي اختاره لنفسه ، وبأن الله اختاره من بين الناس . وقد جاءت ترجمته لنفسه ، للأسف ، خالية من تحديد تاريخي لأحداث حياته باستثناء حالة واحدة . لكن الثابت أنه عاش إلى ما بعد ٨٨٣ م ، وأنه نيّف على الخامسة والستين . ويفيد تحليل كل ما بين أيدينا من أخبار في كتب التراجم المتأخرة أن الترمذي توفي سنة ٩٠٠ م. أما العام ٨٩٨ م الذي يتكرر ذكره في المراجع تاريخاً لوفاته فلا سند له في المصادر التي نعرفها .

معلوماتنا عن مؤلفات الترمذي أدق من معلوماتنا عن حياته ؛ ففؤاد سزكين يذكر في مصنفه « تاريخ التراث العربي »[١] ما لا يقل عن ثمانين

---

(١) Geschicltc des Arabischen Schrifttuns I, 653 Fb.

كتاباً من كتب الترمذي ؛ هذا فضلاً على مجموعة جوتنجن رقم ٢٥٦ التي تحتوي على عدة مؤلفات معروفة ورسائل كثيرة جديدة ؛ وهي مما لم يعرف بوجوده سزگين . صحيح أن بعض ما ذكره سزگين ليس دقيقاً ؛ لكن الباقي بعد التصحيح والشطب وافر حقاً . وعلى سبيل المثال فان رسالة « المسائل الغضة » التي يذكرها سزگين بوصفها عملاً مستقلاً هي في الحقيقة جزء من كتابه « الأكياس والمغترين » ، ورسالته بعنوان « غور الأمور » هي غالباً الكتاب نفسه الذي يرد باسم « الأعضاء والنفس » . ومع أن وفرة مصنفات الترمذي أمر يبعث على السرور إلا أن الوفرة هذه لم تقلل من الصعوبات التي تقف في طريق فهم عالمه الفكري . وهو يكرر نفسه غالباً ويستطرد وينسى موضوعه الأصلي ، ونادراً ما يعالج موضوعاً بشكل منطقي ومنظم حتى النهاية . أما مصطلحاته فهي غير ثابتة ؛ وربما كان ممتعاً بالنسبة لدارسي الإيرانيات أن يعلموا أن مصنفات الترمذي كانت مصدراً مبكراً للترجمات الكلامية والصوفية من العربية إلى الفارسية .

هناك حتى الآن نشرات وطبعات عديدة لكتب من كتب الترمذي بيد أنها جميعاً لا تستند إلى الأسس العلمية النقدية للتحقيق . وأعدُّ الآن لنشرة جديدة من كتاب « ختم الأولياء » الذي كان عنوانه الأصلي غالباً « سيرة الأولياء » ، كما أنني أخطط لنشر عدة من آثار الترمذي .

لا بد قبل البدء بعرض الخطوط الكبرى لمنظومة الترمذي الفكرية من التنبيه إلى أنني لن أعرض لمصادر عرفانه وبيئته هنا ؛ سواء كانت تلك المصادر إسلامية أو أجنبية . ولكي يكون فهم عالمه الفكري ممكناً لا بدّ من الإلمام بمفهومه الانتروبولوجي عن الانسان . يتضمن هذا المفهوم

باختصار تقسيماً لمصادر الطاقة الإنسانية إلى قسمين اثنين : النفس والقلب . أما مكان النفس فهو فيما تحت السرّة ، وتحكمه سبع خصائص أخلاقية سيئة أعظمها سوءاً الشهوة ومصدر الشهوة هو الهوى المنبعث من الجحيم ؛ يتغلغل في الإنسان عن طريق الشيطان . إن الغريزة الحاكمة — أو كما يسميها الترمذي « الجوهر » — تشدّ الإنسان إلى الجحيم ، ويعني ذلك أنها تدفعه للقيام بأعمال تؤدي به إلى جهنم . والنفس الغريزية هذه لا تدرك العالم إدراكاً مباشراً ملتذاً ، بل يجوز أن تصل إلى أغراضها الشهوانية هذه بواسطة أداةٍ تستخدمها لذلك . هذه الأداةُ هي الذهنُ الذي مكانُه الصدر .

أما المصدر الثاني للقوة الإنسانية فيكمن في القلب . والقلب هنا هو مكان المعرفة . وأريد هنا أن أحدد المعرفة المقصودة مبدئياً بأنها « الإدراك الفطري لله » أو كما اقترح هلموت ريتر « العرفان السابق لله » . وهي لا تعني عند الترمذي تعرّفاً فاعلاً بل معرفة ممتلكة .

لكن ، ما هو مضمون هذه المعرفة ؟

لكي تمكن الإجابة على هذا التساؤل لا بدّ من عرض موجز لمفهوم الترمذي العقيدي ؛ فالترمذي يُفرّقُ — كما هو معهود عند آخرين — بين الله وصفاته . إنه يسمي الذات الإلهية في كتاباته بالباطن والهوية . أما الصفات فيشير إليها بشكل عام بالظاهر . صفات الله هذه الصادرة عنه ، بطريقة تركها الترمذي غامضة ، تتجمع حول ذاته في شكل مجالات نورانية . وبفضلٍ من الله ورحمة يتلقى كل إنسان جزئيات من نورانية الصفات المبثوثة في مجالاتها النورانية . هذا النور الفطري هو الذي يجعل كل إنسان يدرك

بالفطرة أن الله موجود . المعرفة الأولية هذه يسميها الترمذي معرفة الفطرة أو الجبلّة ؛ وهي تحدث في النفس قدرةً على التدبّر والتبصّر يدعوها الترمذي « بصيرة » أخذاً من الآية القرآنية الكريمة : « كلا بل الإنسان على نفسه بصيرة » . بهذه البصيرة يستطيع الإنسان أن يدرك آثار فعل الله في العالم الخارجي المدرك .

لكن ؛ كيف يمكن تعليل الواقع المشاهد الذي يُظهر أن هناك مؤمنين وكفاراً رغم أن الإنسان يعرف بفطرته وجود الله ؟ . ويجيب الترمذي على ذلك بأن الانسان لا ينكر في الحقيقة وجود الله إلا إذا لم تكن طبيعته أو فطرته سليمة ؛ لكن المسلم وحده يتحقق تماماً أن الله واحد ؛ ويعني هذا أن المسلم يمتلك نوعاً أعلى من المعرفة ؛ تلك التي يسميها الترمذي معرفة التوحيد ، المعرفة الفطرية بوحدانية الله .

إن الإدراك العرفاني يعني بالنسبة للترمذي أن يحوّل الإنسان معرفته الفطرية بوجود الله إلى معرفة واعية . وهو يصف النهج الذي ينبغي اتخاذه للوصول إلى ذلك على النحو التالي : إن نور المعرفة المنبعث من القلب يضيء حنايا الصدر . وهنا يصل النور إلى مركز الإدراك الداخلي ؛ الفؤاد. عند هذا يتدخل الإدراك العقلي (العقل) مضافاً إلى الفؤاد ؛ والعقل الذي يتدخل مركزه في الرأس . وتدخّله يكون بإضاءته لمضامين المعرفة من خلال خاصته الخاصة به وهي التمييز . والعقل هذا يمتلكه المسلم فقط في حين يظل الذهن شائعاً في الناس جميعاً .

عملية الإدراك هذه التي يصحبها التمييز تتم بشكل تدريجي . هذه العملية هي عند الترمذي سريان المجالات النورانية لصفات الله ، لكن ليس

بمعنى أن العارف يصعد ليرى الله أو ليتّحد به . إن الترمذي ، شأنه في ذلك شأن العارفين القدامى ، لايعرف بعدُ تلك التصورات التي تستبق رؤية الله يوم القيامة برؤية معراجية حياتيـة . ويعني هذا أن النور الإلهي الفطري لن يرى في هذا العـالم معاينة ، بل بعين الفؤاد وتمييز العقل . إن أعلى الدرجات التي يبلغها العارف هي درجة الإدراك الواعي للوحدانية والإدراك الواعي للفردية ، وبعبارة أخرى فإن المعرفة الواعية بالله ممكنة من جانب العقل المميّز . أما ما وراء ذلك فلا يستطيع العقل أن يدركه . إن إدراك ذات الله ليس متاحاً للعقل .

خلال عملية المعرفة تتدخل النفس محاولةً إعاقةَ ذلك . إنها تتدخل آتيةً مما تحت الشرة صاعدة في اتجاه الصدر فتثير ضباباً في الفؤاد وتعطل عملَ العقل ، وتمنع الإنسان بذلك من إدراك الله بعين فؤاده . لذا فإن واجب العارف أن يبطل التأثير السيء للنفس . إن عليه أن يواجهها في عملية كفاح روحي . الوسيلة الأولية لذلك هي الانصراف إلى أعمال زهدية . وليس معنى ذلك أن تصـوّف القرن الثالث وقف عند الطرق البدائية للزُهاد القدماء . لقد صارت النظرة أحدّ ، كما ساد اعتقادٌ مؤداه أن الزهد لا يعني الكثير إن لم يكن موجهاً من الداخل . لقد حاولوا أن يواجهوا النفس مباشرة ، فيتصدوا لخبثها وحبائلها ورغباتها المستورة حتى أعمق أعماقها بالتحذير والمحاسبة تارة وبمحاولة تحريرها من صفاتها السيئة تارة أخرى . هذه الطريقة الملحة في التربية الذاتية وضع أسستها وطبّقها المحاسبي. وقد أدّت الخبرة الذاتية وطرائق تربية النفس هذه إلى نشأة ما يسمى بعلم الباطن الذي وضعه هؤلاء في مواجهة علوم الحديث والفقه التقليدية ؛ تلك

العلوم التي سموْها علوم الظاهر . ويسمي الترمذي علماء الباطن : حكماء . إنه يصفهم على النحو التالي : « والحكماء عن تدبير الله ينطقون (؟) كيف دبّر شأن الآدميين وكيف ركّبهم .. ويصفون تركيب أجسامهم، ومكامن العدوّ منها وسلطان الشهوات فيها ، ويميزون بين عمل القلوب وعمل النفوس ، وخدع النفس وخُدَع العدوّ ، فإن للنفس وسواساً تَدِقّ في جنبه وساوس العدو . . ويصفون طريق أهل الإرادة ، ويعرّفون المريدين مكامنَ النفس لإنشاد العطايا الواردة على السالكين لذلك الطريق إلى الله ، وينقلون المريدين إلى درجات العطايا قولاً وهداية ؛ فإن التقوى في هذا الطريق أصعب وأدق وأغمض .. » (١) .

والصدق عند الترمذي هو أبرز جوانب السعي في مجاهدة النفس . ويكاد يكون العارف الوحيد الذي وقف ضد السعي للوصول إلى منزلة الصدق ! إنه يلاحظ في هذا المجال أن مجاهدة النفس سعياً للوصول إلى الصدق تشكل انشغالاً بها لا يؤدي إلى إضعافها بل إلى تقويتها .وهو يصف هذه العملية بهذه الكلمات : « ... لأن النفس تتبجح وتتزين للخلق به وتباهي الأشكال من العمال ... » (٢) .

إن السالك يعيش أحياناً خلال انشغاله التام بمجاهدة النفس عطايا ربانية تعطيه إحساساً بالراحة والانبساط . لكن يبقى هناك خطر كامن . إن النفس التي تدعمت خلال الصراع معها ، والتي ما تزال مملوءة بالهوى والجشع ، يمكن أن تنقضّ على ثمرات هذه العطايا لتلهي السالك عن هدفه

(١) الأكياس والمغترين (مخ إسماعيل صائب بأنقرة / ١٥٧١) ق ١٢٥ أ

(٢) مخطوطة لايبزغ رقم ٢١٢ / ق ١ ب

الأول الذي هو الله . في مثل هذه الحالة على السالك أن يدرك عبثية سعيه نحو الصدق ، وأن يوقف كل مساعيه وإحساساته في هذا الاتجاه ؛ حتى تلك التي تتصل بمساعيه للوصول إلى الله . إن عليه أن يعود لإنزال نفسه في منزلة انعدام الحيلة والاضطرار ؛ لأنه عند ذلك وعند ذلك فقط تنزل رحمة الله . وبرحمة الله وفضله يبلغ السالك ما لم يستطع أن يبلغه بمجاهداته من أجل الصدق : يبلغ منزلة طمس النفس . عندها تتابع عملية الإدراك سيرها في طريقها الصحيح : طريق التحول إلى معرفة واعية دون التأثيرات الضارة للنفس .

وقد حاول الترمذي إثارة اهتمام معاصريه بنقده للنهج الذي يسعى إلى منزلة الصدق . وقد تبادل الرسائل مع أبي عثمان الحيري (ت ٩١٠م) بنيسابور ، ومع محمد بن الفضل البلخي (ت ٩٣١ م) ، ويبدو أن البلخي هذا غادر بلخ إلى سمرقند بسبب مجادلات كلامية . أما الحيري فقد كان تلميذاً لأبي حفص الحدّاد (ت ٨٨٠ م) الذي حاول للمرة الأولى ، مستنداً إلى علم الباطن ، رسم منهج تربوي للمريدين . وكان البلخي صديقاً للحيري وأحد المعجبين بطريقته . يكتب الترمذي إلى الحيري : « .. ورد عليّ كتابك يا أخي ، وكتابٌ بعد كتاب ؛ وولّدْتَ فيّ ذكر عيوب النفس في باب المعرفة ؛ فان قدرت يا أخي ألاّ تشتغل بذكر العيوب — وكل هذا سوى الله تعالى فافعل ! فإن لله تعالى عباداً عرفوه معرفة .. واتقوا من ذكر النفس .. » (١) .

---

(١) مخطوطة إسماعيل صائب بأنقرة ١٥٧١ / ق ٦١ ب

ويتفق الترمذي في نقده للحيري مع أبي بكر الواسطي (ت ٩٣٢م) الذي كان يعتبر طريقة الحيري فيما يتصل بالتركيز على نواحي ضعف النفس شِرْكاً.

ولنعد مرة ثانية إلى القلب الإنساني. إن عملية «حضور» المعرفة الفطرية لله في القلب تحدث عند أفراد الناس بدرجات متفاوتة عمقاً. هذا العمق يختلف من إنسان إلى آخر باختلاف قدر المعرفة المعطاة له في عالم الذَرّ. والترمذي يقسم العمق المتحقق إلى ثلاث درجات: أدنى هذه الدرجات مقدار الإيمان الذي يشيع في أعماق عامة المسلمين. ويدخل ضمن نطاق هذه الدرجة المحدثون والفقهاء والمتكلمون. إن مداركهم مكتسبة من خلال حواسهم الظاهرة، وعقولهم المشدودة إلى نفوسهم الأمّارة؛ ذلك أنهم بحكم الطبيعة الدنيا المعطاة لهم يستطيعون فقط امتلاك معارف محدودة القيمة والمضامين. هذا التقييم لطبيعة معارف هؤلاء لا ينبغي أن يدفع السالك إلى إهمالها؛ ذلك أنها تحدد له الطريق الصحيح لسلوكه الظاهر.

ويبلغ الحضور والعمق درجة عالية عند جماعة الحكماء. لكنهم رغم ذلك لا يصلون إلى وعي النور المحض مباشرة، ذلك أنهم لا يستطيعون التخلص تماماً من إسار النفس. علماء الباطن هؤلاء الذين يسميهم الترمذي حكماء كانوا يدعون في القرن التاسع الميلادي صوفية.

وهنا يثار تساؤل: لماذا يسميهم الترمذي إذن حكماء ولا يسميهم صوفية؟! والجواب بإيجاز:

١ – كلمة صوفي واشتقاقاتها مثل تصوف، متصوفة، صوفية؛ لا تظهر في كتابات الترمذي على الإطلاق.

٢ – ربما لم تكن هذه الكلمة قد شاعت عندما كتب الترمذي أعماله . وهنا لا بد أن نلاحظ أنه يتعذر ترتيب مؤلفاته تاريخياً . والأمر الجدير بالذكر أن كثيراً من عارفي القرن الثالث الهجري ممن جاؤوا من شرقي العالم الإسلامي ؛ ممن سُمّوا في المصادر المتأخرة صوفيةً ـ كانوا في حياتهم يحملون لقب حكيم ، من هؤلاء على سبيل المثال صديق الترمذي يحيى بن معاذ الرازي ، وأبو بكر الورّاق البلخي ؛ الذي جعلته المصادر اللاحقة تلميذاً للترمذي ، ومحمد بن الفضل البلخي الذي تبادل الترمذي معه الرسائل .

٣ – هناك احتمالات أخرى لا يتسع المجال هنا لمناقشتها بالتفصيل .

فربما كان هؤلاء الحكماء جماعة خاصة إلى جانب المتصوفين ولم يكونوا منهم . وربما كانت كلمة حكيم استعمالاً خاصاً بشرقي العالم الاسلامي ؛ لأن كلمة صوفي لم تكن شائعة هناك إذ ذاك ، أو لأنهم أرادوا اجتنابها لسبب من الأسباب . وفي هذه الحالة فإن السؤال الذي يعرض هو : كيف يمكن فهم كلمة الحكيم كلقبٍ للترمذي استناداً إلى ما سبق ؟ هذا التساؤل أيضاً لا تسهل الإجابة عليه في هذه العجالة . إن جعفراً الخلدي الذي جمع كثيراً من كتابات الصوفية لا يعتبر الترمذي واحداً منهم . ولا بأس هنا أن نذكر أن الترمذي حمل على السماع والرقص اللذين كانا معروفين في أوساط الصوفية آنذاك ؛ بيد أن هذا لا ينهض دليلاً على عدم انتمائه إليهم لأن صوفيةً آخرين فعلوا الشيء نفسه .

يضع الترمذي فوق الحكماء طائفة ثالثة هي طائفة العارفين الحقيقيين الذين يسميهم هو العلماء بالله . إن التعبدية الداخلية لهؤلاء لا يهزها العالم

الخارجي كما لا تؤثر فيها وساوس النفس . إنهم لا يرون أمام أعينهم غير الله . لقد انتهت الأنا عندهم ؛ وفي مكانها حلّ الله . معرفتهم تفوق كيفاً معارف الطائفتين بخاصيّة مميزة هي اليقين . واليقين هذا ليس أمراً يمكن أن يكتسبه الانسان بمجاهداته الخاصة ، بل هو نور يقذفه الله في الصدر مباشرة ، ويمكن أن يعرض للانسان كلمح البرق . إناسٌ كهؤلاء يحظَونْ بنعم الله وعطاياه . إنهم يتلقون حديثاً ، ويطلعون على أسرار الكون ، ويعرفون الإنسان الشقي أو السعيد ،وهم ذوو بصيرة نفاذة ولهم كرامات . هؤلاء أيضاً ينقسمون إلى فئات عُليا ودنيا بدورهم . أعلاهم جميعاً الأولياء ، ولا شك أن الترمذي اعتبر نفسه ذاك الوليّ المصطفى من الله .

بارنت رادكه

وقفة
مع
ديوان بشار بن برد

— ٣(*) —

الدكتور شاكر الفحام

٥٧ — كان بشار بن برد مولى بني عُقيل بن كعب (كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) ، وقد فخر بشار بهذا الولاء وتبجّح :

إنني من بني عُقيل بن كعب   موضع السيف من طُلى الأعناقِ

وسارت له قصائد يشيد فيها بوقائع مواليه العامريين ، ومَنْ خلفهم من قبائل قيس عيلان عامة :

أمنتُ مضرة الفُحّشاء ، اني   أرى قيساً تضرُّ ولا تُضارُ (١)

وفي عداد هذه القصائد تأتي قصيدته التائية (٢ : ٨ - ١٤) ،

(*) نشر القسم الأول من هذا المقال في الجزء السابق (مج ٥٣ ج ٢ ص ٣٤٠)

(١) الأغاني (ط . دار الكتب) ٣ : ١٣٩ ، ديوان بشار ١ : ٤ — ٦ . ورواية الشطر الثاني في ديوان بشار (٣ : ٢٥٠) : أرى قيساً يُشَبُّ ولا يُضارُ ولعل الصواب : أرى قيساً تُسَبُّ ولا تضارُ .

التي ذكر فيها انتصارات قومه من بني عامر بن صعصعة على أعدائهم من بني حنيفة ، في الوقائع التي دارت بينهم ، إثر مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٦ هـ[١].

ـ بدأ بشار قصيدته متغزلاً ، وتوحي هذه المقدمة الغزلية بأن القصيدة قيلت في أيام العباسيين ، بعد أن حرّم الإمامُ المهديُّ على بشار طريقته في تصبي النساء ومقاربتهن[٢] :

ولو لا أمير المؤمنين سقيتها أواماً يناجيها بنا حيث حلَّتِ ..

لقد كنتُ في ظل العذارى مرفَّلاً أحب وأعطى حاجتي حيث حلتِ

فغيَّر ذاك العيشَ تاجٌ لبستُه وطاعة والٍ حرّمت وأحلّتِ

ونبئت نسواناً كرهن تحامّي ولله أبلي أكثرت أم أقلتِ

إذا أنا لم أعط الخليفة طائعاً يميني فلا قامت لكأسٍ وشلّتِ

ولذلك اضطرب الشارح في تعليقه على الأبيات :

أ ـ ذكر في مفتتح القصيدة (٢ . ٨) أن بشاراً قالها « يتغزل ويفتخر بأيام بني عامر مواليه في اليمامة سنة ١٢٦ هـ » .

ب ـ ثم عرض لقول بشار في القصيدة (٢ : ١٠) :

فمن مبلغٌ عني قريشاً رسالةً وأفناءَ قيسٍ حيث سارت وحلّتِ

---

(١) الكامل لابن الأثير ٥ : ١٤١ ـ ١٤٢ ، الأغاني (ط . الساسي) ٧ : ١١٥ ـ ١١٦ ، ٢٠ : ١٤١ ـ ١٤٢ (ترجمتا يزيد بن الطثرية القشيري ، والقحيف العقيلي) ، أنساب الأشراف للبلاذري (مخطوط) ٨ : ٣٦٢ ـ ٣٧١

(٢) الأغاني (ط . دار الكتب) ٣ : ١٨٢ ـ ١٨٤

فذكر أن بشاراً « خصّ قريشاً وقيساً ، لأن قريشاً قوم بني العباس ، وقيساً أنصارهم ، وكذلك نمير ، وسيذكر عُقيلاً بعد هذا ، وهم قومه أهل ولائه ، .... أشار إلى قتال الخارجين عن الدعوة العباسية من ضبيعة وبكر » .

وهذا القول يجانب الواقع ، ولا تؤيده روايات المؤرخين والاخباريين، لأن بشاراً يفخر في هذه القصيدة بوقائع العامريين وانتصاراتهم على أعدائهم من بني حنيفة ، أيام بني أمية ، بعد مقتل الوليد بن يزيد ، وهي وقائع حركتها الحمية ، حمية الجاهلية ، وغذتها العصبية القبلية .

ج — وعلّق الشارح على بيت بشار التالي (٢ : ١٠) :

بأنا تداركنـــا ضبيعة بعدما أغارت على أهل الحمى ثم ولّتِ

فقال : « وذلك أنه لما قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٧ ه (الصواب : ١٢٦ ه ، وأظنه من خطأ المطبعة) ثار أهل اليمامة على عاملهم علي بن المهاجر ... وانقسم سكان اليمامة فريقين ... وتقاتل الفريقان في فَلَج من قرى اليمامة ، فكان لهم فيه يومان : يوم فَلَج الأول، ويوم فلج الثاني ، وكان النصر فيها لبني عامر وقيس وعقيل ومن معهم ، ثم أراد عمر بن الوازع الحنفي الثأر لقومه ، فجمع خيله وأغار على الأعداء ، وأتى النشاش ، فأقبلت إليه بنو عامر واقتتلوا ، فهزموه ، وفرّ عمر بن الوازع فلحق باليمامة ،فكان هذا يوم النشاش ، ولم يكن لحنيفه بعده جمع».

ولكن العودة إلى المراجع التاريخية تبين أن يوم الفالج الأول كان لعامر على بني حنيفة ، وأن يوم الفالج الثاني كان لحنيفة على بني عامر ،

وأن يوم النشاش كان لعامر على حنيفة (١).

– ويلوح لي أن كلمة « ضبيعة » الواردة في بيت بشار محرفة عن كلمة « حنيفة » ، وبذلك يستقيم معنى البيت ، ويلتقي مع ما جاءت به الرواية التاريخية .

٥٨ – ورد في قصيدة بشار التائية (٢ : ٨ - ١٤) أبيات عزاها الرواة للقحيف العقيلي . ولم أظفر بقصيدة العقيلي تامة ، فرأيت أن أذكر ما عثرتُ عليه من أبياتها ، لأقرنه بما يماثله من أبيات بشار في القصيدة التائية المذكورة .

أ - قال القحيف العقيلي :

لقد أرسلت خرقاءُ نحوي جريَّها لتجعلني خرقاءُ ممن أضلَّتِ
وخرقاء لا تزداد إلا ملاحة ولو عُمِّرت تعمير نوح وجلَّت

. . . .

فمن مبلغ عني قريشاً رسالة وأفناء قيس حيث سارت وحلَّت
بأنا تلافينا حنيفة بعدما أغارت على أهل الحمى ثم ولت (٢)

---

(١) الكامل لابن الأثير ٥ : ١٤١ - ١٤٢ ، أنساب الأشراف (مخطوط) ٨ : ٣٦٢ - ٣٧١ ، الأغاني (ط . الساسي) ٧ : ١١٥ - ١١٦ ، ٢٠ : ١٤١ - ١٤٢ ، وفلج ، بفتح الفاء واللام : مدينة قيس عيلان بن مضر بن نزار باليمامة ، وهي لبني جعدة وقشير وكعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، كما أن حجر ، بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم ، أمّ قرى اليمامة ، مدينة بني ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، إلا أن الأصل فيها لبني حنيفة (معجم البلدان — حجر ، فلج) .

(٢) تلافاه ، بالفاء : تداركه .

لقد نزلت في معدن البرم نزلة ... فلأياً بلأيٍ من أضاخ استقلت
تشكُّ نميرٌ بالقنا صفحاتهم ... فكم ثَمَّ من نذر لها قد أحلّتِ
تركنا على النشّاش بكر بن وائل ... وقد نهلت منها السيوفُ وعلّتِ
وبالفَلَج العاديّ قتلى إذا التقت ... عليها ضباعُ الغَيْطَلِ باتت وظلّتِ[1]

ب – وقال بشار العقيلي (٢ : ١٠ - ١٤) :

لقد أرسلت صفراء نحوي رسولها ... لتجعلني صفراءُ ممن أضلّتِ
فمن مبلغ عني قريشاً رسالة ... وأفناء قيس حيث سارت وحلّت
بأنا تداركنا ضبيعة بعدما ... أغارت على أهل الحمى ثم ولّت
وقد نزلوا يوماً بأوضاح كامل ... ولأياً بلأي من أضاخ استقلت
فشكّ نمير بالقنا صفحاتهم ... وكم ثَمّ من نذر لها قد أحلّت
تركنا على النشناش بكر بن وائل ... وقد نهلت منها السيوف وعلّت
وبالفلج العاديّ قتلى إذا التقت ... عليها ضباع الجرّ باتت وضلّت

٥٩ – أصلح الشارح بيت بشار (٢ : ١١) المحرّف في المخطوطة، وقوّمه على النحو التالي :

فشكّ نمير بالقنا صفحاتيهم ... وكم ثَمّ من نذر لها قد أحلّتِ

ثم عقب على ذلك فقال : « والأحسن أن يقال : فشكّت ، لقوله بعده : قد أحلّت » . ونرجح أن تكون الرواية : تشكُّ نمير ، بصيغة المضارع ، كما وردت في أنساب الأشراف (٨ : ٣٦٩) .

(١) الأغاني (ط . الساسي) ١٦ : ١١٩ ، ٢٠ : ١٤١ ، طبقات فحول الشعراء : ٤٧٩ — ٤٨٠ ، معجم البلدان : (فلج ، معدن البرم ، النشاش) ، أنساب الأشراف ٨ : ٣٦٩

٦٠ - قال بشار (٢ : ١٢) :

تركنا على النشناش بكر بن وائل   وقد نهلت منها السيوفُ وعلَّتِ

فعلّق الشارح بأن ياقوتاً الحموي قد أنشد هذا البيت (معجم البلدان - فلج ، النشاش) ، إلا أنه نسبه إلى القحيف العقيلي غلطاً . وما ذكرناه آنفاً (الرقم : ٥٨) لا يجيز نسبة الغلط إلى ياقوت .

٦١ - قال بشار (٢ : ١٤) :

وبالفَلَج العاديّ قتلى إذا التقت   عليها ضباع الجرّ باتت وضلَّتِ

وذكر المراجعان أن كلمة : « ضلّت » قد وردت في المخطوطة : « ظلت » بالظاء المشالة ، دون أن يعقبا على ذلك بشيء . والذي يبدو لي أن رواية المخطوطة : « ظلت » بالظاء المشالة هو الرواية الصحيحة ، وينبغي أن تصحح معها جارتُها ، كلمة « بانت » لتصبح « باتت » بالتاء المثناة من فوق بدل النون . وبذلك تلتقي رواية الديوان برواية معجم البلدان : (فلج) ، ويتضح مراد الشاعر الذي رمى من وراء تعبيره : « باتت وظلّت » ، أن يظهر كثرة القتلى من أعدائه ، وقد غودروا في أرض المعركة طعاماً للضباع ، فهي تنهش من لحومهم ليل نهار .

- ثم فسَّر الشارح : « ضباع الجرّ » أنها « التي تجر لحم الميت إلى وجارها لشدة حرصها » . ولا أظن اللغة تساند مثل هذا التفسير ، والأولى ، فيما أراه ، أن تكون : « الجر » اسم موضع . وقد جاءت رواية معجم البلدان : « ضباع الغَيْل » ، والغَيْلُ : بالفتح ثم السكون ، وادٍ لبني جعدة في جوف العارض ، يسير في الفَلَج (معجم البلدان - الغيل) . وقد تكون « الجر » آتية بمعناها اللغوي ، قال في اللسان (جرّ) : والجرّ : أصلُ الجبل وسفحه .

٦٢ – أنشد ياقوت في معجم البلدان : (بيروت) ، الأبيات الثلاثة التالية منسوبة إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان :

إذا شئت تصابرت ولا أصبر إن شيت
ولا والله لا يصبـ ـرُ في البرية الحوتُ
ألا يا حبذا شخصٌ حمت لقياه بيروتُ

والبيتان الأولان من الأبيات الثلاثة قد وردا ضمن قصيدة بشار التي مطلعها (٢ : ١٨) :

أحبَّى فيم خلّيتُ ؟ وفيم الحبل مبتوتُ

٦٣ – قال بشار (٢ : ٢٢) :

إن تجفُني سلمى فإني امرؤ أصبو وأصبي ، ربما قد جفيتْ

وجملة : « ربما قد جفيت » قلقة في موضعها ، لا تستقيم عربية ، وقد أراد الشارح أن يحتال لها ، فجعل « أصبو وأصبي » جملتين معترضتين . ويلوح لي أن كلمة « ربما » قد تكون محرفة عن « وبما » ، وقد بيّنا طريقة استعمالها فيما سلف ، (رقم ١٩) .

٦٤ – وقال (٢ : ٢٧) :

فلم أبق على النفس ولو اسطيع أبقيتُ

وقال الشارح في تعليقه : « كتب في الديوان : ولو اسطعت ، وهو غير متزن ، ولعل صوابه : ولو اسطيع » . وأرى أن ما في الديوان صحيح سليم ، يتزن به البيت ، ولا حاجة لتغييره . قال في اللسان (طوع) : « وأما قوله تعالى : (فما اسطاعوا أن يظهروه) [سورة الكهف ، آ : ٩٧] فإن أصله : استطاعوا ، بالتاء ... ومنهم من يقول:

أسطاعوا ، بألف مقطوعة ... قال ابن سيده : واستطاعه ، واسطاعه ، (بهمزة وصل) وأسطاعه ، (بهمزة قطع) ... أطاقـــه » . فرواية الديوان : « أسطعتُ » (بهمزة قطع) ، صحيحة ، لا علة فيها .

٦٥ – وقال بشار في هجاء أبي هشام الباهلي (٢ : ٤٧)

وعلى وجهـك المختّت سيما . . . .

وسياق البيت يقتضي أن يقال : وعلى وجهه المخنث سيما ، بضمير الغائب .

٦٦ – قال بشار (٢ : ٥٠) :

يا صـــاح قل في حاجتي أذكَرْتهـــا فيما ذكرتا

وذكر الشارح أن القصيدة من مجزوء الرجز ، والصحيح أنها من مجزوء الكامل المرفل .

٦٧ – قال بشار متغزلاً بعبدة (٢ : ٥٤) :

عظ تي فيهـا رويـــدا قـد مللتُ الواعظـاتِ

وفسر الشارح (عظتي) بأنها مصدر مضاف إلى مفعوله . والذي أراه في رواية البيت :

عظنني فيهـــا رويـدا قـد مللتُ الواعظـاتِ

فبشار يخاطب العاذلات القائلات (٢ : ٥٢) :

اسلُ عن عبدة قد أنـ زفتَ فيها العَبَرات

بأن يخففن من عذلهن ، لأن حبه لعبدة مقيم لا يبرح ، وأن يستجيب في هواها لنصح ، ولن يطيع واعظة .

٦٨ – ولبشار أبيات في هجاء آل سليمان بن علي (٢ : ٥٦ – ٥٧) ، وقد ذكر الشارح عدة أبناء لسليمان بن علي ، نقلاً عن جمهرة

ابن حزم ، ثم ضمّ إليهم داود بن سليمان ممدوح بشار (الديوان ـ الورقة ٢٤١) ، ولكنه عاد وهو يشرح المدحة المذكورة (٣ : ١٩٢) فرجح أن يكون ناسخ الديوان قد سها ، وأن ممدوح بشار هو سليمان بن داود ابن علي . وهو ترجيح نوافقه عليه ونراه يبلغ مرتبة اليقين ، إذ تؤكده أبيات بشار في قصيدته المذكورة (٣ : ١٩٢ - ١٩٩ ، الأبيات : ٣٢، ٣٨ ، ٤٩) .

٦٩ - وقـــال بشار يصف المهالبة قوم الممدوح خداش بن يزيد (٢ : ٦٠) :

ركب لعيدان المـــلو ك ، عن المكارم غيرُ راتِه

وضبطت « ركب » بالفتح ثم السكون . وأرجح عليها : « ركب » بضم الراء والكاف ، جمع ركوب ، قال في اللسان (ركب) : « رجل ركوب وركّاب : كثير الركوب » ، وعيدان الملوك : المنابر ، كما ذكر الشارح . وقد كرر بشار معناه في مدائحه ، قال في مديح سليمان ابن داود الهاشمي (١ : ٢٣٦) :

ركّابُ هول وأعواد لمملكة ضرّاب أسباب همّ حين يلتهبُ

وقال في مديح روح بن حاتم (٢ : ٢٥٣) :

ركّاب أعـــواد المـلو ك ، مباريا سبل الرواعد[1]

وقال في صفة صاحب له (٣ : ٩٥) :

وصاحب يعطي ويبدي العلا ركّاب أهـــوال وأعوادِ

وقال في مديح سفيح بن عمرو (٣ : ١٣٢) :

وركّاب أعواد المنابر لابني خليفة ملك للصعاليك أوحدا

(١) انظر تعليقنا الآتي على هذا البيت برقم ٨٢

٧٠ — وقال بشار في مديح أحد أصحابه (٢ : ٦٤) :

صحبته في الملك أو سوقةً . . . . .

وضبط « سوقة » بالجر ، والصواب ضبطها بالنصب . فبشار قد خبر صاحبه : ملكاً وسوقةً ، فحمده في حاليه ، لم ينكر من أمره شيئاً . جاء في اللسان (سوق) : « السُوقة : خلاف الملك ،... يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر ،... وربما جمع على سُوَق .... ، السُوقةُ من الناس : الرعية ، ومن دون الملك ، وكثير من الناس يظنون أن السُوقة أهل الأسواق . والسوقة من الناس : من لم يكن ذا سلطان، الذكر والأنثى في ذلك سواء ، والجمع السُوَق ... قال زهير :

يطلب شأو امرأين قدّما حسناً نالا الملوك ، وبذّا هذه السُوقا ».

وجاء في الأساس (سوق) : « وهو من السُوقة ، والسُوَق : وهم غير الملوك » . وقال شرحبيل لأبي حنش التغلبي : « أملكاً بسوقة ؟ » أي أنقتل ملكاً بدل سوقة ؟ (أمثال الميداني ١ : ٤٥ ، في شرح المثل : إن أخي كان ملكي) . فالانسان ملكٌ أو سوقةٌ . وعلى هذا جرى العرب في كلامهم [1] . ورده بشار في شعره . قال في صفة صاحب له (٣ : ٩٥) :

---

(١) انظر أقوال اللغويين في تفسير السوقة والسوق ، وشواهدهم من كلام العرب في : التكملة للجواليقي : ١١ — ١٢ ، ودرة الغواص للحريري : ١٩٨ ، ولسان العرب وتاج العروس (سوق) .

صحبتــــه في الملك أو سوقةً فزاد في عــــدّة حسّادي (١)

وقال في مديح سلم بن قتيبة الباهلي (٣ : ٢١٩) :

سيدٌ ، سوقةٌ وفي الملك ، فيّا ضٌ ، يحامي عن عرضه بالبدور (٢)

وقال دعبل الخزاعي في كافيته المشهورة (أمالي الشريف المرتضى ١ : ٤٣٧) :

يا سلم ، ما بالشيب منقصــــة لا سُوقـةً يبقـي ولا ملكا

٧١ – وقال بشار يصف صاحبته بالجمال والنعمة (٢ : ٨٠) :

لُباخيّة الأرداف ، لم ترع ثلة بفيء ، ولم تركب بعيراً بهودج (٣)

ضبطت « ثلة » بضم الثاء المثلثة ، والصواب فتحها . جاء في اللسان والقاموس : الثلة ، بفتح الثاء ، جماعة الغنم ، والثلة ، بضم الثاء ، الجماعة من الناس (وانظر المختار من شعر بشار : ٢٥٦) .

---

(١) استشهد الواحدي والعكبري بهـذا البيت حين عرضا لشرح بيت أبي الطيب المتنبي :

أزل حسد الحساد عني بكبتهم فأنت الذي صيرتهم لي حُسَّداً

(٢) قال في اللسان (بدر) : « والبدرةُ : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف . سميت ببدرة السخلة ، والجمع : البدور ، وثلاث بدرات » .

(٣) كرر بشار هذا المعنى في شعره ، من ذلك قوله (الديوان ٢ : ١٦٠ ، أمالي الشريف المرتضى ٢ : ١٣٨ ، المختار من شعر بشار : ٢٥٥) :

من البيض لم تسرح على أهل ثلة سواماً ، ولم ترفع حداج قعود

وقوله (أمالي الشريف المرتضى ٢ : ١٣٩ ، المختار : ٢٦٠) :

وصفراء مثل الخيزرانة لم تعش ببؤس ، ولم تتبع مطية راع

٧٢ - وقال في صفة جارية (٢ : ١٠٩) :

مبتّلةٌ ، فخمةٌ ، فَعْمَة هضيم الكشح ، بوصها أرجحُ

والشطر الثاني لا يستقيم وزنا ، ولعل صوابه : هضيم الحشا ، بوصها أرجح .
والبيت من البحر المتقارب .

٧٣ - وقال يصف محبوبته عبدة (٢ : ١٣٩) :

مُكرَبٌ فوق معقد المرط منها واحتشى المرط من أباة رباحِ

وفسر الشارح المكرب بأنه العضو الممتلىء لحماً وعصباً ، ورأى ، تبعاً لذلك ، أن الصواب في البيت : « تحت معقد المرط » بدل : « فوق معقد المرط » ، لأنهم يستحسنون خصوبة الردف والفخذين ، وفسر الأباة : بالقصبة ، وأن الشاعر قصر الأباءة تخفيفاً ، ورباح : بلد بالهند يجلب منه الكافور .

ويبدو لي أن صحة البيت :

مكروبٌ فوق معقد المرط منها واحتشى المرطُ من أناةٍ رَدَاحِ

قال في تاج العروس (كرب) : « المكرب ، بضم الميم ، وفتح الراء ، من المفاصل : الممتلىء عصباً ، ووظيفٌ مكروب : امتلأ عصبا » . وقال الزمخشري في الأساس : « ومن المجاز : هو مكرب المفاصل : موثقها » . والأناةُ من النساء : التي فيها فتور عن القيام وتأنٍ . وامرأة رَداح : عجزاء ، ثقيلة الأوراك ، تامة الخَلْق ، وقال الأزهري : ضخمة العجيزة والمآكم (لسان العرب) . وبشار في ذلك جارٍ على مذاهب العرب في أوصاف النساء . قال المرار بن منقذ (المفضليات ١ : ٨٨) :

فهي هيفاء ، هضيمٌ كشحُها فخمةٌ حيث يشدُّ المؤتزرْ

وقال الحكم الخضري (حماسة أبي تمام ٢ : ١٠٦) :

تساهم ثوباهـا ، ففي الدرع رأدةٌ   وفي المرط لفّاوان ، ردفُها عَبْلُ

ومن شعر بشار في هذا المعنى قوله (١ : ١١٨) :

أزّرت دعصـــةً ، وتمت عسيبا   مثل أيم الغضـــا دعـــاه الأباءُ

وقال (٢ : ٢٨٠) :

عبل مسوّرها ، وعث مؤزرهـا   مثل المهـاة ، رداح ، نبتها رَوَدُ

وقال (٣ : ٣٠) :

عسيباً كأيم الجن ما فات مرطهـا   ومثل النقا في المرط منهـا ملبَّدا

وقال (٣ : ٢٤٥) :

قد جلّ ما بين حجليها ومئزرهـــا   واهتزّ كالأيم ما عالى عن الأزُرِ

٧٤ - وقال في المديح (٢ : ١٤٧) :

من المتحرفين يـدأً وجوداً   عليَّ مديحُه ، وعليه نُجْحُ

وكلمة « المتحرفين » بالحاء المهملة والفاء ، لا معنى لها في البيت ، وقد جهد الشارح ليفسرها . وأرجح أن الكلمة مصحفة صوابها :

من المتخرقين يـدأً وجودا   . . . . . .

قال في اللسان : « تخرّق في الكرم : اتسع . والخِرّقُ ، بالكسر ، الكريم المتخرّق في الكرم ... ويقال : هو يتخرّق في السخاء : إذا توسع فيه . وأنشد ابن بري للأبيرد اليربوعي :

فتى ، إن هو استغنى تخرّق في الغنى   وإن عضّ دهرٌ لم يضع متنه الفقرُ[(١)]

(١) البيت من حماسية رواها أبو تمام في باب المراثي (الحماسة ١ : ٤٥٤)

... قال ابن الأعرابي : رجل مخراق ، وخِرْق ، ومتخرّق : أي سخيّ » وجاء في الأساس (خرق) : « وفلان خِرْقٌ : يتخرق في السخاء ، يتسع فيه . وهو منخرق الكف بالنوال، ومخروق الكف :لا يليق شيئاً».

٧٥ – وقال بشار يذكر سعدى وما أثارته في نفسه (٢ : ١٥٩) :

أهبت بنات الصدر بعد رقادها فأصبحن قد وافين غير رُقود

جعل الشارح « أهبت » بمعنى زجرت الإبل ، من الفعل « أهاب » ، وفسّر بنات الصدر بعزائم النفس . وهو تفسير لا تؤيده كتب اللغة . ولعل الصحيح أن الفعل إنما هو « أهبّ » بمعنى أيقظ ، لحقت به تاء التأنيث . لأن الشاعر يتحدث عن سعدى التي أثارت في نفسه الهموم ، وبعثت الأشواق والأفكار ، بعد أن كانت نائمة . وهو معنى مألوف طرقه الشعراء ، وقد تأتى له بشار واصطنع له هذا الطباق الجميل بين الإهباب والرقاد . قال في الأساس (بنى) : غلبتني بنات الصدر ، وهي الهموم، وقال في اللسان : هبّ من نومه : انتبه ، وأهبّه : نبّهه .

٧٦ - قال بشار (٢ : ١٧٣ – ١٧٤) :

يقول إذ أبصرني مقبلاً في القوم معتمّاً ولم أرتد
لفارغ مما بـه شغله لم يشجَ بالحبّ ولم يشهد

وأرى أن « لم يشهد » محرفة ، صوابها : « لم يسهد » بالسين المهملة . قال في اللسان : « سهِد ، بالكسر ، يسهَدُ سَهَداً وسُهُداً وسُهاداً : لم ينم . . . وقد سهّده الهمُّ والوجع » . ولبشار أبيات عدة يصف فيها ما يعتري المحبّ من الهم والسهد كقوله (٢ : ١٩٢) :

فالقلب صبٌّ معنّى حين يذكرها والعين عبرى تقاسي الهمَّ والسهدا [١]

٧٧ – وقال يتحدث عن عبادة وما تلقاه من حسد جاراتها «وقديماً كان في الناس الحسدْ» (٢ : ١٧٥ – ١٧٦):

يحسدن منها قصباً مائلاً للقُلْب والخلخال والمعضد [٢]

والدر والياقوت يحسدنها مناطةفي الأوضح الأجيد

وقال المراجعان في التعليق: «مناطة: معلقة»، وهو تفسير لا تجيزه العربية، فناط فعل ثلاثي. قال في اللسان: «ناط الشيء ينوطه نَوْطاً: علّقه.. ويقال: نيط عليه الشيء: عُلّق عليه. قال رقاع ابن قيس الأسدي:

بلاد بهـا نيطت عليّ تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابُها

... ونيط به الشيءُ أيضاً: وُصل به.. يقال: نطتُ هذا الأمرَ به أنوطه، وقد نيط به، فهو منوط... ورجل منوط بالقوم: ليس من مصاصهم. قال حسان:

وأنت دعيٌّ نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدحُ الفردُ».

وقد لاح لي في تصحيح البيت وجهان:

الأول، وهو الراجح: مناطَه في الأوضح الأجيد،

ومناط، بفتح الميم، اسم مكان، أي موضع تعليق الدر والياقوت. ولا ضير في إفراد الضمير العائد على «الدر والياقوت» فان المعنيّ بهما مفرد، وهو العقد. وعلى هذا التقدير يجوز في «الدر والياقوت» الرفع على الابتداء، وأرجح منه النصب على الاشتغال.

---

(١) وانظر ديوان بشار ٢ : ٢٩١، ٢٩٩، ٢٧٠، ٢٧٩، ٣ : ٣

(٢) انظر ما علق به المراجعان على تفسير الشارح لهذا البيت (٢ : ١٧٥ – ١٧٦)، وما سبق أن علقنا به في الرقم (١٤).

الوجه الثاني ، وهو مرجوح : "منتاطة" في الأوضح الأجيد

يقال : انتاط به : تعلّق . وعلى هذا التقدير يجب في : « الدر والياقوت » النصب ، والتقدير : يحسدنها الدرَّ والياقوتَ . قال في اللسان : « حسده على الشيء ، وحسده إياه ، قال يصف الجن مستشهداً على حسدتك الشيء بإسقاط على :

أتوا ناري فقلت : منون أنتم ؟ فقالوا : الجنُّ ، قلتُ : عِموا ظلاما

فقلت : إلى الطعام ، فقال منهم زعيم : نحسد الإنس الطعاما

وقد يجوز أن يكون أراد : على الطعام ، فحذف وأوصل » .

٧٨ – قال بشار (٢ : ١٨٤) :

يا ويحها طفلةً خلوتُ بها ليست ذنوبي فيها من العدد

فأعهدينا من الظنون على تبـ ـليغ واشٍ من قول ذي حسد

ضبطت « طفلة » بكسر الطاء المهملة ، والصواب أن تضبط بفتح الطاء المهملة . قال في اللسان : « الطفل ، بالفتح : الرخص الناعم . والأنثى : طَفْلة ، قال الأعشى :

رَخصةٌ ، طفلةُ الأنامل ترتبُّـ ـهُ سُخاماً تكفّه بخلال [1]

... ويقال : جارية طَفْلة : إذا كانت رخصة ... والطِفل والطِفلة [بكسر الطاء المهملة] : الصغيران » .

– وفصلت كلمة « تبليغ » في البيت الثاني ، فأثبت التاء والباء في صدر البيت ، وبقية الكلمة في عجزه ، والقصيدة من المنسرح ، وحقُّ كلمة « تبليغ » أن تقع كلها في مطلع العجز .

---

(١) الشاهد من قصيدة الأعشى الشهيرة في مديح الأسود بن المنذر اللخمي والتي مطلعها :

ما بكاءُ الكبير بالاطلالِ وسؤالي ، وهل تردّ سؤالي ؟

– بقي قوله : « من قول ذي حسد » ، وكلمة « من » لا محل لها ، وهي محرفة عن واو العطف . وطالما تحدث الشعراء عن الوشاة والحاسدين . قال بشار (٢ : ١٦٤) :

فلما ذكت عين وأشرفت العدا وجاهرنا واشٍ ، ودبّ حسودُ

وقال أبو نواس (د : ١٩٧) :

حتى إذا ما أتي صدرتُ به عن كل واش ، وعن ذوي الحسدِ

وقد جاء بيت بشار على وجهه الصحيح ، عروضاً ورواية ، في الديوان (٣ : ٧) .

٧٩ – قال بشار (٢ : ٢٠٣) :

وعناقُ خلال ذاك تداوي به الصدى

ضبطت « تداوي » بتاء المضارعة المثناة من فوق ، وأظنها من خطأ المطبعة ، والصواب : « نداوي » بنون المضارعة ، لأن الشاعر يخاطب حبابة ، ويتحدث إليها .

٨٠ – قال بشار (٢ : ٢٠٣) :

قد كنتُ آملُ من نُعْمٍ مودتها فما وأتْ لي ، وما جاءت بموعودِ

ورد « جاءت » بالهمزة ، وهي محرفة عن « جادت » بالدال المهملة . وأظنها من خطأ المطبعة . قال في اللسان : « الموعود : من المصادر التي جاءت على مفعول » . ومن قول بشار (٢ : ٢٧١) :

إن لم تجودي بموعود فلا تعدي ما أقبح الوعد حتى زانه الجودُ

٨١ – وقال في مديح روح بن حاتم المهلبي الأزدي (٢ : ٢٥٢):

سامٍ لزلزلة الحروب ، يظله خرق المطاردْ

وضبط الشـــارح « خرق » بفتح الخـاء المعجمة وسكون الراء ، وفسرهـا بالأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح ، والمطارد جمـع مطردة ، محجة الطريق .

— ويلوح لي أن الصواب « خرق » بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء ، جمع خِرْقة بكسر فسكون . والمطارد : الرماح ، (وقد نبّه المراجعان إلى تفسير المطارد بالرماح تعقيباً على تفسير الشارح) . قال في اللسان : « والمِطْرد : رمح قصير يطرد به . قال ابن سيده : والمطرد من الرمح : ما بين الجُبّة والعالية . وجبة الرمح : ما دخل من السنان فيه » . وخرق المطارد : الرايات . فالممدوح ملك عظيم تظلله الرايات ، وتخفق فوقه . وهو معنى تداوله الشعراء ، وأكثروا من ذكره في مديح السادة الرؤساء . قال الفرزدق (النقائض ١ : ١٨٤) :

ومعصب بالتـــاج يخفق فوقه خرق الملوك ، له خميسٌ جحفلُ

قال شارح النقـائض : خرق الملوك ، يعني الرايات . وقال جـــرير (د : ٣٩٩) :

وتيم تماشيها الكلابُ إذا غدوا ولم تمش تيمٌ في ظلال الخوافقِ

وقال بشار في مديح سليمان بن داود الهاشمي (١ : ٢٣٥) :

إذا لقيت أبا أيوب في قمـــد أو غازياً فوقه الراياتُ تضطربُ

٨٢ وقال بشار في مديح روح (٢ : ٢٥٣) :

ركّـاب أهوال الملو ك ، منوياً سبل الرواعدْ

وركب الهول : من استعارات العرب الجميلة . قال تأبط شراً (شرح الحماسة للمرزوقي ٢ : ٨٣٣) :

يركبُ الهول وحيداً ولا يصـ حبه إلا اليماني الأفلْ (١)

ولكني توقفت عند قوله : « ركّاب أهوال الملوك » ، وقوله : « مناوباً » ، ورجحت أن تكون الرواية :

ركّاب أعواد الملو كِ ، مبارياً سَبَلَ الرواعِدْ

وصفه بالإمارة ، والسخاء . وأعواد الملوك : هي المنابر . وهذا المعنى ردده بشار في شعره ، قال يمدح سليمان بن داود الهاشمي (١ : ٢٣٦) :

ركّاب هول ، وأعواد لمملكة ضراب أسباب همٍّ حين يلتهبُ

وقال في مديح خداش وآل بيته من المهالبة (٢ : ٦٠) :

رُكُبٌ لعيدان الملو كِ ، عن المكارم غيرُ رائمة

وقال في مديح سفيح بن عمرو (٣ : ١٣٢) :

وركّاب أعواد المنابر لا ينى خليفة ملك للصعاليك أوحدا

٨٣ - وقال بشار في مديح روح وتغلبه على قلعة ورزن (٢:٢٥٤):

وتركت قلعة ورزنٍ كمسارب البقر الروائدْ

قال الشارح : « قلعة ورزن ، ويقال : ورزين ، من أكبر قرى الري . وكان الممدوح قد فتح الريّ كما علمت من ترجمته » . وكان بشار

(١) وقريب من هذه الاستعارة قولهم : ركب الكره ، وركب الموت ، وركب حد السيف . قال الحماسي :

ونركب الكره أحياناً فيفرجه عنا الحفاظ وأسياف تواتينا

وقال :

إذا المرء لم تغضب له حين يغضب فوارس إن قيل اركبوا الموت يركبوا

وقال :

ويركب حدَّ السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحلُ

(انظر شرح الحماسة للمرزوقي ١ : ١٠٩ ، ٢ : ٦٦٩ ، ٣ : ١١٢٩)

قد عرض لقلعة ورزن في قصيدة له أخرى يمدح بها روح بن حاتم. قال (١ : ٣٣٨) :

وعلى ورزن هجمت المنايا والمنايا في دورهم أسراب[1]

وعلق الشارح على ذلك بقوله : « ورزن : اسم مكان ، ولعله هو المسمى : أرزن ، فأبدلت الهمزة واواً للتخفيف ... » . قلتُ :

أ – الذي رأيتُ في معجم البلدان لياقوت الحموي : « ورزنين [بنونين ، على صيغة جمع ورزن جمعاً سالماً] : من أعيان قرى الريّ ، كالمدينة » . ولعل كلمة « ورزن » التي وردت في قول الشارح من خطأ المطبعة .

ب – ورزن موضع غير أرزن .

ج – ذكر الشارح أن الممدوح قد فتح الريّ ، وأنه قد ذكر ذلك في ترجمته . ولدى العودة إلى ترجمة الممدوح روح بن حاتم في الديوان (١ : ٣٣٢) لا تجد إشارة لفتحه الري والذي ذكرته كتب التاريخ والأخبار أن الممدوح شارك في فتح طبرستان حين عصت في أيام المنصور[2] .

---

(١) قال في اللسان (هجم) : « هجم على القوم : انتهى اليهم بغتة ، وهجم عليهم الخيلَ وهجم بها .... يتعدى ولا يتعدى » .

(٢) انظر أخبار روح بن حاتم في كتب التاريخ العامة – كالطبري ٩ : ١٧٨ (سنة ١٤٢ هـ ، فتحه طبرستان) ، ٩ : ٣٢٧ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ (سنة ١٥٩ هـ وسنة ١٦٠ هـ ، ولايته السند) ، ٩ : ٣٤٧ (سنة ١٦٥ هـ ، ولايته البصرة) ، ١٠ : ٩ (سنة ١٦٧ هـ ، كان على صلاة الكوفة واحداثها) ، ١٠ : ٣٣ ، ٥١ (سنة ١٧٠ هـ ، وسنة ١٧١ هـ ، ولايته افريقية) ، ١٠ : ٥٢ (سنة ١٧٤ هـ ، وفاته) ، وانظر معجم البلدان – (طبرستان) ، وفتوح البلدان للبلاذري ٣٣٠ – ٣٣٤ (فتح جرجان وطبرستان ونواحيها) ، ومختصر =

٨٤ – وقال بشار في مديح روح (٢ : ٢٥٥) :

بخؤولة قرعوا الملا وبفضل أعمام ووالدْ

جاءت الكلمة « قرعوا » بالقاف ، وأرجح أن تكون « فرعوا » بالفاء . قال في الأساس : « وفرع [الرجلُ] قومه ، وتفرّعهم : علاهم شرفا ، مثل تذرّاهم » . وقال في اللسان : « فرع فلان فلاناً : علاه . وفرع القومَ وتفرّعهم : فاقهم ، وفرعتُ قومي : أي علوتهم بالشرف أو بالجمال » . وقال بشار في مديح محمد بن أبي العباس السفاح (٣ : ٣٩) :

فرعت قريشاً في أرومتها التي عد يديه دونها كل أصيدا

٨٥ – وقال بشار (٢ : ٢٦٠) :

وثقيلة الأرداف ، مخطفة الحشا مثل الغزالة مقلتين وجيدا

قال الشارح : « أنث الغزالة التي هي الحيوان ، ولا يعرف تأنيثه في كلام العرب ، إذ الغزالة بالتأنيث هي الشمس ... » . ولكن المنقول عن اللغويين تخالف ما أورده الشارح . قال ابن سيده في المخصص (٨ : ٢٢) وهو يتحدث عن أسنان الظباء : « .... فأما أبو زيد [الأنصاري] فقال : يقال لولد الظبي حين تلده أمه : غزال ، والأنثى : غزالة ، وجماعه :

= البلدان لابن الفقيه : ٣٠٨ ، وتجد ترجمته وأخباره في تهذيب ابن عساكر ٥ : ٣٣٦ ، والبيان المغرب ١ : ٨٤ – ٨٥ ، والحلة السيراء لابن الابار ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ، والاعلام للزركلي ٣ : ٦٣ .

الغزلان »[١] . وقال في اللسان (غزل) : « والغزال من الظباء : الشادن قبل الإثناء حين يتحرك ويمشي . وتشبه به الجـارية في التشبيب فيذكّر النعتُ والفعلُ على تذكير التشبيه ... والجمع : غزلة وغزلان مثل غلمة وغلمان ، والأنثى بالهاء [أي : غزالة] ... » . ومن كلمات الزمخشري في الأساس (جدي) : « ولها جيد جداية : وهي الغزالة » . وذكر الخفاجي في شرح درة الغواص : ٢٩ ، أن الصفدي أنكر في شرح لامية العجم أن تكون الغزالة مؤنث الغزال ، وقال : لم يسمع إلا بمعنى الشمس، وردّه الدماميني ، وأورد له شواهد .

٨٦ – قال بشار (٢ : ٢٦١) :

ألا من لصبٍّ عازبِ النوم ساهد ومن لمحبٍّ مُثْبَتٍ للعوائـدِ

قال الشارح : « مثبت ، بفتح البـاء الموحدة : اسم مفعول من : أثبته إذا قتله » . وهذا التفسير لا يلائم معنى بيت بشار ، ولا تساعد عليه كتب اللغة . ولعله سهو من الشارح . قال في اللسان (ثبت) : « وأثبته السقمُ : إذا لم يفارقه ، .... والمُثْبَتُ : الذي ثقل فلم يبرح الفراش ، والثِباتُ : سير يشدّ به الرحل ، ... ورجلٌ مُثْبَتٌ : مشدود بالثِباث ، ... وفي حديث مشورة قريش في أمر النبي ﷺ ، قال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ، وفي حديث أبي قتادة : فطعنته

(١) كنت اطالع بأخرة كتاب الفرق لثابت بن أبي ثابت (ط . الرباط ، بتحقيق الأستاذ محمد الفاسي ، ١٩٧٣) فوجدت فيـه (ص : ٨٩) : « ويقال له : غزال ، والأنثى : غزالة ، من حين تلده أمه إلى أن يبوع بَوْعا . وبَوْعُه : سعيه » .

فأثبته : أي حبسته وجعلته ثابتاً في مكانه لا يفارقه . وأُثبت فلان (بالبناء لما لم يسمّ فاعله) ، فهو مُثْبَت : إذا اشتدت به علته . أو أثبتته جراحة فلم يتحرك . وقوله تعالى : (ليثبتوك) [سورة الأنفال ، آ : ٣٠] : أي يجرحوك جراحة لا تقوم معها » .

وترددت كلمة : « مثبت » في أشعار بشار بما يلائم هذه المعاني التي أوردها اللغويون . قال بشار ينسب بعبدة (١ : ٢٢٠) :

أعبيد ، قد أثبته بهوىً   في مضمر الأحشاء لاهبُه

وقال بشار يخاطب فؤاده (٣ : ٢٣) :

أقول لمثبت وبه حراكٌ   يمٌ ولا يسمّح بانقيادِ

وقال يخاطب كاعباً وخريدا (٣ : ١٤٣) :

أطلقا ، يا هديتا ، عن أسيرٍ   مُثْبَتٍ من هواكما في قيودِ

وكان تفسير الشارح لمعنى : « أثبت » و « مثبت » في البيتين الأول والثاني صحيحاً ، يطابق ما أجمع عليه اللغويون . فسبحان من لا يسهو !

٨٧ — وقال بشار (٢ : ٢٧٠) :

يادام ، كنت لحاجاتي وصاحبتي   حتى اشتكيت وغال النوم تسهيدُ

قال الشارح : « دام : اسم امرأة ، سميت بالفعل ، كما سموا : جلا » . ولعل كلمة « دام » محرفة عن « رام » بالراء المهملة ، منادى مرخم رامة . وهو اسم معروف ، سمّي به العرب ، وورد في شعر بشار ، قال (٣ : ١٥٣) :

يا رام ، قومي اصبحينا غير تصريد لا تبخلي ، ليس ذاك البخل كالجودِ

٨٨ – قال بشار في صفة حاله (٢ : ٢٨٢) :

أقام في بلد حتى بكى ضجرا من بعضها ، وبكت من بعضه بلدُ

ضبط : « بعضها ... بعضه » بالعين المهملة ، ولعل الصواب أن تكونا بالغين المعجمة . ومثل هذا المعنى أوحى للشاعر الأندلسي أن يقول :

مللت حمص وملتني فلو نطقت كما نطقت تلاحينا على قدَرِ

٨٩ – قال بشار من قصيدة يمدح بها المهدي وابنه موسى (٢٨٨:٢):

وأنت يا سيد الإسلام سيدهم وكل دين له من أهله سندُ

ولعل رواية البيت : وأنت يا سند الاسلام ، بالنون ، ليتسق البيت ويتلاءم صدره وقافيته .

٩٠ – وقال في ذكر جند خراسان (٢ : ٣٠٣) :

لا يفشلون ولا ترجى سقاطتهم إذا علا زأر آساد لآسادِ

والسقاطة ، لا مورد لها في البيت ، ولا توافق نسقه . والصحيح : ولا يُرجى سقاطُهم ، قال اللغويون : السقاط (بوزن كتاب) : العثرة والزلة ، ويقال : فلان قليل العثار ، ومثله : قليل السقاط . ويقال : سَاقَط فلانٌ : إذا لم يلحق ملحق الكرام . قال سويد بن أبي كاهل اليشكري (المفضليات ١ : ١٩٧) :

كيف يرجون سقاطي بعدما جلَّلَ الرأسَ مشيبٌ وصلَعْ

وقال يزيد بن الجهم الهلالي (شرح المرزوقي على حماسة أبي تمام ٤ : ١٧٣٠) :

رجوت سقاطي واعتلالي ونبوتي وراءكِ عني طالقاً ، وارحلي غدا

وقال جرير (د : ١٧١) :

أبنو قفيرة يبتغون سقاطنا حُشرتْ وجوهُ بني قفيرة سودا

وقال ذو الرمة في رجزٍ له :

لا يُتَشكّى منّيَ السقاطُ

٩١ — قال بشار في فتنة المقنع ، وغلبة المهدي عليه (٢:٣٠٦):

مثل المقنع في ضرب له سلفوا أذباح أصيد الأبطـال صيّادِ

وذكر الشارح أن المقنـع ظهر بخراسان في سنة ١٩٥ ﻫ ، وهو ، لا شك ، خطأ مطبعي صحته : ١٥٩ ﻫ ، تبعاً لما أورده ابن الأثير في الكامل .

٩٢ - قال بشار يمدح المهدي ويشيد بما قام به أبوه المنصور وعمه السفاح من توطيد الملك لبني العباس . (٢ : ٣٠٩) :

قاما بما بين يعبور إلى سبل مستظلعين بتُبّاع وقُوّادِ

واستظهر الشارح أن تكون كلمة « يعبور » ، بياء تحتية ، وعين مهملة ، اسم بلد من أقصى بلاد الاسلام في تلك الأزمـان . وقد رأيت أن أعرض الشواهد التي جاء بها الشارح ، وأضم إليها شواهد أخرى ، وأضع ذلك كله أمام القارىء الكريم ، لأني لم يتح لي أن أقطع برأي .

قال بشار يهجو حماداً في بيت اعتوره التحريف (٣:٢٩٩) :

ضعضعت حبة جلده بقصيـدة وردت قريش دونهـا يعبورُ

وقال بشار ينوه بشعره (الأغاني ٣ : ٢٤١) :

وقد ملأت البلاد ما بين يعْـ ـبور إلى القيروان فاليمنِ

وقد أصلح محقق الأغاني كلمة « يغبور » فجعلها « فغفور » . وقال هارون مولى الأزد شاعر المولتان (الحيوان ٧ : ١٨٠) :

قد كنتُ صعّدت عن بُغبور مغترباً حتى لقيت بها حلف الندى حكما

وذكر المحقق أن مخطوطتي : ط ، ه روتا الكلمة « يعبور » بالياء المثناة التحتية والعين المهملة . وقال الفرزدق يهجو عبد الرحمن بن الأشعث الذي فر عقيب الثورة على الحجاج ، إلى بلاد الترك ، يهزأ منه ومن زوجه (الديوان ١ : ٢٩٩) :

تؤامرها في الهند أن تلحقا بهم وبالصين صين استان أو ترك بغبرا

وضبطت « بغبرا » في مخطوطة أيا صوفيا بفتح الباء الموحدة الأولى وسكون الغين المعجمة وضم الباء الموحدة الثانية ولم يعقب عليها شارح الديوان بشيء . وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي وهو يتحدث عن الصين : « قال ابن الكلبي عن الشرقي : سميت الصين بصين ، وصين وبغر ابنا بغبر بن كماد بن يافث ، ومنه المثل : ما يدري شغر من بغر ، وهما بالمشرق ، وأهلها بين الترك والهند . قال أبو القاسم الزجاجي : سميت بذلك لأن صين بن بغبر بن كماد أول من حلها وسكنها » . وجاء في معجم البلدان (قرميسين) : « وبقرميسين الدكان الذي اجتمع عليه ملوك الأرض ، منهم : فَغْفُور ملك الصين ، وخاقان ملك الترك ، وداهر ملك الهند ، وقيصر ملك الروم ، عند كسرى ابرويز » . وجاء في تاج العروس (بغبر) : « وبُغْبُور ، بالضم ، لقب ملك الصين ، ويقال له : فُغفور أيضاً . وجاء في الآثار الباقية للبيروني : ١٠١ : « ملوك الصين : بغبور » .

وجاء في كتاب نخبة الدهر لشيخ الربوة : ١٤٩ ، « والقامرون : اسم ملك الملوك ، كما يسمى ملك الصين : بغبور ، وملك الصنف : مهراج ، وملك الهند : قندهار ، وملك الفرس : كسرى ، وملك اليمن : تبّع ، وملك الروم : قيصر ، وملك مصر : فرعون ، وملك الحبشة : نجاشي ، وملك الشام : هرقل ، وملك الفرنج : الباب ، وملك الساحل : البربر ، وملك التتر : الخان » . وجاء في النخبة أيضاً : ٢٤٠ ، « وغانة : اسم علم على كل من يملك هذا الصقع ، كما يطلق البغبور : على من يملك الصين ، وقاقان : على من يملك الترك » . وقال المعري في رسالة الغفران (ص:٢٠٢) على لسان الجني أبي هدرش الخيثعور ، أحد بني الشيصبان :

وكنت آلف من أتراب قرطبة خوداً ، وبالصين أخرى بنت يغبورا

هذه جملة النصوص والشواهد ، ولعلنا لا نبعد عن الصواب إذا قلنا أن الكلمة « بغبر » أو « بغبور » تعني الأرض المترامية الأطراف فيما وراء النهر ، التي تضم سمرقند وبخارى حتى تبلغ تخوم الصين ، ومن هنا جاز للشعراء أن يضيفوها إلى الترك تارة وإلى الصين تارة أخرى . بل إن هذه الكلمة تتضمن الدلالة على الأرض تارة ، وعلى مليكها تارة أخرى .

٩٣ – وقال يهجو أبا هشام الباهلي (٢ : ٣٢١) :

يا عبد باهلة ابتليت بحية فتركت طاعتنا ، ورحت تهدد

وكان يصح قوله : « ابتليت بحية » لو كان مراد الشاعر أن يصف نفسه بالحية التي لا يقام لها ، والتي تنال بأذاها أبا هشام المهجو . وهو معنى مألوف طرقه القدماء ، ووصفوا به أنفسهم مفاخرين ، مدلّين ،

وأضفوه على ممدوحيهم يشيدون بشجاعتهم ، وقهرهم الأعداء ، وردده بشار نفسه في شعره . قال جرير (د : ١٤٠) :

ما ظنكم ببني ميثـــاء أن فزعوا ليلًا ، وشدّ عليهم حيـــةُ الوادي

وقال بشار يمدح المهدي وولي عهده موسى فشبه أحدهما بالأسد والثاني بالحية (٢ : ٣٠٨) :

بين الإمام وموسى لامرىء شرف هذا الهمامُ وهذا حيـــةُ الوادى

وقال (٣ : ٩٦) :

تخـدم أقواماً وخليتني وقد تراني حيـة الوادي

ولكن سياق البيت وما يليه يدل على أن الشاعر يتعجب لاقدام أبي هشام على هجائه ، ولجرأته أن يتعرض له ، وهو لا يصدق أن يقدم على ما أقدم عليه ، وهو بتمام عقله ، ولذلك فهو يقول له : « ابتليت بجنة » (بالجيم المكسورة والنون المشددة) .

٩٤ – وقال في هجاء أبي هشام (٢ : ٣٢١) :

وكذاك عبـد السوء يشتم ربه سفهاً، ولكن هل تجاب الأعبد ؟

ضبط « السـوء » بضم السـين ، والصواب فتحها . جاء في التـاج : « ورجلُ سَوءٍ بالفتح (فتح السين) ، أي يعمل عمل سَوْءٍ ، وإذا عرفته وصفت به ، تقول : هذا رجل سَوْءٍ ، بالإضافة ، وتدخل عليه الألف واللام فتقول : هذا رجلُ السَّوْء ، بالفتح والاضافة ... ولا يقال : هذا رجل السـوء بضم الســين .... وإذا عرفت قلت : هذا الرجلُ السَّوْءُ ، ولم تُضف » .

٩٥ – قال بشار يفتخر (٢ : ٣٢١) :

تجري من الذهب المصنم راحتي كرماً ، وناري باليفاع توقّدُ

وفسر الشارح « المصنم » بالنون ، بأنه المرسوم عليه صورة الصنم .
وأميل إلى أن تكون الكلمة : « المصتم » بالتاء المثناة من فوق . قال في اللسان : « ألف مصتم : متمم ، وألف صتم : أي تام . ومال صتم : تام ، وأموال صُتْم . . . وأعطيته ألفاً صَتْما ومصتما . قال زهير :

. . . . صحيحات ألف بعد ألف مصتَّم[1] » .

وقال ذو الرمة :

يعرّضه الألوفَ مصتّماتٍ مع البيض الكواعب والحلالا

وقال بشار (١ : ٣٣٠):

أعطى من الصتم والولائد والـ عُبدان حتى حسبته لعبا

وهذا الذي اخترته هو أحد وجهين اقترحهما المراجعان .

٩٦ ـ قال بشار في هجاء الباهلي (٢ : ٣٢٢) :

مولاك أرقب من ربيعة عامر . . . . .

فذكر الشارح أن ربيعة عامر هم بنو ربيعة بن عامر بن عقيل ، وهو حصر لا دليل عليه ، فقد يكون المقصود :

ربيعة بن عامر بن صعصعة . (وهو مانرجحه لولاء بشار فيهم) . .
أو ربيعة البكاء بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

إلى جانب ما ذكره الشارح نفسه (انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم) .

٩٧ ـ وقال في الهجاء (٢ : ٣٢٢) :

---

(١) البيت بتمامه في معلقة زهير :
فكلا أراهم أصبحوا يعقلونه صحيحات ألف بعد ألف مصتّم

فتركت عقر قناتكم عند امرىء　　جمع الشبابُ به الأنيقُ الأغيدُ

وقال (٢ : ٣٢٣) :

يا عبد باهلة الذي لزم الخنا　　وأضاع عقر قناته لا تسعدُ

ضبطت « القناة » ، بالقاف والنون في البيتين ، وأجهـــد الشارح نفسه في تفسيرها . وأرى أن صحتها في الموضعين : « الفتاة » ، بالفاء والتاء المثناة من فوق : عقر فتاتكم . . . . عقر فتاته .

إن بشاراً يرميهم بالفاحشة والذل ، وأن نساءهم تغتصب ، قال في اللسان : « العُقْر ، بالضم : ما تعطاه المرأة على وطء الشبهة ، . . . . وقال أحمد بن حنبل : العقر : المهر ، وقال ابن المظفر : عقر المرأة : دية فرجها إذا غصبت فرجها . . . وقال الجوهري : هو مهر المرأة إذا وطئت على شبهة ، فسماه مهراً » . فبشار يهجوهم هجاء بذيئاً يذكّر بهجاء جرير الفرزدق في مثل قوله (النقائض : ٣٤١) :

نام الفرزدقُ عن نوارَ كنومه　　عن عُقْر جِعْثِنَ ليلة الإخفارِ

وقوله (النقائض : ٥٩٣):

وما قَصَدَتْ في عُقْر جعثن منقرٌ　　ولكن تعدوا في النكاح وأسرفوا

. . . . . .　　فضُيّع فيها عُقْرها المتردَّفُ

وقوله (النقائض : ٥٩٦):

وما منع الأقيانُ عُقْر فتاتهم　　. . . . . .

وقوله (النقائض : ٧٠٨) :

أتمدح سعداً بعد أسلاب جاركم　　وجرُّ فتاةٍ عُقْرُها لم يُحلَّلِ

وقوله (النقائض : ٧٧٨):

نسيتم عُقر جعثن واحتبيتم ألا تبّاً لفخرك بالحُبـــاة

وقوله (النقائض : ٨٤٥) :

هلا طلبت بعُقر جعثن منقراً وبجرها ، وتركتَ ذكر الأبلق

وقوله (النقائض : ٩٣٦):

أخزى بني وقبان عقرُ فتاتهم واغترّ جارهم بحبل غرور

وقد أعاد بشار القول في هجاء باهلة وبني زيد فقال (٣ : ٨٦).

بل افترُعتْ منهم فتاةٌ وسيطةٌ فمـــا قدحوا في عُقرها بزنادِ

٩٨ - يذكر الشارح أن قصيدة بشار التي مطلعها (٢ : ٣٢٦) :

أنّى شبابُك قد مضى محمودا ودع الغواني إن اردن صـدودا

هي في مديح قتيبة بن مسلم الباهلي وآله وذكر مواقعه ، ولعل الصواب أن يقال : هي في مديح سَلْم بن قتيبة بن مسلم الباهلي ، والاشادة بأبيه قتيبة ، وآله من سراة بني الحصين .

٩٩ - وقال بشار يصف نحر المرأة (٢ : ٣٢٩) :

وكفى بمضطرب العقود ، فانه نحـــر يزين زبرجداً وفريدا

ضبط « مضطرب » بكسر الراء ، والصواب : فتحها . لأنهـــا صيغة اسم المكان ، فالشاعر يتحدث عن نحر محبوبته الذي تضطرب عليه العقود وتتحرك ، لا عن العقود المضطربة فيصحّ كسر الراء .

١٠٠ - وقال بشار يتحدث عن معارك أبي حفص قتيبة بن مسلم الباهلي أبي الممدوح (٢ : ٣٣٥) :

قاد الجنود من البصيرة للعدا حتى وقعن بصين ثغر قُودا

خيلًا مخففة ، وخيلاً حُسراً لا يعتلجن مع الشكائم عودا

وكلمة « الجنود » في صدر البيت الأول محرفة عن « الخيول » (بالخاء المعجمة والياء المثناة من تحت) ، يدل على ذلك قوله : « وقعن ... قودا » في العجز ، فنون النسوة التي أسند اليها الفعل وقع ، لا يصح أن تكون ضمير الجنود ، والقود : من صفات الخيل لا الجنود . وبهذا التصحيح يستقيم مطلع البيت الثاني :

خيلًا . . . . وخيلًا حسرا . . . .

لأنها بدل من الخيول التي وردت في البيت الأول .

— وكلمة « ثغر » (بالثاء المثلثة والغين المعجمة) في البيت الأول ، في النفس منها شيء ، ويخيّل إليّ أنها محرفة عن كلمة « بغر » أو « بغبر » ، انظر ما سبق (رقم ٩٢) .

— أما البيت الثاني ففي شطره الأول تصحيف ، وصحته :

خيلًا مجففة ، وخيلًا حسرا . . . . . .

قال في اللسان : « فرس مجفف : عليه تجفاف . وتجفيف الفرس : أن تلبسه التجفاف الذي يوضع على الخيل من حديد أو غيره في الحرب » . وفي الاساس : « جفف أهل الحرب : صنعوا التجافيف » وفي تاريخ الطبري (٥ : ٣٤٤) : « وإن معه لمجففة أمامه » . وبذلك يتألق معنى بشار الذي يصف به قوة القائد العظيم فاتح بلاد الترك ، وحسن تأهبه للقاء اعدائه ، وتتم له الصنعة الجميلة التي كان يزين بها أشعاره .

١٠١ – وقال يصف خيل قتيبة بن مسلم وما أنزلته بالأعداء (٢ : ٣٣٦) :

ومنعن خاقان المسارح ، فانثنى عجلا ، يشلّ سوامه مزؤودا

والمعنى واضح لا غموض فيه ، فقد تغلب جند قتيبة على أرض خاقان الترك ، ومضى خاقان مهزوماً يطرد السائمة ، والمال الراعي ، خائفاً يبتغي النجاة . وقد رأى الشارح أن تغير المسارح إلى المسالح ، باللام بدل الراء ، ولا حاجة لهذا التغيير ، لأنه يفسد المعنى ، ويبدل الفكرة . وما في الديوان صحيح مستقيم ، يتسق ومقصد الشاعر وغايته ، ويلائم بقية الأبيات . قال في اللسان : « السرح : المال يسام في المرعى ، من الأنعام . والمسرح ، بفتح الميم ، مرعى السرح ، وجمعه المسارح . سرحت الماشية ؛ وسرحها هو : أسامها . يتعدى ولا يتعدى » . والسوام يرعى المسارح ولا صلة له بالمسالح .

– بقي أن ننبه إلى خطأ مطبعي فقد ضبطت المسارح بالكسر ، وصوابه النصب على أنه مفعول به ثان لمنع .

١٠٢ – وقال بشار (٢ : ٣٣٧) :

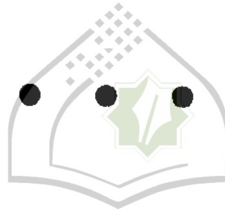
وأبو قتيبة في الكريهة مثله أسد يرشح للقاء أسودا

فقال الشارح : « أبو قتيبة ، هو مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي » . والحق أن الشاعر يمدح بهذا البيت : سلم بن قتيبة ، ممدوحه ، فبعد أن أطال في وصف مناقب أبيه قتيبة فاتح بلاد الترك عطف على ابنه الممدوح ليجعله ندّ أبيه ونظيره في الشجاعة واللقاء . وإن كتب التراجم والأخبار تؤيد ماذهبنا إليه . جاء في كتاب المعارف لابن قتيبة :

« قتيبة بن مسلم الباهلي ويكنى أبا حفص - هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين ... من باهلة .

وكان مسلم بن عمرو [يعني أبا قتيبة] عظيم القدر عند يزيد بن معاوية ، ويكنى أبا صالح ...

... فأما سلم [بن قتيبة بن مسلم] فولي البصرة مرتين : مرة لابن هبيرة ، ومرة لأبي جعفر [المنصور] ، وكان سيد قومه ، ومات بالري . وكنيته أبو قتيبة » .



– للبحث صلة – شاكر الفحام

مسالك النقد اللغوي

المصدر الصناعي

الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي

المصدر الصناعي ، كما أسمي عند المتأخرين ومجمع اللغة العربية في القاهرة ، هو اسم المعنى الذي صيغ من الكلمة بإضافة ياء النسبة وتاء النقل ، للدلالة على معنى المصدر وحقيقته المطلقة — دون حدثه — أو التعبير عن الحال والهيئة الحاصلة بالمصدر : كالخصوصية والوحدانية والكمية والكيفية والإنسانية والحيوانية والفاعلية والمفعولية . وجاء في مجلة المجمع القاهري (١ / ٢١٥) : (إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء) .

وقد عرضنا في كتابنا (أخطاؤنا في الصحف والدواوين) المطبوع عام ١٩٣٩ للمصدر الصناعي في ردّنا على من عاب استعمال لفظ (المسؤولية) ،

فذكرنا أن قياسه يعتمد على ماجاء منه عن العرب ، كالعبدية والعبودية والحرية ، والحرورية واللصوصية والخصوصية ، بفتح الأول وضمه في الألفاظ

الثلاثة ، والوحدانية والربوبية ... وقد حكي عنهم (المولوية) صفة المولى ، و (الأوليَّة) صفة الأول ، كما روي (الألمعية والأريحية) . قال ابن سيده في المخصص (وشيخ بين الشيخوخية ..) وقال (.. ووليدة بيّنة الولادة والوليدية) ، وجاء في التاج (الوُلودية) وحُكي فيها ضم الواو وفتحها . فكان بطرد ذلك والقياس عليه ما لا يحصيه عدّ من مصطلحات الفلسفة ومواضعات مختلف العلوم .

وقد بحث هذا المرحوم الأب أنستاس ماري الكرملي في مجلة مجمع اللغة العربية لآذار ونيسان من عام ١٩٣٧ . فاعتلّ لقياس صياغته بما جاء في شرح ديوان المتنبي للعكبري ، حول انتقاد سيف الدولة بعض أبيات المتنبي ، وقول المتنبي : (والحائك يعرف جملته وتفاريقه ، لأنه هو الذي أخرجه من الغزليّة إلى الثوبيّة) . إذ صاغ الشاعر (الغزلية والثوبية)، وقد خلت منها المعاجم ، فدل بهما على حال الثوب وحقيقته وهو (غزل) قبل أن ينسج ، والهيئة الحاصلة له بعد النسج .

وقال ابن جني في سر الصناعة (١/١٨٧) : (وكذلك تاء تجفاف ، لولا الاشتقاق لوجب القضاء بأصليّتها)، فصاغ (الأصليّة) من الأصل، كما صاغ المتنبي (الثوبية والغزلية) من الثوب والغزل .

وجاء في نهج البلاغة (١/١٩٤) : (الأول قبل كل أول ، والآخر بعد كل آخر ، بأوليته وجب أن لا أول له ، وبآخريته ، أن لا آخر له) . فجاء بـ (الآخريّة) على قياس (الأوّليّة) .

وجاء فيه (٢/٨١) : (ليس لأوليَّته ابتداء ولا لأزليَّته انقضاء . هو الأول لم يزل ، والباقي بلا أجل) . فكأنه يشير إلى أن (الأزلية)

اسم مصدر من قولك (لم يزل) . قال الجوهري في صحاحه (الأَزَلُ بالتحريك القِدم ، يقال للقديم أزلي ، ذكر بعض أهل العلم أن أصل الكلمة قولهم للقديم لم يزل ، ثم نسب إلى هذا فلم يستقم إلا باختصار ، فقالوا : يَزَليّ ، ثم أبدلت الياء ألفاً لأنها أخف ، فقالوا : أزلي ، كما قالوا في الرمح المنسوب إلى ذي يزن أزَنيّ) .

وفي نهج البلاغة أيضاً (١٤٥/٢) : (ولا يوصف بشيء من الأجزاء ولا بالجوارح والأعضاء ولا بالغيرية والأبعاض) فأتى بـ (الغيريّة) اسم مصدر من (الغير) .

هذا وقد استعمل الامام أبو علي المرزوقي في كتابه (شرح ديوان الحماسة) : (الفتيانيّة) ، وهو اسم مصدر صناعي من (فتيان) . وفتيان اسم قبيلة والنسبة إليه (فتياني) . قال صاحب التاج (بنو فتيان أيضاً قبيلة منها أشجع ، وهو فتيان بن سبيع بن بكر بن أشجع)، وأردف : (وفي بيت المقدس جماعة يعرفون بالفتيانيين ، فلا أدري أهم من بجيلة أو أشجع ، أو نسبوا إلى جدّ لهم يقال له فتيان) .

وجاء في شرح الحماسة للمرزوقي (وقال آخر :

أفي الحق أني مغرم بك هائم وأنك لا خلٌّ هواك ولا خمر
فإن كنت مطبوباً فلا زلت هكذا وإن كنت مسحوراً فلا بَرَأَ السحر)

قال المرزوقي : (وهو مطبوب أي مسحور ، ومعنى البيت : إن كان الذي بي وأقاسيه داءً معلوماً يعرف دواؤه ، فلا فارقني فإني التذّ به ، وهذا هو : الفتيانية ، والهوى والتجلد على البلاء) .

فتبين بهذا أنه قصد بـ (الفتيانية) : ذهاب المحب على وجهه ، عند

غلبة الهوى عليه، وصبره على المعاناة مهما اشتدت به الحرقة وبرح به السقم. ويبدو أنه اشتهر من (الفتيانيين) من عرف بذلك فذهب أمره مثلاً . وقد تحمل (الفتيانية) على أنها نسبة إلى (فتيان) جمع (فتى) ، كما ذهب بعض الأئمة إلى استعمال (الصبيانية) نسبة إلى (صبيان) جمع (صبي) ، ولا يخفى أن الكوفيين قد أجازوا النسبة إلى الجمع . قال أبو منصور الثعالبي في فقه اللغة (٢٨١) : (فإن مد يده نحو الشيء كما يمد الصبيان أيديهم إذا لعبوا بالجوز فرموا به في الحفرة فهو السَّدْو . والزَّدْو لغة صبيانية في السَّدو) . قال المرحوم الدكتور مصطفى جواد في كتابه (المباحث اللغوية في العراق) : (قال صبيانية لأنها مختصة بجموع الصبيان ، ولم يقل صبوية) . والرأي عندي أن ينسب إلى الجمع كلما كانت النسبة إليه انهض بالمعنى المراد ، وألصق بالدلالة المعنية .

وما أظن المرزوقي أراد النسبة إلى الجمع ، وإنما أراد الاضافة إلى اسم المتلم ، ولو نسب إلى الجمع لأشار إليه واعتل له ، كما هو مذهبه .

وقد عاب الأب الكرملي على مجمع القاهرة تسمية الصيغة بـ (المصدر الصناعي) فآثر عليها (المصدر المصنوع أو الموضوع أو المصوغ) . ثم أخذ على المجمع قوله : (إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء) ، فقال : (وتسمى تلك الياء ياء المصدر ولا تقل ياء النسب ، فإذا تم ذلك سميت الكلمة بالمصدر اليائي ، وسمي كذلك لاختتامه بالياء المذكورة ، وهي التسمية التي جرى عليها أصحاب الفن) .

وانتقد الدكتور مصطفى جواد على مجمع القاهرة تسمية الصيغة بالمصدر فقال : (قلت إن تسميته بالمصدر غير صحيحة لأن المصدر يعمل في

الاعراب كعمل فعله ، وهذا لا يعمل ولا فعل له في الغالب ، كالانسانية والجاهلية . والتحقيق أنه اسم يائي أو اسم نسبي أو اسم صناعي ، وكل هذه الأسماء الثلاثة تصح عليه ، دون اسم المصدر الصناعي ، ثم إن لفظ الصناعي في العصر الحاضر اختص بالصناعة الحديثة) .

والرأي عندي ما سبق إلى بيانه المرحوم الشيخ أحمد الاسكندري في مجلة المجمع القاهري (٢١٤/١) ، إذ قال : (ويظهر أن تسمية هـذه المصادر بالنظائر عند أوائل النحاة ، كما يقول ابن سيده ، لم تشتهر عند المتأخرين وأهل زماننا ، فسماه بعضهم بالمصدر الصناعي وذاعت هذه التسمية. إذ لو سمي بالمصدر اليائي لم يُفد المراد لأنه لم يتكون بزيادة الياء وحدها ، بل بزيادتها مع تاء النقل مجموعتين . وأيضاً فإن قولنا المصـدر اليائي يوهم أن المراد اليائي المقابل الواوي . ولا غبار على تسميته بالمصدر الصناعي ، أي المنسوب إلى الصناعة من ناحية من نواحيها ، فهي بمعنى المصنوع ، فيكون نظير قولهم المصدر القياسي ، بمعنى المقيس ، والمصدر السماعي ، بمعنى المسموع) .

على أني أستحب على (المصدر الصناعي) : (اسم المصدر الصناعي) . فإذا كان بعض الأئمة قد أسمى هذه المصادر بـ (النظائر) كما نقله الشيخ أحمد الاسكندري عن ابن سيده ، فقد أسماها آخرون بـ (أسماء المصادر) أيضاً . قال صاحب المزهر (١١٣/٢) : (وقال أبو عبيد في الغريب المصنف : باب أسماء المصادر التي لا يشتق منها أفعال ، هو رجل بيّن الرجولة ، وراجل بيّن الرجلة ، وحر بين الحرية والحرورية . . وعربي بين العروبية ، وعبد بيّن العبودة والعبودية) . ويعضد هذا ويسدده أن

الأئمة قد اصطلحت على تسمية اسم المعنى الذي يدل على الحال أو الهيئة الحاصلة بفعل المصدر بـ (اسم المصدر) ، كما أسمت اسم المعنى الذي ليس له فعل يجري عليه بـ (اسم المصدر) أيضاً . ففي الجاسوس على القاموس : (الفرق بين المصدر والاسم أن المصدر يتضمن معنى الفعل فينصبه مثله ، والاسم هو الحال التي حصلت من الفعل ..) . وقال ابن الحاجب في أماليه ، على ما حكاه السيوطي في الأشباه والنظائر (١٨٥/٢) : (اسم المصدر هو اسم المعنى ، وليس له فعل يجري عليه) . فتبين بهذا أن قولنا (اسم المصدر الصناعي) أسوغ من (المصدر الصناعي) وألصق بما يتميز به (المصدر) من (اسمه) . ففي التاج : (ويقال الخصوصية والخصية والخاصة : أسماء مصادر) . وفي اللسان (والاسم : الخَصوصية والخُصوصية والخصية والخاصة والخصيصَى ، وهي تمد وتقصر) .

أما قول الأب الكرملي أن الياء المزيدة في (اسم المصدر الصناعي) هي ياء المصدرية ، لا ياء النسب ، فإنه أمر اعتباري . ذلك أن أكثر أسماء المصادر الصناعية قد تحولت في الأصل عن أسماء منسوبة أنزلت منزلة الصفات المشتقة للدلالة على حال الموصوف وهيئته واستعملت كذلك ، نحو قولك : (هو إنساني أو حيواني أو كمي أو كيفي أو جزئي أو كلي). فاذا أريد التعبير بها عن جوهر حال الموصوف ومجرد حقيقته ، أحيل الوصف إلى اسم مصدر صناعي ، بإلحاق تاء النقل من الوصفية إلى الاسمية ، نحو قولك (الانسانية أو الحيوانية أو الكمية أو الكيفية أو الجزئية أو الكلية) . فحق بهذا أن تسمي الياء ياء النسب ، وعليه قول الأئمة . قال ابن سيده (فأما النظائر عندهم فما جرى على وجه النسب) . وقال

صاحب الكليات (والكيفية اسم لما يجاب به عن السؤال بكيف ، أخذ من كيف بإلحاق ياء النسبة وتاء النقل من الوصفية إلى الاسمية ، كما أن الكمية اسم لما يجاب به عن السؤال بكم . بإلحاق ذلك أيضاً) .

على أن لك أن تسمي (الياء) ياء المصدرية إذا كان الأصل الذي تحوّل عنه اسم المصدر الصناعي صفة مشتقة كـ (َفعول وفاعل ومفعول) . ففي التاج (خصّه الشيء خصوصية بالضم والفتح أفصح .. ثم قالوا : الياء فيها إذا فتحت للنسبة ، فهي ياء المصدرية كالفاعلية والمفعولية ، بناء على َخصوص ، فعول ، للمبالغة في التخصيص) . أي أن فتح الأول في (خصوصيَّة) يجعله على زنة (َفعول) التي للمبالغة ، فإذا لحقتها الياء المشددة فهي ياء المصدرية ، لأنها أحالته من معنى الوصف إلى معنى المصدر . قال صاحب الكليات (والخَصوصيّة بالفتح أفصح ، وحينئذٍ تكون صفة ، وإلحاق الياء المصدرية لكون المعنى على المصدرية والتاء للمبالغة) وعليه صاحب الفروق .

فإذا ُضمّت الخاء كانت على (ُفعول) ، وهي زنة لمصدر ، فإذا لحقت بها الياء المشددة ، كانت ياء النسبة لأنها أحالت المصدر إلى اسم منسوب بمعنى الوصف المشتق . قال صاحب الكليات (وإذا ضُمّ يحتاج إلى أن يحمل المصدر بمعنى الصفة ، والياء للنسبة ، والتاء للمبالغة) . وعليه صاحب الفروق .

وشيء آخر : فقد قال الشيخ أحمد الاسكندري بعد حكاية ابن سيده : (وأنت تراه قد نقل عن أوائل النحاة تسمية هذه الهيئات والأحوال المصدرية باسم النظائر ، وأن هذه الأحوال عبّر عن معناها بزيادة ياء النسب على المصادر الأصلية ، وتراه يقول : هذا غير مستعمل

في لغة العرب ، مع أنه ورد عنهم بضع عشرات من الكلمات سنذكر شيئاً منها ، فلعله يريد أنه نادر الوقوع ، إذ إن العرب لم تكن تريد من هذه المصادر المصنوعة بزيادة الياء والتاء كل ما يريد أرباب التدقيق الفلسفي) .

وقال الشيخ الاسكندري : (وتراه لم يتعرض لتكوين اللفظ المصدري من النسبة إلى أسماء الأعيان أو الأسماء المشتقة أو الأسماء التي تؤدي مؤدى الأدوات مثل : كيف وكم ومع . في قولهم الخشبية والذهبية والفاعلية والمفعولية والظرفية والكيفية والكمية ، كما تعرّض لذلك غيره) .

أقول إن ابن سيده قد قصّر كلامه على إلحاق الياء المشددة والتاء بالمصدر أو اسم المعنى الذي يشبهه ، ولعل هذا ماتعنيه (النظائر) . وقال : (وهذا غير مستعمل في لغة العرب) . وكلامه صحيح لا غبار عليه . قال ابن سيده : (فأما النظائر عندهم فما جرى على وجه النسب ، وهذا غير مستعمل في لغة العرب ، إنما يقولونه بوسيط كقولهم : فعل ذلك على جهة العدل ، وعلى جهة الجور ، وعلى جهة السهو ، وعلى جهة الخير ، وعلى جهة الشر . ولا يقولون : على العدلية ولا على الجورية ولا على الخيرية ولا على الشرّية) . وحقيقة الأمر أنه لا معنى لالحاق الياء والتاء بالمصدر إذا كنت تبغي معنى المصدر وحسب . فإن اتخاذ (العدليـة) بمعنى العدل ، و (الجورية) بمعنى الجور ، على ما مثل ابن سيده ، غير سائغ ولا متقبل . فالعرب لم تجْرِ به ، واللغة تأباه وتعافه ، ومن ثم لا يسعك إلا استغرابه وقضاء العجب منه ، لأنه عبث لا طائل وراءه . وهذا ما دفع الاسكندري أن يقول (أو أن العرب لم تكن تريد من هذه المصادر المصنوعة بزيادة الياء والتاء كل ما يريد أرباب التدقيق الفلسفي) .

لذلك كان الأصل في إلحاق الياء والتاء بالمصدر أو اسم المعنى عامة أن تزيد في معناه شيئاً كالمبالغة مثلاً. وقد صرح الشيخ الاسكندري، هو نفسه، بذلك فقال: (وإذا أريد التعبير عن هذه الأحوال بلفظ الجنس فقط بلا ضميمة أخرى تشير إلى إرادة شيء آخر غير مطلق الحدث أو ذات العين، تخلّف التعبير أحياناً عن إفادة المعنى الزائد على مطلق الحقيقة). وهو كلام ظاهر الاستقامة. فإذا أحلت المصدر الأصلي مثلاً، إلى اسم مصدر صناعي، فأنت تفعل ذلك ابتغاء زيادة في معناه أو خصوصية في دلالته، وهذا أسلك في طريقة العربية، بل هذا هو خاص اللغة وسرّها.

فـ (الانتاج) مثلاً مصدر. فإذا أحلته إلى اسم مصدر صناعي فقلت (الانتاجية) كما يقولونه اليوم، فلا بد أنك قد أردت به شيئاً آخر لا يمكن التعبير عنه بمجرد لفظ (الانتاج). كأن تعني به مثلاً: (خصب الانتاج) أو (قوته وشدته) أو (مبلغه) أو نحو ذلك. فإذا قال العرب (فعلت هذا على جهة العدل) ولم يقولوا (العدلية) فقد أصابوا وجه الرأي لأنهم لا يريدون بقولهم غير المعنى المصدري وحسب، فلا حاجة بهم إلى صوغ اسم مصدر يعني معناه ويُغني مغناه.

أما قول الشيخ الاسكندري (وإذا أريد التعبير عن الأحوال بلفظ الجنس فقط بلا ضميمة أخرى تشير إلى زيادة شيء آخر غير مطلق الحدث أو ذات العين)، فلا ينبغي أن يراد بـ (مطلق الحدث) فيه: إيقاع الفعل. ذلك أن اسم المصدر الصناعي لا يُبتغَى به إيقاع الفعل، كما يقصد بالمصدر، وإنما يراد به مطلق معناه مجرّداً عن الحدث، مع زيادة.

وإذا كانت (الخصوصية) بضم الخاء قد تحولت من المصدر أي

(الخصوص) إلى اسم المصدر الصناعي بإلحاق الياء والتاء ، فلا شك أنها غدت تدل على معنى (الخصوص) وزيادة . وقد أشار الأئمة إلى هذا حين قالوا : التاء فيه للمبالغة ، ذلك ما قالوه في توجيهه .

هذا وقد منع الدكتور مصطفى جواد في كتابه (دراسات في فلسفة النحو والصرف) صياغة اسم المصدر الصناعي من (الحياة) فقال : (أما الحياة فاسم غير مستغرق في الإسمية ، فيجب أن يستعمل على حاله الأصلية ، إذا أريد به حاق معناه الأصلي ، وإذا أريد غير ذلك جيء بالاسم الدال على التعبير ونسب إلى الحياة فيقال : القوة الحيوية للغة) والجواب عن ذلك أننا إذا أردنا مجرد المعنى المصدري غير وقوع الحدث ، لم نقل (الحيويّة) . لكن إذا ابتغينا أن نجمع إلى الدلالة على حال الحياة ، طبيعتها وجوهرها ، من حيث استمرار حركتها وتدفق أحداثها وتجدد صورها ، قلنا (الحيوية) وكلما ابتغينا مثل هذه (الزيادة) من معنى المصدر ، لحاجة في التعبير ، كان لنا أن نصوغ منه اسم المصدر الصناعي . فقد قال الكتاب (اتفاقية) اسم مصدر صناعي من (الاتفاق) ، وعنوا به (العُهدة أو العهد أو العقد) فزادوا في معنى (الاتفاق) . و (العُهدة) كما قال ابن سيده في المخصص (.. كتاب العهد والشراء ، والعقد العهد والجمع عقود) ! وقد رد الأستاذ محمد العدناني (صاحب معجم الأخطاء الشائعة) على من عاب (الاتفاقية) ، فاحتج بأنه (مصدر صناعي) واستدل بما جاء في الجزء الأول من مجلة المجمع القاهري حول قياسه ، ولكنه لم يعرض لفرق مابين (الاتفاق) مصدراً ، و (الاتفاقية) اسم مصدر صناعي ، من معنى ، وهو فرق ليس منه بد ولاعنه منصرف، لجواز هذه

الصيغة من المصدر . ستقول : ألم يأت الكتاب بـ (الاتفاق) اسماً ويستعملوه فيما استعملوا فيه (الاتفاقية) وينزلوه منزلته ؟ قلت نعم ، وهُوَ مِنْ قبيل (التسمية بالمصدر) ، وقد جمعوه على (اتفاقات) كما استعمل الأئمة (الابتداء) اسماً وجمعوه على (ابتداءات) ، وجمع علماء المنطق (إنتاجاً) على (انتاجات) ، على ما جاء في كتاب : القطوف الدانية ، للشيخ محمد أمين السفرجلاني (٢٨٩) . على أن الأوْلى أن يفرّق في المعنى بين (الاتفاق) المصدر الذي استعمل استعمال الأسماء ، و (الاتفاقية) اسم المصدر الصناعي المسمى به ، فيقصد بالأول (ماتم الاتفاق عليه) ويراد بالثاني (صك ما اتفق عليه) .

هذا وكثيراً ما سمى العلماء (المذاهب الكلامية) بأسماء مصادر صناعية تحولت من (المصادر) كـ (البدائية) و (والعنادية) . وقد يعنون بهذه الأسماء أصحاب المذاهب أيضاً ، على تقدير حذف المضاف . قال الجرجاني في (تعريفاته) : (البدائية هم الذين جوزوا البداء على الله تعالى) . وقال : (العنادية هم الذين ينكرون حقائق الأشياء ويزعمون أنها أوهام وخيالات كالنقوش على الماء) . وهكذا .. وفي علم الكلام وعلم البيان كثير مما جاء على صيغة (اسم المصدر الصناعي) . فمن الأول قولهم : (الأحدية والكونية والقدرية والجبرية والأولية والجمعية والربوبية والعرفية والماهية والغائية ..) . ومن الثاني في علاقات المجاز : (المصدرية والمظهرية والجزئية والكلية والسببية والمسببية والكونية والمحلية والحالية ..) .

فاتضح بضم ذلك كله والتأني له : حالُ (اسم المصدر الصناعي) وقياسه وخاصته ، وشدة الحاجة إليه في التعبير والاصطلاح ، وتحقيق المعاني ، وضبط دقيقها .

صلاح الدين الزعبلاوي

وسائل تنسيق حركة الترجمة

على مستوى الوطن العربي

الأستاذ وديع فلسطين

قبل التعرض لوسائل تنسيق حركة الترجمة على مستوى الوطن العربي ، يخلق بنا أن نتعرّض أولاً لهموم الترجمة وأوضاعها لنتبين أحوالها وظواهرها ، ثم نتطرق إلى الأسباب الداعية — في أصوب الآراء — إلى إعمال قواعد التنسيق فيها ، ارتفاعاً بمستواها ، وتحقيقاً لرسالتها ، وتأكيداً للدور الذي تضطلع به في خدمة الفكر العربي ، وتأتياً لأجزل الفوائد على الحركة الثقافية عامة ، والنهضة التِّقْنِيَّة بوجه خاص .

فالترجمة ما برحت عملاً فردياً ، ينهض به أفراد توسموا في أنفسهم القدرة على الاضطلاع بتبعاتها ، واستوثقوا من أن لديهم أدوات الترجمة ، فهماً وعمق ثقافة ، ودراية بالأساليب والمصطلحات ، وتمرساً على الصياغة العربية التي تؤدي المعنى واضحاً ، ولا يستعصي عليها تركيب فرنجي ما .

ولا تسل عن الدوافع التي تحدو المترجمين الى الترجمة ، فقد يكون الكسب دافعهم الوحيد ، وقد تكون الشهرة مطمعهم ، وقد يكون

التبشير بعقيدة معينة غايتهم ، وقد يكون اشباع الهواية هو قصاراهم ، والمهم أنهم قد دخلوا الميدان ، وأسهموا فيه بجهودهم الفردية ، وتركوا آثاراً هي وحدها المعيار في الحكم على عملهم .

ولئن كانت هناك هيئات ثقافية عربية أو أجنبية وقفت جهدها كله أو بعضه على الترجمة ، فقد كان اعتمادها في المقام الأول على جهود أفراد نيطت بهم ترجمة كتب قد عينت لهم وحددت ، أو كتب هم مختاروها ، ثم تولت تلك الهيئات نشرها واخراجها في النسق المقرر لها .

ولا نكاد نعرف في كل الوطن العربي هيئة متخصصة للترجمة ، لها رجالها المتفرغون المتخصصون الذين يعملون كفريق متآلف في عمل واحد كبير أو أعمال هي في جملتها مفضية إلى عمل واحد كبير ، كترجمة دائرة للمعارف ، أو نقل الأمهات من كتب التراث الانساني ، أو ترجمة كتب العلوم بفروعها ، وهي شتى ، فإن استثنينا جماعات كالتي ترجمت دائرة المعارف الاسلامية (ولم تتمها) لاحظنا أن هذه الجماعات هي بدورها فردية الجهد في الصميم . ومشروع « الألف كتاب » — والكتب الألف لما تتم — قد قام على أكتاف أفراد . ومشروع ترجمة مسرحيات شكسبير قام به أفراد . ومشروع ترجمة كتاب « قصة الحضارة » لويل ديورانت اضطلع به أفراد ، انقطع واحد منهم انقطاعاً شبه تام له ، ومع هذا لم تساعفه فسحة العمر على انجازه ، فانتقل العبء إلى سواه . وسلاسل المسرحيات العالمية وأشباهها هي من صنع أفراد ، وهلم جرا . بل ان الكتب الضخام في الفكر الأجنبي قد اضطلع بترجمتها أفراد روّاد . فالياذة هوميروس ترجمها فرد ، والكوميديا الالهية لدانتي ترجمها فرد ، وجمهورية

أفلاطون ، ورأس المال لكارل ماركس ، والشهنامه للفردوسي ، ونظرية النسبية لأينشتين ، ونظرية النشوء والارتقاء لداروين ، وروح الشرائع لمونتسكيو ، والمنطق لجون ديوى ، والمابهرتا من الأدب الهندي ، هذه جميعاً كتب أمهات تصدى لترجمتها أفراد ذوو همة عالية ، فكان انجازهم لها من محرزات لغة الضاد الباقية .

فلسبب ما ، يؤثر المترجم أن يستقل بالكتاب الذي يترجمه ، لا يشاركه فيه أحد ، ولا تتوزع المسؤولية بينه وبين سواه ، ويمضي في ترجمته إلى آخر الشوط غير عابىء بما يعترضه من مشاق . وقليلة نسبياً هي الكتب التي يشترك في نقلها أكثر من مترجم واحد ، وهذه إن لم يكن لها محرر يجانس بين أساليبها ومفرداتها وتراكيبها ، خرجت مفككة الأوصال ، وكأنها « كرنفال » لمختلف الأساليب والصياغات .

ولعل الجماعة الوحيدة التي وضعت لنفسها خطة تعاونية واضحة ، ومنهاجاً مرسوماً محدد الهدف ، هي جماعة « علم النفس التكاملي » باشراف أعلامها الدكاترة يوسف مراد ومصطفى زيور وصبري جرجس . فقد استهلت هذه الجماعة عملها بأن تواضعت على مصطلحات دقيقة في علم النفس كان لها فضل صوغها وسكّها وتداولها ، وحرصت على استعمالها في جميع كتبها المترجمة ودراساتها المنشورة . وقصرت كل جهدها على كتب علم النفس دون سواها ، بادئة بأعلامه : فرويد وأدلر ويونج ، ووزعت العمل بين أفرادها ، وكلهم من مدرسة واحدة أو متقاربة فكرياً ، فملؤوا بجهدهم ركناً هاماً في مكتبة الضاد ، سواء بما نتقوه للترجمة من كتب فلاسفة علم النفس الأوائل ، أو بما توخوه من أسلوب عربي شديد النصاعة ، أو بما تفاهموا عليه من مصطلحات متداولة بينهم ، تنسيقاً للعمل ، واتماماً

لجوانبه ، فجاءت كتبهم متتامّة ، فيها المترجم المعتمد ، وفيها المؤلف الرصين ، وفيها كذلك الرسائل الجامعية والدراسات المنهجية في علم النفس . ناهيك « بمجلة علم النفس » التي أصدروها فحفلت بالدراسات المترجمة والموضوعة ، وكانت لها بدورها عناية واضحة بالاستمساك بالمصطلحات الدقيقة المتعارف عليها بين أعضاء الجماعة ، واحتفال بالأساليب العربية المشرقة . فاستطاعت هذه الجماعة أن تخدم علم النفس أجل الخدمات ، وأن تخدم الضاد بما قد رفدتها به من تراث علم النفس ، وأن تسدي في باب المصطلحات مساهمة مقدورة ، لأن ما وضعته من مصطلحات كان ثمرة ذوق سليم ، وفهم صحيح ، ومعاناة يومية منهجية في الميدان الذي تخصصت فيه .

ولسنا نخطيء كثيراً إذا قلنا ، معممين الحكم ، إن الترجمة عمل هواةٍ لا محترفين . وأولئك الهواة هم الذين يختارون الكتب التي يتصدون لنقلها أو يوافقون على نقل ما اختاره لهم سواهم ، وهم الذين ينجزون ترجمتها من ألفها إلى يائها وفقاً لما يتوخونه هم من مناهج ، وهم الذين يسعون بها إلى الناشرين ارتجاء إخراجها . وقليل من القراء من تساعفه الأسباب فيعمد إلى مراجعة هذه الترجمات جميعاً ومقابلتها بالأصل ابتغاء معرفة حظها من الدقة والأمانة وحسن الفهم . فالقارىء حين يقرأ كتاباً مترجماً يفترض – كقضية مسلمة – أن ناقله متمكن أمين ، وعى النص أجمل وعي ، وتمثل معناه أصدق تمثل ، وترجمه ترجمة تتأبى على المطاعن . فإن تعثر في عبارة أو فاته معنى لغموضه ، عزا الأمر إلى قلة فهمه هو ، أو ردّه إلى المطبعة وأغاليطها . وما أكثر ما جنت المطبعة على الكتب ، وما أكثر ما تجني الناس على المطبعة بردّ كل تصحيف إلى سبب وحيد ،

هو حروفها الصماء في أيدي العامل الأمي أو القليل الحظ من المعارف .

وهكذا يدخل الكتاب المترجم إلى مكتبة الضاد ، ويستأثر لنفسه بمكان فيها - متواضعاً كان ذلك المكان أو متعالياً - ويظل الكتاب مقصداً للمراجعين ومثابة للباحثين - ولا سيما الذين يجهلون لغته الأصلية - إلى ما شاء الله لهذا الكتاب أن يعمّر . ولا تتزعزع ثقة القارىء في كتاب مترجم نال حظه من الاستقرار في المكتبة العربية إلا إذا انبرى له ناقد على دراية كاملة بنصه الأصلي وموضوعه المتناول بين دفتيه ، ثم عقد مقارنة دقيقة بين النص والترجمة ، فإما أن ينتهي إلى اقرار أمانة المترجم وحسن فهمه ، فتبقى للكتاب منزلته كعمل فكري صادق ، وأما أن تسوقه المقارنة والمقابلة إلى كشف معايب صارخة في الكتاب ، وعندئذ تتزعزع ثقة القارىء في هذا العمل بوصفه مرجعاً ، وفي المترجم بوصفه ناقلاً .

وقد ارتأى بعض الجهات الناشرة للكتب المترجمة أن يُعيِّن لكل مترجم مراجع أو أكثر ، وهو إجراء أريد به أصلاً الاطمئنان إلى ضبط الترجمة ، والاستيثاق من عدم خروجها على النص أو سوء تأويلها له . ولكن هذا الاجراء بات في حقيقة الأمر يلقي ظلالاً كثيفة على المترجم، ومدى قدرته على القيام بالمهمة المسندة إليه . بل إن أمانة المترجم نفسها تغدو - في عين القارىء - موضوع استفهام وتساؤل .

فإذا ألقينا نظرة عامة على الكتب الكثيرة المترجمة التي تخرجها المطابع في الوطن العربي ، ألفينا أنفسنا تلقاء ظواهر غير صحية ، نوجز بعضها في ما يلي :

أولاً – ان هناك كتباً سقيمة الموضوع (كالروايات السوقية المثيرة) تؤلف نسبة غير قليلة من الكتب المترجمة. ولا نخال هذه الكتب مغنماً للضاد ربيحاً، بل لعلها – مع التساهل – ترف وسرف في المكتبة العربية.

ثانياً – ان هناك كتباً متخصصة ينقلها مترجمون غير متخصصين، فلا تسلم من خلط، ولا سيما في نقل أسماء الأعلام والأماكن والمصطلحات.

ثالثاً – ان الأساليب التي تنقل بها هذه الترجمات تنقصها السلامة اللغوية والصقل البياني، فتخرج عليلة، أجنبية التراكيب، منبهمة المعاني.

رابعاً – ان بعض النقلة كلفون بالتبسيط، بدعوى النزول إلى القارىء، حتى لقد رأينا اللهجة العامية تتسلل إلى الكتب المترجمة، ولاسيما في الأدب المسرحي، بل لقد ارتفع ذات يوم صوت داعياً إلى ترجمة مسرحيات شكسبير باللهجة العامية لأن العامية هي لغة الخطاب في الحياة اليومية الدارجة، والمسرح قطعة من تلك الحياة اليومية الدارجة بكل خصائصها.

خامساً – ان هناك ترجمات متعددة للأثر الواحد حتى في البلد الواحد. وربما أغنت ترجمة واحدة دقيقة سليمة عن كثرة من الترجمات.

سادساً – ان أمهات الكتب لاتلقى من المترجمين عناية أو أولوية، بل لعلهم عنها منصرفون. حتى إننا لو حصرنا كتب الأمهات في الفلسفة والعلوم المختلفة والآداب العالمية والفنون بأبوابها والاقتصاد بمذاهبه وكتب الصناعة (كصناعة النفط وهي أولى صناعات العالم العربي اليوم)، ولو حصرنا الموسوعات، ما كان منها عاماً أو متخصصاً، ثم بحثنا عما نقل منها إلى الضاد، لألفينا ركن الترجمة مليئاً بالثغرات في المكتبة العربية.

سابعاً – ان الترجمة كرسالة عمر وحياة ، ينقطع لها متفرغون من طراز عادل زعيتر أو منير البعلبكي مثلاً ، ليست مما نعهده اليوم في حركة الترجمة المعاصرة .

ثامناً – ان طائفة غير قليلة من الكتب المترجمة تنقل لا عن اللغة الأصلية التي وضعت بها ، بل عن لغة فرنجية أخرى ترجمت إليها ، مما يجعل الترجمة العربية – حتى مع الحرص الشديد على ضبطها – غير ممثلة تمثيلاً صحيحاً دقيقاً للنص الأصلي . فالترجمة عن نص مترجم لا يمكن أن ترقى إلى مستوى الترجمة عن النص الأصلي الوثيق بلغة كاتبه .

تاسعاً – بل لقد لوحظ أن بعض الكتب المؤلفة أصلاً باللغة الانكليزية والمترجمة إلى اللغة العربية عن هذه اللغة ، تسند مراجعتها إلى مراجعين هم باللغة الافرنسية أدرى ، فيضاهون الترجمة العربية لا على النص الانكليزي ، كما هو مستصوب ، بل على النص الافرنسي ، وهو أمر مستغرب بل مستكره .

عاشراً – ان بعض ما يسمى « ترجمات » هو في حقيقة أمره تلخيصات أو إعادة صياغة للنص الأصلي باللغة العربية وبأسلوب المترجم . وما أكثر ما يعمد المترجمون إلى حذف فقرات بل صفحات وفصول برمتها دون إشارة إلى هذا الاختصار بداعي الأمانة العلمية . ولهم في ذلك حجة مقبولة عندهم ، وهي أن من حق المترجم التصرف في الأصل على الوجه الذي يرتئيه ، وكأنما منحت للمترجم رخصة تبيح له أن يعمل بالنص الفرنجي ما يشاء دون ملامة .

حادي عشر – ان قلة قليلة من المترجمين هي التي تحفل بحقوق التأليف والنشر المقررة في اتفاقيات شبه دولية . والكثرة الكاثرة منهم

غير محتفلة بهذه الحقوق ، تستبيحها بلا قيد ، اعتقاداً منها بأن أصحاب حقوق التأليف والنشر لن يدروا بأن كتابهم قد نقل إلى الضاد ، أو استناداً إلى أن الدول التي تنتمي إليها لم تنضم إلى اتفاقيات صون حقوق المؤلفين والناشرين ، وهي الحقوق التي تسقط بانقضاء نصف قرن على وفاة واضع الكتاب ، فيغدو كتابه تراثاً إنسانياً عاماً مشاعاً مباحاً لكل مترجم وناقل وناشر .

ثاني عشر — ان هناك كتباً مترجمة تظهر وليس عليها اسم مترجم. فإما أن المترجم آثر الاستخفاء لأن موضوع الكتاب ليس مما يطابق رأيه أو مما يشرفه ، وإما أن ناقل الكتاب هو من المبتدئين الشداة ، والناشر يستنكف من وضع أسمائهم على غلاف الكتاب لأنه لا وزن لهم في سوق الرواج . ناهيك بأن هناك أسماء مستعارة لمترجمين تظهر على أغلفة الكتب ، فإن بحثت عن أصحابها عزّ عليك أن تهتدي إليهم في دنيا القلم .

والذي لا ريب فيه أن هذه الظواهر التي ترافق حركة الترجمة المعاصرة هي بالعلل أشبه ، وهي تلح علينا أشد إلحاح في أن نبحث عن وسائل لمعالجتها كيما تستقر الترجمة استقراراً عزيزاً في ركنها المقرر في المكتبة العربية ، فتغدو جزءاً من صميم تلك المكتبة لا كلاًّ عليها .

وإذا اطرحنا الجوانب الادارية والميكانيكية في حركة الترجمة ، أعني الجوانب المتعلقة بالناشر والطابع والموزع والطابعة والإخراج والورق والتكاليف وهلم جرا ، فقوام الترجمة كتاب منقول ومترجم ناقل . فإن حسن الكتاب المنقول ودعت إليه حاجة حضارية أو فائدة علمية أو قيمة فنية أو رسالة إنسانية ، وإذا أحسن المترجم صنيعه فهماً ثم استيعاباً

ونقلاً وتدقيقاً وأمانة وجمال صياغة ، حققت الترجمة المقصد المنشود .

أما إذا ساء الكتاب موضوعـاً ومادة ، أو ترخص المترجم في أداء مهمته ، أو إذا اجتمع الأمران معاً ، فحدث بسوء العاقبـة ، حتى ولو أحرز الكتاب رواجاً في السوق لسبب من أسباب الاستهواء ، أو لداع من دواعي المناسبات .

فاختيار الكتاب إذن هو الخطوة الأولى في أي توفيق يراد للترجمة أن تحققه . فإن وقع الكتاب لمترجم موصول الأسباب بموضوعه ، شديد الاتقان لمادته ، لأسلوبه نصاعة وبيان ، تحققت المجانسة بين الكتاب والناقل ، وحدث التعاطف الفكري والوجداني الذي من شأنه المؤكد إغناء المكتبة العربية بهذا الكتاب الجديد .

ومن الذي يختار الكتاب ؟ قد تختاره هيئة متصدية لأعمال الترجمة . وقد يختاره المترجم الناقل . ولا بد في الحالين من الاطلاع على عشرات من الكتب لاختيار أفضلها ، أي أن الترجمة تسبقها مطالعات واسعة لغربلة الكتب الفرنجية واختيار ما يصلح منها للترجمة . فليس كل كتاب فرنجي صالحاً بالضرورة للترجمة . وإن صلح من حيث إمكان نقله كعملية آلية فقد لا يصلح من حيث موضوعه وجدواه بالنسـبة للقارىء العربي على وجه التخصيص .

فالكتب الفرنجية المتاحة ، ناهيك بما يصدر منهـا باللغات العالميـة واللغات الاقليمية في كل يوم طالع ، ليس إلى حصرها من سـبيل ، وليست جميعها مما يرفد الفكر العربي بأسباب الغنى أو الجدة أو الفائدة . وطموح المترجمين لا يقودهم بحال إلى ترجمة هذه الكتب جميعاً . ولا معدى

إذن عن الالمام بالقدر الأوفى من هذه الكتب وانتقاء مالو ترجم لكان للضاد غناً وجدوى .

والخطوة الثانية في نجاح مهمة الترجمة هي وقوع الكتاب لمترجم مالكٍ أداتَه ، له بموضوعه دراية وثقى ، وله بمصطلحاته وأعلامه معرفة كاملة ، وله قبل ذلك وبعد ذلك أسلوب عربي تنصاع له المعاني انصياعاً جزلاً ، وتنقاد له التراكيب الأعجمية فتنصب على يديه في أجمل قالب عربي وأبدعه .

والكتاب قد يختار لموضوعه ، وقد يختار لمؤلفه ، أو لكليهما معاً . فالموضوع الجيد أو الفريد أو الفاتح في الفكر فتحاً جديداً ، يفرض نفسه على الحياة الفكرية ، ويسترعي انتباه المترجمين في كل لغة . والكاتب الذي استقرت سمعته الأدبية أو العلمية أو الفكرية ، هو بدوره فارض نفسه على دنيا الفكر ، وكتبه جميعاً مآلها إلى النقل مجاراة لشهرته العريضة .

وإن تهيأ للكتاب الجيد مترجم جيد ، لم يبق للمراجع محل في حركة الترجمة ، لأن الترجمة نقل ، والنقل أمانة ، ولا مكان للخيانة في النقل اللهم إلا إذا افتقر المترجم إلى أولى أدوات صناعته .

والمترجمون في جملتهم أفراد مجتهدون ، نالوا تدريبهم على الترجمة في الحياة العلمية العريضة ، فاستوعبوا اللغات التي هم بها معنيون استيعاب حياة لا استيعاب دروس مقررة في معهد ، وكانت لهم مطالعات أوقفتهم على كثير من العلوم والفنون ، وكانت لهم مشغلة بالمصطلحات وما تؤديه من دقيق المعاني ، وكان في متناولهم جمهرة من المعاجم المتخصصة والعامة التي ألفوا الاسترشاد بها ، ومرنوا على استخدامها .

وصفوة القول في المترجمين أنهم لا يحملون شهادة في الترجمة ترخص لهم مزاولة هذا العمل ، ولا يقسمون يميناً على التدقيق في هذه الصناعة ، وإنما الأمر كله رهن بالضمائر ، وهي وحدها الرقيب الحي ، كما أن السمعة الأدبية التي يكتسبها المترجم هي عنده أسمى الشهادات .

* * *

والسؤال الجوهري الذي يفضي إليه هذا التمهيد هو : كيف السبيل إلى الارتقاء بالترجمة فناً ورسالة ، وعلماً وعملاً ، بل استثماراً للفكر الفرنجي الذي تنقله إلى حضن الضاد ؟ وكيف يكون التصدي للظواهر المرضية التي لا تفتأ تبتلي الترجمات العربية ، مما ألمحنا إلى ذرو منه في ما تقدم ؟ وكيف يكون التنسيق الواجب لحركة الترجمة على الصعيد العربي بأسره ، بحيث يتأتى للترجمة أن تؤدي رسالتها في تغذية الفكر العربي بجديد من ألوان الخصب ، واطلاع العرب على أحدث ما وصل إليه التقدم العلمي في الخارج . ولا خلاف على أن العرب ما انفكوا عالة على العالم الخارجي في العلوم العصرية والتقنية المتطورة . وكل الكتب التي تتناول فتوحات العلوم الحديثة ، كغزو الفضاء ، والعقول الالكترونية ، والتقنية ، والتسيير الذاتي للآلات (Automation) هي في حقيقتها كتب موضوعة بلغات الفرنجة ، وربما ترجم منها إلى الضاد قدر يسير ، أو لعل ما صدر منها في العربية هو حصيلة مطالعات في الكتب الأجنبية عمادها الأكبر على الترجمة والنقل .

ولسنا نفهم التنسيق المرجو على أنه إنشاء هيئة مركزية في العالم العربي يعهد إليها وحدها في شؤون الترجمة ، فتبسط سلطانها على المترجمين في ربوع الوطن العربي ، ويكون لها دون سواها الرأي في شؤون الترجمة .

وإنما نفهم التنسيق على أنه تقريب للجهود الفردية المبعثرة، وارتفاع بمستوى الترجمة قلباً وقالباً ، وتيسير المشكلات التي تعترض القائمين بهذا العمل ، وتهيئة الأسباب والأدوات التي من شأنها تمكين المترجمين من أداء عملهم على أكمل وجه وأبعثه على الرضا ، وتشجيعهم على التصدي لترجمة الكتب النفيسة ، والسعي للاعتراف بالترجمة كقطاع هام في الحركة الثقافية العربية المعاصرة ، والدعوة إلى مؤتمرات لبحث شؤون الترجمة ووسائل النهوض بها .

والحاجة ماسة إلى انشاء جهاز ثقافي تشارك فيه الدول العربية المختلفة برجال بصيرين بشؤون الترجمة ، تكون مهمته الأساسية رصد نشاط الترجمة في الأقطار العربية ، وفهرسة الكتب التي سبقت ترجمتها عن اللغات المختلفة ، وتهيئة الأدوات المعينة المترجمين كالمعاجم المتخصصة في كل فن ، وتوجيه حركة الترجمة بحيث تهتم في المقام الأول بالكتب والموسوعات المستقرة في التراث الانساني ، والتخطيط لحركة الترجمة وذلك بالتوصية بترجمة كتب معينة تدعو إليها حاجات الفكر أو المجتمع العربي ، وتشجيع المترجمين حتى ينشأ جيل من المترجمين الأكفاء المتفرغين الذين يتصدون لأمهات الكتب .

وأياً كان قوام هذا الجهاز المقترح ، وأياً كان مقره ، فإن الرسالة التي تناط به هي ، بشيء من التبسيط ، مايلي :

أولاً — ان أول المعينات على الترجمة الصحيحة الدقيقة ، ولا سيما للموضوعات العلميـة ، هي المعاجم المتخصصة التي تقدم لقارىء العربيـة مصطلحات [١] دقيقة واضحة مستقرة لمرادفات لها أعجمية ، بحيث ينتفي

(١) يراجع في موضوع المصطلحات كتاب الأمير مصطفى الشهابي « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » الطبعة الثانية — ١٩٦٥ — مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

كل خلط أو سوء فهم عند القارىء . فلكل مصطلح معنى واحد يؤديه ولا ينصرف إلى سواه ، وهو مصوغ صياغة سهلة واضحة تساعد على تداوله . وهناك هيئات شتى تنبرى لوضع المصطلحات واصدار مجموعاتها ، كمجامع اللغة العربية والجهات الحكومية وبعض الأفراد من ذوي الهمة ، ولكن هذه الجهود تنزع إلى التضارب بدلاً من التجانس والتوافق ، لأن واضعي المصطلحات يتعصبون لها ، ولا يرتضون أي عدول عنها ، وهم يستعملونها ضاربين صفحاً عن المصطلحات المقابلة التي سكّها غيرهم من علماء التخصص في بلدان عربية أخرى . والنتيجة الطبيعية لهذا التضارب هي أن علم المصطلحات قد بات فوضى ، ولا رابط بين أطرافه . ولا بد من هيئة تقوم بترجيح المصطلحات واعداد مجموعات أو قواميس متخصصة لها في كل علم وفن ، تتوحد في كل منها مصطلحات العلم بعد المقارنة والمفاضلة بين جميع مصطلحات هذا العلم كما يتداولها واضعوها ، بحيث يخرج قاموس موحد على غرار « المعجم العسكري الموحد » لكل علم من العلوم . فإذا انبرى مترجم لكتاب في علوم الفضاء ، استعان بقاموس الفضاء الموحد على ترجمة الكتاب ، ولم تستعص عليه عبارة أو تغمض بسبب عقبة المصطلحات .

ثانياً — ان مما لا ريب فيه أن جهود الأفراد — وهم الحاملون لعبء الترجمة الرئيسي — إنما تنكص عن التصدي لعمل مهظ كترجمة دائرة معارف عالمية موثوق بمادتها . كما أن ميزانيات الفرادى من الناشرين تنوء بمثل هذه الأعمال الكبيرة ، وربما ناءت بها ميزانية جهة حكومية واحدة . ولا بد للجهاز المقترح لتنسيق حركة الترجمة من أن تناط به هذه المهمة وأشباهها ، فيستعين بذوي الخبرة في كل علم وفن ، سواء على

أساس التفرغ الكامل ، أو على أساس التعاون كفريق متآلف يتفرغ كل عضو منه لفرع اختصاصه ، وبهذا يستطاع إخراج هذه الموسوعات الضخمة التي لا غنى عنها في مكتبة الضاد ، ولا معدى عن مراجعة مادتها كلّ عقد من الزمان على الأكثر لتبقى دائماً جديدة محافظة على قيمتها .

وقد يجادل البعض في جدوى ترجمة الموسوعات ما دام المثقفون عامة قادرين على مطالعتها في لغاتها الأصلية . وعلى هؤلاء يردّ بأن لمعظم اللغات الكبرى موسوعات خاصة بها . ثم انه لو أخذ بهذه الحجة لما كان هنـاك مسوغ أصلاً لكل أعمال الترجمة ، ما دام المثقفون لا يجدون مشقة في قراءة الكتب الأصلية بلغات مؤلفيها .

وقيمة الموسوعات أنها خلاصات مركزة موثوق بمادتها في جميـع أبواب المعارف الانسانية . وهي مرجـع قريب التنـاول لكل طالب راغب في استيضاح حقيقة علمية أو قراءة مادة معينة ، فتوافيه في الموسوعة في أسطر أو أنهر أو صفحات وفقاً لأهمية هذه المادة ، ويغنيه ذلك عن قراءة الكتب والمتون الشديد التبحر والعمق .

وليكن من مهام جهاز تنسيق الترجمة السمي لترجمة دائرة من دوائر المعارف ، تستخدم في فصولها المصطلحات العلمية المقررة في المعجمات المتخصصة الموحدة التي سلف الحديث عنها .

ثالثاً — ان جهود المترجمين في أنحاء الوطن العربي جهود متفرقة ، ولا رابطة بينها إلا ما قد ينشأ من صلات شخصية بين بعض المشتغلين بالترجمة بجهودهم الفردية . وهؤلاء وأولئك يجهلون ما ينشغل به زملاؤهم وأندادهم جهلا تاماً ، فيتكـرر الجهد في الترجمة أحياناً ، وتتعـدد الترجمات للأثر

الواحد . ولعل مما يستصوب للجهاز المقترح أن يصدر نشرة دورية إخبارية على غرار نشرة معهد المخطوطات العربية يورد فيها أخبار الترجمة والمترجمين وينبه إلى صدور كتب هامة تستحق عناية المترجمين ، ويعلن عن المسابقات والجوائز الخاصة بالترجمة . وحتم على هذا الجهاز المقترح أن يرصد حركة الترجمة رصداً حثيثاً دؤوباً ، فيعد فهارس مبوبة للكتب المترجمة على الصعيد العربي ليسترشد بها المترجمون وهم يهمّون بترجمة كتاب ما .

رابعاً -- ان من المهام الرئيسية التي يتعين على الجهاز المقترح الانبراء لها ، التوصية بترجمة كتب معينة لأنها تمثل قيمة خاصة بالنسبة للقارىء العربي ، كأمهات الكتب ، والكتب التي تتناول القضايا الحيوية للوطن العربي ، والكتب التي لا غنى عنها في ميادين الفكر ، والكتب التي كان لصدورها دوي في الحياة الانسانية .

ومن مؤدى هذه التوصية أن يقوم الجهاز المقترح بدور القارىء المحلل (المغربل) المستصفي للكتب الأجنبية باللغات العالمية وما يتيسر من اللغات الأخرى ، فتجيء توصيته بعد دراسة مسهبة للكتب الأجنبية ومفاضلة بينها وتقييم لمادتها ومراعاة لحاجات الحركة الفكرية العربية .

وليس من قبيل الشطط أن يطالب الجهاز المقترح برصد معاونات أدبية ومالية تشجيعاً لطبع الكتب التي يوصي بترجمتها ، كأن ييسر وسائل الطباعة أو يساعد في التوزيع أو يتعهد باقتناء كمية معينة من نسخه المطبوعة ، أو يوصي الدول من أعضائه بشراء نسخ منه ، أو يجزل للمترجم مكافأة على جهده ، أو يضطلع هو بمهمة نشر الكتب من ألفها إلى يائها .

وعند التوصية بترجمة كتب أجنبية ، يراعي الجهاز المقترح أولويات

معينة ، حتى ينصرف الجهد الأول والأكبر إلى ترجمة الكتب التي تلبي للضاد حاجات في الصميم قبل ترجمة الكتب الثانوية القيمة التي يجوز إرجاؤها إلى زمن متأخر .

خامساً – لا بد لنشاط الترجمة ، إن عاجلاً أو آجلاً ، من أن تنسحب عليه الاتفاقات الدولية لحماية حقوق التأليف والنشر . كما لا بد له من التعاون مع الهيئات الثقافية الدولية أو الأجنبية التي تعالج شؤون الترجمة بين مختلف اللغات . وليس أحق من الجهاز المقترح باجراء الاتصالات اللازمة في هذه الشؤون باعتباره الوكالة المتخصصة المعهود إليها في تنسيق حركة الترجمة في ربوع العالم العربي .

ويرجى مع الوقت أن ينتفع بهذه الاتصالات الخارجية في تنشيط ترجمة الكتب العربية إلى لغات الفرنجة ، فيصبح هذا النشاط من الاختصاصات المسندة إلى الجهاز المقترح .

سادساً – من الغايات البعيدة التي ينبغي للجهاز المقترح أن يتوخاها إيجاد فئة متخصصة من المترجمين المتفرغين الذين ينقطعون للترجمة المستأنية الرصينة ، دون أن يتحيَّف ذلك على معاشهم . فلو انصرف مترجم عاماً كاملاً إلى نقل كتاب أو كتابين من أمهات الكتب الغربية ، فقد تحفى قدماه حتى يجد ناشراً . وإن وجده فلن يكافئه على جهد سنة إلا مكافأة ضئزى . وأمثال هذه الجهود لا بد أن تتبناها الهيئة المقترحة بما يكفل للمترجمين إنصافاً في اقتضاء حقوقهم ، ويؤكد لهم أن التفرغ لأعمال الترجمة لا يعد جهداً ضائعاً أو مبخوس القدر ومهضوم الحق .

وليس من مؤدى ذلك أن يكون المترجمون المتفرغون موظفين في

الجهاز ، بل حسبهم أن يدركوا أن جهدهم محمي من عيون الجهاز اليواقظ، لا يجور عليه ناشر أو مستغل .

سابعاً - ولا ندري لم لا يكون من مشروعات الجهاز ، ولو في مرحلة تالية ، إصدار مجلة دورية تعنى بشؤون الترجمة وتفرد باباً خاصاً في كل عدد لنقد الكتب المترجمة وتبيان ما فيها من وجوه اتقان وأوجه نقص . وهي بهذا تؤدي في الواقع رسالة مزدوجة ، فتعرف القارىء بالكتب المترجمة وتنبه إلى جوانب التميز وجوانب القصور في الكتب المترجمة . ولا ريب في أن في تسليط أضواء النقد على الأعمال المترجمة كفيل بالارتقاء بمستوى الكتب المنقولة ، لأن كل ترخص أو إهمال أو تهاون في الترجمة سيبرزه النقاد أمام أعين القارئين .

وإذا جاز أن تكون هناك مجلات متخصصة للمأثورات الشعبية (الفولكلور) والسينما والمسرح ومجلات للشعر والمخطوطات وللتربية وعلم النفس ، فليس ثمة ما يسوغ عدم صدور مجلة متخصصة لشؤون الترجمة ، تطرح فيها القضايا[1] التي تهم المترجمين وتهم القراء عامة . ومن تلك القضايا المناهج التي يسلكها المترجم ، وهل يتقيد بالحرف ، أو يضحي بالحرف في سبيل المعنى . وهل يحق للمترجم الإبقاء على نص الكتاب بكل ما فيه من آراء ولو خالفها هو ، أو خالفت مواضعات الجماعة ، أو أن من حقه حذف هذه الآراء وفقاً لتقديره الخاص (ولعل المنهاج الأصوب في هذا الصدد هو إبقاء آراء المؤلف على حالها مع تعليق المترجم عليها في هامش

---

(١) في قضايا الترجمة يراجع كتاب « فن الترجمة » للأستاذ محمد عبد الغني حسن - ١٩٦٦ - الدار المصرية .

الكتاب أو صلبه تعليقاً مستقلاً ينسب إليه هو لا إلى المؤلف) . ومن الموضوعات التي يطيب لمجلة الترجمة مناقشتها ، كيفية اختيار الكتب للترجمة وهل يتوخى المترجم أذواق الجمهور فيترجم لهم ما يستهويهم ، أو يحتكم إلى ذوقه الخاص ويستند إليه وحده في اختيار الكتب التي ينقلها . ثم هل يكون المترجم متخصصاً فيقصر كل جهده على باب بعينه ، أو يكون غير متخصص ، فينقل كتب الأدب والتاريخ والاقتصاد والسياسة والفلسفة والسير وما إليها ما دامت مصطلحاتها مبذولة في المعاجم المتداولة . فهناك من يقول أن كتب الاقتصاد ينبغي ألا يترجمها إلاّ رجال الاقتصاد . ولكن رجال الاقتصاد علماء في مادتهم ، غير علماء في تراكيب الضاد وأساليبها وقواعدها نحواً وصرفاً . فإن ترجموا الكتاب الاقتصادي فقد لا يخلو من العجمة في عباراته ، واللحن في أسلوبه . وربما كان من صواب الرأي أن توكل الكتب الشديدة التخصص إلى أوليائها أرباب هذه العلوم ، على أن يعهد بعد ذلك إلى دراة باللغة والأدب في صقل أسلوبها ، لتستقيم تراكيبه مع التراكيب المعهودة في لغة الضاد ، وتزول عنها أمارات الركاكة والعجمة .

وما أكثر القضايا التي تتسع صفحات مجلة الترجمة لمناقشتها : قضايا المصطلحات ، وهل يستحسن التوسع في تعريبها ، أو يوجه أو الجهد وأكبره إلى إحياء مصطلحات عرفها القدامى وتداولوها في كتبهم . ثم هناك قضايا أولويات الترجمة ، وهل تكون للانسانيات ، أعني الآداب والفنون والاجتماع ، أو تكون للعلوم النظرية والعملية . ثم ما هو الرأي في الكتب التي تتناول شؤون عالمنا العربي من زوايا قد لا نرضى عنها ، فهل نترجم هذه الكتب لتكون بمادتها تحت أبصارنا وأفهامنا ، أو نحاذرها اعتقاداً منا بأنها إلى التحامل والإجحاف أميل ؟

ولا بد لهذه المجلة من التعريف بآداب لغات قليلة الحظ من عناية المترجمين ، كلغات الهند والصين واليابان والبلدان الآسيوية والإفريقية وبلدان أوربة الشرقية والشمالية ، وكذلك التعريف بآداب أمريكا اللاتينية.

كما تتسع المجلة لنشر تجارب أعلام المترجمين في ميادين الترجمة ، فيتحدث كل منهم عن الصعوبات التي اعترضت سبيله ، وكيف استطاع خضد شوكتها وإلانة جانبها .

وبحكم كون المجلة متخصصة في شؤون الترجمة ، فهي تساعد بلا ريب على عقد الصلات بين المترجمين الموزعين في ربوع العالم العربي ، كما تعين على كشف المترجمين الذين يستطيعون نقل الكتب من لغات كالأندونيسية والأوردية والمنغولية والإفريقية وما إليها ، إن وجد أمثال أولئك المترجمين .

فإن تعددت الترجمات لأثر فكري واحد ، فلعل في مجلة الترجمة مجالاً للمقارنة بين هذه الترجمات المختلفة بميزان نقدي لا يمين .

وصفوة القول أن ظهور هذه المجلة عن الجهاز المقترح ، يعين القراء — ولو كانوا قلة — على إدراك أن الترجمة ليست عملاً آلياً يحسنه كل من يقتني قاموساً ، ولا هو عمل تؤديه العقول الألكترونية ، بل إن للترجمة فلسفة ومناهج وأساليب ، ولها رسالة لا يحسنها إلا قوم تمرسوا بها بعد طول معاناة في ميادين الفكر ، قراءة وكتابة وخبرة بتطويع الأساليب ، ودراية بالألفاظ ومعانيها ومؤدياتها وظلال معانيها ، وملابسات استعمالاتها المختلفة.

ثامناً — وربما فطن الجهاز المقترح إلى ضرورة تبني اقتراح إنشاء معهد للتدريب على الترجمة ، يكون أساتذته أفذاذ المترجمين في الوطن العربي . وهؤلاء يحاضرون الطلاب في قواعد الترجمة ومناهجها ، وأهم من

ذلك يحاضرونهم في تجاربهم الخاصة ومغامراتهم مع الأفكار والألفاظ والتراكيب والصياغات ، ويوطئون لهم ولوج هذا الميدان من باب المعاناة والمران الذاتي فضلاً عن باب الدراسات المعهدية النظامية .

وكما أن خريجي كلية الآداب لا يكونون بالضرورة أدباء ، كذلك الشأن في خريجي معهد التدريب على الترجمة ، فلن يكونوا جميعاً مترجمين أشداء ما لم تتوافر لهم الموهبة أصلاً ، وما لم يكونوا مؤهلين باستعداد خاص لخوض هذا الميدان . ولكن خبرة المجربين لا تثمن بمال بالنسبة للشداة من المترجمين ، وهي خبرة لا سبيل إلى تحصيلها إلا بالاحتكاك الوثيق بسدنة الترجمة في هذا المعهد وفي خارجه ، إن أمكن . فإن كان لي أن أومىء إلى تجربة خاصة ، فإنني — على بعد العهد — ما زلت أذكر بالعرفان والشكران التوجيهات السديدة التي لقننيها في أول العمر وريّقه أستاذان فاقهان في شؤون الترجمة هما خليل ثابت وفؤاد صرّوف . كما كان انتفاعي كبيراً بالملاحظات البصيرة التي أسمعنيها رجال من طبقة خليل مطران ونقولا الحداد والأمير مصطفى الشهابي وسلامه موسى وإسماعيل مظهر وعادل زعيتر وسابا حبشي ، ولكل منهم تاريخ في الترجمة عريق حافل .

تاسعاً — ولسنا نتصور جهازاً خاصاً بالترجمة إلاّ ورهن يمينه مكتبة عامرة ، وتضم جميع كتب المراجع كالموسوعات والمعاجم العامة والخاصة ، وتضم أكبر حشد ممكن من الكتب المترجمة والكتب الفرنجية ، وتتابع كل جديد يصدر من الكتب المنقولة ، وتستقبل أحدث الكتب الصادرة باللغات الرئيسية وبغيرها من اللغات ، إن كان إلى ذلك سبيل .

فالمشتغلون بالترجمة لا غنى لهم عن كتب المراجع في كل علم وفن ،

يرجعون إليها كلما أعوزهم أن يضبطوا علماً أو يتحققوا من واقعة أو يستيقنوا من اسم نبات أو حيوان عرض لهم في غضون الترجمة ، أو يتثبتوا من النصوص في مصادرها الأصلية المنقولة عنها . فالمترجم الحريص على سمعته لا يرضى لنفسه أن يكون دون المؤلف دراية بموضوعه وإلماماً بمفرداته . وهو في هذا السبيل يتهيأ للترجمة لا بقراءة الكتاب المراد نقله وحده ، بل باستقصـــاء جميع المراجع التي كانت تحت يد المؤلف ، وقد تدعوه ضرورة إلى التوسع في مطالعاته وكأنه يهم بتأليف الكتاب لا بترجمته . فالكتب ، ولا سيما الدراسات الأكاديمية منها ، تتشعب موضوعاتها حتى لتغطي ميادين متباعدة . فالعاكف على ترجمة سفر اقتصادي مثلاً ، كثيراً ما يلفي المؤلف وقد انتقل به من ميدان الاقتصاد إلى ميدان القانون الدولي ، ثم إلى ميدان الفلسفة وميادين الدين ، بل الأنثروبولوجيا (وهو علم السلالات البشرية) ، لأن لموضوعه أصولاً هنا وصلات هناك جمع المؤلف أطرافها المتباعدة ، واستخرج منها مادة متكاملة للكتابة .

وحتم على المترجم المدرك لقداسة مهمته أن يراجع مكتبته في هذه الموضوعات جميعاً ، فإن لم تسعفه ، ففي مكتبة الجهاز المقترح ضالته ومنشود غايته .

عاشراً ــ ما زال هناك اعتقاد شائع بأن الترجمة ليست عمل إبداع ، بل هي في ميادين الفكر ثانوية المقدار ، لأنها صناعة نقل لا تقتضي المشتغل بها إلا الإلمام بلغتين أو أكثر ومعرفة كيفية استخدام المعاجم . أما الإبداع فهو حكر على الشاعر ، ولو لم ينظم في كل عمره إلا قصيدة واحدة ، وعلى الروائي ، وإن اقتصر انتاجه على رواية واحدة ، وعلى المؤلفين ذوي الدراسات الموضوعة .

ومن مؤدى هذا الاعتقاد الهبوط بمنزلة المترجمين في سلّم الطبقات، بينما ترتفع منزلة سواهم من أهل القلم، قائلي الشعر ورواة القصص وغيرهم من الدارسين.

وفي اعتقادي أن أي مقارنة بين الآثار الذهنية، هي مقارنة لا محل لها. ومن أكبر الخطأ القول مثلاً ان الأدب مثلاً أسمى منزلة من العلم، أو ان الشعر أخلد من الرواية، أو ان الترجمة أقل مستوى من البحث الموضوع. فلكل من هذه الأبواب ضرورة في الحياة، ولكل من المشتغلين بها رسالة يؤديها، فتحتل جميعها أماكنها في دنيا الفكر دون أن تطرد منها الواحدة الأخرى. فإذا كانت الحياة العملية تحتاج إلى الطبيب الجراح والطبيب المحلل والطبيب المتخصص بالعيون، فلا يستغني بواحدهم عن الآخرين ولا هم يصنفون إلى طبقات عليا ودنيا، فإن الحياة الفكرية بدورها تحتاج إلى الشاعر بأحلامه ورؤاه وحماسته ولهوه، كما تحتاج إلى الروائي بتصوراته ورمزياته وتجسيده للخيال، وتحتاج كذلك إلى المترجم وهو يقرب آداب الدنيا وعلومها وفنونها إلى قارىء الضاد.

وليس ثمة ريب في أن الجهاز المقترح سيدأب دأباً متواصلاً في سبيل إلغاء كل ميل في التفكير العام إلى إهدار قيمة المترجمين والنقلة. فهم إذ يترجمون، لا يفتقرون إلى موهبة القلم، ولا هم من الإبداع محرومون، ولا انصرفوا إلى الترجمة باعتبارها أهون المآتي الفكرية، وإنما اختاروا هذا المجال إيماناً بجدواه في ارتقاء الفكر العربي، واعتقاداً منهم بأنهم يؤدون فيه للضاد من الخدمات ما قد لا يحسنه سواهم.

وإذ تتغير النظرة إلى المترجمين، تتراءى آثار ذلك في حقوقهم الأدبية

والمادية ، فلا يُفتأت عليها ما دام الجهاز المقترح حاملاً أمانة الترجمة مبشراً بقيمتها ، مؤكداً ضرورتها ، ولا سيما لبلدان ما زالت تلهث وراء التقدم العلمي والتقني ، وتعجز عن اللحاق به .

أفليس من المفارقات الصارخة أن الأمة العربية التي يكاد يكون كل اقتصادها مستنداً إلى النفط ، ليس لديها كتاب واحد باللغة العربية ، يتناول هذه الصناعة من جوانبها الجيولوجية والجيوفيزقية والجغرافية والكيميائية والاقتصادية ، وعمليات التنقيب والحفر والكشف والاستخراج والتكرير والشحن والتوزيع والنقل والبيع ، ناهيك بشؤون الناقلات ، وبالمرافيء وأمورها المعقدة ، وبالصناعات البتروكيميائية ، وهي دنيا وحدها . ومثل هذا الكتاب لا يعهد في وضعه إلى أديب مبدع أو شاعر مفلق ، بل لابد من ترجمته بأقلام متخصصين في هذا الميدان .

حادي عشر — وتأكيداً للتعاون والتشاور بين النقلة والمترجمين في الأقطار العربية يرجى من الجهاز المقترح أن يدعو في الحين بعد الحين إلى حلقات أو ندوات يشترك فيها أكبر عدد ممكن من المشتغلين بالترجمة ويشاركون بالدراسات والآراء والمقترحات ، ويبحثون سبل التعاون في ميدان هم جميعاً من عمده . وأمثال هذه الحلقات الدورية لا يراد منها أن تنتهي إلى قرارات أو توصيات ، بل يكفي لها أن تكون مناسبة دورية لتقليب الرأي في أمور الترجمة وتبادل الأفكار والتجارب حولها ، والتماس أسباب حل المشكلات التي تؤود المترجمين .

وبعد ، إن حركة الترجمة وجدت لأنها ضرورة للتلاقح الفكري والتقارب الانساني . وهي ضرورة لا في اللغة العربية وحدها ، بل في

جميع لغات العالم . والمترجمون ماضون في طريقهم ، كلٌ بما هو ميسر له . ولكن هذه الحركة تسير على غير هدى ، فلا تحكمها خطة مرسومة ، ولا يعرف لها هدف معلوم ، وهي تعتمد على جهود فردية متناثرة ، وأذواق خاصة ، واعتبارات شتى .

فإن قدر للجهاز المقترح أن يصبح حقيقة واقعة ، وأن يحمل على عاتقه الرسالة التي توضحت قبلاً ، لوجد فيه المترجمون أكبر عون ، ولكان بحكم وظيفته وبحكم اتصالاته وبحكم متابعته الشاملة لحركة الترجمة في الوطن العربي خير أداة لإسداء الرأي إلى المشتغلين بصناعة الترجمة ، ولتوجيههم إلى تحقيق مآرب الضاد العليا من فن الترجمة .

القاهرة **وديع فلسطين**

التعريف والنقد

شرح أبيات سيبويه

المنسوب إلى أبي جعفر النحاس

القسم الثاني *

الدكتور محمد خير الحلواني

عرضنا في البحث السابق ما أحاط بتحقيق هذا الكتاب من أوهام، وصوبنا ما استطعنا تصويبه من نصه ، وسيكون لنا في هذا البحث مسلك آخر ، نرود فيه مجاهل قد نصل بعدها إلى الحقيقة ، أو إلى مايشبه الحقيقة.

- ١ -

وأول ما يهمنا الحديث عنه هو أن الكتاب في وضعه الراهن مضطرب أشد الاضطراب ، عبثت به أيدي النساخ ، وشوهته أيدي الملفقين ، يدنو من كتاب سيبويه حتى يكاد يلتصق به ، ويبعد عنه حتى يكاد يعارضه ، وهو تارةً كتاب في النحو الكوفي ، يصدر عن مذاهبه ، ويستعمل

(*) نشر القسم الأول من هذا المقال في الجزء السابق (مج ٥٣ ج ٢ ص ٤١١)

مصطلحاته ، وتارة أخرى كتاب في النحو البصري يقول بآرائه ، وينحو نحوه ، ويردّ على نحاة الكوفة صراحة .

ولعل أهم ما فيه من اضطراب أنك تجد العنوان في شيء ومايتضمنه في شيء آخر ، ففي الباب الذي عقده لما يجري « على المعرفة من سببها » ساق شواهد لما يجري على النكرة دون المعرفة . (انظر : الصفحة ١٧١ وما بعدها) وفي الباب نفسه تجد مقاطع غير قصيرة تنتمي إلى أبواب بعيدة جداً عن الموضوع العام ، كمجيء الأسماء الجامدة صفات كالمشتقة (ص ١٧٢) واستعمال لغة : أكلوني البراغيث (ص ١٧٣) وواضح جداً أن عنوان الباب لا يحتمل هذه الشوائب .

وفي باب سماه (باب ما يرتفع) ساق هذا الشاهد :

وابن اللبون إذا ما لُزّ في قَرَنٍ لم يستطع صولة البُزْلِ القناعيس

وقال بعده : « حجته بأن (ابن اللبون) لا يكون معرفة إلا بالألف واللام ، ولو أخرجت منه الألف واللام كان نكرة (ص ١٩٣) وساق شواهد أخرى فيها (بنات الماء) و (الثريا) وكلها يجمعها باب آخر سماه سيبويه (باب من المعرفة يكون فيه الاسم الخاص شائعاً في الأمة) ، وليس هذا فحسب ، بل انتقل إلى شواهد أكثر مجافاة للموضوع العام ، تدور حول استعمال (مَنْ) نكرة موصوفة ، (ص ١٩٤ وما بعدها) . ثم انتقل بعد ذلك إلى تقديم صفة النكرة على موصوفها (ص ١٩٦) .

وفي باب آخر سماه « باب من العطف على المضمر » تحدث عن حروف الجر التي لا يجوز أن تجر الضمائر (ص ٢٦٢ — ٢٦٣) وفي باب

(أي) تحدث عن استعمال (مَنْ) نكرة موصوفة (ص ٢٦٦) وعن استعمال (ذا) اسماً موصولاً (ص ٢٦٧) وفي باب (ما يذهب فيه الجزاء – أي ما يأتي فيه جواب الشرط غير مجزوم – تحدث عما لا يذهب فيه الجزاء (ص ٢٩١) وعن جواب الطلب (ص ٢٩٤) . وهذا كثير .

ويرتد بعض هذا التباين بين العنوان وما يتضمنه إلى أن الكتاب في أقسامه الأخيرة ، يتابع سيبويه في استطراداته التي يوضح فيها قياساً أو يشرح بها ظاهرة ، فهو يثبت الشاهد من دون تمهيد ، بل من دون إشارة إلى ما يريده ، ولا يجد في نفسه حاجة إلى أن يربطه بعنوان الباب الكبير ، كما يرتد بعضه الآخر إلى عملية النسخ ، فلا أشك في أن الناسخ أو النساخ الذين تعاوروا على نقل الكتاب ، قد قدموا مقاطع فيه ، وأخروا أخرى ، جهلاً أو سهواً .

– ٢ –

ولكن الشيء الذي يثير الانتباه هو ذلك التباين الغريب بين عنوانه جملة ، ومحتواه العام ، فهو موسوم بشرح أبيات سيبويه ، والحقيقة أنه ليس كذلك ، وإنما هو في قسمه الأول كتاب مستقل في النحو ، قد يلتقي بسيبويه في بعض الأبواب والشواهد ، ولكنه ينأى عنه في المصطلح ، والمذهب ، وبعض الأبواب ، وهو في قسمه الأخير تلخيص لسيبويه ، لا شرح لشواهده .

والذي يؤكد ذلك ما يلي :

١ – فيه أبواب ليست من أبواب كتاب سيبويه ، من ذلك الباب الذي عقده لِـ (ما يكون ظرفاً وما يكون اسماً) فهو باب خاص مرّ به

سيبويه مروراً عابراً في بعض فصوله ، (انظر : ١ /٧٩ ، بولاق) ولم يفصل التفصيل الذي تجده في هذا الكتاب . أضف إلى ذلك أنه لا يلتقي بسيبويه بغير شاهد واحد ، ثم لم يقف منه موقف الشارح ، بل عرضه عرض المحتج به ، وزاد عليه شاهدين آخرين ، وفوق ذلك تراه ينقل عن الخليل ويونس ، ويعرِضُ لِلُغة اليمن ولغة مضر ، وليس شيء من هذا في سيبويه [١] .

ويتبع ذلك أنه يبدأ بعض الأبواب بَدْءاً بعيداً عن كونه شرحاً لشواهد خاصة ، ويدل على أنه كتاب مستقل ، يقول في (باب المضاعف الذي يرد على أصله في الشعر) : « اعلم أنهم يبلغون بالمضاعف من الكلام الأصل في الشعر ، نحو : رددوا ، وشددوا ، يريد : شدّوا وردّوا ، قال الشاعر :

مهلاً أعاذلَ قد جربتِ من خلقي   أني أجود لأقوام وإن ضَنِنُوا

فرد التضعيف كما ترى ، وإنما يفعلون ذلك على أن يردوا الفعل إلى أصله ، وأصله : ضننوا ، بنونين » (الصفحة ١١) .

وفي باب آخر عقده لإسقاط حروف الجر ، وسماها (الصفات) – كما يسميها نحاة الكوفة – قال : « إذا حسنت الصفة في اسم ، ثم نزعتها منه ، فانصب الاسم الذي نزعت منه الصفة ، قال الشاعر :

أمرتُكَ الخيرَ فافعل ما أمِرْتَ به   فقد تركتُكَ ذا مالٍ وذا نشبِ

فقال : أمرتك الخيرَ ، على معنى : أمرتك بالخير » . (ص ٢٥)

---

(١) وانظر أيضاً : ٢٩ و ١١٨

وهذا في القسم الأول كثير ونقع عليه أحياناً في القسم الثاني (انظر : ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧) .

٢ — وهناك شيء آخر ذو دلالة واضحة جداً ، هو أن كثيراً من شواهده يوجهها غير توجيه سيبويه ، بل يخالفه فيها أحياناً ، من دون أن يذكر رأي سيبويه ألبتة ، ولا سيا في القسم الأول منه ، وقد يقع هذا في القسم الثاني .

ولا شك أن عرض الشواهد كلها هنا يحتاج إلى مكان أرحب مما يتسع له هـذا البحث ، ولهذا سأكتفي بعرض ثلاثة نماذج فقط ، مشيراً إلى مواضع النماذج الأخرى .

● ساق في بعض الأبواب قول ضابيء البُرْجمي :

ومن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإني ، وقيّارٌ بها ، لغريب

وقال عنه : « مقدم ومؤخر ، ومعناه : فإني لغريب بها وقيار ، قال : وسمعت الخليل بن أحمد وعيسى بن عمر ينشدان هذا البيت بالنصب» . (ص ٣٣) .

ففي هذا النص شيئان يخالف بهما سيبويه ، أولهما أنه اعتمد رواية الرفع في (قيار) ، على التقديم والتأخير كما قال ، أما سيبويه فقد اعتمد رواية النصب ، والثاني أنه جعل رواية الرفع أجود من رواية النصب ، فقال : « وأجوده الرفع » . أما سيبويه فقد ساقه ليدل على أن خبر الأول يجزىء عن خبر الثاني . (انظر ١/ ٣٨ بولاق) . والغريب أن المؤلف يروي سماعه عن الخليل وعيسى بن عمر ، وهي الرواية التي توافق رواية سيبويه الذي أخذ عن الشيخين كليهما .

● وفي موضع آخر أثبت الشاهد المعروف :

يا سارِقَ الليلةِ أهلَ الدار

ثم شرحه بقوله : « يا سارق الليلةِ ، فأضاف إلى الليلة حين جاورت الليلةُ الاسمَ الذي أضيف إليها ، فأما الخليل فإنه أنشدني :

يا سارِقَ الليلةَ أهلِ الدار

على تأويل : يا سارق أهلِ الدارِ الليلةَ . فهما لغتان ، يا سارق الليلةِ أهلَ الدار ، لغة بني تميم ، ويا سارق الليلةَ أهـلِ الدار ، لغة قيس » . (ص ٤٤ ٤٥) .

والرواية التي سمعها المؤلف من الخليل أثبتها سيبويه ، ولكنه لم يجعلها لغة قيس ، كما فعل المؤلف ، بل قصرها على ضرورة الشعر ، قال : « ولا يجوز : يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدار . إلا في شعرٍ كراهيةَ أن يفصلوا بين الجار والمجرور . » (سيبويه ١/٨٩ — ٩٠ بولاق) .

● وأثبت في موضع آخر قول رؤبة :

إني وأســـطارٍ سطرن ســـطرا

لقـــائل : يا نصرُ نصـرُ نصـرا

ثم قال : « فهذا يُروى على ما أخبرتك به ، ويرويه بعضهم : يا نصر نصراً نصرا . على : انصرني انصرني . فوضع المصدر وهو قوله : نصراً مكان : انصرني . كما تقول : ضرباً ضربا ، تريد : اضرب اضرب . » (ص ٢١٤ — ٢١٥)

ولعله يريد بـ (بعضهم) شيوخ سيبويه ، لأنه في (الكتاب) على رواية النصب ، وأنت تراه يجعل (نصرا) مفعولاً مطلقاً ، على حين يجعلها سيبويه عطف بيان . (انظر ١/٣٠٥ بولاق) .

ومعظم توجيهاته في باب الاستثناء لاتختلف عن توجيهات سيبويه فحسب ، بل تناقضها مناقضة صريحة ، كالشواهد ذات الأرقام (٤٨٠ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠) فهو يصدر فيها عن مذاهب كوفية ثابتة في كتب الكوفيين ، وفي كتب مَن نقلها من المتأخرين .

٣ - وهناك دليل ثالث ، هو أن المؤلف ينقل بعضاً من شواهد سيبويه عن الشيوخ القدماء ، وبعض ما ينقله عنهم من تأويلاتٍ لأوجهِ الظواهرِ لم يثبته سيبويه ، وسأعرض من ذلك نموذجين اثنين :

● اثبت في الصفحة (٤٥) هذا البيت :

وكرارِ خلفِ المُحْجرين جوادَهُ إذا لم يحام دون أنثى حليلها

ثم علق عليه بقوله : « قال : وكرار خلفِ .. حين فرق بين الاسم والاسم أضاف إلى الصفة ، وأحلها محل الاسم ، وأما يونس فإنه أنشدني :

وكرارِ خلفَ المحجرين جوادِهِ

على تأويل : وكرارِ جوادِهِ خلفَ المحجرين . »

فهذا البيت من رواية سيبويه حقاً ، ولكن رواية يونس لا وجود لها في (الكتاب) (انظر ١/٩٠ بولاق) وروايته إنشادَ يونس بهذه المباشرة يقطع بأن المؤلف أخذ عن يونس ، ولم ينقل الشاهد عن سيبويه .

● وفي الصفحة (١٣٥) أثبت قول الشاعر :

يا أميُّ إن تفقِدي قوماً ولدتِهم أو تُخْلَسِيهم فإن الدهر خلاسُ
عمرٌو وزيدُ مناةٍ والذي عهدتْ ببطن عرعرَ آبي الضيمِ عباسُ

ثم قال : « والخليل رواه بالنصب على البدل » . ورواية الخليل ورأيه

لم يذكرهما سيبويه ألبتة . (انظر : ٢٢٥/١ بولاق) .

وعلى هذا تجد المؤلف لايشرح رأي سيبويه ، ولايوضح توجيهه الذي ذهب إليه ، بل يروي عن الشيوخ القدماء انشاداً خاصاً ، على أن بعض هذه الشواهد تلتقي برواية سيبويه (انظر : ٩ ، ٣٣، ٤٠، ٤٤ ، ٥٧، ١٣٤)

٤ – والدليل الرابع يَعْضُدُ الدليلَ الذي قبله ، فهناك شواهد ليست في سيبويه ، وقد نقلها المؤلف عن أمثال الخليل ويونس ، أو عن العرب مباشرة ، مما يؤكد أن الكتاب ليس شرحاً لشواهدَ ، وأن مؤلفه قديم معاصر لأولئك الشيوخ ، وأن له سماعاً من فصحاء العرب ، فما رواه عن الخليل وليس في سيبويه قول الشاعر :

إنِ الحيُّ والقومَ الذي أنا منهمُ لأهلُ مقاماتٍ وشاءٍ وجاملِ
(ص ٥٩)

وقوله :

فلا لغو ولا تأثيم فيها وما فاهوا به لهم مقيم
(ص ٤٩)

وهذا من شواهد النحو التي شاعت في المتأخرين .

أما ما أنشده عن يونس وليس في سيبويه فهو قول الشاعر :

إن شرخ الشباب والشعَرَ الأسـ ـود ما لم يُعاصَ كان جنونا
(ص ٣٥)

وقوله :

وأعور من نبهانَ أمّا نهاره فأعمى وأما ليله فبصير
(ص ٤٨)

ومما رواه عن العرب التميميين قول ذي الرمة :

تلك الفتـــاة التي علقتها عرضاً إن الكريم وذا الاسلام يختلب

(ص ٣٦ . وانظر : ٤٧ ، و٦٢)

٥ – وفي معظم المواضع تجد عبارته في تحليل الشـــاهد وشرح ظاهرته تقصر عن عبارة سيبويه ، بل تكاد تكون مبهمة إذا هي قيست إليهـا ، والمعروف أن كتب الشروح إنما تفيض في التوضيح ، وتعرض الظاهرة عرضاً أكثر تفصيلاً من عرض الكتاب المشروحةِ شواهدُه . ودونك هذه النماذج الثلاثة :

● وفي الصفحة (٢٥٦) أثبت بيت (الكتاب) :

ونحن اقتسمنا المال نصفين بيننـا فقلت لهم هذا لهـاها وذا ليـــا

وكل ما قاله في شرحه هو : « أراد : وهذا ليا ، ففصل وقدم . » أما عبارة سيبويه فهي : « كأنه أراد أن يقـول : وهذا لي ، فصيَّر الواو بين (ها) و (ذا) » (٢/٣٥٤ هارون) فليت شعري كيف يكون ذاك الكلام شرحاً لهذا . ؟؟

● وأثبت في الصفحة (٢٦٠) قول يزيد بن الحـكم :

وكم موطنٍ لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قـلة النيق منهوى

وقال بعده : « حجـة بأنه قال : لولاي ، ولم يقل : لولا أنا ، لأن (لولا) ترفع ، وأنا ضمير مرفوع . » أما سيبويه فقد ساق في الظاهرة كلاماً طويلاً ثم أثبت الشاهد (انظر ٢/٣٧٣ هارون) .

● وفي الصفحة (٢٩٩) أثبت قول الشاعر :

صددت فأطولت الصدود وقلمـا وصال على طول الصدود يدوم

ثم علق عليه بقوله : « قلما لايليه إلا الفعل ، وفصل في هذا البيت .» أما سيبويه فقد ذكر أنهم أخلصوا (قلمـا) للفعل ، ولكن « قد يجوز في الشعر تقديم الاسم » . (انظر ٣/١١٥)

٦ – وإلى جانب هذا نجـد في الكتاب ظواهر نحوية مشروحة ولم يثبت المؤلف لهـا شواهد ألبتـة ، من ذلك قوله : « ويمنع صرف المعدول من الأسماء مثل : جمار ، وحذام ، ورقاش ، وحلاق ، وبداد ، وجماد . فـ (جعار) معدول عن جاعرة ، وسميت بذلك لعظم بطنها ، وهي الضبع . وجماد معدول عن جامدة ، وحلاق عن حالقة ، و .. الـخ » (٣١٥ – ٣١٦)

وكذلك فعل في قوله : « وقالوا حاجة وحاج ، وساعة وساع ، وقالوا : تمرة وتمر ، وحِقة وحِق . » (ص ٣٢٧)

ولا شك أن مثل هذه الظواهر المشروحة بلا شواهد ، ذات دلالة على طبيعة الكتاب ، وعلى أنه ليس بشرح للشواهد .

٧ – وإلى جانب هذه الأدلة المتقدمة ، نجد المؤلف قلمـا ينسب البيت إلى قائله ، وكثيراً ما يكتفي بقوله : قال ، أو : قال الشاعر ، وأيّ كتاب في شرح الشواهد يفعل هذا ؟ فمنذ فجر الدراسة النحوية عني النحاة بشواهد سيبويه ، ونسبوا معظمها إلى قائليها ، وهي قصة معروفة تناقلتها كتب الطبقات والأخبـار ، فكيف يتصدى شارح لأبيـات سيبويه ولا يكلف نفسه مُؤْنَةَ النسبة ، بل إنك لتجد البيت في سيبويه منسوباً إلى قائله ، ولا تجده كذلك في هذا الكتاب .

٨ – وآخر هذه الأدلة أنك تجد المؤلف لا يذكر اسم (سيبويه)

ألبتة ، في معرض الحديث عن الشاهد ، ولا في معرض شرح موضع الظاهرة المحتج لها ، وإنما ذكره في الكتاب كله مرتين فقط ، ذكره ذكراً عابراً ، كأن ينقل عنه خبراً أو ينسب إليه رأياً . (انظر : ٢١٣ ، و ٣٢٧) وكان أقرب إلى المنطق أن يكثر من ذكره والعودة إلى آرائه ومذاهبه ، كما تفعل كتب الشروح المعروفة .

٩ - وعلى الرغم من هذا كله نجد مواضع من الكتاب تدل دلالة واضحة على أنه متصل بسيبويه وشواهده ، على شكل يوحي بأنه تلخيص له ، لا شرح لأبياته فقط ، ولا سيما في قسمه الثاني ، ففي الصفحة (١٤١) أثبت قول الشاعر :

ومن يك سائلاً عني فإني وجروة لا تُرَار ولا تمار

وقول الآخر :

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب

ثم قال : « وضع هذين البيتين حجة في أنه صير الواو في معنى (مع) يريد : فإني مع جروة - فإني مع قيار » . ويلقاك مثل هذا في الصفحات (١٤٢ ، ١٤٨ ، ٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣) .

ولا شك أن هذا الاضطراب في أبواب الكتاب يدل على أنه غير سوي ، وأنه لم يؤلفه رجل واحد ذو مذهب واضح ، ولقد حرت في أمر مؤلفه أول الأمر ، ثم استوى لي رأي هو إلى اليقين أقرب منه إلى الشك والزعم ، وهو أن الكتاب في أوله ملفق من أحد كتابي الكسائي أو كليهما أعني : المختصر في النحو ، والحدود ؛ أما قسمه الثاني فمأخوذ

من كتاب أبي عمر الجرمي ، الذي لخص فيه كتاب سيبويه ، وذلك أن ناسخاً على مقدار غير قليل من الجهل لفق كتاباً في النحو جمعه من هنا وهناك ، نقل فيه مذاهب شتى لا تجتمع في كتاب واعٍ ، وربط فيه بين المتباعدات التي لايدنو بعضها من بعض .

والذي يدل على أن قسمه الأول من كتابيْ الكسائي أشياء كثيرة ، دونك بيانها وتفصيلها :

١ - ان المؤلف يروي مباشرة عن عيسى بن عمر ، والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وأبي الحسن الأخفش ، ويذكر ذكراً عابراً سيبويه وقطربا ، (انظر : ٩ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٧١ ، ١٣٤ ، ١٣٥) ، وتختفي هذه الأسماء في القسم الثاني ، وإذا ذكرت فإنما يكون الكلام فيها منقولاً عن سيبويه (انظر : ٢٧٧ ، ٣٠٨) .

والمهم في الأمر أن الكسائي هو النحوي الكوفي الذي لقي هؤلاء الشيوخ وروى عنهم ، أما تلميذه الفراء فقد لقي يونس بن حبيب وسيبويه ، والأخفش ، وقطربا ، ولكنه لم يرو عن غير يونس .

٢ - ويؤكد هذا أيضاً ما في القسم الأول من دلالة على سعة رواية المؤلف ، فهو ينقل عن العرب الفصحاء مباشرة دون واسطة ، إذ روى عن بني دارم ، ونهشل ، وعبس ، وأسد ، وقيس ، (انظر : ١٩ ، ٢١) وقد يعمم في الرواية ، كأن يقول : وبنو تميم الشاميون ، يجعلون كذا وكذا .. أو : سمعت بعض التميميين ينشدون ، أو بعض الكنديين ، أو يقول : اليمانون يقولون كذا ، أما المضريون فيقولون كذا ... أو : أهل

الغور ينشدون ، وبعض العرب النجديين . (انظر : ٢٤ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢) وهذا أسلوب كوفي نجده في كتاب الفراء : معاني القرآن ، أو كتابه : المذكر والمؤنث ، ونجده في كتب ثعلب وأبي بكر بن الأنباري الكثيرة ، أضف إلى ذلك أن الكسائي رحل إلى البادية وأنفد فيها خمس عشرة قنينة حبر – كما تقول الرواية – عدا ما وعته حافظته من كلام العرب ورواياتهم . والأماكن التي يحددها هذا الكتاب تطابق الأماكن التي ارتادها الكسائي ، وهي بوادي نجد ، وتهامة ، والحجاز .

٣ – وفوق هذا نجد في الكتاب مذاهب كوفية صريحة ، بعضها ينسب إلى الكوفيين جميعاً ، وبعضها ينسب إلى الكسائي خاصة ، وهي :

ا – القولُ بأن خبر (ما) الحجازية منصوب بنزع الخافض ، لا بـ (ما) نفسها كما يرى سيبويه ونحاة البصرة (انظر : ٢٦ ، ٥٧) .

ب – جوازُ العطف على اسم (إنّ) بالرفع قبل مجيء الخبر ، وإن كان اسمها معرباً ، وهذا رأي ينسب إلى الكسائي خاصة ، (انظر ٣٥ ، ٣٦) .

ج – جعلُ فاء السببية هي الناصبة للفعل المضارع ، لا (أنْ) مضمرة وجوباً كما يرى البصريون (ص ٥٠) .

د – جعل (إنْ) المخففة من الثقيلة نافيةً ، واللام الفارقة بعدها أداة حصر ، وهذا مذهب كوفي مشهور (انظر : ٥٩) .

هـ – جعلُ (إلا) في الاستثناء بمعنى الواو في بعض المواضع . (انظر : ٢٤٥ - ٢٤٦) وهذا مذهب يأباه البصريون ويرفضونه .

٤ — وكذلك نجد مصطلحات كوفية كتسمية الزائد حشواً ، وتسمية حرف الجر صفة ، وتسمية النفي جحداً ، وتسمية الفعل المتعدي واقعاً ، (انظر : ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٩ ، ٦١ ، ٦٢) . صحيح أن بعض البصريين استعملوا أحياناً بعض هذه المصطلحات ، إلا أنك حين تضع هذا الدليل بجانب ما تَقَدَّمَهُ تجده مما يُستأنس به ، ويركن إليه .

٥ — وهناك دليل آخر هو ما نجده في القسم الأول خاصة من نسبة الأوجه النادرة التي يأباها البصريون إلى لهجات عربية ، وتلك سمة كوفية تلتمس في آثار النحاة الكوفيين ، وفي كتب الطبقات التي تحدثت عنهم ، (انظر : ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٤) .

٦ — وفي موقفه من القراءات دليل آخر ، فهو لا يكاد يذكر من القراء إلا ابن مسعود ، وهو — كما تعرف — مقرىء أهل الكوفة ، وكثيراً ما يُذكر في كتب نحاتهم . (انظر : ٦٠ ، ٦١) .

على أن الكتاب يضطرب في هذا نفسه ، إذ نراه يتناقض ، ويذكر من الأوجه أو يبدي من الظواهر ما ينفي أن يكون كوفياً ، فعلى الرغم من أنه ذهب مذهب الكوفيين في عمل (ما) الحجازية في (ص ٢٦ ، ٥٧) . نراه يعود إلى رأي البصريين في الصفحة (٧٧) فيجعلها عاملة عمل (ليس) ، ويجعل الخبر منصوباً بها لا بنزع الخافض .

بل إنه يذكر الكوفيين ويرد عليهم في بعض الأحيان ، وقد يسميهم بغداديين ، كما كان يفعل بعض نحاة القرن الرابع كابن السراج ،والفارسي، وابن جني . (انظر : ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٢٠) .

- ٤ -

بقي أن نتحدث عن القسم الثاني من الكتاب ، وهو الذي أخذ من كتاب الجرمي الذي لخص فيه كتاب سيبويه . فالمعروف في تاريخ هذا العلم أن أبا عمر الجَرْمي من أوائل النحويين الذين عنوا بالكتاب، وبشواهده ، وقد هيأت له عنايته أن يلخص الكتاب كله على سعته وشموله ، ولقب ملخصه هذا بالفرخ ، أي فرخ كتاب سيبويه ، وقد اختلف القدماء في تقويمه ، فعَدّه بعضهم كتاباً جيداً ، ورآه آخرون ضعيفاً غير سويّ . (انظر : إنباه الرواة ٢/٨٠ ومابعدها . والزبيدي ٧٤ (ط ٢) ، وبغية الوعاة ٢/٩)

والحق أن الكتاب في صفحاته المتأخرة يلتصق التصاقاً محكماً بكتاب سيبويه ، لايخرج عليه ولا يخالفه في الرأي ، بل إنه ليتابعه في استطراداته التوضيحية ، جاعلاً شواهده هي المنطلق إلى الحديث الموجز عن القاعدة اللغوية .

ولابد هنا من ذكر الأمثلة ، وسأكتفي باثنين فقط إيثاراً للإيجاز :

١ - جاء في الصفحة (٢٥٩) مايلي : « قال الشاعر :

كمُنْيةِ جابرٍ إذ قال ليتي أصادفه وأفقِدُ بعض مالي

حجة أنه قال : ليتي ، ولم يقل ليتني . »

أما كلام سيبويه فهو : « قال الشعراء ليتي . إذا اضطروا ، كأنهم شبهوه بالاسم حيث قالوا : الضاربي . والمضمر منصوب ، قال الشاعر :

كمنية جابر ... الخ . » (٢/٣٧٠ هارون)

وواضح من النصين أن الكلام في الأول موجز غاية الايجاز، وأنه يتابع سيبويه في الفكرة والشاهد .

وفي الصفحة (٢٠٥) وما بعدها باب خاص عن (كم) ، جاء فيـه ما يلي :

« وجَدّاء لا يُرْجى بها ذو قرابة لعطف ولا تخشى السماء ربيبها

هذا حجة لإضمار (ربّ) . كأنه قال : وربّ جدّاء . »

فهـو كما ترى يتحدث عن (ربّ) وإضمارها بعد الواو ، وليس لهذا صلة بباب (كم) ولكنه يتابع سيبويه في بعض أقيسته التي يوضح بهـا الظاهرة ، فـ (كم) الخبرية يجـر تمييزها بـ (من) مقدرةً ، لا بالإضافة ، وقد قيس هذا على إضمار (رب) بعد الواو والفاء وبل .

وإلى جانب هذا نجده ينقل أحياناً عبارة سيبويه اللفظية ، كما فعل في الصفحة (٢٢٥) حيث أثبت قول الشاعر :

فهـــي ترثي بأبي وابنيـــما

قال : « إنما أراد : وابني ، و (ما) زائدة وصل بها كلامه ، (وإنما حكت ندبتها) » فالعبارة الأخيرة لفظ سيبويه نفسه . (انظر : ٢٢٣/٢ هارون) وفيه : « وإنما حكى ندبتها » .

وجاء في الصفحة (٢٥٤) عند الكلام على قول الشاعر :

بعـد اللتيـــا والتي والـــلاتي

« وحذف المضاف إليه ليس بأشدّ من حذف صلة التي . » وجاء في سيبويه : « فليس حذف المضاف إليه في كلامهم بأشدّ من حذف تمام الاسم . » (٣٤٧/٢ هارون) . وكذلك نجد مثل هذا في الصفحة (٢٣١)

حيث يقول عن ذي الرمة : « كان يسميها مرة مية ، ومرة ميا » وهو لفظ سيبويه نقله عن شيخه يونس بن حبيب . (انظر : ٢٤٧/٢ هارون) .

وثمة شيء آخر هو أن المؤلف يشوه في بعض المواضع البحث النحوي الذي في سيبويه ، حتى إنك لاتكاد تقف على غرضه إن لم يكن بجانبك كتاب سيبويه ، فبدلاً من أن يكون هو شرحاً لـ (الكتاب) تجد (الكتاب) شرحاً له ، ودونك مثالاً واحداً على هذا :

جاء في باب (كم) ما يلي : « قال الشاعر :

على أنني بعد ما قد مضى ثلاثون للهجر حولاً كميلا
يذكرنيك حنينُ العجول ونوحُ الحمام ينادي هديلا

حجة للفصل ، وذلك أنه فصل بين (ثلاثين) وبين (حولا كميلا) بالهجر ، ولو جاء الكلام على وجهه لقال : ثلاثون حولاً ، كما تقول : ثلاثون درهماً لك عندي ، ولاتقول : ثلاثون لك عندي درهماً » (ص٢٠٥)

فالباب كما ترى باب (كم) ، والكلام كله يخلو من ذكر (كم) ومن طيفها ، وموضع الشاهد نفسه غامض ، ولابد لك من العودة إلى (الكتاب) حتى تقف عليه ، فسيبويه يوازن بين (كم) وألفاظ العقود من حيث جواز الفصل بينهما وبين التمييز ، أما (كم) فالفصل بينها وبينه عربي جيد ، لأنها اسم جامد لاتصرف لها في التقديم والتأخير ، وإنما هي ملازمة لصدر الكلام ، أما العقود فإن الفصل بينها وبين مايميزها قبيح ، لأنها أسماء متصرفة ، تتقدم وتتأخر ، وإذا حصل الفصل فإنما يحصل في ضرورة الشعر ليس غير . (انظر : ١٥٨/٢ هارون) ذاك هو موضع الشاهد ، فأين هو مما جاء في الكتاب المحقق ؟

وأحياناً ترى المؤلف يخطىء فهم سيبويه ، وتضلّ به السبل إليه ، وقد وقع منه هذا في غير موضع من كتابه ، ودونك مثالاً واحداً عليه : جاء في الصفحة (٢٣٨) عند الكلام على قول الشاعر :

أودى ابن جلهم عبّـاد بصرمته إن ابن جلهم أمسى حية الوادي

« رخم جلهمة ، وهي أمه . » وجاء في كتاب سيبويه (٢/٢٧٢ هارون) :

« وأما قول الأسود بن يعفر :

... البيت ...

فإنما أراد أمه جلهم . والعرب يسمون المرأة جلهم ، والرجل جلهمة . »

وإذن فإن البيت يخلو من الترخيم ، وإنما أتى به سيبويه لينبه على ذلك ، فالشاعر يريد أمه ، واسمها : جلهم ، بغير تاء ، فأتى به على حقيقته من دون حذف . ولو كان يريد أباه لكان في الكلام ترخيم .(١)

* * *

نخلص من هذا كله إلى أن ناسخاً متأخراً أتى على حدود الكسائي ومختصره ، وعلى تلخيص الجرمي للكتاب ، فنقل من هذا ومن ذاك ، ولفق بين الآراء المتباينة ، فأتى كتابه المنسوخ ممسوخاً مشوهاً ، لا هو بالنحو الكوفي ، ولا هو بالنحو البصري ، ليس شرحاً للشواهد وليس بعيداً عن الشـواهد ، وليت الجهد الذي بذل في تحقيقه توفر على كتاب أكثر نفعاً ، إذن لأفاد في نشر التراث ، وقدم مانحتاج إليه .

محمد خير الحلواني

---

(١) وانظر مثل هذا في الصفحة (٣٢١)

من أوائل المتصوفة في بغداد

دراسة عن حياة الحارث بن أسد المحاسبي وتعاليمه

(٧٨١ – ٨٥٧ للميلاد)

تأليف مارغريت سمث

An Early Mystic of Baghdad. A Study of the life and Teaching of Harith b. Asad al - Muhasibi, by Margaret Smith, Sheldon Press, London, 1977

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

هذا كتاب راجعناه بالانكليزية لمجلة اسلامك ريفيو للفقيد عبد المجيد عبد الرزاق عام ١٩٥٠ ولا أعتقد أن رأينا فيه قد تغير كثيراً ، فقد طبع لأول مرة عام ١٩٣٥ وها هو ذا يظهر بطبعة ذات غلاف رقيق ، يضم ثلثمائة وإحدى عشرة صفحة من القطع المتوسط ، بما في ذلك مسرد المصادر العربية والفارسية والعبرية والسريانية والأفرنجية باللغات الثلاث : الانكليزية والفرنسية والألمانية ، وفهرس أبجدي للنقاط المهمة في الكتاب بالإضافة إلى المصطلحات الصوفية ، ولا بد من الإشارة إلى ورق الكتاب ونمط طباعته في زمن شاعت فيه الكتب ذات الورق العادي والحروف الدقيقة المرهقة للعين ، فورق كتاب المحاسبي جيد وطباعته

بمتازة . وقد كسرت المؤلفة الكتاب على أربعة عشر فصلاً ، استهلته ببيئة المحاسبي وباكورة حياته الأولى ، فقـد ولد المحاسبي في البصرة سنة ٧٨١ الميلاد وعاش ودرّس في بغداد . وقد اعترف به علمـاء المسلمين أستاذاً للتصوف الإسلامي في أوائل أيام نقاوته وبساطته وتدل كتاباته على أنه من عظماء المتصوفة الزهاد وأكابر الفقهاء ومع أنه كان غزير الانتاج فإن الكثير من مؤلفاته لم يطبع بعد ؛ لذلك اعتمدت الأستاذة الباحثة مارغريت سمث على مؤلفاته المخطوطة المبثوثة في مكتبـات الشرق والغرب ، وكان ظهور المحاسبي توطئة لظهور الإمام الغزالى الذي جعل للتصوف مـكانة عند أهل السنة ، فضلاً عن أن متصوفة العرب والفرس الذين أعقبوه كلهم عيالٌ عليه ولا سـيما أولئك الذين أثروا في متصوفة المسيحية . وأهم مـآثر المحاسبي كتابه المشهور : (الرعاية لحقوق الله) ؛ وبعد أن تفرغ الأستاذة مارغريت سمث من حياة المحاسبي الظاهرية تعمد إلى دراسة حياته الباطنية فتبحث في تحول المحاسبي إلى صوفي حقيقي بأعمق معاني الـكلمة وتدرس مشاعره نحو الله جل شأنه ونحو جيرانه والناس الملتفين حوله ، وتخصص الفصل الثالث لمريديه وخلصائه وعلى رأسهم الجنيد والطوسي والخوّص والسريّ السقطي وتتطرق إلى اثنين وعشرين مؤلفاً من مؤلفاته ومن بينها الرعاية والوصايا وكتاب التوهم ، والبعث والنشور ، والمكاسب والورع وآداب النفوس ومحاسبة النفوس وفهم الصلاة ، وكتاب العلم ، والتفكر والاعتبار ، وفهم القرآن ، والغيبة ؛ وعندما تسرد الأستاذة مارغريت مصادر المحاسبي تعدد بينها المحدّثين الأوائل والجيل الثاني من الثقات كالحسن البصري وسفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم ومعاصريه كالأنطاكي وبشر الحافي وذنون المصري ، والمصادر اليونانية

والمسيحية والعبرية . وتستغرق خمساً وعشرين صفحة في بحث النظرية النفسية للمحاسبي فتتطرق للباطن والظاهر والروح العلوية والسفلية والعقل وموضع المشاعر والعواطف والقصد والإرادة ونظرية المحاسبي في المعرفة . وتخصص السيدة الباحثة ثلاثة فصول متتابعة لموضوع (الفقه الزهدي عند المحاسبي) وكلها تدور حول الخالق والمخلوق وطبيعة الإثم والخطيئة وأعداء الروح وإبليس والذات والإغراء وهدفه والنفاق والكبرياء بأشكالها المختلفة والغبطة والحسد وآثام اللسان وإيهام الذات والندم والتوبة واختبار الذات وتمحيصها. أما الفصل العاشر فمحوره الفقه الأخلاقي بما في ذلك الأمل والورع والإحسان والعدل والصبر . وأبرز تعاليم المحاسبي التعبدية تتركز في أهمية الوحدة والصمت والصلاة التأملية . وبعد الفراغ من كل هذا تعرج مارغريت سمث على تعاليم المحاسبي الصوفية ، ومن ثم تجمل الفصل الثالث عشر خلاصة لتعاليم المحاسبي كافة وتدير الحديث حول تأثير المحاسبي على معاصريه وتحدثنا عن نقاده ومريديه وبالتالي عن تأثيره على من جاء بعده كالحلاج وابن سينا والسهروردي وطبقة الشاذلية من أمثال السبكي وابن حجر العسقلاني ؛ وتجد مارغريت سمث أن تأثير المحاسبي على الإمام الغزالي كان من القوة بحيث يستحق أفراد فصل خاص به هو الفصل الرابع عشر ، الفصل الختامي ، ويتشعب عندها الكلام فتستطرد إلى ابن العبري والتصوف الغربي وموسى بن ميمون والتصوف المسيحي وتوماس اكوانياس Thomas Aquinas ودانتي ؛ ولعل هذا الفصل هو أطرف ما في الكتاب وأمتعه ، ومن يقرأه يؤمن بأن المحاسبي كان أبا التصوف في العالم فمتصوفة الإسلام والمسيحية والموسوية مدينون له جميعاً على رأي الأستاذة مارغريت

سمث ، فتوماس اكويناس المتوفى عام ١٢٧٤ للميلاد درس كتب المتصوفة العرب وتأثر بالمحاسبي بشكل ملحوظ عن طريق الإمام الغزالي ؛ وهذا نمط من كتابات توماس اكويناس يذكرنا بآراء المحاسبي وأقواله ونظرياته : يقول القديس توماس وكأنه يترجم عن المحاسبي بالحرف الواحد : « إننا نقدم لله عبادة روحانية قوامها العبادة الباطنية في العقل ، والعبادة الجسمانية التي قوامها الاخضاع الخارجي للبدن واستسلامه وفي كل أفعال العبادة يشير ما هو ظاهري إلى ما هو باطني والثاني أهم من الأول بكثير . فالعبادة الظاهرية إنما تقدم من جراء العبادة الباطنية .

وكان ريموند لل Raymond Lull الـكاتالوني المتوفى سنة ١٣١٤ المعروف بالعلامة المنوّر أحد المتصوفة المسيحيين في إسبانيا الذين استوحوا أفكارهم من كتاب العرب وفقهائهم وهو الذي أسس كلية اللغات الشرقية بروما تدّرس في جملة ما تدّرس العربية والدين الاسلامي الحنيف ، يقول عنه بعض الكتّاب المحدثين : « لقد أصبح كشعلة ملتهبة تضطرم حيوية وتدعو إلى الاتجاه إلى الله وإلى التأمل وعلى الأخص إلى العمل » وأكبر الظن أن الكثير من تعاليمه ومواعظه قـد استقي مما كتبه المحاسبي ومن جاء بعده . وفي استعراضه لموضوع الخطايا وعلاجها نجد صدًى مردداً لتعاليم المحاسبي الزهدية ، ومن أقواله المأثورة : « بين الأمل والخوف جعل الحب مقامه » وعلى لسان العاشق الإلهي يقول ـ وأقواله أصداء لما قالته متصوفة العرب ـ : « أملي في تذكري وفهمي وحبي للعدالة من أحب ورحمته وصدقي وإحساني تكمنان في أنني أحب محبوبي أكثر من نفسي وأكثر من أي كائن سواه وصبري في خشيتي وحبي لمن أحب ، وقواي العقلية

في تذكري وفهمي وحب الشرور التي تنالني من حبيبي ، وفي عبادتي وحبي وفهمي إياه كنزي . ويقول العاشق كذلك : « أنا لا أميّز بين الأفراح والأتراح التي تبعث بها إلي » . هذا كلام المحاسبي وقد أعجب به (ريموند لل) وردده وكأنه من بنات أفكاره . لنستمع إليه وهو يتحدث عن (الوحدة) إنه ليقول : « الوحدة سلوى ورفقة بين المحب والمحبوب ، لأن السلوى والرفقة هما وحدة القلب العاشق عندما لا يتذكر غير شخص الحبيب » .

وقد امتد تأثير المحاسبي إلى الشاعر الإيطالي دانتي فهناك الشيء الكثير من تأثير التصوف الاسلامي فيه وأبرز ما نرى ذلك في الكوميديا الإلهية ومع أن (دانتي) مدين بمعظم ما جاء به إلى ابن عربي فهناك مع ذلك آثار من التعاليم الصوفية الأولى التي سبقت ابن عربي وعلى الأخص تلك التي جاء بها المحاسبي ومن بينها فكرة (المطهر) Purgatory حيث ينال الآثمون عقاباً يطهرهم مما اقترفوه وهو عقاب وقتي وليس بأزلي ، فثواب الصالحين الذين توفاهم الله من بعدما تابوا وأنابوا جنات النعيم . أما الأولياء وخيار المؤمنين فلهم فرحة الأزل برؤية ربهم الكريم وسماع صوته ،صوت المحبوب الأزلي الأبدي .

وهكذا نرى أن تأثير المحاسبي المباشر وغير المباشر في المتصوفة الذين جاؤوا بعده من مسلمين ومسيحيين وموسويين كان عميقاً بعيد المدى ؛ وقد شبهه بعض الباحثين بالراهب الألماني توماس آ كيمبيس Thomas A Kempis الذي عاش في القرن الخامس عشر وقد كتب في التاريخ والسير والمواعظ وأناشيد كنيسة واستنسخ الكتاب المقدس وألف عدة كتب في العبادات والطقوس الدينية ، أهمها كتابه (محاكاة المسيح) الذي نقل إلى العديد

من اللغات وظهرت له ما لايقل عن ثلاثة آلاف طبعة ، وعلى ذلك فالمحاسبي هو توماس آ كيمبيس العرب ، غير أننا نستميح السيدة مارغريت سمث العذر ونقول إن توماس آ كيمبيس هو محاسبيّ الألمان ، ذلك لأن المحاسبي هو السابق والمتصوف الألماني هو اللاحق الذي يجب أن يشبه به والمحاسبي هو أول من أوضح بجلاء طريق التصوف الهادف إلى تحقيق الوحدة الروحانية مع الله ووضع أسس حتى الوجود التي أصبحت السبيل التي سلكها الكثير من المتصوفة الذين ترسموا خطاه على مر الأجيال سواء في الشرق أو الغرب .

وبعد ، فهذا هو كتاب الحارث بن أسد المحاسبي الذي بذلت فيـه المستشرقة جهداً لاينكر وتجلت فيه أنفاس أكابر المتصوفة من المستشرقين وعلى رأسهم آربرى ونكلسون الذي يُخيّل إليّ أنه هو الذي اقترح عليها هذا الموضوع يوم كان رئيساً لقسم اللغة العربية بجامعة كمبردج ، وهو الذي شجعها المضي قدماً في هذا السبيل .

اكسفورد : صفاء خلوصي

كتاب « حَجَّة أحمد بن طُوَيْر الجنة »
ترجمة وتحقيق هـ . ت . نوريس

وكتاب « ملك القلعة : الاختيار والمسؤولية في العالم المعاصر »
تأليف : غاي إيتون

(1) The Pilgrimage of Ahmad son of the Little Bird of Paradise. Translated and edited by H. T. Norris, (Aris & Respousips Ltd, ENGLAND)

(2) Gai Eaton, « King of The Castle, Choice & Responsibility in The Modern World, » Imperial Iranian Academy of Philosobphy, London, 1977

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

سميراي هذا الشهر كتابان جديدان ظهرا بالانكليزية مؤخراً لايجمع بينهما سوى خيط دقيق واحد ، هو أن موضوعهما إسلامي ، الأول بعنوان : « حَجّةُ أحمد بن طُوَيْر الجنّة » وهو ترجمة انكليزية قام بها المستشرق الشاب ايتش . تي. نوريس المدرس بكلية المشرقيات بجامعة لندن ، والثاني كتاب عنوانه : « ملك القلعة أو الاختيار والمسؤولية في العالم المعاصر » تأليف غاي إيتون ، ولنبدأ بالكتاب الأول فهو مخطوط موريتاني أو بالأحرى شنقيطي ـ وحبذا لو أعيد اسم شنقيط وأستعيض به عن (موريتانيا) الاسم

الذي فرضه الاستعمار الأوربي على هذا القطر فرضاً ، وأود أن أطبق هذه الدعوة في مقالي هذا فحيثما ورد اسم (موريتانيا) فهو (شنقيط) إرضاءً لأرواح السلف الصالح الذين ما كانوا ليعرفوا لها غير هذا الاسم . يسرد المخطوط الشنقيطي قصة حجٍ في القرن التاسع عشر تتضمن رحلة من شنقيط إلى مكة المكرمة يتحدث فيها لنا المؤلف أحمد بن طُوَيْر الجنة عن القافلة التي سارت شمالاً إلى الساحل وركِبَ رجالها متن البحر الأبيض المتوسط وسط العواصف والزوابع إلى أن بلغوا أرض مصر ومن ثَمَّ قدموا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، عادرا بعدها عن طريق مصر إلى طرابلس الغرب ، فتسرد خلال ذلك حكايات عن جيش الصحابة ورجال القيروان ، ويُمضي الحجيج أياماً في تونس الخضراء ويتلقفون حكايات من تونس ويتحدثون عن ملاقاتهم للفرنسيين في الجزائر ، والانكليز في جبل طارق ، والعودة إلى مراكش ، والتقاط بعض الأشعار والقصص من فاس وإنشاء معتكف لأحمد والعودة إلى ودّان . ومع أن الكتاب في (أدب الرحلات) من نحو كتاب (النفحة المسكية في الرحلة المكية) للشيخ عبد الله السويدي و (نفحة الشمول في الرحلة إلى إسلامبول) للآلوسي ، فهو لايخلو من التفاتات أدبية بارعة ونظرات في الأدب العربي قام بترجمتها الأستاذ نوريس الذي يبدو أنه قد أولع بالشمال الإفريقي ، فقد سبق له أن وضع كتاباً عن (الطوارق) وتراثهم الإسلامي وانتشارهم في الساحل . وما ازدان الكتاب بالشعر البارع فحسب بل كذلك بالصور الضوئيـة التي زادت من إيضاح معالم شنقيط أو موريتانيا .

والشناقطة ، وقد أسعدنا الحظ باللقاء مع زمرة منهم في مهرجان

المتنبي ببغداد ، أناس متمسكون بدينهم وعروبتهم ، وقد نبغ منهم شعراء وأدباء وعلماء باحثون ومن هؤلاء أحمد بن طُوَيْر الجنة الذي عاش في ودّان وهي واحة في شنقيط أو موريتانيا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر ، وقد كان عالماً مهيباً وقوراً وكتابه عن رحلة الحج إلى مكة المكرمة لا يزال موضع عناية علماء الصحراء الغربية في إفريقية . وقد قام بزيارة معظم أقطار شمال إفريقية ومما يذكر أنه اعتقل بُعيد الاحتلال الفرنسي للجزائر ، ولكنه نزل ضيفاً معززاً مكرماً عند حاكم جبل طارق الذي أكرمه كملكٍ لشنقيط ، وتتفق « الارشيفات » الفرنسية والبريطانية على قصة حياة أحمد ، والكتاب يلقي ضوءاً جديداً على العالم الإسلامي حوالَيْ سنة ١٨٣٠ ، وقد أماطت تعليقات المؤلف اللثام عن أهمية سلطان مراكش والثقافة المزدهرة في تونس ، والطاعون في مصر ، ومخاطر الحياة في بلاد العرب . والفكرة الجوهرية المسيطرة على الكتاب هي عقيدة البركة فمن حباه الله بالبركة استطاع أن يتغلب على كل صعاب الحياة فالشخص المبارك موفق في حياته دائماً ومنتصر على الإلحاد والزندقة ومحيل الأعداء إلى أصدقاء . وللكتاب أهمية خاصة من وجهة نظر طلاب علم الأديان المقارن ولدارسي الإسلام في شمالي إفريقية وتاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط في أوائل القرن التاسع عشر ، وتعد النسخة الخطية التي عثر عليها الدكتوران نوريس وسيمون أفضل وأصح نسخة ، وقد حدث ذلك أثناء رحلتها إلى شنقيط أو موريتانيا وذلك سنة ١٩٦٠ وقد أفاد نوريس من معلومات المستشرق المسلم الحاج داود كاون في إيضاح بعض القضايا المتعلقة بمناسك الحج على ما يذكر في المقدمة ؛ وعلى العموم فالكتاب قد جمع بين المتعة والفائدة . فلمحققه ومترجمه الأستاذ نوريس كل تهنئة على ما أسدى للعربية من جميل .

أما الكتاب الثاني (ملك القلعة) فأجمل أسلوباً ولغته الانكليزية أقوى وأرصن ؛ ولعل السبب في ذلك هو أنه ، خلافاً للكتاب السابق ، موضوع وليس بمترجم . ومؤلفه غاي ايتون من مواليد سويسرة ومتخرجي جامعة كمبردج ؛ عمل لسنوات طويلة مدرّساً وصحفياً في جميكا ومصر قبل أن يلتحق بالسلك الدبلوماسي البريطاني الذي تقاعد عنه مؤخراً وهو في سن الخامسة والخمسين بعد أن خدم في الهند وإفريقية وجزر البحر الكاريبي . والكتاب الوحيد الذي سبق أن طبعه له قبل الآن هو الموسوم بـ Richest Root « أغني عرق » بناء على تكليف من الشاعر تي . ايس . ايليوت T. S. Elliot

ويعالج كتابه (ملك القلعة) العديد من فرضيات عصرنا التي لم تناقش مقارناً إياها بمعتقدات الغابرين . ويكتب المؤلف بالدرجة الأولى كمسلم ولكنه ولكنه مع ذلك يرجع إلى مظاهر عديدة للحكمة التقليدية أو الفلسفة المتعارف عليها والتي تتمثل في الإسلام كمظهر من مظاهرها ، ويتعلق القسم الأول من الكتاب بمحاولة المجتمعات العلمانية أو الدنيوية أن تسيطر على رعاياها وتتملكهم جسماً وروحاً مع الاضطرار إلى إعادة تحديد وتعريف المسؤولية البشرية في مدنية تعاونية تضامنية تقنيّة .

أما القسم الثاني من الكتاب فيقدم لنا وجهة النظر التقليدية للانسان كخليفة الله في أرضه ويحاول أن يتبين المضامين العملية لذلك ،ويمضي المؤلف قدُماً ليتبين دور العلم الحديث في ضوء حقيقة الفلسفة الأزلية التي ليست لها حدود ، وينتهي بتأكيد قوي عن قدرة الانسان على مقاومة الضغوط الاجتماعية واختيار مصيره النهائي . والدعوة التي يدعو إليها غاي ايتون في كتابه الممتاز (ملك القلعة) هي إعادة البعد الديني لنظرة الانسان للكون

ذلك البعد الذي اعتاد أن يقيس به الأشياء ، بما في ذلك إنجازاته خلال معظم مراحل التاريخ ؛ وتكتسب المناقشة قوة وإقناعاً عندما نأخذ بنظر الاعتبار ، على نحو ما يهدف المستر ايتون ، حقيقة كون رؤيتنا قد غدت مشوّهة إلى حد خطر ومبهورة وخارجة عن نطاقها المعقول بسبب الانجازات الباهرة للعلم والتقنية المعاصرة ، ويضم الكتاب ثمانية فصول مع مقدمة ضافية ومقترحات لمطالعات إضافية في الموضوع ذاته ؛ والفصول الثمانية تتطرق للموضوعات التالية : ١) المدن غير الحقيقية ٢) تكاليف الثراء ٣) الحرية والطاعة ٤) الانسان في المجتمع ٥) الانسان خليفة الله في أرضه ٦)العلم ومزيّفاته ٧) التراث الوحيد الذي نملكه ٨) ما نحن وأين نحن ؟

وإنه لمما يعجبني حقاً أن يتحدث المؤلف في الفصل السابع عن غطرسة الغرب وعجرفته وغروره حين يقول (ص ١٦٥) : « أن كبرياء الغرب وتعاليه فيما يتعلق بالثقافات الأخرى مبرقعة ملفعة في زماننا هذا لأنه زمن التزييف الملطف المؤدب ... فالمتوقع من غير الأوربيين أن يطبقوا أساليب حكم أوربا الغربية ظاهرة من هذه الظواهر ، وان اللعنة لتنزل على أي انحراف عن سلوكنا وتقاليدنا الأوربية المتأصلة على ما هي عليه في التاريخ الأوربي من قبل الأفارقة أو العرب أو الآسيويين ، فتعبيرنا اليوم عن ذلك بالأسف أكثر من الغضب ... وننسى أن تاريخنا قصة لا توازيها قصة في التخريب والاستغلال » .

والأستاذ غاي ايتون كبير الإعجاب بالإسلام ونظمه ولا يخفي هذا الإعجاب في تضاعيف كتابه ، فالمسلمون في نظره ، رغم كونهم قد تعرضوا لعوامل التحديث والمعاصرة ، لم يعانوا الصعوبة التي عاناها غيرهم في موازنة

تقلبات الحياة الدنيوية مع الرحمة الإلهية ، فقد كانوا ولا يزالون أقل تعرضاً للوقوع في فخ أو شرك .

وتملو الكتاب من مستهله إلى منتهاه مسحة فلسفية متفائلة تخلق من كل قارىء إنساناً سعيداً ، فالهزيمة على رأي المستر ايتون شيء والتنازل شيء آخر ، وما القنوط إلا وليد التنازل لا الهزيمة ، وهو يرجح الهزيمة النكراء على أي تنازل من أي نوع كان . فعبارات من نمط (ما فائدة هذا ؟) و (ما جدوى ذلك ؟) شعارات عصر يقيس كل شيء بمقياس ما يبدو نجاحاً آنياً موضوعياً ، ذلك لأن الهزيمة تقوي العزيمة لإعادة الكرة ، وكما قيل فإن الفشل سماد النجاح ، في حين أن التنازل طريق عقيم مسدود لا يفضي إلى شيء غير الاضمحلال والفناء .

ويربط المؤلف الفاضل ربطاً رائعاً بين المسيحية والاسلام فيقول : « لقد قتل المسيح ولكن الرجل الذي أتم المعركة من أجل حضارة جديدة هو محمد بن عبد الله » . ولا يوافق غاي ايتون أولئك الذين يحاولون إيجاد دين جديد لأنفسهم لأن ذلك لا يتاح إلا لعبقريات خارقة تظهر مرة عبر عشرات الأجيال .

اكسفورد : صفاء خلوصي

تعليقات على كتاب
نَضْرة الإغريض في نُصْرة القريض

عبد الإله نبهان

نَضْرة الإغريض في نُصْرة القريض كتاب صدر في مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م بتحقيق الدكتورة نهى عارف الحسن « من أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة اللبنانية » .

مؤلف الكتاب المظفّر بن الفضل العلوي الحسيني ٥٨٤ – ٦٥٦ هـ. وموضوع الكتاب يدور حول صناعة الشعر ونقده وبديعه وبلاغته وجوازات استعمال الشاعر وفضل الشعر ... وقد قدمت له المحققة بمقدمةٍ وجيزة عرفت بالمؤلف وبمخطوطات الكتاب وبسطت طريقتها التي اتبعتها في تحقيق الكتاب .

والكتاب ممتع ومفيد وغنيّ بالشواهد الشعرية ، والاقتباسات والأخبار والإشارات التاريخية ، وقد بذلت الدكتورة المحققة أقصى الجهد – فيما يبدو – لتحقيق الانسجام بين خطتّها النظرية في التحقيق وبين التحقيق الفعلي ، يدلّ على ذلك شروحها وحواشيها ، ولكنّ طبيعة العمل في هذا الميدان – مع الأسف – تأبى أن يصدرَ عملٌ ما في ثوب الكمال ، فلا بدّ من التواء هنا وغموض هناك وسهو هنا وغلط ووهم هناك . لذلك

وجدتني كثيراً ما أتوقف عن القراءة متسائلاً مراجعاً مصححاً أو متأكداً موثقاً . وكثرت وقفاتي وطال بي الأمر ، ثم رأيت التعليقات التي دوّنتها جديرةً بالنشر لإغنـاء التحقيق لا لتجريح الكتاب ، فبعض المصادر التي أفدتُ منها الآن لم تكن ظهرت بعد ، وبعضها مما لم يتيسر المؤلفة حيث كانت تمدّ عملها أو حين كانت تمدّه .

أوّلُ ما لفت نظري تراجم الأعلام الكثيرة في الحواشي ، مع عدم تقيّد المحققة بترجمة كل علم ، فقد يمرّ بك عدد من الأعلام لا يُترجم لهم، بينما يُترجم لآخرين ، وتساءلت : ما المعيار الذي جعل المحققةَ تترجم بعضاً وتهمل آخر ؟

فإذا قلنا إنها لم تُرد ترجمة المشهورين فاجأتنا أنها ترجمت لرجالٍ هم الشمس شهرةً كأبي علي الفارسي والتبريزي والمفضّل الضبي وعمرو بن معديكرب والحارث بن حِلِّزة .. بينما أهملت أعلاماً كان من اللازم ترجمتهم لبُعد كتب التراجم التي ترجمت لهم عن الأيدي وندرتها ، فمثلاً ورد في ص ٢٣٦ ذكرُ شرف الدولة مسلم بن قريش ، وسكتت عنه المحققة مع أنه كان بإمكانها أن تحيلَ إلى ترجمته في خريدة القصر - قسم شعراء الشام - ٢٥٦/٢ ، مع العلم أن هنـاك أعلاماً لم أعثر لهم على تراجم - على شدة البحث في حدود الطاقة - وكان من الواجب الإشارة إلى ذلك في الحواشي ، لأن الإشارة أجدى من السكوت وأنفع ؛ ولعل غنى الكتاب بأسماء الأعلام وصعوبة العثور على تراجم تامّة لهم صرف همّة المحققة إلى تتبع المشهورين ومَنْ قاربهم مِنْ الذين تيسرت سبل تراجمهم أمامها ، مع أن النُتَفَ القليلة التي قد نعثر عليها عن المغمورين أجدى من تراجـــم

المشهورين لأن هذه النتف إذا جمع بعضها إلى بعض من كتاب إلى كتاب كونت مع الزمن تراجم تامة لأعلامٍ لم نكن نعرف إلا أسماءهم. فمثلاً مرّ بي اسم الشاعر عقال بن هاشم القيني مرتين في الكتاب دون تعليق بسلب أو إيجاب وبحثت عنه في كتب التراجم المتوفرة لديّ فلم أجد له ذكراً وإنما مرّ ذكره عرضاً مرتين على الأقل في معجم البلدان : ٩١/٣ طبعة صادر .

وأعود الآن إلى الكتاب من أوّله وأقف في الصفحة الثانية لأقرأ قول المحققة وهي تترجم لابن العلقمي : « وقيل في رواية أكثر المؤرخين إنه مالأ هولاكو » .

قلت : إذا كانت هذه رواية أكثر المؤرخين فلا لزوم إذاً لصيغة التمريض (قيل) وكان الأفضل استبدالها بصيغة التوثيق . وأذكر أن العلاّمة الشيخ محمد أبو زهرة قد تعرض لبحث هذه القضية وأكد تآمر ابن العلقمي على بغداد في كتابه عن ابن تيمية .

– في الصفحة الرابعة ورد ذكر المثل : « كلُّ الصيد في جوف الفَرا » .

قالت المحققة : مثل من أمثال النبي ﷺ قاله لأبي سفيان بن حرب حين أسلم . وقد نقلت ذلك عن العمدة .

قلت : يفهم من سياق المثل وقصته في مجمع الأمثال ٢٣٦/٢ أن الرسول ﷺ قد تمثّل بهذا المثل الجاهلي القديم ليتألّف به أبا سفيان . فنُسِب المثل إلى الرسول في كتب البلاغة والنقد .

— في الصفحات ١٠ - ١١ - ١٢ ... وردت تعاريف للشعر والقصيدة وسبب تسميتها ، كما وردت طائفة من الأخبار والروايات ، ولم تردّ المحققة شيئاً من ذلك إلى مصادره الرئيسية ، مع أنها ذكرت في منهجها أنها سترجع النصوص والتعريفات والآراء إلى أصحابها إذا وجدت ضرورة - دون معرفة مقياس لهذه الضرورة - ويبدو لي أن اعتماد المحققة على كتاب العمدة اعتماداً رئيسياً قد أعاق انتقالها من كتاب إلى غيره وقيدّها مع أن تحقيق النصوص بحاجة إلى حرية كبيرة في الحركة والانتقال من كتاب إلى آخر . فهي تميل إلى العمدة في قولٍ للأخفش عرّف به القافية مع أن الأصل وهو كتاب القوافي للأخفش مطبوع متداول . أما كان الأليقُ الرجوعَ للأصل بدلاً من الاعتماد على العمدة ؟ .

وأقف عند الأبواب ، باب الإشارة ، التجنيس ، الطباق ، التصدير ، الالتفات ، التقسيم ، التسهيم ، الإيغال ... الخ ، فأرى أن المحققة لم تحل إلى المواضع التي عالجت كل باب من الأبواب في كتب البديع والبلاغة على الرغم من اختلاف المصطلحات البديعية بين مؤلف وآخر . فمثلاً باب التسهيم بحث في البيان والتبيين تحت اسم الأبيات المحجّلة ، وفي نقد الشعر تحت اسم التوشيح ، وفي سرّ الفصاحة تحت اسم المعاظلة ، وفي الإيضاح تحت اسم الإرصاد .. نصّ على كل ذلك الدكتور حفني شرف في حواشي كتاب « بديع القرآن » ص ١٠٠ بينما اقتصرت المحققة على الرجوع إلى العمدة فقط ، ولولا أن العمدة نصّ على أن قدامة يسميه توشيحاً لما ذكرت ذلك .. وقل مثل هذا في بقية الأبواب .

— في ص ١١٤ مرت ثلاثة أبيات نسبت للخارجي ، وورد البيت

الأخير منها في العمدة منسوباً للحارثي .. ومع أن الحارثي تكرر ذكره ص ١٢٣ - ٤١٩ إلا أن المحققة لم تقف عند ذلك واكتفت بالإحالة إلى الموشح أو العمدة ، مع أن كتب البلاغة والنقد ليست لها الأفضلية في مجال التوثيق .

- في ص ١١٧ ١٧٨ مرّ ذكر جنوب أخت عمرو ذي الكلْب فلم تترجم لها ، ولم تذكر حتى اسمها الكامل في الحاشية وهو جنوب بنت عجلان ، وقد ترجم لها الأستاذ عمر كحالة في أعلام النساء ١/٢١٨

وفي ص ١٢٥ ذكر المؤلف بيت أبي نواس :

ظنّ بي مَنْ قَدْ كلفتُ به فهو يجفوني على الظّنَنِ

قالت المحققة : لم أعثر على البيت في الديوان المشار إليه .

قلت : البيت في الديوان المشار إليه (أي ديوان أبي نواس طبعة الغزالي) ص ٤١٢ وهو بيت من قصيدة أولها :

يا كثير النّوح في الدّمن لا عليها بل على السّكن

- في ص ١٢٨ : نقل مؤلف الكتاب عن كتاب البديع لابن المعتز ولم تحل المحققة إليه وكان المفروض أن يقال في ذلك الموضع : قارن بالبديع ص ٦٢

- في ص ١٢٩ : ترجمت في الحاشية للربيع بن ضَبُع الفزاري وقالت : انظر ديوان الشعر العربي ١ / ٥٧٦ . ولما رجعت إلى فهرس المصادر والمراجع لم أجد ذكراً لهذا الكتاب ولا اسماً لمؤلفه . وما أدري إن كانت أرادت المختارات التي أخرجها علي أحمد سعيد بعنوان ديوان الشعر

العربي ، وأتساءل إذا كان افتراضي صحيحاً : أبلغ بنا الأمر أن نعد مثل هذا الكتاب المحدث مرجعاً لتوثيق التراث ؟!!

– في ص ١٣٠ ذكر المؤلف أربعة أبيات لأبي هفّان ، فنصّت المحققة : ان البيتين الثاني والثالث في العمدة ٤٨/٢

قلت : وكتب الأدب تروي الأبيات الثلاثة أو الأربعة مجتمعة مع بعض خلاف في الرواية عن رواية مؤلفنا . انظر أمالي القالي ٩٦/٣ ، ٩٧

– في ص ١٤٩ : ورد البيت :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

وقد أحالت المحققة إلى أكثر من مصدر ، وذكرت أن محقق نقد الشعر « بوينباكر » ذكر في الحاشية أن البيت لكثير عزّة .

قلت : والبيت مع أربعة أبيات أخرى في ملحق ديوان كثير عزة ، طبعة إحسان عباس ص ٥٢٥ مع تخريجها .

– في ص ١٥٨ : ورد بيت للنمري :

ولو كنت بالعنقاء أو بأسومها لخلتك ، إلا أن تصـــدّ ، تراني

قالت المحققة : العنقاء : الداهية ، وطائر معروف الاسم مجهول الجسم .

قلت : الأرجح أن المعنيّ بالعنقاء هنا اسم مكان معين وكأنه يريد به مكاناً بعيد المنال . قال أبو زيد : العنقاء أكمة فوق جبيل مشرف أوى إليه « القتّال » ـ أي القتّال الكلابي ـ . معجم البلدان ١٦٢/٤ طبعة صادر

– في ص ١٨٠ : قال المؤلف : « وقال الحكميّ ـ أي أبو نواس ـ يصف سفينة :

فكأنّها والماءُ ينطحُ صدرَها والخيزُرانةُ في يدِ الملّاحِ
جونٌ من العقبان تبتدرُ الدُّجى تهوي بصوتٍ واصطفاقِ جناحِ

قالت المحققة : لم أعثر على البيتين في طبعتي الديوان .

قلت : الأبيات في كتاب التشبيهات لابن أبي عون ص ٣٦٠ وقد ذكرته المحققة في مصادر التحقيق التي رجعت إليها .

- في ص ١٨٠ : قال المؤلف : قال أبو الشيّص الخُزاعي :

إنّ الثمانين - وبُلّغتَها - قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

قالت المحققة : البيت في العمدة ٢/٤٥ ... وقد نسب إلى عوف ابن محلّم .

قلت : البيت لعوف بن محلّم كما في أمالي القالي ١ / ٥٠ وهو مشهور متعاور في كتب النحاة .

- في ص ١٨٧ : أورد المؤلف أبياتاً للجون النمري .

قلت : والأبيات مع خبرها في كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطي ١/٢٢٤

- في ص ١٩١ ورد في الكتاب : قال الأخطل :

ولقد سما للخرّمي فلم يَقُلْ بعد الونى لكنْ تضايق مُقدَمي

قالت المحققة : لم أعثر على هذا البيت في ديوان الأخطل تحقيق الأب أنطون صالحاني ، وهو في الصناعتين ص ٣٦ وذكر المحقق أنه لعنترة .

قلت : إن كلمة « الخرّمي » قرينة تاريخية تمنع أن يكون البيت للأخطل بله عنترة . فالخرّمي مقصود به (بابك الخرمي) الذي قتل أيام

المعتصم على يد الأفشين وذكره أبو تمام في شعره بقوله :

ولقد شفى الأحشاء من بُرحائها أنْ صار بابكُ جارَ مازيّار

والبيت المنسوب للأخطل يدل على أنه قيل في مدح القائد العباسيّ أو الخليفة الذي هزم بابك وخضد شوكته .

والصواب أن البيت لشاعر عباسي لقبُه الأُخيطل . وقد ذُكر هذا البيت منسوباً إلى الأُخيطل في كتاب البديع لابن المعتز ص ٦٤ . والأخيطل هذا هو محمد بن عبد الله بن شعيب وترجمته في معجم الشعراء : ص ٣٧٦ طبعة فرّاج وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٤١٢ طبعة فراج : دار المعارف .

في ص ١٩٤ وردت عبارة : وفي الحديث : « إن نافدتهم نافدوك » ولم تقف المحققة عند هذا الحديث مع أن لسان العرب وتاج العروس قد ذكراه في مادة « نفد » وقالا : إن الحديث روي عن أبي الدرداء .

في ص ٢٠٤ ورد بيت لابن الزبعرى :

والعطيّات خساس بيننا وسواء قبرُ مثرٍ ومقِلّ

قلت : البيت في السيرة لابن هشام ١٣٦/٢

في ص ٢٠٥ ورد ما يلي : « قال الحكميّ :

بُحّ صوت المال مما منك يشكو ويصيحُ

معناه صحيح ولفظه قبيح أخذه سَلْم فقال :

تظلّم المالُ والأعداءُ من يده لا زالَ للمال والأعداء ظلّاما »

قالت المحققة في الحاشية معلقة على اسم « سَلْم » : « فيا : مسلم » أي أن اسم سلم في نسخة فيينا هو : مسلم .

قلت : وهو الصواب لأن البيت لمسلم بن الوليد وهو في ديوانه : ٦٤

– في ص ٢٠٦ : ذكر المؤلف بيتاً للبحتري ولم تحل المحققة إلى ديوانه . والبيت في الديوان : ٢/١٠٥٠

– في ص ٢١٨ – ٢١٩ : ... قال علقمة بن عبدة :

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته إثرَ الأحبّة يوم البين مشكوم

قالت المحققة : لم أعثر على البيت في ديوانه تح : الشيخ أبي شنب . الجزائر ١٩٢٥ وهو في شرح اختيارات المفضل ٣/١٦٠١

قلت : البيت في ديوان علقمة بشرح الأعلم ص ٥٠ بتحقيق لطفي الصقال ودريّة الخطيب ، وقد ذكرت المحققة في حاشية ص ٢٢٦ أنها تعود إلى ديوان الشاعر بشرح الأعلم .

وفي ص ٢١٩ ورد بيت لأوس بن حجر ، وهو في ديوانه ص ٣٩ ، ولم تشر إليه المحققة مع أن ديوان الشاعر ذكر ضمن مراجع التحقيق .

– في ص ٢٢١ : وقال كعب الأشقري :

لم يركبوا الخيلَ إلا بعد ماهرموا فهم ثِقالٌ على أكتافها مِيلُ

سكتت عنه المحققة .

قلت : هذا البيت ليس لكعب الأشقري وإنما هو لجرير بن عطيّة الخطفيّ وهو في ديوانه ص ٤٦٥ طبعة الصاوي .

– في ص ٢٢١ – ٢٢٢ : وقال جرير :

لم يركبوا الخيل إلا بَعْدَ ما هَرِموا فهم ثِقالٌ على أكتافها عُزف

قالت المحققة : لم أعثر على البيت في ديوانه ط : الحياة . وط : دار الأندلس .

قلت : البيت ليس لجرير ، وإنما هو لكعب الأشقري يهجـو يزيد ابن المهلّب ، ورواية الشطر الثاني كما في الأغاني ٢٩٩/١٤ طبع الدار :

فهـــم ثقالٌ على أكتافها عُنف

وأراها الرواية الأجود .

- وأجدني مضطراً لترك عشرات الأبيات التي أهملت وتركت دون عزوٍ إلى أصحابها مع شهرة بعضها وسهولة معرفة قائليها وأقف عند الصفحة ٢٥٣ وفيها : الإيطاء ردّ القافية مرتين كقوله :

ويخزيك يا ابن القين أيام دارمٍ وعمرو بن عمرو إذ دعا يال دارم

سكتت عنه المحققة مع سهولة ردّه إلى جرير ، ولكن البيت بهذه الصورة ليس في ديوان جرير لأنه ملفّق من شطرين من قصيدتين مختلفتين، فالشطر الأول ورد في ديوان جرير ص ٥٥٧ :

وإن عُدّت الأيامُ أخزيت دارماً وتخزيك يابن القـين أيام دارم

أما الشطر الثاني فقد ورد في قصيدة أخرى ص ٥٥٩ أولها :

ألا حيّ ربـعَ المنزلِ المتقادِمِ وما حلّ مُذْ حلّت به أمّ سالم

والبيت في ص ٥٦٣ :

كأنّك لم تشـهدْ لقيطاً وحاجباً وعمرو بن عمروٍ إذ دعوا يالدارم

فالبيتُ في الكتاب ملفّقٌ ولم تنتبه له المحققة ، مع العلم أن النسخة التي سمتها المحققة « م » قد سقط منها الشطر الأول من البيت الملفق .

وأظن أن المؤلف يريد أن يشير إلى الإيطاء في البيتين اللذين هما من قصيدة واحدة ، الأول ص ٥٥٧ :

وإن عدت الأيام أخزيت دارماً وتخزيك يا ابن القين أيامُ دارم

والثاني ص ٥٥٨ :

أقين بن قينٍ لا يسرُّ نساءنا بذي نَجَبٍ أنا ادّعيْنا لدارمِ

- في ص ٢٤٠ : ذكر المؤلف بيت امرىء القيس :

كأن ثبيراً في عرانينِ وَبْله كبيرُ أناسٍ في بِجادٍ مزمّل

ولم ينسبه لصاحبه

قالت المحققة : البيت في العمدة ١ / ٢٩٩ باب التشبيهات ، وهو منسوب لامرىء القيس ولم أعثر عليه في ديوانه تح : حسن السندوبي ولا في ديوانه تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

قلت : البيت في ديوانه بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم طبع دار المعارف سنة ١٩٥٨ ص ٢٥ وروايته :

كأن أباناً في أفانين وَدْقه كبير أناس في بجاد مزمّل

وموضع الشاهد في الشطر الثاني ، ولا قيمة لاختلاف الروايات في الشطر الأول ، وهذا الاختلاف لا يسوّغ المحققة أن تنفي وجود البيت في الديوان بجرّة قلم ، مع العلم أن البيت مذكور في المعلقة في روايتي ابن الأنباري والزوزني وهو متداول في كتب النحاة .

في ص ٢٥٩ ورد قول الفرزدق :

أبا حاضرٍ مَنْ يزنِ يظهر زناؤه ومن يشربِ الخرطوم يصبح مُسَكَّرا

قالت المحققة : لم أعثر عليه في ديوانه . وهو في الموشح ١٤٥ غير منسوب إنما ذكر المحقق في الهامش أنه للفرزدق .

قلت : لم يذكر محقق الموشح ذلك على عهدته كما يوهم قول المحققة وإنما نقل محقق الموشح تعليقاً وجده على هامش مخطوط الموشح فقال : « في هامش الأصل : قلت : هو للفرزدق » .

في ص ٢٦١ ورد بيت لابن قيس الرقيات ولم تحل إلى ديوانه ،مع أن البيت في الديوان ، وقد أحالت إلى الديوان أكثر من مرة .

في ص ٢٦٣ ورد البيت :

مهلاً بني عمّنا مهلاً موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

سكتت عنه المحققة . وهو للفضل بن العباس اللّهبي من شعراء الحماسة والبيت من قصيدة خاطب بها الشاعر بني أمية . انظر المنصفات : ٨٥ ط وزارة الثقافة بدمشق .

في ص ٢٦٦ ورد ما يلي : وقد روي عن أبي عمرو في بعض طرقه : ﴿ قل هو الله أحـــد الله الصمد ﴾ فحذف التنوين من (أحـد) لالتقاء الساكنين .

وقد اكتفت المحققة بما ورد في المتن وحبذا لو عمدت لتخريج القراءة وتوثيقها اعتماداً على كتب القراءات وهو أمر ضروري في هذا المجال لأن القراءة القرآنية ليست بيت شعر نترك العثور على قائله للمصادفات .

أمّا القراءة المشار إليها المروية عن أبي عمرو في بعض طرقه فقـد ذكرها – على سبيل المثال لا الحصر – مكي بن أبي طالب في كتابه

الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢ / ٣٩١ ، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ، قال :

« وقد روي عن أبي عمرو حذف التنوين من « أحد » لسكونه وسكون اللام من الله . وروي عنه أنه كان يقف على « أحد » . والذي قرأتُ به له ، كالجماعة ، بالوصل وكسر التنوين لالتقاء الساكنين » .

وذكر هذه القراءة بطريقها أبو حيان في البحر المحيط ٥٢٨/٨ قال :

« وقرأ أبان بن عثمان وزيد بن علي ونصر بن عاصم وابن سيرين والحسن ابن أبي إسحاق وأبو السمال وأبو عمرو في رواية يونس ومحبوب والأصمعي واللؤلؤي وعبيد وهارون عنه : « أحدُ الله » بحذف التنوين لالتقائه مع لام التعريف وهو موجود في كلام العرب وأكثر ما يوجد في الشعر .. الخ » .

ـ كذلك فعلت المحققة الشيء نفسه — أي سكتت — عندما مرّت بقول المؤلف وإشارته إلى أحد أوجه القراءة ص ٢٦٦ : « وكذلك حذف التنوين لالتقاء الساكنين في قراءة مَنْ قرأ : ﴿ وقالت اليهود عُزَيْرُ ابن الله ﴾ . فلم تحاول أن تعرفنا بالقارىء صاحب القراءة ، ولم تنص على كتاب يمكن الرجوع إليه كأن تقول : انظر إتحاف فضلاء البشر : ٢٨٦ على سبيل التوثيق المختصر .

ـ في ص ٢٦٧ ذكر المؤلف بيتاً فقال : « وقال الآخر :

كأنّهما ميلآنَ لمْ يتغيّرا وقدمرّ للدارين من بعدنا عصر »

والبيت يحتاج إلى شرح لأن الضمير في كأنهما لم يذكر عائده وقد سكتت المحققة عنه .

قلت : البيت لأبي صخر الهذلي ، وهو البيت الثاني من قصيدة وقبله :

لليلى بذات البين دارٌ عرفتها وأخرى بذات الجيش آياتها عُفْرُ

فالضمير في كأنهما يعود على هاتين الدارين ، ورواية السكري :

وقد مر بالدارينْ من بعدنا عصر

انظر شرح أشعار الهذليين ٢/٩٥٦ ، والبيت بمفرده في المنصف شرح تصريف المازني ٢/٢٢٩ وفي غيره ..

– في ص ٢٦٩ قال المؤلف : وقد حكى أبو زيد في النوادر عن العرب مثل هذه الضرورة فيما أنشده لحُسيل بن عُرفطة قال :

لم يــك الحقُّ على أنْ هاجه رسمُ دارٍ قد تعفّى بالسَّرَرْ

غَيَّر الجـدة مِنْ عِرفانه خُرُق الريح وطُوفان المطر

وقد ترجمت المحققة لأبي زيد لكنها لم ترجع إلى النوادر ولم تنص على مكان البيتين فيه ، وهما في ص ٧٧ منه وضبطت المحققة كلمة « خرق » في البيت الثاني بضم الخاء والراء مع أنها في النوادر قد ضبطت بكسر الخاء وفتح الراء ، وفسّرها أبو زيد بقوله : الخِرق : القطع من الريح واحدتها خِرقه . وطُوفان المطر : كثرته . وروى الأصمعي : خُرُق .

– وتأتي في الصفحات التالية للصفحة ٢٦٩ طائفة من الشواهد التي ينبغي أن يُحال فيها إلى كتب النحو وخاصة كتب ابن جني إلا أن المحققة اكتفت غالباً بالإحالة إلى الموشح والعمدة والصناعتين ، وأحالت أحياناً إلى كتاب سيبويه والخزانة .

– في ص ٢٧٧ قال المؤلف : وكذلك قول ابن هرمة : بمنتزاحِ

يريد : بمنترح ، من النزح . وقول الآخر : فأنظور أي فأنظرُ .

قلت : أراد المؤلف بقول ابن هَرْمة بيته الذي يقول فيه :

وأنت من الغوائل حين ترمى ومن ذمّ الرجال بمنتزاحِ

والبيت من قصيدة يمدح بها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك . انظر شعره ص ٩٢ طبع مجمع اللغة العربية بدمشق .

أما قوله « فأنظُور » فإشارة إلى شاهدٍ يتداوله النحاة وقد ذكر منسوباً إلى ابن هَرْمة في شعره المجموع « قسم المختلط من شعره » ص ٢٣٨ :

اللهُ يعلم أنّا في تلفّتنا يوم الفراق إلى أحبابنا صُورُ

وأنني حيثما يُشري الهوى بصري من حيثما سلكوا أدنو فأنظُور

والبيت الثاني في المحتسب لابن جني ١/٢٥٩ وغيره من كتب النحاة والصرفيين .

- في ص ٢٨٢ ذُكر الشطر :

يا حارِ لا أُرْمَيَنْ منكم بداهيةٍ

قالت المحققة : البيت في العقد الفريد ٥/٤٤٨ وينسب إلى زهير بن أبي سُلمى وتمامه ... الخ .

قلت : والبيت في ديوان زهير ص ١٨٠

- في ص ٢٨٧ مر بيتان ذكر المؤلف أنهما لابن هرمة . قلت وهما في شعره المجموع ص ٩٧

- في ص ٢٨٨ : وقال عِمْران بن حِطّان :

وأصبحتُ فيهم آمناً لا كمعشرٍ أتَوْني فقالوا من ربيعةَ أو مُضَرْ

قلت : البيت من قصيدة في كتاب : شعر الخوارج ، الذي جمعه الدكتور إحسان عباس ص ٢٤ وفيه تخريج القصيدة .

- في ص ٢٩٤ : ورد بيتان لعبد بني الحسحاس . قلت : وهما في ديوانه ص ٥٥

- في ص ٣٠٣ قال المؤلف : ولما هجا الحطيئة بني العجلان استعدَوا عليه عمر بن الخطاب فقالوا هجانا وشعَّث من أعراضنا . . إلى آخر القصة وفيها عدة أبيات .

قالت المحققة : « لم أعثر على هذه الأبيات في ديوان الحطيئة .. وقد ذُكرت الأبيات في ديوان الأخطل ٢٩٨ ونسبت إلى الحطيئة » .

قلت : قولها : الأبيات في ديوان الأخطل يوهم أن الأبيات في أصل الديوان أو في متن الشرح القديم على الديوان مع العلم أن الأبيات قد وردت في تعليق كتبه محقق الديوان غير معزو إلى مصدر معين . فتكون إحالتها هنا كإحالتها فيما مضى إلى ديوان الشعر العربي .

- في ص ٣٢١ - ٣٢٢ : وردت أبيات في مدح بني أمية بعد زوال ملكهم على لسان شاعر ضرير .

قلت : الأبيات والأخبار المتعلقة بها في الأغاني ٢٩٩/١٦ ، ٣٠٠ . والشاعر هو أبو العباس الأعمى .

- في ص ٣٢٩ ذكر قول الشاعر :

أفي الله أمَّا بجدلٌ وابن بجدلٍ فيحيا وأمّـا ابنُ الزبير فيقتَلُ

قلت : البيت لزفر بن الحارث ، وهو في تاريخ الطبري ٥/٥٤٣

— في ص ٣٣١ : ذُكرت أبيات مشهورة لمسلم بن الوليد في مديح يزيد بن مزيد الشيباني ولم تشر المحققة إلى قائلها ولم تحل إلى ديوانه والأبيات أو بعضها في ديوان صريع الغواني : ٢١ ، ٢٢

— في ص ٤٠٨ وردت عدة قصص ولم تشر المحققة إلى مصادر هذه القصص والأخبار إلا إذا صدف وأتت في الموشح .. مع أن معظم هذه الأخبار متداولة في كتب الأدب كالهفوات النادرة ص ٤٠٨ — ٤٠٩ وكأخبار الحمقى والمغفلين وغيره . أما الأبيات الواردة ضمن القصص فقد أهملت ، فالبيت :

كليبٌ لَعَمْري كانَ أكثرَ ناصراً وأيسر جرماً منـــك ضرّج بالدم

لم تنبه المحققة عليه . وهو للنابغة الجعدي . الأغاني ٤/٤٢٧ . والبيت التالي له :

همُ قتلوهُ كي يكونوا مكانه كما فعلتْ يوماً بكسرى مرازبُهْ

لم تنسبه ، وهو للوليد بن عُقْبة في عثمان بن عفان . الأغاني ٥/١٢٢ دار الكتب .

— في ص ٤٠٨ : قال المؤلف : وحدّث إبراهيم بن شكلة .

قلت : وإبراهيم بن شكلة هو إبراهيم بن المهـدي ، وشكلة أمّه وإليها ينسبه خصومه .

— في ص ٤١٤ - ٤١٥ : ذكر المؤلف قصة الجحّاف والأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان واستطرد ليذكر أن السُّلمي أخذ قول شاعر سابق . وقول السلمي هو :

وعلى عدوّك يا بنَ عمّ محمّدٍ رصدان ضوءُ الصبحِ والإظلامُ
فإذا تنبّه رعْتَه وإذا هــدا سلّتْ عليـــه سيوفَك الأحلامُ

ثم تابع المؤلف قصته .

قلت لم تُشر المحققة إلى أن السُّلمي هذا هو أشجـع السلمي وأنّ

البيتين من قصيدة مدح بها الرشيد وهما في طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٥١ دار المعارف بمصر .

— في ص ٤١٢ : قال المؤلف : « ولله درُّ المتوكل الليثي حيث يقول :

الشعر لبُّ المرء يعرضه والقولُ مثل مواقع النبل

منها المقصّر عن رميّته ونواقر يذهبن بالخَصْلِ

قالت المحققة : البيتان في الموشح ٣٥٧

قلت : في معجم الشعراء : ٣٤٠ ذكر البيتين وقال إنهما له في رواية الصولي ويرويان لغيره .

أما في الحيوان للجاحظ ٦٢/٣ طبعة هارون فينسبان لمعقّر بن حمار البارقي وهو سفيان بن أوس بن حمار ، شاعر جاهلي .

في ص ٤٥٤ أورد المؤلف أبياتاً لعمّار الكلبي هاجم بها النحاة ، والأبيات في إنباه الرواة ٤٢/٢ منسوبة إلى بعض العرب .

هذا بعض ما وقفت عنده وهو لا يغضُّ من جهود الدكتورة المحققة التي بذلت صادق الجهد وثمين الوقت لبعث كتاب مخطوط حياً زاهياً مضبوطاً ، لكن لا يخلو كتاب من شيء من الملاحظات والنقدات والتعقيبات تفيد في دفع العمل في طبعاته اللاحقة نحو الأفضل والأكمل قدر المستطاع .

حمص : **عبد الإله نبهان**

آراء وأنباء

تعقيب

نشرت المجلة في عددها الماضي أنموذجاً عن « **معجم عثرات الأدباء** » الذي يعده الأستاذ الجليل محمد العدناني ، وقد ورد فيه حول كلمة « **الإصطبل** » ما يلي : « ... وقال المعجم الكبير : إنها **يونانية** الأصل » وعلقت لجنة المجلة على هذا القول في هامش الصفحة ٤٦٣ بما يلي : « ربما كان مصدر هذا القول **محيط المحيط** ، فقد جاء فيه أن الإصطبل من اليونانية ، والصواب أنه من **اللاتينية** » .

ومن الرجوع إلى المعجم الكبير ، **مصوباً بمقتضى ما ورد في الصفحة** ٦٧٥ من طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٧٥ ، نجـد المعجم يقول : الإصطبل : ـ معرّب (**الأصل لاتيني** Stabulum ومنه في الأرامية : إسطبلا وإصطبلا) !

وتضمن البحث نفسه ، خلال الكلام على جمع كلمة إصطبل ، مايلي : « وجمعَه المعجم الكبير ، الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، على : إصطبلات

وأصاطب ، وجمعه الوسيط على إسطبلات ، وذكر **المعجم الكبير** والوسيط : ان المفرد هو إسطبل وإصطبل » .

وأعتقد أن ورود ذكر « المعجم الكبير » في هذه الجملة المرة الثانية ، كان (شطحة) قلم ، **لأن المعجم الكبير لم يذكر الكلمة بصيغة «إسطبل»** إلا في مادة أ س ط محيلاً على المادة الأصلية أ ص ط ، أي خلافاً لما فعله المعجم الوسيط !

إن صيغة (إسطبل) ـ تعريباً للكلمة اللاتينية ـ لم ترد في الأمهات ، وإن وردت في الأرامية وعلى ألسنة العامة في كثير من الأقطار ، ولكن المعجمات الحديثة كأقرب الموارد والوسيط ، أثبتتها . ومن عجب أن الأب الكرملي في معجمه (**المساعد**) أغفل هذه الصيغة ، مكتفياً بصيغة (إصطبل) ، ناقلاً عن ابن خلدون جمعها على إصطبلات ، ناصاً على أن عربيتها : **المربط**.

ع . خ .

الدنانير القُوْقِيَّة أم الفُوْقِيَّة ؟

الدكتور ف. عبد الرحيم

قال الجواليقي في المعرب [1] : وفي حديث عبد الرحمن : أن معاوية كتب إلى مَرْوان ليبايع الناس ليزيد ، فقال عبد الرحمن : أجئتم بها هِرَقْلِيَّة وقُوْقِيَّة تبايعون لأبنائكم ؟ قال : « قُوْقِيَّة » يريد البَيْعَة للأولاد ، سُنَّة ملوك العجم .

وقُوْق اسم مليكٍ من ملوك الروم ، وإليه تنسب الدنانير القُوْقِيَّة ، كما نسبت الهِرَقْلِيَّة إلى هِرَقْل . انتهى كلام الجواليقي .

وذكر ابن الأثير نحوه في النهاية (٤/١٢٢) ، وزاد وقيل كان لقب قيصر قوقا . وروي بالقاف والفاء من القوف : الأتباع ، كأن بعضهم يتبع بعضاً ا.هـ.

وذكر صاحب اللسان نحوه .

وقال الفيروز أبادي في فُوْق : والدنانير الفُوقِيَّة من ضرب قيصر لأنه كان يسمي فُوْقا . وقال في قُوْق : وقُوْق ملك الروم نسب إليه الدنانير القُوْقيَّة . أو الصواب بالقافين ا.هـ .

---

(١) المعرّب من الكلام الأعجمي للجواليقي بتحقيق أحمد محمد شاكر ص ٢٧٧

فاللفظ إذن فيه ثلاث لغات (١) قوقية بالقافين و (٢) فوقية بالفاء ثم القاف . وهما منسوبان إلى قوق أو فوق ، وهو اسم ملك من ملوك الروم . و (٣) قوفية بالقاف ثم الفاء وهو من القوف بمعنى الاتباع .

والصواب أنه فوقيّة بالفاء ثم القاف نسبة إلى فوق ملك من ملوك الروم ، وهو تعريب Phocas باللاتينية [١] .

لقد ذكر الفيروز أبادي « فوق » ثم شكّ في صحته وقال : « أو الصواب بالقافين » . وزاد الزبيدي : « قلت : والذي صوبّه هو الصواب، وسيأتي ذكره في موضعه ، والرواية الثانية هي بالقاف والفاء من القوف : الاتباع . وأما بالفاء والقاف الذي أورده المصنف هنا فإنه غلط محض وتصحيف ، فلينتبه لذلك » . ا . هـ . أفرأيت كيف جعل الصواب خطأ والخطأ صواباً وجزم به بهذه الثقة ؟

جاء هرقل في حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما مقدماً على قوق ، وقد يفهم من هذا الترتيب أنه كان سلفاً لقوق ، والصواب أنه كان خلفه . فقد كان حكم فوق بن موريس [٢] من ٦٠٢ م إلى ٦١٠م وجاء بعده هرقل الذي حكم من ٦١٠ إلى ٦٤١ م.

---

(١) يؤخذ مما جاء في مختلف المراجع أن الاسم Phocas (وفي معجم لاروس الموسوعي Phokas أيضاً) كان يونانياً واستعمل في اللاتينية . (لجنة المجلة:م)

(٢) في دائرة المعارف البريطانية (١٩٧٥) أن Phocas كان ضابطاً في ثراقية . وعندما تمرد الجيش على الامبراطور موريس البيزنطي في سنة ٦٠٢ أرسل إلى القسطنطينية لتهدئة الحالة ، ولكنه على العكس استفاد من الفتن المتوالية فقتل الامبراطور موريس وابنه وأعلن نفسه امبراطوراً في سنة ٦٠٢ . (لجنة المجلة:م)

وقد يفهم من كلام عبد الرحمن رضي الله عنه أيضاً أن أحدهما كان ابن الآخر ، وهذا أيضاً خلاف الواقع ، فإن هرقل لم يكن ابن فوق، إنما كان ابن الحاكم الرومي في إفريقية ، واستولى على الحكم بعد أن عزله وقتله . ويبدو أن العرب كانت تحسبه ابن فوق إذ كانت سنة العجم أن يرث الابن أباه حكماً .

الدكتور ف . عبد الرحيم

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثاني من عام ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء	أبو منصور عبدالملك الثعالبي تحقيق الدكتور قاسم السامرائي	بريل ١٩٧٨
ببليوغرافيا بالمطبوعات الحكومية العراقية الموجودة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد	طارق عبد الرحمن	بغداد ١٩٧٨
تاريخ طب الأطفال عند العرب	الدكتور محمود الحاج قاسم محمد	بغداد ١٩٧٨
البرعي اليمني : الشاعر والفقيه	جواد المرابط	بيروت ١٩٧٨
المصطلحات المتعلقة بصناعة الاسمنت	المهندس حسين رشدي إبراهيم باشا	حلب ١٩٧٨
المصطلحات المستخدمة في معامل الاسمنت	سي . اف . كلاوسين و . ار . ديرسناه تعريب المهندس حسين رشدي	» »

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
أحجار السماء ، أحجار تشيلي	بابلو نيرودا ، ترجمة صياح الجهيم	دمشق ١٩٧٨
الأعمال الشعرية الكاملة: منفى وقصائد أخرى	سان جون بيرس ، ترجمة ادونيس	» »
أنا الذي رأيت « شعر »	محمد عمران	» »
أول أيام العيد « مسرحية في أربعة فصول »	ناظم حكمت، ترجمها عن الروسية شريف شاكر	» »
التخزين والمناولة والتصنيف : أصولها ، أدواتها ، تطبيقاتها	علي السيد	» »
دنيا الحكايات	انجل كارا ليتشف، ترجمة عيسى فتوح	» »
رأس المال « نقد الاقتصاد السياسي » الكتاب الثالث : السلسلة الإجمالية لأفاعيل الانتاج الجزء ١ - ٢	كارل ماركس، ترجمة : أنطون حمصي	» »
السينما السورية في خمسين عاماً	جان الكسان	» »
علم الأعلام خير الدين الزركلي	قدم له: العماد مصطفى طلاس	» »
عيادة في الريف	عبد السلام العجيلي	» »
الفن: تأويله وسبيله، الجزء الثاني من الفن القوطي إلى القرن العشرين	رنيه هويغ ، ترجمة صلاح برمدا	» »

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
لورا والفتيان	ماري لويز فيشر . ترجمة زياد العودة	دمشق ١٩٧٨
ما لم يحترق بعد « شعر »	مروان ناصح	» »
من حماسة أبي تمام	اختاره وشرحه : مطيع ببيلي	» »
من كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب «دولة الموحدين»	عبدالواحد بن علي التميمي المراكشي . اختيار وتقديم : الدكتور أحمد بدر	» »
من كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه	القاضي علي الجرجاني اختيار ودراسة محيي الدين صبحي	» »
معنى المدينة	عدد من المؤلفين . ترجمة الدكتور عادل بدر	» »
من الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة	ابن بسام، اختيار وتقديم الدكتور محمد رضوان الداية	» »
من مقدمة ابن خلدون «السياسة والاقتصاد»	عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، اختيار وتحقيق سهيل عثمان، محمد درويش	» »
النخلة المضيئة « مجموعة قصص»	محمد كامل الخطيب	» »

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
واقع السينما السورية وآفاق تطورها	فتيح عقلة عرسان	دمشق ١٩٧٨
الشوارد « من شوارد الشعر الشعبي » الجزء الثالث	عبد الله بن محمد بن خميس	الرياض ١٩٧٨
من أحاديث السمر «الجزء الأول» « قصص واقعية من قلب جزيرة العرب »	عبد الله بن محمدبن خميس	» »
فهرس المخطوطات المصورة ١-٤	الجامعة الأردنية مركز الوثائق والتوثيق	عمان ١٩٧٧
مشروع المعجم العربي الموحد في مصطلحات العلوم الادارية (انجليزي - فرنسي-عربي)	المنظمة العربية للعلوم الادارية	القاهرة ١٩٧٨
تاج العروس من جواهر القاموس الجزء السابع عشر	السيد محمد مرتضى الزبيدي تحقيق مصطفى حجازي	الكويت ١٩٧٧



مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »





شوال من سنة ١٣٩٨ هـ

تشرين الأول «اكتوبر» من سنة ١٩٧٨ م



الألفاظ التاريخية

متحف اللغة

الأستاذ شفيق جبري

أولعت من حينٍ إلى آخر بتقليب النظر في معجمٍ من معجمات اللغة ، فما أكثر الأمور التي يقف عليها الإنسان في مثل هذا التقليب ، فقد يتبين له أن اللغة يجري عليها من القوانين ما يجري على عالم الطبيعة ، فقد يجري عليها التنازع على البقاء كما يجري عليها المذهب الذي اصطلحنا على أن نسميّه : التطور ، وقد يكون للبيئة آثار في اللغة كما يكون مثل هذه الآثار في عوالم الطبيعة ، والخلاصة فقد تقضي لفظة على لفظة فتحلّ محلّها أو يقضي مصدر على مصادر ثانية أو تعيش لفظة في بيئة وتموت في بيئةٍ ثانية ، ولكن هذا كله يستلزم بحثاً خاصاً ؛ فان غايتي في هذا المقال الإشارة إلى الألفاظ التاريخية وهي التي بطل استعمالها فذهبت بذهاب المسمّيات التي تدل عليها ، فهي تموت في اللغة لأسباب تاريخية ، ولذلك سمّيت الألفاظ التاريخية كما وضّح ذلك « دار مستتر » في كتابه : « حياة الألفاظ » .

من هذا القبيل أسماء لبعض الآلات أو الحيوان أو الملابس أو السلاح وغير ذلك ، فمن الآلات مثلاً لفظة : الشَّجْب ، من جملة معاني هذه المادة : سِقاء يابس يُحرَّك فيه حصىً تُذعَّر بذلك الإبل . لاريب في أن هذا التفسير واضح لا لبس فيه ، ولكن ما هو هذا السِقاء ، ماشكله ، ما حجمه ، ما تركيبه ، إنا لا نعرف شيئاً من هذا كله ، فهذه اللفظة : الشَّجْب ماتت بموت المسمَّى الذي كانت تدل عليه .

ومن الآلات : الشُكبان بالضم ، وهو شِباك للحشّاشين يحتشّون فيه ، فما شكل هذا الشباك .

ومن الأدوات لفظة : الشعيب ، وهي المزادة من أديمين ، أو الخروزة من وجهين . فمن منّا الذي وقعت عينه على هذه المزادة .

وإذا انتقلنا إلى عالم الحيوان فإنا نجد أن الشُحْذُب ، كقنفذ ، دويبة من أحشاش الأرض ، فما هي هذه الدويبة ، وإني لأشك في أن عالماً من علماء الحيوان يعرفها .

ومن الحيوان أيضاً : الشُنْقُب ، كقنفذ وقنطار ، وهو ضرب من الطير. فمن الذي يدلّنا على هذا الطير .

وقد نمرُّ بأشباه هذا كله في الثياب ، فالمدرعة ، كمكنسة ، ثوب كالدرّاعة ولا يكون إلاّ من صوف وتمدرع : لبسه ، فما هو هذا الثوب .

إن اللغة تشتمل على آلافٍ من أمثال هذه الألفاظ ، وقد فسّرها علماء اللغة تفسيراً لا غموض فيه على نحو ما قلت ، ولكننا على الرغم من هذا التفسير الواضح نعجز عن إدراك المسمَّيات التي كانت تدل عليها هذه الألفاظ لأن العين لم تقع عليها .

وقد نشهد هذا الأمر في أكثر اللغات فاللغة الفرنسية مثلاً ماتت فيها أسماء كثيرة كانت تستعمل في القرون الوسطى ، لأن هذه الأسماء كانت تدل على أشياء اختفت ، أشياء من السلاح والآلات والعملة والملابس وغير ذلك ، كما كانت تدل على أمور معنوية واجتماعية وعلى أفكار وعلوم وأخلاقٍ وتربيةٍ وألعاب ، وعلى بعض المؤسسات والحوادث ، وقد ذهب هذا كله بذهاب القرون الوسطى .

إن الألفاظ التاريخية إذا عُرضت على عين القارىء وفُسِّرت معانيها فإنها تحيي له ماضياً بأجمعه ، ولا يمكن بعثها وإحياؤها إلا بالتنقيب عن التاريخ فإذا بُحث عن مصادر التاريخ ووثائقه ظهرت للعيان ألفاظ كانت تدلّ على المسمّيات التي اختفت كما تظهر أيضاً حياة الماضي من العصور ، والخلاصة فإن جملة كبيرة من الأسماء اختفت دون رجوع ، وقد نجد في تنقيب علماء الآثار أشياء كثيرة نضع لها أسماء جديدة لأنا نجهل الأسماء القديمة التي كانت تدلّ عليها ، كما بيّن هذا كله « دار مستتر » في كتابه القيّم : حياة الألفاظ .

* * *

لقد اخترت لهذا المقال عنواناً غريباً : متحف اللغة ، فهل للغةٍ من اللغات متاحف ! ولكني أرجو أن تزول غرابة العنوان . إن كثيراً من الأمم لها متاحف في بعض بلدانها ، تجمع فيها ما اهتدت إليه من آثار ماضيها في خلال التنقيب ، وقد تكون هذه الآثار من السلاح أو الثياب أو العملة أو الأواني أو العمران مما كان في ماضيها وذهب عنها في حاضرها ، فهي تجمع هذا كله في متاحفها وتُعنى به العناية كلها وتحرص عليه الحرص

كله ، وإذا قصد السيّاح هذه المتاحف نمموا برؤيتها وحدّثوا عنها ذويهم وأصحابهم في رجوعهم إلى أوطانهم ، فلماذا لايكون للغةٍ من اللغات متحف خاص .

واست أعني بالمتحف مبنى من المبـــاني ، وإنما أعني بذلك معجماً خاصاً تدوّن فيه الأسماء التي كانت تدل على مسميات في مواضي العصور ، وقد ذهبت هذه المسمّيات فنحن لا نعرفها وبقيت أسماؤها محفوظة في معجمات اللغة . وقد يكون للتصوير شأن كبير في هذا العمل ولكن التصوير لايتم إلاّ إذا اهتدى علماء الآثار إلى المسمّيات التي اختفت ؛ وأظن أن هذا من مصاعب الأمور . من هذا القبيل مثلاً لفظة : الطارمة ، فقد مررت بهذه اللفظة في كتاب الأغاني ، ففتشت عن معناها في معجمٍ من المعجمات ، فلم أعثر على اللفظة ، وقد وجدتها في مقالٍ نشر في جريدة مصرية ، صاحب المقال أحد رؤساء الوزارة في بغداد في الماضي ، حُبس فكان يصف حبسه واستراحته في طارمةٍ ، فلجأت إلى معجم « دوزي » لعلي أهتـدي إلى معنى هذه اللفظة ، فوجدت صورة الطارمة في المعجم ، وهي عبارة عن غرفة صغيرة من خشب ، يجلس فيها المرءُ ويُطلّ من خلال الخشب على الحديقة ، فلو أمكن وضع معجمٍ للألفاظ التاريخية وتصوير ما أمكن تصويره من المسمّيات التي تدل عليها هذه الألفاظ لذهب شيء كثير من الغموض الذي نمرّ به في بعض الأسماء ولكني أعتقد أن مثل هذا العمل غير يسير .

شفيق جبري

نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر

وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٣٨ -

الدكتور حسني سبح

١١٨٥١ اِحْتِلامٌ في حالةِ الصَّحْوِ — 11851 Rêver à l'état de veille

وأرجح حُلْمُ اليقظة

١١٨٥٢ قَلوبيَّة ، عَوْدَةٌ إلى الأصْل — 11852 Réversibilité

وأرجح قَلوبيَّة ، رجوع إلى ما سَبَق ، قابلية التغير (ولا سيما في الارتكاسات الحيوية والكيمياوية) وقابليَّة التحوُّل (الجنس)

١١٨٥٣ قَلوب ، رَدُودٌ إلى الأصْل — 11853 Réversible

قَلوب ، قابل التَّراجُع والتَّبدُّل والتغيُّر

١١٨٥٤ اِرْتِكاس ، ارْتِداد إلى الأصْل — 11854 Réversion

وأرجح تَراجُعٌ ، تَقَهْقُرٌ ، تأَسُّل (في الوراثة) تَحوُّل (في المناعة) (١)

---

(١) لفظة (reversion) في معجم دُرلند (Dorland's Illustrated Medical Dictionary)

11855 Révision
١١٨٥٥ فَحْصٌ ثانٍ ، إعادَةُ النَّظَر
وأفضل مُراجَعَةٌ ، إعادَة النَّظر

11856 Révolution cardiaque
١١٨٥٦ ثَوَرانٌ قَلْبي
وأرجح دَوَرانُ القَلْب أو دَوْرَةُ القَلْب ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11857 Revolver port-objectif
١١٨٥٧ مُحَوِّل حامِل العَدَسِيّات المادية أو الجُرْمِيّة
وأفضل مُبَدِّلة العَدَسات الشَّيْئية (٢)

11858 Révulsifs, remèdes irritants, dérivatifs
١١٨٥٨ مُصَرِّفات ، أدْوِيَة مُخَرِّشة مُحَوِّلات

11859 Révulsif, ve
١١٨٥٩ مُصَرِّف مُحَوِّل

11860 Révulsion, dérivation
١١٨٦٠ تَصْرِيف ، تحْوِيل
وأرجح التخصيص في هذه المصطلحات ، فأقول : مُحَوِّلات، أدوية مُخَرِّشة ومُصَرِّفات في الفئة الأولى ، ومُحَوِّل في المصطلح الثاني وتَحْوِيل وتَصْرِيف في الثالث .

11861 r H, symbole du potentiel d' oxydo - réduction
١١٨٦١ (ر ه) رَمْزُ مكنون الحَزْلدة
وأفضل (ر ه) رمز الطّاقة الكامِنَة بين الأكسَدة والارْجاع

11862 R H facteur Rhesus
١١٨٦٢ (ع ر) عامِلٌ نَسْناسِي
وأفضل (ح ر) العامِل الرَّبْضي

---

(١) (cardiac cycle) .

(٢) الصفحة ٥١٨ من المجلد الثامن والأربعين من هذه المجلة .

١١٨٦٣ وَرَمٌ عَضَلِي مُخَطَّط — 11863 Rhabdomyome
وأفضل وَرَم العَضَلِ المُخَطَّط

١١٨٦٤ مَسيخ مُشَوَّه الأنف — 11864 Rhinencéphale , rhinocéphale
مَسيخ مُشَوَّه الرأس والأنف

١١٨٦٥ خَنٌ ، غُنَّة — 11865 Rhinolalie , rhinophonie
وأرجح الخنخنة أو الخَن أو الخُنَّة (١) (اللفظة الثانية)
باعتبارها حالة مرضية دماغية

11866 rhino—pharingite épidémique , rhume commun
١١٨٦٦ اِلتهاب الأنف والبُلْعوم السَّاري ، زُكام اعتيادي
وأفضل اِلتهاب الأنف والبُلْعوم الوافِد ، زُكام شائع ،
وسبق للجنة أن ترجمت (contagieux) بمُعْدٍ وسارٍ
(اللفظة ٣١٤٦) و (épidémique) بجَائِح وجَائِحي
(اللفظة ٥٠٤٦) وسبقت الملاحظة عليها (٢)

١١٨٦٧ تَرقيع الأنف ، تَرميم الأنف — 11867 Rhinoplastie
وأرجح رَأب الأنف أو إصلاحُه

١١٨٦٩ تَنْظير الأنف الخَلْفي ، — 11869 Rhinoscopie postérieure
الخَيْشومي
وأرجح تنظير الأنف الخلفي (٣)

---

(١) في لسان العرب : الخَنْخَنَة أن لا يُبين الكلام فيُخَنْخِنه في خَياشيمه ، والخُنَّة ضرب من الغُنَّة كأن الكلام رَجَع إلى الخياشيم .

(٢) الصفحة ٥٦٢ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

(٣) في لسان العرب : الخَيْشوم من الأنف مافوق نُخْرَته من القصبة وماتحتها من خَشارم رأسه .

11876 Rhumatismal , ale

١١٨٧٦ رَثْيِيي

ورَثَوي ترجيحاً

هذا وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب (rheumatism)

بروماتيزم (١)

11877 Rhumatisme articulaire aigu , fièvre rhumatismale, maladie de Bouillaud

١١٨٧٧ رَثْيَة مَفْصِلِيَّة حادَّة ، حُمَّى

رَثْيِيَة ، داءُ بُويو

رَثْية مَفْصِلِيَّة حادَّة حُمَّى رَثَوِية ، داءُ بُويو

هذا وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تخصيص لفظة رثية

ترجمة لالتهاب المفصل وجاء في التعريف : التهاب مَفْصِلي

مُؤلم قصير الأمد في ترجمـــة (acute arthritis) وعرَّب

(rheumatism) بروماتيزم ، وجاء في ترجمة (rheumatic

arthritis) رَثْية روماتزمية عوضاً عن اِلتهاب المَفْصِل

الرَثَوي وهو الأفضل

11878 rhumatisme chronique déformant dégénératif progressif , ou noueux , goutte asthénique primitive, polyarthrite déformante chronique évolutive

١١٨٧٨ رَثْية مُزمِنة مُشَوِّهة مُتَنكِّسَـة مُترقِّية أو

عَقِدة ، نِقْرِس وَهَني بَدْئي ، إلتِهاب المَفاصِل المَديدة

المُشَوِّه أو المُزمِن النامي .

---

(١) الصفحة ٤٧٧ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأرجح رثية مزمنة مشوهة تنكسية مترقية
أو عقدة ، نقرس وهني بدني ، التهاب المفاصل
الكثيرة المشوه أو المزمن المترقي أو المتطور

11879 rhumatisme (pseudo - rhumatisme infectieux)
١١٨٧٩ رثية (رثية موهمة خمجية)
أقول رثية كاذبة خمجية أو انتانية [1]

11880 rhumatisme lombaire chronique , lvmbarthrie , lombarthrose
١١٨٨٠ رثية قطنية ، ألم قطني خزز
وأرجح رثية قطنية مزمنة ، العلة المفصلية القطنية أو الفصال القطني [2]

11881 rhumatisme musculaire , myalgie , myodynie rhumatismale
١١٨٨١ رثية عضلية ، عضال ، ألم عضلي رثي
وأرجح رثية عضلية ، ألم عضلي ، وجع عضلي رثوي . وللفظة عضال معنى خاص [3]

11883 Rhumatoïde
١١٨٨٣ شبيه بالرثية
وأرجح رثواني

11887 Rictns sardonïque , rire sardonique
١١٨٨٧ تهانف ، ضحك باستهزاء
سبقت الملاحظة على هذه اللفظة [4] وأقر مجمع اللغة العربية

---

(١) الصفحة ٤٦٩ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .
(٢) الصفحة ٤٩٧ من المجلد الخامس والأربعين من هذه المجلة .
(٣) في لسان العرب : وداء عضال شديد معي غالب .
(٤) الصفحة ٤٨٢ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

في القاهرة الازْميهْرار ، وجاء في الشرح : صُورة للوَجْه (سحنة) بسبب تقلّص عضلات الوَجْه في مرض الكزاز

١١٨٨٨ سِرْ غضَنْ ، اِنْثِناء ، اِلْتِواء — 11888 Ride ,pli

وأرجح غضَن ، جعْدة . وسبق للجنة أن ترجمت (repli) بانْثِناء اللفظة (١١٧١٧) وليس للفظة سِرّ الدلالة المطلوبة (١)

11889 rigidité des artérioscléreux , syndrome de Foerster

١١٨٨٩ صَمَل المُتَصَلِّبة شرايينهم تَناذُر فورستر

وأفضل صمْل (بسكون الميم) لمتصلي الشرايين ، أو ذَوِي التَصلّب الشِرْياني ، تناذر فُورَسْتر (كما يلفظ بالالمانية) . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : كزازَة - تَيَبُّس - تَرْز ، وجاء في الشرح : توتر في العضل كما يحدث في الكُزاز (٢)

١١٨٩٠ صمَل رِمّي ، صَلابة الجثّة — 11890 rigidité cadavérique

(١) في لسان العرب : السِّر ما أخفَيْت،السِّر الزنا والسِّر الجماع . وفي التهذيب السِّر الأصل ووسط الوادي والسِّر ذَكَر الرَّجل الخ .

(٢) في لسان العرب : الصَّمل اليُبْس والشِّدة

الكزَازة والكزاز : اليُبْس والانْقِباض

اليُبْس بالضم : نَقيض الرُّطوبة .

التّارِز اليابس الذي لا روح فيه، تَرَز تَرْزاً وتُروزاً مات ويبُس ،

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة[1]

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : التيبُّس الميْتي ترجمة لـ (rigor mortis)

وجاء في التعريف : وهو الذي يلحق الموت وسببه تجمد بلازمة العضلات .

وأقر المجمع ترجمة اللفظة ذاتها بالتيبُّس الرمي" بين مصطلحات الطب الشرعي وجاء في التعريف : وهي حالة تصلب في الجثة بسبب تغييرات كيماوية في العضلات . ولعل لفظة تَرْز المشار إليها في الهامش تفي بالمعنى . فأقول ترَز وترز الجثة أو يبوستها ، وأرى تخصيص الصمل للتوتر العضلي البادي في الاصابة خارج الهرمية (extra - pyramidale) لشموله فئتي العضل الباسطة والقابضة ، والتقفع للتوتر البادي في إحدى الفئتين المذكورتين ، شأن مايحدث في اصابة الجملة الهرمية (système pyramidale) والصلابة أو القساوة ترجمة لـ (dureté) والتصلب لـ (sclérose)

١١٨٩١ صلابة بالحرارة — 11891 rigidité par la chaleur

وأفضل صمْل الحرارة

١١٨٩٢ صلابة بانتزاع المخ — 11892 rigidité décérébrée

وأفضل صمْل حذْف المخ ، كما تقدم آنفاً ، ولأنه يحدث بالآفات المرضية المؤدية إلى بُطلان عمل المُخ بالاختبار في الحيوان فحسب

(١) الصفحة ٤٨٢ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

١١٨٩٣ صلابة بالبَرد ، تجمُّد — 11893 rigidité par le froid

وأفضل صمَل البرودة.وسبق للجنة أن ترجمت (congélation) بانجماد وتجمد (اللفظة ٣٠٥٢)

١١٨٩٤ صلابةٌ عضليّةٌ — 11894 rigidité musculaire

وأرجح صمَل أو صُمول عضلي

١١٨٩٥ صلابة شاحبة — 11895 rigidité pallidale

وأفضل صمَل الكُرة الكمِدة أو الشاحبة ، كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي (١)

١١٨٩٧ قشعريرة ، رَعدة ، نافض — 11897 rigor , frisson

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة العُرَواء وهي الشائعة

١١٨٩٨ ميزابة ، مجرى صغير — 11898 Rigole

وأرجح سَريّ (٢) وسبق للجنة أن ترجمت (gouttière) بميزابة (اللفظة ٦٤٤٦) و (conduit) بمجرى (اللفظة ٣٠٢٠)

١١٨٩٩ شطفَ ، سكبَ الماء — 11899 Rincer

وأرجح نظّف وشطف

١١٩٠١ ضحك قسْري تكلّفي — 11901 rire forcé

وأفضل تضاحُك ، ضحك مُصطنع

---

(١) Steifheit bei läsion des Globus pallidus

(٢) في لسان العرب: السّري النّهر وقيل الجدول وقيل النهر الصّغير كالجدول يجري إلى النخل .

١١٩٠٥ رُب ، الكثيف 11905 Rob

والقطْر كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

١١٩١١ قويُّ البُنْية ، جَلْدٌ 11911 **Robuste**, vigoureux , euse

وأرجح قوي البِنْية (٢) (بكسر الباء) متين ، شديدٌ ، صِنْديد

١١٩١٤ إكليل الجبل 11914 Romarin

وحصا البان كما يسمى وشائع في سورية

١١٩١٦ مُدَوَّر 11916 Rond , ronde

ومُسْتَدير . وسبق للجنة أن ترجمة (trochanter) بمَدْور (اللفظة ١٣٧٣٢)

١١٩١٧ غطيط 11917 Ronflement

وشخير أيضاً

١١٩١٨ هرير 11918 Ronronnement

ولعلَّ الخرْخرة أفضل (٣)

١١٩١٩ طِلاء الورْد ، مرْهم الورد 11919 Rosat onguent

وأرجح مرْهم الورد (٤)

---

(١) (rob, thick syrup)

(٢) في لسان العرب : البُنْية والبِنية ما بَنيه ، وفلان صحيح البِنْية أي الفِطْرة .

(٣) في فقه اللغة للثعالبي: الهرير للكلب إذا أنكر شيئاً ، وأكرهه ، الُّواء للهرة والخرخرة صوتها في نعاسها .

(٤) الصفحة ١٦ من المجلد التاسع والأربعين من هذه المجلة .

١١٩٢١ وَرْدِيَّة — 11921 Roséole

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة وُرَيْدَة ، وأرجح وَرْدية

١١٩٢٢ وَرديَّة هَيَجانيَّة — 11922 roséole émotive

وأفضل وَرْدِيَّة انْفِعاليَّة

١١٩٢٣ وَرْدِيَّة مُرتَدَّة — 11923 roséole de retour

وأفضل وَرْدِيَّة راجعة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

١١٩٢٦ تَدْوير إلى الأمام — 11926 rotation en avant

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة لِـ(internal rotation) الدوران الداخلي

وأرجح التَّدوير تاركاً دَوَران ترجمة لِـ (circulation)

١١٩٢٨ تَدَوُّرى ، دوَّراني — 11928 rotatoire

وأرجح تدوري فقط مخصصاً دوراني ترجمة لـ(circulatoire) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٢٦٩٧)

١١٩٣٣ حَصْبة الخِنْزير — 11933 rouget du porc

أو حَصبة الخنازير كما هو معروف ، وطاعون الخِنْزير كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

١١٩٣٥ إحمرَّ ، إحمارَّ — 11935 Rougir

وأرجح احمرَّ وَحمَّرَ واحمر وجهه خجلاً (٣) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي

---

(١) (relapsing roseola)

(٢) (Swine — plague)

(٣) (to redden, to blush)

١١٩٣٦ صَديء 11936 Rouillé , ée

وبلون الصدأ ، كما جاء في الترجمـة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

١١٩٣٧ تَدَحْرج انْبِساطي 11937 roulement diastolique

تدحرج انبساطي (القلب) أو دحرجة انبساطية (القلب) ونفحة انبساطية (القلب) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

١١٩٣٨ مَغَّرَ 11938 Roussir (faire)

مَغَّرَ طلاه بالمُغْرة (٣) ولا أظن أنه المقصود من هذه اللفظة في هذا المعجم الطبي ، وأرى أن دلالتها على ضرب من تحضير الأطعمة ولا سيما اللحم ، كما جاء في معجم كييه (٤) لذا أرجح حَمَّرَ (٥) وأشاطَ أو شَيَّط (٦)

---

(١) (rusty - rust coloured)

(٢) (diastolic murmur)

(٣) في لسان العرب : المَغَرة والمغْرة طين أحمر يُصبغُ به ، وثوب مُمغَّر مصبوغ بالمغْرة

(٤) لفظة (roussir) في معجم كييه الموسوعي Qmiqillet : dictionnaise encyclohédique

ومن معانيها تلوين قطعة اللحم في مادة دسمة شديدة الحرارة .

(٥) في المعجم الوسيط: حمَّر اللحم قلاه بالسمن ونحوه حتى احمر (محدثة)

(٦) في لسان العرب : والتشـيـيط لحمٌ يُصلَح للقوم ويُشْوى لهم اسم كالتَّمتين والمُشيَّط مثله . وقال الليث التشيُّط شيطوطة اللحم إذا مسته النار يتشيَّط فيحترق أعلاه

وحمّص الدّقيق بالزُبدة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

١١٩٣٩ رُوسي-ليفي(داء)تغيّف, 11939 Roussy - Léyy (maladie de)

وراثي مع إمحاء المُنعكس dystasie aréflexique héréditaire

والصحيح عُسْر الوُقوف الوراثي مع فقد المنْعكسات ، وليس للفظة تغيّفُ (٢) الدلالة المطلوبة

11940 Routage,facilitation des excitations,frayage fraiement

١١٩٤٠ تسْليك ، تسْهيل التنبُّهات تطْريق تمْهيد

تيْسير مرور السيّالة العصبية، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣) ولعلها أفضل

١١٩٤١ مرَقٌ مُشيَّط (طِباخة) 11941 Roux (cuisine)

وأفضل مرَقٌ (أو صلْصة) بالزبد (أو السمْن) المُشيَّط ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٤) ولأن التشْييط إنما يَحْدث في السّمن أو اللّحم لا في المرَق

---

(١) to brown (flour) with butter

(٢) في لسان العرب : تغيّف ، تبختر وتغيّيف : مشى مشية الطوّال، وقيل تغيف مرّ مرّاً سهلاً سريعاً ، وتغيّف الفرس إذا انعطف ومال في أحد جانبيه إلى أن قال : التغيف أن يتثنى ويتمايل في شيقية من سعة الخطو ولين السير

(٣) (facilitation of the passage of a nerve impulse)

(٤) (brown butter sauce)

11944 Rubéfiant , ante ١١٩٤٤ مُحمِّر مُوَرِّد

11945 rubéfiants ١١٩٤٥ مُحمِّرات

وأرجح مُحمِّر وحدها في اللفظة الأولى ومُحمِّرات الجلد (أدوية) في الثانية ، كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي [1]

11946 Rubéole , roséole épidémique

١١٩٤٦ حُمَيْراء ، وَرْدِيَّة وَبائِيَّة

11947 Rubéoleux , euse ١١٩٤٧ مُصاب بالحُمَيْراء

11948 Rubéliforme ١١٩٤٨ حُمَيرائي الشَّكل ، شَبيه بالحُمَيْراء

وأرجح حَصْبَة ألمانية (وهو الاسم الشائع) [2] وَرْدِيَّة وافِدة [3] في اللفظة الأولى ولأن لفظة حُمَيْراء شائعة لما يُعْرَف بالحصبة . مُصاب بالحَصْبة الألمانية في اللفظة الثانية وَشَبيه بالحَصْبة الألمانية في اللفظة الثالثة .

11950 Rudiment ١١٩٥٠ مَبْدأ ، أصْل

وأفضل مَبْدأ وأثر أو بَقِيَّة باقِيَة

11951 Rudimentaire ١١٩٥١ بَدْئِي ، أوَّلي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بآثارية مُتَخلِّفة . فقد جاء في ترجمة (rudimentary form of uterus)

---

(١) (Hautrotende Mittel)

(٢) في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي : (German measles, rubella)

(٣) وسبق للجنة أن ترجمت (épidémie) بجائحة (اللفظة ٥٠٤١)

القرنة الآثارية للرحم وفي الشرح : وهي بَقِيَّةُ القرنة الجنينية ، وفي ترجمة (rudimentary uterus) الرحم المُتَخلِّفة وفي الشرح : وهي رَحْم وقف نموها في دَوْر من أدوار تَكَوُّنِها .

كما وأن لفظة غير متطور تعني كذلك في بعض المواطن كما جاء الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

١١٩٥٣ مِسْحاة ، جارُوف — 11953 Rugine , raspatoire

وأرجح مِكْشَط مِجْرَف

١١٩٥٥ خَشِنَ ، كَرِش — 11955 Rugueux , euse

وأرجح خَشِنَ ، مُتَكَرِّش ، جَعِد

١١٩٥٦ مُجْتَرّ — 11956 Ruminant

١١٩٥٧ مُجْتَر — 11957 Ruminant , ante

وأفضل المُجْتَر في اللفظة الأولى ومُجْتَر في الثانية

١١٩٥٩ وَساخة — 11959 Rupia

الترجمة صحيحة في معناها الشائع ، إلا أن لها معنى طبياً إذ تطلق على القروح الجلدية (الأفرنجية في الغالب) التي تعلوها طبقاتٌ من القُشور ومنه تشبيهها بصدفة المحار(٢) ، ولذا أرجح إطلاق صدفة المحار عليها إلى أن نجد لها إسماً خاصاً .

(٢) (rudimentary , undevelopped)

(٣) لفظة (ruqia) في معجم ستدمان الطبي (Stedman's Medical Dictionary) وفي معجم كييه (Dictionaire encyclopédique Quillet)

١١٩٦٠ إنقطاع ، إنشقاق ، تمزّق 11960 rupture

وأفضل تمزق ، انقطاع وسبق للجنة أن ترجمت (Scission) بانشقاق (واللفظة ١٢١٣٥)

11962 rupture des membranes (obs.)

١١٩٦٢ انشقاق الأغشية (قِبالة)

وأفضل تمزّق الأغشية

١١٩٦٤ وَدُوق 11964 rut (en) . en chasse

ووَدِيق وبها وِداق

S

١١٩٧٥ السّاعة الرّمْليّة (كشكل) 11975 sablier (en)

وأفضل السّاعة الرّمْلية (على هيئة)

١١٩٧٧ كِيس 11977 Sac

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : جُراب كما أنه أقر ترجمة (lacrimal sac) بالكيس الدّمْعي أيضاً وسبقت الملاحظة على هذه اللفظة (١)

وأفضل : كيس وكيسة وجيب ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

١١٩٧٩ كيس فَوْق الأم الجافية فوـ الأمجافية 11979 sac épidural

وأفضل كيس فَوْق الأم الجافية فقط

(١) الصفحة ٥٧٩ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) (sac , cyst , pouch)

١١٩٨٠ كِيس فَتْقي، كيس صِفاقِي 11980 sac herniaire,sac péritonial

وأفضل كيس الفتْق ، كِيس البرِيطون (١)

١١٩٨١ كِيس فَتْقي سابِق التَّكون 11981 sac herniaire préformé

والتأهب للفتْق ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

١١٩٨٨ سُكّري ، مَلْتُوت بِسْحوق السُّكَّر 11988 Saccharolé

وأفضل مَمْزوج بِسْحوق السكر (٣)

١١٩٨٩ كُيَيْس (أذن باطِنة) 11989 Saccule (oreil interne)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : جُرَيْب إلا أنه ترجم (saccular aneurysm) بأنورسما كيسية (وسبقت الملاحظة على هذه اللفظة) (٤)

١١٩٩٣ ألم العجُز ، ألم عَجُزى 11993 sacrodynie , douleur sacrale

وأرجح وَجَع عجُزي وألم عجُزى أو ألم العجز

(للبحث صلة)

---

(١) الصفحة ٢٥٠ من المجلد الخمسين والصفحة ٢٢٨ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة

(٢) (predisposition to hernia)

(٣) في لسان العرب: مَلَتَه يلتِه مَلتاً كمَتَلَه أي زعْزعه أوحرّكه قال الأزهري لا أحفظ لأحد من الأئمة في ملت شيئاً وقال ابن دريد في كتابه ملت الشيء ملْتاً ومتَلتُه متلًا إذا زعزعته وحركته ولا أدري ما صحته .

(٤) الصفحة ٥٧٩ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

داود بن سليمان بن عبد الملك بن مروان
فاتح حصن المرأة ومحاصر القسطنطينية[1]

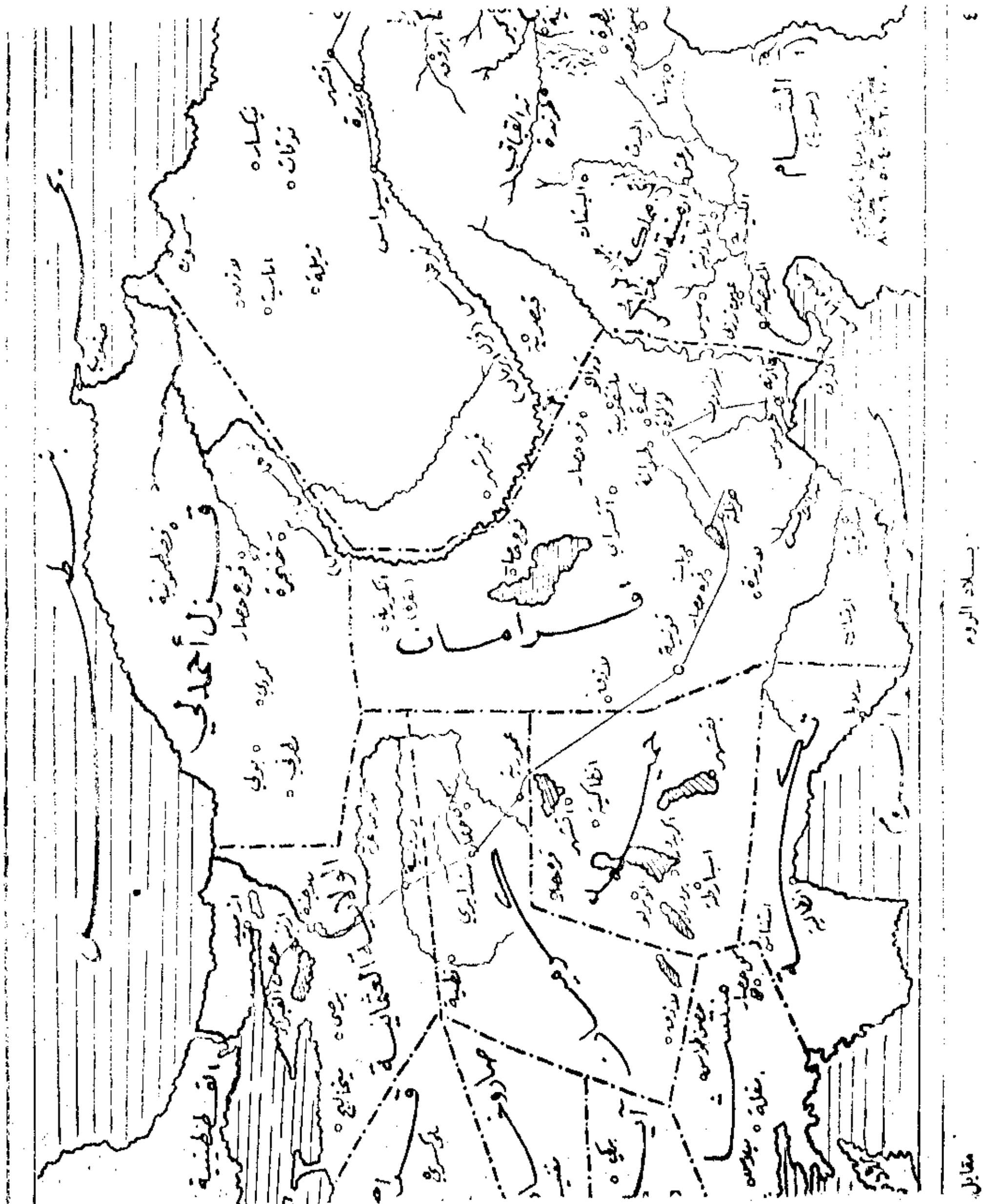
اللواء الركن محمود شيت خطاب

نسبه وأيامه الأولى :

هو داود بن سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ القرشي الأموي[2].
أبوه أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك بن مروان . وأمه من أمهات

(١) حصن المرأة : لا ذكر له في المصادر الجغرافية القديمة المتيسرة ، والظاهر أنه حصن من حصون الروم مما يلي (مَلَطْيَة) ، انظر الطبري (٦/٥٤٥) وابن الأثير (٥/٣٦) وابن خلدون (٣/١٥٦) .

(٢) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٥/٢٢٣) وتهذيب الأسماء واللغات (١/٢٠٩) وجمهرة أنساب العرب (١٠٣ - ١٠٥) وفوات الوفيات (٢/٣١) وتهذيب ابن عساكر (٣/٢٠٣) .



الأولاد (١) ، ويريدون بتعبير أمهات الأولاد الجواري والإماء اللواتي ولدن لمواليهن ذكراناً .

تربى تربية أبناء الخلفاء، فوالده سليمان وجده عبد الملك بن مروان وجدّ أبيه مروان بن الحكم خلفاء ، فلا بد أنه تلقى علوم القرآن والحديث والدين والتاريخ واللغة والأدب على أساطين العلماء في أيامه ، كما تلقى العلوم العسكرية النظرية والعملية على المبرزين في تلك العلوم .

كما مارس الأعمال الادارية والسياسية والعسكرية عن كثب ، وشهد كيف تعالج أمور الدولة المختلفة وتعطى القرارات في محيط الخلفاء والأمراء والقادة على أعلى المستويات .

ومن الواضح أنه أصبح موضع ثقة والده ، فولاه قيادة بعض الصوائف (٢) وأراد أن يجعله ولي عهد بعد أخيه أيّوب الذي توفي قبل أبيه سليمان بن عبد الملك (٣) ، وهذا دليل على أنه أصبح أبرز إخوته بعد وفاة أخيه أيوب ، وأن العلوم النظرية والعملية والتدريب العملي التي تعلمها في أيامه الأولى أثرت كفاياته ، فأصبح قادراً على تحمل المسؤوليات السياسية والإدارية والعسكرية على حد سواء .

لقد كانت أيامه الأولى تعلماً وتدريباً وتجارب تشابه أنداده من أبناء الخلفاء كمسلمة بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، إلى حد كبير (٤) .

---

(١) العيون والحدائق (٣٤) وانظر تهذيب ابن عساكر (٣/٢٠٣) .

(٢) الصوائف : جمع الصائفة ، وهي الغزوة التي تخرج صيفاً .

(٣) تهذيب ابن عساكر (٣/٢٠٣) .

(٤) انظر سيرة مسلمة بن عبد الملك وسيرة العباس بن الوليد بن عبد الملك.

جهـــاده :

١ - في سنة سبع وتسعين الهجرية (٧١٥ م) جهّز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى (القسطنطينية) ، واستعمل ابنه داود على الصائفة ، فافتتح حصن (المرأة) [1] .

والظاهر أن داود كان قائد القوات الساترة ، لحماية إعداد الجيوش وحشدها بالقرب من الحدود الاسلامية الرومية ، ولحرمان الروم من التدخل المباشر أو غير المباشر في عرقلة الإعداد للجيوش تنظيماً وتجهيزاً وتسليحاً وتدابير إدارية ، ولمنعهم من التأثير المباشر أو غير المباشر في حشدها استعداداً للتحرك إلى (القسطنطينية) ، لكي يتم الإعداد والحشد حسب الخطة المرسومة .

وكانت منطقة إعداد الجيوش في (دابق) [2] ، وكانت خطة سليمان ابن عبد الملك في ستر هذه المنطقة وحمايتها لاستكمال متطلبات الإعداد والحشد تتلخص بإرسال الصوائف إلى بلاد الروم شمالاً ، للسيطرة على الحصون التي تقع في منافذ جبال (طورس) الحصينة ، فعملت تلك الصّوائف عمل القوات الساترة بأسلوب (التعرض) بالحركة ، لا بأسلوب (الدفاع) المستكن ، وبذلك حققت هدفين في آن واحد : الأول حماية منطقة الإعداد والحشد ، والثاني السيطرة على الحصون الجبلية التي تتحكم في الطرق القريبة المؤدية إلى بلاد المسلمين .

---

(١) الطبري (٦/٥٢٣) وابن الأثير (٥/٢٠) وابن خلدون (٣/١٥٥) .

(٢) دابق : قرية بقرب مدينة (حلب) ، وهذه القرية من أعمال (اعزاز) بينها وبين (حلب) أربعة فراسخ ، عندها مرج معشب ، كان ينزله بنو مروان إذا غزوا الصائفة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٣) .

وقد نجحت هذه الخطة نجاحاً كبيراً ، وهي خطة حصيفة بلا مراء .

٢ – وفي سنة ثمان وتسعين الهجرية (٧١٦ م) غزا داود أرض الروم ، ففتح حصن (المرأة) مما يلي (مَلَطْيَة)[1] مرة ثانية[2] كما افتتح حصن (الأجرب)[3] .

وقد تكرر فتح حصن (المرأة) في هذه السنة ، إذ سبق ذكره في فتوح سنة سبع وتسعين الهجرية ، مما يدل على أن الروم استعادوه في شتاء سنة سبع وتسعين الهجرية ، لقلة المدافعين عنه وهو الأرجح ، أو لانسحاب داود منه بعد فتحه صيفاً ، واحتمال الانسحاب منه ضعيف ، لأن المسلمين لا ينسحبون من موقع فتحوه إلا لأسباب قاهرة .

وكان إعادة فتح هذين الحصنين في هذه السنة ، هو لتأمين خطوط الجيوش الاسلامية الزاحفة لفتح (القسطنطينية) ، لأنها الشريان الرئيس لتقدم تلك الجيوش نحو هدفها ، وهي التي تصل قواعد المسلمين الأمامية بالقسطنطينية ، وعليها تتحرك الإمدادات الإدارية والبشرية من تلك القواعد

(١) ملطية : بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم أرض الشام شمالاً ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/١٥٠) وتقويم البلدان (٣٨٤) والمسالك والممالك للاصطخري (٤٦) .

(٢) الطبري (٦/٥٤٥) وابن الأثير (٥/٣٦) وابن خلدون (٣/١٥٦) والنجوم الزاهرة (١/٢٣٦) وتهذيب ابن عساكر (٣/٢٠٣) .

(٣) تهذيب ابن عساكر (٣/٢٠٣) ، ولا ذكر لحصن الأجرب في المصادر الجغرافية القديمة ، ومن المحتمل أن يكون حصناً صغيراً في منطقة (ملطية) بالقرب من حصن المرأة .

الأمامية إلى الجيوش الزاحفة ، وكل قائد لا بدّ له من تأمين خطوط مواصلاته بالربايا في المناطق الجبلية والحصون .

والظاهر أن داود استعاد حصن (المرأة) وفتح حصن (الأجرب) في طريقه إلى (القسطنطينية) ، فقد كان قائد أحد الأرتال المتقدمة لفتح عاصمة الروم ، بصحبة عمه مَسلمة بن عبد الملك الذي تولى القيادة العامة سنة ثمان وتسعين الهجرية [١] .

٣ - وكان داود بإمرة عمه مسلمة قائداً مرؤوساً في ملحمة حصار (القسطنطينية) ، وبقي معه من صيف سنة ثمان وتسعين الهجرية (٧١٦م) حتى تم انسحاب مسلمة من (القسطنطينية) بعد وفاة سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين الهجرية [٢] (٧١٧ م) وتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، فأمر عمر بالقفول منها بمن معه من المسلمين [٣] ، بعد أن بقي المسلمون يحاصرون (القسطنطينية) ثلاثين شهراً [٤] .

---

(١) الطبري (٥٣٠/٦) وابن الأثير (٢٧/٥) والبداية والنهاية (١٧٤/٩) وأبو الفدا (٢٠٠/١) والعبر (١١٦/١) وابن خلدون (١٥٥/٣) ومختصر تاريخ الدول لابن العبري (١١٤) .

(٢) الطبري (٥٤٦/٦) وابن الأثير (٣٧/٥) والعبر (١١٨/١) والمسعودي (١٨٢/٣) وشذرات الذهب (١١٦/١) والعيون والحدائق (٣٣) والتنبيه والإشراف (٢٧٥) .

(٣) الطبري (٥٥٣/٦) وانظر ابن الأثير (٤٣/٥) والعيون والحدائق (٣٩) وسيرة عمر بن عبد العزيز (٣٢) والمعارف (٣٦٠) والبداية والنهاية (٣٢٨/٩) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٢٦/١) .

(٤) البدء والتاريخ (٤٤/٦) .

وكان سليمان بن عبد الملك قد أرسل ولده داود مع مسلمة إلى (القسطنطينية)[١] وبقي معه إلى نهاية الحملة .

وهكذا أدى داود واجبه قائداً فاتحاً ، ومحاصراً لعاصمة الروم ، وكان في الحصار الرجل الثاني على الجيوش الإسلامية بعد عمه مسلمة بن عبد الملك[٢] .

الإنسان :

كان لسليمان بن عبد الملك أربعة عشر ذكراً[٣] ، منهم أيوب أمه أم أبان بنت خالد بن الحكم بن أبي العاص ، ويحيى وعبيد الله[٤] أمهما عائشة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ، ويزيد والقاسم وسعيد أمهم أم يزيد بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سُفيان ، وعبد الواحد وعبد العزيز أمهما أم عمرو بنت عبد الله بن أسيد ، وداود ومحمد وعمر وعبد الرحمن لأمهات أولاد شتى ، والحارث لأم ولد وفي أيوب يقول جرير :

إنَّ الإمامَ الذي تُرْجَى فَوَاضِلُهُ بعد الإمام وليُّ العَهْدِ أيُّوب

وقد مات أيوب في حياة أبيه . وأما محمد فكان صاحب لهو وباطل، أدرك الوليد بن يزيد . وأما عبد الواحد فولاّه مروان بن محمد المدينة وقتله صالح بن علي بن عبد الله بن العباس وأخذ ماله ، وفيه يقول ابن هَرْمَةَ :

(١) العيون والحدائق (٣٨) وانظر الطبري (٦,٥٥٠) وابن الأثير (٥/٣٩) وتهذيب ابن عساكر (٣/٢٠٣) .

(٢) انظر حصار القسطنطينية في : سيرة مسلمة بن عبد الملك .

(٣) العيون والحدائق (٣٤) .

(٤) في العيون والحدائق (٣٤) : عبد الله .

إذا قيلَ مَنْ خَيْرُ مَنْ يُرْتَجَى لِمُعْتَرِّ فِهْرٍ ومُحْتَاجِهَا
ومَنْ يُعْجِلُ الخيلَ يومَ الوَغَى بإلْجَامِهَا قَبْلَ إسْرَاجِهَا
أشَارتْ نساءُ بَنِي مَالِكٍ إليْكَ به قَبْلَ أزْوَاجِهَا

وأما عبد الرحمن فمات وهو شاب ، وأما الحارث فكان من رجالهم جَلَداً وذِكْراً ، وأما يزيد فمات قبل تولي العباسيين (١) .

وأما داود ، فقد كان أبرز إخوته بعد أيوب ، لأن والده أراد أن يعهد إليه ليتولى الخلافة من بعده ، على الرغم من أنه ابن أمةٍ ، وكانوا يكرهون ذلك ولا يولّون إلا ابن حُرَّة (٢) ، كما هو معروف في تقاليد بني أمية .

فقد ذكر رجاء بن حَيْوَة ، وكان من أعْبَد ، وهو رجل من أهل (الأردن) كان موصوفاً بالحكمة والشدّة ، مرضياً في دينه وأمانته ، وكانت ملوك بني أمية تثق به لفضله وشرف نفسه (٣) ـ أن سليمان بن عبد الملك مَرِضَ مرضاً شديداً ، فلما ثقُل عهد ، في كتاب كتبه ، لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلُغ ، فدخل عليه رجاء وقال : « ما تصنع يا أمير المؤمنين ! إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يَستخلف على المسلمين الرجلَ الصالح » ، فقال سليمان : « أنا أستخير الله وأنظر فيه ، ولم أعزم عليه » ، فمكث يوماً أو يومين ، ثم خرّقه . ودعا سليمان رجاء فقال له : « ماترى

(١) العيون والحدائق (٣٤ – ٣٥) وانظر جمهرة أنساب العرب (٩٠ – ٩١)
(٢) تهذيب ابن عساكر (٣/٢٠٣) .
(٣) العيون والحدائق (٣٨) والبداية والنهاية (٩/١٨١ – ١٨٢) .

في داود بن سليمان ؟ » ، فقال رجاء : « هو غائب عنك بالقسطنطينية ، ولا تدري أحي هو أم ميت » ، فقال : « فمَنْ ترى ؟ » ، فأجابه رجاء : « رأيك يا أمير المؤمنين ! » ، فقال سليمان : « كيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ » ، فقال : « أعلَمُهُ ، واللهِ ، خيِّراً فاضلاً مسلماً ، فقال سليمان : هو ، والله ، على ذلك ، ولئن ولَّيْتُه ولم أولِّ أحداً سواه ، لتكونَنَّ فتنةٌ ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعدَه » . فأمر سليمان أن يجعل يزيد بن عبد الملك بعد عمر[1].

وقد كان الناس يقولون عن سليمان بن عبد الملك : « سليمان مفتاح الخير »[2] ، فلا يمكن أن يفكر في تولية داود الخلافة من بعده وهو على فراش الموت ، إلا إذا وجد فيه مزايا وكفاية وعقلاً وديناً .

ولم يرد له ذكر في الخلافات والفتن التي تفجرت في داخل بني أمية، ففرّقت صفوفهم وجعلتهم شيعاً ، فكان ذلك سبباً من أهم أسباب انتقال الخلافة منهم إلى بني العباس ، كما لم يرد له ذكر في تولي المناصب الإدارية والقيادية ، منذ عودته من حصار (القسطنطينية) حتى قتل سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية (٧٤٩ م) يوم نهر (أبي فُطْرُس)[3] . فقد

---

(١) الطبري (٦/٥٥٠) وابن الأثير (٥/٣٩) والعيون والحدائق (٣٨) وانظر تهذيب ابن عساكر (٣/٢٠٣) وابن خلدون (٣/١٦١) .

(٢) الطبري (٦/٥٤٦) وابن الأثير (٥/٣٧) والعيون والحدائق (١٧) .

(٣) جمهرة أنساب العرب (٩١) وتهذيب ابن عساكر (٣/٢٠٣) . ونهر أبي فطرس : موضع قرب مدينة (الرّملة) من أرض فلسطين ، على اثني عشر ميلاً من (الرملة) في سمت الشمال ، ومخرجه من أعين في الجبل المتصل بمدينة (نابلس) وينصب في البحر بين مدينتي (أرسوف) و (يافا) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٣٣) .

تتبّع عبدُ الله بن علي بن عبد الله بن العباس عم السفاح أولُ خلفاء العباسيين — بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم ، فأخذهم ولم يفلت منهم إلا رضيع أو مَن هرب إلى الأندلس ، فقتلهم بنهر (أبي فُطْرُس ، فلما فرغ منهم قال :

بني أميّة قد أفنيتُ جمعَكمُ ... فكيف لي منكمُ بالأوّلِ الماضي

يُطَيِّب النّفسَ أن النار تجمعكم ... عُوّضتُمُ من لظاها شرّ مُعتاضِ

مُنِيتُمُ لا أقالَ الله عثرتَكم ... بليثِ غابٍ إلى الأعداء نهّاض

إن كانَ غيْظِي لفَوْتِ منكمُ فلقد ... مُنِيتُ منكم بما ربّي به راض (١)

فإذا صح أن عبد الله العباسي قال هذا الشعر أو لم يقله ، فالأمر سيّان في رأيي ، لأنه أفرط في إبادة بني أمية ، لا فرق بين مذنب وبريء ، فاحترق الأخضر واليابس ، وقتل الصالح والطالح ، وخسر المسلمون خير قادتهم وإدارييهم ورجال دولتهم دون مسوّغ .

وعلى الرغم من حمامات الدم التي لطخ قسم من العباسيين أيديهم بها ، وعلى الرغم من الإرهاب الشنيع الذي مارسه هؤلاء دون شفقة ولا رحمة ، فقد ارتفعت أصوات شجاعة في رثاء قتلى بني أمية ، ولا جدال في أن الشعر الذي قيل في رثائهم كان شعراً صادقاً ، لأنه لا نوال يُرجى من بني أمية ولا زلفى ، بعد أن دالت دولتهم ، وأصبحوا أحاديث للناس وتاريخاً .

قال إبراهيم مولى قائد العَبَلي يرثيهم :

---

(١) ابن الأثير (٤٣٠/٥ - ٤٣١) . وانظر معجم البلدان (٣٣٣/٨) .

أفاضَ المدامعَ قَتْلى كُدَى (١) وقتلى بكُثْوَة (٢) لم تُرْمَسِ
وقَتْلى بِوَجّ (٣) وباللابَتَيْن (٤) بيثربَ (٥) هم خيرُ ما أنفُسِ
وبالزابِيين (٦) نفوسٌ ثوَتْ وأخرى بنهر أبي فُطْرُسِ
أولئك قومٌ أناخت بهم نوائبُ من زمنٍ متعسِ
إذا ركبوا زيّنوا المركبين وإن جلسوا زينة المجلسِ

(١) كدى : وردت في معجم البلدان : كُدى ، ومفتوحة الكاف هي : كداء ، موضع بمكة المكرمة عند (ذي طُوى) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٢٢٠ - ٢٢٣) .

(٢) كثوة : ورد ذكرها في معجم البلدان (٧/٢١٨) دون أن يذكر مكانها .

(٣) وَجّ : هي مدينة الطائف في الحجاز ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٩٩ - ٤٠٠)

(٤) اللابتان : تثنية (لابة) وهي الحرّة ، وجمعها : لاب : وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم حرّم مابين لا بتيْها : يعني المدينة المنورة ، لأنها بين الحرتين . واللابة لغة : الأرض التي ألبستها الحجارة السود ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٣٠٨ - ٣٠٩) .

(٥) يثرب : مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٤٩٨ - ٤٩٩) ، وهي المدينة المنورة التي فيها مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقبره الشريف .

(٦) الزاب : نهر معروف في العراق الشمالي الشرقي ، وهما زابان : الزاب الأعلى ، والزاب الأسفل ، وربما قيل لكل واحد من نهري الزاب : زابى ، والتثنية : زابيان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٣٦٣ - ٣٦٤) والمشترك وضعاً والمفترق صقعاً (٢٢٩ - ٢٣٠) .

همُ أضـرعوني لريْبِ الزَّمانِ ... وهم ألصقوا الرُّغْمَ[1] بالمعطَسِ
فمـا أنْسَ لا أنسَ قتلاهمُ ... ولا عاش بعدهمُ مَنْ نَسِي[2]

وقال :

أبكي على فِتْيَةٍ رُزِئْتُهُمُ ... ما إن لهم في الرجال من خَلَفِ
نهـر أبي فُطْرُس مَحَلُّهُمُ ... وصبِّحـوا الزابيين للتلـف
أشكو إلى الله ما بُليتُ به ... من فقْدِ تلك الوجوه والشَّرَف[3]

وقال :

بكيْتُ وماذا يردّ البكا ... وقلّ البُكاء لقتلى كُـدا
أصيبوا معاً فتولّوْا معـاً ... كذلك كانوا معاً في رَخا
بكت لهم الأرض من بعدهم ... وناحت عليهم نجومُ السّما
وكانوا ضيائي فلمـا انقضى ... زماني بقومي تولى الضّيا[4]

ولا يمكن أن يصدر مثل هذا الشعر الصادق إلا في رثاء مَنْ ظُلِمَ، لا في رثاء من ظَلَمَ ، وكان داود ممن ظُلِم حقاً ومعه من أنداده وآل بيته كثير ، إذ لم يشهد الاقتتال في الصراع على المُلك بين الأمويين والعباسيين ، كما أن يوم نهر (أبي فطرس) كان بين قوتين غير متكافئتين: جماعة من بني أميـة عزّلٌ من السلاح ، وقوة مدججة بالسلاح من بني العباس وجيشهم ، وأكثر الأمويين في تلك المنطقة كانوا ممن اعتزلوا الاقتتال .

(١) الرغم : الكره والذل والهوان ، يقال : فعله على رغمه .
(٢) معجم البلدان (٣٠٩/٧) و (٣٣٣/٨)
(٣) معجم البلدان (٣٣٤/٨)
(٤) معجم البلدان (٢٢٣/٧)

وما هكـذا كان العرب يقاتلون ، ولا بذلك نصت تعاليم القتال في الاسلام .

وهذا الذي أوردته من شعرٍ في الرثاء لقسم من الذين ظُلموا بغير حق من بني أمية ، هو جزء يسير مما قاله شاعر واحـد في رثاء هؤلاء المظلومين بعد أن أصبحوا رجالاً بلا غدٍ ولا سلطة ولا مال ، فما بالك بما قاله الشعراء الآخرون الذين رثوا المظلومين من بني أمية ، وهم عدد ضخم من الشعراء ، عاش شعر بعضهم وطوت الأيام شعر الأكثرين ، لم يخشوا السُّلطة الغاشمة ، ولم يخافوا الوعيد والسجون والقتل والتشريد ، بل عبَّروا عن شعورهم بشجاعة وصدق وأمانة .

ولم يقتصر رثاء المظلومين من بني أمية على الشعراء وحدهم ، بل شمل غيرهم من الأدباء والعلماء وأفراد الشعب العربي ، وقد عبَّر كل واحد منهم بطريقته وأسلوبه ، ولكن معظم هذا الرثاء دُمِّر كما دُمِّر بنو أمية وأبيد كما أبيدوا .

وهذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على ما حاق بالأبرياء من بني أمية من ظلم شنيع .

ولعل داود كان من جملة المظلومين ، فلم يحدثنا التاريخ أنه شارك في الاقتتال بقلبه أو بلسانه أو بسيفه ، فلماذا يقتل وترمى جثته في الطرقات ؟

لقد ذكرنا أنه بدأ حياته العملية في الجهاد سنة سبع وتسعين هجرية (٧١٥ م) ، وأنه قُتِل سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية (٧٤٩ م) . واعتيادياً تبدأ الحياة العملية لأبناء الخلفاء وأضرابهم في العشرين من سني حياتهم ، تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً ، ومعنى ذلك أنه ولد سنة سبع وسبعين

الهجرية (٦٩٦ م) تقريباً،أي أنه عاش خمساً وخمسين سنة قمرية وثلاثاً وخمسين سنة شمسية .

القائــــد :

١ — لم يشهد داود غير غزوتين تمهيديتين لحصار (القسطنطينية) : الأولى لستر إعداد الجيوش وحمايتها بأسلوب التعرض بالحركة لا بأسلوب الدفاع المستكن ، والثانية بقيادة جيش من جيوش المسلمين في مرحلة : مسير الاقتراب ، لتطهير الجيوب الثابتة للعدو،وتأمين خطوط مواصلات الجيوش.

فلما انتهت مرحلة : مسير الاقتراب ، ووصلت جيوش المسلمين إلى (القسطنطينية) ، بدأت مرحلة حصار هذه المدينة ، فشهد الحصار منذ بدايته حتى نهايته ، وكان في هذه المرحلة الساعد الأيمن لعمه مَسْلَمة بن عبد الملك القائد العام للجيوش الاسلامية في مرحلة الحصار ، وكان الرجل الثاني في تسلسل القيادة بعد مسلمة ، فكانت هذه الغزوة هي الثالثة من غزواته قائداً .

٢ - وتدل الغزوة الأولى لداود : غزوة فتح حصن (المرأة) ، أنه كان قائداً (تعرضياً) ، فقد قام بواجب القِطَع الساترة لجيوش المسلمين التي يجري إعدادها في القاعدة الأمامية (دابِق) ، ولكن بأسلوب جديد يتخذ (التعرض) بدلاً عن (الدفاع) ، فيستر قوات المسلمين ويحميها ، ويحرم الرُّوم من الحصول على المعلومات عن نيات المسلمين وتدابيرهم العسكرية ، ويسيطر على الطرق القريبة التي تقود الروم إلى قاعدة المسلمين الأمامية بفتح الحصن الرومي الذي يسيطر على تلك الطرق .

ونستنتج من ذلك بعض مزايا داود القيادية ، فهو يتسم بمبدأ (التعرض)

من أهم مبادىء الحرب ، ويؤدي واجبه بأسلوب تعبوي جديـــد ، إذ المفروض أن واجب (الستار) يتم بالدفاع أمام الموضـع الأصلي بمسافة كافية تمنع العدو من التصدي لذلك الموضع بالنـار والنظر ، ولكنه أدى هذا الواجب بالتعرض لا بالدفاع ، وهذا أسلوب جديـد في التعبئة . وهو قدير في ممارسة الحروب الجبلية التي تتطلب كفاية قيادية عالية ، وهو قادر على التصدي للحصون المنيعة وقادر على فتحها .

وكل هذه القابليات من صفات القائد المتميز .

٣ – وتدل الغزوة الثانية لداود : غزوة استعادة فتح حصن (المرأة)، وقيادة رَتَل من أرتال المسلمين الزاحفة لفتح (القسطنطينية) في مرحلة مسير الاقتراب ، أن داود كان يتسم بالحذر والحيطة ، فيحمي جيشه في مسيرته بالربايا عند اجتياز المناطق الجبلية ، وبقِطَع الحماية : الميمنة والميسرة والمؤخرة والمقدمة في حركته على المناطق المكشوفة ، ويحمي طرق مواصلاته بالسيطرة على المراكز الحصينة التي تتحكم في تلك الطرق ، ويحسب لكل شيء حسابه فلا يفسح المجال للعدو أن يهدد طرق المواصلات بالغارات أو بحرب العصابات .

والحذر والحيطة وإدخال أسوأ الاحتمالات في الحساب ، من صفات القائد المتميز أيضاً .

٤ – وتدل الغزوة الثالثة لداود : غزوة حصار (القسطنطينية) ، أنه كان قائداً يتحلى بالضبط المتين ، لأن العرب لا تصبر على الحصار المديد ، كما لا تصبر على البرد الشديد ، وقد عانى المحاصرون ظروفاً قاسية :

النار اليونانية ، وقلة الزاد ، والخسائر الفادحة بالأرواح ، وانهيار المعنويات ، وكل هذه المعضلات تحتاج إلى قائد مسيطر قـادر ، يحول دون تسرب المقاتلين من ساحة المعركة إلى مكان آمن بعيد عن الأخطار .

كما أن ثباته العنيد مدة ثلاثين شهراً ، يدل على تمتعه بالشجاعة والإقدام، وتحمله الأهوال والصعاب .

وقد دارت معارك طاحنة بين الطرفين فتحمل مسؤولية القتال وصبر وصابر ، مما يدل على اتقانه القضايا التعبوية بكفاية وإتقان .

كما صادفته مشاكل إدارية قاسية ،فعالج تلك المشاكل وتغلب عليها ، مما يدل على قابليته في حل المشاكل الإدارية .

وصادف مشاكل تردّي المعنويات ، فقاوم هذا التردي بأناة وصبر ، مما يدل على تمتعه بالمعنويات العالية ، فبقي مع الجيوش الإسلامية المحاصِرة وكان بإمكانه الالتحاق بوالده في (دابِق) حيث الأمن والرخاء .

كما شارك في قيادة انسحاب الجيوش الاسلامية من (القسطنطينية) إلى قواعد المسلمين ، مما يدل على قابليته التعبوية ومقدرته على تحمل المشاق .

ومن المعروف أن القائد المتميز هو الذي ينجح في قيادة معركة الانسحاب ، التي تعد بحق من أصعب صفحات القتال ، لأن الانسحاب يؤثر في معنويات المنسحبين ، كما يبذل العدو قصارى جهده ويزجّ بكل طاقاته في المطاردة محاولاً جعل الانسحاب الذي هو أحد صفحات القتال هزيمةً تحطم المعنويات وتكبد المنهزمين أفدح الخسائر .

لذلك كان نجاح القائد في السيطرة على الانسحاب ، وإحباط محاولات

العدو لقلبه إلى هزيمة ، يحظى ولا يزال بأعظم التقدير ، ويعتبر اختباراً صعباً للقيادة القادرة .

تلك هي صفات داود القيادية التي يمكن استنتاجها في غزواته الثلاث، وهي بدون شك ثقيلة الوزن بالنسبة لجميع الموازين .

٥ – وبالإمكان إضافة صفة أخرى إلى تلك الصفات ، وهي أن داود كان راسخ العقيدة ، فبقي ثلاثين شهراً في أحلك الظروف والأحوال ثابتاً لا يتزعزع . وأصحاب العقيدة الراسخة وحدهم يصبرون على البأساء والضراء وحين البأس ، فهي وحدها تهوّن الصعاب وتذلل العقبات .

كما أن أصحاب العقيدة الراسخة يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، ويضحون بها وهما أغلى ما يحرص عليه الانسان ، وغيرهم يضحون بكل شيء حرصاً على أموالهم وأنفسهم ، وكل أمر في سبيل العقيدة الراسخة يهون .

ولقد كانت انتصارات المسلمين الأولين في أيام الفتح الإسلامي العظيم، انتصارات عقيدة ، لا ميراء .

٦ – ونستطيع أن نتبين بجلاء أن مزيتين من مزايا القائد المتميز الثلاث ، وهي : الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب ، والتجربة العملية، باديتان للعيان بوضوح ، وهما المزية الثانية والمزية الثالثة .

أما المزية الأولى ، وهي الطبع الموهوب ، فمن الصعب أن نتلمسها في شخصيته القيادية ، فهو لم يتحمل مسؤولية قيادة كبرى ، ولم يمارس القيـــادة بعد عودته من (القسطنطينية) ، ولا نعرف سبباً لتخليه عن ساحات القتال .

ولست أشك في أن والده أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ، لم يوله القيادة لأنه ولده حسب ، بل لأن فيه مزايا قيادية معينة أهلته لتولي القيادة ، فقد كان لسليمان أربعة عشر ولداً من الذكور ، لم يتسنم منهم منصب القيادة غير داود ، كما يدل ذلك على أن داود له ميل طبيعي لتولي قيادة الجيوش وله رغبة في القضايا العسكرية .

ولكن مزايا داود القيادية وميله ورغبته في النهوض بأعبائها ، ليس كل شيء في إثبات تحليه بسجية : الطبع الموهوب ، فالقادة الموهوبون تركوا بصماتهم على الأحداث الكبرى فتوحاً باقية وانتصارات خالدة .

ولم يترك داود مثل تلك الفتوح والانتصارات .

وإذا جعلنا قادة بني أمية طبقات ، وجعلنا أمثال قتيبة بن مسلم الباهلي ومحمد بن القاسم الثقفي من قادة المشرق الاسلامي ، وعقبة بن نافع الفهري وموسى بن نُصير وطارق بن زياد من قادة المغرب العربي ، في قائمة الطبقة الأولى ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان في قائمة الطبقة الثانية ؛ فإن داود وأضرابه يصبح في قائمة الطبقة الثالثة .

وحسبه بهذا التقويم فخراً .

داود في التاريخ :

يذكر التاريخ لداود عزوفه عن تولي الخلافة ونصحه الصادق الأمين للخلفاء وذوي السلطان .

ويذكر له أنه كان يعتبر المناصب العالية تكليفاً لا تشريفاً ، فلم

يسع لتولي منصب القيادة ، بل سمى المنصب إليه ، فتولاه بكفاياته لا بنسبه.

ويذكر له أنه لم يشارك في الفتن الداخلية ولا انضم إلى الطامعين بالسلطة والحكم ، فاعتزل الفتن ، ولم يثرها بقلبه ولسانه وسيفه .

ويذكر له جهاده التمهيدي لفتح (القسطنطينية) ومشاركته المؤثرة في حصارها ، وتحمله الأهوال صابراً محتسباً .

ويذكر له أنه قتل مظلوماً ، فاحترق بنار فتنة لم يكن من دعاتها .

يرحمه الله جزاء ما قدم للمسلمين من جهد وجهاد .

بغداد محمود شيت خطاب

اللغة العربية خلال ربع قرن
في ميدان التعلم والتعليم

الأزمة وعللها الأوائل ـ اقتراحات أساسية لمعالجتها (*)

الدكتور شكري فيصل

مقـــدمات

١ ـ المقدمة الأولى :

آثرت أن أضيف إلى العنوان المقترح : (اللغة العربية خلال ربع قرن) وهو عنوان عريض حقاً ، هذه الإضافةَ الصغيرة : (في ميدان التعلم والتعليم) حرصاً على تحديد ساحة الندوة ، وتجنّباً لمواجهة الأبعاد الكثيرة الأخرى للموضوع .. ذلك أن اللغة في مجتمعنا العربي المعاصر تؤلف قضية من أخطر قضاياه وأكبرها :

١ً ـ إنها هذه القضية التي تمتد على رقعة الوطن العربي كله ، ويكون لها ـ على وحدة اللغة العربية ـ في كل بلد لونٌ من ألوان التجربة ، وشكل من أشكال المعاناة ، ومظهر من مظاهر الأزمة .

---

* أقام اتحاد مجامع اللغة العربية ندوته هذا العام في عَمان بدعوة من مجمع اللغة العربية الأردني ، وذلك في الأيام ٣١/ ١٠ - ١١/٤ ١٩٧٨ وكان موضوعها الذي دُعي عدد من الخبراء لمعالجته : « اللغة العربية خلال الربع الأخير من هذا القرن ». والبحث ، هذا ، أحد الأبحاث التي أعدت لهذه الندوة .

٢ً – ثم هي هذه القضية التي تمتد على تاريخ الوطن العربي في ماضيه البعيد ، وفي ماضيه القريب ، وفي حاضره الماثل ، وفي مستقبله المأمول . والتفكيرُ في اللغة العربية موصولٌ بهذه الأزمنة كلها معقود بها ، لا يكاد ينفصل ما بين قضاياها وبين هذه الأزمنة كلها مجتمعةً أو منفردة . . وأنت لا تكاد تفكر في أمر من أمور اللغة دون أن تجد نفسك مشدوداً بخيوط إلى الماضي مرات ، وخيوط إلى الحاضر والمستقبل مرات أخر .

٣ً – هذا إلى أنها ، هذه اللغة ، تجاوز أن تكون قضية من قضايانا الذاتية التي نستطيع أن نتصرف بها على النحو الذي نشاء إلى أن تكون قضية من قضايانا التي تجاوز حدودنا لتتشابك مع صلاتها باللغات الأخرى في هذه المحاولة المزدوجة : مجابهة تحدي اللغات الأجنبية لصدِّ أخطارها ، ومحاولة التفاعل معها لمواكبتها في التقدم .

٤ً – ويبقى بعد هذا أن اللغة – بما هي الطريق لاكتساب المعرفة وتوصيلها ، والعمل على إغنائها ، وإشاعة القيم الفاضلة وترسيخها – اللغة بما هي ذلك كله تعتبر الوسيلة الأولى للبناء الحضاري من بين أدوات هذا البناء .. ولذلك فهي تخالط في المجتمع جزئياته وكلياته ، مناشطَ الأفراد ومناشط الجماعات ، معاناته في الشؤون المادية ومعاناته في الشؤون المعنوية .

٥ً – فإذا ذكرنا بعد هذا كله أننا ، ونحن نواجه معركة الوجود العربي أو غيابه ، بقاء العرب أو فناءهم ، لانجد – بعد أن عصف بنا التفرق واستبدت بنا الأهواء – ما نعتصم به ونرتكز عليه وننطلق منه إلا هذه اللغة ، بكتابها المجيد وتراثها الغني وقدراتها الكامنة ... إذا ذكرنا هذا أدركنا أن موضوع اللغة العربية يداخل تفكيرنا كله وعملنا كله ووجودنا كله ، حيث اتجهت بنا الطرق أو توازعتنا الجهود .

هذه الآفاق العريضة للغة وهذا التشابك بينها وبين قضايا الفكر والمجتمع كلها ، اقتضتني هذه الإضافة على العنوان . وأنا أقدر أمرين اثنين لاشك فيهما :

أولهما : أن هذه الإضافة هي في أذهان القائمين على الندوة لاشك . وإنما آثروا — في شيء كثير من التقدير للمشاركين — أن يتركوا لهم اختيار النحو الذي يختارون من هذه الأنحاء الكثيرة .

والآخر : أن قضية اللغة العربية من الاتساع والتشابك بحيث يكاد يتعذر فعلاً أن يظل الباحث في نجوة من هذا التشابك في المعالجة .. وإلا فكيف يستطيع امرؤ أن ينظر إلى واقع اللغة العربية اليوم من دون أن يتحدث عن الغزو اللغوي الأجنبي ، وهل هنالك من يملك الحديث عن اللغة في مرحلة التعليم الجامعي دون أن يتحدث عن قضايا المصطلح في فروع المعرفة كلها ؟ .

ومع ذلك فنحن لا نملك إلا أن نأخذ أنفسنا بشيء من التحديد حتى لا ينتشر علينا الأمر وحتى لا تتسع الساحة ، فلا نملك أن نحدّد البصر في بعض أجزائها .

ومن هذا كله آثرت أن تكون حدود هذا البحث محصورة — بالقدر الذي يُمكّن لي من ذلك — في تعلّم اللغة وفي تعليمها ، وما يتصل بالتعلم والتعليم من قضايا ومشكلات .

٢ — المقدمة الثانية :

في معالجة مثل هذه الموضوعات نجد أننا أمام أسلوبين اثنين :

أحدهما : أن يكون لهذه المعالجة مخططٌ مُسبَق يتناول الكليات والجزئيات التي يتقاسمها الباحثون ،

والآخر : أن يكون لها هذه الصفة العفوية أو الحرة التي تنأى عن التصورات المسبقة والتقسيمات النظرية التي يمارسها منظّرون قد لايملكون الإحاطة بالقضية من أقطارها كلها ، أو يستبد بهم جانب من جوانبها .. ولذلك تأتي تصوراتهم وافتراضاتهم وتقسيماتهم وكأنها تحدّ من حرية البحث في تشققه وتفتحه وامتداد آفاقه ، وتكبت منه بعض منازعه وتطلعاته .

وفي هذا الأسلوب الثاني تكون الدراسات المختلفة التي يقدمها الباحثون – نتيجة لمعاناتهم الشخصية وتجاربهم الذاتية ورؤيتهم للواقع ورؤاهم لإصلاحه – هي التي تقود إلى اكتشاف الخطة النظرية والحلول العملية في آن

الأسلوب الأول يقوم على نظرات سابقة ترسم خريطة الموضوع وتضع الباحث في مكان محدّد من هذه الخريطة لا يتجاوزه أو لا يملك أن يتجاوزه.. على حين يريد الأسلوب الثاني أن يستفيد من جملة الأبحاث لرسم خريطة الموضوع ، في قضاياه وفي نشدان الحلول لهذه القضايا من خلال هذه الأبحاث .

ويبدو أن الندوة آثرت هذا الأسلوب الثاني .. وهي لاشك ستنتهي – أو يجب أن تنتهي – من خلال التعدد إلى الوحدة أو ما يقترب من الوحدة ، ومن خلال الأفكار الجزئية المتناثرة إلى فكرة كلية لها أولياتها وتسلسل أجزائها ، ومن خلال العروض الخاصة التي تحدّدها ظروف البلد العربي الواحد إلى التصور المشترك بين مجموعة البلاد العربية ، ومن المشاكل المتداخلة المعقدة إلى تصنيفها الذي يذهب بتداخلها ، وبسطِها الذي يذهب بتعقيدها ، وحلولها التي تذوّب معنى المشكلة فيها .

٣ - المقدمة الثالثة :

كان يحس الباحث – وهو يطرق الموضوع – حاجته إلى بعض

الأعمال المبدئية التي يستند إليها ويقبس برهانه منها .. ومثل هذه الأعمال تقتضي جهداً لا بد من التعاون عليه بين فريق من أصحاب هذا البحث .. ولعلنا كنا في حاجة إلى بعض الاستبيانات نطرحها وندرس إجاباتها، وإلى بعض الوثائق تعيننا على تصور ما كان ومقارنته بما هو كائن ونسبته إلى الذي يجب أن يكون .

كان يكون ذلك، أو بعض ذلك، أمراً ضرورياً في هذا .. ولكن من المؤكد أن قضايانا العربية، في تعلمها وتعليمها، خلال هذه العقود الثلاثة الأخيرة، من الوضوح والشيوع بحيث يستطيع الباحث الذي يعاني هذه القضايا أن يطمئن إلى أن ما يقوله يحمل براهينه .. إننا لانعالج قضية جديدة، وإنما هي قضية متجددة .. ولا نبحث في أزمة مجهولة المصادر والموارد، وإنما هي أزمة نواجهها حيث كانت وجهتنا .. نلقاها في البيت والشارع، وفي المدرسة والجامعة، وفي الجريدة والمجلة، ونتصل بها في كل ساعة مُصبحين ومُمسين، وندير حولها حديثاً صامتاً بيننا وبين أنفسنا، وحواراً حاداً أو هادئاً بيننا وبين إخواننا وزملائنا .. فليس هنالك في الأمر خفاء يقتضي الاستبيان أو التبيّن . وإنما هو العمل على العلاج الذي يقتضي التبيين .

نحو الموضوع :

إن هذه المقدمات الثلاث بين يدي البحث ليست ملكاً لهذا البحث وحده وإنما ستكون حظاً مشتركاً بين الأبحاث المقدمة كلها .. ولعلها أن تكون لوناً من إحكام منهج الندوة وتفسير هذا المنهج، دفعاً لنقد محتمل أو سؤال عارض .

فإذا صحت لنا هذه المقدمات، وهي صحيحة ما دمنا نتواضع عليها

ونلتقي حولها ونتفق على الانطلاق منها ، فإن موضوع العربية خلال ربع قرن في تعلمها وتعليمها يمكن أن يتخذ في معالجته هذا الأسلوبَ الذي أوشك أن يكون تقليدياً .. وهو النظر في أربعة الأمور التالية : ١ - المعلم ٢ - الطالب ٣ - المنهاج ٤ - الكتاب .. كما يمكن أن يتخذ هذا الشكلَ العام في دراسة واقع العربية وتبيّن أبرز ما يتصف به هذا الواقع: مااستطاع أن يحققه ، وما عجز عن تحقيقه .

وأيّاً كان الأسلوب الذي يمكن أن يُتَّبع فمن المؤكد أن واقع العربية ليس شراً كله ، وأن الجوانب التي نشكو منها ليست هي جوانبَ الموضوع كلِّه وأبعادَه . فلقد حققت العربية خلال هذه العقود قدراً صالحاً من التقدم في هذا الجانب أو ذاك ، ولكن ما حققته لم يكن كلَّ الذي نتمناه لها .. إن مكانة اللغة من وجودنا الحضاري والقومي وأثرَها الكبير في صياغة هذا الوجود تضاعف من المهمات التي ننتظرها منها في ذات الوقت الذي تضاعف فيه من الأعباء الملقاة عليها .. ولهذا تظل القضية اللغوية - وقد تظلُّ إلى حين - أمَّ القضايا ، لا نجمع على أمرٍ كما نجمع عليها ، ولا نلتقي على تقديرٍ لشيء كما نلتقي على تقدير أثرها ومكانتها .

ولعله من هنا كانت أصواتنا ترتفع دائماً بالشكوى ، وتتّسم أبحاثنا اللغوية بأقدار من الكآبة ، إن صحَّ أن استعمل هذا الوصف ، ونغفل الجانب الإيجابي لأن الطريق لا تزال طويلة ، والجهد الذي يبذل لايزال مقصراً ، والأهداف لا تزال بعيدة .. فإذا جاءت أبحاثنا اليوم ، في هذه الندوة ، وهي تغلّب الجانبَ السلبي أو أنها تهمل الجوانب الإيجابية التي تتبدّى في نهضة العربية ، وفي تضييق الفروق بين الفصحى والعامية ، وفي انتشار

أقدارٍ من المعارف اللغوية — إذا جاءت الأبحاث وفيها هـذا التغليب فإن ذلك لن يكون عيباً فيها .. لأننا إنما نلتقي في العادة في مثل هذه الندوات من أجل تدارس النقص وتذاكر العيب والوقوع على الداء والطبّ له .. ولا نلتقي من أجل تمجيد الواقع أو إعلان الرضا عنه .. إنه يوشك أن يكون طبيعياً أن نتسخط بأكثر مما نحمد ، وأن يستبدّ بنا نُشدان الأفضل الذي نتطلع إليه ونسعى نحوه .

أفلا يكون من الحق إذن — بعد هذا الاحتراس — أن نصوغ جملةَ ما تعانيه العربية ، تعلماً وتعليماً ، أنه سلسلة من الأزمات ، تقود في جملتها إلى سلسلة من الخطى المتقهقرة .. تثير في النفس إحساساً حاداً بالخطر ، وتدفع إلى ضرورة التعاون على معالجته مخافة أن يتسع الخرق على الراقع ، وأن يستعصي الواقع على الإصلاح ، وأن تؤول العروة الوثقى إلى خيوط منكوثة رثّة ؟..

وليس صعباً ولا عسيراً أن نتبين هـذه الأزمة .. في الوسع أن نلمحها حيث ندير أبصارنا أو نلقي بأسماعنا .. في الوسع أن نجد أزمة اللغة في المدرسة على تعدد مراحلها ، وفي البيت على اختلاف مستواه ، وفي الوزارة على تنوع اختصاصها .. في المقال المكتوب والكتاب المطبوع ، وفي المحاضرة التي تلقى وفي الحديث الذي يذاع .. إننا نلمحه في وجوه ثقافتنا العلمية وفي وجوهٍ من ثقافتنا الأدبية على السواء .. بل إن هـذه الأزمة توشك أن تتناول اللغة نفسها في دراستها وتدريسها ، في مصطلحها القديم وفي مصطلحها الجديد ، في تراثها الذي خلفته وفي واقعها الذي تعانيه .

وما شيء من هذا بالمبالغة أو التهويل .. وهل كانت الدوافـع وراء هذه الندوة إلاّ هذا الإحساس بهذه الأزمة ومعاناتها ؟.

أين تقع المشكلة

ولكن كيف نتحدث عن أزمة اللغة العربية في البلاد العربية ؟.. كيف تكون هذه الأزمة ونحن ، في كل بلد عربي ، أمام أعداد كبيرة من المعلمين والمدرسين الذين يتكفلون تعليمها ، وأمام أعداد هائلة من التلاميذ والطلاب والدارسين الذين يتكلفون تعلمها ؟.. كيف تنشأ هذه الأزمة ونحن ننطلق، أفراداً وجماعات ، مؤسسات ومنظمات ، أحزاباً وحكومات ، من هذه المنطلقات الفكرية المشتركة : من تقديس اللغة ، ومن الإيمان العميق بأثرها في وحدة الثقافة والأفكار وفي وحدة القيم والمشاعر ، ومن التأكيد على أنها هي وحدهـــا الطريق إلى ما ننشده من وحدة العرب السياسية وتجديد الحضارة العربية ومواكبة التطور الإنساني ؟.

لماذا تتوالد هذه الأزمة وتنمو على حين تنفق الحكومات العربية على التعليم ما تستطيع وفوق ما تستطيع ، ويتزايد هذا الإنفاق عاماً بعد عام وله من ميزانية الدولة أوفى نصيب ؟.

إن عرض الواقع اللغوي العربي يثير كثيراً من مثل هذه الأسئلة .. إنه يقترب بنا من صميم المشكلة .. فعملنا في الميدان اللغوي ، في نطاق التعلم والتعليم ، كان يجب أن يتشقق عن أطيب الثمار وأفضل النتائج ، وتجاربنا في ذلك ، في مجموعة البلاد العربية ، تجارب غنية لم تغفل العناصر الأساسية في هذا العمل التعليمي اللغوي .. فلماذا إذاً لا تحقق هذه العملية التعليمية أهدافها كلها ؟.. لماذا تواجه بعض الانحراف أو تضلّ الطريق إلى بعض الأهداف ؟ . ولماذا تُجمع لها اللجان وتعقد المؤتمرات وتنشأ الإدارات ثم لا تأتي النتائج كفاء الجهود ، أو كفاء الآمال التي تتجه إليها هذه الجهود ؟

وحين يكون الطالب مكان الاهتمام والرعاية ، ويكون الكتاب موضع العناية والتجديد ، ويأتي المنهج نتيجة مدارسات طويلة متعمقة ، ويكون المعلم نتيجة إعداد وتأهيل ، فلماذا تشير النتائج إلى ضمور وقصور وانحراف ؟.. أين يكمن الداء في هذه المسيرة التعليمية ؟. أهو في أجزاء الخطة أم هو في تواصل هذه الأجزاء وتكامل ما بينها ؟ أهو في هذه الجواء التي تحيط بالعمل التعليمي أم هو في صميم هذا العمل ؟.. هل نشتكي ، معلمين ومتعلمين ، من أنفسنا وأدواتنا أم إننا نشتكي من انفصام ما بين عملنا وبين المجتمع من حولنا ؟.

بين العلل الأوائل والعلل الثواني :

أحسب أنه يحسن أن نفرّق – في محاولة الوصول إلى صميم المشكلة – بين نوعين من الأسباب : الأسباب الأوائل أو العلل الأوائل – إذا استعرنا هنا مصطلحات النحويين – والأسباب الثانوية أو العلل الثواني ، وأن نضع كلاً منها في موضعه ، لا نتجاوز به مكانه ولا نرتفع به فوق قدره .

هنالك ، لا شك ، مجالٌ لأحاديث كثيرة لا تنتهي عن الكتاب المدرسي مثلاً .. عن طريقة إعداده ومادته ، وعن طباعته وورقه ، وعن رسومه وألوانه .. عن هذه الطريقة أو تلك في تأليفه .. ولكن مهما يطل الحديث في ذلك فسيظل هناك حقيقةٌ قائمة مؤكدة وهي أن بين أيدينا كتاباً مدرسياً ، ليس هو المثل الأعلى في الكتاب المدرسي ولكنه أداة صالحة في كل حال ، على الاعتراف بنقائصه وعلى ضرورة السعي لاكتماله .

وهناك كذلك لا شك مجال لانتقادات كثيرة تتناول السلبيات في كل جانب من جوانب العملية التعليمية .. فنحن نجوز مرحلة صعبة من

مراحل البناء ، وبعض أقطارنا العربية كان يعيش في حالة الانعدام اللغوي العربي – في نطاق التعلم والتعليم – أو ما يقرب منها ، وأكثر أقطارنا تعرّض في ذلك لألوانٍ من الغزو وما أعقب الغزوَ من صراع غير متكافىء .. ونحن جميعاً لا نملك القدرات الكافيه لتحقيق كل شيء والوصول إلى كل شيء .. وإذن فأبواب النقد ستظل مُشْرَعةً . بل ويجب أن تظل كذلك .. وعلينا أن نستقبل ، في رضى وارتياح ، كل أرواح الحركة المتجهة نحو الأفضل وأن نفتح لها النوافذ .

عملنا إذن في اكتشاف صميم المشكلة يجب أن يتجه نحو العلل الأوائل .. لا ننسى العلل الثواني ، ولكننا لا نسمح لها أن تستوقفنا وحدها .. وقد تكون لها آثارها الكبيرة ونحن مطالبون حقاً بتبيّن هذه الآثار ومحاولة إصلاحها .. ولكننا مطالبون قبل ذلك بأن نفرق بين ما هو أولي وبين ما هو ثانوي .. بين ما هو أصيل في خلق المشكلة وبين ما هو فرعي . مطالبون بأن نعيَ العلل الأوائل لا يصرفنا غيرها عنها .

العلل الأوائل عند خصوم العربية وعند أصحابها :

وحين ننشد هذه العلل الأوائل فسنظفر بها مرتين :

مرة عند خصوم العربية الذين يسكنون عقر دارها وينقضون غزلها من بعد قوة أنكاثاً .. يفعلون ذلك أكثر الأحيان بحجة البحث فيها أو بحجة الغيْرة عليها .

ومرة أخرى في انفصام الجهود وتسرّبها وتقاطعها بين العاملين للعربية .

فأما خصوم العربية فليس من شأن هذا البحث أن يتوقف عندهم .. لأن العمل العربي كله ، في ميادينه كلها ، يجري على موج بحارٍ من الخصومات والمداوات للإسلام والعروبة .

وأما تقاطع جهود العاملين في ميدان العربية وانعدام تكاملها فذلك هو الذي أحب أن أتوقف عنده ، وذلك هو القضية التي يبدو لي أنها تقف على رأس القضايا في معالجة أزمة تعلم اللغة العربية .

فكيف يكون هذا التقاطع في نطاق التعليم وهذا التسرب في نطاق التعلم ؟ وأين مكانها من مسيرة الحركة اللغوية العربية .

المنحرفات الثلاثة في طريق المسيرة اللغوية :

موقفان خطيران في طريق هذه المسيرة يمتصان الجهود المبذولة فيها ، ويغتالانها ويخلّفان عُظْمَ هذه الأزمة التي نشكو منها .

أولهما : داخل المدرسة الابتدائية والثانوية .

والآخر : في المرحلة الجامعية .

ينضم إليهما موقف ثالث ، لا في المدرسة أو الجامعة نفسها ، وإنما فيما حولها .. في هذا المجتمع الذي يحتاط بالمدرسة ويمارس سلطانه القوي عليها ، بما للمجتمع من نفوذ وما عنده من وسائل .

وسأتحدث فيما يلي عن كل من هذه المواقف الثلاثة بشيء من التفصيل :

أولاً : خلال المدرسة الابتدائية والثانوية : قوتان متعارضتان

تخضع الجهود التي تُبذل في تعليم العربية في هذه المرحلة إلى نوع من استراق هذه الجهود أو إجهاضها .. ذلك أن معلم العربية يقف وحده في ميدان عريض لا يحتاج إلى شيء كما يحتاج إلى تكاتف القوى وتضافرها من حوله ، والتعاون معه على احتمال المسؤولية .

وإذا نحن أغضينا الطرف عن كل العلل التي وصفناها بأنها العلل الثواني ، وقدّرنا أن عملية التعليم قد استوت لها كل وسائلها وأن المعلم قد

توفرت له كل القدرات التربوية والمهارات العملية — فإن هذه العملية مكتوبٌ لها حظوظٌ كبيرة من الفشل ، لأنها عملية تصطلح عليها قوتان متنابذتان : قوة البناء وقوة الهدم .

أما البناء فذلك ما يقوم به ـ أو ما يفترض أن يقوم به ـ معلم العربية .

وأما النقض فذلك ما يقوم به معلمو المواد الأخرى ، وما يقوم به أحياناً معلم العربية نفسه ، حين يغادر نطاق اللغة السليمة إلى نطاق استخدام اللهجات المنحرفة .

إن مهمة معلم العربية أن يمكّن عند طلابه لصحة الأداء وسلامته : الأداء الشفوي والأداء التحريري .. تلك غاية جهوده .. ولكن مهمة معلمي المواد الأخرى أضحت وكأنها المهمة النقيض .. إنها لا تُغفل ذلك فحسب ولكنها تبدو وكأنها تتعمد إفسادَ ما قام به معلم العربي ومناقضَته .

وعلى حين كان من المقدر أن تتعاون الجهود في ذلك وأن تتكامل ، وأن يكون أداء المعلمين في المواد الأخرى صورة تطبيقية غير مباشرة الذي يدعو إليه معلم العربية ويحاول غرسه فإن الذي يحدث ، في أغلب الأحوال ، أن ما يسمعه الطالب في المواد الأخرى يقف على الطرف النقيض أو المعاكس الذي يسمعه في دروس العربية والذي أوصي به .

وكذلك يعتمل في الوجود اللغوي عند التلميذ في المدرسة الابتدائية هذان الموقفان المتضادان : موقف البناء وموقف الهدم .. ولك هنا أن تذكر في كثير من الألم الممض الشاعر العربي الذي كان يقول :

متى يبلغِ البنيانُ يوماً تمامَهُ إذا كنتَ تبنيه وغيرك يهدمُ

أو ذلك الشاعر الآخر الذي كان يقول :

أرى ألفَ بانٍ لايقوم لهادمٍ فكيف ببانٍ خلفه ألفُ هادمِ

ما الذي يبقى إذن عند الطالب من جهود مدرس العربية ؟

إنه لا يبقى عنده إلا هذا القدر الذي تفرضه عليه الامتحانات ، أو يقهره عليه النظام ، أو تكرهه عليه سلطة المدرسة أو سلطة البيت .. وهو في ذلك يتعرض لأزمة أخرى ليست أزمة المواقف المتناقضة التي تورثه الحيرة والتردد ، ولكنها أزمة المواقف المفروضة التي تورثه شيئاً من الحقد حيناً وأشياء من الكره في بقية الأحايين .

وما أقسى ما يقود إليه الحقد أو الكره .. إن ذلك لن يقتصر على تخريب عالمه الداخلي ولكنه سيمتـد إلى تخريب عالمه الخارجي بنوع من الثأر .. سيحقد على المادة نفسها ، وسيحقد على المعلم . وقد يقوده هذا الحقد إلى ألوان من السلوك هي التي تعودنا أن نتحدث عنها تحت عنوان: **مكانة مدرس اللغة العربية** .. فمكانة هذا المدرس وهي نتيجة لسلسلة من العوامل – تتأثر ، في بعض ماتتأثر به ، أنها تتكون من خلال هذه المواقف الفكرية والنفسية المشوشة .

وخلال سنوات التدريس الابتدائي كلها يظل الطالب تتقاذفه هذه الجملة المتناقضة من القيم وتقوده إلى جملة متناقضة أخرى وراءهـا من المواقف والسلوك : . هو يحب العربية بنوع من الدوافع الانسانية والقومية وهو يكرهها بنوع من المواقف .. هو يقدر معلم العربية ، أو يجب أن يقدره، وهو محمول على أن يغادر هذا التقدير إلى شيء يبلغ الهزء أحياناً .. هو مكلف بأشياء يتقنها وقواعد يراعيها ثم هو لا يجد من يقيمها أو يراعيها .

فإذا غـادر الطالب مرحلة الدراسة الابتدائية إلى مرحلة الدراسة الثانوية وجدنا أن القيم تزداد تخلخلاً وأن المواقف تزداد تحرجاً وأن السلوك

يزداد تقلقلاً أو انحرافاً .. ذلك أن الطالب الثانوي يواجه هنا أمرين جديدين لا يسيران مع العربية ولا يتكاملان معها .. بل لعل فيهما ما يتناقض معها أشد التناقض .

أولهما : هذه الثقافة العلمية والفكرية التي تتأتى إليه من خلال الدروس في النطاق العلمي أو في النطاق الانساني .

والآخر هذه اللغة الأجنبية التي تُقدَّم له ، وكأنها ، في طرائقها وجوانبها وتدريسها ، تقدم له على صحاف من فضة ، مصاحبةً بالكثير من البريق والتوهج والإغراء .

هاهنا يوشك أن يكتمل التناقض وأن تستوي له أبعاده كلها .. هاهنا يتحقق الانفصام بين العربية وبين المواد الأخرى كلها وبين مدرسي العربية ومدرسي المواد الأخرى .. بل إنه ليتحقق هذا الانفصام الداخلي في كيان الطالب بين لغته التي كان يجب أن تكون هي الأصل في وجوده وبين المواد الأخرى كلها التي تؤلف ثقافته وتثري تفكيره .. إن اللغة العربية تصبح هنا هي العبء الذي يحاول أن يلقيَ به في أقرب مكان يبلغه .

وكذلك تتخلى العربية السليمة ، والعربية مطلقاً أحياناً ، عن أن تكون هي أداة التواصل بينه وبين المعرفة ، وبينه وبين الثقافة ، وبينه وبين الفن .. بينه وبين كل مكونات عقله وعوامل شخصيته .. فإذا هي تنزوي لتكون آخرَ ما يهتم به أو لتكون وراء منطقة اهتمامه .. لايبقى له منها إلا الذكرى أو النادرة ، أو ما يضطره إليه المجتمع من وجوده الخارجي .

هذه الصورة توشك أن تكون الصورةَ السائدة لاينِدُّ عنها إلا القليل أو النادر . وهي تطرح جملةً من الموضوعات التفصيلية أو من العلل الثواني التي تحتاج إلى دراسة ومعالجة .. وليس علاجها بالمستعصي حين يصحُّ منا

العزمُ على أن ننظر إلى قضية اللغة العربية نظرة جادّةً حازمة وحين نؤمن أنها قضية مصير لوجودنا وتراثنا وخصائصنا .

ولست الآن بسبيل من الحديث عن الحلول .. ولكني أحب أن أشير إلى جملة من المبادىء نصدر عنها في معالجة قضية العربية في هذه المرحلة :

أول هذه المبادىء : أن نأخذ بهذا العرف الذي تأخذ به الأمم واللغات الأخرى .. أن نقطع الطريق على هذا الازدواج في لغة المدرسة لأنه من المدرسة – ولعله منها وحدها – يمكن أن يكون البدء في القضاء على هذه الازدواجية في البيئات الأخرى ، وأن تجتمع لغة المعلمين جميعاً على هذه العربية الميَسَّرة البسيطة التي لا جهد كبيراً في إقامتها ولا تكلف مرهقاً في استقامتها .. إنه ليس عصيّاً ولا عسيراً أن نستغني عن مثل التحريف في الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة وأسماء الاستفهام في أية مادة ندرّسها .. وأن نستغني عن بعض الحروف أو الإضافات التي نضيفها إلى الأفعال ، وأن نصحح مخارج بعض الحروف وأن نجتمع عليها . فذلك أهون ما يكون من أمور التربية والتعليم .

إننا يجب أن نصل إلى الحدّ الذي يقول عنه الإنجليز : إن كل مدرس أو معلم في المدرسة هو معلمٌ للغة الانجليزية ، على نحو تطبيقي غير مباشر حين يدرّس مادته .. وإن هناك أولاً ودائماً وقبل كل شيء هذه اللغة المشتركة التي يجب أن نعتمدها في إيصال المعرفة ونقل الأفكار وإشاعة الثقافة وتأصيل القيم ، وبالتالي في بناء مجتمع منسق متوازن .

والمبدأ الثاني في ذلك أن يُعطى المعلمون والمدرسون جميعاً أقدارَهم المماثلة في الجوانب المعنوية أو في الجوانب المادية .. فلا نؤخذ بشيء من التمييز

بينهم إلا في حدود ما يكون من حسن أدائهم لواجبهم - فليس مدرّس العلوم فوق مدرّس اللغة ، وليس مدرس اللغة الأجنبية ، بأوهام نختلقها ، فوق مدرس العربية - ولا نُفْتَتَن بذلك ولا نفتتن به تحت تأثير الحاجة أو القدرة أو الضغوط الاجتماعية الخارجية .. لأن اللغة العربية تظل - أياً كان الخداع أو الانخداع - هي الأداة الأولى في التواصل الفكري والالتقاء الاجتماعي ، في المعارف أو في القيم أو في المشاعر .. ونحن لا نرتكب خطأ هو أدهى من هذا الخطأ حين نغفل عن هذه الحقيقة الأولى .. إننا حينذاك نعرقل بناءنا الفكري ونشوش نظامنا الاجتماعي ، ونطيل الدرب في تجاربَ على غير طائل ، وجهودٍ على غير مردود .

ومن عجبٍ أن يكون للظروف الطارئة أو الضاغطة تأثيرها في في بعض بيئاتنا العربية .. فتقدم لأساتذة بعض المواد العلمية بعض العلاوات ونضيف إلى مدرسي اللغة الأجنبية بعض الزيادات ، ونضع مدرس اللغة العربية أو معلمها في مثل هذه الظروف التي لا يحسها هو فحسب ، وإنما يحسها كذلك طلابه : هو يحسها ألماً وعزوفاً عن الجِدّ ، وطلابه يحسونها ضموراً في المكانة وهبوطاً في الرتبة .

والمبدأ الثالث في ذلك أن نؤمن أن المعلم ، في المدرسة الابتدائية خاصةً ، هو أبرز عناصر التجربة اللغوية وأقوى أدواتها تأثيراً وأعظمها مردوداً وأنه ما لم يتيسّر لهذا المعلم كلُّ الظروف التي تساعده في أداء مهمته على خير وجوهها فإن هذه التجربة معرضة للفشل بقدر ما يكون من فشلنا في إعداد المعلم .

إن الحاجة إلى كفاح الأمية - وهي الحجة وراء كل مظاهر الضعف

والتقصير والتساهل في إعداد المعلم والإسراع في تخريجه — حاجة ملحة .. ولكن ذلك لا يمكن أن يكون على حساب إهمال اللغة العربية والتسامح في إعداد معلمها .. وإذا كان هناك من يحتاج إلى كثير من تجديد الخبرة وتنميتهـا عن طريق وسائل التدريب المختلفة ، فذلك هو معلم المدرسة الابتدائية سواء في ذلك معلم اللغة أو معلم المواد الأخرى .. إن سلسلة من الأعمال التوجيهية والتشجيعية والتدريبية عن طريق الإدارة أو المفتشين، في القراءة والتلخيص والمتابعة كفيلةٌ أن تخلق — أو تساعد — جواً لغوياً متجانساً في المدرسة الابتدائية وأن تقطع الطريق ، في المدرسة على الأقل ، على الازدواج اللغوي أو على كثير من ظواهره التي يصعب القضاء عليها .

ثانياً - في الدراسة الجامعية :

إذا كانت جهودنا اللغوية في المرحلة الابتدائية والثانوية تتعرض إلى ما وصفته بالتسرب والتقاطع وفقدان التكامل ، فإن هذه الجهود تتعرض في المرحلة الجامعية إلى نوع من الاغتيال الذي يذهب بها كلّها .

ففي جامعاتنا كلها — الرسمية والأهلية ، على طول الوطن العربي وعرضه — لا نستثني إلا القطر السوري — تختفي اللغة العربية ، لا أقول في التعليم وحده وإنما أقول كذلك في الاستعمال ، وراء حجاب كثيف من اللغات الأجنبية : الفرنسية أو الانجليزية ، وفي الأقسام العلمية بخاصة من هذه الجامعات .

القضية اللغوية العربية هنا لا تواجه أزمة من الأزمات التي نستطيع أن نتعرف أسبابها وأن نتلمس حلولها ، وإنما تواجه إنكاراً لها وابتعاداً — هل هو مقصود ؟ .. — عنها .. إنها تواجه وضعاً مؤلماً حين تغيب عن ألسنة

الأساتذة وعن الكتاب وعن المراجع .. فلا يبقى منها إلا خطوط باهتة على امتداد أفقٍ عريض .

إن كثرة الجامعات العربية تأخذ بمبدأ تدريس العلوم باللغة الأجنبية.. وهي بذلك تُجهز على ما سلِم من الجهود اللغوية - ولعله قليل - خلال المرحلة السابقة في نفوس الجيل الذي تستقبله ، وتزرع بذور النفرة أو بذور الإهمال في نفوس الجيل الذي يتوجه نحوها .. فالطالب الثانوي الذي يرى أن كل ما يكون من أمر عنايته بالعربية إلى ضياعٍ في الجامعة لابدّ له من أن ينطبع سلوكه اللغوي بكثير من مشاعر الزهادة والانصراف .. يقابل ذلك شعور وضّاء بالإقبال على اللغة الأجنبية .. وما تسوق إليه الزهادة من إهمال وما يسوق إليه الإقبال من تقدير .

إن ذلك يطرح إذن الموضوع الخطير الذي تعاقبت عليه المؤتمرات العربية المختلفة : موضوع لغة التدريس الجامعي .

وهناك ، في الساحة النظرية ، شيء يشبه الإجماع - ما يدري الانسان أحياناً مدى الصدق أو الجدّية فيه - على أنه لا بد أن تأخذ العربية طريقها إلى التدريس الجامعي والعالي .

ولكن الخروج بذلك من القرار النظري إلى التطبيق العملي تداخله كثرةٌ من العقبات والعوائق أكثرها مما يمكن تجاوزه أو التغلب عليه ، على نحو فوريٍّ أو على نحو متدرج .

والذين يرقبون الحركة اللغوية العربية يحسون هذا التنافر بين التقرير النظري وبين التدبير العملي .. بين موقف يقال وموقف ينفّذ ، ويجدون كثيراً من القلق حين تنهال الآراء التي تدعو إلى الأناة ، وتقدّم الحذر ، وتتذرع

بالتبصّر وحسبان العواقب .. وكأن الواقع اللغوي الحالي لا يدعو هو بالذات إلى الحذر منه وإلى حسبان عواقبه والتبصر فيما قاد إليه في المجتمع العربي من مظاهر .. أبرزها تقهقر اللغة العربية ، وانفصام ما بين الدراسات الانسانية والدراسات العلمية ، وتعذر التعاون العلمي العربي نتيجةً لتوزّع العلماء على اللغات الأجنبية المختلفة ، وفقدان اللغة العربية الموحّدة فيما بينهم .

الموقف هنا في نطاق ما لا نملكه هو موقف القرار السياسي الذي يجب أن تتخذه الدول العربية .

ولكنه في نطاق ما نملكه هو موقف المجامع العربية بالذات .. لأنها هي التي تستطيع أن تردعلى كل تهمة وأن تكون أعمالها الايجابية ـ وما أجلّها ـ إسكاتاً لكل صوت حين يأخذ هذا العمل طريقه الذي تفرضه الظروف اللغوية الحاضرة .

إن أكبر الحجج التي يتذرع بها هؤلاء الذين يتمسكون بأن يكون التدريس الجامعي العلمي باللغة الأجنبية هي فقدان معاجم المصطلحات . . والمجامع هي التي تقطع الطريق على هذه الحجج حين تغادر أسلوبها الجزئي إلى أسلوب آخر كليّ ، وحين تتخلى عن العمل في قوائم المصطلحات إلى العمل في معاجم المصطلحات . . وحين تتخلى عن السرعة الهادئة ـ ان استوى الجمع بين السرعة والهدوء ـ التي كانت نتيجة لظروف البدايات إلى تسارع متزن ينهض بهذه الحاجات الملحة ويكافىء هذا التوسع العلمي الكبير (١) .

إن المجامع لا يمكن أن تنسى أن العمل اللغوي وحدة كاملة أو

---

(١) كان من التوفيق الذي كتب لهذه الندوة أن جاء في صدر توصياتها التي أقرتها : « أن تقوم المجامع اللغوية العلمية متعاونة فيما بينها بالإسراع في إخراج المعاجم المتخصصة في مختلف الموضوعات » . وتمثل التوصية منعطفاً جديداً في مسيرة الحركة اللغوية العربية ، وانظر في ذلك مقالاً للكاتب في عدد كانون الأول ١٩٧٨ من مجلة المعرفة الدمشقية ،

متكاملة في حلقاته كلها .. وأنه حين نسمح للحلقة الأخيرة أن تَنِدَّ عن هذا السَّنن اللغوي فإن أثر ذلك لا يتوقف عند أصحاب هذه الحلقة الأخيرة ولكنه يتعداه إلى مَن قبلهم .. وحيث ينقطع العمل اللغوي — وهو دائري — فإن الدارة تخسر قدرتها على أن تكون دارة موصلة .. وتنفرط السلسلة ، ويؤول الأمر إلى ما يشبه الفوضى اللغوية ، ان لم يكن هو الفوضى اللغوية ذاتها .

ثالثاً — في الاطار الاجتماعي حول المدرسة والجامعة : وسائل الإعلام

١ — توافق وتعارض :

قلت إن الجهود اللغوية تتناقض وتتقاطع في المرحلة الابتدائية ، وتُستَرق وتُمتص في المدرسة الثانوية ، وتُغتال في المرحلة الجامعية .

ولكن وراء المدرسة والجامعة يقف المجتمع الآن بمؤسساته الجديدة موقفاً هو أدلّ المواقف على هذا التناقض الذي يلازم المسيرة اللغوية .. لا من داخلها فحسب ، ولكن من حيث هذه الظروف والوسائل التي تحيط بها .. وكأنه هذا التناقض الخارجي الذي يتكامل مع التناقض الداخلي ويتعاون معه على خلخلة الجهود اللغوية وإفسادها .

إن المجتمع يملك ، وهو يحتاط عملنا اللغوي ويطيف به ، سلاحين اثنين:

أحدهما : هذا السلاح القديم وهو اللهجة العامية التي تسوده ، وقد أورثنا ذلك هذه الظاهرةَ الخطرة التي تستلب عملَنا اللغوي : ظاهرة الازدواجية اللغوية .

والآخر : هذا السلاح القديم — الجديد ، وهو وسائل الإعلام التي أضحى يملكها هذا المجتمع ويشهرها هنا وهناك ، على ما تهوى نفوس الذين يسيطرون عليه ويتحكمون به .

ولن يتسع هذا البحث للحديث عن العامية وعن الازدواجية ، على مالها من خطر في دراسة التحديات والمشاكل التي تواجه اللغة العربية ، لأن أمرها لا يعود إلى هذه العقود الأخيرة التي تؤطّر بحثنا ، ولأن معالجتها لن تكون معالجة مباشرة ، وإنما هي هذه المعالجة التي تتأتى عن طريق التعليم .

وكذلك لن نتحدث عن أثر وسائل الإعلام ، إذ سيكون من نافلة القول الكلامُ عن عمق أثرها وعن هذا النفاذ الذي حققته إلى عقول الناس وقلوبهم ، وإلى ألسنتهم ومنطقهم ، وعن هذا السلطان الخفيّ الجليّ الذي تمارسه في كل لحظة ، في الإذاعة المسموعة وفي الإذاعة المرئية ، في الصحيفة والمجلة ، وفيما تحمل هذه الصحف والمجلات والإذاعات من فنون القول وألوان الحديث .

وحسبنا من ذلك أن نتساءل عن مدى ما بين وسائل الإعلام وبين العمل اللغوي من ترابط أو تناقض لنلاحظ أنه على حين كانت الصحافة في الوطن العربي من عوامل نهضته اللغوية ومن ظواهر هذه النهضة في آنٍ فإن وسائل الإعلام الأخرى الجديدة يتأرجح موقفها على نحو يثير التساؤل .. فهي لا شك استطاعت أن تساعد على تضييق الشقة بين العامية والفصحى ، بكل ما يُسمع منها أو يُرى من خلالها - بقدر ما استطاعت أحياناً أن تؤصّل للعامية .. ولكنها من ناحية أخرى ، في كثيرٍ من هذا الذي تقدمه مسموعاً أو مرئياً ، كانت تجانب عمل المدرسة اللغوي وتنال منه .

ذلك أن ما يذاع منها بالعامية يناقض العمل اللغوي المدرسي مناقضة كاملة .. أما ما يكون منها بالفصحى فإنه كثيراً ما تلابسه الأخطاء والانحرافات على نحو يثير عند الطالب الشكوك ، ويخلخل عنده ما تعلمه من صواب الأداء .

ولعل من أشقّ ما تلقى العربية من وسائل الإعلام هذا الذي أخذ

يلجأ إليه بعض المتحدّثين من التزام التسكين — أو الاحتماء به — وإهمال الحركات .. ذلك أمر يسهم في أن يخلق عندنا هذه اللغـةَ الثالثة التي أخذ بعض الدعاة يروج لها وينظر فيها ويحاول أن يضع لها الحدود فيما يشبه الدعوة لها والتأكيد عليها .. إنها لغةٌ ليست بالعامية وليست بالفصحى .. ليست بالعامية التي تملك — أو يملك الطالب — شعوراً حاداً بالارتيـاب فيها والحذر منها ، وليست بالفصحى التي ننشدها أو نتعلمها .. ومثل هذه البلبلة اللغوية خطرٌ جديد نحن جديرون أن نتجنبه قبل أن نقع فيه لأنه يقود إلى مستقبل لغوي معقد ، يتصدع فيه البناء اللغوي الواحد وتأخذ فيه الحركةُ اللغوية — في هذا المزج بين العامية والفصحى وفي هـذا التفاعل المضطرب بين العاميات المختلفة والفصحى الواحدة — وجهاتٍ متباينةً يخشى معها أن نخرج من الازدواج اللغوي إلى التعدد اللغوي أو إلى بدايات انشطار لغوي خطير .

٢ — مقترحات نحو التوافق

هل من سبيل إذن — وهذا هو الواقع — إلى أن يتكامل عمل وسائل الإعلام هـذه مع العمل اللغوي السليم ، وأن تكون عائدتهـا على العربية خيراً لا شرّ فيه ، وسلامةً لا خطأ معها ، وصحة لا غلط فيها ؟ .

ا — من المؤكد أن لأصحاب هذه الوسائل — حين يجانبون الفصحى — منطقهم الخاص .. وأياً كان الشأن في هذا المنطق فنحن لا نملك أن نكره أصحابه إكراهـاً على أن يتجاوزوا غايتهم الأساسية : الإعلامَ ، من أيسر طرقه إلى أن يكونوا معلمين للعربية ، ولا أن يهملوا كتلتهم الكبرى من الجماهير ليتحدثوا إلى الخاصة فحسب .. ولكن الذي نملكه هو أن نتعاون في كل لحظة من لحظات الاذاعة وفي كل برنامج من برامجها على أن نكون

أوفياء — ما وسع الجهد — للعربية السليمة السهلة التي نريد أن تشيع على الألسنة وأن يُمكَّن لها من الأسماع .. إن أي حديث إذاعي أو نشرة للأخبار أو تعليق ، يمكن أن تراعى فيها العربية السليمة ولو كانت موجهة إلى الجماهير .. فليس السبيل بين العربية السليمة وبين العاميات الشائعة منقطعاً ، وليس البون كبيراً .. وإنما هو الجهد اليسير نبـذله في صقل الأداء العامي — في النطق والتراكيب — ليتحول إلى أداء سليم ، أو إلى أداء هو أقرب إلى السلامة .

ولو أن وسائل الاعلام تواصت فيما بينها بذلك ، وأعـدت له خطة يراعى فيها التدرج في هذا الانتقال من العامية ومغادرتها لفظاً بعد لفظ وتركيباً بعد تركيب لاستطاعت أن تقدم إلى الحركه اللغويـة من العون ومن التقويم ما لا تقوى عليه — في مثل شيوعه وامتداده — كثرةٌ من المؤسسات الاجتماعية الأخرى .

إنها تكون ، حينذاك ، عاملَ وحدة في الميدان اللغوي بـدل أن تكون عاملَ تفريق .. وتكون جهداً متكاملًا بدلاً من أن تكون جهداً متدابراً . وإنها كذلك لتقطع الطريق على هذه اللغة الثالثة التي أشرت إلى نموّها وخطرها .

ب — وهذا كله حين نتحدث عن وسائل الاعـلام وهي تستخدم العامية .. ولكننا حين نتحدث عن وسائل الإعلام وهي تستخدم الفصحى فإن الأمر هنا لا يحتاج إلى كثير من الأناة يصطنعها المتحدثون والمذيعون في ضبط ما يقولون .. فليس عسيراً بحـالٍ أن نتجنب التسكين ، وأن نراعي قواعد الاعراب .. وليس عسيراً بحالٍ أن نلتزم النطقَ الصحيح للألفاظ ..

منطلقين من أن قواعد اللغة نظام فكري ، مراعاته هي الـتي تضمن التواصلَ السليم بين الذين يتحدثون والذين يتلقَّون هذا الحديث ، فلا تفسد عليهم الأخطاءُ حسنَ التلقي ويُسْرَ الفهم .

وحين تحرص وسائل الإعلام على أن تواكب المسيرة اللغوية ، تساندها ولا تعارضها ، فإن من الممكن الأخذ بمثل هذه التدابير التالية :

١ ـ اعتبار سلامة اللغة أصلاً من أصول العمل الاذاعي والتقدم فيه.

٢ ـ إقامة دورة تدريبية للمذيعين توصِّل عندهم معلوماتهم اللغوية ـ في حدود حاجتهم ـ وتمكِّن لهم من معرفتها واستخدامها .

٣ - مراقبة الأحاديث المذاعة وتصحيحها عن طريق مراقب لغوي .

٤ ـ الإنابة عن المحاضرين الذين لا يحسنون الأداء السليم .

٥ ـ صقل بعض الأغاني العامية ، ما أمكن ذلك .

٦ ـ التدرج في تغليب السلامة اللغوية على النصوص الفنية : التمثيليات والمسرحيات والمسلسلات ـ وفاق برنامج مشترك تتبناه وسائل الاعـلام في كل قطر عربي بالقدر الذي تساعد عليه ظروفها اللغوية الخاصة .

٧ ـ أن يكون في رئاسة تحرير الصحف والمجلات ودور النشر العامة رقيبٌ لغوي يكفل سلامة الأداء .

ولعلي أستجيز لنفسي أن أقترح هنـا على الندوة أن تولي موضوعَ « اللغة العربية ووسائل الاعلام » اهتماماً خاصاً .. كأنْ تفرده باجتماع خاص تمهد له ببعض الدراسات الأولية ثم تصل ما بينها وبين اتحـاد الاذاعات العربية في حوار يتناول القضية كلها : عرضاً ومعالجةً وتدابير .

* * *

خـــاتمة :

وبعد ، فقد قصدت إلى أن أرقب الحركة اللغوية لأتبين أين تستقيم سيرتها وأين تنحرف ، مزاوجاً بين الظاهرة وبين الطيّب لها . تمهيداً للخروج من سلبية الشكوى الى إيجابية العمل .

وكنت أنطلق في ذلك كله من هذا الذي نعانيه فيما حولنا في رقعتنا الضيقة ، وأغلب الظن أن هذا الذي نرضى عنه أو نشكو منه هنا هو هو ، تقريباً ، في وطننا العربي كله . وإذا صدق مني الظن وإخاله صادقاً ـ فما أحرى أن تتعاون الجهود العربية في ميدانٍ هو معتصمها .. إنه خطّ دفاعها الأخير قبل أن تتبلبل بها ألسنتها ، بعد أن أوشك أن يتبلبل فيها كل شيء .

إن عمل اتحاد المجامع في ذلك هو العمل الأساسي الأصيل الذي لابدّ منه ، والذي لابدّ له إن شاء الله ـ وقد صدقت النيات واجتمعت الجهود ـ من أن يعطي أطيب الثمار .

دمشق « ص.ب ١٩ » **شكري فيصل**

وقفة

مع

ديوان بشار بن برد

- ٤ (*) -

الدكتور شاكر الفحام

الجزء الثالث من الديوان :

١٠٣ - يقول الشارح (٣ : ٢) في التعليق على قصيدة بشار التي مطلعها :

ألا قل لعبدة إن جئتها وقد يبلغ الأقرب الباعدا

« والظاهر أن هذه الأبيات بقية من قصيدة تلاشت ، فلم يظفر جامع شعر بشار إلا بهذه الأبيات » . والحق أن جامع الديوان أعاد القصيدة كاملة (٣ : ١٤٧ - ١٥١) .

(*) نشر القسمان الأول والثاني من هذا المقال في الجزأين السابقين (مج ٥٣ ج ٢ ، ٣ ، ص ٣٤٠ ، ٥٧٢)

١٠٤ - يقول الشارح (٣ : ٢) في التعليق على قصيدة بشار التي ذكرتها آنفاً : « والأبيات من بحر المتقارب ، عروضها محذوفة .... وضربها كذلك ، وهذا جائز في بحر المتقارب ، سواء كان في جميع أبيات القصيدة أم كان في بعض أبياتها » . ويقول أيضاً (٣ : ١٤٧) في التعليق على القصيدة نفسها : « والقصيدة من بحر المتقارب ، عروضها وضربها محذوفان ، والعروض المحذوفة في المتقارب غير مشهورة ، وإنما يكون الضرب محذوفاً . ولكن بشاراً يكثر من تسوية عروض القصائد من المتقارب بضربها المحذوف » . وفي هذا الكلام تسمح لابد من التوقف عنده . ذكر العروضيون أن المتقارب التام عروضه صحيحة (فعولن) ولها أربعة أضرب : (فعولن) ، (فعولْ) ، (فَعَلْ) ، (فَعْ) . وإذا بنى الشاعر قصيدته على أحد هذه الأضرب الأربعة وجب أن يلتزمه في جميع أبيات القصيدة التزاماً واجباً ، أما العروض فيجوز فيها دخول الحذف فتصبح : (فعو = فَعَلْ) ، وهذه العلة في عروض المتقارب تجري مجرى الزحاف ، فتوجد العروض محذوفة في بيت ، وصحيحة (أي لم تلحقها علة) في بيت آخر ، ويجوز أن يدخل العروض الصحيحة القبض فتصبح (فعولُ) (حاشية الدمنهوري : ٦٦ — ٦٧) . وهذا ما وقع في قصيدة بشار ، فقد جاءت العروض صحيحة حيناً ، ومحذوفة حيناً آخر ، أما الضرب فقد التزم الشاعر فيه الحذف التزاماً مطلقاً ، إذ لا يجوز له غيره . وإذ فات الشارح التنبه إلى هذه الخاصة في عروض المتقارب فقد وقع شيء من الخلل في تجزئة بعض أبيات القصيدة .

١٠٥ - وقال بشار في رواية الديوان (٣ : ٣)

وطارف حب أصاب الفؤا د ، وجدت تباريحه زائدا

إذا نقص النأيُ حبَّ امرىء وجدت تباريحــه زائدا

وعلق الشارح على البيت الأول بقوله : « والمصراعُ الثاني وضعه هنا سهو من ناسخ الديوان ، لأنه بزيادة الدال لا يبقى موزونا ، والصواب لفظاً ومعنى أنه مصراع ثان للبيت بعده ، كما هو مذكور فيه » . وفي كلام الشارح أمران :

أولهما : أن المصراع الثاني بزيادة الدال من الفؤاد لا يبقى موزونا . وهذا صحيح ، ولكن الدال هي تتمة المصراع الأول ، إذ أن عروض المتقارب تجيء مرة صحيحة ، ومرة محذوفة ، وهنا جاءت صحيحة ، مقبوضة : (فعولُ) ، فكان لا بد من رد الدال إلى المصراع الأول .

الثاني : أن المصراع المذكور ورد سهواً من الناسخ ، وهو يلائم معنى البيت الذي يليه . وهذا صحيح أيضاً ، وكان المصراع الملائم للمصراع الأول على طرف الثمام من الشارح . وصحة رواية البيت كما جاء في الديوان (٣ : ١٤٧) :

لطارف حبٌ أصاب الفؤادَ وقد يمنــع الطارفُ التالدا

١٠٦ — قال بشار (٣ : ٤) قصيدته التي مطلعها :

غُيِّبَ جيرانهُ بذي حَنَدِ عن ليل من لم ينم ولم يكدِ

فعلق الشارح على القصيدة بقوله : « والقصيدة من بحر المجتث ، وقد استعمله تاماً على وجه الشذوذ ... » . والحق أن القصيدة من المنسرح عروضه مطوية (مفتعلن) ، وضربه مطوي (مفتعلن) (حاشية الدمنهوري : ٦٠ - ٦١) .

١٠٧ — قال بشار (٣ : ٥) :

يا أيها المكتوي على ظعن ‌ ‌ ‌ ‌ باتوا ، وما سلّموا على أحد

روي « باتوا » بالتاء المثناة الفوقية ، والصواب : « بانوا » بالنون . وهو يذكّر بالتصحيف القديم الشهير : « باتت وبات قرينها » في القصة التي رواها منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي (انظر معجم الأدباء ١٩ : ١٨٣) .

١٠٨ — قال بشار (٣ : ٥) :

كانت محل الخليط فاقلبت ‌ ‌ ‌ ‌ وحشاً من المنشدين والخُرُدِ

وعلق الشارح : « الخُرد » بضمتين ، أراد به جمع خريدة . . . ويجمع على خُرْد ، فضمُّ الراء اتباع لضمة الخاء للضرورة » . والحق أن لا ضرورة ، قال في التاج : « الخريد ، والخريدة بهاء ، والخرود كصبور . من النساء : البكر التي لم تمسس قط ، أو الخفرة الحيية ، الطويلة السكوت الخافضة الصوت ، المتسترة ، قد جاوزت الإعصار ولم تعنس ، الجمع خرائد ، وخُرُد بضمتين ، وخُرَّد بضم فتشديد ، الأخيرة نادرة ، لأن فعيلة لا تجمع على فُعّل » .

١٠٩ — الأبيات السبعة : ٣١ — ٣٧ (٣ : ٧) الواردة في القصيدة التي مطلعها :

غيب جيرانه بــذي همد ‌ ‌ ‌ ‌ عن ليل من لم ينم ولم يكد

هي هي الأبيات التي وردت في القصيدة التي مطلعها (٢ : ١٨٤) :

راحت سليمى تدعوك بالعند ‌ ‌ ‌ ‌ وبالمني في غد وبعد غدِ

١١٠ – قال بشار (٣ : ١٠) :

إذا قربت شطت ، وتدنو إذا دنت تعول بريعان الشباب على الصمد

ولعل صحة الشطر الأول : « إذا قربت شطت ، وتدنو إذا نأت » ليتم التناسق ويزول الاختلال في المعنى . وهو يشبه قوله (٣ : ٥١) :

إذا ما باعدت قربت رأيي وإن قربت فشيمتها البعادُ

١١١ قال بشار يترضى محبوبته ريمة التي باعدته لدس حاسدة تسعى في التفريق بينهما (٣ : ١١) :

لعنةُ الله على جـــاريةٍ صرفت قلبـك عني حسدا

. . . .

إن إعراضك من تبليغنـــا أسخط القلب ، وأوهى الكبدا

ضبط « قلبك » بفتح الكاف ، والصواب كسرها ، لأنها ضمير ريمة ، محبوبته . وضبط « تبليغنا » ، والصواب : « تبليغهـا » ، لأن الضمير يعود على الجارية التي وشت به ، وبلّغت ريمة أقوالاً كاذبة « تبليغ من يسدي الحديث وينسجُ » ، حتى أعرضت عنه . فالشاعر في بيتيه يتنصل إلى محبوبته مما نقلته الحاسدة الواشية .

١١٢ – وقال بشار يخاطب امرأة عرضت له دون محبوبته ريمة ، وراحت تتصدى له تحاول أن تتصباه لتصرفه عن هواه ، فعافها نفسه ، وتأذى بها (٣ : ١٣) :

يجتوي وصلـك قلبي غاديا وثراك العينُ فيهـا رمـدا

ضبط « يحتوي » بالحاء المهملة ، وفسر الشارح معنى البيت تفسيراً غريباً

فقال : « أي أتمنى وصلك ، وتشتاقك العين » . وإنما دفعه إلى مثل هذه المضايق أنه لم يتبين مراد الشاعر الذي يؤكد تعلقه بمحبوبته ، ويصرف وجهه عن كل ما سواها . والحق أن كلمة « يحتوي » مصحفة ، وصحتها : « يجتوي » بالجيم . قال في اللسان : « اجتواه : كرهه » . فالشاعر يصد هذه المرأة التي تعرضت له ، ويبين لها أنها بغيضة إلى قلبه ، وقذاة في عينه ، وأنه لا يروقه في الحياة غير وجه محبوبته .

١١٣ – يقول بشار يتغنى بمحاسن محبوبته عبدة (٣: ١٥) :

من الخفرات لم تطلع بفحش على جار ، ولا بكرت ترودُ

فقال الشارح في تفسيره : « ترود : تلتمس الكلأ المرعى ، يريد أنها لا تخدم ، لأن الخدم يبكرن الهبوب من النوم ، وكأنه أراد من الرود هنا مطلق التماس الحاجة » ، ويبدو لي أن بشاراً يريد معنى آخر من معاني « الرود » ، قال صاحب اللسان : « وامرأة رادٌ ورَوادٌ .. طوافة في بيوت جاراتها ، وقد رادت ترود .. فهي رادة : إذا أكثرت الاختلاف إلى بيوت جاراتها » . وجاء في الأساس : « وامرأة رادة ، وقد رادت ترود : اختلفت إلى بيوت جاراتها » ، وهذا المعنى أراده جرير بقوله : (د : ١٦٠) :

حَصانٌ لا المريب لها خدينٌ ولا تفشي الحديث ولا ترودُ

١١٤ – وقال بشار يخاطب صاحبه الوليد الذي لامه على هواه (٣ : ١٦) :

فمهلًا ، لا أباك ، بعض لومي ضججت من الهوى وأنا العميدُ

ضبطت كاف « لا أبالك » بالكسر ، ولعلها من خطأ المطبعة ، والصواب فتحها ، لأن الشاعر يخاطب صاحبه الوليد .

١١٥ - وقال بشار في هجاء ابن قزعة (٣ : ١٨) :

كسوتك حلة مما أسدّي بروداً لا يفارقهـــا برودُ

وكلمة « لا يفارقها » لا تلائم معنى البيت ، ولعل الصواب : « لا تقاربها » ، بالتاء المثناة الفوقية ، والقاف .

١١٦ - وقال بشار (٣ : ٢١) :

ليت شعري أكلهن بخيلٌ مثل ما قد يكون أم هن جودُ

والبيت قلق ، والصواب فيما بدا لي : « مثل ما قد بلوت » ، أو « مثل من قد بلوت » بالباء الموحدة واللام . ومعنى بلوت : امتحنت واختبرت. ثم قال الشارح في التعليق على « جود » انها مصدر وقع خبراً عن قوله « هن » . ولعل الصواب ان جوداً جمع جواد ، قال في اللسان : « جاد الرجلُ ... فهو جواد ، وقوم جُود ... وكذلك امرأة جواد ونسوة جُود ، مثل نوار ونُور » .

١١٧ - وقال يتحدث عن قلبه (٣ : ٢٣) :

أقول لمثبت وبـه حَرَاكٌ يهمّ ولا يسمّـح بانقيـــاد

ضبط « يسمح » بفتح الميم ، والصواب كسرها . جاء في اللسان : « سمّح البعيرُ بعد صعوبته : إذا ذلّ » .

١١٨ - قال بشار قصيدته التي مطلعها (٣ : ٢٩) :

ألم يأنِ أن تسلى مودة مهددا فتخلف حلماء أو تصيب فترقدا

وعلق الشارح مبيناً بحر القصيدة فقال : « وهي من بحر الطويل ،عروضها وضربها محذوفان » ، والصواب أن يقال : « عروضها وضربها مقبوضان » (الحذف : هو ذهاب سبب خفيف ، والقبض : حذف الخامس الساكن) .

١٢٩ — وقال بشار يصف ما يعاني من آثار الهجر (٣: ٣٢) :

فآلى على الهجر الرقادُ ، ولم تزل نجياً لضيفان الهموم مسهّدا

. . . .

وكنت إذا ضاقت همومي قريتها الأراجيَّ ، حتى أورد الهم موردا

وكلمة « فآلى » في مطلع البيت الأول محرفة ، لعل صحتها « نآكَ » بالنون في أولها ، والكاف في آخرها ، فالشاعر يصف ما يلقاه من متاعب وأشجان لبعد حبيبته ، وكان يمكن أن تكون الكلمة « نآني » لولا فعل الخطاب التالي : « ولم تزل نجياً لضيفان الهموم » . وكلمة « ضاقت » بالقاف ، في البيت التالي ، مصحفة ، صحتها : ضافت ، بالفاء . قال في اللسان : « ضافه الهمُّ : نزل به . قال الراعي :

أخليد إن أباك ضاف وسادَه همّان باتا جنبة ودخيلا »

وقال أبو خراش (ديوان الهذليين ٢ : ١٥) :

أرقتُ لهمٍّ ضافني بعد هجعةٍ على خالدٍ ، فالعينُ دائمةُ السجم

وقال القتّال الكلابي (شرح المرزوقي على الحماسة ٣ : ٦٥٢) :

قرى الهمَّ إذ ضاف ، الزماعَ فأصبحت منازلُه تعتسُّ فيها الثعالبُ

وقال ذو الرمة (أساس البلاغة ركب) :

وكنتُ إذا ما الهمُّ ضاف قريته مواكبة ينضو الرعانَ ذميلُها (١)

١٢٠ – قال بشار يصف ناقته (٣ : ٣٤) :

مواشلة مثل الفريـــدة عبّدت بشرقيّ وعساء السمينـة مرقدا

وأطال الشارح في تفسير « مواشلة » باللام ، على غير طائل . والصواب : « مواشكة » بالكاف ، قال في اللسان : « ناقة مواشكة : سريعة .. فرس مواشك ، والأنثى مواشكة ... قال عبد الله بن عنمة يرثي بسطام ابن قيس :

حقيبـة سرجه بدنٌ ودرعٌ وتحمله مواشكةٌ دؤولُ (٢) »

وقال جرير (د : ١٤٨) :

وكم كافن دونـك من سهوبٍ تكل به المواشكـةُ الوَخُودُ

١٢١ – قال بشار يمدح محمد بن السفاح (٣:٣٦) :

به تطحر الأقذاء عن سرياتنـا ونلقى إذا نأبى الجنـان تغرّدا

وفسّر الشارح : « السريات » بالسين المهملة والياء المثناة التحتيـة ، بأنها المعاقل ، لأن السراة أعلى الجبل . وينقض على الشارح ما ذهب إليه ، أن السـراة تجمع على سروات . والبيت كما ورد كثير التحريف حتى ما تبين معالمه . وقد بدت لي قراءة أعرضها :

(١) قال في لسان العرب (مادة جرد) : « ولذلك قيل : نضا الفرسُ الخيلَ : إذا تقدمها ، كأنه ألقاها عن نفسه ، كما ينضو الإنسانُ ثوبه عنه » .

(٢) البيت من قصيدة لامية لعبد الله بن عنمة الضبي . انظـر القصيدة وتخريجها في الأصمعيات : ٢٧ – ٢٩ ، وقد صحفت كلمة « دؤول » في اللسان إلى « دؤوك » بالكاف .

به تطحر الأقـذاء عن مشرباتنا ويلقى إذا هـاب الجبان فعرّدا

قال في اللسان : « المشربة ، بفتح الراء : الموضع الذي يُشرب منه كالمشرعة . وعرّد الرجلُ عن قِرْنه : إذا أحجم ونكل . والتعريد : الفرار » وجاءت كلمة « عرد » في بيت بشار في القصيدة نفسها . قال (٣: ٤٠) :

مقيم يذبّ المشركين بسيفه حفاظاً ، وقد ولّى الخميسُ وعرّدا

١٢٢ – قال بشار في مديح محمد بن السفاح يذكر أباه وعمه (٣ : ٣٧) :

هما جرّبا قبل الجياد وقلّدا فأيهما أشبهت كنت المقلّدا

ضبطت « جربا » بالباء الموحدة من التجريب ، والصواب : « جَرَيا » بالياء التحتية ،من الجري ، فالشاعر يشبه السفاح والمنصور بجوادين سابقين جريا فسبقا . وضبط « المقلدا » بكسر اللام المشددة ، وفسّر تفسيراً خاطئاً . والصواب فتح اللام المشددة . قال في اللسان : « المقلّد من الخيل : السابق ، يُقلّد شيئاً ليعرف أنه سبق .. ولا يقلد من الخيل إلا سابق كريم » . وتشبيه الرجل الكريم بالسابق من الخيل تشبيه درج عليه الشعراء منذ الجاهلية ، قال جرير (د: ١٧٤) :

ولقد جريت فجئت أول سابق عند المواطن مبدئاً ومعيدا

وقال (د: ٢١٩) :

ولقد جريت فما أمامك سابقٌ وعلى الجوالب كَبوةٌ وغبارُ

وقال بشار في مديح المهدي (١ : ٢٧٨) :

جرى اللهاميمُ على إثره جري البراذينِ خلاف العرابْ

وقال في مديح الربيع (٣ : ٤٧) :

سبق الربيع بفضله أيام مكة ، كل قائدْ

خلّى الجياد خلافه ومضى بآبدة الأوابدْ

وهكذا يتسق المعنى الذي أراده بشار ، من مشابهة الممدوح لأبيه السفاح وعمه المنصور ، فهما سابقان ، وهو مثلهما ، سابقٌ لا يتخلف .

١٢٣ — وقال في مديح محمد بن السفاح (٣ : ٣٧) :

تخولت مخزوماً ، وفزت بهاشم فأصبحت من فرعي قريش مرددا

وأنت ابن من رادى أمية بالقنا جهاراً ، وبالبصري ضرباً مؤيدا

وكلمة « من » في البيت الأول محرفة ، صحتها : « في » . وضبطت كلمة « البصري » في البيت الثاني ، بفتح الباء الموحدة ، وأطال الشارح في تفسيرها ، ولم يهتد إلى وجه الصواب فيها . وصحتها : « البُصريّ » بضم الباء . قال في اللسان : « بُصرى ، قرية بالشام ... وتنسب إليها السيوف البصرية . قال [أوس بن حجر] :

يعلون بالقلع البصري هامهم [ويخرج الفسو من تحت الدقارير]

والنسب إليها [أي إلى مدينة بُصرى] بُصريّ » . وقال ساعدة بن جؤية الهذلي (ديوان الهذليين ١ : ٢٠٤) :

كأنما يقع البصريّ بينهمُ من الطوائف والأعناقِ بالوذم

البُصريُّ : سيف من سيوف بصرى . وقال أبو جندب الهذلي (ديوان الهذليين ٣ : ٨٧) :

أما أسلْ الصـــارم البُصريا

قال أبو سعيد السكري : و«بُصريّ» ، بضم الباء : سيفٌ عمل ببصرى الشام.

١٢٤ — وقال يذكر الخلفاء العباسيين (٣: ٣٩) :

أرى الناس ما كنتم ملوكاً بأمنةٍ ولو فقدوكم خالف القائمُ اليـدا

ضبط « خالف » بالخاء المعجمة ، ولا يلتئم معناه مع الشطر الأول ، والصواب « حالف » بالحاء المهملة ، إشارة إلى اضطراب الأمر ،ونشوب الفتن ، إذا نزل العباسيون عن الملك ، حتى إن مقبض السيف لايفارق يد صاحبه ، لأنه غير آمن على نفسه .

١٢٥ — وقال في مديح محمد بن السفاح (٣ : ٤٣) :

إذا آذنتـه الحرب آذن نومه بحرب إلى أن يقعد الحرب مقعدا

ضبط « نومه » مرفوعاً على أنه فاعل آذن ، وتكلف الشارح تفسيره . والصواب النصب ، على أنه مفعول لآذن . قال في اللسـان : « آذنه الأمر ، وآذنه به : أعلمـه . وقد قرىء : (فآذنوا بحـربٍ من الله ورسوله) [سورة البقرة ، آ : ٢٧٩] ، أي أعلموا كل من لم يترك الربا بأنه حرب من الله ورسوله » . فالأمير محمد إذا شبت الحرب شمّر لها وتهيأ ، ومنع عينيه الكرى ، تيقظاً ، وشدة شكيمـة . وقد أكثر الشعراء من طرق هذا المعنى ، يصفون به يقظة الممدوح وحذره ، وتجرده للحرب . وفي مثله يقول أبو تمام :

لبيت صوتاً زبطريـاً هرقت له كأس الكرى ، ورضاب الخُرّد العُرُبِ

وقريب من هذا الباب قول بشار :

إذا أيقظتك حروب العـدا فنبّه لهـا عمـرا ثم نمْ

١٢٦ – وقال في النسيب بريئة (٣ : ٥٠) :

بريئـة خالفت عيني سـهوداً وبئس خليفـة النوم السهـادُ

ورد « خالفت » بخاء معجمة ، وصوابها : « حالفت » بحاء مهملة . ووردت : « سهوداً » في الشطر الأول ، ولم تذكرها كتب اللغة ، فلعل الصواب: «سهاداً».

١٢٧ – وقال (٣ : ٥١) :

ويوم في ذرى جشم بن بكـر نعمتُ به ، وندمـاني زيادُ

ضبطت « ذرى » بضم الذال المعجمة ، ولا تلائم معنى البيت ، والصواب « ذَرا » بالفتح ، قال في اللسان : « الذَّرا : الكِنُّ ... ويقال : فلانٌ في ذَرا فلانٍ : أي في ظله ... قال الأصمعي : الذرا ، بالفتح : كل ما استترت به . يقال : أنا في ظل فلان وفي ذَراه : أي في كنفه وستره ودفئه » . وقال في الأساس : « وأنا في ذرا فلان وفي أذرائه » واستذريتُ به وتذريت . وإنه لكريم الذرا ، منيـع الذُرا » . وقال الشارح في التعليق على « جشم بن بكـر » : « حي عظـيم من أحياء العرب . وهم من بكر بن وائل ، منهم كليب المشهور » ولتصحيح هذا التعليق يجب أن يقـال : « وهم من تغلب بن وائل [أخوة بكر بن وائل] ، منهم كليب المشهور » . وإن كنا لا نقطع بأن هذا الحي من أحياء العرب هو المراد بقول بشار .

١٢٨ – وقال في مديـح روح بن حاتم (٣ : ٥٣) :

قريع بني المهلب حين يغدو   به يبكي العدا وبه يجاد

ورد « يبكي » بياء المضارعة التحتية ، بعدها باء موحدة ، ومساق الكلام لا يجعل للبكاء معنى في البيت ، وإنما هو تصحيف صحته : « به ننكي العدا ، وبه نجاد » أو : « به يُنكى العدا وبه يُجاد » . قال في اللسان : « نكى العدوّ نكاية : أصاب منه ..... ونكيتُ في العدوّ .... إذا كثّرتَ فيهم الجراح والقتل فوهنوا لذلك .... » ومن شواهد النحاة المشهورة قوله : (كتاب سيبويه ١ : ٩٩ ، خزانة الأدب ٣ : ٤٣٩) :

ضعيف النكاية أعداءه   يخال الفرارَ يراخي الأجلْ

وهذا المعنى أكثر منه بشار في صفة ممدوحيه ، كقوله (١ : ١٤٩) :

إلى فتى تسقى يداه الندى   حينا ، وأحيانا دم المذنب

ووقع الشارح في التصحيف نفسه حين أورد قول بشار يفخر بنفسه ويهجو حماد عجرد (٣ : ٢٩٦) :

أبكي العدا ، وأجود أهل مودتي   والعلج لا قمرٌ ولا ساهور

فقد تبين لك أن بشاراً لا يبكي أعداءه ، بل ينكيهم (بالنون ، لا بالباء الموحدة) . وهذا الفعل كثير الدوران في شعر بشار . قال في مديح المهدي (١ : ٢٧٨) :

لا يحسنُ الفحش وينكي العدا   ويعتريه الجودُ من كل بابْ

وقال في مديح روح بن حاتم (١ : ٣٤٦) :

وما ولدوا إلا أغرَّ متوجا   له راحةٌ تنكي وأخرى تحلّبُ

وقال يذكر صاحباً له (٢ : ٦٣) :

لا يعبد المال وينكي العدا   بالخيـــل لاوانٍ ولا لاثُ

وقال في مديح روح بن حاتم (٢ : ٢٥٦) .

فانكِ العدا ، ورد الردى   وابذلْ ، فما شيءٌ بخالدْ

وقال في هجاء أبي هشام الباهلي (٢ : ٣٢٢) :

وحسبتني كأبيك لا ينكي العدا   فاصبرْ لحسبتك التي لا تحمدُ

١٢٩ – وقال في وصف قصيدة له (٣ : ٥٣) :

وجاريةٍ من الغرّ العوالي   تزفُّ الى الملوك ولا تقاد

ورد « العوالي » بالعين المهملة ، والصواب : « الغوالي » بالغين المعجمة .

١٣٠ – وقال بشار من قصيدة يتمدح فيها بالجود ، ويذكر أن المال ظل زائل لا يجني الشحيح عليه إلا التعب والخيبة (٣ : ٥٨ – ٥٩) :

وما المال إلا مثلُ ظل سحابة   غدت طبقاً ثم انجلت قطعا بردا

فقل للذي يُبقي لمن ليس باقيا   تصيبُ،ولم تُعقب نجاحاً ولا رشدا

وردت « تُصيبُ » بمثناة فوقية وصاد وياء مثناة تحتية . ولا يظهر لها معنى ، ويبدو لي أن صحتها : « نصبتَ » بالنون ، والصاد المهملة ، يليها باء موحدة . قال في اللسان : « النَّصَبُ : الإعياء من العناء ، والفعل نصِبَ الرجلُ ، بالكسر ، نَصَباً : أعيا وتعب » . فكأن بشاراً ينعى على الغنيْ الشحيح يترك لوارثه الفاني المال الكثير ، أنه تعب وشقي في غير خير ، وقضى حياته « دائب الرحلة في غير غناء » .

١٣١ – وقال في وصف حاله مع عبدة (٣ : ٦٢) :

قد شاب رأسك في تذكرها وهفا الفراقُ ورقَّت الكبدُ

والفراق في البيت لا معنى له ، والصواب : « هفا الفؤاد » . قال في اللسان والقاموس : هفا الفؤاد : ذهب في أثر الشيء ، وطرب .

١٣٢ – وقال يصف حاله (٣ : ٦٥) :

سلبت فؤادك يوم رحت وغادرت جســـدا أجاوره بغير فؤادِ

روي « فؤادك » بكاف الخطاب ، وجعله الشارح من الالتفات ، وأسلوب الشاعر في القصيدة وفي البيت يمنع من ذلك . والحق أنه تحريف ، صحته : « سلبت فؤادي » بالاضافة إلى ياء المتكلم .

١٣٣ – قال بشار (٣ : ٦٥) :

أذكرتْ نفسي عشية الأحـد من زائر صـادني ولم يُصَدِ

وذكر الشارح في تعليقه أن القصيدة من بحر السريع ، وعروضها وضربها كلاهما مخبول مكشوف ، وفيها زحاف الطي . والصواب أنهـا من بحر المنسرح ، عروضها مطوية وضربها كذلك (انظر ما سبق رقم ١٠٦) .

١٣٤ – قال بشار (٣ : ٦٨) :

فصرت بعد اجتهاد في مودتها وهل يلام على التقصير من جهدا

روى « فصرت » بالفاء العاطفة ، دخلت على الفعل صار ، وخلا البيت من خبر صار ، واختلَّ معناه . والصواب : « قصّرت » بالقاف والصاد ، من التقصير . وبذلك يتم المعنى ، وينعطف مضمون الاستفهام في الشطر الثاني على ما ورد في الشطر الأول .

١٣٥ – وقال بشار في الغزل (٣ : ٦٩) :

ترآءت لنا في السابريّ وفي الحنا ثقيلة دعص الردف،مهضومة الكبد

ضبط الشارح : « الحنا » بالحاء المهملة ، ولم يجد له معنى يلائم البيت ، فجعله جمع حنوة ، دون أن يكون له سند من اللغة . وقال بشار : (٣ : ١٩٥) :

دعا لنا الحور ، عليها الحيا يا حبذا الحورُ المعاطيرُ

وضبط « الحيا » بالحاء المهملة والياء المثناة . وقال بشار (٣ : ٣٠٣) :

وعروس يترب في المجاسد والحبا أيام فضل جمالها مذكور

وضبط « الحبا » بالحاء المهملة والباء الموحدة . ويبدو لي أن الألفاظ الثلاثة في الأبيات الثلاثة مصحفة ، صحتها جميعاً : « الجنى » بالجيم المفتوحة والنون. قال في اللسان : « الجنَى : الودع ، كأنه جُني من البحر . والجنى : الذهب » . وقد روي اللفظ صحيحاً في قول بشار (٢ : ٩٢) :

لحشابة السلوان والعطر والجنى ولي حرق تحت الحشا تتوهج

١٣٦ – وقال بشار يتحدث عن آثار الديار (٣ : ٧٠ – ٧١) :

أشاقك مغنى منزلٍ متأبّد وفحوى حديث الباكر المتعهّدِ

وشام بحوضى ما يريم كأنه حقائق وشم ، أو وشوم على يد

ضبطت « وشام » في مطلع البيت الثاني ، بكسر الواو ، جمع وشم . والوشمُ ، كما في اللسان ، الشيءُ تراه من النبات في أول ما ينبت . وهو لا يلائم معنى البيت ، لأن الشاعر يتحدث عن آثار الديار ، والصحيح أن الكلمة « شام » مسبوقة بواو العطف ، والشام جمع شامة ، وهي الأثر الأسود من البدن وفي الأرض . قال ذو الرمة :

وإن لم تكوني غير شام بقفرة   تجرّ بها الأذيال صيفيةٌ كُدْرُ

وذكر مفسرو ديوانه : أن الشام جمع شامة ، أي آثار كأنها شام في جسد ... وإنما يريد آثار الرماد . وقال أيضاً :

فلم يدر إلا الله ما هيجت لنا   أهلّةُ آناء الديـار وشامُهـا

وقال بشار (٢ : ٢٩٧) :

أمن وقوف على شامٍ بأجمـاد   ونظرة من وراء العابد الجادي

١٣٧ – وقال بشار (٣ : ٧٢) :

أبا كرب لم تمس حبّي بعيدةً   فما قلب حبّي عن أخيك ببعدِ

ولفظ « لم » وقع في غير موضعه ، وصحته « إن » الشرطية الجازمة .

١٣٨ – جاء في الديوان (٣ : ٧٣) :

لغيثِ ثلاثٍ لا يفـارق ريبة   عففن ولا أربو ولست ببعـد

ورجح الشارح أن تكون الرواية :

لغيب ثـلاثٍ لا تقـارف ريبة   عففتُ ولا أربو ولست ببعـد

وأظن ، وليس غير الظن ، أن تكون الرواية :

لعيب ثلاث لا تقارف ريبـة   عففن ، ولا أربو ولست ببعـدِ

والعيبُ : الملاعب .

١٣٩ – وقال بشار في مديح المهدي (٣:٧٥) :

فتى جاد بالدنيا خلا زاد راكب   وسحّ على دين النبي المؤيـد

ضبط « سحّ » بالسين المهملة ، والصحيح : « شحّ » ، بالشين المعجمة . وبذا تتأتى المقابلة في البيت : جاد بالدنيا ... وشح على دين النبي ...

١٤٠ — وقال (٣ : ٧٦) :

وما أنا إن نام الرقيق ولم أنم بأول منكوب بفقد المساعدِ

كتب « الرقيق » بقافين ، والصحيح أنه « الرفيق » بفاء بدل القاف الأولى ، ومثل هذا التصحيف من خطأ المطبعة .

١٤١ — أورد الديوان في جزئه الثاني قصيدة لبشار من أحد عشر بيتاً ، وكررها في الجزء نفسه (انظر ، ديوان بشار ٢ : ٢٠٩ ـ ٢١٠ ، ٢٥٧) . ثم أعيدت خمسة أبيات من هذه القصيدة (الأبيات : ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦) مختلطة بأبيات قصيدة بشار التي مطلعها (٣ : ٧٥) :

مللتُ مبيتي بالقرين وشاقني طروقُ الهوى من نازحٍ متباعدِ

١٤٢ — وقال (٣ : ٧٧) :

تشكّتي الضنى حتى تعاد ، وما بها سوى قرة العينين ، سقم لعائدِ

وقرة العينين خطأ ، صوابه : « فترة العينين » ، فبشار لا يرى في محبوبته سقماً تتشكى منه ، سوى فتور عينيها ، وهو سقم محبب طالما تمدح به الشعراء ، لأنه شارة جمال ، وعنوان حياء وخفر ، قال جرير :

إن العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وقد روي بيت بشار على وجهه الصحيح في الديوان (٢ : ٢١٠ ، ٢٥٧) .

١٤٣ — وقال بشار يصف ناقته ، ونشاطها وصبرها على السير : (٣ : ٧٨) :

تروّع من صوت الحمامة بالضحى وبالليل تنجو عن غناء الجداجد

وكلمة « عن » بالعين والنون في الشطر الثاني محرفة عن كلمة « من » بالميم . وأظنها من تحريف المطبعة .

١٤٤ - وقال بشار يصف ماء آجناً في الصحراء (٣ : ٧٩) :

وماءٍ صرى الجمّات ، طامٍ ، كأنه ... عبية طال متلدات صعـــائدِ

ويبدو لي أن صوابه :

وماءٍ صرى الجمات ، طامٍ ، كأنه ... عنيّةُ طالي متليـــاتٍ صعائدِ

والعنيّةُ (وقد اهتدى إليها الشارح) : أبوال الإبل ، يؤخذ منها أخلاط فتخلط ، ثم تحبس زماناً في الشمس ، ثم تعالج بها الإبل الجربى . ومن أمثالهم : « عنيَّتُه تشفي الجرب » ، يضرب مثلاً للرجل إذا كان جيد الرأي (لسان العرب — عنى ، مجمع الأمثال الميداني ١ : ٤٧٩ ، المخصص لابن سيده ٧ : ١٦٥) . والمتليات ، جمع متلية ، يقال : ناقة مُتْلٍ ومُتلية : يتلوها ولدها أي يتبعها (اللسان) . والصعود : الناقة يموت حوارها ، فترجع إلى فصيلها فتدرّ عليه ، والجمع صعائد (اللسان) . شبه بشار الماء الآجن قد تغير لونه حتى ضرب إلى السواد . بعنيّة قد أعدّت للإبل الجربى .

١٤٥ - قال بشار في هجاء بني زيد ، وأبي هشام الباهلي : (٣ : ٨٧ - ٨٨) :

إذا الليلُ غطّاهم غدوا تحت ظله ... وأثوابهـــم مسحورة لفســـاد

يعيشون في أمـــاتهم وبناتهـم ... يعقونهـــا عن رائـــدٍ ومراد

. . . .

فأما اللعين ابن الخليف فإنـــه ... يبلّ إلى سود الوجوه جعـــاد

كُتب في البيت الأول : « غدوا » بالغين المعجمة ، و « مسحورة » بالسين المهملة والحاء . ولعل صواب الأولى : « عدوا » بالعين المهملة ، والمعنى :

جروا ، وسعوا في الفساد ، متسترين بظلمة الليل . ولم اهتد إلى وجه الصواب في الثانية « مسحورة » . وكتب في البيت الثاني « يعيشون » بالشين المعجمة ، وصوابها : « يعيثون » بالثاء المثلثة . والعيث : الفساد. وكتب في البيت الثالث « ابن الخليف » بالفاء ، وصوابه : « ابن الخليق » بالقاف ، وهو أبو هشام الباهلي ، واسمه : عمرو بن عبد الرحمن بن الحلق الباهلي الظالمي ، فبشار ينبزه بابن الخليق ، تعييراً له بجده ، وقد نبزه بذلك كثيراً (انظر الديوان ١ : ١٣٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٢ : ٤٧ ، ٣ : ١٠٧ ، ١٠٩) .

١٤٦ — وقال بشار (٣ : ٩١) :

ليت شعري عن ذلك الشخص إذا شطَّ (م) تْ به نية إلى أجيادِ

كتب « إذا » ، وأظنها من خطأ الطبع ، والصواب : « إذ » .

١٤٧ — وقال بشار في هجاء يعقوب بن داود (٣ : ٩٣) :

لا ييأسنَّ فقيرٌ من غنىً أبداً　　بعد الذي نال يعقوبُ بنُ داودِ

قال الشارح في بيان بحر القصيدة : « والأبيات من بحر البسيط ، عروضها وضربها مخبونان » . والصحيح أن العروض مخبونة ، والضرب مقطوع (حاشية الدمنهوري : ٤٦) . وكرر الشارح قوله في قصيدة بشار التي مطلعها (٣ : ٩٨) :

يا ليلتي لم أنم شوقاً وتسهادا　　حتى رأيت بياض الصبح قد عادا

ونجد مثله في تعليقه (٣ : ١٠٤ ، ١٢٧ ، ١٦١) .

١٤٨ — وقال بشار في هجاء حماد عجرد (٣ : ٩٦) :

عرّدت عن قرم بني هاشم　　والموتُ يحدوك به الحادي

لولا تنحيك وفى نـــذره فيك فأصبحت مـع الزادِ

ضبط « نذره » بضم الراء ، على أنه مرفوع فاعل « وفى » ، والصواب : نصبه ، على أنه مفعول به ، والفاعل ضمير مستتر يعود على قرم بني هاشم المذكور في البيت السابق .

١٤٩ – وقال في هجائه (٣ : ٩٦) :

لو كنت ممن يتقي سـوأة أعولت من سخطي وابعادي

ضبط « ابعادي » بباء موحدة ، والصواب « ايعادي » بالياء المثناة التحتية . ولعلها من خطأ المطبعة .

١٥٠ – وقال بشار (٣ : ١٠٤) :

أباهل ، إني للحروب عداد وإن ردائي منصل ونجاد

قال الشارح في بيـان بحر القصيدة : « وهي من بحر الطويل ، عروضها وضربها مقبوضان » . والصحيح أن العروض مقبوضة والضرب محذوف ، والبيت الأول مصرّع . وأعاد الشارح قوله في (٣ : ١١٢) ، والصحيح أيضاً أن العروض مقبوضة والضرب محذوف .

١٥١ – وقال في هجاء الباهلي والفخر بنفسه (٣ : ١٠٥) :

أنا ابن ملوك الأعجمين تقطّعت عليّ ، ولي في العامرين عماد

كتب : « تقطعت » بالقاف ، بعـــدها طاء وعين مهملتان . وصوابها : « تعطّفت » بالعين المهملة ، بعدها طاء مهملة وفاء . قال في أساس البلاغة : « تعطّفت عليه الأملاكُ ، إذا كانت أطرافُه ملوكا » . وقريبٌ من معنى البيت قول بشار (٣: ٢٣٩) :

أبي خراسانُ وأدعو عــــامرا
أكـرمَ حيٍّ أولاً وآخـــرا

١٥٢ — وقال بشار في الهجاء (٣ : ١١٥) :

أشأوَ بني كعب طلبت بجهر قريب المدى ، ياسوأة لك ، لاتمُدْ

ضبط : « بجهر » بالجيم والهاء ، والصواب : « بحمر » بالحاء المهملة والميم . قال في اللسان : « وفرسٌ محمر : لئيم ، يشبه الحمار في جريه من بطئه ... ويقال لمطية السوء : محمر ، والجمع المحامر ، والمحامير » . وقد صحفت الكلمة مرة أخرى في قول بشار (٣ : ١٩٧) :

قل للغواة الطالبي شأوهم لا يدرك الريح الجاميرُ

كتبت « الجامير » بالجيم ، وصوابها بالحاء المهملة .

١٥٣ — وقال في رثاء حمدة (٣ : ١١٧) :

لا تبعدنَّ ، وأين من فارقته أمسى بمثل سبيلها لم يبعد

. . . .

أحميد ، إن ترد المصاب فإننا رهن النفوس بمثل ذاك المورد

ضبط « لاتبعدن » بفتح الدال ، والصواب كسرها ، على ما نصت عليه كتب النحو في تأكيد المضارع المسند إلى ياء المخاطبة . ومثله ماورد في خطاب عبدة (٣ : ١٤٦) :

لا تجملن في غدٍ وعدي وبعد غد فإن فعلت فما وفَّيْتِ ميعادا

فقد ضبطت لام « لا تجملن » بالفتح ، وصوابها بالكسر ، لأن الفعل مسند إلى ياء المخاطبة . وضبط « ترد » في البيت الثاني مسنداً إلى المخاطب المذكر ، والصواب : « إن تردي » باثبات ياء المخاطبة ، لأن الأفعال الخمسة تجزم بحذف النون . وإذ كانت القصيدة في رثاء حميدة فيجب أن يصحح ضبط الكاف في كلمة « بعدك » في البيتين التاليين (٣ : ١١٧) :

أصبحت بعدك كالمصاب جناحُه   يبكي لجانبه إذا لم يسعد

. . . .

مما يعزّي القلب بعدك ، أنني   في اليوم جارُك ياحميدة أو غدِ

١٥٤ — وقال يستنجز صاحبه وعدا (٣ : ١١٩) :

ضمّنت حاجة صاحب   فاسلك بها سبل الرشادِ

ضبط « ضمن » مبنياً للمعلوم ، والصواب بناؤه المجهول . قال في القاموس : ضمنته الشيء تضميناً ، فتضمنه عني ، غرّمته فالتزمه .

١٥٥ — قال يصف امرأة طرقه خيالها (٣ : ١٢٠) :

ألمّت بملمومة كالقنا   وفتيان حرب لهم توقدُ

كتب « لهم » باللام ، والصواب « بهم » بالباء ، فهم موقدوها . وكتيبة ملمومة : مجتمعة . (فسر الشارح الملمومة بالمجنونة . وليس مثل هذا المعنى مراداً في البيت) .

١٥٦ — وقال (٣ : ١٢١) :

ألاعب غولاً هداه الكرى   إلينا تشطّ وتستورد

كتب « هداه » بضمير الغائب المذكر ، والصواب : « هداها » بضمير الغائب المؤنث ، فالغول مؤنثة .

١٥٧ — وقال (٣ : ١٢٢) :

وليسملة نحس حمادية   إذا لسمت ريحها تبردُ

ضبط « حمادية » بالحاء المهملة ، وتكلف الشارح تفسيرها . والصواب : « جمادية » بالجيم ، قال في اللسان (جمد) : « قال أبو سعيد : الشتاء عند العرب جُمادى ، لجمود الماء فيه ، وأنشد للطرماح :

ليـــلة هاجت ، جماديّة ذاتُ صِرٍّ ، جربياءُ النسام

أي ليلة شتوية ..... وقال أبو حنيفة : جمادى عند العرب ، الشتاء كله ، في جمادى كان الشتاء أو في غيرها » .

١٥٨ — وقال بشار في مديح ابن برمك (٣: ١٢٥) :

لعمري لقد أجدى عليّ ابن برمك وما كل من كان الغنى عنده يُجدي

فجعل الشارح القصيدة في مديح جعفر بن برمك ، والصحيح أنها في مديح خالد بن برمك ، ذكر ذلك صاحب الأغاني (٣ : ١٩٤) ، وذكر ذلك بشار نفسه في قصيدته حين قال :

أخالد ، إن الحمـد يُبقي لأهله جمالاً ، ولا تبقى الكنوز على الكدّ

١٥٩ - وقال بشار يوازن بين حاله وحال محبوبه (٣: ١٢٦ - ١٢٧):

حبيبٌ قربهُ الخـــلدُ وإنّي لك بالخـــلدِ

. . . .

ترى مـني له بـــدأ ومالي منه من بدِّ

ضبط « ترى » بتاء المضارعة الفوقية ، والصواب « يرى » بياء المضارعة التحتيـة .

١٦٠ — وقال يمدح سفيح بن عمرو (٣ : ١٣١) :

إذا لبس الماذيّ يوم كريهة وشمّر يحدو الخيلَ أوقادها جُردا

رأيت إباء الملـك فوق جبينـه يهز المنايا ، والهرقلية النقـــدا

ضبط « إباء » ، بالبـاء الموحدة ، وهي مصحفة ، صحتهـا : « اياء » بالياء التحتية . جاء في اللسان : « قال الأزهري : يقال : الأياء ،

مفتوح الأول بالمد ، والإيا ، مكسور الأول بالقصر ، وإياة ، كلّه واحد ، شعاع الشمس وضوؤها » . فممدوح بشار ملك تمت له مهابة الملك ، يبرق فوق جبينه تاج الملك ، وهو معنى ردده الشعراء ، قال ابن قيس الرقيات :

يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

وقال بشار (١ : ١٥٥) :

وعاقد التاج على رأسه يبرق ، والبيضة كالكوكبِ

١٦١ — قال بشار (٣ : ١٣٥) :

نبا بك خلف الظاعنين وسادُ ومالك إلا راحتيك عمادُ

وذكر الشارح أن عروض القصيدة محذوفة وضربها مقبوض ، ولعله من خطأ المطبعة . والصحيح : أن العروض مقبوضة ، والضرب محذوف . والبيت الأول مصرّع .

١٦٢ — وقال بشار يخاطب حبيبته عبدة أم عمرو (٣ : ١٤٠) :

رضينا من نوالكِ أن تردّي عليّ ، ولم أمت غماً ، رقادي

فقال الشارح : « رقادي ، فاعل تردي » . وهو سهو إنسانيّ ، سبحان من تنزّه عن السهو ، وصحته : « رقادي ، مفعول تردّي » .

١٦٣ — وقال بشار يتحدث إلى عبدة (٣ : ١٤٠) :

أصدّ عن النساءِ وهن صُورٌ كما صدَّ الرهيصُ عن الضمادِ

فقال الشارح : « صُوَر جمع صُورة ، أي حسان ، كما يقولون : دُمية ودمى » . ولا يحتمل وزن البيت ، وهو من الوافر ، تحريك الواو من « صور » كما ضبطها الشارح ، لذلك رأى المراجع أن تكون محرفة عن

حُور . وما جاء في الديوان هو الصحيح . يقال : صَوِرَ ، بكسر الواو ، مال ، فهو أصور وهي صوراء والجمع صُور . قال الشاعر :

الله يعـــلم أنا في تلفتنـــا يوم الفراق إلى أحبابنـا صورُ

وقال جرير (د : ٢٨٩) :

أنكرن عهدك بعدمـا يعرفنه ولقـد يكنّ إلى حديثك صُورا

فبشار يذكر في بيته أنه يصدّ عن النساء ، وهنّ مائلات إليه ، يفعل ذلك وفاء منه لحبيبته عبدة التي أخلص لها الود ، ولم يشرك في حبها أخرى .

عفا من حبهن سوادُ قلبي وحبُّك يا عبيدة في السوادِ (٣:١٤١)

وبذلك يتضح معنى بشار ، ويبدو جمال الطباق بين صده وميلهن .

وأعاد الشارح تفسيره في قول بشار (٣ : ١٩٦) :

بتنـــا نعاطيهـــا رهاوية وهي عـكاف بيننـا صورُ

والصواب أن تفسر « الصور » في البيت بالموائل .

١٦٤ – وقال بشار ينسب بسعدى بنت صقر بن قعقاع (٣:١٤١):

كدّرتِ شرب الغواني ،لاصفوت لنا وقد صفا لكِ وديّ مورداً فردي

ضبط « شرب » بضم الشين ، والشرب ، بضم الشين ، فيما روى اللغويون، مصدر شرب أو الاسم . وليس مراداً في البيت ، والصحيح : « شرب » بكسر الشين . قال في القاموس : « الشرب ، بالكسر : الماء ، والحظ منه ، والمورد » . وفي اللسان : « الشرب ، [بالكسر] : الماء ... والمورد ، وجمعه أشراب » . فبشار يخاطب محبوبته خطاب المحب الذي أخلص لها ، وعزف عن كل امرأة سواها ، فكل مورد ، غيرها، كدر . وهذا المعنى قد كرره بشار فقال (١:٢٥٩) :

فلما لم أنل حظاً بما كدّرتِ من شِرْبي

وقال (١ : ٣٨٠) :

أنتِ كدّرت شربهن فأصبحـ ـن غضاباً عليّ يذممن شربا

وقال في تكدير المورد الذي يدلّ على فساد الصلات ، وانقطاع المودات (٢ : ١٧١) :

أنت ، لعمر الله ، أوجدتها علي ، حتى كدَّرَتْ موردي

وكتب في الديوان : « لاصفوت » ، ورآها الشارح قلقة بموضعها نابية ، فجعلها : « ماصفوت » ، وأرجح أن صحة الكلام : « لاصفون لنا » ، بنون النسوة بدل التاء المثناة الفوقية . فهو يأتي بجملة دعائية تؤكد إخلاصه لحبه ، وعزوفه عن النساء . وبذلك يتألق معنى شطره الثاني الذي يصور فيه الشاعر توحده في حبه ، ووجده بمحبوبته .

١٦٥ — وقال يذكر محبوبته (٣ : ١٤٢) :

جمعن نفسي وقد كانت مفرقة بين النساء ، وما أبقين من جَلَدِ

قال النواصح: طوبى ،قدظفرت بها مكسورة الطرف بالتأنيث والرمد

ورد في البيت الأول : « جمعن » و « أبقين » ، بنون النسوة ، وبشار يحدث سعداه بما كان لحبها في نفسه : لقد ملك عليه قلبه فاقتصر عليها وحدها وآثرها بهواه ، وابتعد عن كل النساء سواها ، فلذلك وجب أن يكون الفعلان مسندين إلى تاء الفاعل :

جمعتِ نفسي وقد كانت مفرقة بين النساء ، وما أبقيتِ من جَلَدِ

وهذا المعنى قد كرره بشار في شعره ، كقوله (٣ : ١٣٩) :

جمعتِ القلب عندك أمَّ عمرو وكان مطرحاً في كل وادِ

وورد في البيت الثاني : « بالتأنيث والرمد » بواو العطف ، ومثل هذا العطف يفسد المعنى ، لأنه يثبت للعين صفة قبيحة تناقض سابقتها . وصحة الكلام « بالتأنيث لا الرمدِ » بإثبات « لا » النافية بدل واو العطف . وكسر الطرف تأنيثاً وحياء من صفات النساء المحبَّبة ، وهو عيب قبيح إن كان رمدا . وقد كرر بشار معناه في فتور العين وأغضائها ، قال (١ : ١١٤ ، ١٢٩) :

يا حسنها يوم تراءت لنـــا مكسورة الطرف بإغضـاء

وقال (١ : ١١٦) :

يتعرضْنَ لي بفــاترة الطر فِ ، إذا أقبلت ثناها الحياءُ

وقال (٢ : ٧١) :

غراء ، ريا العظام ، آنسة مكسورة العين، زانها دَعَجُ

١٦٦ — وقال بشار (٣ : ١٤٨) :

وأعجب منها وإن أصبحت أعاجيب تستنتـج الماجـدا
تجنيكِ زينـــاً على عاشقٍ ولم يأتِ ما ساء كم عامـدا

ورد « زينا » وهي مصحفة ، صحتها : « ذنبا » بالذال المعجمة والنون والباء الموحدة . وكلمة « تجنيك » هي خبر المبتدأ « وأعجب منها » في البيت السابق .

١٦٧ — وقال في وصف صحبه (٣ : ١٤٨) :

رزان ، إذا رعدت مزنة عليهم ، فإن يسمعوا الراعدا

وكلمة « فإن » واضحة التحريف ، ولا جواب لها ، وصحتها : « فلن » (الفاء الرابطة لجواب الشرط « إذا » والداخلة على حرف النفي «لن») .

١٦٨ – وقال بشار يصف إبريق الخمر (٣:١٤٩) :

ركوب ، إذا الكأس كرت له أكب فخرّ لهـا ساجـدا

ولا مورد لكلمة « ركوب » في البيت ، ولا تناسب بينها وبين جاراتها. ولعل الصواب أن يقال :

رَكود ، إذا الكأس كرت له أكب فخر لهـا ساجـدا

يصف بشار حالي الإبريق ، فهو ثابت قائم قبل الصب ، ساجد حين الصب. وتظهر براعة بشار في التلاعب بلفظي الركود (القيام) والسجود في الصلاة ، وتلاقي الطباق فيها . وشعر بشار يفسر بعضه بعضاً ، فقد كرر بشار معناه في مواضع عدة . قال (٢ : ١١٩) :

وندمان صدقٍ قد وصلت حديثه بأزهر ، مجّاج المدامة ، نبَّاحِ
إذا فرغت كأس امرىء خرّ ساجدا وصبّ لنا صفراءَ في طيب تفاحِ

وقال في صفة الإبريق بيدي الساقي (٢ : ١٩٠) :

بيديه مثـلُ المصلّي من الليـ ل ، سجوداً حينا ، وحيناً ركودا

وقال في صفة الإبريق (٢ : ١٩٩) :

جاءت بأزهر لم تنسج عمامته إذا الزجاجة كادت كأسه سجدا
ريان كالريم خداه ومذبحه إن لم يرع بسجود سامراً ركدا

وأصل معنى الركود : الثبات ، وكل ثابت في مكان فهو راكد . ومنه حديث سعد بن أبي وقاص في صفة الصلاة : أركد بهم في الأوليين ، واحذف في الأخيرتين ، أي اسكن واطيل القيام في الركعتين الاوليين من الصلاة الرباعية ، وأخفف في الأخيرتين . والرواكد : الأثافي ، مشتق من ذلك لثباتها . وفي مثل هذه المعاني يقول أبو نواس (د : ٢٥) :

إبريقنـــا منتصب تارة وتارة مبترك جـــاث

وقال (د : ٥١) :

من ماثل فدّمَت مضاحكه يقلس في الكأس بيننا الذهبا

يقلس الذهب في الكأس : يصب الخمر في الكأس . يقال : قلست النحل العسلَ : مجّته . وقلست السحابة الندى : إذا رمت به من غير مطر شديد . وقال (د : ١٦٦) :

إلى أباريـق مفــدّمات
يصغين للكؤوس راكعات

أي يملن راكعات .

١٦٩ — قال بشار (٣ : ١٥٣) :

فبتُّ أنشـد يوم العين مرتفقاً حتى الصباح ، وما نومي بموجود

كتب « يوم » بالياء التحتية ، وصحتها : « نوم » بالنون . ولعلها من خطأ المطبعة .

— للبحث صلة — شاكر الفحام

تجربتي في تعريب المصطلحات العلمية

الدكتور عبد الكريم اليافي

طلبت لجنة السكان بمنظمة الأمم المتحدة في دورتها الرابعة إلى أمين المنظمة إدخال مشروع يقتضي وضع معجم ديمغرافي متعدد اللغات في برنامج عملها .

ثم عرض الاتحاد العالمي لدراسة السكان العلمية مشاركته في هذا المشروع . وتألفت لجنة من علماء بعض الأقطار لتأليف هذا المعجم . وقد هُيّئت مسوّدة له سنة ١٩٥٤ أرسلت نسخ عنها إلى العاملين في بحوث السكان ليروا رأيهم في المصطلحات المؤلفة . ثم عمدت اللجنة بعد تلقيها مختلف الآراء وقبول ما هو مناسب إلى صوغ المعجم وطبعه بصيغته التي ظهر بها في الفرنسية والانكليزية والاسبانية سنة ١٩٥٨ ، وهي اللغات العملية التي كانت إذ ذاك لمنظمة الأمم أي بعد مضي أربع سنوات على نشر المسوّدة .

وفي غضون تدريسي لمادّة علم السكان بالجامعة السورية التي صار اسمها بعد حين جامعة دمشق كنت مسايراً للبحوث السكانية في أكثر الأقطار ،

فاطلعت على فكرة وضع ذلك المعجم منذ نشوئها ، كما اطلعت على نسخة المسوَّدة الوقتية ثم على الطبعة الأخيرة له .

ولم تكد تلوح الوحدة بين سورية ومصر حتى قدمت اقتراحاً بوضع نسخة عربية لهذا المعجم الذي لم يمض إذ ذاك على صدوره سنة واحدة . وقد أقر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في الجمهورية العربية المتحدة هذا الاقتراح سنة ١٩٦٠ ، وعهد إليَّ وإلى الدكتور عبد المنعم الشافعي من القاهرة في أمر النسخة العربية . وتقاسمنا كلانا الفصول . وعلى الرغم من انفصام الوحدة بعدئذٍ وتدابر الأقليمين الشقيقين استطعنا أن نجتمع وأن نتذاكر في النص العربي المهيأ سنة ١٩٦٣ ثم ننهي إلى المجلس الأعلى النصْ الذي اتفقنا عليه بعد جهد جاهد ومناقشات طويلة استمرت نحواً من الشهر واشتملت على نصيب من التساهل حسماً للخلاف ورغبة في الإنجاز .

ولم يكن الغرض مجرد ترجمة المعجم الانكليزي أو الفرنسي إلى العربية. وإنما كان الغرض وضع المصطلحات السكانية وتعريفاتها باللغة العربية بحيث يحمل كل مصطلح منها رقماً إلى جانب رقم الفقرة التي يرد في ثناياها . فالمصطلح محدد برقمين : رقمه هو ورقم الفقرة التي هو فيها . وذلك بالاستناد إلى المصطلحات الأجنبية ودلالاتها . وهكذا لا يوجد في كل معجم إلا لغة واحدة يمكن مقابلة كل مصطلح فيها عند الحاجة بمصطلح اللغة الأجنبية فرنسية أو إنكليزية أو إسبانية أو غيرها بالنظر إلى الرقمين . وهذا من شأنه تحديد معاني المصطلحات بإيراد تعريفات لها دقيقة مطابقة ، ومن شأنه أيضاً تسهيل الترجمات من لغة إلى أخرى في هذا المضمار وتنسيق البحوث

فيه . وذلك كله بإضافة ما هو خاصّ بثقافة أهل اللغة وعاداتهم مما يتعلق بقضايا السكان . وقد ظهر المجلد العربي سنة ١٩٦٦ في القاهرة أي بعد انسلاخ خمس سنوات على إعداده . ولقد كان هذا التأخير إجرائياً محضاً ، ولا علاقة له بإنجاز النص .

ولم نجد أنا ورصيفي عقبات بارزة في وضع المصطلحات الديمغرافية الحديثة باللغة العربية الواسعة المطواع . وإنما كانت الصعوبة في اختيار أنسب المصطلحات وأمثلها وأشفّها دلالة عن المعاني .

سأعود بعد قليل إلى هذا الموضوع لأوضح كيف تم ظهور المعجم العربي . هذا ولم نكن نعمد إلى اختراع ألفاظ غريبة وغامضة إلا عند الحاجة القصوى . وإلا فإنه متى اتضحت الفكرة وملك المرء جانباً من زمام التعبير في اللغة العربية جاء الاصطلاح يسيراً . ولعل بعض الأمثلة يوضح ما نريد .

قد يتردَّد الذين يكتبون في علم السكان تلقاء المصطلح الفرنسي

Durée moyenne de la vie , espérance de vie

أو ما يقابله في اللغة الانكليزية :

mean length of life, expectation of life

فيقولون : أمل الحياة أو يقولون : توقع الحياة . فلا يكاد يفهم المرء من ذلك شيئاً . وهنا نحب أن نشير إلى أن اللغات الأجنبية لغات جامدة توضع المصطلحات فيها دون أن تشف تمام الشفوف عن حقائق المعاني أو كنه المراد. إن ذلك المصطلح الأجنبي يعني ما يتحصّل إحصائياً إذا أخذنا جيلاً من الناس أي أناساً أتراباً ولدات ولدوا في سنة واحدة وطبقنا عليهم نسب

الوفيات الجارية في مجتمعهم سنة تلو سنة حتى فنائهم جميعاً وقسمنا على عددهم مجموع آجالهم . فذلك هو ببساطة كبيرة الوسط الحسابي لآجالهم أي هو « الأجل المتوسط » أو « الأجل المتوقع » لذلك الجيل إذا أردنا أن نستعمل لفظاً من ميدان حساب الاحتمال . ولا شك أن التعبير العربي هذا أشف عن المراد من الألفاظ الأجنبية المتعددة الطويلة الجامدة التي ليس فيها رونق اللفظ العربي ولا طلاقته ولا دقته ولا شفوفه . وعندما نقرأ في الصحف أو المجلات العربية موضوعاً يمس هذه الأمور نعجب من كاتبها أو مترجمها حين يقولون ما معناه أن حياة الانسان قد طالت في العصر الحاضر . وإنما الذي طال هو الأجل المتوسط للمواليد بسبب نقص وفياتهم خلال العام الأول من حياتهم . ولا شك أن اختيارنا لهذا التعبير العربي متصل بمصطلحات ديمغرافية أخرى يلزم تفريق بعضها عن بعض . وهي « العمر المتوسط » وهو الوسط الحسابي لجماعة من الناس أحياء من أجيال شتى . و « العمر الوسيط » وهو العمر الذي يقسم جماعة من الناس أو مجموع الناس في المجتمع إلى شطرين متساويين عدداً . و « العمر المعتاد أو النظامي » وهو العمر الذي يبلغ عدد الوفيات في جيل متتبع نهايته العظمى أو أوجه ، أو هو « المنوال » لعدد الوفيات في الجيل بالتعبير الإحصائي . وهو ما أشار إليه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في بعض حديثه لما بلغ الخامسة والستين حين قال ما معناه أنه أمسى في معترك المنايا ، دون أن يكون لديه علم بهذا المصطلح الإحصائي ، وإنما هو الحدس الإنساني البليغ . و «الأجل الوسيط»أو «الأجل المحتمل» ، وهو العمر الذي يصبح عدد الجيل فيه نصف ما كان ، هنا نستقرىء عدد الجيل سنة فسنة ، بل بعض

أجزاء السنة حين يتتابعون إلى الموت (التتايع بالياء هو التتابع إلى أمر مكروه). أما العمر الوسيط الآنف فهو يتعلق بجماعة من الأحياء فقط أياً كانوا فيقسمها قسمين متساويين.

وقد احتجنا في بعض المواضع إلى اعتماد ألفاظ قل استعمالها وإن كانت سليمة صحيحة. ففي فن التوليد «تصنف الأمهات الحوامل اللواتي قرب مخاضهن بالنظر إلى الأمومة إلى أبكار أو خُرُسٍ وضوانئ سبق أن وضعن. أما اللائي لم يضعن قط فيجوز دعوتهن العوط جمع عائط». وقد شرحنا أمثال هذه الألفاظ في الحواشي، وأضفنا إليها استعمال ألفاظٍ أخرى. هذا وإن لفظ العائط، وقد يجمع على عيطٍ أيضاً، أوسع من لفظ العقيم لأن العائط ربما لا تكون عقيماً.

والألفاظ الأجنبية في فن التوليد مصطلحات علمية حديثة لا يفهمها إلا الأطباء وأصحاب الاختصاص وعلماء الأحياء. فالخروس تقابل في الفرنسية Primipare، وفي الانكليزية Primiparous. ولها مرادف باللغة العربية وهو البكر. ولكن هذا اللفظ في لغتنا له عدة معان نقتصر منها ههنا على معنيين: الأول البكر العذراء وجمعها أبكار والمصدر البكارة، والثاني البكر المرأة والناقة إذا ولدتا بطناً واحداً، وهو ما أردناه في ذلك السياق. وتستشهد كتب اللغة على هذا المعنى بقول أبي ذؤيب الهذلي:

وإنّ حديثاً منك لو تبذلينه ... جنى النحل في ألبان عوذٍ مطافل

مطافيلَ أبكارٍ حديثٍ نتاجها ... تشاب بماء مثل ماء المفاصل

كما تورد قول أبي الهيثم شارحاً هذه التسمية حين قال: «والعرب تسمي التي ولدت بطناً واحداً بكراً بولدها الذي تبتكر به». ولقلة

شيوع المعنى الثاني أردفنا لفظ الأبكار بالخُرُس جمع خروس وهي البكر في أول حملها . هذا والشيء بالشيء يذكر . فالخُرْس طعام الولادة كالخِراس،ثم صارت الدعوة للولادة خرساً وخراساً . والخُرسة بهاء ماتطعمه النفساء نفسها على حد إيضاح ابن جني .

ومهما يكن من أمر فقد سبقت العربية إلى وضع تلك المصطلحات الحديثة !

كذلك لم نجد في بحوث الولادة والإسقاط والتعمير والمرض والوفاة حرجاً من جانب اللغة العربية بل كانت تمدنا بألفاظ وتعابير غنيّة وسهلة إلى درجة أن رصيفي قال بعد تردد : إن الألفاظ العربية التي ضربنا صفحاً عنها ربما يحتاج العلم إليها في المستقبل عند تقدمه أشواطاً جديدة .

يمكن إيراد أمثلة أخرى في أرجحية التعابير العربية الحديثة على أمثالها في اللغات الأجنبية أو مكافأتها لها . ولكن هذا الموضوع يقتضي تفصيلاً ربما لا يستسيغه الذين ليس لهم اختصاص في هذا الميدان مادام البحث قضية تعريب المصطلحات العلمية .

وليس معنى ذلك أننا نجد في العربية ما يقابل جميع المصطلحات الأجنبية الحديثة . هيهات هيهات ! ولكن في مجال التنقيب والاشتقاق بأنواعه والنحت والتركيب والإبدال واعتماد مقاييس اللغة الكثيرة و «تطويع» الألفاظ الأعجمية وغيره سعة أيّ سعة .

لنعد إلى أمر المعجم الديمغرافي المتعدد اللغات ولنبين مشكلات تتعلق بمسألة شيوعه وانتشاره واعتماده . وهو أنه بعد انفصال الأقليمين الشقيقين مصر وسورية واعتماد مخطوطة المعجم العربي أرسل إليّ مدير لجنة المعجم الدولية نسخة مطبوعة لها يسألني رأيي فيها قبل اعتماد تلك اللجنة لها إذ كنت

صاحب الاقتراح الأول . فتجشمت عناء المراجعة الدقيقة لهذا المجلد العربي وأثبتُ جدولاً بالأخطاء المطبعية والألفاظ التي سقطت أثناء الطبع ثم أجزت الكتاب بشرط أن ينشر الجدول بذيله . بَيْدَ أن المجلد العربي نشرته وزارة الثقافة دون إثبات التصحيح ، مع أن المعجم كل معجم ينبغي أن يكون خلواً من التحريف والتصحيف والسقطات وأمثالها . وقد طبع منه خمسمائة نسخة فقط كما ترامي إليّ ولم يرج الرواج اللازم له في الجامعات والمعاهد مع حاجتها إليه . كذلك لم تصلني إلا النسخة التي بعث بها مدير لجنة المعجم الدولية إليّ مع أني صاحب المشروع وقد تابعته من أوله إلى آخره .

ومع عيوب هذا المجلد العربي فقد استفادت منه الجمعية الإحصائية للبلاد العربية ، وأصدرت « قاموس المصطلحات الإحصائية والديموجرافية » (انجليزي عربي) ، لا يحمل تاريخاً ، ترجمة عبد المنعم الشافعى وحسن محمد حسين وأحمد عبادة سرحان وخطاب محمد حسنين . أشاروا في مقدمة هذا القاموس إلى أنهم اعتمدوا في جملة ما اعتمدوه « المعجم الديموجرافي المتعدد اللغات » الذي شاركتُ في وضعه . وكذلك أصدر « المركز الديموجرافي لشمال أفريقيا بالقاهرة » سنة ١٩٦٧ « القاموس الثلاثي للمصطلحات الإحصائية والديموجرافية » (عربي - إنجليزي - فرنسي - عربي) أشار زميلي الدكتور عبد المنعم الشافعي مدير المركز إذ ذاك في تصديره إلى المعجم الديموجرافي الأول .

إن التوفيق في وضع أمثال هذه المعجمات ليس أمراً يتعلق بالبلاد العربية وحدها . بل هو شأن ثقافي وإنساني له علاقة بأقطار متعددة تجمعها

والبلاد العربية جذور ثقافية أصيلة قوية . فلقد كتب إليّ الاتحاد العالمي لدراسة السكان العلمية يسأل عن أخبار المجلد العربي بعد ذيوع إنجازه لأن بعض البلدان تطلبه لوضع معجمات بلغتها مما له صلة بالثقافة العربية كإيران وباكستان وأندونسية وتركية .

ذلكم أن قضايا السكان وما يجري مجراها من مواليد ووفيات وزواج وطلاق ذات وشائج عميقة باعتبارات حضارية شاعت وعمّت أقطاراً متعددة . ولما كانت اللغة العربية مَعيناً ثرّاً في الماضي لمختلف اللغات فقد تجد هذه اللغات عوناً ما أو رفداً حين تصادف ضالاتها ميسرة مذللة بسيطة في اللغة العربية . وهكذا يكون عكوف الباحثين في البلاد العربية على اللحاق بالتراث العالمي في مصطلحاته دعماً أكيداً لزملائهم في كثير من الأقطار الناهضة .

على أن العلم في تقدّمه لا يقف عند معجم أو كتاب بل هو حثيث السير قُدُماً تنبت على صعيده المصطلحات الحديثة كل يوم . ولهذا أصبح « المعجم الديموجرافي المتعدد اللغات » عليه مَسحة من القدم بالنسبة لعلم السكان الحالي وبالنسبة لمصطلحات جمّة مستجدة . فعمد الاتحاد العالمي لدراسة السكان العلمية منذ حين إلى تأليف لجنة جديدة تضع معجماً جديداً على غرار المعجم القديم ولكنه أوفى منه بالحاجات العلمية الناشئة . ولما يتهيأ لهذا المعجم الظهور .

وليس هذا التأخر في وضع المعجم الجديد بأقل منه في وضع المعجم الأول . وذلك لصعوبة تجميع المصطلحات الجديدة ولمّ شعثها واصطفاء أصحّها وأمثلها في لغات عالمية كالانكليزية والفرنسية وغيرهما ومقارنة بعضها

ببعض . ومما هو جدير بالتنويه أن معجمنا العربي الذي تكلمنا عليه سبق في ظهوره كثيراً من المعجمات الأجنبية كالمعجم الألماني والسويدي والتشكسلوفاكي وغيرها . ونحن لا نشك في قدرة اللغة العربية على استجابتها لتقدم العلوم . وإن كان هنالك مشقات فإن في جميع اللغات مشقات في ابتداع المصطلحات الحديثة والتقاطها واختيار المناسب منها . ومن يطالع تاريخ اللغات الأجنبية وتكوّنها ومشكلات مصطلحاتها الحديثة يغمره العجب من مرونة لغتنا العربية وسعتها كما يبهره الإعجاب بها .

نورد مثالاً بسيطاً على مرونة اللغة العربية فنأخذ كلمة في علم السكان فرنسية شائعة وهي Statistique de l'état civil ومقابلها بالانكليزية Vital Statistics . وعلى الرغم من أن لفظ vital من أصل لاتيني لم يعتمده الفرنسيون في هذا السياق . ونحن في اللغة العربية نقول : «إحصاء الأحوال المدنية » مقابل المصطلح الفرنسي و « الإحصاء الحيوي » مقابل المصطلح الانكليزي ، وإن كنا نرغب في الاقتصار على اصطلاح واحد . وقد أصبح التعبير العربي المقابل للفظ الانكليزي أشيع وأعمّ لتأثير اللغة الانكليزية في كثير من الأقطار العربية ولذيوعها العالمي .

اللغات الأجنبية ضيقة ضحلة . مثال ضحلها وضيقها أيضاً أن اللغة الانكليزية حين تريد أن تفرّق بين معدل الوفيات Death rate أو المَوَتان – على حد تعبير ابن خلدون وأشباهه القدماء – ونسبة الوفيات أي احتمالها Mortality rate ، تعمد إلى اللغة اللاتينية وهي لم تتحدّر منها فتستعير اللفظ mortality . أما اللغة الفرنسية فإنها تعمد إلى تغيير لفظ المعدل Taux de mortalité فتستعمل لفظ خارج القسمة للدلالة على

الثاني فتقول quotient de mortalité . ولسنا ههنا بصدد بيان الألفاظ العربية الكثيرة الدالة على الهلاك بأشكاله المتنوعة وسياقاته المتفاوتة ، حفظ الله على القراء حياتهم وأمد في أعمارهم وأمتعهم بخيرات الدنيا والآخرة . فهم يعرفونها ، أو يسعهم الرجوع إليها في كتب اللغة الشهيرة .

* * *

ربما يرد إلى الذهن أننا في ميدان علم السكان على صعيد خاص قد بلا العرب قديماً فيه مختلف الصروف ورصدوا شتى اللحظات والملاوات والتقلبات . ولكن كيف بنا إذا عالجنا موضوعاً يتعلق بالمستحدثات الجديدة والأساليب المستطرفة كما في الفيزياء الحديثة .

نقول أولاً : إننا نقرأ البحوث العربية المتباينة في هذا الميدان ونعجب للخلل الذي يعتورها واللبس الذي يشوبها والركاكة التي تخامرها والإبهام الذي يكتنفها سواء كان ذلك في علم السكان أو غيره ، وذلك من قلة احتفال مؤلفيها باللغة العربية وضآلة ممارستهم لبيانها .

ونقول ثانياً : نحن لا ندّعي أنا نملك أداة البيان العربي ولا أنا مطلعون على خزائن اللغة العربية وكنوزها . ولكن جلّ ما نفخر به أننا نحترم هذه اللغة العظيمة ونقدرها حق قدرها ونحاول أن نعرب بها إعراباً دقيقاً عن أفكارنا ومشاعرنا . هذا وقد أتيح لنا في الماضي أن نعالج فيها بعض البحوث العلمية الفيزيائية الحديثة فلم نجد فيها حرجاً ولا من جانبها ازوراراً ولا في وضع المصطلحات فيها عقبات . وقد راج بعض هذه المصطلحات ، وقُيّد بعض آخر – لم أشرح كيف صفته – تقييد قاف رؤبة ، على حد تعبير أبي العلاء المعري ، لم يقدر لها إجراؤها .

فلقد نظرنا في الأجزاء الصغيرة القصوى للضوء والمادة ، فاشتققنا لفظ الشُّنَيَّة من السنا بعد تصغيره وإضافة تاء التأنيث مقابل لفظ فوتون Photon حتى خيّل إلينا من لفظها أن حبّة النور هذه تلعب وتتوثب في الشعاع وذلك في قسم « البوزيات Bosons » وهي الأجزاء الدقيقة التي تخضع لإحصاء بوز - أينشتين .

وعمدنا إلى الأوَيْل مقابل لفظ بروتون Proton فاستبدلنا الميم من المعتدل باللام فأصبح معنا الاويتِم مقابل نيوترون Neutron كما استبدلنا أيضاً بها النون من أول لفظ النواة فصار معنا الأويّن Nucleon ، وهو الجزء الأصلي من نواة العنصر .

وكذلك قلنا ماقاله غيرنا الكهرب مقابل إلكترون Electron ثم بدلنا الباء سيناً للإشارة إلى كونه سالباً فصار كهرساً مقابل Negaton ، وبدلنا الباء جيماً فصار كهرجاً مقابل بوزيتون أو بوزترون Positon ، أو Positron ، وهلم جرا . ولست أريد أن أسرف في التعداد لأنه ليس هنا موضعه . ولكن أحب أن أشير إلى أن هذه الاصطلاحات العربية تبرز سلالات الأجزاء الدقيقة تلك وتظهر أُسَرَها التي تتحدر منها ولا يَعمُّها التركيب الأجنبي الذي لا يميز تلك الأُسَرَ والسلالاتِ بعضها من بعض حين يجريها على نسق واحد باضافة اللاحقة On .

ولا يخفى أن عملنا هذا من ضروب المقترحات . ولسنا نحاذر من استعمال اللفظ الأجنبي لشيوعه وعمومه في مجال العلم . ولكننا أردنا أن نضرب أمثلة على سهولة التعريب عند قصده ويسر العثور على مصطلح يناسب طبيعة اللغة العربية . وإلا فليس ما يمنع من تداول المصطلح الأجنبي على أن يحسن ضبطه وإملاؤه .

وثمة أجزاء دقيقة متعددة حديثة من نوع « الخفائف Leptons » التي يدخل فيها الكهرب ، وأخرى من نوع « الثقائل Baryons » التي منها الأويل . وكلا النوعين من « الفرميات Fermions » التي ينطبق عليها إحصاء فيرمي — ديراك .

ويختلف « البوزيات » عن « الفرميات » بخصائص عدة ولا سيما بما دعوناه « اللاف Spin » .

وإذا أمكن إبقاء تلك الألفاظ الأعجمية على حالها — ولا بأس عندنا في ذلك — بقيت تعابير لا بد من اختيار مقابلاتها العربيات أمثال علائق الارتياب والحتمية واللاحتمية ومبدأ الاشتباه وغيرها . بل إننا نجد أحياناً أن اللفظ العربي أسلم تعبيراً من اللفظ الأجنبي . فمن المعروف أن لفظ الذرة التي قوبل بها اللفظ الأجنبي « أتوم » أصلح من هذا اللفظ ، لأن اللفظ الأجنبي وضع ظناً أن مدلوله لا يتجزأ . ولكن تقدم العلم أفضى إلى تجزئة الأتوم الذي أصل معناه أنه لا يتجزأ . فهنالك تناقض بين اللفظ ومعناه ، يشهد على ذلك نظرية « الجزء الذي لا يتجزأ Atomisme Atomism » وهي قضية فلسفية وعلمية شغلت الهنود واليونان والعرب قديماً ، وما تزال تشغل الفكر الانساني في العصر الحاضر . وخلاصتها في نظر العلم الحديث أن المادة أو الضوء في أحد اعتباريها وهو الجسيمي لا الموجي يقف انقسامه عند حد ، فهو لاينقسم إلى ما لا ينتهي من الأجزاء . فهذه النظرية التي كانت باشتقاق لفظها الأجنبي تعتمد على لفظ الأتوم في أوائل العصر الحاضر قد تجاوزت حقيقة الأتوم الذي تجزأ إلى التساؤل عن الكهرب وعن السُّنَيّة وأمثالها أقابلة للتجزئة هي أيضاً أم لا . وعندئذ

تبدو نظرية الجزء الذي لا يتجزأ أعمق من فكرة تألف المادة من الذرات ما دامت الذرة قد انفصمت جسيمات ضئيلة . وهكذا بالتعبير العربي يزول اللبس الذي يوحي به التعبير الأجنبي عن تلك النظرية -- وأياً كان الأمر فليس غرضنا التنويه بمزايا اللغة العربية والخفض من اللغات الأجنبية التي بلغ بها أبناؤها شأواً متقدماً . بل نحن نرى أن لكل لغة مزايا يبرز بعضها في مجال ويختفي في مجال آخر .

وإذا التمسنا تشبيهاً لمزايا مختلف اللغات استطعنا أن نجد ذلك في الجمل العددية المتعارفة أو نظم العد في الحساب من جملة عشرية شائعة ذائعة ومن جمل أخرى كالجملة الاثنينية أو الثنائية والثلاثية والسداسية والاثني عشرية وغيرها . فمن المعروف أنه يصعب علينا إفادة الثلث بتمامه في الكسور العشرية وتسهل إفادته سهولة بارزة في الجملة الثلاثية ، التي أساسها الثلاثة دون العشرة . وكذلك النصف تسهل إفادته التامة في الجملة العشرية وفي الجملة الثنائية وتصعب في الجملة الثلاثية . وهكذا دواليك إذا توسعنا في أنواع الجمل الحسابية وإفادة الكسور في كل منها . وعلى الرغم من شيوع الجملة العشرية وذيوعها نجد في العصر الحاضر أهمية الجملة الثنائية في ميدان الحاسبات الكهربية . وهكذا اللغات . لكل لغة مزايا وإفادات يسيرة سهلة في بعض الميادين كما قد تصادف عقبات في ميادين أخرى . ومع تلك العقبات والمزايا تلتزم الأمم بلغاتها وتعلّم بها وتربي أبناءها على بيانها وتتعهدها بالصون والتجويد والتدقيق والإساغة والإشاعة والتزويد والترويض وغير ذلك . وما رأينا إلا الأمم المتخاذلة أو الصغيرة أو المنقرضة تتجافى عن بيانها الأصيل .

* * *

لقد بسّطنا الأمور تبسيطاً شديداً على عمـــد للتخفيف من مشكلة التعريب . ولا شك أن البلاد العربية أمام عقبات هائلة من مصطلحات العلوم المختلفة الواسعة الزاخرة . وعندنا بوارق أمل في أعمال مجامع اللغة العربية ومكتب تنسيق التعريب وجامعات البلاد العربية ومعاهدها في تذليل تلك العقبات وتمهيد الطرق إزاء المصطلحات الأجنبية أو استعمال بعضها . ولكن هذه القضية ليست مشكلة كبيرة في رأينا . فهي قضيـة تنطرح في مختلف اللغات حتى اللغـات الحديثة المتقدمة . ومن مارس مشكلة المصطلحات الحديثة واضطرابها في اللغات الأجنبية يعرف مزالق هذه المشكلة ومصاعبها كما يعرف الاختلاط والتناقض فيها أحياناً . ولذلك يلجأ الاختصاصيون في تلك الأقطار إلى كفكفة ذلك الاضطراب وتقليله وتنسيقه بعقد الندوات ووضع المعجمات ونشر البحوث . إن الأفكار حين تشيع بين المثقفين أو المختصين لا بد من أن يواتيهم التعبير عنها بمصطلح أو بآخر .

ولكن المشكلة في رأيي عندنا هي مشكلة معرفة اللغة العربية . فلقد انجاب ليل التأخر في البلاد العربية عن نهضة سبقت لامثيل لها في البيان وفي السعي لوضع المصطلحات الحديثة . حتى إن العلماء الأجانب استطاعوا في مدة يسيرة أن يتعلموا اللغة العربية وأن يكونوا أصحاب بيان سليم في الميداني العلمي . هل نذكر مثلاً العالم الأمريكي كرنليوس فان ديك الذي علّم في الجامعة الأمريكية ببيروت وكتب كتباً سليمة التعبير دقيقة الدلالة سائغة الفهم في الفلك والفيزياء وفي غيرهما؟ هذا بصرف النظر عن مراكز التعليم العالي التي كان يشرف عليها في فجر النهضة من أبناء البلاد من هم عنوان فخر في هذا المضمار ، كما حدث مثلاً في كليتي الطب والحقوق بالجامعة السورية زمناً سابقاً . ولكن العجب أن

انبعاث اللغة العربية في شتى الميادين قد خبا نوره الآن وآل إلى اللكنة الدارجة واللخلخة المقيتة والركاكة المتفتقة وأمثال هذه العيوب بسبب الدعوة إلى تسهيل اللغة وانصراف الأبناء عن لغة آبائهم الجميلة . كم يعيب البلاد العربية أن أساتذتها في مختلف معاهدها قلّ منهم من يستطيع إلقاء الدروس بلغة سليمة أو كتابة صفحات يسيرة دون لحن ولا غموض ولا ركاكة ! هذا إذا ضربنا صفحاً عن خلل الكتابة الأدبية وتهالك الأساليب الصحفية في سدفة التعابير الحديثة .

القضية عندنا إذن قضية إلمام باللغة العربية . وليست لغتنا صعبة كما يتوهم أو يدّعي فريق من الناس الأدعياء : فكثير من اللغات ربما برز شبيهاً بالعربية في غناه كالروسية مثلاً ، وزاد على العربية في تصعب أشكال إعرابه المتعددة كالروسية أيضاً فضلاً عن الصينية واليابانية وأمثالها . أقول قضية إلمام باللغة العربية فلا يحتاج الأمر إلى التبحر فيها . بَيْدَ أنّ الإلمام باللغة العربية وضبط مبادئها موضوع مستقل ندعو إلى معالجته معالجة سليمة والتفكير فيها تفكيراً صحيحاً مجدياً . ولن يعدم الباحثون فوائد تعود بالخير والنجاح . فاللغة نسغ الحياة الفكرية ، ومطية الثقافة الانسانية ، وسبيل تحقيق القيم الرفيعة . بل هي أغلى الروابط القومية ، وأعلى الأواصر الحضارية .

عبد الكريم اليافي

الصفة الغالبة

الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي

هذا بحث طريف لم نر من عرض له . وإذا كنا قد بسطنا القول فيه ومددنا أطرافه ، فذلك أن ذهابه على كثيرين قد أدّاهم إلى مذاهب من الرأي لا ينجلي بها شك ، وموارد من الحكم لا ينتفي بها ريب . وقد اعتمدنا في هذا القصد نصوصاً قد تناثرت في الأمهات فضممنا بعضها إلى بعض ولاءمنا ذات بينها ، فكان لنا من ذلك معالم في طريق البحث ولوائح في سبيل التبيين والكشف .

الأصل في (الصفة) أن تجري على موصوف يتقدمها . فإذا دلت في الاستعمال على (موصوف معين) واستغنت عن ذكره ، فقد ضارعت الأسماء ، وأنزلت منزلتها وأسميت (الصفة الغالبة) لغلبة استعمالها كالأسماء .

ف (النكباء) مثلاً ، صفة (الريح) . فإذا دلّت على هذا (الموصوف المعين) واستغنت عنه ، فقيل : (هبت النكباء) يراد بها (ريح) معينة ، فقد أنزلت منزلة الأسماء وكانت (صفة غالبة) . وقد عرض الرضي في شرح الكافية للصفات الغالبة (١٨٢/٢) في صدد ذكر

الفارق بين (المصغر) و (سائر الصفات) فأوضح أنه لا بد للصفة من (موصوف) تعتمده ، يذكر قبلها . ذلك أنها لا تدل في الأصل على (موصوف معين) . فإذا دلت على هذا الموصوف ، استغنت عن ذكره وكانت كالمصغر والصفة الغالبة . قال الرضي : (كل صفة تدل على الموصوف المعين ، لا يذكر قبلها ، كالصفات الغالبة) . فإذا قلت (رُجَيل) على التصغير فقد قصدت (الرجل الصغير) ودللت بذلك على الصفة والموصوف المعين معاً ، وكذلك الصفة الغالبة ، فقولك (النكباء) يعني (الريح التي تنكبت عن الرياح الأربع) . قال الجوهري في صحاحه : (والنكباء الريح الناكبة التي تنكبت عن مهاب الرياح) . وقال المرزوقي في شرح ديوان الحماسة (٨٠٦) : (والنكباء ريح تنكبت عن الرياح الأربع) . وقال ابن سيده في المخصص (١٦ / ٤٤) : (فعلاء صفة غالبة غلبة الأسماء .. النكباء : كل ريح تهب بين مهبّ ريحين .. وإنما قال نكباء لأنها تنكبت عن مهبّ هذه ومهبّ هذه) . وهكذا دلت (النكباء) على الصفة والموصوف المعين جميعاً . فإذا استقر هذا وعرف ، فإن تميز (الصفة الغالبة) عن (الصفة الأصلية) الجارية على موصوفها ، لا يقوم باستغنائها عن الموصوف وحسب ، وإنما يتجلى إلى ذلك بما تنفرد به دون (الصفة الأصلية) التي بنيت عليها ، من خصوص الدلالة . فـ (للنكباء) في قولك (الريح النكباء) أي الناكبة ، عموم في الدلالة لأنها صفة جارية على موصوفها ، فهي تصف (الريح) بأن من شأنها أن تتنكب عامة ، وهي لا تختص بـ (الريح) . أما (النكباء) من قول المرزوقي (والنكباء ريح تنكبت عن الرياح الأربع) وقول ابن سيده : (النكباء

كل ريح تهب بين مهب ريحين) ، فإنها (صفة غالبة) لا تجري على موصوف ، يذكر أو يقدر ، جري الصفات . ذلك أن لها (موصوفاً معيناً) لا تعدل عنه ، ومؤدى خاصاً لا تفارقه . ومن هنا أنزلت منزلة الأسماء . قال الشيخ ناصيف اليازجي في كتابه (نار القرى في شرح جوف الفرا) : (وقد يلزم الاستغناء بالصفة عن الموصوف فتجري مجرى الجوامد . ومن ثم لا يقدر لها موصوف ، ولا تتحمل ضميراً ، كالأدهم المراد به القيد ، فإنه في الأصل صفة ثم جعل اسماً ، فتقول في رجله الأدهم ، ولا تقول : القيد الأدهم ، وبهذا الاعتبار تكون الصفة قد صارت موصوفاً فتوصف ، نحو : إذا عُرض عليه بالعشي" الصافنات الجياد ، الآية ، وقس عليه). ومن أجل هذا استحقت (الصفة الغالبة) أن تجمع جمع الأسماء . فكل (صفة) بابها في الجمع (التصحيح) أي جمع السلامة ، كسرت تكسير الأسماء إذا غدت (صفة غالبة) . وكل (صفة) بابها في الجمع (التكسير) ُعدل بها عن بابها كلما آلت إلى (الصفة الغالبة) ، فجمعت جمع الأسماء .

فمن الأول ما كان على (فاعل) صفة لمذكر عاقل . فقد نص العلماء على تصحيحه غالباً ، ومنع تكسيره على (فواعل) خاصة ، لأن هذا هو جمع (فاعل) اسماً أو صفة إذا كان لمؤنث عاقل أو مذكر غير عاقل ؛ أو جمع (فاعلة) اسماً وصفة . فإذا فارق (الوصفية) إلى (الصفة الغالبة) صح تكسيره . ومن الأول أيضاً : كل صفة من اسم فاعل أو مفعول بدىء بالميم ، أو صفة مشبهة عدا ما استثني منها ، فإذا عدل بها عن أصلها فضارعت الأسماء ، كسرت تكسيرها .

ومن الثاني : ما كان صفة على (فعلاء أفعل) ، فإن بابه (التكسير)،

فإذا أنزل منزلة الأسماء صحح كما صححت الأسماء من (فعلاء) .

وقد جاء في الأشباه والنظائر الامام السيوطي (٢/١٥٧) فيما كان جمعه على التصحيح من الصفات : (قال في البسيط : كل صفة كثر ذكر موصوفها ضعف تكسيرها لقوة شبهها بالفعل) . ذلك أنه لما كثر استعمال الصفة مع موصوفها فقد جرت على أصلها واستحقت أن تجمع جمع تصحيح ، كما هو شأن الصفات غالباً . وقال (وكل صفة كثر استعمالها من غير موصوفها قوي تكسيرها لالتحاقها بالأسماء : كعبد وشيخ وكهل وضيف) . ذلك أنه لما كثر مجيء الصفة دون موصوفها فقد فارقت أصلها فضارعت الأسماء واقتضت التكسير ، كما هو شأن الأسماء عامة .

وقال الرضي في شرح الشافية (٢/١١٦) : (إعلم أن الأصل في الصفات أن لا تكسر لمشابهتها الأفعال وعملها عملها ، فيُلحق للجمع بأواخرها ما يلحق بأواخر الفعل ، وهو الواو والنون ، فيتبعه الألف والتاء لأنه فرعه) . وإذا كان الرضي قد قال هذا في صدد الكلام على الصفات الثلاثية ، فقد جاء الحكم به عاماً ، في كل ما كان بابه التصحيح . وقد حدده الرضي فقال (٢/١٨١) : (والوصف الذي يجمع بالواو والنون : اسم الفاعل والمفعول وابنية المبالغة إلا ما استثني ، والصفة المشبّهة) .

ولنبدأ بـ (فاعل) . قال الرضي في شرح الشافية حول جمع (فاعل) صفة لمذكر عاقل ، إذا انتقل من الصفة إلى الاسم : (وإذا انتقل فاعل من الصفة إلى الاسم كراكب الذي هو مختص براكب البعير ، وفارس الذي هو مختص براكب الفرس ، وراع المختص برعي نوع مخصوص ، ليست كما ترى على طريق الفعل من العموم ، فإنه يجمع في الغالب على

فُعلان) . وقال سيبويه في الكتاب (٢٠٦/٢) : (كما قالوا في الصفة التي ضارعت الاسم ، وهي اليه أقرب من الصفة الى الاسم ، وذلك راع ورعيان وشاب وشبان) . وجمع (فُعلان) هذا في الأصل للأسماء دون الصفات كما جاء في الهمع (١٧٨/٢) .

وقال ابن يعيش في شرح المفصل للزمخشري (٥٤/٥) : (الباب في فاعل إذا كان وصفاً نحو كاتب وضارب أن يجمع بالواو والنون ، وقد يكسر بحكم الاسمية ، فإذا كسّر المذكر فيه كان على فُعّل ، قالوا شاهد وشُهّد . . وعلى فُعّال ، قالوا : شُهّاد وجُهّال ورُكّاب وذلك كثير) .

وجاء في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (١٠٣) حول قول بشّامة النهشلي :

إن تُبتدر غايةٌ يوماً لمكرمة تلق السوابق منّا والمصلّينـــا

(يقول إن تستبق نهاية مجد أو غاية مكرمة ترَ السابقين منا والتالين أيضاً منا ، وإنما قال المصلين ولم يقل المصليات مع السوابق ، لأن قصده إلى الآدميين ، وإن كان استعارهما من صفات الخيل) . وأردف : (ويجوز أن يكون أخرج السوابق لانقطاعه عن الموصوف في أكثر الأحوال ، ولنيابته عن المجلين ، وهو اسم الأول منها ، إلى باب الأسماء فجمَعه على السوابق ، كما يقال : كاهل وكواهل ، وغارب وغوارب) . فـ (سابق) إذا كان وصفاً لمذكر عاقل ، جمع جمع تصحيح ما دام جارياً على فعله . فإذا أفرد عن موصوفه فشابه الأسماء كُسِّر تكسيرها كما رأيت في جمع كاهل على كواهل ، وغارب على غوارب . وقال البغدادي في خزانته

حول جمع (فارس) على (فوارس) : (١/٢٠٦) ، (فقالوا إنه من الصفات التي استعملت استعمال الأسماء فقرب بذلك منها ، ولأنه لا لبس فيه كما ذكر سيبويه من أن الفارس في كلامهم لا يقع إلا الرجال) .أي أن له موصوفاً معيناً لا يذكر قبله . وغريب على هـذا أن يطلق الاستاذ محمد العدناني في معجمه (الأخطاء الشائعة) جمع (فاعل) إذا كان وصفاً لمذكر عاقل ، على (فواعل) ، دون شرط من مضارعة الاسم . كما أطلقه الأستاذ عباس حسن عضو مجمع اللغة العربية بالقـاهرة في سفره (النحو الوافي – ٤/٤٥٦) ، فقال : (والحق أن صيغة فاعل تجمـع قياساً على فواعل سواء أكان صفة للمذكر العاقل أم غير العاقل . غير أن مراعاة الشرط أفضل) ، وكان قد نحا هذا النحو ، الأستاذ علي السباعي في مجلة الأزهر (الصادرة في حزيران ١٩٦٨) . وحجتهم جميعاً ، ماجاء من ذلك سماعاً ، وقد بلغ الثلاثين أو جاوزها . أقول لا مساغ البتة لإباحة جمع (فاعل) على (فواعل) إذا كان وصفاً لمذكر عاقل . ولا عبرة بما جاء منه على هذا النحو ولو فاق الثلاثين . إذ لا مندوحة عن تعرف حال الصفة ، فاذا جرت على الفعل فلا بد من تصحيحها ، كقولك (هؤلاء ذائعو الصيت) و (مانعو الزكاة) . وإلا فهل تقول في هذا : (هؤلاء ذوائع الصيت) و (موانع الزكاة) ؟ ، وقد جاء في التنزيل : (التائبون العابدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين – التوبة/١١٣) . أفيصح أن نقول في معناها (التوائب العوابد السوائح الرواكع السواجد الأوامر ..) ؟

وأعجب من ذلك وأذهب في الغرابة إطلاق مجمع القاهرة في دورته

الـ (٣٦) جمع مفعول على مفاعيل ، دون تفريق بين صفة جارية على فعلها ، وأخرى مضارعة للاسم . فإذا صحّ هذا قلت : (حوادث مشاهيد ، وأيام معاديد ، وأشياء مواضيع ، في معنى قولك (حوادث مشهودة أو مشهودات ، وأيام معدودة أو معدودات ، وأشياء موضوعة أو موضوعات) وكان لك أن تقول في معنى الآيات (إنا لمردودون – النازعات / ١٠) و (إنهم لهم المنصورون – الصافّات / ١٧٢) و (الحج أشهر معلومات – البقرة / ١٩٧) و (أكواب موضوعة – الغاشية / ١٤) : (إنا لمراديد) و (إنهم لهم المناصير) و (الحج أشهر معاليم) و (أكواب مواضيع) . بل لو صح ما نزعوا إليه لجاز لك أن تقول : (هؤلاء مساريرِ أو مآسير أو مشاكير أو مآجير ..) جمع مسرور ومأسور ومشكور ومأجور ..

وسنعقد في ذلك فصلاً برأسه نكشف فيه عن أن كثيراً مما قيل بشذوذه في هـــذا الباب ، إنما كان جمعه لسبب اقتضاه حاله من حيث مضارعته للاسم ، وعدم جريانه على الفعل .

* * *

هذا فيما جمع من الصفات جمع تصحيح . أمّا ما كان بابه التكسير في الأصل كـ (فعلاء أفعل) فإنه إذا كان صفة غالبة جمع جمع تصحيح شأن الأسماء من فعلاء . فـ (النكباء) الصفة ، على تقدير موصوف ، مؤنث (الأنكب) ، تجمع على (النكب) كحمراء وحمر . أما (النكباء) الصفة الغالبة فتجمع على (النكباوات) كصحراء وصحراوات . قال المرزوقي (٨٠٦) : (وإذا كثرت النكباوات واشتد هبوبها شمل القحط) .

وربما سميت (النكيباء) على التصغير . قال صاحب الأساس : (والنكيباء التي تهب بين الصبا والشمال خاصة) . ولكن هل تجمع (النكباء) صفة غالبة ، على (النكب) كما تجمع الصفات ؟

أقول إن (الصفة الغالبة) من فعلاء إذا ضارعت الاسم بافرادها عن موصوفها واستغنائها عنه ، فإنها تجمع جمع الأسماء كما مر . على أن لها حالين في احتمال جمعها جمع الصفات . الأولى : أن تخرج بخصوصها عن معنى الصفة التي بنيت عليها فلا تغني هذه الصفة مغناها بأي وجه . الثانية : أن يبقى بها ، على خصوص دلالتها معنى الصفة المذكورة . فإن كانت الأولى امتنع فيها جمع الصفات أو ضعف ، وإذا كانت الثانية صح ذلك فيها أو قوي .

فـ (النكباء) الصفة الغالبة مؤداها (الريح الناكبة) على كل حال ، فلا يزال بها ، على هذا ، معنى الصفة المشبهة التي بنيت عليها . لذلك صح فيها جمع الصفات أيضاً . قال الجوهري : (والنكب في الرياح أربع : فنكباء الصبا والجنوب تسمى الأزْيب ، ونكباء الصبا والشمال تسمى الصابية ، وتسمى النكباء النكيباء) . فجَمَع (النكباء) الصفة الغالبة على (نُكب) وأوردها في قوله مورد الصفة ، وقال (لأن العرب تناوح بين هذه النكْب ..) ، كما جمعها المرزوقي على (نكباوات) .

ومما جاء على (فعلاء) صفة غالبة (الخضراء) . وقد اكتسبت دلالة خاصة نأتْ بها عن معنى الصفة التي بنيت عليها ، فجمعت جمع الأسماء على (الخضراوات) وامتنع فيها جمع الصفات على (الخضر) . فـ (الخضراء) في الأصل صفة للبقلة ، لكنها استغنت عن موصوفها هذا وأنزلت منزلة أسماء الجنس ، فقيل (ليس في الخضراوات صدقة) أي

في البقول . قال الرضي في شرح الشافية (٢/١٧٢) : وقوله – أي قول ابن الحاجب وهو المؤلف – وجاء الخضراوات لغلبته اسماً : غلب الخضراوات في النباتات التي تؤكل رطبة) .. وقال صاحب المصباح (ويقال للخضر من البقول : خضراء ، من قولهم : ليس في الخضراوات صدقة ، هي جمع خضراء ، مثل حمراء وصفراء . وقياسها أن يقال الخضر ، كما يقال الحمر والصفر ، لكنه غلب عليه جانب الاسمية) . فـ (الخضراء) الصفة تدل على اللون ، وتجمع على (الخضر) . و (الخضراء) الصفة الغالبة تدل على البقلة دون النظر إلى اللون ، وتجمع على (الخضراوات) . قال ابن الأثير في النهاية : (تقول العرب لهذه البقول : الخضراء ، لا تريد لونها) وجاء في (الفروق) لاسماعيل الحقي : (فالخضراء هنا ليست صفة ، بل اسم جنس ، وفعلاء في الأجناس تجمع بالألف والتاء) . ونحو من ذلك في شرح الدرّة للخفاجي ، وشرح الكافية للرضي (٢/١٨٧) .

و (الدكاء) في الأصل صفة (للأرض) إذا انبسطت . لكنها افردت عن موصوفها ، ونأت عن معنى الصفة وعُدّت اسماً (للرابية) فجمعت على (الدكاوات) جمع الأسماء . ولم تجمع على (الدكّ) جمع الصفات . قال ابن منظور : (والدكاء الرابية من الطين ليست بالغليظة ، والجمع : دكاوات ، أجري مجرى الأسماء لغلبته ، كقولهم : ليس في الخضراوات صدقة) . وقال ابن سيده في مخصصه (١٦/٤٤) : (فعلاء صفة غالبة غلبة الاسم .. والدكاء رابية من طين ليست بالغليظة ، والجمع دكاوات) . فإذا قيل (الدُّك) جمعاً (للدكاء) الصفة ، لم يغن مغنى (الدكاوات) الصفة الغالبة ، بأي وجه .

وقد اشتهر (الصحراء) اسماً ، وهو في الأصل صفة أفردت عن موصوفها ، وتميزت من (الصفة) بدلالة خاصة ، فأوغلت في الاسمية وجمعت جمع الأسماء دون جمع الصفات . قال صاحب اللسان :(ولايجمع على صُحْر لأنه ليس بنعت) لكنه أردف (قال ابن سيده والجمع صحراوات وصحار ، ولا يكسَّر على فُعْل ، لأنه وإن كان صفة فقد غلب عليه الاسم ..) . قال الرضي في شرح الشافية (٢/١٦٧) : (وأرى أن صحراء في الأصل فعلاء أفعل ، كان أصله أرض صحراء ، إي أولها صُحرة ، كما تقول : حمار أصحر وأتان صحراء ، فتوغل في الاسمية فلم يجمع على فُعل) . ولا تؤدي الصُحر (جمع الصحراء وهو الصفة من صَحِر إذا اغبّر في حمرة ، فهو أصحر وهي صحراء ، واللون : الصُحرة) مؤدّى (الصحراوات) جمع الصفة الغالبة الموغلة في الاسمية ، ولا تغني مغناها ألبتة ، وقد أطلقت على البراري .

* * *

وقد جاءت صفات غالبة ، على صيغة اسم الفاعل والمفعول كـ (المخزية والمصيبة والمطيحة والمرسلة والمعقّبة ، بالتشديد ، والمدينة) . وهي تضارع ما جاء من الصفات الغالبة على صيغة (فعلاء) الصفة المشبهة ، لكنها أعلق بالفعل وألصق بجمع التصحيح . لذلك فإنه إذا صح فيها التكسير الذي يختص بالأسماء غالباً ، حين يراد بها الاسم ، والتصحيح الذي يغلب على الصفات ، كلما وجد بها معنى الصفة التي بنيت عليها ، فإنه يؤثر فيها هذا الجمع إذا أريد التنبيه بصيغة التصحيح على هذا المعنى ، وقد تقصر عليه إذا لم يُردْ بها غير ذلك ، أو خيف اللبس .

ف (المخزية) صفة غالبة لا يزال بها معنى الصفة التي جرت عليها . وأصلها صفة (للفعلة أو الخصلة) . وهي اسم فاعل من (أخزى) . لكنها أنزلت منزلة الأسماء . قال المرزوقي (٢٤٣) : (والحميَّة التي حدَّثتها باقيةٌ في أنوفنا حتى لا نشتم بها مرغمة ، وفي أعناقنا ورؤوسنا حتى لا نلويها إلى مخزية ومنقصة) . وقال صاحب المصباح : (والمخزية على صيغة اسم الفاعل من أخزى : الخصلة القبيحة ، والجمع المخزيات والمخازي) . وقد جمعت (المخزية) على (المخازي) الذي يختص بالأسماء حين أريد بها الاسم كالمنقصة ، وهو جمع المخزاة أيضاً ، وعلى (المخزيات) الذي يغلب على الصفات حين قصد بها معناها . وأنت تؤثر بها هذا الجمع كلما أردت بها معنى الصفة .

ونظير هذا (المصيبة) من (أصاب) . فقد جمعوه على (مُصيبات) تصحيحاً ، وعلى (مصاوب ومصايب ومصائب) تكسيراً ، لاحتمالها معنى الصفة والاسم . وقد بسطوا القول في شذوذ همزة (المصائب) وفصلوه تفصيلًا . لكن أحداً لم يأب تكسيرها أو يستبدع العدول عن تصحيحها . ذلك أنه قد آلت من (الوصف) إلى (الاسم) أو الصفة الغالبة فعوملت معاملة الأسماء في التكسير ، واستمر بها معنى الصفة التي بنيت عليها فصح فيها جمع الصفات . ففي المصباح : (والمصيبة الشدة النازلة ، وجمعه المشهور مصائب ، قالوا والأصل مصاوب . وقال الأصمعي قد جمعت على لفظها بالألف والتاء فقيل : المصيبات) .

وهكذا (المطيحة) . قال الشاعر :

ليُبكَ يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تُطيح الطوائح

قال البغدادي في خزانته (٣٠٧/١) : (يقال أطاحته الطوائح وطوّحته . فقياس الجمع أن يكون المطيحات والمطاوح) . وقال المرزوقي في شرح الحماسة (١٥٥٨) : (وكذلك الطوائح قياسه أن يكون إذا عدل عن الجمع بالتاء : مطاوح) . فما الذي أساغ جمع (المطيحة) على (المطاوح) تكسيراً ، وبابه في الصفة التصحيح ؟ أقول الذي صوّب هذا هو استعماله وصفاً مفرداً عن موصوفه وإجراؤه مجرى الأسماء . وقد استمر به معنى الصفة التي بني عليها فصح فيه جمع الصفات . قال الزمخشري في الأساس (وأطاحته المطاوح . قال : ومختبط مما تطيح الطوائح ، أي المطيحات والمطاوح) . و (المطيحة) في الأصل من (أطاحه) إذا أهلكه وأذهبه . وأما (المرسلة) على صيغة اسم المفعول من (أرسل) إذا أطلق ، فقد أنزلت منزلة الأسماء حين قصد بها الاسم لأن معناها (القلادة) فجمعت على (مراسل) . ففي القاموس (المُرْسَلة كمكرمة قلادة طويلة تقع على الصدر ، أو القلادة فيها الخرز وغيرها) . وقال الزمخشري في الأساس (وفي عنقها مرسلة ، وفي أعناقهن مراسل : قلائد) . فكأنه قد أراد أن يعلل جمع التكسير بإرادة الاسم أو انتقال الوصف إليه ، حين قال : (وفي أعناقهن مراسل : قلائد) . لكن صاحب القاموس لمح بها معنى الصفة حين قال (قلادة طويلة) . ذلك أن (المرسلة) في الأصل هي (القلادة المرسلة) أي المطلقة . فأفردت عن موصوفها المعين وهو (القلادة) فقيل (المرسلة) . فإذا أريد التنبيه بها على معنى الصفة جمعت جمع الصفات فقلت : (في أعناقهن المرسلات) أي القلائد الطويلة أو المطلقة ، التي ترسل على الصدور . تقول هذا ولو لم تجد جمعه في المعاجم

على التصحيح . لأنه قياس كما يتبين بالاستقراء . ولا يشترط فيما كان على قياس أن تنص المعاجم عليه .

وقد جاء في التنزيل (والمرسلاتِ عرفاً) . قال الزمخشري في الكشاف : (أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره ..). وجاء في التاج (والمرسلات في التنزيل : الرياح أرسلت كعرف الفرس، أو الملائكة عن ثعلب ، أو الخيل لأنها ترسل أي تطلق في الحلبة) . فالأصل في (المرسلة) هنا أنها وصف (للملائكة) أو (الرياح) أو (الخيل) ثم أفردت عن موصوفها المعين ، ولوحظ فيها معنى الفعل فجمعت على (المرسلات) أي اللواتي أرسلن ، ولو أريد بها الاسم لقيل (المراسل) . قال أبو حيان في البحر المحيط (٨/٤٠٣) : (ولما كان المقسم به موصوفات قد حذفت وأقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف في تعيين تلك الموصوفات) . أقول إن الأصل في الصفة الغالبة أن يكون لها (موصوف معين) ليمكن حذفه والاستغناء عنه ، لكنه اختلف في تحديد هذا الموصوف . وقول أبي حيان إن (المرسلات) قد حذف فيه الموصوف فأقيمت الصفة مقامه ، هو ما عرّف به العلماء (الصفة الغالبة) ، وعندي أنه يصح في (المرسلة) التصحيح والتكسير كما صح في (المعقّبة): المعقبات والمعاقب .

فقد جاء على (مفعّلة) مُعقِّبة ، وهو اسم فاعل من (عقّب) إذ جاء في عقبه ، ففي التنزيل (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله – الرعد/١١) . قال الراغب في مفرداته (أي ملائكة يتعاقبون عليه حافظين له) . وقال الزمخشري في الأساس : (هم ملائكة الليل

والنهار يتعاقبون) . على أن الآية قد قرئت (له المعاقب) جاء ذلك في البحر المحيط ، وقرئت (له معاقيب) جاء ذلك في المحتسب لابن جني (٣٥٥/١) . قال ابن جني : (ومن ذلك قراءة عُبيد الله بن زياد له معاقيب من بين يديه . قال أبو الفتح : ينبغي أن يكون هـــذا تكسير معقّب أو معقّبة ، إلا أنه لما حذف أحد القافين ، عوض منهـا الياء ، فقال : معاقيب ، كما تقول في تكسير مقدّم مقاديم ، ويجوز ألا تعوض فتقول : معاقب كمقادم) .

وقد جاءت (المعقّبات) صفة غالبة ، فأريد بها (التسبيحات والتحميدات والتكبيرات) أيضاً . وقد أريد بها معنى الصفة أي أنهـا متعاقبة . ففي النهاية لابن الأثير (وفي حديث الدعاء معقّبات لا يخيب قائلهن ثلاث وثلاثون تسبيحة ، وثلاث وثلاثون تحميدة ، وأربع وثلاثون تكبيرة ، سميت معقبات لأنها جاءت مرة بعد مرة) .

وأما (المدينة) فإذا كان قد نزع بعضهم إلى أنهـا من (مَدَن) بمعنى أقام ، فجمعوها على (مدائن) كـ (فعيلة وفعائل) فقد ذهب آخرون إلى أنهـا من (دينت) أي (مُلكت) فهي (مدينة) أي (مملوكة) . فالياء عين الفعل ، والجمع (مداين) بالياء . قال أبو الطيب في الإبدال (٣١٦/٢) : (والمدينة عند بعضهم فعيلة من مَدَن بالمكان ، إذا أقام به . سميت بذلك لأن الناس يقيمون بها . وقال آخرون إنما وزنها مفعولة من قولك : دينت أي ملكت ، فالمدينة : المملوكة ، وكل مدينة مملوكة) ، فما الذي أتاح جمع (المدينة) وأصل معناها (المملوكة) على (مداين) ؟ تكسيراً الذي جوّز هذا أنها صفة غالبة . وقد نأت بدلالتها

التي خُصت بها عن معنى الصفة التي بنيت عليها فضعف فيها جمع السلامة .

وقد قالوا (المبشرات) بالتشديد ، وهي الرياح التي تأتي بالسحاب فتبشر بالغيث . وقد أريد بها معنى الصفة خاصة فجمعت جمع السلامة . ففي فقه اللغة وسر العربية للثعالبي : (المبشّرات التي تأتي بالسحاب والغيث ، والسوافي التي تسفي التراب) . وهكذا (المُعصرات) فإنها صفة غالبة أريد بها الرياح أو السحائب التي تحمل الأمطار . ففي التنزيل (وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجّاجاً ـ النبأ/١٤) . قال الإمام البيضاوي : (السحائب إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح . كقولك : أحصد الزرع إذا حان له أن يُحصد .. أو من الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب) . وفي البحر المحيط : (.. وجاء هنا من أعصر ، أي دخلت في حين العصر فحان لها أن تُعصر ، فعلٌ للدخول في الشيء) . وقد حُرص على جمع السلامة في هذا لارادة معنى الوصف وخوف اللبس ، كما جمع المُعجزة على المعجزات نصاً ، على ما جاء في اللسان والتاج ، ولم يسمع بها التكسير .

* * *

وإذا عرف هذا ، فما القول في (مشكل ومشكلة) وما الحكم في جمعها ؟.

أقول قد استعمل علماء الأصول (المُشكل والمُجمل) وغيرهما ، وقد جمعت جمع تصحيح . فقد جاء في الأصول لابن ملك : (وأما المشكل فهو الداخل في أشكاله) ، فقال صاحب المنار : (أي الكلام الذي دخل المراد منه في أشكاله بفتح الهمزة ، أي أمثاله . وحذف المصنف الكلام هنا وفي سائر أقسام البيان عدا الظاهر اختصاراً لدلالة القرينة عليه .) . فدل كلام الإمام أبي البركات النسفي صاحب المنار أن

(المشكل) ، هنا صفة (للكلام) ، وقد يكون في موضع آخر وصفاً المعنى أو الأمر ، وأنه من (أشكل) فإذا كان موصوفه قد حذف فهو مقدر دلّت عليه القرينة . وما كان هذا شأنه فهو وصف جارٍ على فعله لا صفة غالبة مفردة عن موصوفها . وعلى هذا جاء جمعه جمع تصحيح على (المشكلات) ولاوجه له غير هذا .

على أن المتأخرين قد استعملوا (المُشكلة) في شأن آخر فقد عنوا به (كل ما التبس أو أعضل فاستوجب أن يبحث وجهـــه ويكشف حاله ويعالـج شأنه أو ييسر أمره) فهو على هذا اسم لما لا يُدرك حاله إلا بالتأمل والدراسة والطلب . وكأنه في الأصل وصف (للمسألة) أو (القضية) ثم استغني به عن هذا الموصوف المبين فأجري مجرى الأسماء . فهو لا يقتضي متبوعاً يذكر قبله أو يقدّر . وما دام أمره كذلك فهو صفة غالبة تكسّر إذا أريد بها الاسم ، على (المشاكل) ، وتصحح لما بقي بها من معنى الصفة ، على (المشكلات) .

* * *

وما القول في (مهم ومهمة) بضم الميم فيها ، أيصححان أم يكسّران ؟

(المهم والمهمة) صفتان استعملتـا في الأمر الشديد الحزن ، وفي الأمر الشاغل العاني إذا وجب إنفـاذه ، وانقطعتا عن موصوفيها فجرتا مجرى الأسماء . قال تأبّط شرّاً :

قليل التشكي للمهمّ يُصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك

قال أبو علي المرزوقي في شرح الحماسة (٩٤) : (المهم يجوز أن يكون من الهمّ الذي هو الحزن ويجوز أن يكون من الهمّ أو القصد . ويقول هو صبور على النوائب والعلات ولا يكاد يتألم مما يعزوه من المهمات) .

فغلّب أن يكون (المهم) في البيت : الأمر الشديد الحزن . ونظير هذا قوله (٤٧٦) : (كأنها كانت تكرر الرجاء وتجدده مع كل حادثة ومهمة) . وقول الزمخشري في الأساس : (ونزل بهم مُهِمّ ومُهِمّات) .

ومما جاء بمعنى الأمر المطلوب الشاغل ، قول المرزوقي (٤٦٧) : (وكثير من الناس يظن منا تباطؤاً في المهمات وتثاقلاً) وقوله (ودوام صبره على جميع ما يكلفه من المهمات الشاقة على كرام الناس) . وقوله : (والعتد بفتح العين وكسرها الفرس المعدّ للمهمات من الطلب والهرب وغيرها) . وقول أبي حيان التوحيدي في كتابه أخلاق الوزيرين(١٢٧) : (وقد وردا في مهمات وحوائج) . وقول الزمخشري في الأساس :(وفلان حلاّل للعقد كاف للمهمات) . وما جاء في الأشباه والنظائر (٤/٢٢٦) : (مهمة من مهمات شيخنا الكافيجي) . فجمعُ (المهمة والمهم) على (المهمات) واضح . فهما صفتان غالبتان جاءتا على صيغة اسم الفاعل ، ولا تزال بهما معنى الصفة . أما جمعها على (المهام) كما جرت به أقلام الكتاب وطاعت ألسنتهم ، فوجهه أنهما أنزلتا منزلة الاسم وأريد بهما الاسمية ، وهو قياس .

* * *

هذا وما اختتم بـ (التاء) من الصفات الغالبة ، قد تكون (تاؤه) للتأنيث لأنه في الأصل صفة لموصوف مؤنث ، وقد تكون للنقل من الوصف إلى الاسم أيضاً . فقد جاء في (الفروق) لاسماعيل الحقي (٤٦) : (اعلم أن التاء من مثل الخليقة والحقيقة على وجهين : إما للنقل من الوصفية إلى الاسمية . وإما للتأنيث بتقدير موصوف مؤنث . ومعنى كون التاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية أن اللفظ إذا كان في الأصل وصفاً ثم غلب عليه الاستعمال

حتى صار بنفسه اسماً ، كانت اسميته فرعاً لوصفيته) . وقال المرزوقي (٢٥) : (ولقيطة ألحق بها الهاء وإن كان فعيلاً بمعنى مفعولة لأنه أفرد عن الموصوف به وجعل اسماً) . قال الرضي في شرح الكافية (١٦٤/٢): (الثالث عشر : دخولها إمارة للنقل من الوصفية إلى الاسمية ، لكون الوصف غالباً غير محتاج إلى الموصوف كالنطيحة والذبيحة) .

وما الحكم أخيراً في جمع (المعجم) ، هل يصح فيه (المعاجم) و (المعجمات) ؟.

أصل قولك (المعجم) هو (حروف المعجم) . وقد جعلوا لهذا تأويلين :

الأول أن تقديره (حروف الخط المعجم) : قال أبو محمد الخفاجي في كتابه (سر الفصاحة /١٧) : (بل يجوز أن يكون التقدير حروف الخط المعجم ، لأن الخط العربي فيه أشكال متفقة لحروف مختلفة ، وأعجم بعضها — أي نقط — دون بعض ليزول اللبس) . ثم قال : (فإذا قيل أعجمت الكتاب فمعناه أزلت إبهامه كما يقال : أشكيته إذا أزلت مايشكوه). وقد سدده أحمد بن فارس في مقاييسه .

والتأويل الثاني ما قاله أبو العباس المبرد ومؤدّاه أن (حروف المعجم) يعني (حروف الإعجام) . فالمُعجم هنا مصدر ميمي . تقول أعجمته مُعجماً أي إعجاماً ، كما تقول : أدخلته مُدخلاً أي إدخالاً . وقد تبعه كثيرون ، منهم ابن جني كما جاء في سر الصناعة (٣٨/١) .

أما التأويل الأول فـ (المعجم) فيه صفة فارقت موصوفها فغدت صفة غالبة . وجمع الصفة الغالبة هنا هو جمع الاسم ما دام قد أريد بها

الاسم . لذلك كان جمع (المعجم) على هذا التأويل (المعاجم) . ويؤيد هذا ما جاء في المقال الذي عقده الدكتور ناصر الدين الأسد عضو المجمع القاهري يومئذ حول (معاجم ومعجمات) ، في مجلة المجمع القاهري (٢٥/ ٨١) . فقد ذكر الدكتور الأسد أن الأستاذ محمود محمد شاكر قد أنبأه أنه عثر في ديوان القطامي على بيت هو :

وناديْنا الرسوم وهنّ صمٌّ ومنطقها المعاجم والسطـار

وقد جاء في شرح البيت (المعاجم كتب معجمة إجابتها إيانا أن أرتنا علاماتها كأنها سطار كتب أي منطقها السطار والآثار ، وكل ذلك لا يجيب) .

فـ (المعاجم) في البيت (الكتب المعجمة) من أعجم خلاف أعرب . فما بالها قد جمعت على (المعاجم) . الجواب أنها صفة غالبة جمعت جمع الأسماء ، حين أريد بها الاسم .

ورب سائل يقول : أوّلا يجوز في (المعجمة) وهي الصفة الغالبة المبنية على (الكتب المعجمة) أن تجمع على (معجمات) كما جمعت على (معاجم) . أقول يجوز هذا لأن اختصاص الصفة الغالبة بموصوف معين وهو (الكتب) إذا كان قد عدل بها عن معنى الصفة فإنه لم يُعرّها منه .

ولكن هل يجوز جمع السلامة فيما نريده بلفظ (المعجم) ؟

أقول يضعف هذا . ذلك أن ما يُراد من دلالة (المعجم) لم يُبْنَ على معنى قولك (كتاب الخط المعجم) أو (الكتاب المعجم) أي الذي أعجمت حروفه فأزيل اللبس منها ، وإلا كان كل كتاب (معجماً) .

فالحق أن الذي أريد بـ (المعجم) : الكتاب الذي جاء ترتيبه على حروف المعجم ، كما ذهب إليه الدكتور الأسد . فهو على هـذا اسم ، أو صفة غالبة أوغلت في الاسمية حين اختصّت بدلالة معينة وتراخت نسبتها إلى مابنيت عليه ، فضعف جمعها على (معجمات) .

وإذا أخذنا بالتأويل الثاني في اعتداد (حروف المعجم) بمعنى (حروف الإعجام) ، كان (المعجم) مصدراً ميمياً سُمّي بـه الكتاب الذي جاء ترتيب مضمونه على هذه الحروف . وقياس جمع المصدر الميمي إذا سُمّي به ، التكسير على (مفاعل) . ولا عبرة بقول من قال : المصدر لا يجمع .

قال الدكتور الأسد : (وربما كانت هذه الأمور الثلاثة : ١ — أن معاجم لم ترد في كلام العرب ٢ — أن المعجم مصدر والمصـدر لا يجمع ٣ — أن المعجم صفة والصفات من أسماء الفاعل والمفعول وأولها ميم تجمع جمعاً سالماً لا جمع تكسير ، هي التي حملت هذا النفر من علمائنا المعاصرين على التوقف والتشكك ، ثم رأوا النجاة والأمان في جمع المؤنث السالم فقالوا : معجمات) .

أقول : أما قولهم إن (المعاجم) لم يرد في كلام العرب فجوابه أنه ليس يلزم في كل ما مسّت الحاجة إلى جمعه أن يكون العرب قد جمعته ، وكيف تجمعه ولم تنزله المنزلة التي أنزلناها أو توردْه المورد الذي أوردناه . وقد مرّ أنهم قالوا (المعاجم) وأرادوا به (الكتب المعجمة) ، بل جمعوا كثيراً من أمثاله حين كسّروا ما حـاله الصفة الغالبة ، وأصله الوصف الجاري على فعله .

وأما قولهم (المعجم) صفة والصفات من أسمـاء الفاعل والمفعول

وأولها ميم يجمع جمعاً سالماً لا جمع تكسير ، فجوابه أن هذا إنما يصدق على ما جرى على فعله من الصفات لا على كل صفة . فانظر إلى قول الرضي في الشافية (٢ / ١٨٠) : (كل ما جرى على الفعل من اسمي الفاعل والمفعول وأوله ميم فبابه التصحيح لمشابهته الفعل لفظاً ومعنى) . وإلا فكيف جمعوا (المخزية والمصيبة والمدينة والمعقبة والمطيحة والمرسلة والمعجمة) على (المخازي والمصائب والمداين والمعاقب والمطاوح والمراسل والمعاجم) ؟ بل قالوا إنه قياس . ففي خزانة الأدب للبغدادي (٣٠٧/١) : (فقياس الجمع أن يكون المطيحات والمطاوح) . وقال الزمخشري في الأساس : (أي المطيحات والمطاوح) .

وقال ابن جني في قراءة عُبيد الله بن زياد (له معاقيب من بين يديه) : (ينبغي أن يكون هذا تكسير معقب أو معقبة .. ويجوز أن لا تعوّض فتقول : معاقب ..) . وكيف يكون (المعجم) صفة جارية على فعلها ، وهو الكتاب الذي نسقت مادته على حروف المعجم ؟

وأما قولهم (المعجم) مصدر ، والمصدر لا يجمع ، فالجواب عنه أن (المعجم) ليس مصدراً ، وإنما عدل به عن المصدر إلى الاسم . والمصدر الذي لا يجمع هو المصدر الذي يصدق عليه تعريفه وحدّه ، حين يقولون : هو الحدث المستغرق لجنسه ، فجمعك (العقل) مثلاً على (العقول) ليس جمعاً للمصدر وإنما هو جمع للاسم الذي آل المصدر إليه، وجمعك (اللب) على (الألباب) جمع للاسم الذي عُدل بالمصدر إليه أيضاً . وقل مثل ذلك فيما لا يعد ولا يُحصى مما جمعه العرب والأئمة فتحولوا به من المصدر إلى الاسم . وقد عرضنا لذلك في كتابنا (أخطاؤنا في

الصحف والدواوين) المطبوع عام ١٩٣٩ ، وسنعقد عليه فصلاً نكشف به عن حال المصدر وجمعه وشرطه .

هذا وقد أورد الدكتور الأسد (المُهرَق والمُصحَف والموسى والمُطرف والمجسَد والمسنَد والمصعَب والمذهَب والمرسلة) ، وقال : (ولم نجد نصاً فيما اطلعنا عليه من كتب اللغة بجمع هذه الألفاظ التي أوردناها جمعاً سالماً . فلم نسمع مُسندات جمعاً لمسند) !.

أقول من هذه الألفاظ ما هو اسم وبابه التكسير فكيف يجمع جمع السلامة ؟

قال الجوهري في صحاحه (المُهرَق الصحيفة فارسي معرّب والجمع المهارق) وقد قيل للصحراء (مُهرَق) تشبيهاً بالصحيفة كما أورده اللسان .

وكذا (المُصحف) وقد اعتد في الأسماء فبابه التكسير . قال الزمخشري في المفصّل (ما جاء مضموم الميم والعين من نحو المسعط والمنخل.. فقد قال سيبويه لم يُذهب بهـا مذهب الفعل ولكن جعلت اسماً لهذه الأوعية ..) . قال ابن يعيش في شرحه (.. ومنه المُصحَف من لفظ الصحيفة تقول أصحفته فهو مُصحَف أي جعلته صحيفة . وربما كسروا أوّله . قالوا مِصحف يشبهونه بالآلة) .

ونظيره (المُوسَى) فقد ذهب جماعة إلى أنه (مُفعَل) من أوسيت رأسه إذا حلقته ، كما جاء في المصباح والنوادر لأبي مسحل الاعرابي(٨٥) ذكروا هذا ليدلوا على أصله ، كما فعلوا في المصحف . وهو لو استمر على هذا الأصل لكان معناه (ما أوسي) أي حُلق ، على المفعول . لكنه استعمل لما (يوسى به) أي يحلق به ، فاعتدّ اسماً .

وقد ذكر سيبويه ما جاء على (مُفعَل) من الأسماء ، فقال في الكتاب (٢/٣٧٨) : (ويكون على مُفعَل ـ أي الاسم ـ نحو مصحف ومخدع وموسى ..) فدلّ هذا على أن (المُصحَف والموسى) قد اعتدا في الأسماء .

و (المُطرَف) واحد المطارف وهي أردية من خزلها أعلام . وقد دلّ صاحب المصباح على أصله فقال : (وأطرفته إطرافاً جعلت في طرفيه علمين فهو مُطرَف) لكنه أردف كلاماً يشير به إلى أنه انتقل من الوصف إلى الاسم فقال : (وربما جُعل اسماً برأسه غير جار على فعله ، وكسرت الميم تشبيهاً بالآلة والجمع مطارف) . ولو كان على شيء من الوصف ، لما ساغ أن يكسر أوّله .

أما (المُجسَد) ، فمنهم من فرّق فيه بين مكسور الميم فجعله (للثوب الذي يلي الجسد) ، ومضمومه فخصّه بـ (الثوب المشبع من الصبغ) من قولك (أجسد ثوب فلان إجساداً فهو مُجسَد) . ولكن من الأئمة من اعتدّ الأصل واحداً . ففي اللسان (المِجسد والمُجسد واحد ، أصله الضم لأنه من أجسد أي ألزق بالجسد ، إلا أنهم استثقلوا الضم فكسروا الميم ، كما قالوا للمُطرف مِطرف والمُصحف مِصحف) . فدلّ هذا على أنهم تصرّفوا في (المُجسَد) بالضم فأخرجوه من الوصف إلى الاسم وأجازوا فيه الكسر . قال الزمخشري في الأساس : (ولبسَ الجاسدَ وهي الشُعر جمع مِجسد ومُجسَد) . ويؤيد هذا ما جاء في اللسان (قال أبو زيد : تميم تقول المِغزل والمطرف ... والمِجسد ، وقيس تقول : المُغزل والمُطرف .. والمُجسد) .

وأما (المُسنَد) فقد جُعل (للحديث الذي اتصل إسناده إلى رسول

الله ﷺ ، كما جاء في كتب الحديث . وقد جاء في التعريفات للجرجاني (١٤٤) : (المُسند من الحديث خلاف المرسل وهو الذي اتصل إسناده إلى الرسول ﷺ) . وقد جمع على (مساند ومسانيد) ، ففي التـاج (المُسند كمكرم .. جمعه مساند على القياس ومسانيد بزيادة التحتية إشباعاً). أقول قد جمع (المُسند) جمع تكسير لأنه انتقل من الوصف إلى الاسم ، وهو فيه قياس حين يراد به الاسمية ، كما اشتهر به ، لخصوصه . ولكن قد بقي فيه معنى الصفة لأنه (الحديث المسند) فليس شيء يمنع أن يجمع جمع الصفات على(المُسندات) ولوشاع فيه التكسير ، إذا أوردته موردها، كأن تقول (المسندات من الأحاديث) . وخلاف (المُسند) : (المُرسل) كما قال الجرجاني : فالمرسل من الحديث ما لم يتصل إسناده إلى الرسول الأعظم بل إلى التابعي . ويسند التابعي إلى الرسول فلايذكر من رواه عنه . وقد جمع (المرسل) على(المواسل والمراسيل) لكنه جمع على (المرسلات) حين اوقع موقع الصفة . فقد جاء في المتن (والمرسلات من الأحاديث التي تصل باسنادها إلى التابعي ، ويقول التابعي قال رسول الله ولا يذكر الصاحب الذي تلقاها عنه) . وإنما حدد المراد بـ(المسندات) و(المرسلات) بذكر (الأحاديث) لعموم معنى الوصف وشموله .

أما (المصعب) على صيغة اسم المفعول فله وجهان : صفة جارية على فعلها ، وصفة غالبة . ومثال الأول ما جاء في الصحـاح (وأصعبت الجملَ فهو مصعب إذا تركته فلم تركبه .. حتى صار صعباً) .

وما جاء في اللسان (وجمل مُصعب إذا لم يكن منوّقاً وكان محرّم الظهر) . ويسمّى صاحب الجمل هذا : (مُصعِباً) بالكسر . ففي النهاية (في حديث خيبر من كان مُصعِباً فليرجع ، أي من كان بعيره صعباً غير منقاد ولا ذلول) . وقياس جمع ما كان صفة جارية على فعلها : التصحيح .

ومثال الثاني – أي الصفة الغالبة – ما جاء في الصحاح (والمصعَب الفحل ، وبه سمي الرجل مصعباً) . وفي فقه اللغة للثعالبي (إذا كان الفحل يودع ويُعفى من الركوب والعمل ويقتصر على الفِحلة فهو مُصعَب). وفي التاج (والمُصعَب كمكرم ، قال ابن السكيت : الفحل الذي يُودع ويُعفى من الركوب ..) والجمع مصاعب ومصاعيب كما ذكره اللسان والتاج . وقد اقتصروا فيه على التكسير حين انفردت الصفة الغالبة من الصفة الصريحة بدلالة خاصة ، فكان ذلك فرقاً بينها . ورب معترض يقول : إذا كان (مصاعب أو مصاعيب) صفة غالبة غير جارية على فعلها فماتأويل قولهم (جمال مصاعب ومصاعيب) ؟ أقول قولهم هذا شبيه بقولك (هذه أراضٍ صحراوات) و (هؤلاء أسرى رهائن) والصحراوات والرهائن صفتان غالبتان .

ونظير (المُصعَب) الصفة الغالبة : (المُذهب) وجمعه (المذاهب) وهي جلود فيها خطوط مذهبة ، بعضها إثر بعض فكأنها متتابعة، كما جاء في شرح ديوان قيس بن الخطيم لابن السكيت ، فقولك (جلود مذهبة) على الوصف ، لا يُغني مغنى (المذاهب) بحال من الأحوال ، ومن هنا الاقتصار في الصفة الغالبة على التكسير .

وأما (الموسلة) فقد مرّ بنا الكلام في (جمعها) .

ويقول الدكتور الأسد : (هل نستطيع أن نضيف إلى ذلك أن الصحيح في جمع الألفاظ الأخرى التي على هذا البناء ، هو : مفاعل ، حين تجري هذه الألفاظ مجرى الأسماء فنقول في جمع – ملحق – ملاحق ، وليس ملحقات كما أصبح حديثاً يحرصُ تفترُ من محققينا ومؤلفينا على استعماله ؟) . أقول ليس الأمر مقصوراً على ما صحّ جمعه على (مفاعل)

من الصفات إذا أنزلت منزلة الأسماء وإنما الحكم جارٍ في كل صفة عُدل بها عن الوصف إلى الاسم بافرادها عن موصوفها وتميّزها بدلالة خاصة . والأمر يتعدّى في هذا جواز التكسير إلى الاقتصار عليه أو الجمع بينه وبين التصحيح . وليس التعويل في كل هذا على (المبنى) وحده ، بل على (المبنى والمعنى) جميعاً .

أما (الملحق) فإذا أطلقته على (مسمى خاص) نأى به عن الدلالة العامة كأن تعني به (ما تلحقه بالمعاهدة من شروح وشروط) ليس غير ، قلت في جمعه (الملاحق) . لأنك سميت به هذه (الشروح والشروط الملحقة بالمعاهدة) فباعدت ما بينه وبين الوصف وأنزلته منزلة الأسماء .

وإذا قصدت به كل ما يمكن إلحاقه بأصل من الأصول أو إتباعه باباً من الأبواب قلت (الملحقات) كما جمعه النحاة حين قالوا (الملحقات بلا سيما) .

بقي أن نعرض لرأي الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العراقي ، في جمع (معجم) . فقد جمع الأب أنستاس الكرملي (المعجم) على (معاجم) فأنكره الدكتور جواد . قال الأب الكرملي (أما معجم فهو وزان مصحف ومخدع ، وما كان على هذا الميزان يكسّر على مفاعل : معاجم ، كما يقال مصاحف ومخادع) .

أقول ليس الأمر على ما قال . ذلك أن صيغة الجمع لا تحدد بوزن واحده حَسْبُ ، وإنما تتعلق إلى ذلك بأصل معناه اسماً أو وصفاً أو صفة غالبة ، كما رأيت . إذ ليس كل (مُفعَل) جمعه (مفاعل) . وقال الأب : (أما أنه ورد معاجم فهو مما لا يختلف فيه اثنان قال السيد الزبيدي في كلامه على أثال : وهو ثمامة بن أثال بن النعمان .. كما هو في

المعاجم) . أقول إن جمع الزبيدي (معجماً) على (معاجم) ليس نصاً ملزماً ، لكنه باعث على البحث والتدبر واستبانة وجهه .

قال الدكتور جواد في كتابه (دراسات في النحو والصرف ..) : (أراد بالمعاجم جمع المُعجم أي المعجمات ، مع أن المعاجم جمع المَعجم على وزن المَذْهب ، وهو موضع المعجم أي العضّ للاختبار ... قال العلامة الزمخشري في أساس البلاغة : وفلان صُلب المعجم إذا عجمته الأمور ، وقال في صَدَق : وفلان صدق ، وصدق المعاجم ، فالمعاجم جمع المَعجم بالمعنى المذكور . أما المُعجم بضم الميم فالقاعدة في جمعه زيادة الألف والتاء ، فيكون : المعجمات) .

أقول أما أن (المَعجم) بالفتح اسماً ، على (معاجم) فهو صحيح . وأما أن (المُعجم) بالضم ، على (مُعجمات) كيف كان بناؤه صفة أو صفة غالبة أو اسماً ، فليس بالوجه . وإذا كان (معاجم) جمعاً لـ (مَعجم) بالفتح فليس يلزم منه ألاّ يكون جمعاً لـ (مُعجم) بالضم . فقد تعاقب على (مذاهب) : (مَذهَب) بالفتح و (مُذهَب) بالضم كما مرّ ، واتفق على (مسانّ) جمع (مِسَنّ) بالكسر ، اسم آلة من (سنّ) ، و (مُسنّ) بالضم ، صفة غالبة ، على اسم الفاعل من (أسنّ) .

هذا وقد أنكر الدكتور جواد (معاجم) جمعاً لـ (مُعجم) ، لكنه أثبت (معاجيم) بالياء جمعاً له . أقول : الأصل فيما جاز تكسيره من (مُفعَل) أن يجمع على (مفاعل) دون (مفاعيل) ، لأن هذا إنما جعل لتكسير (مفعال و مِفعيل) مما تخلله حرف مدّ . على أنه حكي

جمع (مفاعيل) في ألفاظ لم يتخللها حرف مد . فما الذي قاله العلماء فيها ؟

أجاز الكوفيون في كل ما جمع على (مفاعل) أو هيئته كفواعل وفعالل أن تزاد فيه اليـاء ، وأجازوا حذفها فيما جاء على (مفاعيل) كما نصّ عليه الهمع للسيوطي (١٨٢/٢) . وقد أخذ بهـذا جماعة وعبروا عن إضافة (اليـاء) في نحو (مفاعل) وما كان على هيئته بأنه إشـباع للكسرة وأسماه ابن جني في الخصائص (١٥١/٣) وفي المحتسب (٣٥٧/١) إشباعاً للحركة أو مطلها : ورده الأنباري في الإنصاف (٣١/١) وقصره على الشعر .

قال الزبيدي في التاج (المسند كمكرم جمعه مساند على القياس ، ومسانيد بزيادة التحتية إشباعاً ، وقد قيل إنه لغة ، وحكي في مثله القياس أيضاً) . وقد جمـع الزبيدي (معجماً) على (معاجم) ، كما جمعه على (معاجيم) .

على أن جواداً قد أثبت (معاجيم) وهو الفرع ، وأبى (معاجم) وهو الأصـل ، وهو غريب . بل استظهر في هذا بنظـــائر ليست محلًا للقياس . قال الأستاذ جواد (ويجوز عندي جمعه جمـع تكسـير ، شرط أن تطبق عليه قاعدة الأسماء المضمومة الميم كالمُفطر والموسِر والمنكَر والمطفل .. فيكون المعاجيم كالمفاطير والمياسير والمطافيل .. ، ويجوز حذف يائه لوزن الشعر حسب أو لحذف الالتباس) أقول قد جعل الرضيّ هـــذه الألفاظ مما خرج في جمعه عن بابه ، فقال في شرح الشافية (١٨٠/٢) : (قوله مضروبون ومكرِمون ومكرمون ، أي ماجرى على الفعل من اسمي الفاعل والمفعول وأوله ميم فبابه التصحيح .. وجاء في اسم المفعول الثلاثي نحو ملعون

ومشؤوم .. ملاعينِ ومشائيم .. وقالوا أيضاً في مُفعيل كموسر ومُفطر ، وفي مفعَل كمنكر : مياسير ومفاطير ومناكير) ، وأردف : (وإنما أوجبوا الياء فيها مع ضعفها في نحو معالِيم جمع مُعلَم ، ليتبين أن تكسيرهما خلاف الأصل ، والقياس التصحيح) . أليس هذا صريحاً بأن هذه المثل لا تصح قياساً ، وهي ليست كـ (معجم) على كل حال ؟ وقد أورد الأستاذ جواد (المُطفيل) المختصّ بالمؤنث . قال الرضي : (والأغلب في المفعِل المختص بالمؤنث التجرد عن التاء ، فلا يصحح ، بل يجمع على مفاعل كالمطافل والمشادن والمراضع .. وجوزوا في جمع هذا المؤنث زيادة الياء أيضاً ليكون كالعوض من الهاء المقدرة فتقول : مطافيل ومراضيع ومشادين ، ويجوز تركه ، قال تعالى : وحرمنا عليه المراضع) . فأين هذا من جمع (المعجم) وكلام الرضي يدور على مايختص بالمؤنث ؟ ومفاعيل فيه كمفاعل ، على كل حال !

فقد استبان بما قدّمنا وشرحنا ، حال الصفة الغالبة وحدّها ، وما انفردت به عن الصفة : معنى وحكماً ، وأنْ ليس المدار في الجمع على وزن المفرد حسبُ ، بل على دلالته ومبناه صفة أو صفة غالبة أو اسماً . ويتضح كل ذلك بالاستقراء والتدبرّ واستفراغ الوسع في التلطف له .

دمشق صلاح الدين الزعبلاوي

معروف الرصافي والاستقلال العربي

١٩٠٨ – ١٩٢١

عبد اللطيف الطيباوي

غرض هذه المقالة توضيح ناحية في حياة الرصافي وشعره لم تنل عناية كافية حتى الآن ، وهي موقفه ظاهراً في شعره وباطناً بسكوته ، نحو محاولة العرب نيل شيء من الاستقلال الداخلي في الدولة العثمانية قبيل الحرب العالمية الأولى، ونحو الثورة العربية على تلك الدولة بزعامة الشريف حسين بن علي ، ونحو الجهاد العربي ضد الانكليز في فلسطين والعراق وضد الفرنسيس في سورية بعد انتهاء تلك الحرب .

وتمهيداً لدرس ذلك تفصيلاً لا غنىً عن إجمال المراحل الرئيسية في حياة الشاعر حتى ابتداء اشتغاله بالصحافة والسياسة . ولد في بغداد سنة ١٣٩٢ هـ / ١٨٧٥ م وتعلم أولاً في « الكُتّاب » بحسب النظام الأهلي ، ثم انتقل إلى مدرسة « رُشدية » من مدارس النظام الجديد التي أنشأتها الدولة بعد إصدار قانون المعارف سنة ١٨٦٩ . وكان الدخول في المدرسة الرشدية جائزاً لمن أكمل مدرسة أولية من مدارس النظام الجديد

أو مدرسة أهلية من درجة « الكُتَّاب » . وكانت مدة الدراسة فيها أربع سنوات أكملها الرصافي لكنه لم ينجح في امتحان السنة الرابعة ، فحيل بينه وبين الارتقاء إلى مدرسة إعْدادية فسلطانية بحسب النظام الجديد . فعاد إلى النظام الأهلي وأصبح من طلاب محمود شكري الألوسي[1]، فعلّمه علوم اللغة العربية والفقه والمنطق . هذا مبلغ ما تيسر للرصافي من التعلّم ، وهو عظيم الأثر في لغته الشعرية وفي تكرار إشادته بمفاخر العرب ، وقليلُهُ في غير ذلك .

بعد أن أجازه شيخه أصبح معلماً في مدرسة أولية ، ثم تخصص بتعليم اللغة العربية في مدرسة رشدية فمدرسة إعدادية حتى سنة ١٩٠٨ ، وهي السنة التي أعاد فيها السلطان عبد الحميد العمل بالدستور ، وتولى فيها زعماء جمعية الاتحاد والترقي مقاليد الحكم في الدولة . وقد أسسوا فروعاً لجمعيتهم في عواصم الولايات كان أحدها في بغداد . وفيها صدرت جريدة رسمية بهذا الاسم باللغتين التركية والعربية ، فأصبح الرصافي من محرري القسم العربي مناصراً لجمعية الاتحاد والترقي مدافعاً عن مبادئها . لكن المشهور أن عبد الحميد أعاد العمل بالدستور مكرهاً ، وأن عدداً من العلماء آزروه خوفاً على الدين والدولة من تطرف رجال الجمعية وبينهم عدد من اليهود . فقامت ثورة في العاصمة أخمدها الجيش ، وأدى ذلك إلى خلع عبد الحميد وتولي محمد رشاد . وقد سجل الرصافي هذه الانقلابات بقصيدتين

(١) أحد سراة العراق وعلمائها ومؤلف كتاب « بلوغ الأرب في أحوال العرب » (ثلاثة أجزاء - بغداد : ١٣١٤ هـ) وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق .

ضدّ استبداد السلطان وأعوانه « الأشرار »[١] .

روى شاهد عيان ، وهو الشيخ محمد جلال العباسي ، لتلميذه قاسم الخطاط[٢] أن الرصافي بعد هذه الحوادث دخل على رأس جماعة فيهم عدد من اليهود والنصارى إلى جامع الوزير في بغداد في يوم جمعة والواعظ على وشك الكلام . فأسكته الرصافي واعتلى هو المنبر وحث الناس على مناصرة جمعية الاتحاد والترقي ، فاستاء المصلون وهاجوا وألفوا مظاهرة سارت إلى مقر الوالي ، فطلب رؤساؤها معاقبة هؤلاء « الكفرة » فلبى الوالي طلبهم وأمر بسجن الرصافي مع أحد أعوانه ، لكنه أطلق سراحه سريعاً بعد هدوء العاصفة . كان هذا الوالي غالباً كسائر الولاة في ذلك الوقت من أعوان الجمعية . وجريدة بغداد التي كان الرصافي أحد محرريها كانت الجريدة الرسمية الولاية ، فكان بهذه الصفة موظفاً في ديوان الوالي . ولا يستبعد أنه هو الذي دفع الرصافي إلى دخول المسجد على تلك الصورة . وحبسه لم يكن سوى تدبير موقت . وهذه القصة تدل على ضآلة أثر ما تعلمه الرصافي من الألوسي من علوم الدين ، إذ هو الذي جلب اليهود والنصارى إلى المسجد وأشركهم معه في منع حرية الوعظ فيه عاملاً بما قال في إحدى القصيدتين المذكورتين :

لقد جمعوا الجموع فمن نصارى ومن هود هناك ومسلمينا

لا شك أن ما كتبه الرصافي في جريدة الولاية كان من أسباب دعوته

---

(١) ديوان الرصافي (الطبعة السادسة . القاهرة ١٩٥٩) ص ٣٨٢ — ٣٨٨

(٢) معروف الرصافي : حياته وشعره لقاسم الخطاط وزميليه (القاهرة ، ١٩٧١) ص ٥١ — ٥٤

إلى استانبول ، حيث اشتغل محرراً في مجلة « سبيل الرشاد » ومعلماً للغة العربية في المدرسة السلطانية التابعة لوزارة المعارف ، ومعلماً للخطابة في مدرسة الوعاظ التابعة لوزارة الأوقاف . وسرعان ما اختاره طلعت باشا وزير الداخلية ليكون معلمه الخاص في اللغة العربية ، وقربه زيادةً على ذلك فدبر تعيينه نائباً في مجلس المبعوثان (النواب) عن المنتفك دون أن ينتخبه أهلها وكان ذلك في سنة ١٩١٢ عندما أصبح الرصافي من الرجال البارزين في العاصمة . لكنه مع مناصرته لرجال الحكم من الأتراك ، ظل متحفظاً مع رجال العرب في استانبول ، وفيهم النواب والموظفون وطلاب الجامعة والمدارس العليا من مدنية وعسكرية ، وكأنه لم يشاركهم في آمالهم القومية العربية . خذ مثلاً على ذلك القصيدة التي ألقاها عليهم في حفلة عامة بعنوان « إلى الأمة العربية » فكلها تمجيد الماضي وذم الحاضر ودعوة إلى « نهضة علمية عربية » دون الإشارة تلميحاً أو تصريحاً إلى الآمال القومية .

لم يخالف الرصافي هذه الخطة مع الأتراك أو مع العرب ، لا قبل الحرب ولا أثناءها . فكان دائماً مع الدولة على كل مَنْ عاداها من الدول الأجنبية وعلى كل من خالفها من العرب ومن العبث التماس العذر له بشواذ من أبيات الشعر قد تشير إلى خلاف ذلك ، فهي أشبه شيء بالمتناقضات في كلام رجال السياسة ولا أثر لها على المبادىء الأساسية . زعم بعضهم أن الرصافي عاضد رجال الاصلاح من زعماء العرب بقصيدة « في معرض السيف » قالها بمناسبة اجتماع عقدوه في بيروت في أوائل سنة ١٩١٣ . ولكن هذه القصيدة لا تختلف في محتواها ومعناها عن القصيدتين المذكورتين أعلاه ، باقتصارها على التعميم دون التخصيص وعلى

الماضي أكثر من الحاضر ، ولعدم ذكر شيء من قرارات الاجتماع ، هذا مع العلم أنه عقد بموافقة الحكومة التي أسرعت برفض جميع قراراته .

وكان هذا الرفض من أسباب عقد مؤتمر في باريس في حزيران ١٩١٣ اتخذ قرارات مشابهة كلها مطابقة للدستور وموافقة لمبادىء « الحرية والعدالة والمساواة » التي نادت بها جمعية الاتحاد والترقي . وأهم هذه القرارات : جعل اللغة العربية لغة التدريس في مدارس البلاد العربية بدلاً من التركية مع تعليم هذه كلغة ثانية ـ اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في المحاكم ودوائر الحكومة في الولايات العربية ـ اشتراك العرب مع الأتراك في إدارة الدولة وتولي الوزارة والولايه ـ إدارة البلاد العربية على طريقة اللامركزية بتقليل تدخل الحكومة المركزية في الشؤون المحلية . وبعد توسط الشريف علي حيدر والشيخ عبد العزيز شاويش قبلت الحكومة هذه المطالب في اتفاقية وقعها طلعت باشا وزير الداخلية وعبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الأدبي .

ولكن قبل توقيع الاتفاقية قال الرصافي قصيدته المشهورة «ماهكذا» [1]، وهي كما جاء في البيت الأول كلها « لوم وتثريب » مع الذم والتهم الباطلة : « لائحة خرقاء » » ؛ كلفت الحكومة شططاً ؛ « خالف أصحابها الحزم والتجاريب » ؛ « تدعو إلى التعصب الديني والتفرقة بين المسلمين والنصارى » ؛ « ضجة إفسادٍ وشر » . لكن الناظر في مطالب العرب لا يرى لهذا كله من أثر فيها ، ودليل ذلك أن الحكومة بعد ترددٍ قبلتها . وهجوم الرصافي على بني قومه تعصب سياسي وتهوّر في الإعراب عنه .

(١) ديوان الرصافي ص ٤٠٢ — ٤٠٥

لكن للرصافي سؤال في هذه القصيدة لم نجد في كل ما قرأنا عن مؤتمر باريز جواباً شافياً له : لماذا لم يعقد مؤتمر في بلاد محايدة مثل سويسرا مثلاً وعقد في باريز وهي عاصمة أمة كانت لها مطامع ظاهرة في سورية الكبرى ؟

لو كان في غير باريز تألـبّهم ما كنتُ أحسبهم قوماً مناكيبا

لكن باريز ما زالت مطامعهـا ترنو إلى الشام تصعيداً وتصويبا

على كل حال استنكر العرب موقف الرصافي من المؤتمر ورجاله وقراراتهم ، فرد عليهم بقصيدة فيها سب وكلام بذيء قال في نهايتهـا « فاشطب عليهم بنعل إنهم غلط » . لا شك أنه لم يكن جاهـلاً مساعي غيره من العرب كالشريف علي حيدر ، والشيخ عبـد العزيز شاويش ، والشيخ رشيد رضا ، وسليمان أفندي البستاني لتقريب مطالب العرب من سياسة رجال الاتحاد والترقي ، فلماذا لم يسلك هو هذا المسلك ؟ أشار في شعره إلى ما طلبه رجال الإصلاح ولكنه لم يُحَدد شيئاً منه ، وأشار إلى الجمعية التي طالبت بمبدأ اللامركزية الإدارية دون أن يسميها ، فإذا فرضنا جهله مبادىء الجمعيات السرية كالقحطانية والفتاة فلا يصح أن نفرض جهله ما كان منشوراً في الصحف ومشهوراً على الألسن . فلمـاذا لم يقل كلمة واحدة على الأقل في الدفاع عن اللغة العربية ؟ ولمـاذا وصف من أرادوا إعلاء شأنها بالشطط وبما هو أشنع من ذلك ؟ ألا يصح الاستنتاج أن تكرار التغني بماضي العرب في شعر الرصافي كان بمثابـة تعويض عن تقصيره في السعي لتحسين حاضرهم السياسي أو على الأقل تحسين حال لغتهم في مدارس الحكومة ودواوينها ؟ هل كان الرصافي جاهلاً أن أبناء العرب في مدارس الحكومة كانوا يتعلمون باللغة التركية لا بلغتهم العربية ؟

وجاءت الحرب العظمى فاتخذها الأتراك حجة لايقاف تنفيذ شروط الاتفاق مع زعماء العرب ، فوافقهم على ذلك الرصافي بسكوته واستمر يؤازرهم مؤازرة تامة . فلما أعلن الجهاد الاسلامي (١) قال قصيدة طويلة استبعد فيها أن ينجح الهجوم البريطاني على جنوب العراق ودعا إلى إنقاذ عدن ومصر من حكم الانكليز ولكنه لم يقدّر أن مصر بعد إعلان الحماية البريطانية عليها وإقامة حكم عسكري فيها لم يكن بوسعها المقاومة . وعليه فاتهام السلطان كامل حسين ورئيس الوزراء حسين رشدي باشا بالخيانة لا يستطيع المؤرخ المنصف قبوله :

قل للحسينين في مصر رُويدكما قد خُنتما الله والاسلام والوطنا

شايعتما الانكليز اليوم عن سَفَهٍ تالله ما كان هذا منكما حسنا

قد بعتما الدين بالدنيـا مجازفة فكنتما في البرايا شرّ من غُبنا (٢)

بمثل هذا حافظ الرصافي على مكانته عند رجال الحكم في استانبول ، وبسكوته التام عن فظائع جمال باشا في سورية وإعدامه زعماء العرب في سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ شايعهم بزعمهم أن العرب قد خانوا الدولة وتآمروا مع أعدائها . وقد وجد غير واحد من الذين نظروا في شعر الرصافي في سكوته ، هذا من أغرب الأمور . ومع هذا ليس من الصعب تفسيره . عرَف الرصافي عدداً من الذين أعدموا ومنهم عبد الكريم الخليل ، وربما استبعد ما سمعه من اتهامهم بالخيانة ، أو ربما راودته نفسه أن يزكيهم ،

---

(١) نصه التركي في جريدة صباح (٦ محرم ١٣٣٣ = ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٤) بامضاء شيخ الاسلام خيري وعدد من كبار العلماء .

(٢) الديوان ص ٤٨٩ .

فوجد أن ذلك لا يُجدي فقد ماتوا وكلامه لا يحييهم ، فلم يجرأ أن يعرّض نفسه لغضب ذوي السلطة وهو تحت رحمتهم ، فآثر السكوت .

لو سكت أيضاً عندما أعلن الشريف حسين بن علي الثورة العربية في حزيران ١٩١٦ لوجد الباحث المنصف له مخرجاً مشابهاً : سكوت عن فظائع جمال باشا يقابله سكوت عن ثورة الحسين . ولكن الرصافي لم يتغير ، وظل مع الحكام الأتراك حتى على قومه العرب ، ساكتاً ومتكلماً ، وهجاؤه للثورة العربية وخاصة للحسين أوضح برهان على ذلك . وبعض هذا الهجاء مثبت في الديوان بصورة غامضة وبعضه مروي شفهياً وسُجّل في بعض الكتب:

دع الحسينين في مصر وقد بغيا ففي الحجاز حسين ثالث لهما
هذان قد أخجل الأهرام بغيهما وبغي ذلك أخزى البيت والحرما
فأنتِ يا أرض ميدي تحته فزعاً ويا سماء عليه أمطري نقما
قالوا الشريف ولو صحت شرافته لم ينقض العهد أو لم يخفر الذمما (١)

وهنا يجب القول أن كثيراً من المسلمين وبعض العرب لم يناصروا الثورة العربية إخلاصاً لدولة الخلافة ومحافظة على الوحدة الاسلامية . وهذا ينطبق على زعماء مسلمي الهند ومصر وعلى نفر من العرب كالأمير شكيب أرسلان والشيخ أسعد الشقيري والسيد محمد كرد علي وغيرهم . ولكنه لم يشتهر عن أحد منهم من القول ما اشتهر عن الرصافي ، ولهذا لم يجدوا صعوبة كما وجد هو بعد الحرب للانتقال من العمل مع الترك إلى العمل مع العرب في الدولة التي قامت في دمشق .

---

(١) بعض القصيدة في الديوان ص ٥٤٥ . الأبيات الأربعة ليست فيه وقد نقلها الأستاذ قاسم الخطاط (كتابه المذكور ص ٩٠) رواية عن مؤرخ الثورة العربية أمين سعيد .

واجه الرصافي هذه المعضلة حالاً بعد انتهاء الحرب . في سنتها الأخيرة سقطت بغداد ثم سقطت القدس بيد الانكليز . ولم يقل الرصافي شعراً في سقوط القدس ولكنه سجل سقوط بغداد بقصيدة « نواح بغداد » عزّى نفسه في ختامها أن الترك أعدوا لاستردادها جيشاً (وهو بلا شك جيش الصاعقة واسمه بالتركية ييلدرم يلدرم) جمعوه في حلب ، فقال :

بل هم اليوم عازمون على الزحف بجيش به تغصّ البطاح
كيف يُغضون عن إغاثة واد زانه من ودادهم أوضاح
فعليه من فخر عثمان تاج وله راية الهلال وشاح
أنا باقٍ على الوفاء وإن كا نت بقلبي ممّن أحب جراح (١)

لم يكن جيش الصاعقة كاسمه ، ولم يتقدم لاسترداد بغداد بل خصص لتقوية جبهة فلسطين التي كان يهددها الجيش الانكليزي إلى الغرب من نهر الأردن والجيش العربي بقيادة الأمير فيصل إلى الشرق من ذلك النهر .

وفي خريف ١٩١٨ هُزم الأتراك وأخرجوا من سورية جميعها فطلبوا الصلح الذي كان من نتائجه إقامة مندوب سام بريطاني في استانبول يملي على الحكومة العثمانية تنفيذ شروط الهدنة . بُعيد هذه الكارثة ، في أواخر ١٩١٨ أو أوائل ١٩١٩ ترك الرصافي استانبول ولكن إلى أين ؟ .

مصر بلا شك كانت مغلقة أمامه بسبب هجائه لحكامها ، والعراق كانت أيضاً مغلقة لأن جيش الاحتلال البريطاني منع دخول كل ما كان قادماً من تركيا حتى ولو كان عراقياً ، فكيف بشاعرٍ ناصر الجهاد الاسلامي ضد الانكليز وناح بقصيدة مشهورة عندما احتلوا بغداد . فلم يبق أمامه

(١) الديوان ص ٤١٨ – ٤١٩

إلا سورية ؟ نعم كانت هذه البلاد أيضاً تحت احتلال عسكري بريطاني ، لكنه قامت في داخلها ، بموافقة بريطانيا ، حكومة عربية عاصمتها دمشق ورئيسها الأمير فيصل بن الحسين . وهذه الحكومة كانت ابنة الثورة العربية، وكان جلّ رجالها من الذين حاربوا في جيشها . فماذا كان يرجو الرصافي منهم وقد هجـــاهم وهجا رئيسهم ، ولم يقل كلمة على سبيل الاعتـذار وطلب العفو ؟

لم يكن من المستغرب أن يُعْرِض الناس عنه – من الأمير زيد رئيس الحكومة في غياب أخيه الأمير فيصل في أوربا لحضور مؤتمر السلام، إلى رجال الحكومة وفيهم من كبار العراقيين نوري السعيد وجعفر العسكري وياسين الهاشمي ، إلى عدد من الأدباء والشعراء في دواوين الحكومة وفيهم الأستاذ محمد كرد علي والشيخ فؤاد الخطيب . ويكفي بياناً لما لاقاه الرصافي من الإهمال أنه لم يُدْعَ للعمل في مكتب الترجمة الذي أنشىء في دار الحكومة تحت رئاسة محمد كرد علي ، فكان نواة المجمع العلمي العربي[1]. وهذا المجمع أيضاً لم ينتخب الرصافي عضواً فيه أثناء إقامتـه في دمشق . أما الشعر فوجده الناس كما يحبون عند الشيخ فؤاد الخطيب فسموه شاعر الثورة منذ اشتغاله وكيلاً للخارجية عند الملك حسين في مكـة ثم انتقاله إلى دمشق بجانب الأمير فيصل .

وهكذا ظل الرصافي في دمشق دون عمل ، يعيش غالبـــاً على ما ادخره من أيام استانبول . ولا بيّنة على أنه نال عوناً مادياً ، إلا على

(١) مجلة المجمع العلمي العربي : الجزء الأول من المجلد الأول (كانون الثاني ١٩٢١) ، ص ٢ والجزء الثاني عشر من المجلد الثاني ص ٣٥٣ – ٣٥٤

سبيل الاستنتاج ، من ياسين الهاشمي . فهذا مِثْلُ الرصافي ، ظل مع الأتراك حتى انكسارهم . ولكن الهاشمي كان من كبار رجال جمعية العهد السرية ، ومكانته عند العرب كانت عالية ، فلما انكسر الجيش العثماني والهاشمي أحد القواد فيه ، لم يجد صعوبة في الانتقال إلى الجانب العربي وتولى قيادة الجيش العربي في دمشق . فلما اعتقله الانكليز في تشرين الثاني ١٩١٩ قال الرصافي في ذلك قصيدته الوحيدة وهو في دمشق [١] :

ياسينُ إنك بالقلوب مشيَّعُ أفأنت للوطن العزيز مودِّعُ
أخذوك يا بطل المعامع غيلةً بيد الخداع ومثلهم مَنْ يخدع

تثبت هذه القصيدة أن الرصافي كان موجوداً في دمشق في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٩ وهو يوم اعتقال الهاشمي [٢] . وتثير القصيدة سؤالاً يصعب إيجاد جواب حاسم له : لماذا غيَّرت السلطة العسكرية البريطانية موقفها من الرصافي حالاً بعد قول القصيدة ، وما الذي جعلهم يعينونه معلماً للغة العربية في دار المعلمين الابتدائية التي أسسوها وأداروها في القدس ، وما الذي جعلهم يتجاهلون ما في القصيدة من وصف الانكليز بالخداع ونقض العهود وإنذارهم بإثارة « الهياج والمعامع والهزاهز » ضدهم؟

لا شك أن السبب في هذا كله كان سياسياً . فالانكليز الذين منعوا

---

(١) الديوان ص ٤٥٩

(٢) كان ذلك بأمر القائد البريطاني العام وبطلب من فرنسا . والقصة مذكورة في السجلات البريطانية الرسمية المحفوظة في دار الوثائق العامة في لندن تحت رقم Fo 371 - 4185

الرصافي من العودة إلى بغداد ، سمحوا له أولاً أن يقيم في دمشق تحت حكمهم غير المباشر ، ثم أخذوه نهائياً إلى القدس ليكون موظفاً تحت إدارتهم يتناول راتباً من يدهم . فهل أرادوا إسكاته في وقت قرارهم الخطير لتسليم شؤون سورية وحكومة دمشق لفرنسا ؟ لا يمكن الفصل في ذلك، لكن تصرّف الرصافي في مدة أربعة عشر شهراً قضاها في القدس يدل على أن الانكليز قد نجحوا في إسكاته .

صرّح الشاعر فيما بعد أن ذهابه إلى القدس كان بمساعي محمد كرد علي[1] . ولكن هذا مستبعد لأن المذكور تجنب تكريم الرصافي أو مساعدته احتراماً لرأي ذوي الشـأن فيه ، ولا برهـان على أن كرد علي كانت له كلمة مسموعة عند الانكليز في فلسطين . وأقرب إلى الصواب ما رآه كاتب عراقي [2] من أن تعيين الرصافي معلمـاً في القدس كان بتدبير من السِّر غِلْبَرْت كْلايتون المستشار السياسي للسلطات العسكرية البريطانية في سائر سورية . وكانت إدارة معارف فلسطين من اختصاصه لأنه كان يتقن اللغة العربية وله معرفة متينة بعرب السودان ومصر وفلسطين وأصبح فيما بعد مندوباً سامياً في العراق .

ذُكر أعلاه أن الرصافي أقام بالقدس مدة أربعة عشر شهراً ابتدأت

---

(١) مجلة الثقافة الجديدة (بغداد) العـدد الأول لسنة ١٩٥٤ ص ٢١ « الرصافي يتحدث عن نفسه » .

(٢) هو الأستاذ الدكتور صفاء خلوصي في مقال له عن « الرصافي في القدس » كتب باللغة الانكليزية ونشر مع بحوث لعدد من العلماء في الشرق والغرب في كتاب عنوانه (Arabic And Islamic Garlan) طبع في لندن سنة ١٩٧٧

في أول سنة ١٩٢٠ وانتهت كما سيأتي تفصيلاً في أول آذار سنة ١٩٢١ . وذلك ينطبق على تصريح نشر في العدد الأول من مجلة « الثقافة الجديدة » لسنة ١٩٥٤ : « طُلب إليّ التدريس في دار المعلمين في مدينة القدس وذلك بوساطة محمد كرد علي ... فسافرت في أواخر سنة ١٩١٩ أو أوائل سنة ١٩٢٠ على ما أذكر » .

ودّع الرصافي دمشق وداع مصدور بقصيدة « بعد براح الشام »(١). وكان الأصح لو قال دمشق ، فالمنتقل منها إلى القدس لا يخرج من حدود بلاد الشام . وفي هذه القصيدة من المرارة وبذيء القول ما يزيد على ماجاء في قصيدة الردّ على من استنكر موقف الشاعر من مؤتمر باريز . فهذه ملأى بذم الرؤساء والحكام وأعوانهم دون استثناء . وهذه أمثلة مما فيها : خائن يُشترى بالدرهم ، مدّع في الوطنية ، عَبْد في السياسة ، تكرّمني الأراذل ، مُلْكٌ في البلاد عضوض ، بلدٌ به مَقيت الأديب وأكرم العيرٌبض . ومع هذا كله يفتخر الشاعر أنه أفاض في ذكر مفاخر العرب وأنه ظل الوحيد في هذا الميدان حتى دار الزمان :

وغداً يُنازعني الحرورة شاعر ماكان حراً شعره المقروض

والشاعر المقصود هنا هو غالباً فؤاد الخطيب لأنه كان في حاشية الأمير فيصل بعد أن كان في حاشية والده الملك حسين وشعره في الثورة العربية مشهور . لكن لا مجال الآن للمفاضلة بين الشاعرين في القريض ولغته ومادته .

ذُكر أعلاه وصف دار المعلمين بالقدس التي جاء الرصافي إليها معلماً

---

(١) الديوان ص ٤٢٠ — ٤٢٣

« بالابتدائية » وهـذا ترجمة من اسمها الـكامل باللغة الانـكليزية ، وهو ينطبق تماماً على حقيقتها . فالمعهد كان ابتدائيـاً في كل شيء . أنشىء في ربيع سنة ١٩١٨ لتعليم المعلمين مادة ما سيعلمونه في المدارس الأولية الجديدة وكانت مدة الدراسة فيها ستة أشهر زيدت في عهد الرصافي إلى سنة . أما مواد الدراسة فيها فـكانت أولاً مبادىء صرف اللغة العربية ونحوها والقراءة والإملاء ، وثانياً مبادىء بعض الدروس الأخرى كالتاريخ والجغرافيـة . وسبب الاهتمام باللغة العربيـة أن الطلاب في دار المعلمين تعلموا سابقاً في مدارس الحكومة التركية باللغة التركية وكانوا يجهلون لغتهم العربية .

بناء على هذا لا يمكن قبول ما نُقل عن الرصافي أنه درّس « آداب اللغة العربية » ، فهذه المادة لم يكن لها وجود في برنامج دار المعلمين في ذلك الوقت . والذي يؤخذ من رواية بعض الطلاب الذين علّمهم الرصافي أن تعليمه كان قليل الجدوى . لكن الشاعر وجد في مدينة القدس أديبين هما إسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني ، رحبّا به وأكرماه . فقال فيهما قصيدة « في إيلياء : إلى فاضليهـا النشاشيبي والسكاكيني » [1] . وإيليـاء هو الاسم الروماني للقدس ، واتخاذه دون الاسم العربي الاسلامي غريب من شاعر عربي مسلم . وأغرب منه أن يخصص نحو نصف القصيدة للمودة إلى ذم دمشق ومن فيها .

والأغرب هو أن أول تكريم علني للرصافي كان حفـلة أقامتها له الكلية الانكليزية [2] . وهي مدرسة أنشأتها وأدارتها جمعية تبشيرية بريطانية .

---

(١) الديوان ص ١٤٠ — ١٤١

(٢) وصف الحفلة في جريدة « مرآة الشرق » (القدس) في ١٩ أيار ١٩٢٠

وفي الحفلة ألقى الشاعر قصيدة لعلها أتفه ما في ديوانه بعنوان : « العلم : إلى شبان الكليـة الانكليزية »[1] وفيها مدح المؤسسين الانكليز وجعل مدرستهم أحسن ما في جميع بلاد الشام :

ومعهدٍ أسست قواعـــده في بلد شفَّني هوى عربِهْ
شيـــده للعـــلوم مدرسة متىْ كان نشر العلوم من دأبه
تاهت به إيليـــاء فاخرة على دمشق الشآم أو حلبه
شكراً لبانيه ما أقام بـــه شبـانه القاطنون في قُبَبه

والقُبب هنا جاءت بها القافية ، فالمدرسة كانت في بيت جديد البناء سكنته إحـدى أسر القدس المعروفة قبل أن استأجره الانكليز ولا قبب لبنائه .

ثم سكت الرصـافي ستة أشهر فما الذي سكت عنه حتى كانون الأول سنة ١٩٢٠ ؟ يكفي إجماله بذكر أهم الحوادث الخطيرة في العراق وسورية وفلسطين والكوارث العظيمة التي حلت بالأمة العربية في هـذه البلاد بترتيب وقوعها :

١ — في آذار أعلن المؤتمر السوري استقلال سورية بحدودها الطبيعية وانتخاب الأمير فيصل ملكاً دستورياً عليها ، وفي الوقت نفسه أعلن زعماء عراقيون في مؤتمر لهم في دمشق (لاستحالة إقامته في بغداد) استقلال العراق وانتخاب الأمير عبد الله ملكـاً عليه . فرفضت بريطانيا وفرنسا الاعتراف بذلك كله .

٢ — أعلنت ملكية فيصل في القدس وذكر اسمه في خطبة الجمعة

(١) الديوان ص ٩١ — ٩٢

في المسجد الأقصى بعد قرار المؤتمر السوري . وفي الأسبوع الأول من نيسان وأثناء الاحتفال الشعبي بموسم النبي موسى هزج الجمهور « فيصل يا منصور ، بسيفك هدّينا السور » وعند وصول الموكب إلى باب الخليل خطب فيه رئيس البلدية موسى كاظم باشا الحسيني . وبعد ذلك حدثت فتنة دموية بين العرب واليهود دامت أياماً وأخمدها الجيش . (كان الرصافي ساعة وصول الموكب إلى باب الخليل جالساً في مقهى حديقة البلدية على بعد نحو نصف كيلو متر !) قبل أن رافقه هناك خليل السكاكيني[1] .

٣ – عزل الانكليز موسى كاظم باشا وعينوا مكانه من كان أكثر مسايرة لهم وهو راغب النشاشيبي ، مع أن المحكمة العسكرية برأت الباشا وانتقدت عزله دون محاكمة .

٤ – في الأسبوع الأخير من نيسان قرر الحلفاء ما أرادته انكلترا وفرنسا في مؤتمر سان ريمو وهو وضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي والعراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني . وفي حالة فلسطين جعلت بريطانيا مسؤولة عن تنفيذ وعد بلفور بانشاء وطن قومي لليهود . وقامت المظاهرات في القدس وأعلن العرب رفض الانتداب ووعد بلفور .

٥ – في شهر أيار أعلنت الحكومة البريطانية تعيين هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني مندوباً سامياً في فلسطين لتنفيذ سياسة إنشاء وطن قومي لليهود فيها . فتجددت المظاهرات والاحتجاجات العربية .

---

(١) كذا أنا يا دنيا : يوميات خليل السكاكيني (القدس ١٩٥٥) ص ١٩٤ (تحت تاريخ ٤ نيسان ١٩٢٠)

٦ — في شهر تموز احتلت فرنسا دمشق وقضت على الاستقلال العربي وأخرجت فيصل من البلاد وأخذت السوريين بالقهر .

٧ — وفي الشهر نفسه ثار العراق على الحكم الانكليزي ثورة كلفت بريطانيا لمدة أشهر آلاف الأرواح وملايين الجنيهات .

فإذا كانت هذه الحوادث والكوارث قد هزت من الرصافي نفساً أوجرحت منه قلباً فإنها لم تُوحِ له شعراً ولم تُنطق منه لساناً . قد يُقال إنه كان موظفاً تحت إدارة بريطانية تدفع له راتباً شهرياً فلم يكن بوسعه أن يعارض سياسة حكومتها . ولكن ما الذي منعه من الاحتجاج على الفرنسيس في سورية ؟ أما كان مصير الحكومة العربية وإخراج فيصل من دمشق بالقوة جديراً بالرثاء ؟ كان فيصل نائباً عن الحجاز في مجلس المبعوثان في استانبول في الوقت الذي كان الرصافي نائباً فيه عن المنتفك . أما الأول فكان مُحبباً لطلاب الاستقلال من شبان العرب ، وأما الثاني فقد كرّه نفسه إليهم بموقفه من طلاب الاصلاح . ثم جاء هجاء الحسين بن علي والثورة العربية فزاد في التباعد والكراهية وموقف الرصافي من فيصل هو امتداد لموقفه من الحسين والثورة ، وزاد هذا الموقف عند الرصافي مرارة ما لاقاه من الاهمال في دمشق وهي تحت حكم فيصل أو نائبه وأخيه زيد .

وبعد سكوت ستة أشهر قال الرصافي قصيدة كانت من أشد ما قال ألماً في نفوس العرب . وقبل تفصيل المناسبة يحسن ذكر الأثر الوحيد الذي نُشر باسم الرصافي وهو يعلّم بدار المعلمين بالقدس . وهذا الأثر هو كتيّب « الأناشيد المدرسية »،لكل نشيد فيه لحنه الموسيقي بالرموز . وأحد هذه الأناشيد قصيدة للشاعر التركي توفيق فكرت كان الرصافي

ترجمها إلى العربية وهو في استانبول . والمرويّ أن واضع اللحن هو وديع صبرا اللبناني . ولكن لم يُذْكر سابقاً أن لحن النشيد هذا ، كما نُشر مع ترجمته العربية ، هو عين لحن النشيد الوطني الفرنسي (المارسيلييز). وأول من انتقد ذلك هو الأستاذ درويش المقدادي معلم التاريخ في دار المعلمين بعد عهد الرصافي ، وهذا هو النشيد [1] :

نحن خواضو غمار الموت كشافو المحن
مالنا غير اكتساء العز أو لبس الكفن
نبذل الأرواح نفديها لاحياء الوطن
هل سوى الأرواح للأوطان في الدنيا ثمن
يا ضلال الألى لم يكونوا الفدا
إن نمت نحن فلتحي أوطاننا [2]

(١) الديوان ص ٥٥٣

(٢) كان هذا النشيد معروفاً قبل سنة ١٩١٨ ودوره الثاني كما يلي :

أنت يا أوطان من أرض حوتنا أم سما
فارفعي في أوج علياك اللواء المعلما
وارتقي نحو المعالي واجعلينا سلّما
نحن من جرّاك نُجري في الوغى سيل الدّما

وأما ما ذكره صاحب المقال من أن هذا النشيد مترجم عن قصيدة للشاعر التركي توفيق فكرت بك فقد يكون صحيحاً ، ولكن الأرجح أن ما نظمه هذا الشاعر إنما كان النشيد الوطني التركي الذي مطلعه :

بر فدائي ملـّتز ، مرداوغلى مرد عثمانلي يز

غير أن النشيد « نحن خواضو غمار الموت » لم يكن مترجماً عنه لأن بين النشيدين اختلافاً كبيراً في المعاني .

=

لم ينتقد اللحن إلا بعض العارفين . لكن قصيدة الرصافي التي نظمها وقدّمها إلى هربرت صموئيل وقعت على العرب في فلسطين وقع الصاعقة ، لأنهم ، والرصافي بينهم ، رفضوا الاعتراف بصموئيل حاكماً عليهم ينفذ سياسة وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود ، ولأنه من زعماء الصهيونية أعلن عند وصوله إلى القدس أنه مأمور بتنفيذ تلك السياسة . ولم يغير العرب هذا الموقف بل عقدوا مؤتمراً عاماً لتأكيد رفض تلك السياسة والاحتجاج عليها بارسال وفد منهم إلى لندن . وفي أثناء انعقاد هذا المؤتمر دبّر صموئيل مكيدة سياسية ظاهرها بريء وباطنها مكر وتضليل .

لا نعلم ما دُبّر في الخفاء . ولكن الحوادث كانت كما يلي : دعا راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس إبراهام يهودا لإلقاء محاضرة باللغة العربية عن مدنية العرب في الأندلس . وكان المحاضر من يهود القدس وأصل عائلته من بغداد ، وقد مثّل يهود القدس في المؤتمر الصهيوني الأول ، ثم صار أستاذاً في جامعة مدريد . وسمع محاضرته عدد من العرب بدعوة خاصة ، وكان معظمهم من الموظفين ، كما سمعها عدد من الزعماء الصهيونيين وعلى رأسهم هربرت صموئيل ، مع أنه كان يجهل اللغة العربية . وكان الرصافي أحد الحاضرين . ومما يستدعي الانتباه أن جميع الصحف العربية لم تشر

= ثم إن لحن النشيد « نحن خواضو غمار الموت » يختلف عن لحن النشيد الوطني الفرنسي المعروف بالمرسيليز ، مما يثبت أنه من تلحين الموسيقي البيروتي وديع صبرا وأنه ليس منقولاً عن أي نشيد وطني آخر . وعليه فإننا نخال أن الأستاذ درويش المقدادي لم يكن مصيباً في انتقاده . « م.خ : لجنة المجلة »

إلى المحاضرة بشيء ، أما الصحف العبرية فوصفتها تفصيلاً[١] .

ويدل على الغرض من تدبير إلقاء المحاضرة أمران : ١) أن صموئيل ألقى خطاباً بالانكليزية تُرْجم إلى العربية جملةً جملةً وعد فيه وعداً أخلفه وهو إنشاء معهد الدراسات العربية والاسلامية : ٢) كلمة لا شك في مصدرها ظهرت في جريدة التايمس[٢] تمدح روح هذا الوعد الذي لم ينفّذ وتقدح في زعماء العرب لأنهم أرادوا الاحتجاج على السياسة البريطانية في مؤتمرهم : ٣) والدليل الثالث وهو أخطرها إدخال الرصافي في أمر ليس من شأنه عدّه عرب فلسطين خيانة لا تغتفر .

هل مثّلَ يهودا البغدادي الأصل دوراً سرياً مع البغدادي الشاعر ؟ كيف يُفسَّر قوله قصيدة ، قد تُعد من أحسن ما قال صناعة ، وتقديمها إلى هربرت صموئيل المعظم في تلك الظروف الخطيرة ؟ ما الذي جعل الرصافي يخالف أصول الضيافة العربية فيمدح عدو مضيفه ؟ ما الذي جرّأه على مخالفة إجماع عرب فلسطين دون حساب العواقب ؟ هل يعتبر اتهامهم له بأن الصهيونيين اشتروه بالدرهم حقاً أو باطلاً ؟ ما معنى إضراب الصحف العربية عن نشر القصيدة رغم أمرهم من أحد امناء سر صموئيل ؟ ومامعنى نشرها مترجمة في الصحف العبرية واعتبارها نصراً صهيونياً[٣] ؟ .

---

(١) جريدة « ها آرتس » (١٥ كانون الأول ١٩٢٠) وجريدة « دُوارها يوم » (٢٠ كانون الأول ١٩٢٠) .

(٢) جريدة « التايمس » (لندن : ٢٩ كانون الأول ١٩٢٠) .

(٣) قالت جريدة « مرآة الشرق » (٢٨ كانون الثاني ١٩٢١) : « تظن جريدة « بريد اليوم » (أي دوارهايوم) بنشرها قصيدة الرصافي أنه أصبح صهيونياً . تَخبّطي بغير هذه المسلة » . الكلمات الأربع الأخيرة هي مثل فلسطيني يفيد النفي .

تقع القصيدة في واحد وثلاثين بيتاً منها ما يلي :

خطاب يهودا قد دعانا إلى الفكر ... وذكّرنا ما نحن منه على ذكر
لدى محفل في القدس بالقوم حافل ... تبوّأه هيربر صمُونيل في الصدر
ولما تناهى من يهودا خطابه ... وقد سرّنا من حيث ندري ولا ندري
تصدّى له هيربر صموئيل ناطقاً ... بسحر مقالٍ جلّ عن وصمة السحر
وقال وقد أصغى له القوم إننا ... سنرأب ما أثأته منكم يد الدهر
ونهضكم في منهج العلم نهضةً ... مقوّمة ما اعوجّ فيكم من الأمر
وعدتَ فأمسى القوم بين مشكك ... ومنتظر الإنجاز منشرح الصدر
فكذّبْ وأنت الحُرُّ مَنْ ساء ظنه ... فقد قيل إن الوعد دَيْن على الحر
ولسنا كما قال الألى يتّهموننا ... نُمادي بني اسرائيل في السر والجهر
وكيف وهم أعمامنا وإليهمُ ... يمُتُّ بإسماعيل قدماً بنو فِهْر
ولكننا نخشى الجلاء ونتقي ... سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر (١)

بعد مضيّ أكثر من نصف قرن قد يجد المؤرخ في البيت الأخير ما يشفع الرصافي ، ولكن الناس في القدس وفلسطين كلها حينئذٍ لم يجدوا فيه ولا في الاشادة بمفاخر العرب المألوفة في شعر الرصافي ما يكفر عن سيئة كبرى . فأصبح مركز الشاعر مع زملائه وطلابه حرجاً ، وأخذ الذين رحبوا به عند قدومه يتجنبونه ، ورفضت الصحف العربية (بخلاف العبرية) نشر رده على منتقديه . ومن هؤلاء اثنان جديران بالذكر مع شيء من التفصيل .

أما الأول فهو وديع البستاني ، لبناني ماروني اختار فلسطين وطناً

(١) الديوان ٤٢٩ — ٤٣٠

له . وقد تخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت ومارس الكتابة ، ونظم الشعر . فلما جاء أمرُ أمين سرّ صموئيل إلى جريدة الكرمل بنشر قصيدة الرصافي تريث صاحبها نجيب نصار (وكان من أول الذين نبهوا إلى الخطر الصهيوني قبل الحرب العظمى ووعد بلفور) حتى تمكن البستاني من نظم قصيدة رداً على الرصافي تقع في أربعة وثلاثين بيتاً منها ما يلي :

خطاب يهودا أم عجاب من السحر ... وقول الرصافي أم كذاب من الشعر
ببغداد ، يا معروف ، بالأرض ، بالسما ... بربك ، بالاسلام ، بالشّفْع بالوَتْر
قريضك من دُرّ الكلام فرائد ... وأنت ببحر الشعر أعْلم بالدّر
ولكن هذا البحْر بحْر سياسة ... إذا مدّ فيه الحق آذن بالجزر
أجل ، عابر الأردن كان ابن عمنا ... ولكننا نرتاب في عابر البحر
أصليتَ في الأقصى صباحاً وفي المسا ... هشوت مع العاشين للرسم والذكر
ففي الحرب أبلينا بلاءً موفقاً ... تسطر نوراً فوق ألوية النصر
وراقهم التقسيم أجراً موزعاً ... وعزّ جهاد العُرب عن ذلك الأجر
فبغداد في قُطْر ومكةُ وحدها ... وعكاءُ في قطْر وصيداء في قطر
أتؤمن في بلفور بعد محمد ... وعيسى وموسى ، والوزير من الوزر
وربك لا ، فالوحي في الذكر صادق ... يكذب ما في الطرس من لوثة الحبر[1]

أما المنتقد الثاني للرصافي فهو الشيخ سليمان التاجي الفاروقي ، من علماء مدينة الرملة وسراتها ، تخرج في الأزهر ثم درس القانون وأصبح من كبار المحامين . وكان عند نشر قصيدة الرصافي في الصحف العبرية أحد أعضاء المؤتمر العربي الفلسطيني الذي اجتمع للاحتجاج على صموئيل

(١) ديوان الفلسطينيات لوديع البستاني (بيروت ١٩٤٦) ص ١٠٤ -- ١١٠

وتنفيذ سياسة وعد بلفور . وقد نشرت كلمة الشيخ سليمان باسم « إبراهيم حقي التاجي الفاروقي » لسبب يصعب الآن اكتشافه . لكن المشهور والمنقول أن الكلمة من إنشاء الشيخ سليمان لما فيها من بلاغة القول وقوة الحجة وأدب الحوار .

ردُّ الشيخ سليمان بعنوان « إلى الفاضل الرصافي المعروف » الصفحة الأولى من جريدة « بيت المقدس » . وقبل الاقتباس منه حرفياً يحسن ذكر تاريخين : ألقيت محاضرة يهودا في ١٤ كانون الأول ، وأرسل الأمر بنشر قصيدة الرصافي إلى الجرائد العربية في ٢٨ منه ، فتكون القصيدة قد نظمت بين هذين التاريخين ووصلت إلى « هربرت صموئيل المعظم » قبيل التاريخ الثاني . وبعد ذلك نشرتها الصحف العبرية مترجمة . أما جريدة « بريد اليوم » ، وهي الطبعة العربية لجريدة « دُوار هايوم » العبرية ، فنشرت القصيدة كلها . فقامت العاصفة . ولم تكن الجرائد حينئذٍ يومية ، بل كان بعضها يصدر مرة في الأسبوع أو مرتين أو ثلاث مرات على الأكثر . وهذا سبب تأخر النشر وظهور الردود . ومعظم هذه كان قاسياً وبلهجة شديدة بخلاف رد الشيخ سليمان الذي يعد بحق مثالاً في الأدب كما هو واضح من الفقرات التالية التي نقلت حرفياً :

— « عفا الله عنك وقد أجراك الشعر قسراً في مضماره أو جرى على لسانك بما لعلك لا تحب أن تقوله » .

— « والحازم الشفيق على نفسه مَنْ لم يَجبَهِ الناس بما لا يحبون ، هذا إذا شاء أن يصون كرامته وهذا إذا كانوا في ضلال . فما الظن بمن يأتي للحق فيقرعه في جبهته ويضربه في أرقّ موضع من نفسه إلا أن يكون ، أيها الفاضل ، ملوماً مليماً » .

— « لما انبثق نور النهضة لا نقول أكثر من أنه أدّاك اجتهادك إلى غير ما أدى إليه أمتك ... وإن اجتهادك ذاك قد أجناك ثمرة جهادك فأصبحت لدى الأتراك مبعوثاً عن بغداد » .

— « أقبلتَ إلى حاضرة الدولة العربية في دمشق ، ولعلك لم تلقَ منها ما كنت تحب ، فأرسلتَ نفثتَكَ المعروفة أتيت بها على كل شيء ... نفذت إلى أخلاق القوم تهجّن صحيحها وتكدّر صريحها وتنال في غير حق كريمها » .

— « هبطت هذه البلاد فأكرموا مثواك ... وأنستهم أخلاقهم الكريمة خذلانك لهم في تلك النهضة وإيثارك عليهم وظيفة النيابة . واليوم قمت ، عافاك الله ، تسدد إلى قلب ذلك الشعب ذلك السهم ... ولم يكن الناس على توقّع ذلك منك » .

— « رُحْتَ تنشر في جريدة صهيونية تعليقك على كتاب وصلك من ناشيء لم يكبح جماح نفسه ... فماذا يقول الناس يا معروف ؟ أيقولون إنك رغبت عن الأمة . . وإنك كنت تتحيّن مثل هذه الفرصة لتعلن اعتزالك لأمة تشترك معها في لغة واحدة ، وتمهد لنفسك عذراً بهذا الاعتزال وتزدرع لدى أعدائها السياسيين يداً تزدلف بها إليهم وتنال بها مرضاتهم »[1].

(١) بيت المقدس (٢٩ كانون الثاني ١٩٢١) . والمقصود من قوله « جريدة صهيونية » في الفقرة الأخيرة هو جريدة « بريد اليوم » . وفيها نشر الرصافي كتاباً جاءه من أحد منتقديه في مدينة نابلس مع تعليق يدل ، كما قال الشيخ سليمان ، « عما في النفس من نقمتك على الوطنيين » ، وقالت جريدة « بيت المقدس » في آخر رد الشيخ سليمان إن الرصافي عرض عليها ما نشره في « بريد اليوم » فنصحه المحرر أن لاينشره . ولم يكن بالامكان إيجاد نسخة من « بريد اليوم » في المكاتب العامة .

وختم الشيخ سليمان كلمته بقوله إن بعض محبي السلام التمسوا لأقوال الرصافي بعض « المخارج » ، ومن هؤلاء بولص شحادة صاحب جريدة « مرآة الشرق » ، من أعوان راغب النشاشيبي الذي ألقيت محاضرة يهودا بدعوة منه . فاقتبس شحادة من القصيدة ما فيها ، كما في كثير من أمثالها في قصائد الرصافي ، من تمجيد العرب . فلا عجب أن التجأ الرصافي إلى « مرآة الشرق » لنشر جوابه على كلمة الفاروقي التي نشرت في « بيت المقدس » وفيما يلي دفاع الرصافي عن نفسه وبلغته :

– « ما كتبت ولن أكتب إلا ما اعتقدت وأعتقد أنه هو الصواب وإنني لم أقل شعراً إلا وأنا مندفع إليه بدافع وجداني عام ليس للمنفعة الخاصة إليه من سبيل » .

– « ولقد سمعت هذا الرجل السياسي يتكلم بكلام يشف عن حسن نية في سياسة البلاد ، ويعد مواعد يجب على القوم تقييدها عليه مهما كانت. ولقد صدر منه ذلك الكلام في محفل حافل كنت لشقوتي فيه من الحاضرين .. فكان كلام هذا الرجل السياسي عندي من البواعث والدواعي إلى قولي القصيدة المعلومة . وأنا أعتقد أن ليس فيها ما يُغْضب الحق أو يُرْضي الباطل».

وبعد أن يلخص محتوى القصيدة من أولها إلى آخرها يقول :

– « فما تنقم منه ، أيها الوطني ، وما أنا براجع عنه ، وسأقوله غداً كما قلته بالأمس إذا توفرت الدواعي إلى القول . يجوز للوطني أن يخطئني ولا يجوز له أن يخوّنني ، فإنه متى نسبني إلى الخيانة كان عندي هو الخائن لا محالة » .

– « أعلن لجمهور البشر من وطنيين وغيرهم أنه من علم منهم بأني قلت شعراً لجلب مَغْنَم أو لدفع مَغْرَم فدمي له هدر » .

— « بعد مدة يسيرة اطلعت على اللائحة التي وضعها طلاب الاصلاح ورأيت القوم قد عقدوا مؤتمرهم في باريز فكتبت قصيدة « ما هكذا » منتقداً خطأ القوم في لائحتهم ومؤتمرهم معاً » .

— « إني أقول لك ، ولا فخر ، لم يكن في مبعوثي العراق من هو أحق مني بأن أكون مبعوثاً » .

— « نهضة الحجاز ... هبْني قاومتها كما تزعم ، فأيّ ضرر حصل لها من مقاومتي ، بعد أن أصبح العرب قاطبة يتمتعون اليوم بنتائج نجاحها العظيم ، إذ أصبحت بلادهم كلها وطناً سياسياً لهم مستقلاً استقلالاً تاماً ناجزاً. أنا لم أقاوم هذه النهضة إذ لا قوة لي على مقاومتها ولكني أبرأ إلى الله منها » .

— « والسلام عليك من رجل أينما ذهب اليوم لم يجد له وطناً سياسياً ، فهو ساخط على الدنيا ومن فيها »[1] .

هذا هو الدفاع وذاك هو الاتهام ، والحكم للقارىء . وإذا جاز للكاتب أن يبدي رأياً قال إنه تذكر حالاً بعد كتابة ما سبق قول عمر بن الخطاب لعامله على مصر عمرو بن العاص ، وقد سأله في مالٍ لم يكن عنده قبل الولاية ، « كتابك إليّ كتابُ مَنْ أقلقه الحق » .

والتاريخ فيه كثير من المفاجآت . إذ بعد أربعة أسابيع من نشر دفاعه عن نفسه غادر الرصافي القدس على عجل — بدعوة من حكومة العراق وبتسهيلٍ من صموئيل الذي سمح له بترك عمله قبل تعيين خلف له في دار المعلمين . ولفهم القصة نذكر بعض التفاصيل السياسية تمهيداً .

(١) مرآة الشرق (٦ شباط ١٩٢١) .

بعد أن احتل الفرنسيس دمشق وأخرجوا فيصلاً منها زحف أخوه عبد الله إلى شرق الأردن وأعلن عزمه على استرجاع دمشق . أما فيصل فقد فاوض الانكليز في لندن ، وتم الاتفاق على ترشيحه لعرش العراق على أن يتنازل عبد الله عن حقه فيه ويقبل البقاء في شرقي الأردن . وفي تلك الأثناء قامت في العراق بعد الثورة حكومة وطنية تحت إرشاد المندوب السامي البريطاني ، بخلاف فلسطين حيث كان المندوب منفذاً لحكم بريطاني مباشر . وأما شرقي الأردن فكانت في منزلة بين المنزلتين . وجاء وزير المستعمرات تشرشل للاجتماع مع المندوبين في القاهرة ومع عبد الله في القدس.

أما الحكومة العراقية فكانت برئاسة السيد عبد الرحمن الكيلاني وكان وزير الداخلية فيها طالب باشا النقيب (نائب البصرة في مجلس المبعوثان في استانبول قبل الحرب) . وكان كل منهما طامعاً في ملك العراق ، فقررا إصدار جريدة للدعاية في سبيل ترشيح عراقي لعرش العراق ومعارضة ترشيح فيصل ، فلم يجدا أصلح من الرصافي لهذه المهمة . وهذه بقية القصة بكلامه :

« اتفقوا على أني أنا الذي أتولى تحرير هذه الجريدة ، وجرى ذلك وأنا لا أعلم عنه شيئاً . وبما أني من المخالفين لطالب النقيب ، ومن الذين يبغضونه ، لم يُصْدر دعوة إليّ بهذا الشأن بنفسه بل بواسطة حكمت بك سليمان . فجاء تلغراف باسمه يدعوني إلى العراق مستعجلاً لمسائل وطنية مهمة . فكتبت إليه برقية بأي صفة تدعوني أنت ، ثم على حساب مَنْ آتي إلى العراق ، والظاهر أن طالب باشا هو الذي تولى هذا الأمر ، فطلب من المندوب السامي في فلسطين (وكان آنذاك السر هربرت

صموئيل) أن يسفرني إلى العراق على حساب الحكومة العراقية . فاستدعاني الموما إليه بوساطة أحد موظفي المندوبية . وفاتحني بالأمر فوافقت على السفر إلى العراق »[1] .

ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن . إذ بعد وصول الرصافي باسبوع واحد اعتقل الانكليز طالب النقيب ونفوه إلى سيلان . وبذلك سقط مشروع الجريدة ، خصوصاً لأن الكيلاني مال إلى ترشيح فيصل . وهكذا وجد الرصافي نفسه عاطلاً بلا مورد رزق . فالتجأ إلى المس غرترود بل سكرتيرة المندوب السامي ، فأعطته كتاب توصية إلى دائرة المعارف ، ولم يكن بالامكان إيجاد وظيفة دائمة ترضيه . وظل حاله كذلك مدة فعاد كما وصف نفسه « ساخطاً على الدنيا ومن فيها » وخاصة على الملك فيصل وحاشيته . ولكن هذا فصل آخر في حياة الشاعر له مجال آخر .

عبد اللطيف الطيباوي

---

(١) مصطفى علي : الرصافي وصلتي به (بغداد ، ١٩٤٧) ص ٢٧٣ ، وأحمد مطلوب : الرصافي ـ آراؤه اللغوية والنقدية (القاهرة ١٩٧٠) ص ٤٥

التعريف والنقد

عنترة وعبلة

حكاية غرامٍ بدويّة أعادت كتابتها وترتيبها دايانا ريجموند

Antar and Abla, A Bedouin Romance Rewritten and Arranged By Diana Richmond, London 1978 Published By Quartet Books Ltd.

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

مؤلفة الكتاب دايانا ريجموند من أسرة اسكتلندية مستوطنة في لندن ، تلقت تعليمهـا باديء ذي بدء في داون هاوس Downe House ومدارس الفن البلدية بلندن ، وبعد أن تقلّدت منصباً في النشر الموسيقي تزوجت شقيق زميلتها في الدراسة ، تلك التي أيقظت فيها اهتماماً خاصاً بمصر وفلسطين . وبعد أن فرّقتها السنوات الخمس من الحرب عن زوجها التحقت به في القدس ، ولكن الانتداب البريطاني كان في أخريات أيامه فانخرط زوجها سنة ١٩٤٧ في السلك الخارجي ، فعاشت المؤلفة فترة في بغداد وعمّان والقاهرة والكويت والخرطوم ، وزارت شمالي إفريقية وإيران

واجتازت العديد من الصحارى وزارت المواقع الأثرية القديمة . وهي معروفة بدعمها للقضية الفلسطينية وقد نشرت من أجل ذلك مقالات في الكاثوليك هيرالد (Catholic Herald) ومجلة الأديان العالمية « World Faiths » والمجلة العالمية للشرق الأوسط Middle East International .

والذي ألهم المؤلفة هذا الكتاب صورة لعنترة رأتها لأول مرة في في القاهرة ثم في دمشق ، وبعد ذلك بفترة وجيزة في بيت بعض الأصدقاء العراقيين في إيطاليا ، مما حدا بها إلى كتابة هذه الحكاية مجدداً .

وعنترة — كما نعلم — شاعر عربي بطل عاش في القرن السادس الميلادي ، ولكنني لا أعتقد كما يعتقد بعضهم ، ومن بينهم المؤلفة ، أن الأصمعي من رجال الحاشية الأدبية في بلاط الرشيد هو الذي وضع الرواية في اثنين وثلاثين مجلداً وإنما هي من وضع القصاص أيام الحروب الصليبية .

والكتاب عبارة عن مختارات مترجمة ومحوّرة عن نسختين فرنسيتين ظهرتا سنتي ١٨٧٨ و ١٩٢٣ ونسخة انكليزية نشرت سنة ١٨٢٩ ، وهي تحدثنا جميعاً عن صراع عنترة كعبد يحاول أن ينال مكانه الجدير به في العشيرة وحبه لبنت عمه عبلة وزواجها . يتخلل كل ذلك حكايات أحداث الحب والفروسية والحرب والخيانة ومغامرات أقرانه ومعاصريه ؛ وبعض الأشخاص المذكورين حقيقيون والبعض الآخر من صنع الخيال ، كما أن بعض الحوادث المرويّة تاريخية إلى جنب أخرى مفتعلة . وقد قامت اولريكا لويد بتزيين الكتاب بصور تخطيطية إيضاحية جميلة . وإهداء الكتاب إلى : « توماس الذي ولد في عاصمة العباسيين ويحب الدنيا الناطقة بالعربية » وتوماس هو ابنها العراقي ولادة ، وقد وشحت الكتاب

بعبارة مقتبسة من « جورج ماكدونالد » في كتابه (خلف ريح الشمال) At The Back of the North Wind يقول فيهـا : « القاص البارع هو الذي يحاول أن يحسّن قصصه كلما أعاد روايتها . ويبدو أن غلوب باشا قد ساعدها في مواضع من هذا الكتاب الذي يضم ثمانية وعشرين فصلاً .
وتعقد السيدة المؤلفة مقارنة بين (الف ليلة وليلة) و (قصة عنترة بن شداد العبسي) فتقول إن العرب يفضلون الثانية على الأولى ربما لأنها أكثر واقعية ، ثم تبدي المؤلفة تذمرها من عدم اطّلاع الانكليز الاطلاع الكافي فيما يتعلق بالعرب وتاريخهم وأدبهم ، ورغم أن مراكش أقرب إلى انكلترة من اليونان بكثير فإن مدى التفاوت في الاطلاع شاسع ورقعة البلاد العربية الممتدة من أغادير إلى عدن والخليج أوسع وأهم ؛ وباعتقاد السيدة دايانا ريجموند أن العرب واقعيون لا يسمحون لأنفسهم أن يحلقوا في دنيا الخيال إلا في أدبهم ، ولا سيما قصصهم وأشعارهم ، وهم أبرع الناس في معرفة الصحارى واجتيازها بسرعة وسلام ، كما أن فيهم عشقاً خاصاً للعبارات البليغة وغراماً بالألفاظ الرائقة المنتقاة ، فلا عجب أن يكتبوا أجمل أشعارهم على الحرير وبأحرف من ذهب ويعلقوها في أقدس مكان ألا وهو الكعبة. فأي شعب في الدنيا بلـغ من تقديسه للغة ما بلغه العرب ؟ ومن هؤلاء الذين علقت أشعارهم على جدران الكعبة عنترة . وككلّ رواية تنـال الإعجاب وتُروى بملايين الأفواه عبر الصور ازدادت القصة سعةً وغنى وثراء في التعبير ، ولم يكن بوسع المؤلفة أن تلم بمختلف وجوه الرواية ، فاقتصرت على وجهين منها ، أولها حُبُّه الاسطوري لعبلة وثانيها فوزه في احتلال المكانة اللائقة به في قبيلته ؛ وللقصة مغزًى بعيد هو أن الإنسان

مهما كان مغموراً مهملاً فقد يدرك ذرى المجد بجهده المتواصل . وليس الكتاب مجرد أحداث في حياة عنترة وما يتصل بقبيلته من قريب أو بعيد بل يستطرد من حين لآخر إلى عادات العرب وتقاليدهم ونمط عيشهم ، فمن ذلك أن النساء أيام عبلة كن يشربن لبن الشياه عند نهوضهن في الصباح الباكر وكان الخدم يحملون هذا اللبن إلى شيوخ القبيلة بعد أن يُبرَّد بنسيم الفجر ، وقد اتخذت الكاتبة طور قُصَّاص العرب فهي تخاطب قرّاءها بقولها في الحكاية الثالثة عشرة : « وبينما كان عنترة غائباً ، أيها المستمعون لم يعد الرجال والنساء ، فضلاً عن أطفال القبيلة ، يبتهجون بوجود عبلة بينهم أو يسمعون ضحكاتها المرحة » ويُلاحَظ أن الكاتبة قد نعتت فصولها الثمانية والعشرين بالحكايات ، وباعتقادي أنها حاولت جاهدة نقل الأسلوب العربي الأصلي إلى قرائها الانكليز ، فقد تتخذ أحياناً طريقة الواعظين في كلامها كما هو الأمر في ختام الكلام الذي يدل على احترام عظيم تكنه السيدة للرسول الكريم ومحبة للعرب ومراعاة لشعورهم ؛ فخلافاً لما يذكره المؤلفون الأوربيون في خرائطهم استعاضت عن عبارة الخليج الفارسي بالخليج العربي ، ومن الطريف أن الرسامة التي زانت كتابها بالصور الايضاحية هي الأخرى قد جارتها في أسلوبها التقليدي ، فالصور تذكرنا بما نجده في المخطوطات العربية المصوّرة باستثناء النساء العاريات في بركة الاستحمام وقد لمحهنّ راكب مصادفة من بين القصب المحيط بالبركة .

وإذا جاز لنا أن نوجه شيئاً من النقد إلى الكتاب فإنما ينصب على الحكاية الأولى التي ليست بحكاية وإنما استعراض للقبائل والشيوخ وكان بالإمكان حذفه ودمج ما فيه من نقاط جوهرية قليلة في الحكاية الثانية

الموسومة بـ (ثياب عنترة) . ومن النقدات التي يمكن أن توجه إلى الكاتبة هي أنها لم تتبـع الأسلوب المتعارف عليه في نقل الأسماء العربية بالرسم اللاتيني كما حصل مـع أسماء أخرى من نحو (كنعان) و (مضر) و (والمُهَلْهِل) وكنا نود لو أن غلوب باشا الذي راجع الكتاب قد نبهها إلى هذه الناحية .

وقد نجد فصلاً لا ينطبق عنوانه عليه تمام الانطباق كالفصل الرابـع الموسوم (عبلة) وليس فيه عن (عبلة) سوى مشهد مفاجأة عنترة لابنة عمه وهي تمشط وتتزين ، فتهرب منه إلى الجانب الآخر من الخباء وتحاول بعد ذلك أن تنهض كل يوم مبكرة لزينتها لئلا يفاجئها ابن عمها كرّةً أخرى في مثل هذه الحال عندما يأتيها باللبن الساخن فَطُوراً كلّ صباح ، هذا كل ما في فصل عبلة عن عبلة . ثم تمضي المؤلفة لتتحدث عما كان يقاسيه عنترة من ضرب والده المبرّح له ، مع أنه لم يكن أقوى منه ، وإنما كان يرضخ له ويذعن احترامـاً له ليس غير ، وأخيراً يتفق أبوه وعمـه على قتله في بعض الآجام ، وبينا هما يكمنان له وراء الأدغال إذ يخرُجُ عليه سَبعٌ ضارٍ فيفرحان لأنه سيقوم بالمهمة عنهما ولكن سرعان ما يذهل الجمع المتآمر المختبيء عندما يشاهد عنترة يهجم على الأسد ويمسك بفكيه ويشقه شقين ويسلخ جلده ليستعمله فروا له ، فيكبرون عمله ويعتدّونه منذ ذلك الحين بطلاً من الأبطال ، وتقص علينا الأستاذة الكاتبة في هذا الفصل كيف أن جماعة مغيرة تأتي غازية فتسبي عبلة فيستردها عنترة بعد أن يقتل سابيها ويوقع بالغزاة أفدح الخسائر .

أعتقد أن خير عنوان لهذا الفصل (بطولة عنترة) لأن البطولة هي الطاغية عليه و (عبلة) موضوع ثانوي فيه ، ومن الممتع أنه خُصِّصَ فصلٌ مستقلٌ للأبجر ، فرس عنترة ، فهو في نظر السيـدة دايانا لا يقل أهمية عن (عبلة) في مدار الكلام ومجريات القصة . وأخيراً كنت أوَدُّ لو أن الأشعار في الكتاب قد تُرجمت بدقـة وبراعة أكثر ، ولكن هذا لا يمنعني من تقديم التهنئة لدايانا ريجموند على جوانب أخرى من كتابها الأنيق اللطيف (عنترة وعبلة) .

اكسفورد صفاء خلوصي

فيليب لطف الله

شــــاعراً وإنســاناً

تأليف الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين

[سان باولو - البرازيل ١٩٧٧]

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

تباركت اللغة العربية ، فما أوسع مداها وما أعظم انتشار رقعتها فهي اليوم لغة ١٥٠ مليون عربي ومليار مسلم يرددون ألفاظها العذبة في الصلوات الخمس ومن فوق آلاف المآذن ، ولن تنطوي صفحة هذا القرن إلا وستكون اللغة الأولى في العالم بإذن الله .

تباركت هذه اللغة السماوية في كتاب هو أقدس كتب الباري عزّ اسمه وجلّت صفاته . أقول هذا وقد باغتني البريد بكتاب جديد مطبوع بالعربية في سان باولو بالبرازيل ، والبرازيل ذاتها اسم عربي كما يقول علماء المعجميات واللغات فقد اشتق من عبارة « بر السَّيْل » لكثرة ما كان فيها من سيول يوم وفد عليها المغامرون الإسبان المنحدرون من أصل عربي . وأيًا كان مقطع الصواب في هذه التسمية ومحجة القول الفاصل ففي البرازيل

اليوم عروبة وفي العروبة نشر وإبداع على صعيدي الشعر والنثر ، وقد راقني أن يكون الشاعر عربياً برازيلياً في أقصى الغرب ومَنْ كتب عنه في المشرق العربي وفي قلب العروبة النابض — في العراق ؛ ومن يتحدث عنها في كعبة المعاجم والآداب الانكليزية ، اكسفورد . فأنا إذن صادق كل الصدق حين أقول إن أوتار الخناجر تصدح بالعربية ما بين بغداد وإكسفورد وسان باولو في هذه الساعة التي نتحدث فيها ، فضلاً عن عواصم وأمصار الدنيا الأخرى . لن أتقدم بتعريف للأستاذ المؤلف وحيد الدين بهاء الدين فهو صاحب ما لا يقل عن عشرين كتاباً في موضوعات متباينة شتى ما بين خواطر هائمة وتراجم أعلام ومراجعات كتب وقصص وحكايات ولوحات أدبية فهو صاحبُ مصطفى جواد ؛ صاحَبَهُ وراسله دهراً ، وصديق الشاعر حافظ جميل وقد كتب عن خمرياته وزهدياته ، والخِلُّ الوفي لأمير شعراء المغتربين في أوربا الأستاذ الكبير جورج صيدح ، وقد ألّف وكتب عن حياته وشعره ورسائله . وكفاه هذا التناغم والتجاوب الأدبي بينه وبين أساطين الفكر المعاصر على اختلاف أمصارهم واعتزازاً وفخراً ومكانة مرموقة في دنيا الأدب والبحث والنقد .

أما المُترجَم له : « فيليب لطف الله » الحاج مخوّل التبشراني ، فهو شاعر البرازيل العربي دون منازع ؛ ولد عام ١٨٩٧ في قرية بسكنتا ، أم العباقرة الأفذاذ ، الرابضة على سفح صنين الشامخ ، قرية ميخائيل نعيمة ورشيد أيوب وكعدي فرهود . انخرط في سلك المدرسة الوطنية ببسكنتا متلقياً بها دروسه الأولى على نفقة الدولة الروسية القيصرية يومذاك ؛ وفي سنة ١٩١٢

يمّم فيليب وجهه شطر ضهور الشوير ليلتحق بالمدرسة الأميركية فكان ذلك أول عهده بالانكليزية وشرع يراسل أخاه « سليم » في البرازيل وقد سبقه في الهجرة إليها فقرر أن يُبْحِر إليها مهاجراً عام ١٩١٣ غير أن الحرب العالمية الأولى وكوارثها وويلاتها حالت دون ما كان يهدف إليه ويتمنى، ولم تتح له بعـد ذلك فرصة الهجرة إلا عام ١٩٢٠ مصطحباً معه شقيقته وابنَي عمّه وهو يردد بمرارة [من بحر الطويل] :

أهاجرُ لُبناناً وفي الحلـقِ غُصّةٌ وفي القلب غُصّاتٌ وفي العين أدمعُ
وفي النفس أنّاتٌ على من هجرتُهُم صِحابٌ وأحبابٌ وأهلٌ وأربُـعُ
وشوقٌ بـه نار الجحيم تأججتْ هي الحبُّ ،هل يوماً إلى العُش أرجعُ؟
وخَفَقْتُ عن نفسي بدمعٍ ذَرَفْتُهُ وكلُّ يمامٍ فارقَ السِّرْبَ يسجعُ!

هذا هو والله الديباج الخُسرواني ، فأي لسـان يردد هذه الأبيات ولا يرتعش ارتعاشة أوتار الكمان بحنين دونه حنين الفطيم إلى أمه والفرخ التائه إلى عُشّه .

وعلى صغر حجم الكتاب النسبي فقد جمع أطراف الموضوع وحَسُنَ تقسيمُ فصوله إلى فصلٍ استهلالي عن حياته بعنوان : « إشارات وإضاءات » يدعمه فصل يحلل فيه الكاتب الفاضل شعر المُترْجَمِ له ، يليه آخر واسمه « نسمات برازيلية » ، ثم فصلان ممتعان أحدهمـا عن أدب فيليب لطف الله الاخواني والآخر عن مراسلات بين المؤلف والشـاعر ، ومسكُ الختام كما هو المعتـاد في كتب تراجم الشعراء الموفقة فصل يضم نماذج من شعر فيليب لطف الله بموضوعات وأوزان وقوافٍ متنوعة تروق الأذن والقلب

والعقل فهو يتنقل بين (جهنم الدرهم) و (زمن الصِّبا) و (الشباب في الشيخوخة) و (عيد النصر) و (الزورق الضائع) و (موت البلبل) و (العزلة الخضراء) و (بين دارين) و (مروج الياسمين) إلى آخر ما هنالك من عناوين معظمها من ابتكار الشاعر واختراعاته المبدعة ؛ وقد صوّر لنا الأستاذ وحيد الدين شاعره جاداً في موضوع الحب ،هازلاً في مواقف الهزل والسخرية ، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الشاعر المفلق فللحياة أطوار متضاربة متناقضة ، ولا بد من تصويرها ببراعة كلما وجد الشاعر نفسه مطوقاً بها . ومن جميل شعره الهازل الساخر قوله : [من الكامل] :

لم يبقَ غيرك للبريَّة مغنمٌ عبدوكَ قبلَ إلاههم يادرهمُ !
إنْ رنَّ صوتُكَ فالقلوبُ خوافقٌ أو بانَ وجهُكُ فالأسِرَّة تبسِمُ

وتعجبني في الشاعر المسيحي العربي الأصيل فيليب لطف الله روحُهُ الاسلامية التي يجعلها جزءاً لا يتجزأ من عروبته الخالصة ، ويتجلى ذلك واضحاً صريحاً في قصيدته (عيد النصر) ، التي يقول فيها أبياتاً تجد تجاوباً في قلوب العرب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم فمن ذلك قوله [من الوافر]:

رسولَ الله جئتَ رسولَ هديٍ ونوراً للأعارب والأنامِ
فكان الوحيُ للإسلام ديناً يقومُ على التآخي والسلامِ
وما القرآنُ إلا فجرُ علمٍ به مشَتِ القلوبُ إلى الأمامِ
رسولَ الله حين وطئتَ أرضاً أزاحَ النورُ أستارَ الظلامِ

وفيليب لطف الله أديبٌ مترسل ؛ ولكن شاعريته غالبة عليه فهو

شاعر حتى في نثره ولا يـكاد يمضي في رسالة أو رد على رسالة بضعة أسطر حتى يعرّج به شيطانه على وادي عبقر فإذا بالرسالة شعرٌ أكثر منها نثراً، وهذا ما لاحظته في مراسلاته مع الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين في كتابه عنه ؛ ولا تخلو هـذه الرسائل من التفاتات بارعـة ظريفة فقد بعث إليه الأستاذ المؤلف شيئاً من تمر العراق فكتب إليه يقول :

« تحية أشهى من التمر .. كانت صلتنا روحية أدبية بحتة فأصبحت بعد أن اشتركت معدتي بحلاوة تمرك جسدية أيضاً » ولا يتمالك نفسه من أن يطلق العنان للسانه فيتدفق شعراً عذباً ، ويمضي مغنياً [من البسيط] :

يستعذبُ التمرَ من أرجاءِ بغدادِ إنْ جاء موسمُهُ في غير ميعادِ
النفسُ تمرح في أفضالِ مرسِلِهِ وينعَمُ الجسم في عذبٍ من الزادِ

ويبدو أن هناك حركة أدبية عربية مباركة في مهاجر البرازيل لا بد أن يماط عنها اللثـام كاملاً . وقد رفع الأديب الكبير الأستاذ وحيد الدين جانباً من هذا اللثام في كتابه الجديد عن « فيليب لطف الله » رجل الأعمال البرازيلي ورئيس رابطة القلم فيهـا والشاعر الوجداني الذي خلَّد وفـاءَهُ للبنان في ديوانه (نسمات الجبل) ولم يجحد فضل وطنه الثـاني البرازيل فأصدر ديوانه الآخر (نسمات برازيلية) .

ولكأن ما يقوله الأديب اللبناني راجي عشقوني عن فيليب لطف الله في مجلة (المراحل) العربية — البرتغالية للسيدة ماريانا فاخوري ينطبق على الأديب الباحث الأستاذ وحيد الدين أيضاً ، ولا عجب فهما في هذا الكتاب روح واحدة في جسدين : أحدهما مشرِّقٌ والآخر مغرِّب . ويقول الشاعر راجي عشقوني :

« إنك تكتب لا تشكر ، بل من طبعك أن تُعطيَ دون شرط ، لكأنك الشمسُ التي تزور الأرض وتمسح بكفها الأشياء وتمضي ولاتسأل ولكن العافية التي تحركت في كل عرق هي وحدها ترتفع أناشيد صامتة تشكر للشمس حُبَّها » .

وختاماً أمد يمناي إلى فيليب لطف الله مباركاً شاعريته وشاكراً هديته ويُسراي حيث موضع القلب إلى الأستاذ الكبير وحيد الدين بهاء الدين على ما أسدى للعربية من صنيع بترجمته لهذا الشاعر الفذ .

اكسفورد صفاء خلوصي

حول ديوان عروة بن الورد

الأستاذ محمد يحيى زين الدين

نشر ديوان عروة بن الورد أول مرة في جوتنجن[1] عام ١٩٦٣ بتحقيق المستشرق الألماني تيودور نولدكه . وقد أثبت المحقق في أول الديوان بعض أخبار عروة بن الورد ، كما ترجم قصائد الديوان ومقطعاته إلى اللغة الألمانية ، مع ذكر مقدمة موجزة عن الشاعر ، وعن نسخة ديوانه .

ثم طبع ثانية في القاهرة عام ١٢٩٣ هـ بعناية الأستاذ أمين بن عمر زيتونة ، ضمن « مجموع مشتمل على خمسة دواوين من أشعار العرب » . ومع أن الأستاذ المحقق لم يذكر النسخ التي اعتمدها في نشرته تلك ، إلا أنني أرجح أنه اعتمد على المطبوعة السابقة ، ولكن ترتيب المقطعات في نشرته مختلف عما هو في طبعة المستشرق .

كما طبع أيضاً في بيروت عام ١٣٢٧ هـ ضمن « خمسة دواوين العرب » إلا أن الناشر أغفل مجمل شرح ابن السكيت ، وبعض الأخبار الأخرى، كما أعاد ترتيب الديوان ترتيباً هجائياً ، بيد أن أغلب المقطعات خالية من الشكل إلا في القليل النادر .

(١) وفقاً لقواعد التعريب يقتضي أن نكتب : غوتنغن .

كذلك نجد في شعراء النصرانية طائفـة أخرى من أشعار عروة بن الورد وبعض شرح ابن السكيت ، غير أن المؤلف بدل ترتيب المقطعات على غير نهج واضح ، كما أضاف إليها جملة من الأخبار المتصلة بها وبعض الأبيات المتفرقة ، ولكنه أباح لنفسه ألواناً من التصرف في النص لم تخل في بعض المواضع من سقط واضطراب .

ثم نشر مرة أخرى في الجزائر عام ١٩٢٦ م . بتحقيق الأستاذ محمد ابن أبي شنب ، وهي فيما أرى من أفضل طبعات الديوان ، وأتمها ، وأغزرها شعراً . إذ استطاع المحقق أن يصحح كثيراً من أخطاء النشـرات السابقة وأن يكمل النقص في بعض عباراتها .

كما نشر أيضاً في بيروت عام ١٩٦٤ م بعناية الأستاذ كرم البستاني ، بيد أنه أعاد ترتيبـه على القوافي ، كما أثقل النصوص بشيء غير يسير من التزيد والاضطراب ، مما أدى إلى كثرة بالغة من الأخطاء اللغوية والنحوية.

كذلك طبـع في دمشق عام ١٩٦٦ بعناية الأستاذ عبد المعين الملوحي غير أنه لم يعتمد في نشرته تلك على نسخة خطية من الديوان ، وإنما اعتمد بعض الطبعات السابقة منه ، إلا أنه لم يشر إلى أي اختلاف فيما بينها ، كما لم يبين عدد الأبيات وترتيبها في كل مطبوعة . كذلك لم يعن بتخريج الشعر أو معارضة رواية الديوان والروايات المختلفة في شتى المصادر . وثمة بعض الملاحظات الأخرى أجملها فيما يلي :

● ص ٣٥ : « قال اللحياني : يقال المحتـال من الرجال إنه لَحُوَلة ، وَحُوَّل قُلَّب ، وحُوالي قُلَّب » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٨٧ [١] : ... إنه لحولة وحُوَّلة وحول قلب ...

● ص ٣٩ : « ماوان : واد فيه ماء فيما بين النُّقْرَة والرَّبَذَة فغلب عليه الماء فسمي ذلك الماء مَاوان . رُزَّح : قد سقطوا من الإعياء. وكانت منازل بني عبس فيما بين أبانَيْن والنُّقْرَة وماوان والرَّبَذَة هذه منازلهم » .

والشرح في معجم البلدان (ماوان) عن ابن السكيت باختلاف يسير : « هو واد فيه ماء بين النقرة والربذة فغلب عليه الماء فسمي بذلك الماء ماوان . وكانت منازل عبس فيما بين أبانين والنقرة وماوان والربذة . هذه كانت منازلهم » .

● ص ٤٢ :

إذا آذاكَ مالُكَ فامتهِنْهُ لجادِيه وإن قَرِعَ المُراحُ

والصواب : « إذا آداكَ » بالدال ، وآداك : أعانك . ويروى : « إذا ما آد » ، وآد : كثر . انظر اللسان والتاج (أدا) ، (قرع) ، والأمالي ٥٨/٣ ، وسمط اللآلي ٧١٤/٢ ، وديوان عروة بن أذينة ٣١٤ . وهذا البيت شرحه المحقق كما يلي : « قرع : خلا وفرغ . المراح : المكان يروح القوم فيه » . والصواب : قرع المراح : أي هلكت الماشية ، يقال: قرع مأوى المال ومراحه من المال قرعا . هلكت ماشيته فخلا .

---

(١) شرح ديوان عروة بن الورد طبع القاهرة ١٢٩٣ هـ ، وهو الأصل الذي اعتمده المحقق .

● ص ٥٢ : « والماء البارد : أي في الشتاء ، وذلك أشد » .

والذي في شرح ابن السكيت ص ٨٨ : والماء بارد : أي في الشتاء، فذاك أشد .

● ص ٥٦ « السرير موضع في بلاد بني كنانة » .

والشرح في معجم البلدان (السرير) عن ابن السكيت ، وهو كذلك في اللسان (سرر) دون نسبة .

● ص ٥٦ :

رُويدَ عليٌّ جُدّ ما ثديُ أمّهم إلينا ولكن وُدّهم مُتمايِنُ

« يريد متفاعلن ، من المين ، وهو الكذب . يقال : كذب ومان » .

والصواب : « متفاعل » والبيت لمالك بن خالد الخناعي كما في أشعار الهذليين ٤٤٧/١ ، وهو كذلك في اللسان (مين) ، (مأن) ، (جدد) ، (رود) ، والتاج (مأن) ، وتهذيب اللغة ٤٦١/١٠ ، ١٦٢/١٤ ، ٥٢٩/١٥ ، والمخصص ٨٩/١٤

● ص ٥٧ : ذو النقير : هو موضع ماء لبني القين ولكلب ، وقيل موضع يقر فيه الماء .

والشرح في معجم البلدان (النقير) باختلاف يسير :

« موضع وماء لبني القين من كلب ... » .

● ص ٥٨ : « اليَستَعُور : موضع قبل حَرّة المدينة فيه عِضاه من سَمُرٍ وطَلْح » .

والشرح في معجم البلدان (اليستعور) عن أبي عبيدة باختلاف يسير:

« ... عضاه وسمر وطلح » .

● ص ٥٨ : فطاروا في عضـاه اليستعور : وهي بعيدة لا يـكاد يدخلها أحد إلا يرجع من خوفها » .

والشرح في معجم البلدان (اليستعور) عن ابن السكيت بتصرف يسير: « وعضاه اليستعور : جبال لا يكاد يدخلها أحد إلا رجع من خوفها».

● ص ٦١ :

وكيفَ تُرجّيها وقد حِيلَ دونَها وقد جاورتْ حيّاً بتيمُنَ مُنْكرا

والصواب : « تيمَن » بفتح الميم . انظر معجم البلدان (تيمن) ،ومعجم ما استعجم ٤/١١٢١ ، واللسان (تمن) .

● ص ٦١ : « قوله كَدَاء هذه التي ذكرها ممدودة وهي أرض ببيشة كثيرة الأسد وكدا غير هذه مقصورة ثنية بين مكة والطائف » .

والشرح في معجم البلدان (كداء) عن ابن السكيت وفيه : «.. ممدودة هي ... »

● ص ٦١ — ٦٢ : « تيمَن أرض قبل جُرَش أو في شق اليمن وثم كَدَاء والناس ينشدونها : بتيماءَ مُنْكرا . وهـذا خطأ وتيماء التي ينشدها الناس أرض قبل وادي القرى بها نخل كثير » .

والشرح في معجم البلدان (تيمن) عن ابن السكيت بتصرف يسير: « تيمن أرض قبل جرش في شق اليمن ثم كداء ، والناس ينشدونها : بتيماء منكراً . وهذا خطأ لأن تيماء قبل وادي القرى وهذه المواضع باليمن».

● ص ٦٤ :

لعلّكِ يوماً إن تُسيرّي ندامةً عليّ بمـا جشمتني يومَ غَضورا

والصواب : « أن تسري » .

● ص ٦٧ : « يقال للذي يخرج سهمه من القداح أولاً : فاز سهمك » .

والذي في شرح ابن السكيت ص ٩٤ : قد فاز سهمك .

● ص ٦٩ : « وهي في الدواهي مثل هذه الإبل » .

والصواب كما في شرح ابن السكيت ص ٩٤ : مثل هذه [١] في الإبل .

● ص ٧٤ :

فيوماً على نجدٍ وغاراتِ أهلِها ويوماً بأرضٍ ذاتِ شتٍ وعَرْعَرِ

والصواب : « ذات شَثٍّ وعرعر » . انظر اللسان والتاج (شثث) ، والأصمعيات ٤٧ .

● ص ٧٦ :

وبالغُرِّ والغَرّاءِ منها منازلٌ وحولَ الصَّفا من أهلِها مُتَدَوَّرُ

والصواب : « وبالغَمْرِ » بالفتح . ويروى : « وبالغَرو » . والبيت في اللسان (غرا) ، ومعجم ما استعجم ٣/٩٩٩

● ص ٧٦ : « غَضْوَر : ثنيّة فيما بين المدينة إلى بلاد خزاعة وكنانة » .

والشرح في معجم البلدان (غضور) عن ابن السكيت باختلاف يسير: « غضور : مدينة فيما بين المدينة ... »

● ص ٧٧ : « يريد بأثواب خفافٍ : الأبدان » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٩٧ : يريد بقوله بأثواب..

---

(١) أي الناقة المذكر .

● ص ٧٨ : « أي متى ما يحملوا عليه ما لا يطيق من العذل والظلم يَتَغَيَّر » ..

والذي في شرح ابن السكيت ص ٩٧ : أي متى يحملوا ..

● ص ٨١ : « وعُلامة كل شيء ما جاء منه بعدما يمضي أوله » .

والصواب كما في شرح ابن السكيت ص ٩٧ : وعُلالة كل شيء . .

● ص ٨١ : « مهند منسوب إلى الهند . فما أرفىء منه بالخَط" وهي قرية بالبحرين سمي خطيا » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٩٨ : « . . . . . الهند ،والأسمر : الرمح تؤخذ قناته وقد أدركت في غابتها ونضجت ويبست ، فإذا قوّمت خرجت سمراء . وهو الأظمى ، يقال : رمح أسمر وأظمى وشفة ظمياء : أي سمراء . والخطي : القنا ، كله يؤتى من الهند ، فما أرفىء منه بالخط ... »

● ص ٨٣ : « وكان الرجل إذا حسنت إبله في عينه ، وامتنع من أن ينحرها في حق ، أو يعطي منها في حَمَالة ، قيل : أخذت إبل فلان أرماحها » .

والصواب كما فيشرح ابن السكيت ص ٩٨ ، واللسان (رمح) : يمطي ... رماحها .

● ص ٨٥ : غزت بنو عبس طيئا بعدما رمي عنترة ، فسبوا نساء خارجات من الجبل ، فتبعتهم طيء ، فقاتلتهم عبس ، وكان عامر ابن الطفيل ... » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٩٨ : « ... فقاتلتهم

عبس حتى ردوهم إلى جبلهم ، وجاؤوا بالنساء إلى بني عبس ، وكان عامر بن الطفيل .... » .

● ص ٨٦ : « والطَّفلة : الناعمة الرطبة » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٩٩ : .... النَّاعِمة الرَّخْصة الرَّطْبة .

● ص ٨٦ : « إذا شال السماك — أي النجم — ارتفع » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٩٩ : .. أي النجم — أي ارتفع .

● ص ٨٧ : « سبيت في الليل من آخره » .

والذي في شرح ابن السكيت ص ٩٩ : سبيت بالليل في آخره .

● ص ١١٥ : « لأن الأثل إنما تنبت بالجبل ، يعني حتى تروا يثرب » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ١٠٢ : « ... بالجبل ، فيقول : المكان الذي تطلب فيه الغارة هو منبت الأثل ، والهيمة هناك ، ومنبت النخل : يعني حتى تروا يثرب » .

● ص ١١٥ : « وحرس واد بنجد فقال حرسين لشيء آخر » .

والشرح في معجم البلدان (حرس) عن ابن السكيت وفيه :

« وحرس واد بنجد فأضاف إليه شيئاً آخر فقال حرسين » .

● ص ١١٦ : « لأنا نطرُدُها ونسبق الناس بها » .

والذي في شرح ابن السكيت ص ١٠٣ : ونسبق بها الناس .

● ص ١٢٠ : « وبنوس يتحرك من ثقل القدر ، وفوقها أعلاها ، إنما أراد أن الأثافي تحرك على هذا القدر » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ١٠٤ : ... القدر ، ولم يرد فوقها أعلاها إنما أراد ...

● ص ١٢٣ : فإذا لم يفتضها قيل : باتت بليلة حُرَّةٍ » .

والذي في شرح ابن السكيت ص ١٠٥ : فإذا لم يقتضها . وفي اللسان (فضض) : افتضَّ فلان جاريتَه ، واقتَضّها إذا افترَعها . وتتمة العبارة السابقة : فإذا لم يفتضها من ليلتها قيل : باتت بليلةٍ حُرَّةٍ .

● ص ١٢٣ :

أقولُ له يا مالِ أمُّكَ هابلٌ   متى حُبست على أفَيّحَ تُعقَلُ

والصواب كما في معجم ما استعجم ١٧٨/١ : أفيحٍ تُعَقّلُ .

● ص ١٢٥ : « بذي طلال : يروى بذي ظلال . هو ماء قريب من الرَّبَذَة وقال غيره هو واد بالشربة لغطفان » .

والشرح في معجم البلدان (ظلال) عن ابن السكيت باختلاف يسير . وانظر كذلك اللسان (طلل) .

● ص ١٢٩ : « قوله : ولم أسألك قبل اليوم ولكني على أثر الدليل » .

والصواب :

ولم أسألك قبلَ اليومِ شيئاً   ولكنّي على أثرِ الدّليـــلِ

● ص ١٣٣ :

فإلا أنَلْ أوساً فإنيَ حسبُها   بمنبطَحِ الأوعالِ من ذي الشلائلِ

والصواب كما في معجم البلدان : « من ذي السلائل » ، وهو واد بين الفُرع والمدينة ، وهذه المقطعة ليست من مرويات ابن السكيت .

نسبت بعض المراجع إلى عروة بن الورد عدداً من المقطعات والأبيات المفردة التي لم ترد ضمن مرويات ابن السكيت وهي في مجموعها اثنتان وعشرون قطعة ، عدة أبياتها اثنان وأربعون بيتاً ، إلا أن أغلبها من الشعر المتنازع كالمقطعات ١ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، أما المقطعات ٣ ، ١٠ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، فهي لم تنسب إلى عروة ابن الورد إلا في مراجع متأخرة لا يمكن الاعتماد عليها . وليس يصح من المقطعات الباقية فيما أرى إلا المقطعتين ٤ ، ٢٢ .

لستُ لِمُرَّةَ إن لم أوفِ مَرقبةً يبدو ليَ الحرثُ منها والمقاضيبُ[1]

* * *

لسعدى بصافٍ منزلٌ متأبِّدُ عفا ليسَ ماهولاً كما كنتُ أعهدُ[2]

عفَتْهُ السَّواري والغوادي وأدرجت به الريحُ بوغاءَ تَصبُّ وتَصعدُ

* * *

فلم يبق إلا النُّؤيُ كالنُّونِ ناحلاً نحولَ الهلالِ والصفيحُ المُشيَّدُ

وكم مِن كريمٍ قد أضرَّ به الهوى فعوَّدَهُ ما لم يكن يتعوَّدُ[3]

* * *

(١) اللسان والأساس (قضب) وتهذيب اللغة ٣٤٨/٨ ، والبيت مطلع مقطعة في تسعة أبيات لأبي خراش الهذلي ، وهي في أشعار الهذليين ١٢٣٢/٣ ، والبيت في التكملة (قضب) ، وفيه : « قال عروة بن مرة أخو أبي خراش ، ويروى لأبي خراش أيضاً ... » وانظر الشعر والشعراء ٦٦٤/٢ ، وأشعار الهذليين ١٣٢٦/٣ ، والتاج (قضب) .

(٢) معجم ما استعجم ١٣٢٦/٤ ، وفيه : « وقال عروة وذكر صافا ...» ولعله عروة بن الورد .

(٣) محاضرات الأدباء ٤٢/٣

ألا إنَّ شرَّ الناس كلهم نهدُ ... وألأمهم جهداً إذا بلغَ الجَهدُ(١)
وأكثرهم حيّاً كة تنسفُ الثّـا ... إذا أظلمت يأوي إلى حجرها عبدُ

* * *

إن كُنتِ كارهــةً لعيشتنا ... هــاتا فحُلي في بني بـدر (٢)
الضــــاربين لدى أعنَّتهم ... والطـاعنين وخيلُهُم تجري
متى ما يَجيء يوماً إلى المالِ وارثي ... يَجِدْ جمع كفٍّ غير ملأى ولا صِفرِ (٣)
يَجِد فَرَساً مثلَ القَناةِ وصارِماً ... حُساماً إذا ما هُزَّ لم يرضَ بالهَبرِ

* * *

أبتِ الرّوادفُ والثُّديُّ لِقُمصها ... مسَّ البُطُون وأن تَمَسَّ ظُهُورا(٤)
وإذا الرِّياحُ مع العَشِيِّ تناوَحت ... نَبَّهنَ حاسِدةً وهيّجنَ غَيُورا

* * *

فلا ترضَ مَن عيشٍ بدونٍ ولا تَنَمْ ... وكيفَ ينامُ الليلَ مَن كان مُعسِرا(٥)

(١) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ٧٣٤/٢ ، وفي الحاشية : « والبيتان في ديوان عروة ص ١٢ » إلا أنني لم أجدها في الطبعة التي أحال عليها المحقق .

(٢) أشعار النساء ٨٢/٣ (مخطوط) . والصواب أنهما لحاتم الطـائي ، وهما في ديوانه ٢١٥ ، وانظر أيضاً اللسـان (نحت) ، (نضر) ، وتهذيب الألفاظ : ٥٥٨

(٣) كتاب العصا : ٢٠٦ – ضمن المجموعة الأولى من نوادر المخطوطات – وهما في البيان والتبيين ٥٩/٣ دون نسبة . والصواب أنهما لحاتم الطائي ، وهما في ديوانه : ٢٥٣ ، والحماسة ٢٩٥/٤ – ٢٩٦ ، والتبيان ٢٧١/٢ ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي : ٧١٣ .

(٤) محاضرات الأدباء ٣٠٧/٣ ، وهما في ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٣٨٤ أيضاً . والبيتان في الحماسة ٢٤٦/٣ ، والحماسة البصرية ٩١/٢ ، والأمالي ٢٣/١ ، والبصائر والذخائر ٤٩٣/٣ ، والعقد الفريد ٤٥/٤ ، ١٠٢/٧ دون نسبة .

(٥) عيون الأخبار ٢٤٣/١ ، والعقد الفريد ٣١٠/٢ ، والمحاسـن =

والنَّاشِئاتِ الماشياتِ الخوزَرى كَعُنُقِ الآرامِ أوْفَى أو صَرَى (١)

* * *

وكنتَ أخي والدَّهرُ مرخٍ سُدولَهُ علَيَّ فلمَّا نابني بالمغائظِ (٢)

تبرَّأتَ منّي واستترتَ بمِلَّةٍ وما هكذا أهلُ الوفا والحفائظِ

* * *

يا هندُ بنتَ أبي ذراعٍ أخلفتِني ظنّي وتِرتِني عشقي (٣)

ونكحتِ راعي ثلّةٍ يُثَمِّرُها والدَّهرُ فانيهِ بما يُبقي

* * *

فلو أنّني شهدتُ أبا معادٍ غداةَ غدا بمهجتهِ يَفُوقُ (٤)

فديتُ بنفسِهِ نفسي ومالي وما آلوكَ إلّا ما أطيقُ

* * *

كريمٌ رأى الإقتارَ عاراً فلم يزلْ يجوبُ بلادَ اللهِ حتى تَموَّلا (٥)

= والمساوىء : ٢٨٥ ، وغرر الخصائص : ٢١٦ ، ولباب الآداب : ٢٧ ، والأغاني ١٦/٧٨ ، والحماسة البصرية ١/١٠٩ — ١١٠ ، وانظر الديوان : ق/ ٢١ : ٨٩ .

(١) اللسان والتاج (خزر) ، (صرى) . والبيت الأول في المخصص ١٤/٢٦ ، وإصلاح المنطق ١٦٢ ، والأساس (خزر) دون نسبة ، وهو في الصحاح (خزر) لأبي الصهباء بن المختار العقيلي ، وهما في تهذيب اللغة ١٢/٢٢٦ ، دون نسبة .

(٢) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة : ٣٣ . وانظر مقدمة المحقق (و — ز) ، وديوان الشماخ : ٤٤٨

(٣) الموشح : ١٢٢ ، ونقد الشعر : ٦٨ ، والبيتان مضطربا الوزن .

(٤) ديوان الحطيئة ١٨٧ ، والموشح ١٢٨ ، ونقد الشعر ٨٧ ، ومنهاج البلغاء ١٨٤ ، والبيت الثاني في اللسان (تيز) ، وهو في أمالي المرتضى ١/٢١٧ للعباس بن مرداس .

(٥) الرسالة الموضحة ١٨٥ ، وهما في الحماسة البصرية ١/١١٣ لأحمد بن =

فلما استفادَ المالَ عادَ ببذلـــهِ ... لمن جـــاء يبغي نداه مـــؤملا

وذي أمل يرجو تراثي وإن ما ... يصيرُ لهُ منـــهُ غداً لقليلُ (١)

وما لِيَ مالٌ غيرُ درعٍ ومِغفرٍ ... وأبيضُ من ماءِ الحديـدِ صقيلُ

وأسمَرُ خَطّيٌّ القنـاةِ مُثقّفٌ ... وأجردُ عُريانُ السَّراةِ طويلُ

وكنتَ كليلةِ الشّيبـــاءِ هَمَّت ... بمنعِ الشّكرِ أتأمَها القَبيلُ (٢)

* * *

إذا المرءُ لم يُقدم على الهولِ لم ينل ... رغائبَ دنياهُ وإن كانَ حازِماً (٣)

ومن تركَ الأمرَ الذي علَّهُ به ... إذا جدَّ فيه مُبلغُ الحاجِ سالمـــا

* * *

مخافةَ أمرٍ علّهُ أن يكيدَهُ ... فليسَ بذي أوبٍ مدى الدهرِ غانما

مـــا ابنُ أبي جهمٍ بأوّلِ ظالمٍ ... تدبُّ أفاعيهِ لنـــا وأراقمُهْ (٤)

* * *

فدع مـــا لمتَ صاحبَهُ عليـــهِ ... فشينٌ أن يلومَكَ من تلومُ (٥)

= سالم المري ضمن مقطعة في سبعة أبيات . والبيتان وقبلها بيتان آخران لمضرس الأسدي في بهجة المجالس ١/٢٢٨ ، وهما في الحماسة ٤/٢٧١ دون نسبة .

(١) الوساطة ٢٣٨ ، والشطر الأول في التبيان ٢/٢٧١ ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي ٧١٣ ، وفيه : « وكلاهما في الحماسة » . والصواب أن الأبيات لأبي الأبيض العبسي كما في الحماسة ٢/٤٠٢ ، وتمام القطعة ستة أبيات .

(٢) المعاني الكبير ١/٥٠٩ ، واللسان (تأم) ، (شيب) ، والتـــاج (تأم) ، وهو في الصحاح (تأم) ، والأزمنة والأمكنة ٢/٧٢ دون نسبة . وانظر الديوان ق/٣٥ : ١٢٨

(٣) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة ٩٤

(٤) ديوان الحطيئة ٣٢٨ ، وفيه : « وبيت عروة في الألفاظ لابن السكيت » .
— لم ينسب هذا البيت إلى عروة بن الورد ، وإنما هو في تهذيب الألفاظ ٣٦٤ دون نسبة .

(٥) الصداقة والصديق ١٢٧

أتت بالمُعلَّى عنــدَ أول سَورةٍ ... وبالمُسْبِل الثّاني وبالمجلس والتَّوْءَمْ (١)
وجاءت بفَــذٍّ والضَّريب يليهما ... وبالنّافس المغلوب في الرأس والقدمْ
فراحَ بهـــا غنمٌ وتغرمُ ما جنت ... وقد يَغرم المرءُ الكريمُ إذا اجترمْ
وأنتَ مَنيحٌ باليدين متى تَعُدْ ... تمد صاغير الآمالِ نالَ ولا عَزَمْ

* * *

ألم تعرف منـــازلَ أمِّ عمـرو ... بمنعرجِ النواصفِ من أبانِ (٢)
وقفتُ بهـــا ففاضَ الدّمعُ مني ... كمنحـــدرٍ من النَّظمِ الجمانِ

* * *

ولكن لن يُلَبِّثَ وصلَ حيٍّ ... وجـــدةَ وجهِهِ مرُّ الزمانِ
إذا ما جعلتَ الشاةَ للقومِ خُبرةً ... فشأنَكَ إني ذاهبٌ لشؤوني (٣)
ومُحسبةٍ قد أخطأ الحقُّ غيرَهـا ... تنفّسَ عنها حينُها فهي كالشَّوي (٤)
فأعجبـــني إدامُهـــا وسنامُهـــا ... فبِتُّ أليتُ الحقَّ والحقّ مبتلي

لم يرو ابن السكيت من أشعار عروة بن الورد سوى إحدى وثلاثين مقطعة بيد أن المحقق أضاف إلى ما رواه ابن السكيت عدة مقطعات أخرى ، ولكنه لم يجعلها في قسم مفرد ، وإنما أقحمها بين قصائد الديوان دون تمييز .

---

(١) محاضرات الأدباء ٧٢٤/٢

(٢) المنازل والديار ٣٨

(٣) المعاني الكبير ٦٨٤/٢

(٤) البيتان في اللسان (ليت) ، وتهذيب اللغة ٣٢٢/١٤ ، والبيت الأول في اللسان والتاج (حسب) ، وتهذيب اللغة ٣٣٥/٤ ، وهو في اللسان (نفس) والمحكم ١٥٠/٣ دون نسبة . والبيت الثاني في اللسان والتاج (شوا) دون نسبة أيضاً . والشطر الثاني منه في التاج (ليت) .

وكذلك لم يبين المحقق ما في نسبة هذه المقطعات من شك أو ترجيح كما يتضح من الأمثلة التالية :

١ – ق /٤ : ٢٩

إذا المرءُ لم يَبعثْ سواماً ولم يُرِحْ عليه ولم تعطِف عليـــه أقاربُهْ
فللمـوتُ خيرٌ للفتى من حياتِـهِ فقيراً ومن مولىً تدِبُّ عقاربُهْ
وسائـلةٍ أينَ الرحيـــلُ وسائلٍ ومن يسألُ الصُّعلوكَ أين مذاهبُهُ
مذاهبُهُ أنَّ الفِجـــاجَ عريضةٌ إذا ضَنَّ عنهُ بالفَعـالِ أقاربُهْ
فلا أتركُ الإخوانَ ماعشتُ الردى كما أنّه لا يتركُ المـــاءَ شاربُهْ
ولا يُستضامُ الدهرَ جاري ولا أرى كمن باتَ للصـديقِ عقاربُــــهْ
وإن جارتي ألوتْ رياحٌ ببيتهـــا تغافلتُ حتى يسترَ البيتَ جانبُهْ

الأبيات الأربعة الأولى لأبي النّشناش النهشلي في الأغاني ١١/٤٣ ، كما نسبت إليه الأبيات ١ – ٣ في الأصمعيات : ١١٨ ، وعيون الأخبار ١/٢٣٧ ، والحماسة ١/٣٠٢ – ٣٠٣ ، والحماسة البصرية ١/١١٢ ، أما الأبيات ٥ – ٧ فلم ترد ضمن أبيات أبي النشناش . وانظر كذلك مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ٥٠ ص ٨١٦

٢ – ق /٨ : ٤٣

قالت تُماضرُ إذ رأتْ مالي خوى وجفا الأقاربُ فالفؤادُ قريحُ
مالي رأيتُكَ في النّدِيّ منكَّساً وَصِباً كأنّكَ في النّدِيّ نطيحُ
خاطرْ بنفسك كي تصيب غنيمـةً إن القعودَ مع العيـــالِ قبيحُ
المـالُ فيه مهـــابةٌ وتَجِلّةٌ والفقرُ فيـــه مذلّـةٌ وفضوحُ

والأبيات ليست من مرويات ابن السكيت . وقيل هي للنمر بن تولب.

ولعلها كذلك ، فالبيتان ٣ – ٤ في عيون الأخبار ١/ ٢٣٨ ، وبهجة المجالس ١/٢٠٢ للنمر بن تولب ، وانظر أيضاً غرر الخصائص : ٢١٦ .

٣ – ق/ ٢١ : ٨٩

إذا المرءُ لم يطلُبْ معاشاً لنفسِهِ شكا الفقرَ أو لامَ الصديقَ فأكثرا

وصارَ على الأدْنَينَ كَلّاً وأوشكت صِلاتُ ذوي القربى لهُ أن تَنكَّرا

وما طالبُ الحاجاتِ من كلِّ وجهةٍ من النّاسِ إلا من أجدَّ وشمَّرا

فسر في بلاد الله والتمس الغنى تَعِشْ ذا يسارٍ أو تموت فتعذرا

والأبيات الأربعة في العقد الفريد ٢/٣١٠ وفيه :

« كان الرماحس بن حفصة بن قيس ، وابن عم له يدعى ربيعة بن الورد ، يسكنان الأردن ، وكان ربيعة بن الورد موسراً ، والرماحس معسرا كثيراً ما يشكو إليه الحاجة . ويعطف عليه ربيعة بعض العطف. فلما أكثر عليه كتب إليه ... » .

والأبيات ١ – ٤ في لباب الأداب : ٢٧ للنابغة ، ولكنني لم أجدها في ديوانه ، وهي في عيون الأخبار ١/٢٤٣ دون نسبة . والأبيات ١، ٢، ٤ في الأغاني ١٦/٧٨ لأبي عطاء السندي ، وهي في غرر الخصائص ٢١٦ دون نسبة والبيتان ١ ، ٢ في المحاسن والمساوىء ٢٨٦ ، وبهجة المجالس ١/٢٦٦ دون نسبة كذلك . كما نسبت بعض المراجع عدداً من أبيات هذه المقطعة إلى عروة بن الورد ، أذكر منها : الحماسة البصرية ١/١٠٩ ١١٠ ، وفيها الأبيات ١ – ٤ ، وبهجة المجالس ١/١٩٩ ، وفيها البيتان ١ ، ٢ ، وهذه المقطعة ليست من مرويات ابن السكيت .

٤ – ق/٢٢ : ٩٠

سلي الطارقَ المُعترَّ يا أمَّ مالكٍ إذا ما أتاني بين قِدري ومجزرِي

أيسفرُ وجهي أنّه أوّلُ القِرى وأبذلُ معروفي لهُ دون مُنكري

والبيتان في الأغاني ١١/١٤٩ للعجير السلولي ضمن مقطعة في ستة أبيات . وفيه : قال ابن حبيب : من الناس من يروي هذه الأبيات لعروة ابن الورد وهي للعجير » . وهما في البيان والتبيين ١/١٠ لحاتم الطائي ، وعنه أثبتها المحقق في ديوانه ص ٣٠٠ ، والبيتان في بهجة المجالس ١/٢٩٨، وأمالي الزجاجي ٢٠٤ ، والحماسة ٤/ ١٣٤ ، دون نسبة . والبيت الأول في الموازنة ١/٢١٢ دون نسبة كذلك . وهذان البيتان ليسا من مرويات ابن السكيت .

٥ – ق/٢٧ : ١٠١

فراشي فراشُ الضيفِ والبيتُ بيتُهُ ولم يُلهِني عنهُ غزالٌ مُقنّعُ
أحدّثهُ إنّ الحديثَ من القِرى وتعلمُ نفسي أنّه سوف يَهجعُ

البيتان في أمالي المرتضى ١/٤٧٥ ، وبهجة المجالس ١/٢٩٦ ، لمسكين الدارمي ، والثاني منها كذلك في الحماسة البصرية ٢/٢٣٩ ضمن مقطعة فى ثلاثة أبيات . وهما في الحماسة ٤/٢٤٣ – ٢٤٤ لعتبة بن بجير ، غير أنها نسبا في الحماسة البصرية ٢/٢٤٧ إلى عقبة بن مسكين الدارمي ؟

وهما أيضاً في ديوان طفيل الغنوي ١٠٢ – ١٠٣ ، ضمن مقطعة في أربعة أبيات ، وفيه : « وهذان البيتان يرويان لعروة بن الورد ولغيره » .

والبيتان كذلك في اللسان (بصص) ، وعيون الأخبار ٣/ ٢٤٠، والبيان والتبيين ١/١٠ ، دون نسبة ، ويروى قبلها :

أرى كُلّ ريحٍ سوف تسكنُ مرّةً وكلُّ سماءٍ لا محالةَ تقلعُ
وإنّي والأضيافَ في بردةٍ معاً إذامات نصفُ الشمسِ والنصفُ ينزعُ

انظر اللسان (بصص) ، والحماسة البصرية ٢/٢٣٩

٦ – ق/٣٠ : ١٠٤

وخيلٍ كنتُ عينَ الرُّشدِ منهُ إذا نظرتْ ومستمِعاً سميعا
أطافَ بغيِّهِ فعدلتُ عنه وقلتُ له أرى أمراً فظيعاً

البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي ، وهما في ديوانه : ١٦٠ ضمن الطرائف الأدبية – غير أن ابن قتيبة نسبها في عيون الأخبار ٣/١٥ ، والشعر والشعراء ٢/٥٥٦ إلى عمر بن أبي ربيعة ، وهما في ذيل ديوانه ٤٨٧ – ٤٨٨ . إلا أنهما نسبا إلى عروة بن الورد في محاضرات الأدباء ٣/٩ ، والأغاني ٣/٦٩ – دار الثقافة – ويروى معهما بيت آخر وهو :

أردت رشادَهُ جهدي فلمّا أبى وعصى أتيناها جميعا

٧ – البيتان ٣ – ٤ من المقطعة ٦ ص : ٣٩ ، في عيون الأخبار ١/٢٣٨ ، والمعاني الكبير ١/٤٩٨ لأوس ابن حجر ، غير أنني لم أجدهما في ديوانه . وهما لأبي العيال الهذلي في العمدة ١/٢٤ ، وعنه أثبتها المحقق في شرح أشعار الهذليين ٣/١٧٤٣ ، وانظر كذلك بهجة المجالس ١/١٩٩ ، والأمالي ٢/٢٣٤ ، ونهاية الأرب ٣/٦٨ ، والحماسة ٢/٣٥ ، ومعجم البلدان (ماوان) ، وغرر الخصائص : ٢١٦ ، والمحاسن والمساوىء ٢٨٦ والتمثيل والمحاضرة ٥٧و٤٠٠ ، وثمار القلوب ١٠٣ ، والبخلاء : ١٩٢

٨ – البيت الأول من المقطعة ٧ ص ٤٢ في اللسان والتاج (قرع) والمحكم ١/١١٧ لعروة بن أذينة ، وانظر اللسان والتاج (أذا) ، والأمالي ٣/٥٨ ، وسمط اللآلي ٢/٧١٤ ، والمخصص ١٢/١٨٢

٩ – البيت التاسع من المقطعة ١٥ ص ٦٣ في اللسان والتاج (حور) ، وفي اللسان : « قال هدبة ونسبه ابن سيده لابن أحمر » .

وهو في شعر عمرو بن أحمر ص ١٨٠ صنعة الدكتور حسين عطوان . وانظر كذلك الأساس (حور) ، والمحكم ٣٨٦/٣ ، وتهذيب اللغـــة ٢٧/٥ ، والمخصص ٤٩/٣

١٠ — البيت الأول من المقطعة ٢٥ ص ٩٧ ، والبيت السابع من المقطعة ٢٦ ص ١٠٠ في حماسة البحتري ٣٠٨ لمسعود بن مصاد الكلبي ، وهما في الحماسة البصرية ٣٢/١ لأبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي . وانظر كذلك التيجان في ملوك حمير ٢٤٦

١١ — ق / ٢٣ : ٩١

دعيني للغـــنى أســـعى فإني رأيتُ الناسَ شَرُّهمُ الفقيرُ
وأبعدُهم وأهونُهم عليهـــم وإن أمسى له حَسَبٌ وخِيرُ
ويقصيـهِ النـــديُّ وتزدريـه حليلتُهُ وينهـــرهُ الصغيرُ
ويُلفى ذو الغنى وله جـــلالٌ يكادُ فؤاد صاحبهِ يطيرُ
قليلٌ ذنبهُ والذنبُ جَـــمٌّ ولكن للغنى رَبٌّ غفـــورُ

وفي الحاشية : « ورد البيت الأول من القصيدة في طبعة المطبعة الوهبية في القاهرة ، ووردت الأبيات الثلاثة الأخيرة في طبعة المطبعة الأهلية ببيروت » .

— لم يرد البيت الأول ضمن مرويات ابن السكيت وإنما ورد في أول الديوان ضمن أخبار عروة بن الورد التي أثبتها الناشر عن الأغاني ، كما وردت الأبيـات بتمامها في مطبوعة المكتبة الأهلية . وليس كما ذكر المحقق . وهي كذلك في بهجة المجالس ٢٠٨/١ - ٢٠٩ ، وعيون الأخبار ٢٤١/١ ، والعقد الفريد ٣٠٨/٢ ، والبيان والتبيين ٢٣٤/١ ، والبخلاء ١٨٣ ، والأبيات ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ في الحماسة الشجرية ٤٧٨/١ وهذه المقطعة ليست من مرويات ابن السكيت .

١٢ — ق / ٣١ : ١٠٧

تقولُ سليمى لو أقمتَ لسَرَّنا ولم تَدرِ أنّي للمُقامِ أطَوِّفُ

وفي الحاشية : « ورد هذا البيت في طبعة المطبعة الأهلية ببيروت ».

— لم يرد هذا البيت في طبعة المكتبة الأهلية ، وإنما ورد في مطبوعة دار صادر ص ٥١ . وهو كذلك في التمثيل والمحاضرة ٤٠٠ ، وعيون الأخبار ١/٢٣٤ ، والوساطة ٢٢٩ ، والأغاني ٣/٧٨ - دار الثقافة - وشعراء النصرانية ٨٩٨

حلب **محمد يحيى زين الدين**

آراء وأنباء

تقرير

عن أعمال المجمع في دورته ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨

أ ـ مجلس المجمع :

عقد مجلس المجمع في دورته المنصرمة ١٩٧٧ - ١٩٧٨ تسع عشرة جلسة بحث فيها أموراً مجمعية مختلفة أهمها :

ـ ناقش ما تلقاه المجمع من بعض الهيئات والمؤسسات داخل القطر وخارجه من موضوعات ثقافية ولغوية وتوصيات ومقررات ومصطلحات مختلفة ، وأحال كلّا منها على اللجنة المختصة لدراستها وبيان الرأي فيها .

ـ ناقش المذكرات والبحوث التي أعدها بعض أعضائه والتي دارت حول نشر التراث وتنمية البحث اللغوي ، وضمور ما ينشر في القطر عن تطور البحث اللغوي ، والعمل على نقد ما ينشر من كتب التراث ، وحول أسرار الأبجدية العربية .

ـ درس موضوع تعديل القرار الجمهوري ذي الرقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠

والمتضمن القانون الأساسي لإنشاء مجمع اللغة العربية . وألف لجنة من أعضائه ضمت السادة : الدكتور محمد كامل عياد والأستاذ المهندس وجيه السمان والأستاذ عبد الهادي هاشم لدراسة القانون ووضع مشروع جديد يقدم إلى المجلس لمناقشته .

ـ نظر في الدعوات الموجهة إلى المجمع من مختلف الهيئـــات العلمية والثقافية داخل القطر وخارجه للمشاركة في مؤتمرات أو ندوات أو حلقات دراسية ، ورشح من يمثل المجمع من أعضائه فيما قرر المشاركة فيه .

ـ إضافةً إلى اللجان الخمس الدائمة ألف لجنة سادسة هي لجنة ألفــاظ الحضارة وقد ضمت الأعضاء السادة : الدكتور عدنان الخطيب ، والدكتور شكري فيصل ، والدكتور عبد الكريم اليافي .

ـ عمل على زيادة توثيق الصلات وروابط التعاون بالهيئات العلمية والثقافية في القطر وخارجه وذلك بطريق المشاركة في نشاطاتها التي دعي إلى الإسهام فيها ، وتبادل المطبوعات والمجلات والأفلام الدقيقة المصورة والمكبرة على الورق وغيرها من الوسائل الأخرى .

ـ تابع الاهتمام من أجل إيجاد مطبعة حديثة للمجمع تفي بمتطلباته واطلع على ما آلت إليه مساعي رئيس المجمع في هذا الأمر .

ـ تتبـع المراحل التي اجتازها البناء الجديد للمجمـع ووقف على سير أعمال تنفيذ المرحلة الأخيرة من بنائه وهي مرحلة الكسـوة والتجهيز .

ب ـ **أعمال اللجان :**

اللجنة الادارية :

قامت ، خلال جلساتها التي عقدتها في هذه الدورة ، بدراسة الأمور

الإدارية والشؤون المالية ، وقضـايا الموظفين وفقاً لما نصت عليـه اللائحة الداخلية واتخذت القرارات اللازمة والتي تقضي بها مصلحة المجمع .

ومن أعمالها :

وافقت على مشروع قرار وضعته الإدارة ينظم شؤون مكتبة المجمع ويحدد أغراضها وأهدافها ومهام موظفيها ، وطرق تصنيف كتبها وفهرستها وقواعد الإعارة وغير ذلك من الأمور التنظيمية والإدارية والفنية — وقد أحيل المشروع على وزارة المالية لنشره .

وافقت على مشروع قرار وضعته الادارة يتناول تعديل القرار ذي الرقم ٧٩ والمؤرخ في ٢١/١٠/٩٧٦ والمتضمن حدود التعويضات عن المقالات التي تنشر في المجلة ، وعن الكتب المؤلفة والمحققة التي ينشرها المجمع . وقد نص المشروع على رفع حدود هذه التعويضـات إلى مستوى يتناسب مع الظروف الحاضرة ، ومع ما تمنحه بعض الوزارات والمؤسسات الرسمية الأخرى من تعويضات في مجال النشر والتأليف والتحقيق .

درست مشروع موازنة المجمع للعام ١٩٧٩ والبيانات الموضحة لهـا والتي أعدتها الإدارة والمحاسبة وأقرتها . وقد بلغت الموازنة العامة للمجمع للعام ١٩٧٨/١٠١٨٣٠٠٠/ ليرة سورية . وبلغت الموازنة الاستثمارية/١٠٣٢٢٠٠٠/ ليرة سورية .

لجنة المجلة والمطبوعات :

درست في جلساتها التي عقدتها في غضون هذه الدورة ما ورد عليهـا من مقالات وبحوث من داخل القطر وخارجه ، وأقرت نشر ما كان مناسباً منها لأغراض المجلة وأهدافها .

لجنة المخطوطات وإحياء التراث :

عقدت سبع جلسات قامت خلالها بدراسة وتدقيق ما تلقته من كتب التراث المحققة ، وقد أقرت طبع ونشر : كتاب تاريخ أبي زرعة الدمشقي تحقيق الأستاذ السيد شكر الله نعمة الله وكتاب شرح أرجوزة أبي نواس وكان المجمع قد طبعه ونشره سنة ١٩٦٩ ولكن عضو المجمع المراسل الأستاذ محمد بهجة الأثري أعاد النظر في تحقيقه بعد العثور على مخطوطة جديدة له . وقدمه إلى المجمع للموافقة على إعادة طبعه بصورته الجديدة كما أنها درست كتابين آخرين هما :

جزء من تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق الأستاذ الشيخ عبد الغني الدقر .

وكتاب شعر ربيعة الرقي . جمع وتحقيق الدكتور يوسف حسين .

وقد أبدت بعد دراستها ملاحظات حول كل منها وأبلغتها إلى صاحبيها ليعيدا النظر في التحقيق في إطار هذه الملاحظات .

لجنة ألفاظ الحضارة :

عقدت اثنتي عشرة جلسة استعرضت فيها مختلف ميادين الحضارة بغية اختيار موضوع للدرس . وقد وقع اختيارها على مادة (اللون) وذلك لعلاقته بالفنون وبعلمي الكيمياء والفيزياء وبجوانب أخرى من جوانب الحياة الحضارية . وتدارست الوسائل المجدية لاستقصاء كل ما جاء عن اللون في كتب اللغة والتراث والمعاجم والموسوعات . وعهدت إلى كل من الأعضاء بطرف من أطراف البحث والتنقيب تمهيداً لبدء بالعمل المشترك .

لجنة المصطلحات :

عقدت سبع جلسات قامت خلالها بدراسات تمهيدية لتحديد الأعمال والمهام الملقاة على عاتقها ووضع أسلوب لتحقيق هذه المهام وجمع مكتبة خاصة تحوي المصادر والمراجع التي تحتاج إليها في دراساتها . كما أنها بحثت موضوع توصية اللجنة الثقافية التي تنص على أن المجمع هو المرجع الأساسي للتعريب في القطر وعلى تأليف لجنة وطنية للتعريب ، وكذلك درست توصية مدير مكتب تنسيق التعريب في الرباط للاشتراك في مؤتمري التعريب الذين سيعقدهما المكتب خلال عامي ١٩٨٠ و ١٩٨٣ للاستفادة من التجربة السورية في تعريب مصطلحات التعليم العالي والجامعي ومصطلحات التعليم التقني العام وأبدت رأيها واقتراحاتها في ذلك إلى مجلس المجمع وقد تبناها ونقلها المجمع إلى مكتب تنسيق التعريب في الرباط .

لجنة الأصول :

عقدت ثماني جلسات درست خلالها موضوعات شتى أحالتها عليها رئاسة المجمع ، وتصدت لموضوعات أخرى تتصل بأغراضها .

ومن أهم الموضوعات التي أحالها المجمع عليها لدراستها ومعالجتها :

- كتاب (المفتاح) للأستاذ محمد الكسار ـ وكتاب (جدلية الحرف العربي) للأستاذ عنبر .

- سؤال طرح على المجمع وموضوعه : (ألغة الضاد هي العربية أم لغة الظاء) .

- أجابت أحد الباحثين وأرشدته إلى الوجه الصواب في ما أشكل

عليه من الألفاظ الفصحى والعامية في موضوع الألفاظ الشائعة على ألسنة الأطفال العرب وتصنيفها والاستعاضة عن عاميتها .

ـ أجابت عن استفتاء وجهته إليها لجنة المصطلحات بالمجمع بشأن كتابة المصطلحات العربية المنكرة إذا كانت منقوصة .

ـ نظرت في مقترحات بشأن إصلاح الكتابة العربية .

أما الموضوعات التي تصدت لها فهي:

ـ وسائل خدمة الأصول — وضع قواعد الترقيم في الكتابة العربية .
— ما يجب أن يكون عليه المعجم العربي الجديد — تطور الألفاظ العربية وتغير دلالاتها — طغيان الأساليب الأعجمية وعلاجه .

ج ـ نشاط المجمع داخل القطر :

ـ شارك رئيس المجمع الأستاذ الدكتور حسني سبح في اجتماعات اللجنة الثقافية التي عقدت في مقر رئاسة مجلس الوزراء والتي بحث فيها موضوع الحفاظ على اللغة العربية والسبل التي تؤول إلى تحقيقها .

ـ شارك الأستاذ رئيس المجمع في الاجتماع الذي عقد بوزارة التعليم العالي والذي بحث فيه أمر تشكيل اللجنة الوطنية للتعريب .

ـ كلف العضو الدكتور شكري فيصل بالمشاركة ، ممثلاً للمجمع في الاجتماعات التي تعقدها اللجنة المكلفة بدراسة وضع مشروع قانون لحماية المخطوطات في القطر العربي السوري .

ـ كلف العضو الأستاذ عبد الهادي هاشم بالمشاركة في اجتماعات اللجنة التي تدرس وسائل تنفيذ التوصية السابعة من توصيات اللجنة الثقافية والتي تنص على (تحسين طرائق تدريس اللغة العربية بغية تسهيل تعلمها) .

- شارك المجمع في جناح الكتب الخاص بوزارة التعليم العـالي في معرض دمشق الدولي السابع والعشرين لعام ١٩٧٨ .

د ـ نشاط المجمع خارج القطر :

شارك رئيس المجمع الأستاذ الدكتور حسني سبح في اجتماعات اللجنة الاستشارية للمكتب الصحي الاقليمي لشرق البحر المتوسط لبحث موضوع استعمال اللغة العربية في منظمة الصحة العالميـة وما ينبغي لتحقيق ذلك من إجراءات ، في مقدمتها دعوة لجنة من الأطباء الاختصاصيين من الأقطـار العربية لتحضير معجمين طبيين أحدهما انكليزي عربي والثاني إفرنسي عربي ، ثم النظر في مطبوعات التوعية الصحية التي صدرت عن المنظمة المذكورة في جنيف وتهيئة جدول بأفضلية ترجمة بعض تلك المطبوعات للغة العربية ، وتنفيذاً للقرار المذكور دعي رئيس المجمـع والعضو الدكتور محمد هيثم الخياط إلى المشاركة في جلسات لجنة المعجمين التي انعقدت خلال هذه السنة في كل من الاسكندرية وبغداد وتونس لتهيئة المعجمين المذكورين واللجنة ماضية في سبيل تحقيق هذه الغاية .

- شارك العضو الأستاذ عبد الهـادي هاشم في المؤتمر الدولي الثاني عشر لعلماء الألسنيات في العالم الذي انعقد في فينا .

- شارك العضو الدكتور شكري فيصـل في مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي الذي عقد في جامعة بغـداد في المدة الواقعة بين ٤ و ٧ آذار ١٩٧٨ .

- شارك العضو الدكتور عبد الكريم اليافي ممثلاً للمجمع في اجتماع الخبراء العرب لإجراء المراجعة النهائية للجزء الأول من مشـروع دليل

مصطلحات الحاسبات الالكترونية الذي عقدته المنظمة العربية للعلوم الإدارية بمدينة عمان في المدة الواقعة بين ١ و ١٣ /١٩٧٨/٧ .

- شارك رئيس المجمع الأستاذ الدكتور حسني سبح والعضوان السيدان المهندس وجيه السمان والدكتور محمد هيثم الخياط في الندوة التي أقامها مجمع اللغة العربية الاردني في ٢٢ و ٢٣ آذار ١٩٧٨ في عمان والتي تناولت موضوع تجربة دمشق في تعريب التعليم العالي الجامعي . وقد رأس هذه الندوة رئيس المجمع الدكتور حسني سبح .

هـ - أعضاء المجلس :

- انتخب المجلس العضو الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائباً لرئيس المجمع .

- انتخب العضو الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد عضواً في اللجنة الإدارية .

- قررت محافظة مدينة دمشق إطلاق اسم العضو الراحل المرحوم الأستاذ جميل صليبا على أحد شوارع مدينة دمشق ، ويسعى المجمع لدى المحافظة لتسمية بعض شوارع المدينة بأسماء الزملاء الراحلين جميعاً .

- اطلق اسم العضو المرحوم الشيخ محمد بهجة البيطار على مدرسة من مدارس حي الميدان بمدينة دمشق .

و - مطبوعات المجمع :

الكتب التي صدرت :

- فهارس مجلة المقتبس من وضع الأستاذ رياض عبد الحميد مراد .

- كتاب (محمد كرد علي مؤسس المجمع) ويضم ما ألقي من مقالات وقصائد في مهرجان ذكرى مرور مئة عام على ولادته ، والذي أقيم بدمشق خلال أسبوع العلم السادس عشر سنة ١٩٧٦ ، وما تلقاه المجمع من كلمات بعد انقضاء المهرجان .

كما صدر الجزء الرابع من المجلد الثاني والخمسين والجزءان الأول والثاني من المجلد الثالث والخمسين من مجلة المجمع .

الكتب التي بوشر طبعها :

- فهرس لمخطوطات دار الكتب الظاهرية في التصوف وضع الأستاذ محمد رياض المالح .

- فهرس لمخطوطات دار الكتب الظاهرية في الفقه الحنفي من وضع الأستاذ محمد مطيع الحافظ .

- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري بتحقيق الدكتور محمد يوسف .

- الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري تحقيق الدكتور أمجد طرابلسي .

- تاريخ المنصوري بتحقيق الدكتور أبو العيد دودو .

- جزء من تاريخ دمشق لابن عساكر ويضم تراجم الرجال - من عبد الله بن جابر إلى عبد الله بن زيد .

- تصنيف العلوم والمعارف من وضع المرحوم الدكتور يوسف العش وبمراجعة السيدة سماء المحاسني .

الكتب التي قرر نشرها ولم يبدأ بطبعها :

- جزء من تاريخ دمشق لابن عساكر ويضم تراجم الرجال من عبادة إلى عبد الله بن ثوب .

- المعاصرون من تأليف الأستاذ المرحوم محمد كرد علي .

- تاريخ أبي زرعة الدمشقي تحقيق الأستاذ السيد شكر الله نعمة الله .

ز – البناء الجديد للمجمع :

بعد أن تم بناء هيكله ، عهدت الهيئة العامة لأبنية التعليم المكلفة بالإشراف على تنفيذ المشروع إلى مكتب هندسي ، وفقاً للأصول القانونية ، بأمر استكمال كسوته وتجهيزه بوسائل التدفئة والتبريد وإنجازه خلال سنة تبدأ من الشهر الرابع من العام ١٩٧٨ .

وحرصاً على سير العمل وعلى اتساقه في مرحلتيه الأولى والثانية كلفت الهيئة العامة لأبنية التعليم ، بناء على رغبة المجمع ، الأستاذ المهندس السيد شكيب العمري الذي أشرف على المشروع منذ تنظيم تصاميمه ووضع حجر أساسه ، الاستمرار في الإشراف على تنفيذ هذه المرحلة الأخيرة ، والمجمع يتابع سير العمل خطوة فخطوة .

ح – مكتبة المجمع :

الكتب والمخطوطات :

- بلغ عدد ما اقتنته من الكتب إهداء وشراء خلال هذه الدورة ٤٥٦ وننشر أسماءها تباعاً في أجزاء المجلة .

المجـــلات :

بلغ عدد المجلات العلمية والثقافية التي اقتنتها المكتبة باللغـة العربية ١٢٥ مجلة وباللغات الأجنبية ٤٠ مجلة .

ط ـ دار الكتب الظاهرية

المخطوطات :

ـ انتهى فهرس البطاقات حسب شهرة المؤلف .

ـ يوالي قسم المخطوطات العمل على إعداد بطاقات حسب عنوان المخطوط.

ـ بلغ عدد المخطوطات التي صورت على الأفلام الدقيقة وعلى الورق للمؤسسات والهيئات والباحثين ١٨١٥ مخطوطة .

ـ بلغ عدد المخطوطات المعارة داخلياً للباحثين ٢٧٧٨ مخطوطة .

ـ نظم سجل جديد تدون فيـه المخطوطات التي تصور والبيـانات الخاصة بها .

ـ توقف القسم عن التصوير عن الأصول حفاظاً على المخطوطات من التأثر والتلف وعمد إلى التصوير نقلاً عن الأفلام الدقيقة المصورة .

الكتب المطبوعة :

ـ يسير العمل بخطى حثيثة في سبيل فهرسة الكتب الأجنبية ، وإعداد فهرس خاص ببطاقات حسب عناوين الكتب ذات الأجزاء المتعددة.

ـ أعدت قائمة بيليوغرافية بالكتب والوثائق التي تتناول تاريخ فلسطين والقضية الفلسطينية .

- بلغ عدد ما اقتنته من الكتب إهداء وشراء ١٧٥٩ كتاباً في اللغة العربية و ٢٤٣ كتاباً في اللغات الأجنبية .

- بلغ عدد الكتب المعارة ٢٣٧٠٦

- تستمر النشرة بالصدور حاوية تعريفاً بما يرد المكتبة من كتب ومجلات ونشرات .

الدوريـــات :

- بلغ عدد المجلات العربية ٣٠٧ والأجنبية ١٤٧

- تم وضع فهرس للصحف .

الـــرواد :

- بلغ عدد الرواد إلى دار الكتب الظاهرية حوالي ٦٠ ألفاً وعدد الذين يؤمون قاعة الباحثين ١٥٠ .

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
تشريعات العمل في الدول العربية	د . أحمد زكي بدوي	الاسكندرية ١٩٦٥
القياس في النحو العربي من الخليل إلى ابن جني	د . صابر بكر أبو السعود	أسيوط ١٩٧٨
شرح مشكل أبيات المتنبي	علي بن إسماعيل بن سيده تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين	باريس ١٩٧٧
الآثار الخطية في المكتبة القادرية الجزء الثالث	د . عماد عبد السلام رؤوف	بغداد ١٩٧٨
الانتاج الفكري العراقي لعام ١٩٧٥	إعداد المكتبة الوطنية بإشراف فؤاد يوسف قزانجي	« ١٩٧٧
العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف الهمزة)	الحسن الصغاني تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين	« ١٩٧٧
ما كتب عن اللغة الكردية	د . عبد الرحمن معروف	« ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
المعجم الطبي الموحد (انكليزي- عربي) الطبعة الثانية	اتحاد الأطباء العرب رئيس التحرير د. محمود الجليلي	بغداد ١٩٧٨
تأملات	مالك بن نبي	بيروت ١٩٧٧
دمشق والقدس في العشرينات	خليل مردم بك، شرحه وقدم له عدنان مردم بك	« ١٩٧٨
فتح الغفار ١ ٢	الحسن بن أحمد الرباعي اليمني تحقيق أحمد علي زبارة	بيروت والقاهرة ١٩٧٥ و ١٩٥٢
فهرس الكتب العربية الموجودة في المكتبة المركزية (التاريخ والجغرافية والتراجم)	جامعة البصرة	البصرة ١٩٧٨
معارك	عبد الله كنون	تطوان —
الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٣٠—١٩٤٥ الجزء الثالث	د. أبو القاسم سعد الله	الجزائر ١٩٧٧
بيئات ونباتات ومراعي المناطق الجافة وشديدة الجفاف السورية	د. محمد نذير سنكري	حلب ١٩٧٧
الاسلام أهدى	عبد الله كنون	الدار البيضاء
منتخبات من نوادر المخطوطات	الخزانة الملكية ـ القصر الملكي	الرباط ١٩٧٨
معجم اليمامة (آ ـ ز)	عبد الله بن محمد بن خميس	الرياض ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
عطر نسيم الصبا	أحمـــد بن محمد الحيمي الكوكباني	صنعاء ١٣٦١ هـ
اجتماع خبراء متخصصين في اللغة العربية	المنظمة العربيـة للتربية والثقافة والعلوم	القاهرة ١٩٧٥
أخبار مصر (الجزء الأربعون)	محمد بن عبيد الله المسبحي تحقيق أيمن سيد وتياري بيانكي	القاهرة ١٩٧٨
البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار (١ – ٥)	أحمد بن يحيى بن المرتضى طبع بإشراف عبد الله الصديق وعبد الحفيظ عطية	القاهرة ١٩٤٧
البرهان القاطع في اثبات الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع	محمد بن إبراهيم الوزير	القاهرة ١٣٤٩ هـ
البهاء السبكي وآراؤه البلاغية والنقدية	د . عبد الفتاح لاشين	» ١٩٧٨
ترجيح أسـاليب القرآن على أساليب اليونان	محمد بن إبراهيم الوزير	القاهرة ١٣٤٩ هـ
التقرير النهـائي لندوة خبراء لدراسـة نتائج تجربة تيسير الكتابة العربية	المنظمة العربية للتربيـة والثقافة والعلوم	» ١٩٧٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
تهذيب سيرة ابن هشام	عبد السلام هارون	القاهرة ١٩٦٤
الحياة الفكرية في ضوء الفلسفة الاسلامية	د . حسن الفاتح قريب الله	« ١٩٧٨
توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار (١ – ٢)	محمد بن إسماعيل الصنعاني	« ١٣٦٦ هـ
ديوان ابن الرومي الجزء الرابع	تحقيق د . حسن نصار	« ١٩٧٨
ديوان عمر بن أبي ربيعة	الهيئة المصرية العامة للكتاب	« ١٩٧٨
الحور العين	الأمير نشوان الحميري	« ١٩٤٨
دليل المصطلحات العربية الموحدة في العلوم الادارية	المنظمة العربيـة للعلوم الادارية	« ١٩٧٤
شرح الأزهار	عبد الله بن مفتاح	« ١٣٥٧ هـ
الشعاع الفائض شرح مختصر علم الفرائض	علي بن هلال الدبب	القاهرة ١٣٦٥ هـ
شعر فهد العسكر (دراسة نقدية وتحليلية)	نورية صالح الرومي	« ١٩٧٨
شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (١ – ٢)	نشوان الحميري	«
العلاقات العربية الافريقية ،دراسة تحليلية في أبعادها المختلفة	المنظمة العربيـة للتربية والثقافة والعلوم	« ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
المدخل إلى دراسة البلاغة	د . فتحي فريد	القاهرة ١٩٧٨
مشاهير كرماء العرب في الجاهلية والاسلام	هزاع بن عيد الشمري	» ١٩٧٨
مشكلة فلسطين والصراع الدولي ١٩٤٥ - ١٩٦٧	محمد نصر الدين مهنا	» ١٩٧٨
مصادر الحديث عند الامامية	مرتضى السيد محمد الرضوي	» ١٩٧٥
معالم اللهجات العربية	د . عبدالحميد محمد أبو سكين	» ١٩٧٨
المنهج الصوتي للبنية العربية ورؤية جديدة في الصرف العربي	د . عبد الصبور شاهين	» ١٩٧٧
الموجز في نشأة النحو	محمد الشاطر أحمد محمد	» ١٩٧٨
الموسم الثقافي مجموعة المحاضرات العامة التي ألقيت بالجمعية (١٩٧٦ - ١٩٧٧)	الجمعية المصرية للدراسات التاريخية	» ١٩٧٨
نثر الدر الجزء الأول (١ - ٢)	أبو سعد منصور الآبي تحقيق محمد علي قرنة	» ١٩٧٨
نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون	محمد بن علي الأهدلي اليمني	»
نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف إلى سنة ١٣٥٧ هـ	محمد بن محمد زبارة الصنعاني	» ١٣٥٩ هـ

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
النقد في عصر التنوير «كنت»	د. نازلي إسماعيل حسين	القاهرة ١٩٧٦
نيل الوطر في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر (١ ٢)	محمد بن محمد زبارة الصنعاني	» ١٣٤٨ ﻫ
الوزارة: نشأتها وتطورها في الدولة العباسية	د. توفيق سلطان اليوزبكي	الموصل ١٩٧٦
المعجب في علم النحو	رؤوف جمال الدين	النجف ١٣٩٨ ﻫ

تصحيح أخطاء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧٠٦	٨	الشيئة	الشيئية
٧٠٧	٨	pharingite	pharyngite
٧١٣	٢	القطر	القطر الكثيف
٧١٥	١٧	Qruquill dictionnaire encyclohédique	Quillet dictionnaire encyclopédique
٧١٦		Leyy	Levy

الفهارس العامة للمجلد الثالث والخمسين

١ - فهرس المـــواد

منسوقة على حروف المعجم

ب – فهرس الأعلام ـ كتاب المقالات
منسوقة على حروف المعجم

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثالث والخمسين